AL-THA'LABI

QISAS AL-ANBIYA'

فهرست

(كتاب قصص الانبياء للعلامة أبي اسحاق احمد بن محمد بن ابراهيم الثعلبي رضي الله عنه ونفعنا به آمين)

كتاب

قصص الانبياء

(المسمى) بالعرائس

تأليف

الامام العالم العلامة

أبى اسحق احمد بن محمد بن ابراهيم الثعلبي

تغمده الله برحمته وأسكنه فسيح جنته آمين

وبهامشه مختصر روض الرياحين فى مناقب الصالحين للعلامة اليافعى

نفع الله تعالى به ومتعه في الفردوس مع اهل قربه

﴿ طبع على نفقة ﴾

احمد محمد عبيد

« بميدان الأزهر الشريف بمصر »

مطبعة العلوم الأدبية

لصاحبها احمد محمد عبيد

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله حق حمده والصلاة على محمد وآله (قال) الاستاذ أبو اسحق احمد بن محمد بن ابراهيم الثعلبي رحمه الله تعالى هذا كتاب يشتمل على قصص الانبياء المذكورة بالقرآن بالشرح والله المستعان وعليه التكلان

(باب في ذكر بعض وجوه الحكمة في تقصيصه تعالى اخبار الماضين على سيد المرسلين)

قال الله تعالى وكلا نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك قالت الحكماء ان الله تعالى قص على المصطفى صلى الله عليه وسلم اخبار الماضين من الانبياء والامم الخالية لخمسة امور أي حكم (الحكمة الاولى) منها انه اظهار لنبوته صلى الله عليه وسلم ودلالة على رسالته وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اميا لم يختلف الى مؤدب ولا الى معلم ولم يفارق وطنه بمدة يمكنه فيه الانقطاع الى عالم يأخذ عنه علم الاخبار ولم يعرف له طلب شيء من العلوم الى ان كان من امره ما كان فنزل عليه جبريل عليه السلام ولقنه ذلك فاخذ يحدث الناس باخبار ما مضى من القرون وسير الانبياء الماضين والملوك المتقدمين فمن كان من قومه عاقلا موفقا صدق بما يوحى الله اليه واخباره اياه بذلك فآمن به وصدقه وكان ذلك معجزة له ودليلا على صحة نبوته ومن كان منهم عدوا معاندا حسده وجحده وانكر ما جاء به وقال كما أخبر الله تعالى وقالوا اساطير الاولين اكتتبها فهي تملى عليه بكرة وأصيلا قال الله تعالى تكذيبا لهم وتصديقا للنبي عليه السلام قل انزله الذي يعلم السر في السموات والارض (والحكمة الثانية) انما قص عليه القصص ليكون له اسوة وقدوة بمكارم اخلاق الرسل والانبياء المتقدمين والاولياء والصالحين فيما اخبر الله تعالى عنهم واثنى عليهم ولتنتهي امته عن امور عوقبت أمم الانبياء بمخالفتها عليها واستوجبوا من الله بذلك العذاب والعقاب فتمم الله بذلك معالي الاخلاق فلما امتثل امر الله تعالى واستعمل ادب الانبياء اثنى الله عليه فقال تعالى وانك لعلى خلق عظيم ولذلك قالت عائشة رضي الله تعالى عنها حين سئلت عن خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم كان خلقه القرآن (والحكمة الثالثة) انما قص عليه القصص تثبيتا له واعلاما بشرفه وشرف أمته وعلو اقدارهم وذلك انه اذا نظر الى اخبار الامم قبله علم أنه عوفي هو وأمته من كثير مما امتحن الله به الانبياء والاولياء وخفف عنهم في الشرائع ورفع عنهم الاثقال والاغلال التي كانت على الامم الماضية كما قال بعض المتأولين في تفسير قوله تعالى وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة ان النعمة الظاهرة تخفيف الشرائع والباطنة تضعيف الصنائع قال الله تعالى يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر وقال تعالى وما جعل عليكم في الدين من حرج وقال تعالى يريد الله ان يخفف عنكم وخلق الانسان ضعيفا فلما قص الله هذه القصص على نبيه رأى فضل نفسه وفضل أمته وعلم ان الله خصه هو وامته بكرامات لم يخص بها احدا من الانبياء والامم فوصل قيام ليله بنهاره وصيامه بقيامه لا يفتر عن عبادة ربه أداء لشكره حتى تورمت قدماه فقيل يا رسول الله أليس قد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر قال أفلا أكون عبدا شكورا ثم افتخر عليه السلام فقال بعثت بالحنيفية السمحة (والحكمة الرابعة) أنه انما قص الله تعالى عليه القصص تأديبا وتهذيبا لامته وذلك انه ذكر الانبياء وثوابهم والاعداء وعقابهم

(بسم الله الرحمن الرحيم)
الحمد لله العظيم المنان * الرحيم الرحمن * الذى خلق الانسان * وزينه بنطق اللسان * وفضل من شاء من عباده وهداه الي طريق الايمان وشرف هذه الامة بالصلاة والصيام وتلاوة القرآن وجعل منهم الاولياء والاصفياء والشهداء والصالحين اهل العرفان واولى الفضل والايمان شرح لهم صدورهم وغفر لهم ذنوبهم وهداهم الى صراط مستقيم صراط الله العزيز المنان وانعم عليهم بانعامه وجاد عليهم باكرامه وسقاهم من كؤس محبته فانتعشت من شراب قربه القلوب والابدان * ووعدهم بالنظر الى وجهه الكريم فتوجهم بتاج الوقار والبسهم من حلل رضائه الوان فسبحان من فضله عميم وجوده عظيم ولطفه قديم وهو الباقي وكل من عليها فان (أحمده) على طول الازمان واتوب اليه واستغفره استغفارا يوجب الغفران وأشهد ان لا اله الا الله وحده لاشريك له الرحيم الرحمن * وأشهد ان

ثم ذكر في غيره وضع تحذيره اياهم عن صنع الاعداء وحثهم على صنع الاولياء فقال تعالى لقد كان في يوسف واخوته آيات للسائلين وقال لقد كان في قصصهم عبرة لاولي الالباب وقال وهدى وموعظة للمتقين ونحوها من الايات وكان الشبلي رحمه الله تعالى يقول في هذه الآيات اشتغل العام بذكر القصص واشتغل الخاص بالاعتبار من القصص (والحكمة الخامسة) أنه قص عليه أخبار الانبياء والاولياء الماضين احياء لذكرهم وآثارهم ليكون المحسن منهم في ابقاء ذكره مثبتا له تعجيل جزاء في الدنيا حتى يبقى ذكره وآثاره الحسنة الى قيام الساعة كما رغب خليل الله ابراهيم عليه السلام في ابقاء الثناء الحسن فقال واجعل لي لسان صدق في الآخرين والناس احاديث يقال ما مات ميت والذكر يحييه وقيل ما انفق الملوك والاغنياء الاموال على المصانع والحصون والقصور الا لبقاء الذكر * وأنشدنا ناصر بن محمد المروزي قال أنشدني الدريدي

وانما المرء حديث بعده * فكن حديثا حسنا لمن وعي

(مجلس في صفة خلق الارض) قال الله تعالى الذي جعل لكم الارض فراشا والسماء بناء الآية ونظائرها كثيرة في القرآن (واعلم) أن الكلام في نعت خلق الارض على سبعة أبواب

(الباب الاول في بدء خلق الارض وكيفيتها)

روت الرواة بالفاظ مختلفة ومعان متفقة أن الله تعالى لما أراد ان يخلق السموات والارض خلق جوهرة خضراء أضعاف طباق السموات والارض ثم نظر اليها نظر هيبة فصارت ماء ثم نظر الى الماء فغلا وارتفع منه زبد ودخان وبخار وأرعد من خشية الله فمن ذلك اليوم يرعد الى يوم القيامة وخلق الله من ذلك الدخان السماء فذلك قوله تعالى ثم استوى الى السماء وهي دخان أي قصد وعمد الى خلق السماء وهي بخار وخلق من ذلك الزبد الارض فاول ما ظهر من الارض على وجه الماء مكة فدحا الله الارض من تحتها فلذلك سميت أم القرى يعني أصلها وهي قوله تعالى والارض بعد ذلك دحاها ولما خلق الله الارض كانت طبقا واحدا ففتقها وصيرها سبعا وذلك قوله تعالى أولم ير الذين كفروا أن السموات والارض كانتا رتقا ففتقناهما ثم بعث الله تعالى من تحت العرش ملكا فهبط الى الارض حتى دخل تحت الارضين السبع فوضعها على عاتقه احدى يديه في المشرق والاخرى في المغرب باسطتين قابضتين على قرار الارضين السبع حتى ضبطها فلم يكن لقدميه موضع قرار فاهبط الله تعالى من أعلى الفردوس ثورا له سبعون ألف قرن وأربعون ألف قائمة وجعل قرار قدمي الملك على سنامه فلم تستقر قدماه فأحدر الله ياقوتة خضراء من أعلى درجة من الفردوس غلظها خمسمائة عام فوضعها بين سنام الثور الى اذنه فاستقرت عليها قدماه وقرون ذلك الثور خارجة من أقطار الارض وهي كالحسكة تحت العرش ومنخر ذلك الثور في البحر فهو يتنفس كل يوم نفسا فاذا تنفس مد البحر واذا رد نفسه جزر ولم يكن لقوائم الثور موضع قرار فخلق الله تعالى صخرة خضراء غلظها كغلظ سبع سموات وسبع ارضين فاستقرت قوائم الثور عليها وهي الصخرة التي قال لقمان لابنه يا بني انها ان تك مثقال حبة من خردل فتكن في صخرة او في السموات أو في الارض يأت بها الله الآية * روي ان لقمان لما قال له هذه الكلمة انفطرت من هيبتها مرارته ومات وكانت آخر موعظته فلم يكن للصخرة مستقر فخلق الله تعالى نونا وهو الحوت العظيم اسمه لوتيا وكنيته بلهوت ولقبه بهموت فوضع الصخرة على ظهره وسائر جسده خال قال والحوت على البحر والبحر على متن الريح والريح على القدرة وثقل الدنيا وما عليها حرفان من كتاب الله تعالى قال لها الجبار كوني فكانت فذلك قوله عزوجل انما أمرنا لشيء اذا أردناه ان نقول له كن فيكون ولذلك قال بعض حكماء الشعراء

لا تخضعن لمخلوق على طمع * فان ذلك نقص منك في الدين
واسترزق الله مما في خزائنه * فان رزقك بين الكاف والنون

سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم عبده ورسوله خير الخلائق من أنس وجان * اللهم فصل وسلم على هذا النبي الكريم والرسول العظيم صلاة وسلاما دائمين متلازمين على طول الزمان * (أما بعد) فهذه فوائد جليلة عظيمة نقلت عن كتاب روض الرياحين في مناقب بعض الصالحين أعاد الله علينا من بركاتهم في الدارين فبذكرهم تنزل الرحمات * وتحل البركات * وقد أوردت فيها من أخبار السادات ومناقب القادات ومحاسن أهل السعادات * بروايات صحيحات * ليزول عن مطالعها الهموم والفكر ويطرب سامعها لمحاسن تلك السير فسماعها ينعش الابدان ومطالعتها تزيل الاخزان * وهذا أوان الشروع في ذلك ونسأل الله تعالى ان ينفعنا باوليائه وان يحشرنا في زمرة أهل ولائه (فمنها ما حكى عن سيدي ذي النون المصري رضي الله عنه) قال ركبت البحر مرة وركب معي شاب صبيح الوجه فلما توسطنا البحر فقد صاحب المركب كيسا فيه مال

واستغن بالله عن دنيا الملوك كما * استغني الملوك بدنياهم عن الدين

(وقال) كعب الاحبار ان ابليس تغلغل الى الحوت الذى على ظهره الارض فوسوس اليه وقال له أتدرى ما على ظهرك يالوتيا من الامم والدواب والشجر والجبال وغيرها لو نفضتها ألقيتهم عن ظهرك اجمع لكان ذلك أريح لك قال فهم لوتيا أن يفعل ذلك فبعث الله تعالى اليه دابة فدخلت فى منخره فوصلت الى دماغه فعج الحوت الى الله تعالى منها فأذن الله تعالى لها فخرجت قال كعب الاحبار فوالذي نفسى بيده انه لينظر اليها وتنظر اليه ان هم بشيء من ذلك عادت كما كانت وهذا الحوت الذى أقسم الله تعالى به فقال ن والقلم وما يسطرون ثم قالوا ان الارض كانت تتكفأ على الماء كما تتكفأ السفينة على الماء فارساها الله تعالى بالجبال وذلك قوله تعالى والجبال أرساها وقوله تعالى والجبال أوتادا وقوله تعالي وألقى في الارض رواسى أن تميد بكم يعني لكيلا تتحرك بكم * قال على بن أبى طالب رضي الله تعالى عنه أول ما خلق الله الارض عجت وقالت يارب تجعل على بنى آدم يعملون على الخطايا ويلقون على الخبائث فاضطربت فارساها الله تعالى بالجبال فاقرها وخلق الله تعالى جبلا عظيما من زبرجدة خضراء خضرة السماء منه يقال له جبل قاف فاحاط بها كلها وهو الذى أقسم الله به فقال ق والقرآن المجيد وقال وهب ان ذا القرنين أتى على جبل قاف فرأى حوله جبالا صغارا فقال له من انت قال انا قاف قال فاخبرنى ما هذه الجبال التي حولك فقال هى عروقى فاذا اراد الله ان يزلزل ارضا أمرنى فحركت عرقا من عروقي فتزلزل الارض المتصلة به فقال ياقاف أخبرنى بشيء من عظمة الله تعالى فقال ان شأن ربنا العظيم تقصر عنه الصفات وتنقضي دونه الاوهام قال فاخبرنى بادنى ما يوصف منها قال ان ورائى ارضا لمسيرة خمسمائة عام من جبال الثلج يحطم بعضها بعضا ومن وراء ذلك جبال من البرد مثلها لولا ذلك الثلج والبرد لاحترقت الدنيا من حر جهنم قال زدنى فقال جبريل عليه السلام واقف بين يدى الله تعالى ترعد فرائصه فيخلق الله من كل رعدة مائة ألف ملك وهم صفوف بين يدي الله تعالى منكسو رؤسهم لا يؤذن لهم في الكلام الى يوم القيامة فاذا أذن الله تعالي لهم فى الكلام قالوا لا اله الا الله وهو قوله تعالى يوم يقوم الروح والملائكة صفا لا يتكلمون الا من أذن له الرحمن وقال صوابا يعني لا اله الا الله * وروى يزيد بن هرون عن العوام بن حوشب عن سليمان بن أبى سليمان عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال لما خلق الله تعالى الارض جعلت تميد فخلق الجبال وألقاها عليها فاستقامت فعجبت الملائكة من شدة الجبال فقالت يارب هل من خلقك شيء أشد من الجبال قال نعم الحديد فقالت يارب هل من خلقك شيء أشد من الحديد قال نعم النار فقالت يارب هل من خلقك شيء أشد من النار قال نعم الماء فقالت يارب هل من خلقك شيء اشد من الماء قال نعم الريح فقالت يارب هل من خلقك شيء أشد من الريح قال نعم الانسان يتصدق بيمينه فيخفيها عن شماله

(الباب الثانى في حدود الارض ومسافتها واطباقها وسكانها)

(روى) عبد الله بن عمر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال بين كل ارض الى التى تليها مسيرة خمسمائة عام وهي سبعة أطباق الارض الاولى هذه فيها سكانها والارض الثانية مسكن الريح ومنها تخرج الرياح المختلفة كما قال تعالى وتصريف الرياح وفى الارض الثالثة خلق وجوههم مثل وجوه بني آدم وافواههم مثل افواه الكلاب وايديهم كايدى الانس وارجلهم كارجل البقر وآذانهم كآذان المعز واشعارهم كاصواف الضأن لا يعصون الله طرفة عين ليس لهم أثواب ليلنا نهارهم ونهارهم ليلنا والارض الرابعة فيها حجارة الكبريت التى أعدها الله لاهل النار تسجر بها جهنم قال النبي صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده ان فيها لاودية من كبريت لو ارسلت فيها الجبال الرواسي لانماعت قال وهب بن منبه هي مثل الكبريت الاحمر الصخرة منها مثل الجبل العظيم وهى التى قال الله تعالى فيها وقودها الناس والحجارة

ففتش كل من كان فى المركب فلما وصل الى الشاب ليفتشه وثب من المركب حتي جلس في البحر فقام له الموج على مثل السرير ونحن ننظر اليه من المركب ثم قال يا مولاى ان هؤلاء اتهموني واني اقسم عليك ياحبيب قلبي ان تأمر كل دابة من هذا البحران تخرج رأسها وفي فم كل واحدة منهن جوهرة قال ذو النون فما أتم الشاب كلامه حتى رأينا دواب البحر قد اخرجت رؤسها وفي فم كل واحدة منهن جوهرة تتلألأ وتلمع كالبرق ثم وثب الشاب ثانيا من البحر فى الموج وصار يمشي ولم تبتل قدماه وهو يقول اياك نعبد واياك نستعين حتى غاب عن بصرى قال ذو النون فحملنى ذلك على السياحة وتذكرت قول النبي صلى الله عليه وسلم لا يزال في أمتى ثلاثون رجلا قلوبهم على قلب ابراهيم خليل الرحمن كلما مات واحد بدل الله مكانه واحدا (وحكى عن سيدي ابراهيم الخواص رضي الله تعالي عنه) أنه قال طالبتني نفسى فى وقت من الاوقات بالخروج

* أخبرنا أبو بكر بن عبدوس بن المزنى قال أخبرنا أبو عبدالله محمد بن يونس المقرى قال حدثنا محمد بن منصور قال حدثنا احمد بن الليث قال حدثنا أبو حفص عمر بن حفص القشيرى قال حدثنا على بن الحسين قال سمعت منصور بن عمار يقول بينما انا اردت الحج اذ دفعت الى الكوفة ليلا وكانت ليلة مدلهمة فانفردت من أصحابى ثم دنوت الى زقاق باب دار فسمعت بكاء رجل وهو يقول في بكائه الهى وعزتك وجلالك ما أردت بمعصيتى مخالفتك ولكنى عصيتك اذ عصيتك بجهلى وخالفتك اذ خالفتك لشقوتى فالآن من عذابك من ينقذنى وبحبل من أتصل اذا انقطع حبلك عني واذنوباه واغوثاه يا ألله قال منصور فابكانى والله فوضعت فمى على شق الباب وقلت اعوذ بالله من الشيطان الرجيم ان الله هو السميع العليم بسم الله الرحمن الرحيم يا ايها الذين آمنوا قوا أنفسكم واهليكم نارا وقودها الناس والحجارة الآية قال فسمعت عند ذلك اضطرابا شديدا ثم خمد الصوت فوضعت حجرا على الباب لاعرف الموضع فلما أصبحت غدوت اليه فاذا باكفان أصلحت وعجوز تدخل لدار باكية وتخرج باكية فقلت لها ياهذه ماهذا الميت لك فقالت اليك عني ياعبدالله لا تجدد على أحزانى فقلت انى اريد هذا لوجه الله الكريم لعلك تستودعينى دعوة فانى منصور بن عمار واعظ اهل العراق قالت يامنصور هذا ولدي قلت فما كانت صفته قالت كان من آل رسول الله صلى الله عليه وسلم يكتسب ما يكتسب فيجعله أثلاثا ثلثا لى وثلثا للمساكين وثلثا يفطر عليه وكان يصوم النهار ويقوم الليل حتى اذا كان آخر ليلة أخذ فى بكائه وتضرعه فمر رجل في هذه الليلة وتلا آية من كتاب الله تعالى فلم يزل حبيبي يضطرب حتى أصبح وقد فارق الدنيا رحمه الله تعالى (وقال) منصور بن عمار ودخلت يوما خربة فوجدت شابا يصلى صلاة الخائفين فقلت لنفسى ان لهذا الفتى لشأنا عظيما لعله من اولياء الله تعالى فوقفت حتى فرغ من صلاته فلما سلم سلمت عليه فرد على فقلت له أما تعلم ان في جهنم واديا يسمى لظى نزاعة للشوى تدعو من ادبر وتولى وجمع فأوعى فشهق شهقة وخر مغشيا عليه فلما أفاق قال زدنى فقلت يا ايها الذين آمنوا قوا انفسكم وأهليكم نارا وقودها الناس والحجارة الآية فخر ميتا فلما كشفت ثيابه عن صدره رأيت عليه مكتوبا بقلم القدرة فهو فى عيشة راضية في جنة عالية قطوفها دانية فلما كانت الليلة الثانية نمت فرأيته في المنام جالسا على سرير وعلى رأسه تاج فقلت له مافعل الله بك فقال آتانى ثواب اهل بدر وزادنى فقلت له لم قال لانهم قتلوا بسيف الكفار وانا قتلت بسيف الملك الجبار * والارض الخامسة فيها عقارب اهل النار كامثال البغال لها اذناب كامثال الرماح لكل ذنب منها ثلثمائة وستون فقارا في كل فقار ثلثمائة وستون فرقا من السم كل فرق منها ثلثمائة وستون قلة من سم لو وضعت قلة من ذلك السم فى وسط الارض لمات جميع اهل الدنيا من نتنه وفسد منه كل شيء وفيها أيضا حيات أهل النار كامثال الاودية لكل حية منها ثمانية عشر الف ناب كل ناب منها كالنخلة الطويلة فى أصل كل ناب ثمانية عشر الف قلة من السم لو امر الله حية منها ان تضرب بناب من أنيابها أعظم جبل في الارض لهدته حتى يعود رميما وانها لتاتى الكافر فتسمه فتقطع مفاصله * والارض السادسة فيها دواوين أهل النار واعمالهم وارواحهم الخبيثة واسمها سجين قال الله تعالى كلا ان كتاب الفجار لفى سجين * والارض السابعة جعلها الله مسكنا لابليس وجنوده وفيها عشه فى احد جانبيه سموم وفى الآخر زمهرير وقد احتوشته من المردة وعتاة الجن ومنها يبث سراياه وجنوده فاعظمهم عنده منزلة أعظمهم فتنة لبنى آدم وروي سلمة بن كهل عن ابى الزرقاء عن عبدالله قال الجنة اليوم فى السماء السابعة فاذا كان غد جعلها الله حيث يشاء والنار اليوم فى الارض السفلى فاذا كان غد جعلها الله حيث يشاء * واما بعد قعر الارض فكافيك به حديث قارون حيث خسف الله به الارض وبداره وباموال ففى الخبر انه يخسف به كل يوم مقدار قامة فلا يبلغ

الى بلاد الروم فخوفت نفسي ان تكفينى ذلك فصرت على نفى الخاطر فلم تلتفت الى ذلك فخرجت اخترق ديارهم واجول اقطارهم والعناية تكفينى والرعاية تخفني لا ألقى نصرانيا الا غض بصره عني وتباعد منى الى ان اتيت مدينة من المدائن فرأيت على بابها رجالا لابسين السلاح وبايديهم آلات الكفاح فلما رأونى اتوا الى وقالوا الطبيب انت قلت نعم فقالوا أجب الملك فحملت اليه فلما رآنى قال انت الطبيب قلت نعم فقال الملك احملوه اليها وعرفوه بالشرط قبل الدخول عليها قال ابراهيم فاخبرونى وقالوا ان للملك ابنة قد اصابها اعتلال شديد وقد أعيا الاطبا علاجها وما من طبيب دخل عليها وعالجها ولم تبرأ الا قتله الملك فانظر الى نفسك قبل الدخول اليها قال ابراهيم فقلت لا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم ثم قلت ان الملك ساقنى اليها فادخلونى عليها فاخذونى ومضوا بى اليها فلما وصلت الى باب القصر اذا هى تنادي من داخل الباب ادنوا بالطبيب فلى وله سر عجيب فبينما أنا

قبرها الى يوم القيامة وقال النبي عليه الصلاة والسلام بينما رجل يتبختر في برديه و ينظر في عطفيه وقد أعجبته نفسه فخسف الله به الارض فهو يتجلجل فيها الى يوم القيامة

(الباب الثلث في ذكر الايام التى خلق الله تعالى فيها الارض)

قال الله تعالى قل ائنكم لتكفرون بالذى خلق الارض فى يومين الآية قال ابواسحق قال شبك بيدى أبو بكر محمد بن احمد القطان قال شبك بيدى أحمد بن الحسين بن شاذان قال شبك بيدى ابراهيم بن يحيي قال شبك بيدى صفوان بن سليم قال شبك بيدي أيوب بن خالد الانصارى قال شبك بيدى عبدالله بن ابى رافع قال شبك بيدى أبو هريرة قال شبك بيدى أبو القاسم محمد صلى الله عليه وسلم فقال خلق الله الارض يوم السبت والجبال يوم الاحد والاشجار يوم الاثنين والظلمات يوم الثلاثاء والنور يوم الاربعاء والدواب يوم الخميس وآدم يوم الجمعة

(الباب الرابع فى ذكر اسمائها والقابها)

(قال) وهب بن منبه الاولى من الارض تسمى اديما والثانية بسيطا والثالثة ثقيلا والرابعة بطيحا والخامسة متثاقلة والسادسة ماسكة والسابعة ثرى (وأما اسماءها المذكورة في القرآن) فهي سبعة أيضا سماها الله فراشا فقال الذي جعل لكم الارض فراشا وسماها قرارا فقال امن جعل الارض قرارا وسماها رتقا فقال اولم ير الذين كفروا ان السموات والارض كانتا رتقا وسماها بساطا فقال والله جعل لكم الارض بساطا وسماها مهادا فقال الم نجعل الارض مهادا وسماها ذات الصدع فقال والارض ذات الصدع يعني بالنبات وسماها كفاتا فقال الم نجعل الارض كفاتا قال خالد بن سعيد كنت امشى مع الشعبي بظهر الكوفة فنظر الى بيوت الكوفة فقال هذه كفات الاحياء ثم نظر الى المقبرة فقال هذه كفات الاموات (ويحكي) ان عبدالله بن طاهر لما قدم نيسابور صحبه من اولاد المجوس شاب متطبب يدعى تحقيق الكلام واظهر مسئلة تحريق الانفس بالنار وكان يزعم ان الجسد كثيف منتن فى حالة الحياة فاذا مات فلا حكمة في دفنه والتسبب الى زيادة نتنه وان الواجب احراقه واذراء رماده فقيل لبعض الفقهاء ان الناس قد افتتنوا بمقالة هذا المجوسى فكتب الفقيه الى عبدالله بن طاهر ان اجمع بيننا وبين هذا المجوسى لنسمع منه فاجتمعوا عند عبدالله فلما تكلم المجوسي بمقالته تلك قال له الفقيه اخبرنا عن صبي تدعيه امه وحضنته ايهما اولى به فقال له الام فقال ان هذه الارض هى الام منها خلق الخلق فهى أولى بأولادها ان يردوا اليها فافحم المجوسى وأنشد فى معناه لامية بن أبى الصلت

والارض معقلنا وكانت أمنا * فيها مقابرنا وفيها نولد

(وسئل) يحيي بن معاذ الرازى ان ابن آدم يدرى ان الدنيا ليست بدار قرار فلم يطمئن اليها قال لانه منها خلق فهي أمه وفيها نشأ فهى عشه ومنها رزق فهى عيشه واليها يعود فهى كفاته وهي ممر الصالحين الى الجنة

(الفصل الخامس في ذكر ما زين الله به الارض)

وهي سبعة أشياء الازمنة وزين الازمنة باربعة اشهر قال الله تعالى ان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا فى كتاب الله يوم خلق السموات والارض منها أربعة حرم فالاربعة الاشهر الحرم منها ثلاثة سرد وواحد فرد فالثلاثة السرد ذو القعدة وذو الحجة والمحرم والفرد رجب والامكنة وزينها باربعة أشياء مكة والمدينة وبيت المقدس ومسجد المشاعر وزينها ايضا بالانبياء عليهم الصلاة والسلام وزين الانبياء باربعة ابراهيم الخليل وموسي الكليم وعيسي الوجيه ومحمد الحبيب صلوات الله عليهم أجمعين وهم أهل الكتب واصحاب الشرائع وأولوا العزم وزينها ايضا بآل محمد صلى الله عليه وسلم وزينهم ايضا باربعة على وفاطمة والحسن والحسين رضي الله عنهم (وروي) يزيد الرقاشى عن أنس بن مالك قال صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم

كذلك اذا شيخ كبير قد فتح الباب مسرعا وقال ادخل فدخلت فاذا بيت مبسوط مفروش بانواع الفرش وبستر موضوع ومن خلفه انين ضعيف يخرج من جسد نحيف قال ابراهيم فقعدت من داخل الباب متفكرا واردت ان اسلم فتذكرت قول النبي صلى الله عليه وسلم لاتبدؤا اليهود والنصارى بالسلام فامسكت عن السلام فنادت من داخل الستر اين سلام التوحيد والاخلاص ياأبااسحق ياخواص قال فتعجبت من اجابتها بخبئات الضمائر ثم قالت يا ابراهيم سألت رب العزة البارحة ان يرسل الي وليا من اوليائه يكون على يده الخلاص فنوديت سيحضر عندك ابراهيم الخواص قال ابراهيم فقلت لها متى خطر عليك هذا الامر فقالت منذ اربع سنين وقد لاح لى الحق المبين فهو المحدث والانيس والمقرب والجليس فلما رأوا حالى رمقونى بالعيون ورمونى بالجنون فما دخل على طبيب الا أوحشنى ولا زائر الا ادهشني قال ابراهيم فقلت وما لها

صلاة الفجر فلما انفتل من ة أقبل علينا بوجهه الكريم فقال يامعاشر المسلمين من افتقد الشمس فليستمسك بالقمر ومن القمر فليستمسك بالزهرة ومن افتقد الزهرة فليستمسك بالفرقدين فقيل يارسول الله ما الشمس مر وما الزهرة وما الفرقدان فقال انا الشمس وعلي القمر وفاطمة الزهرة والحسن والحسين الفرقدان ب الله تعالى لا يفترقان حتي يردا علي الحوض وزينها أيضا بالصحابة وزينهم أيضا باربعة ابي بكر وعثمان وعلي وهم الخلفاء الراشدون والأئمة المرضيون رضي الله عنهم أجمعين (وروى) عن أنس بن مالك رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لا يجتمع حب هؤلاء الاربعة الا في قلب مؤمن قال أنس قد ا حبهم في قلبي والحمد لله وزينها أيضا بالمؤمنين وزينهم باربعة العلماء والقراء والغزاة والعباد وزينها أيضا انواع الحيوانات والنبات والجمادات

* (الباب السادس فى عاقبتها ومآلها وآخر حالها) *

اعلم ان الله تعالى وعدها بسبعة أشياء * أحدها التبديل وهو قوله تعالى يوم تبدل الارض غير الارض وفي الخبر يؤتى بأرض بيضاء من فضة كالخبز النقي الحوارى لم يعص الله عليها قط طرفة عين ولا وصم فيها ولا قصم مستوية كالصلب المهند * والثانى الزلزلة قال الله تعالى اذا زلزلت الارض زلزالها الآية وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تقوم الساعة حتى يقبض العلم وتكثر الزلازل وتظهر الفتن ويكثر الهرج قيل وما الهرج يارسول الله قال القتل فاذا أكلت أمتي الربا كانت الزلزلة واذا جاروا في الحكم اجترأ عليهم العدو واذا ظهرت الفاحشة كان الوباء والموت واذا منعوا الزكاة قحطوا ولولا البهائم لم يمطروا وفى الحديث ان الارض تزلزلت على عهد عمر رضى الله عنه فأخذ بعضادتى منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال يا أهل المدينة انكم رجفتم وان الرجفة من كثرة الربا والزنا ونقصان الثمر من قلة الصدقة وانكم احدثتم أشياء حتى اعجلتم فهل انتم منتهون أو يفر عمر من بين أظهركم * والثالث البروز قال الله تعالى وترى الارض بارزة يعني لفصل القضاء * والرابع الرج قال الله تعالى اذا رجت الارض رجا قال المفسرون كما يرج الصبي في المهد حتى ينكسر كل شيء عليها فرقا من ربها * والخامس الرجف قال تعالى يوم ترجف الارض والجبال * والسادس المد حتى تتخلى وتلقي ما فى بطنها قال تعالى واذا الارض مدت وألقت ما فيها وتخلت * والسابع الدك قال تعالى اذا دكت الارض دكا دكا وقال تعالى فدكتا دكة واحدة ويحكى ان للربيع بن خثيم كان اذا قرأ هذه الآية أخذ بجلد ذراعيه ويقول ياحماه ويادماه اين انا يومئذ

* (الباب السابع في وجوه الارض المذكورة فى القرآن) *

وهي سبعة أولها مكة خاصة قال الله تعالى فى الرعد والانبياء أولم يروا انا نأتى الارض ننقصها من أطرافها يعنى ارض مكة والوجه الثانى ارض المدينة قال الله تعالى ألم تكن ارض الله واسعة فتهاجروا فيها يعنى ارض المدينة وقال تعالى ان ارضى واسعة وقال تعالى وان كادوا ليستفزونك من الارض ليخرجوك منها والثالث أرض الشام وذلك قوله تعالى ادخلوا الارض المقدسة الآية يعني بلاد الشام وقال تعالى ونجيناه ولوطا الى الارض التي باركنا فيها للعالمين والوجه الرابع ارض مصر قال تعالي وكذلك مكنا ليوسف فى الارض أى أرض مصر وقوله تعالى اجعلني على خزائن الارض انى حفيظ عليم وقوله فلن ابرح الارض اي ارض مصر وقوله تعالى ان فرعون علا في الارض وقال ويستخلفكم فى الارض أي أرض مصر والخامس أرض المشرق فذلك قوله تعالى ان ياجوج ومأجوج مفسدون في الارض والسادس الارضون كلها وذلك قوله تعالى وما من دابة فى الارض الا على الله رزقها وقوله تعالى وما من دابة في الارض ولا طائر يطير بجناحيه الا أمم أمثالكم يعنى الامم فى التصاور أمثالكم في التسخير وقال تعالى ولو ان ما فى الارض من شجرة أقلام وقال تعالى الذى جعل

الذي أوصلك اليه قالت براهينه الواضحة واياته اللائحة فاذا وضح لك السبيل شاهدت المدلول والدليل قال ابراهيم فبينما انا أكلمها اذا الشيخ الموكل بها قد دخل عليها وقال لها ما فعل طبيبك هذا قالت عرف العلة وأصاب الدواء وظهر على يديه السرور وقابلني بالبرور قال ابراهيم فسار الشيخ للملك واخبره بمقالتها فصرت اتردد عليها مدة سبعة ايام فقالت يا أبا اسحق أريد الهجرة معك الى بلاد الاسلام فقلت وكيف يكون ذلك ومن يتجاسر على الخروج من تلك العساكر والجنود فقالت يا ابراهيم لا تخف ان الذى ادخلك على وساقك الى هو الذي يخرجني معك ولم يشعر بنا أحد فقلت نعم انه على كل شيء قدير فلما كان الغد خرجنا من باب من الابواب فحجبت عنا العيون بارادة من يقول للشيء كن فيكون فرالذي وفقها وهداها ما رأيت أصبر منها على الصيام والقيام وحرمت على عينها لذيذ المنام وجاورت بيت الله الحرام مدة سبعة أعوام ثم قضت

لكم الارض فراشا والسابع ارض الجنة فذلك قوله تعالى ولقد كتبنا في الز بعد الذكر ان الارض يرثها
عبادي الصالحون وقوله تعالى وأورثنا الارض نتبوأ من الجنة حيث نشاء حر العاملين

(مجلس في ذكر خلق السموات وما يتصل به)

وترتيب الكلام في هذا المجلس أيضا على سبعة أبواب لقول وهب بن منبه كاد شياء ان تكون سبعا فالسموات سبع والارضون والجبال سبع والبحار سبع وعمر الدنيا سبعة آلاف م سبعة والكواكب سبعة وهي السيارة والطواف بالبيت سبعة أشواط والسعي بين الصفا والمروة سـ رمى الجمارة سبعة وابواب جهنم سبعة ودركاتها سبعة وامتحان يوسف عليه السلام سبع سنين قال تعـ ث في السجن بضع سنين واياؤد ملك مصر سبع سنين وقال الملك انى أرى سبع بقرات سمان وكرامة المصطفى صلى الله عليه وسلم سبع قال الله تعالى ولقد آتيناك سبعا من المثاني والقرآن العظيم والقرآن سبعة أسباع تركيب ابن آدم على سبعة أعضاء وخلقه من سبعة أشياء قال الله تعالى ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين الى قوله فتبارك الله احسن الخالقين ورزق الانسان وغذاؤه من سبعة اشياء قال الله تعالى فلينظر الانسان الى طعامه الى قوله متاعا لكم ولانعامكم وأمر بالسجود على سبعة اعضاء

(الباب الاول في بدء خلق السموات)

يروى في الاخبار المشهورة المأثورة ان الله سبحانه وتعالى لما أراد أن يخلق السموات والارض خلق جوهرة مثل السموات السبع والارضين السبع ثم نظر اليها نظرة هيبة فصارت ماء ثم نظر الى الماء فغلا وارتفع وعلاه زبد ودخان فخلق من الزبد الارض ومن الدخان السماء وذلك قوله تعالى ثم استوى الى السماء وهي دخان أى قصد ثم فتقها بعد ان كانت طبقة واحدة فصيرها سبع سموات قال الله تعالى أولم ير الذين كفروا ان السموات والارض كانتا رتقا ففتقناهما

(الباب الثاني في جواهرها واجناسها)

قال الربيع بن أنس سماء الدنيا موج مكفوف والثانية من صخرة والثالثة من حديد والرابعة من نحاس والخامسة من فضة والسادسة من ذهب والسابعة من ياقوتة بيضاء

(الباب الثالث في هيئتها وحدودها)

قال الله تعالى ولقد خلقنا فوقكم سبع طرائق قال ابن عباس رحمه الله تعالى خلق الله السموات مثل القباب فسماء الدنيا قد شدت أقطارها بالثانية والثانية بالثالثة وكذلك الي السابعة والسابعة بالعرش فذلك قوله تعالى بغير عمد ترونها وعمادها من فوقها (وعن أبي هريرة) رضى الله عنه قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم على أصحابه وهم يتفكرون قال فيم أنتم تتفكرون قالوا نتفكر في الخالق فقال لهم تفكروا في الخلق ولا تتفكروا في الخالق فانه لا تحيط به الفكرة تفكروا في ان الله خالق السموات سبعا والارضين سبعا وتحت كل ارض خمسمائة عام وبين السماء والارض خمسمائة عام وتحت كل سماء خمسمائة عام وما بين كل سماءين خمسمائة عام وفي السماء السابعة بحر عمقه مثل ذلك كله وفيه ملك قائم لا يجاوز الماء كعبه

(الباب الرابع في أسمائها وألقابها)

قال وهب بن منبه أولها سماء الدنيا دنياح والثانية ديقا والثالثة رقيع والرابعة فيلون والخامسة طفطاف والسادسة سمساق والسابعة اسحائل واما أسماؤها المذكورة في القرآن فسبعة أولها البناء قال الله تعالى والسماء بناء والسقف قال الله تعالي وجعلنا السماء سقفا محفوظا والطرائق قال الله تعالى وجعلنا فوقكم سبع طرائق والطباق قال الله تعالى الذي خلق سبع سموات طباقا والشداد قال الله تعالى وبنينا فوقكم سبعا شدادا

محبها ولحقت بربها وصار بباب المعلى قبرها رحمة الله تعالى عليها ونفعنا بها في الدنيا والآخرة آمين (وحكى عنه ايضا رضي الله تعالى عنه) انه قال خرجت من بلدى على عادتى الى سياحتى طالبا مكة من غير ركب ولا قافلة فتهت عن الطريق فبينما انا متحير اذ انا براهب نصرانى قد اقبل على واعترضنى فى الطريق ثم قال لى يا راهب المسلمين هل الى مرافقتك سبيل فقلت له لا أمنعك عن مرادك فمشينا ثلاثة أيام لم نستطعم فيها بطعام فقال الراهب لابراهيم يا راهب المسلمين ما نحتاج فى أمرنا مخبرا وقد مضنا الجوع فهات ما عندك قال ابراهيم فتوجهت الى الله عز وجل وقلت الهى وسيدى ومولاي لا تفضحني بين يدى عدوى وعدوك قال فما اتممت دعائى حتي نزلت المائدة عليها خبز ولحم وتمر وماء فاكلنا وشربنا ومضينا ثلاثة ايام أخر لم نأكل فيها شيأ فلما اصبحنا ابتدرت الراهب وقلت له يا راهب النصاري هات ما عندك قال فتوجه الراهب الى الله عز وجل واذا بمائدتين

والرتق والفتق قال الله تعالى كانتا رتقا ففتقناهما والدخان قال الله تعالى ثم استوى الى السماء وهى دخان (وروى) ان الملائكة قالت يارب لوان السماء والارض حين أمرتهما عصياك ما كنت صانعا بهما قال كنت آمر دابه من دوابي فتبتلعهما قالت يارب فأين تلك الدابة قال فى مرج من مروجي قالت يارب فأين ذلك المرج قال فى علم من علومي قالت الملائكة سبحان ذى البسط القوى (وقد) ورد عن الضحاك بن مزاحم الهلالى حديث غريب حسن جامع لما تقدم من الابواب في صفة السموات وحدودها وهيئتها وما فيها وأهلها وسكانها واسمائها وألقابها وهو ما اخبرنا أبو عبد الله الحسين بن محمد بن الحسين العدل حدثنا محمد بن جعفر قال أخبرنا الحسن بن علوية قال حدثنا اسمعيل بن عيسى قال حدثنا اسحاق بن بشر عن جويبر عن الضحاك ومقاتل قالا خلق الله عزوجل سماء الدنيا وزينها وهى ماء ودخان وغلظها مسيرة خمسمائة عام وبينها وبين الارض مسيرة خمسمائة عام ولونها كلون الحديد المجلى واسمها برقيعا وبينها وبين السماء الثانية مسيرة خمسمائة عام وفيها ملائكة خلقوا من نار وريح وعليهم ملك يقال له الرعد وهو ملك موكل بالسحاب والمطر يقول سبحان ذى الملك والملكوت وخلق السماء الثانية على لون النحاس وغلظها مسيرة خمسمائة عام وبينها وبين السماء الثالثة مسيرة خمسمائة عام وفيها ملائكة على ألوان شتى صفوف لو قيست شعرة بين مناكبهم لما انقاست رافعين اصواتهم يقولون سبحان ذي العزة والجبروت واسمها قيدوم وخلق الله فيها ملكا يقال له حبيب نصفه من نار ونصفه من ثلج وبينهما رتق فلا النار تذيب الثلج ولا الثلج يطفىء النار وهو يقول يامن ألف بين الثلج والنار ألف بين قلوب عبادك ومنها الى السماء الثالثة مسيرة خمسمائة عام ولون السماء الثالثة كلون الشبة وغلظها مسيرة خمسمائة عام واسمها الماعون وفيها ملائكة ذوو اجنحة الملك منهم له جناحان وله أربعة أجنحة وله ستة أجنحة ووجوه شتى رافعون أصواتهم بالتسبيح يقولون سبحان الحى الذي لا يموت أبدا صفوف قيام كانهم بنيان مرصوص لو قيست شعرة بين مناكبهم ما انقاست لا يعرف أحد منهم لون صاحبه من خشية الله تعالى وخلق الله السماء الرابعة وبينها وبين السماء الثالثة مسيرة خمسمائة عام وغلظها خمسمائة عام ولونها كلون الفضة البيضاء واسمها فيلون وفيها ملائكة يضعفون على ملائكة السماء الثالثة وكذلك أهل كل سماء أكثر عددا من السماء التي تليها الى الضعف وفي السماء الرابعة ملائكة لا يحصى عددهم الا الله تعالى وهم كل يوم في زيادة وذلك قوله تعالى وما يعلم جنود ربك الا هو قال وهم قيام وركوع وسجود على ألوان شتى من العبادة يبعث الله تعالى الملك منهم فى امر من اموره فينطلق الملك ثم ينصرف فلا يعرف صاحبه الذى الى جانبه من شدة العبادة وهم يقولون سبوح قدوس ربنا الرحمن الذى لا اله الا هو قال وخلق الله السماء الخامسة وغلظها مسيرة خمسمائة عام ولونها على لون الذهب واسمها اللاحقوق ومنها الى السماء السادسة مسيرة خمسمائة عام وفيها ملائكة يضعفون على ملائكة الاربع سموات وهم ركوع وسجود لم يرفعوا ابصارهم ولا يرفعونها الى يوم القيامة فاذا كان يوم القيامة قالوا ربنا لم نعبدك حق عبادتك وخلق الله السماء السادسة وغلظها مسيرة خمسمائة عام ومنها الى السماء السابعة مسيرة خمسمائة عام وفيها جند الله الاعظم الا كبر الكروبيون لا يحصى عددهم الا الله تعالى وعليهم ملك جنده سبعون ألف ملك وكل ملك منهم جنوده سبعون ألف ملك وهم الذين يبعثهم الله فى اموره الى أهل الدنيا رافعون اصواتهم بالتهليل والتسبيح واسمها عاروس وهى من ياقوتة حمراء ثم خلق الله السماء السابعة غلظها مسيرة خمسمائة عام فيها جنود الله تعالى من الملائكة وعليهم ملك وهو على سبعمائة الف ملك كل ملك منهم له من الجنود مثل قطر السماء وتراب الثرى والسهل والرمل وعدد الحصى والورق وعدد كل خلق فى سبع سموات وسبع أرضين ويخلق الله سبحانه وتعالى فى كل يوم ما يشاء واسمها الرقيع وهى من درة بيضاء ومن السماء السابعة

عليهما كما كان على الاولى من الخبز واللحم والتمر والماء قال ابراهيم فلما رايت ذلك قلت للراهب وعزته وجلاله لا آكل من ذلك مالم تخبرنى فقال الراهب يا ابرهيم لما صحبتك حل نظرك على فعرفت ان الذى عليه نفسي محال وقد ضيعت زمنى في اتباع الضلال فتوسلت الى الله واعتمدت عليه بكرامتك لديه ان لا يفضحني منك فكان ما رايت وقد اقول كما تقول واشهد ان لا إله الا الله واشهد ان سيدنا محمدا رسول الله قال ابراهيم ففرحت بذلك فرحا شديدا وسرنا حتى دخلنا مكه شرفها الله تعالى فلما قضينا ما كان علينا من فرائض الحج اقمنا بها اياما قلائل فلما كان بعض الايام فقدته فمضيت الى الحرم فوجدته قائما يصلى فلما احس بى اسرع في صلاته فلما سلم من الصلاة التفت الى وقال يا ابراهيم قد آن لقاء الله تعالى فاحفظ حق مرافقتي لك وصحبتي معك ثم شهق شهقة فمات رحمة الله عليه قال ابراهيم فتأسفت عليه اسفا شديدا ثم جهزته ودفنته فلما كان الليل رأيته فى المنام وهو فى أحسن صورة وعليه ثياب

الى مكان يقال له مرهونا مسيرة خمسمائة عام وعليه جنود الله من الملائكة وهم رؤساء الملائكة وهم أعظمهم سوى الروح وحملة العرش الملك منهم له وجوه شتى وأجنحة شتى وانوار شتى في جسده لا يشبه بعضهم بعضا رافعون اصواتهم بالتهليل ينظرون الى العرش لا يطرفون لوان الملك منهم نشر جناحه لطبق الدنيا بريشة من جناحه ولا يعلم عددهم الا الله تعالى ومن فوق ذلك غمامة غلظها كغلظ سبع سموات وسبع أرضين ومن السماء السابعة اليها كما بين سبع سموات وسبع ارضين والعرش فوق ذلك فى عليين لا يعلم منتهاه الا الله تعالى

(الباب الخامس في ذكر الأيام التى خلق الله الاشياء فيها)

روت الرواة ان الله تعالى ابتدأ خلق الاشياء يوم الاحد الى يوم الخميس وخلق في يوم الخميس ثلاثة اشياء السموات والملائكة والجنة الى ثلاث ساعات بقيت من يوم الجمعه فخلق فى الساعه الاولى الاوقات والآجال وفي الثانية الارزاق وفى الثالثة آدم عليه الصلاة والسلام وذلك قوله عزوجل فقضاهن سبع سموات في يومين وأوحي فى كل سماء أمرها الآية

(الباب السادس في ذكر ما زين الله به السموات)

وهى عشرة اشياء * الشمس قال الله تعالى وجعل الشمس سراجا وقال تعالى سراجا وهاجا * والقمر قال الله تعالى وجعل القمر فيهن نورا والكواكب قال الله تعالى انا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب وهى على ضربين منها معلق كتعليق القناديل فى المساجد ومنها مركب كتركيب الفص في الخاتم وهى مع كثرتها مختلفة الصور ما خلق الله تعالى منها كوكبا على مثال كوكب (وفى بعض الاخبار) ما يكون من حيوان فى الارض ولا دابة تدب دون العرش الا وفى خلق الكواكب مثلها * والعرش قال الله تعالى رفيع الدرجات ذو العرش (روى) جعفر بن محمد عن أبيه عن جده أنه قال فى العرش تمثال جميع ما خلق الله تعالى في البر والبحر وقال هذا تأويل قوله تعالى وان من شىء الا عندنا خزائنه وان ما بين القائمة من قوائم العرش والقائمة الثانية لخفقان الطير المسرع ثمانين الف عام والعرش يكسى كل يوم سبعين الف لون من النور لا يستطيع ان ينظر اليه خلق من خلق الله تعالى والاشياء كلها فى العرش كحلقة ملقاة فى فلاة وان لله ملكا يسمى حزقيائيل له ثمانية عشر الف جناح ما بين الجناح الى الجناح مسيرة خمسمائة عام فخطر له خاطر هل يقدر أن ينظر الى العرش فزاده الله تعالى فى الاجنحة مثلها فكان له ستة وثلاثون الف جناح ما بين الجناح الى الجناح مسيرة خمسمائة عام ثم أوحى الله تعالى اليه ايها الملك طر فطار مقدار عشرين الف سنة لم يبلغ قائمه من قوائم العرش ثم ضاعف الله تعالى له فى الاجنحة والقوة وأمره ان يطير فطار مقدار ثلاثين الف سنة لم يبلغ رأس قائمة من قوائم العرش فاوحى الله تعالى اليه ايها الملك لو طرت الى ان ينفخ في الصور مع اجنحتك وقوتك ما بلغت ساق عرشى فقال الملك سبحان ربى الاعلى فانزل الله سبحانه وتعالى سبح اسم ربك الاعلى فقال النبى صلى الله عليه وسلم اجعلوها في سجودكم (وقال) كعب الاحبار لما خلق الله تعالى العرش قال لم يخلق الله تعالى شيأ اعظم منى فاهتز فطوقه الله بحية لها سبعون الف جناح فى كل جناح سبعون الف ريشة فى كل ريشة سبعون الف وجه فى كل وجه سبعون الف فم فى كل فم سبعون الف لسان يخرج من افواهها كل يوم من التسبيح عدد قطر المطر وورق الشجر وعدد الحصى والثرى وعدد ايام الدنيا والملائكة أجمع فالتفت الحية بالعرش فالعرش الي نصف الحية وهى ملتوية به * والكرسى قال قال الله تعالى وسع كرسيه السموات والارض (وروي) على بن ابى طالب كرم الله وجهه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال الكرسي لؤلؤة طولها حيث لا يعلمه العالمون وقد جعل الله آية الكرسى أمانا لاهل الايمان من شر الشيطان (وروى) اسمعيل بن مسلم عن

من السندس والاستبرق فقلت له ألست صاحبي بالامس قال نعم ففرحت بذلك فرحا شديدا ثم قلت له ما فعل الله بك قال يا برهيم أتيته بذنوب كثيرة فمحاها عنى لحسن ظنى به وجعلنى كما صحبتك في الدنيا جارك فى الآخرة رضى الله تعالى عنه ونفعنا به (وروى) ان غلاما كان لجعفر الصادق رضى الله عنه صب الماء على يدي سيده يوما من الايام فسقط الاناء من يده فى الطشت فطار الماء على ثوبه فنظر اليه نظرة منكرة فقال الغلام يا مولاى والكاظمين الغيظ قال جعفر كظمت غيظى فقال الغلام والعافين عن الناس قال جعفر عفوت عنك فقال الغلام والله يحب المحسنين قال جعفر اذهب فانت حر لوجه الله تعالى ولك الف دينار من مالى وهذا من بعض كراماتهم وحسن أخلاقهم رضى الله تعالى عنهم * (وحكى عن بعضهم رضى الله عنه ونفعنا به) * قال رأيت بعض المذنبين فى النوم بعد موته فقلت ما فعل الله بك قال وزنت حسناتى وسيآتى فرجحت سيآتى على حسناتى فصرت متحيرا فبينما انا كذلك اذ وقعت

أبى المتوكل الناجى عن ابى هريرة رضى الله عنه انه كان معه مفتاح بيت الصدقة وكان فيه تمر فذهب يوما ففتح الباب فاذا التمر قد اخذ منه ملء الكف ثم دخل يوما آخر فاذا هو قد اخذ منه مثل ذلك ثم دخل يوما آخر فاذا هو قد اخذ منه مثل ذلك فذكر ذلك ابو هريرة رضي الله عنه للنبي صلى الله عليه وسلم فقال له عليه الصلاة والسلام أيسرك ان تأخذه قال نعم قال اذا فتحت الباب فقل سبحان من سخرك لمحمد فذهب ففتح الباب وقال ذلك فاذا هو قائم بين يديه فقال له ياعدو الله انت صاحب الفعل قال نعم ثم قال لا اعود ما كنت اخذت منه الا لاهل بيت فقراء من الجن فتركه ثم عاد فذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فقال أيسرك ان تأخذه قال نعم قال فاذا فتحت الباب فقل مثل ذلك ايضا ففتح الباب وقال سبحان من سخرك لمحمد فاذا هو قائم بين يديه فقال له ياعدو الله أليس قد عاهدتني ان لا تعود فقال دعني هذه المرة فانى لا اعود فتركه ثم عاد فأخذه الثالثة فقال أليس قد عاهدتني ان لا تعود لا ادعك اليوم حتى أذهب بك الي النبي صلى الله عليه وسلم فقال لا تفعل فانك ان تدعني علمتك كلمات اذا قلتهالم يقربك احد من الجن لا صغير ولا كبير ولا ذكر ولا انثي قال له لتفعلن ان تركتك قال نعم قال فما هي قال الله لا اله الا هو الحي القيوم حتي ختمها فتركه فذهب فلم يعد بعد ذلك فذكر ذلك ابو هريرة للنبي صلى الله عليه وسلم فقال له أما علمت يا أباهريرة هذه انه كذلك صدق الخبيث

* واللوح والقلم قال الله تعالى وكل شيء احصيناه فى امام مبين وقال تعالى ن والقلم وما يسطرون (وقال) ابن عباس ان مما خلق الله تعالى لوحا محفوظا من درة بيضاء دفتاه من ياقوتة حمراء كتابته نور وقلمه نور عرضه كما بين السماء والارض ينظر الله تعالى فيه كل يوم ثلثمائة وستين نظرة منها يخلق ويرزق ويحيي ويميت ويفعل مايشاء فذلك قوله تعالي كل يوم هو فى شأن (ويروى) ان اول ماخلق الله القلم فنظر اليه نظرة هيبة وكان طوله كما بين السماء والارض فانشق نصفين وقال اكتب فقال يارب وما أكتب قال اكتب بسم الله الرحمن الرحيم ثم قال له اجر بما هو كائن الى يوم القيامة (ويحكى) ان ابن الزيات دخل على بعض الخلفاء فوجده مهموما فقال له روح عني يا ابن الزيات فأنشد يقول

الهم فضل والقضاء غالب * وكائن ما خط فى اللوح
فالتمس الروح وأسبابه * أيأس ما كنت من الروح

والبيت المعمور (روى) الزهرى عن سعيد بن المسيب عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان فى سماء الدنيا بيتا يقال له البيت المعمور بحيال الكعبة وان في السماء السابعة بحرا من نور يقال له الحيوان يدخل فيه جبريل عليه السلام كل غداة فينغمس فيه انغماسة ثم يخرج فينتفض انتفاضة فيخرج منه سبعون الف قطرة من نور فيخلق الله تعالى من كل قطرة ملكا فيؤمرون ان يأتوا البيت المعمور فيصلون فيه فيأتونه فيدخلونه ويصلون فيه ثم يخرجون فلا يعودون اليه الى يوم القيامة * وسدرة المنتهى قال الله تعالى عند سدرة المنتهي عندها جنة المأوي (قال) كعب وغيره دخل حديث بعضهم في بعض هى شجرة في السماء السابعة مما يلي الجنة أصلها ثابت في الجنة وعروقها تحت الكرسى واغصانها تحت العرش اليها ينتهي علم الخلائق كل ورقة منها تظل امة من الامم يغشاها ملائكة كأنهم فراش من ذهب وعليها ملائكة لا يعلم عددهم الا الله تعالى ومقام جبريل عليه السلام وسطها والله أعلم * والجنة قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الجنة كيف هي قال من يدخل الجنة حي لا يموت ومنعم لا ييأس لا تبلى ثيابه ولا يفني شبابه قيل يارسول الله كيف بناؤها قال لبنة من ذهب ولبنة من فضة بلاطها مسك اذفر وحصباؤها اللؤلؤ والياقوت وترابها الزعفران (وروى) مجاهد عن مسروق عن أبى ذر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان السماء أطت وحق لها ان تئط ليس منها موضع اربع أصابع الا وفيه ملك ساجد أو راكع او قائم او قاعد

صرة من السماء فسقطت في كفة الميزان فرجحت الميزان ثم سمعت قائلا يقول وان كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين قال ثم حلت الصرة فاذا فيها كف من تراب كنت القيته فى قبر مسلم فغفر الله لى بذلك وادخلنى الجنة فانظر الي كرم الله تعالى وحسن لطفه بعباده (وحكى عن بعض الصالحين رضى الله تعالي عنه) ان ملكا بني دارا واحسن بناءها وزينها وصنع فيها طعاما ودعا الناس اليها وأجلس على بابها العبيد والغلمان يسألون كل من خرج ويقولون هل رأيتم عيبا فيقولون لا وهم لا يمنعون أحدا من الدخول حتى جاء أناس فى آخر الناس عليهم مرقعات فلما دخلوا واكلوا من تلك الوليمة تلقتهم العبيد والغلمان ثم سألوهم هل رأيتم عيبا فقالوا نعم رأينا عيبين اثنين قال فحبسوهم ورجعوا للملك فاخبروه بما قال هؤلاء فقال الملك ما كنت ارضي بعيب واحد فكيف ارضي بعيبين ثم قال أئتونى بهم فاحضروهم بين يديه وسألهم عن العيبين ماهما فقالوا تخرب الدار

يذ كرالله تعالى لو تعلمون ما اعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا ولخرجتم الى صحراء تتجرأون الى الله تعالى

* (الباب السابع فى ذكرما لها وآخر حالها) *

اعلم ان الله تعالى وعد السماء بسبعة أشياء احدها المور قال الله تعالى يوم تمور السماء مورا يعنى تدور كدوران الرحا من هول يوم القيامة والثانى أخبر انها تصير كالمهل فقال تعالى يوم تكون السماء كالمهل يعنى دردى الزيت والثانى اخبر انها تصير وردة كالدهان قال الله تعالى فاذا انشقت السماء فكانت وردة كالدهان والرابع الانشقاق قال الله تعالى اذا السماء انشقت والخامس الانفطار قال الله تعالى اذا السماء انفطرت والسماء منفطر به والانفطار اكثر من الانشقاق والسادس الانفراج قال الله تعالى واذا السماء فرجت والسابع الكشط قال الله تعالى واذا السماء كشطت أى نزعت من مكانها وطويت طيا قال الله تعالى يوم نطوى السماء كطى السجل للكتب الآية واحسن الشاعر حيث قال

اذا قيل من رب هذى السما * فليس سواه له مضطرب
ولو قيل رب سوى ربنا * لقال العباد جميعا كذب

* (مجلس فى ذكر خلق الشمس والقمر وصفة سيرهما و بدء امرهما ومعادهما) *

وهو ما أخبرنا أبو سعيد محمد بن عبدالله بن حمدون الثقة الامين بقراءتى عليه فى صفر سنة ثلاث وثلاثين وثلثمائة قال اخبرنى ابو حامد أحمد بن محمد بن الحسن الشرقى الحافظ قال حدثنا ابو الحسن احمد بن يوسف السلمي قال حدثنا أبو عصمة يحيي بن أبي مريم الخراسانى قال انبأنا مقاتل عن عكرمة عن ابن عباس رضى الله عنهما قال بينما هو جالس ذات يوم من الايام اذ أتاه رجل فقال يا ابن عباس انى سمعت العجب من كعب الاحبار يذكر في الشمس والقمر وكان ابن عباس متكئا فاحتفز ثم قال وماذا قال قال زعم كعب الاحبار انه يجاء بالشمس والقمر يوم القيامة كانهما ثوران عقيران فيقذفان في النار قال عكرمة فطارت من ابن عباس شظية ووقعت اخري غضبا ثم قال كذب كعب الاحبار قالها ثلاثا بل هذه يهودية يريد ادخالها فى الاسلام والله تعالى اكرم واجل من ان يعذب اهل طاعته ألم تر الي قوله تعالى وسخر لكم الشمس والقمر دائبين يعنى دأبهما فى طاعته فكيف يعذب عبدين أثنى عليهما انهما دائبان في طاعته قاتل الله هذا الحبر وقبح حديثه ما أجرأه على الله وأعظم فريته على هذين العبدين المطيعين لله تعالى ثم استرجع مرارا ثم أخذ عودا من الارض فجعل ينكت به في الارض وظل كذلك ماشاء الله ثم انه رفع رأسه ورمى بالعود وقال الا احدثكم بما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في الشمس والقمر وبدء خلقهما ومصير امرهما قلنا بلى يرحمك الله تعالى فقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن ذلك فقال ان الله تعالى لما أتقن خلقه احكاما ولم يبق الا آدم خلق شمسين من نور عرشه فاما ما كان من سابق علم الله تعالى أن يدعها شمسا فانه خلقها مثل الدنيا من مشارقها ومغاربها وأما ما كان من سابق علم الله ان يطمسها و يحولها قمرا فانه خلقها دون الشمس في العظم ولكن انما يري صغرها من شدة ارتفاع السماء و بعدها عن الارض فلو ترك الله تعالى الشمس كما كان بدأ الامر لم يعرف الليل من النهار ولا النهار من الليل ولا يدرى الاجير متى يعمل ولا متى ياخذ اجرته ولا يدرى الصائم الى متى يصوم والى متي يفطر ولا تدرى المرأة كيف تعتد ولا يدرى المسلمون متي وقت صلاتهم ومتى وقت حجهم ولا يدرى المدينون متى يحل دينهم ولا يدرى الناس متى يزرعون ومتي يسكنون راحة لابدانهم وكان الله انظر لعباده وارحم بهم فارسل جبريل عليه السلام فامر جناحه على وجه القمر وهو يومئذ مثل الشمس ثلاث مرات فطمس عنه الضوء و بقى فيه النور فذلك قوله تعالي وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة فالسواد الذى فى جوف القمر مثل

الخطوط

ويموت صاحبها فقال الملك هل تعرفون دارا لا تخرب ولا يموت صاحبها فقالوا نعم فقال الملك فاين فذكروا له الجنة ونعيمها وشوقوه اليها وذكروا له النار وخوفوه منها ودعوه الى عبادة الله تعالى فاجابهم الى ذلك وخرج من ملكه هاربا تائبا الى الله تعالى نساله تعالى التوبة والمغفرة

(وحكى عن بعضهم رضى الله تعالى عنه) ونفعنا به قال كان لى أخ في الله تعالى وكان من الاولياء وكان رجلا جميلا حسن الخلق طيب المحيا وكان له زوجة من اهل الخير والصلاح وكانت على قدمه فكانا يشتغلان في صنعة المراوح والاطباق فكنت اوده وأزوره وألتمس منه الدعاء فكنت كلما دخلت بيته فوجدت عنده ريشا من ريش الطيور العالية مثل العنقاء والنسر والعقاب والطاوس على سائر الجنوس العجيبة يشتغل بذلك الريش صنعة المراوح فكنت اتعجب من ذلك فقلت له يا أخى من يأتيك بهذا الريش مع قلة خروجك للجبال والاودية فقال يا اخى ان الله سبحانه وتعالى سخرلى ملكا

الخطوط فيه انما هو أثر المحو ثم خلق الله تعالى الشمس من ضوء نوره ثم خلق الله تعالى للشمس عجلة فيها ثلثمائة وستون عروة ووكل بالشمس وعجلتها ثلثمائة وستين من الملائكة من اهل سماء الدنيا قد تعلق كل منهم بعروة من تلك العرا وخلق الله تعالى مشارق ومغارب فى اقطار الارض وكنفى السماء ثمانين ومائة عين فى المشرق من طينة سوداء وثمانين ومائة عين فى المغرب مثل ذلك من طينة سوداء يفور غليانها كغلى القدر اذا ما اشتد غليانها وذلك قوله تعالى وجدها تغرب فى عين حمئة ومعنى حمئة سوداء من طين فكل يوم وليلة لها مطلع جديد ومغرب جديد ما بين اولها مطلعا واولها مغربا اطول ما يكون النهار فى الصيف وآخرها مطلعا مشرقا ومغربا اقصر ما يكون النهار فى الشتاء فذلك قوله تعالى رب المشرقين ورب المغربين يعنى آخرها ههنا واولها ههنا وترك ما بين ذلك من المشارق والمغارب ثم جمعها بعد ذلك فقال رب المشارق والمغارب فذلك عدة تلك العيون كلها ثم خلق الله تعالى بحرا دون سماء الدنيا بمقدار ثلاثة فراسخ فهو موج مكفوف قائم فى الهواء باذن الله تعالى لا يقطر منه قطرة والنجوم كلها ساكنة فى ذلك البحر وهو جار فى سرعة السهم وانطلاقه فهو فى الهواء مستو كأنه جبل ممدود ما بين المشرق والمغرب تجرى الشمس القمر والخنس فى سرعة دوران الرحا من اهوال يوم القيامة وزلازلها فى ذلك البحر فذلك قوله تعالى كل فى فلك يسبحون والفلك فى دوران العجلة فى لجة غمرة ماء ذلك البحر والذى نفس محمد بيده لو بدت الشمس من دون ذلك البحر لاحرقت كل شىء على وجه الارض حتى الصخور والحجارة ولو بدا القمر من دون ذلك البحر لافتتن به أهل الارض حتى يعبدونه من دون الله تعالى الا ما شاء الله ان يعصمه من اوليائه واهل طاعته قال ابن عباس رضى الله عنه قال على بن ابى طالب رضى الله عنه بابى أنت وامى يا رسول الله ذكرت مجرى الخنس مع الشمس والقمر وقد أقسم الله تعالى بالخنس فى القرآن مثل ما كان ذكرك اليوم فما الخنس فقال عليه السلام يا على هن الكواكب الخمسة البرجيس وهو المشترى وزحل وعطارد وبهرام والزهرة فهذه الكواكب الخمسة الطالعات الجاريات مع الشمس والقمر فى الفلك واما سائر الكواكب فكلها معلقات فى السماء كتعليق القناديل فى المساجد وهى تدور مع السماء دورانا بالتسبيح والتقديس والصلاة لله تعالى ثم قال النبى صلى الله عليه وسلم وان احببتم ان تستبينوا ذلك فانظروا دوران الفلك مرة من ههنا ومرة من ههنا وان لم تستبينوا الفلك فالمجرة وبياضها مرة من ههنا ومرة من ههنا فذلك دوران الشمس والقمر ودوران الكواكب معا كلها سوى هذه الخمسة ودورانها اليوم كما ترون فذلك صلاتها ودورانها يوم القيامة فى سرعة دوران الرحا من اهوال يوم القيامة فذلك قوله تعالى يوم تمور السماء مورا يعنى تدور دورانا وتسير الجبال سيرا فاذا طلعت الشمس فانها تطلع من بعض تلك العيون على عجلتها ومعها ثلثمائة وستون ملكا ناشرى اجنحتهم يجرونها فى الفلك بالتسبيح والتقديس لله تعالى على قدر ساعات النهار والقمر كذلك على قدر ساعات الليل ما بين الطول والقصر فى الشتاء كان ذلك أو فى الصيف او ما بينهما من الخريف والربيع فاذا أحب الله ان يبتلى القمر والشمس ويرى العباد آية من الآيات يستعتبهم رجوعا عن معاصيه واقبالا على طاعته تحركت الشمس عن العجلة وقالت مرة خرت الشمس عن العجلة فتقع فى غمر ماء ذلك البحر وهو الفلك فاذا اراد الله تعالى ان يعظم تلك الآية ليشتد خوف العباد وقعت الشمس كلها فلا يبقى على العجلة شىء منها فذلك حين يظلم النهار وتبدو النجوم وذلك هو المنتهى من كسوفها فاذا اراد الله ان يجعل آية دون آية وقع النصف منها او الثلث او الثلثان فى الماء ويبقى سائر ذلك على العجلة وهو كسوف دون كسوف ابتلاء الشمس والقمر وذلك تخويف للعباد واستعتاب من الله تعالى فاى ذلك كان صارت الملائكة الموكلة بعجلتها فرقتين فرقة منهم يقبلون على الشمس فيجرونها نحو العجلة والفرقة الاخرى تقبل على العجلة فتجرها الى الشمس وهم فى ذلك يقودونها

من الملائكة يأتينى بذلك فى كل جمعة لاجل المعونة على القوت فلما كان فى بعض الايام فقدته فمضيت اليه فى بعض الاسواق التى كان يبيع فيها المراوح فلم اجده فمضيت الى داره وطرقت الباب فخرجت زوجته وقالت من بالباب فقلت لها فلان اخو زوجك يريد السؤال عنه هل هو غائب ام ضعيف فقالت يا سيدى انه مقيم الا انه مشغول بذكر ربه عز وجل فقلت لها انى احب ان اراه فانى مشتاق اليه فمضت وعادت الى وقالت ادخل فدخلت اليه فرأيته فى بيت مبنى له للعبادة وعليه انوار السعادة فلما رآنى قام الى واعتنقنى وسلم على سلام المحبين ثم جلسنا وتحدثنا ساعة فبينما نحن فى الحديث اذا بمائدة وضعت بين ايدينا فيها من جميع الالوان فاكلنا من تلك المائدة فلما رفعت اذا بقدح من ماء قد وضع بين ايدينا فشربنا منه فما اكلت أحسن من ذلك الطعام ولا احلى من ذلك الماء فعرفت ان ذلك الطعام والماء من الجنة ثم سألته بعد ذلك عن سبب امتناعه عن الخروج الى

في الفلك على مقادير ساعات النهار وساعات الليل ليلا كان او نهارا الكيلا يزيد في طولها شيء وقد ألهمهم الله
تعالى علم ذلك وجعل لهم تلك القوة فالذي ترون من خروج الشمس والقمر بعد الكسوف قليلا قليلا من ذلك
السواد الذي يعلوه فهو من غمرة ذلك البحر وهو خروجهما من ذلك الماء فاذا اخرجوها كلها اجتمعت
الملائكة كلها فاحتملوها حتى يضعوها على العجلة وذلك حين تتجلى للعالم حتى يحمدوا الله تعالى على ماقواهم
لذلك ويتعلقون بعرى العجلة حتى يجروها باذن الله تعالى في لجة ذلك البحر حتى اذا بلغوا بها المغرب
ادخلوها من بعض تلك العيون فتسقط من افق السماء في العين ثم قال صلى الله عليه وسلم عجبت من خلق
الله وما بين من القدرة فيما لم يخلق أعجب منه ومن ذلك قول جبريل عليه السلام لسارة اتعجبين من امر
الله وذلك ان الله تعالى خلق مدينتين احداهما بالمشرق والاخرى بالمغرب على كل مدينة منها عشرة
آلاف باب ما بين كل باب الى الآخر مسيرة فرسخ فأهل المدينة التي بالمشرق من بقايا عاد من نسل
مؤمنيهم الذين كانوا آمنوا بهود عليه السلام واسمها بالسريانية برقيشا وبالعبرانية جابلق واسم المدينة التي
بالمغرب بالسريانية برجيسا وبالعبرانية جابرسا نيوت على كل باب من هاتين المدينتين كل يوم عشرة آلاف
رجل في الحراسة عليهم السلاح ومعهم الكراع لاتنوبهم تلك الحراسة بعد ذلك اليوم الى يوم ينفخ في الصور
والذي نفس محمد بيده لولا كثرة هؤلاء القوم وضجيج اصواتهم لسمع أهل الدنيا وقع هذه الشمس حين
تطلع وحين تغرب من ورائهم ثلاث امم لايعلم عددهم الا الله تعالى وهم منسك وتارس وتاويل ومن ورائهم
يأجوج ومأجوج وان جبريل عليه السلام انطلق بي اليهم ليلة أسرى بي الى السماء فدعوت يأجوج
ومأجوج الى الله تعالى والى دينه وعبادته فابوا ان يجيبوني فهم في النار مع من عصى الله من ولد آدم وولد ابليس
ثم انطلق بي الى هاتين المدينتين فدعوتهم الى الله تعالى والى دينه وعبادته فاجابوا وأنابوا فهم اخواننا في الدين
من أحسن منهم فهو من المحسنين ومن أساء فهو مع المشركين ثم انطلق بي الى الامم الثلاث فدعوتهم الى دين
الله وعبادته فابوا علي وكفروا بالله وكذبوا برسله فهم مع يأجوج ومأجوج وسائر من عصى الله تعالى في النار
فاذا ماغربت الشمس رفع بها الى السماء السابعة في سرعة طيران الملائكة وتحبس تحت العرش فتستأذن
من أين تؤمر بالطلوع من مغربها أم من مطلعها وتكسى ضوأ وان كان القمر فنورا على قدر ساعات الليل
والنهار ثم ينطلق بها الى ما بين السماء السابعة وما بين أسفل درجات الجنان في سرعة طيران الملائكة فينحدر
حيال المشرق من سماء الى سماء فاذا وصلت الى هذه السماء فذلك حين ينفجر الفجر عن الصبح فاذا انحدرت
من بعض تلك العيون فذلك حين يضيء الصبح فاذا وصلت الى هذا الوجه من السماء فذلك حين يضيء النهار
فتلك مطالعها ومغاربها ما بين أولها عينا الى آخرها عينا في الطلوع والغروب فذلك تمام ستة اشهر ثم اذا
رجعت كذلك من عين الى عين في الطلوع والغروب الى آخرها عينا فذلك تمام السنة فعدة أيامها ولياليها
ثلثمائة وستون ليلة وخلق الله تعالى عند المشرق حجابا من الظلمة فوضعه على البحر السابع مقدار عدة الليالي في
الدنيا منذ خلقها الله تعالى الى يوم تنصرف فاذا كان عند غروب الشمس اقبل ملك من الملائكة الذين قد
وكلوا بالليل فيقبض قبضة من ظلمة ذلك الحجاب ثم يستقبل المغرب فلا تزال تلك الظلمة تخرج من خلال
أصابعه قليلا قليلا وهو يراعي الشفق فاذا غاب الشفق أرسل الظلمة جميعا ثم ينشر جناحيه فيبلغان اقطار
الارض وكنفي السماء ويجاوزان ماشاء الله خارجا في الهواء فيسوق ظلمة الليل بجناحيه بالتسبيح
والتقديس حتى يبلغ المغرب على قدر ساعات الليل فاذا بلغ المغرب أسفر الصبح من المشرق فضم جناحيه ثم
يضم الظلمة كلها بعضها الى بعض فيقبضها بكفيه ثم يقبض عليها بكف واحد نحو قبضته التي تناولها من
الحجاب بالمشرق ثم يضعها عند المغرب على البحر السابع فمن هنالك ظلمة الليل اذا ما نقل ذلك الحجاب الى

تسبيبه فتبسم وقال يا اخي
وقع لي حكاية عظيمة
فقلت وما هي فقال
خرجت يوما لبيع المراوح
على عادتي فمضيت الى
اسواق بغداد فلم يفتح علي
بشيء ولم يكن عندنا شيء
من القوت فخرجت
ومضيت الى بعض
الحارات حتى انتهيت الى
حارة لبعض الوزراء فبينما
انا مار بها اذا بامرأة جالسة
في قصر عال مشيد الاركان
فلما رأتني ارسلت الى
جارية من بعض جواريها
كأنها قطعة من جبل فلما
اقبلت علي لم تمهلني دون
ان احتملتني فلم اشعر
بنفسي الا وانا في وسط
الدار فاحتملتني الجواري
ثانيا الى ذلك القصر فاغشي
علي فلما افقت نظرت الى
سرير من عاج مرصع
باليواقيت مزين بانواع
الذهب والفضة فدهشت
من ذلك واذا بامرأة قد
أقبلت علي كأنها من
الحور العين وعليها من
الحلي والحلل مالا أقدر ان
أصفه فلما دنت مني
أغمضت بصري عنها
فقالت مرحبا بك ضيافة
ثلاثة ايام فتحيرت عند
كلامها حيرة شديدة اذ لم
اجد لي مخلصا اتخلص به
منها فقلت لها لابد من ذلك
فقالت نعم فقلت لها يكون

المشرق والى المغرب. فاذا نفخ في الصور انقضت ايام الدنيا فنور النهار من ضوء الشمس وظلمة الليل من قبل ذلك الحجاب فلا تزال الشمس والقمر كذلك من مطلعهما الى مغربهما الى ارتفاعهما الى السماء السابعة الى محبسهما تحت العرش حتى يأتي الوقت الذي وقته الله تعالى لتوبة العباد وتكثر المعاصي في الارض ويذهب المعروف ولا يأمر به أحد ويفشو المنكر فلا ينهى عنه احد فاذا فعلوا ذلك حبست الشمس مقدار ليلة تحت العرش وكلما سجدت واستأذنت ربها من أين تطلع فلا يؤذن لها ولا يرد لها جواب حتى يوافيها القمر فيسجد معها ويستأذن من أين يطلع فلا يؤذن لهما ولا يرد لهما جواب حتى يحبسا مقدار ثلاث ليال للشمس وليلتين للقمر فلا يعرف طول تلك الليلة الا المتهجدون في الارض وهم يومئذ عصابة قليلة في الارض في كل بلد من بلاد المسلمين في هوان بين الناس وذلة في أنفسهم فينام أحدهم تلك الليلة مقدار ما كان ينام قبلها من الليل ثم يقوم فيتوضأ ويدخل مصلاه فيصلي ورده ولا يصبح نحو ما كان يصبح كل ليلة قبل ذلك فينكر ذلك ويخرج فينظر الى السماء فاذا هو بالليل مكانه والنجوم قد استدارت في السماء وصارت في اماكنها من اول الليل فينكر ذلك ويظن فيها الظنون ويقول أخففت قراءتي ام قصرت صلاتي ام قمت قبل حيني قال ثم يقول فيعود الي مصلاه فيصلي نحو صلاته ثم ينظر فلا يرى الصبح فيخرج أيضا فاذا هو بالليل مكانه فيزيده ذلك انكارا ويخالطه الخوف ويظن في ذلك الظنون من السوء ثم يقول لعلي قصرت صلاتي او خففت قراءتي او قمت في اول الليل ثم يعود وهو وجل خائف مشفق لما يتوقع من هول تلك الليلة فيقوم فيصلي أيضا مثل ورده كل ليلة قبل ذلك ثم ينظر فلا يرى الصبح فيخرج الثالثة فينظر الى السماء فاذا هو بالنجوم قد استدارت مع السماء فصارت في اماكنها اول الليل فيشتد عند ذلك شفقة المؤمن العارف لما كان يحذر فيلحقه الخوف وتلحقه الندامة ثم ينادي بعضهم بعضا وهم قبل ذلك كانوا يتعارفون ويتواصلون فيجتمع المتهجدون من اهل كل بلدة في تلك الليلة في مسجد من مساجدهم يجأرون الى الله تعالى بالبكاء والصراخ بقية تلك الليلة فاذا ما تم لهما مقدار ثلاث ليال أرسل الله تعالى جبريل عليه السلام اليهما فيقول لهما ان الرب تعالى يأمركما ان ترجعا الى مغربكما فتطلعا منه انه لا ضوء لكما عندنا ولا نور فيبكيان عند ذلك وجلا من الله تعالى وخوف يوم القيامة بكاء يسمعه أهل السبع سموات ومن دونها وأهل سرادقات العرش ومن فوقها فيبكون جميعا لبكائهما لما خالطهم من خوف الموت وخوف يوم القيامة فترجع الشمس والقمر فيطلعان من مغربهما قال فبينما المتهجدون يبكون ويتضرعون الى الله تعالى والغافلون في غفلتهم اذ نادى مناد ألا ان الشمس والقمر قد طلعا من مغاربهما فينظر الناس فاذا هم بهما اسودان لا ضوء للشمس ولا نور للقمر مثلهما في كسوفهما قبل ذلك فذلك قوله تعالى وجمع الشمس والقمر وقوله تعالى اذا الشمس كورت فيرتفعان كذلك مثل البعيرين القرنين ينازع كل واحد منهما صاحبه استباقا فيتصارخ اهل الدنيا وتذهل الامهات عن اولادها والاحبة عن ثمرات فؤادها فتشتغل كل نفس بما كسبت فاما الصالحون والابرار فانه ينفعهم بكاؤهم يومئذ ويكتب لهم ذلك عبادة وأما الفاسقون والفجار فلا ينفعهم ويكتب عليهم حسرة فاذا ما بلغ الشمس والقمر سرة السماء وهي منتصفهما جاءهما جبريل عليه السلام فيأخذ بقرونهما ويردهما الى المغرب فلا يغربهما من مغربهما من تلك العيون ولكن يغربهما من باب التوبة فقال عمر بأبي أنت وامي يا رسول الله وما باب التوبة فقال يا عمر خلق الله تعالى بابا للتوبة خلف المغرب له مصراعان من ذهب مكلل بالدر والجوهر ما بين المصراع الى المصراع أربعون سنة للراكب المسرع فذلك الباب مفتوح منذ خلق الله تعالى (٢) الى صبيحة تلك الليلة عند طلوع

(٢) قوله منذ خلق الله تعالى الخ هكذا بالاصل ولعله الدنيا فليحرر اه مصححه

ذلك بعد ان أصعد الى أعلى ذلك القصر وارجع فقالت انا ادلك على بيت الماء لقضاء حاجتك واخدمك بنفسي فقلت لا يمكن ذلك الا ان اتوصل الى أعلى ذلك القصر ثم غلبت عليها بالحيلة فقامت وأرشدتني الى باب مغلق يتوصل منه الى اعلاه ثم فتحته وقالت امض ولا تغب عني فصعدت مسرعا الى أعلاه ونظرت الى الارض فرأيتها بعيدة فرفعت بصري الى السماء وقلت سيدي لا يخفى عليك أمري الموت ولا معصيتك ثم هان على الوقوع من أعلى ذلك القصر فالقيت نفسي الى الارض فارسل الله تعالى الي ملكا من الملائكة فاحتملني على جناحه فلم أشعر بنفسي الا وانا على باب داري فحمدت الله تعالى على ذلك وأخبرت زوجتي فسجدت شكرا لله تعالى ثم عاهدت الله ان لا اخرج من بيتي حتى اموت فهذا حديثي يا اخي قال فخرجت من عنده متعجبا وقرأت هذه الآية ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب وصار على ذلك الحال حتى مات رحمه الله تعالى ونفعنا به

(وحكى عن الامام ابي

الشمس والقمر من مغربهما ولم يتب عبد من عباد الله تعالى توبة نصوحا منذ خلق الدنيا الى ذلك اليوم الا ولجت تلك التوبة في ذلك الباب ثم ترفع الى الله تعالى فقال معاذ بن جبل بأبي انت وأمي يارسول الله وما التوبة النصوح قال ان يندم العبد على الذنب الذى اصاب فيعتذر الى الله تعالى ثم لا يعود اليه كما لا يعود اللبن الى الضرع قال فيغر بهما جبريل عليه السلام من ذلك الباب ثم يرد المصراعين ثم يلتئم ما بينهما فيصير كأنه لم يكن فيما بينهما صدع قط واذا أغلق باب التوبة لم قبل للعبد بعد ذلك توبة ولا تنفعه حسنة يعملها في الاسلام الا من كان قبل ذلك محسنا فانه يجرى عليه ما كان يجرى عليه قبل ذلك اليوم فذلك قوله تعالى يوم يأتى بعض آيات ربك لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن آمنت من قبل او كسبت فى ايمانها خيرا فقال أبى بن كعب بأبى أنت وأمي يارسول الله فكيف بالشمس والقمر بعد ذلك وكيف بالناس والدنيا فقال يا أبى ان الشمس والقمر يكسيان النور والضوء بعد ذلك ثم يطلعان و يغربان كما كانا قبل ذلك وأما الناس فانهم مع ما رآ من فظاعة تلك الآية وعظمها يلحون على الدنيا و يجرون فيها الانهار و يغرسون فيها الاشجار و يبنون فيها البنيان واما الدنيا فلو نتج للرجل منهم فيها مهر لم يركبه حتى تقوم الساعة لذ من طلوع الشمس من مغربها الى ان ينفخ فى الصور فقال حذيفة جعلنى الله فداءك يارسول الله فكيف بهم عند النفخ فى الصور قال ياحذيفة والذى نفسى بيده لينفخن فى الصور ولتقومن الساعه والرجل قد لاط حوضه فلا يشرع فيه الماء ولتقومن الساعة وقد اخذ لبن لقحته من تحتها فلا يشربه ولتقومن الساعة والثوب بين الرجلين فلا ينشرانه ولا يطويانه ولا يبيعانه ولتقومن الساعة والرجل قد رفع لقمته الى فيه فلا يطعمها ثم تلا هذه الآية ولياتينهم بغتة وهم لا يشعرون فاذا اقامت الساعة قضى الله تعالى بين أهل الدارين وميز بين الفريقين اهل الجنة والنار وقبل ان يدخلوهما يدعو الله تعالى بالشمس والقمر فيجاء بهما اسودين لا نور لهما مكدرين قد وقعا في الزلازل والبلايا وفرائصهما ترعد من هول يوم القيامة وهول ذلك اليوم ومن مخافة الرحمن تعالى فاذا كانا حذاء العرش خرا ساجدين لله تعالى و يقولان يا الهنا قد علمت طاعتنا لك ودأبنا فى طاعتك وسرعتنا للمضي في امرك أيام الدنيا فلا تعذبنا بعبادة المشركين ايانا فقد علمت انا لن ندعوهم الى عبادتنا ولم نذهل عن عبادتك فيقول الله تعالى صدقتما انى قد قضيت على نفسى ان ابدىء وأعيد انى معيدكما الى ما بدأتكما منه فارجعا الى ما خلقتكما منه فيقولان ربنا مم خلقتنا فيقول خلقتكما من نور عرشى فارجعا اليه فيلمع من كل واحد منهما برقة تكاد تخطف الابصار نورا فيختلطان بنور العرش فذلك قوله تعالى يبدىء و يعيد قال عكرمة فقمت مع النفر الذين حدثوا عن كعب ما حدثوا به من امر الشمس والقمر حتى اتيناه فاخبرناه بغضب ابن عباس وما وجدوه من حديثه وبما حدثنا عن رسول لله صلى الله عليه وسلم فيهما مما بين مبدئهما الي معادهما فقال كعب الاحبار انى حدثت عن كتاب دارس منسوخ قد تداولته الايدي وابن عباس حدث عن كتاب حديث العهد بالرحمن جل جلاله ناسخ للكتب وعن سيد الانبياء والمرسلين خير البشر ثم قام فمشى الى ابن عباس فقال بلغني ما كان من وجدك من حديثي وما حدثت به من كتاب الله تعالى ومن سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم الا وانى استغفر الله من ذلك مع انى لم اتقوله من تلقاء نفسى ولكن حدثت عن كتاب دارس فلا أدري ما كان فيه من تبديل الكفار واليهود وانت حدثت ما حدثت عن كتاب حديث العهد بالرحمن ناسخ للكتب وعن سيد المرسلين وأنا أحب ان تحدثني بما حدثت به اصحابك من حديث الشمس والقمر فاحفظ عنك الحديث فاذا حدثت بشىء من امر الشمس والقمر فيما بعد هذا اليوم كان هذا الحديث الذى تحدثنى به مكان حديثي الاول قال عكرمة فوالله لقد أعاد عليه ابن عباس الحديث وانى لاستقرئه في قلبي بابا بابا فما زاد شيأ ولا نقص شيأ ولا قدم ولا أخر فزادنى ذلك في ابن عباس رغبة للحديث حفظا والله

القاسم الجنيد رضي الله عنه انه قال) حججت سنة من السنين الى بيت الله الحرام وزيارة النبي عليه الصلاة والسلام فبينما انا في الطريق اذ سمعت صوتا موزونا يخرج من كبد محزون قال الجنيد فبادرت الي ذلك الصوت حتي أرقعني بغلام كالقمر فلما رآنى قال مرحبا بك ياأبا القاسم قال فتعجبت منه عجبا شديدا وقلت له حبيبي ومن اعلمك باسمى ولم ترنى قبل ذلك فقال التقت روحى وروحك في الملكوت فاعلمني باسمك الحي الذى لا يموت ثم قال بالله عليك ياجنيد اذا أنا مت فغسلني وكفني في ثيابى هذه واطلع على هذه الرابية وناد الصلاة على هذا الغريب يرحمكم الله قال الجنيد ثم ان الشاب عرق منه الجبين واشتد به الانين ثم قال بالله عليك ياجنيد اذا قضيت حاجتك ورجعت فاقصد بغداد واسأل عن درب الزعفران واسأل عن والدتى وعن ولدى وقل لهما أن الغريب يقرئكما السلام ثم شهق شهقة فمات رحمة الله تعالي عليه * قال الجنيد فتأسفت عليه أسفا شديدا ثم غسلته وكفنته

اعلم

(مجالس فى قصة آدم عليه الصلاة والسلام وهو يشتمل على أبواب كثيرة)

(الباب الاول فى ذكر وجوه الحكمة وخلق ادم عليه الصلاة والسلام) قال الحكماء خلق الله تعالى الخلق ليظهر وجوده ولو لم يخلق لما عرف انه موجود وليظهر كمال علمه وقدرته بظهور أفعاله المتقنة المحكمة لانها لا تتأتى الا من قادر حكيم وليعبد فانه يحب عبادة العابدين و يثيبهم عليها على قدر فضله لا على قدر أفعالهم وان كان غنيا عن عبادة خلقه لا تزيد فى ملكه طاعة المطيعين ولا تنقص من ملكه معصية العاصين قال الله تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون وليظهر احسانه لانه محسن فأوجدهم ليحسن اليهم وليتفضل عليهم فيعامل بعضا بالعدل و بعضا بالفضل وخلق المؤمنون خاصة للرحمة قال عز وجل وكان بالمؤمنين رحيما قال تعالى ولا يزالون مختلفين الا من رحم ربك ولذلك خلقهم قال جعفر بن محمد الضحاك بن مزاحم اي للرحمة خلقهم وليحمدوه لانه يحب الحمد (و يروى) ان آدم عليه السلام لما خلقه الله تعالى وعرض عليه ذريته وجد فيهم الصحيح والسقيم والحسن والقبيح والاسود والابيض فقال يارب هلا سويت بينهم فقال الله تعالى انى أحب ان أشكر (قال) ابو الحسن القتال خلق الله تعالى الملائكة للقدرة وخلق الاشياء للعبرة وخلقك للمحنة قال تعالى الله الذي خلقكم ثم رزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم (قال العلماء) خلقكم لاظهار القدرة ثم رزقكم لاظهار الكرم ثم يميتكم لاظهار القهر والجبروت ثم يحييكم لاظهار العدل والفضل والثواب والعقاب ومنهم من قال خلق الخلق جميعهم لاجل محمد صلى الله عليه وسلم * عن قتادة عن سعيد بن المسيب عن ابن عباس قال اوحى الله تعالى الى عيسى عليه السلام ياعيسى آمن بمحمد وأمر أمتك أن يأخذوا به فلولا محمد ماخلقت آدم ولا الجنة ولا النار ولقد خلقت العرش على الماء فاضطرب فكتبت عليه لا اله الا الله محمد رسول الله فسكن وقيل خلقهم لامر عظيم غيبه عنهم لا يجليه حتى يحل بهم ماخلقهم له قال الله تعالى افحسبتم انما خلقناكم عبثا وانكم الينا لا ترجعون * وقال على بن طالب رضى الله عنه يأيها الناس اتقوا الله فما خلق أمرؤ عبثا فيلهو ولا أهمل سدى فيلغو * وقال الاوزاعى بلغنى ان في السماء ملكا ينادي كل يوم ألا ليت الخلق لم يخلقوا وليتهم اذ خلقوا عرفوا ماخلقوا له وقال بعضهم اذا ماتوا ثم خلقوا علموا ماذا خلقوا له وجلسوا فتذاكروا ماذا عملوا * وكان ابو عبد الرحمن الزاهد يقول فى مناجاته الهى غيبت عنى أجلى وأحصيت على عملى ولا أدرى الى اي الدارين منقلبى لقد اوقفتني وقفة المحزونين ابدا ما أبقيتني (وقال) ابو القاسم الحكيم ان الله تعالى جعل ابن آدم بين البلوى والبلى فما دام الروح في جسده فهو في البلوى فاذا فارق الروح الجسد فهو فى البلى فانى له السرور وهو بين البلوى والبلى (وقال) بعض الحكماء يا ابن آدم انظر الى خطر مقامك فى الدنيا ان ربك حلف لاملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين وان ابليس حلف فقال فبعزتك لاغوينهم أجمعين الا عبادك منهم المخلصين وأنت يامسكين بين الله تعالى و بين ابليس مطروح ساه لاه والله اعلم

(الباب الثانى فى خلق آدم عليه الصلاة والسلام وكيفيته وصفته)

قال المفسرون بالفاظ مختلفة ومعان متفقة ان الله تعالى لما أراد خلق آدم عليه الصلاة والسلام أوحى الله الى الارض انى خالق منك خلقا منهم من يطيعني ومنهم من يعصيني فمن أطاعني منهم أدخلته الجنة ومن عصاني أدخلته النار ثم بعث اليها جبريل عليه السلام ليأتيه بقبضة من ترابها فلما اتاها جبريل ليقبض منها القبضة قالت له الارض انى أعوذ بعزة الله الذى أرسلك أن تاخذ مني شيأ يكون فيه غدا للنار نصيب فرجع جبريل عليه السلام الى ربه ولم يأخذ منها شيأ وقال يارب استعاذت بك فكرهت أن أقدم عليها فامر الله عز وجل ميكائيل عليه السلام فاتى الارض فاستعاذت بالله ان يأخذ منها شيا فرجع الى ربه ولم يأخذ منها شيأ فبعث الله تعالى ملك الموت فاتى الارض فاستعاذت بالله أن يأخذ منها

وطلعت على الرابية كما قال وناديت الصلاة على الغريب يرحمكم الله قال الجنيد واذا بجماعة قد أقبلوا من كل فج عميق كأنهم البدور فصلينا عليه ودفناه وانصرفت متحسرا عليه فلما قضيت حجي رجعت الى بغداد ثم سألت عن ذلك الدرب فارشدت اليه فلما دخلت الدرب نظرت فاذا بصبيان يلعبون في الزقاق فنهض من بينهم غلام صغير السن حسن الوجه فصيح اللسان فقال يا أبا القاسم لعلك جئت تخبرني بموت والدي قال الجنيد فتعجبت من كلام الغلام على صغر سنه ومكاشفته ثم سلم على واخذ بيدي واتى الى باب دار وطرق الباب فخرجت لى عجوز عليها سيما الخير والصلاح فسلمت على وهي باكية العين حزينة القلب ثم قالت ياجنيد ابن مات ولدى وقرة عيني فلعله مات بعرفة فقلت لها لا فقالت لعله مات بمنى فقلت لها لا فقالت لعله مات بالمزدلفة فقلت لها لا فقالت لعله مات بالبادية تحت شجرة غيلان فقلت لها نعم قال فصاحت صيحة عظيمة وقالت ياولداه لا الى بيته أوصله ولا معنا تركه ثم شهقت شهقة فارقت

شيأ فقال ملك الموت وانى أعوذ بالله أن أعصي له أمرا فقبض قبضة من زواياها الاربع من أديمها الاعلى ومن سبختها وطينها وأحمرها وأسودها وأبيضها وسهلها وحزنها فكذلك كان في ذرية آدم الطيب والخبيث والصالح والطالح والجميل والقبيح ولذلك اختلفت صورهم وألوانهم قال الله تعالى ومن آياته خلق السموات والارض واختلاف ألسنتكم وألوانكم ثم صعد بها ملك الموت الى الله تعالى فامره ان يجعلها طينا ويخمرها فعجنها بالماء المر والعذب والملح حتى جعلها طينا وخمرها فلذلك اختلفت اخلاقهم ثم امر جبريل عليه السلام ان يأتيه بالقبضة البيضاء التي هي قلب الارض وبهاؤها ونورها ليخلق منها محمدا صلى الله عليه وسلم فهبط جبريل عليه السلام في ملائكة الفردوس المقربين الكروبيين وملائكة الصفيح الاعلى فقبض قبضة من موضع قبر النبي صلى الله عليه وسلم وهي يومئذ بيضاء نقية فعجنت بماء التسنيم ورعرعت حتى صارت كالدرة البيضاء ثم غمست في انهار الجنة كلها فلما اخرجت من الانهار نظر الحق سبحانه وتعالى الى تلك الدرة الطاهرة فانتفضت من خشية الله تعالى فقطر منها مائة ألف قطرة واربعة وعشرون الف قطرة فخلق الله سبحانه وتعالى من كل قطرة نبيا فكل الانبياء صلوات الله على نبينا وعليهم من نوره خلقوا صلى الله عليه وسلم ثم طيف بها في السموات والارض فعرفت الملائكة حينئذ محمدا صلى الله عليه وسلم قبل ان تعرف آدم ثم عجنها بطينة آدم عليه الصلاة والسلام ثم تركها اربعين سنة حتى صارت طينا لازبا لينا ثم تركها أربعين سنة حتى صارت صلصالا كالفخار وهو الطين اليابس الذى اذا ضربته بيدك صلصل أي صوت ليعلم ان امره بالصنع والقدرة لا بالطبع والحيلة فان الطين اليابس لا ينقاد ولا يتأتى تصويره ثم جعله جسدا والقاه على طريق الملائكة التي تهبط الى السماء وتصعد منه أربعين سنة فذلك قوله تعالى هل أتى على الانسان حين من الدهر الآية قال ابن عباس الانسان آدم والحين أربعون سنة كان آدم جسدا ملقى على باب الجنة وفي صحيح الترمذي بالاسناد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في تفسير اول البقرة ان الله خلق آدم بيده من قبضة قبضها من جميع الارض من السهل والجبل والاسود والابيض والاحمر فجاءت الاولاد على الوان الارض وسأل عبد الله بن سلام رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف خلق الله آدم عليه السلام فقال خلق رأس آدم وجبهته من تراب الكعبة وصدره وظهره من بيت المقدس وفخذيه من ارض اليمن وساقيه من ارض مصر وقدميه من ارض الحجاز ويده اليمنى من ارض المشرق ويده اليسرى من ارض المغرب ثم القاه على باب الجنة فكلما مر عليه ملأ من الملائكة عجبوا من حسن صورته وطول قامته ولم يكونوا قبل رأوا شيأ يشبهه من الصور فمر به ابليس فرآه فقال لامر ما خلقت ثم ضربه بيده فاذا هو اجوف فدخل فيه وخرج من دبره وقال لاصحابه الذين معه من الملائكة هذا خلق اجوف لا يثبت ولا يتماسك ثم قال لهم ارأيتم ان فضل هذا عليكم فما أنتم فاعلون قالوا نطيع ربنا فقال ابليس في نفسه والله لئن فضل هذا على لاعصينه ولئن فضلت عليه لاهلكنه فذلك قوله تعالى واعلم ماتبدون وما كنتم تكتمون يعني ما أظهرت الملائكة من الطاعة وأسر ابليس من المعصية وقوله تعالى الا ابليس ابى واستكبر وكان من الكافرين * وفي الخبر ان جسد آدم عليه الصلاة والسلام كان ملقى أربعين سنة يمطر عليه مطر الحزن ثم أمطر عليه السرور سنة واحدة فلذلك كثرت الهموم في اولاده وتصير عاقبتها الي الفرح والراحة * وانشدنا في هذا المعنى أبو عوانة المهرجاني

يقولون ان الدهر يومان كله * فيوم محبات ويوم مكاره
وماصدقوا فالدهر يوم محبة * وايام مكروه كثير البدائه

وانشدني ابن الاعرابي فقال

روحها الدنيا رحمة الله عليها قال الجنيد فنظر الغلام الى السماء وقال الهي وسيدي ومولاي لا مع أبي اخذتني ولا مع جدتي خلقتني اللهم بهما الحقني ثم شهق شهقة فمات رحمة الله تعالى عليهم أجمعين * قال الجنيد فاخذت في غسلهما وتجهيزهما ودفنهما رحمة الله عليهما والمسلمين (وحكى عن السري السقطي رحمه الله تعالى ونفعنا به) قال كنت جالسا ببيت المقدس سنة من السنين عند الصخرة وكان ذلك في ايام العشر وانا متحسر حزين على التخلف عن الحج في تلك السنة وقلت في نفسي ان الناس قد توجهوا الي مكة ولم يبق الا ايام قلائل وانا ههنا مقيم قال السري فبكيت على فواتي وتخلفي عن الحج في تلك السنة فسمعت هاتفا يقول ياسري لا تبك فان الله سبحانه وتعالى يبعث لك من يوصلك الى الحج في هذه الساعة قال السري فقلت كيف يكون ذلك وقد بقى ايام قلائل وانا مقيم ببيت المقدس بعيد عن مكة فقال الهاتف ثانيا لا تخف فان الملك القدير يسهل عليك المسير قال السري فسجدت شكرا

محن الزمان كثيرة لاتنقضي * وسروره يأتيك بالفلتات

وانشدني ابو بكر الصولي لابن المعتز

أي شيء يكون اعجب من ذا * لو تفكرت في صروف الزمان
حادثات السرور توزن وزنا * والبلايا تكال بالقفزان

(الباب الثالث في صفة نفخ الروح)

قال العلماء فلما اراد الله ان ينفخ في آدم عليه السلام الروح أمرها أن تدخل في فيه فقالت الروح مدخل بعيد القعر مظلم المدخل فقال للروح ثانية فقالت مثل ذلك وكذلك ثالثة الى ان قال في الرابعة ادخلي كرها واخرجي كرها فلما امرها الله تعالى بذلك دخلت في فيه فاول ما نفخ فيه الروح دخلت دماغه فاستدارت فيه مقدار مائتي عام ثم نزلت في عينيه * والحكمة في ذلك ان الله تعالى اراد ان يري آدم بدء خلقه واصله حتي اذا تتابعت عليه الكرامات لايدخله الزهو ولا العجب بنفسه ثم نزلت في خياشيمه عطس فحين فراغه من عطاسة نزلت الروح الى فيه ولسانه فلقنه الله تعالى ان قال الحمد لله رب العالمين فكان ذلك اول ماجرى على لسانه فاجابه ربه عزوجل فقال يرحمك ربك يا آدم للرحمة خلقتك قال تعالى سبقت رحمتي غضبي ثم نزلت الروح الى صدره وشراسيفه فاخذ يعالج القيام فلم يمكنه ذلك وذلك قوله تعالى وكان الانسان عجولا وقوله تعالى خلق الانسان من عجل فلما وصلت الروح الى جوفه اشتهى الطعام فهو أول حرص دخل جوف آدم عليه الصلاة والسلام *وفي بعض الاخبار ان آدم عليه السلام لما قال له ربه يرحمك ربك يا آدم مد يده ووضعها على ام رأسه وقال أوه فقال الله مالك يا آدم فقال انى اذنبت ذنبا فقال من اين علمت ذلك فقال لان الرحمة للمذنبين فصارت تلك سنة في أولاده اذا اصاب احدهم مصيبة اومحنة وضع يده على رأسه وتأوه ثم انتشرت الروح في جسده كله فصار لحما ودما وعظاما وعروقا وعصبا ثم كساه الله تعالى لباسا من ظفر وجعل يزداد كل يوم حسنا فلما قارف الذنب بدل بهذا الجلد و بقيت منه بقية في أنامله ليتذكر به أول حاله (قال عبدالله بن الحرث) كانت الدواب تتكلم قبل خلق الله تعالى آدم عليه السلام وكان النسر ياتي الحوت في البحر فيخبره بما في البر ويخبره الحوت بما في البحر فلما خلق الله تعالى آدم عليه السلام جاء النسر الى الحوت فقال لقد خلق الله اليوم خلقا ورأيت اليوم شيأ ليزيلني من وكرى وليخرجنك من البحر فلما أتم الله خلق ادم عليه الصلاة والسلام ونفخ فيه الروح قرطه وشقه وصوره وختمه ومنطقه والبسه من لباس الجنة وزينه بانواع الزينة يخرج من ثناياه نور كشعاع الشمس ونور نبينا محمد صلى الله عليه وسلم في جبينه كالقمر ليلة البدر ثم رفعه على سرير وحمله على أكتاف الملائكة وقال لهم طوفوا به في سمواتي ليرى عجائبها ومافيها فيزداد يقينا فقالت الملائكة لبيك ربنا سمعنا وأطعنا فحملته الملائكة على اعناقها وطافت به السموات مقدار مائة عام حتى وقف على كل شيء من اياتها وعجائبها ثم خلق الله فرسا من المسك الأذفر يقال له الميمون له جناحان من الدر والجواهر فركبه ادم عليه الصلاة والسلام وجبريل اخذ بلجامه وميكائيل عن يمينه واسرافيل عن شماله وطافوا به السموات كلها وهو يقول السلام عليكم ياملائكة الله فيقولون وعليك السلام ورحمة الله وبركاته فقال الله تعالى ياادم هذه تحيتك وتحية المؤمنين من ذريتك فيما بينهم الى يوم القيامة ثم علمه الله تعالى الاسماء كلها (واختلف) العلماء في هذه الاسماء فقال الربيع بن أنس اسماء الملائكة كلهم وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم اسماء ذريته وقال ابن عباس واكثر الناس علمه اسم كل شيء حتى القصعة والقصيعة ثم امر الله الملائكة بالسجود له كما قال الله تعالى فاذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين واكثر العلماء على ان الامر بالسجود لآدم انما توجه على الملائكة الذين كانوا مع ابليس خاصة

لله عز وجل ثم جلست ارتقب صدق الهاتف فبينما انا كذلك اذ انا بأربعة شبان قد دخلوا من باب المسجد كان الشمس تشرق من وجوههم والنور يلمع من جباههم يقدمهم شاب عليه هيبة وجلالة وهم يمشون خلفه وعليهم لباس الشعر وفي ارجلهم نعال الخوص فدنوا من الصخرة ودعوا الله عز وجل فامتلأ المسجد من انوارهم نورا قال السري فقمت اليهم وقلت لعل هؤلاء يكونون هم الذين رحمني ربي بهم ورزقني صحبتهم قال السري فدخلوا القبة والشاب قائم يناجي ربه ثم صلى كل منهم ركعتين قال فدنوت من الشاب لاسمع كلامه ومناجاته فبكى وكبر وصلى صلاة سلبت فؤادي فلما فرغ من صلاته جلس وجلس الثلاثة بين يديه قال السري فدنوت منهم وسلمت عليهم فقال الشاب وعليك السلام ياسري ياصاحب الهاتف الذى هتف بك اليوم وبشرك ان لايفوتك الحج في هذه السنة قال السري فكدت ان اصعق وامتلا قلبي فرحا وسرورا ثم قلت نعم ياسيدى هتف بي الهاتف قبل ورودكم

دون سائر الملائكة وكان ذلك سجود تعظيم وتحية لا سجود صلاة وعبادة فلما امرهم بالسجود سجدوا الا ابليس أبى واستكبر وكان من الكافرين

(الباب الرابع في صفة خلق حواء عليها السلام)

قال المفسرون لما اسكن الله تعالى آدم الجنة كان يمشي فيها وحشيا لم يكن له من يجانسه ويؤانسه فالقى الله تعالى عليه النوم فنام فاخذ الله ضلعا من اضلاعه من شقه الايسر يقال له القصيرى فخلق منه حواء من غير ان احس آدم بذلك ولا وجد له ألما ولو ألم آدم من ذلك لما عطف رجل على امرأة ثم ألبسها من لباس الجنة وزينها بانواع الزينة واجلسها عند رأسه فلما هب ادم من نومه رآها قاعدة عند رأسه فقالت الملائكة لآدم يمتحنون علمه ما هذه يا ادم قال امرأة قالوا وما اسمها قال حواء قالوا صدقت ولم سميت حواء بذلك قال لانها خلقت من شيء حي قالوا ولماذا خلقها الله تعالى قال لتسكن الي واسكن اليها وذلك قوله تعالى هو الذي خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن اليها قال النبي صلى الله عليه وسلم خلقت المرأة من ضلع أعوج فان تقمها تكسرها وان تتركها تستمتع بها على عوجها (وقيل) الحكمة في ان الرجال يزيدون على مرور الايام والاعوام حسنا وجمالا لانهم خلقوا من التراب والطين يزداد كل يوم حدة وجمالا والنساء يزددن على مرور الايام قبحا لانهن خلقن من اللحم واللحم يزداد على مرور الايام فسادا * وفي بعض الاخبار ان آدم عليه السلام لما رأى حواء مد يده اليها فقالت الملائكة مه يا ادم فقال ولم وقد خلقها الله تعالى لي فقالت الملائكة حتى تؤدي مهرها قال وما مهرها قالوا ان تصلي على محمد صلى الله عليه وسلم ثلاث مرات قال ومن محمد قالوا آخر الانبياء من ولدك ولولا محمد ما خلقت * وروى سعيد بن جبير عن عبد الله بن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أراد الله ان يخلق جارية بعث اليها ملكين اصفرين مكللين بالدر والياقوت فيضع احدهما يده على رأسها ويضع الاخر يده على رجلها ويقولان بسم ربنا وربك الله ضعيفة خلقت من ضعيفة المنفق عليها ممان الى يوم القيامة

(الباب الخامس في ذكر امتحان الله تعالى ادم عليه الصلاة والسلام وما كان منه في ذلك)

قال اهل التاريخ لما اسكن الله تعالى ادم وحواء عليهما السلام الجنة أباح لهما نعيم الجنة كلها الا شجرة واحدة وذلك قوله تعالى وقلنا يا ادم اسكن انت وزوجك الجنة الى قوله فتكونا من الظالمين (واختلفوا) في هذه الشجرة التي هي شجرة المحنة ما هي فقال علي رضي الله عنه هي شجرة الكافور وقال قتادة هي شجرة العلم وفيها من كل شيء علامة وقال محمد بن كعب ومقاتل هي السنبلة وقليل هي الحنطة وقيل هي الكرمه فوسوس لهما الشيطان حتى زين لهما الشجرة فأكلا منها همار بهما عن أكله من ثمرة تلك الشجرة وحسن لهما معصية الله تعالى في ذلك حتى اكلا منها وكان وصول عدو الله ابليس اليهما وتزيينه ذلك لهما على ما ذكره اصحاب الاخبار ان ابليس اراد ان يدخل الجنة ليوسوس لادم وحواء فمنعه الخزنة من ذلك فأتى الحية وكانت من احسن الدواب التي خلقها الله تعالى لها اربعة قوائم كقوائم البعير وكانت من خزان الجنة وكانت لابليس صديقه فسألها ان تدخله الجنة في فيها فادخلته في فمها ومرت به على الخزنة وهم لا يعلمون فادخلته الجنة وكان قد دخل مع آدم الجنة لما دخل الجنة ورأى ما فيها من النعيم والكرامة فقال طيب لو كان خلدا فاغتنم ذلك الشيطان منه فاتاه من قبل الخلد وقيل ان ابليس لما سمع بدخول آدم الجنة حسده وقال يا ويلاه أنا أعبد الله منذ كذا وكذا الف سنة ولم يدخلني الجنة وهذا خلق خلقه الله تعالى الآن فادخله الجنة فاحتال في اخراج آدم عليه السلام من الجنة فوقف على باب الجنة وتعبد ثلثمائة سنة هنالك حتى اشتهر بالعبادة وعرفوه بها وهو في كل ذلك ينتظر خروج خارج من الجنة يتوصل به الى آدم فمكث على

بساعة فقال الشاب يا سري كنا قبل ان يهتف بك الهاتف في بلاد خراسان قاصدين بغداد فقضينا حوائجنا وعزمنا على التوجه الى بيت الله الحرام فاحببنا زيارة قبور الانبياء بالشام ثم بعد ذلك نقصد مكة شرفها الله تعالى وعظمها وقد قضينا حقوقهم وزيارتهم واتينا الى هنا نزور بيت المقدس قال السري فقلت له يا سيدي وما كنت تصنع بخراسان قال لاجل الاجتماع بابراهيم بن أدهم وبمعروف الكرخي اخواننا فخرجنا جميعا نقصد مكة فجئت الى بيت المقدس وذهبا هما من طريق البادية الى مكة قال السري فقلت يرحمك الله ان من خراسان الى بيت المقدس مسيرة سنة فقال يا سري لو كانت الطريق ألف سنة العبيد عبيده والارض ارضه والزيارة لبيته والقصد اليه والبلاغ عليه والقوة والقدرة له أما ترى الشمس كيف تسير من المشرق الى المغرب في يوم واحد فهي تسير بقوتها ام بقوة القادر وارادته فاذا كانت الشمس وهي جماد لا حساب عليها ولا عقاب نقطع من المشرق الى المغرب في يوم واحد فليس

باب

باب الجنة ثلثمائة سنة لا يأذن الله تعالى فى خروج خلق منها فبينما هو كذلك اذ خرج اليه الطاوس وكان سيد طيور الجنة فلما رآه ابليس قال له ايها الخلق الكريم من انت وما اسمك فما رأيت من خلق الله أحسن منك قال انا طائر من طيور الجنة اسمى طاوس فبكى ابليس فقال له الطاوس من انت وم بكاؤك فقال له ابليس انا ملك من الملائكة الكروبيين وانما بكيت تأسفا على ما يفوتك من حسنك وكمال خلقتك فقال له الطاوس ايفوتنى ما أنا فيه قال بلى وانك تفنى وتبيد وكل الخلائق يبيدون الا من تناول من شجرة الخلد فانهم المخلدون من تلك الخلائق فقال الطاوس واين تلك الشجرة قال ابليس هي في الجنة قال الطاوس ومن يدلنى بمكانها قال ابليس انا أدلك عليها ان ادخلتنى الجنة قال الطاوس كيف لى بادخالك الجنة ولا سبيل الى ذلك لمكان رضوان فانه لا يدخل الجنة أحد ولا يخرج منها أحد الا باذنه ولكنى سأدلك على خلق من خلق الله تعالى يدخلكها فانه ان قدر على ذلك أحد فهو هو دون غيره فانه خادم خليفة الله تعالى آدم قال ومن هو قال الحية قال له ابليس فبادر اليها فان لنا فيه سعادة الابد لعلها تقدر على ذلك فجاء الطاوس الى الحية واخبرها بمكان ابليس وما سمع منه وقال انى رأيت بباب الجنة ملكا من الكروبيين من صفته كيت وكيت فهل لك ان تدخليه الجنة ليدلنا على شجرة الخلد فأسرعت الحية نحوه فلما جاءته قال لها ابليس نحوا من مقالته للطاوس فقالت كيف لى بادخالك الجنة ورضوان اذا رآك لم يمكنك من دخولها فقال لها اتحول ريحا فتجعليني بين أنيابك قالت نعم فتحول ابليس لعنه الله ريحا ودخل فى فم الحية فادخلته الجنة فلما دخل ابليس الجنة أراها الشجرة التي نهى الله تعالى عنها آدم وجاء حتى وقف بين يدى آدم وحواء عليهما السلام وهما لا يعلمان انه ابليس فناح عليهما نياحة أحزنتهما فبكيا وكان أول من ناح فقالا له ما يبكيك فقال ابكى عليكما تموتان فتفارقان ما انتما فيه من النعيم والكرامة فوقع ذلك في أنفسهما واغتما لذلك وبكى ابليس ومضي ثم ان ابليس أتاهما بعد ذلك وقد اثر قوله فيهما فقال يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى قال نعم قال كل من هذه الشجرة شجرة الحنطه فقال نهانى ربى عنها فقال ابليس ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة الا ان تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين فأبى ان يقبل منه فاقسم لهما بالله انه لهما لمن الناصحين فاغترا بذلك وما كانا يظنان ان أحدا يحلف بالله كاذبا فبادرت حواء الى أكل الشجرة ثم زينت لآدم حتى أكلها (روي) محمد بن اسحق عن يزيد بن عبد الله بن قسيط قال سمعت الحسن بن محمد بن الحسين يقول سمعت أبى يقول سمعت جدى يقول سمعت سعيد بن المسيب يحلف بالله ولا يستثني آدم ما أكل من الشجرة وهو يعقل ولكن حواء سقته الخمر حتى اذا اسكر قادته اليها فاكل ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الخمر مجمع الخبائث وأم الذنوب ويقال لما قال الله تعالى لآدم وحواء لا تقربا هذه الشجرة قالا نعم لا نقربها ولا نأكل منها ولم يستثنيا في قولهما بمشيئة الله تعالى فوكلهما الله تعالى الى أنفسهما حتى أكلا المنهى عنه * وقال سمعت الحسن بن محمد بن الحسين يقول سمعت ابراهيم بن الاشعث يقول سمعت ابراهيم بن ادهم يقول لقد اورثتنا تلك الاكلة حزنا طويلا (وقال) الشبلى اول الدن دردى هذا ابونا آدم باع ربه بكف من حنطة فلما أكل من الشجرة المنهى عنها ابتلاه الله بعشرة أشياء (الاولى) معاتبته اياهما على ذلك بقوله ألم انهكما عن تلكما الشجرة وأقل لكما ان الشيطان لكما عدو مبين (والثانية) الفضيحة فانه لما أصابا الذنب بدت لهما سوآتهما وتهافت عنهما ما كان عليهما من لباس الجنة فتحير آدم وصار هاربا في الجنة فتلقته شجرة العناب فاخذت بناصيته وناداه ربه افرارا منى يا آدم قال بلى يارب ولكن حياء منك ولذلك قيل كفى بالمقصر حياء يوم القيامة * ويروي ان آدم لما بدت سوأته

بعيد ان يبلغ عبد من عبيده من خراسان الى بيت المقدس فى ساعة واحدة فان الله تعالى له القدرة وخرق العوائد لمن يحب ويختار ثم قال ياسرى عليك بعز الدنيا والآخرة واياك ان تصل الى ذل الدنيا والاخرة فقلت له ياسيدى ارشدنى الى عز الدنيا والاخرة رحمك الله تعالى فقال من اراد غنى بلا مال وعلما بلا تعلم وعزا بلا عشيرة فليخرج حب الدنيا من قلبه ولا يركن اليها ولا يطمئن قلبه بحبها قال السري فقلت له ياسيدي بالذي خصك بانواره واطلعك على أسراره اين تقصد قال الحج الى بيت الله الحرام وزيارة قبر النبي عليه افضل الصلاة والسلام فقلت له والله لا افارقكم فان فراقكم على أشد من فراق الروح للجسد فقال بسم الله وخرج وخرجت معهم من بيت المقدس فلم نزل نسير حتى قال ياسرى هذا وقت الظهر فما تصلى فقلت بلى وعزمت على التيمم بالتراب فقال ان ههنا عين ماء عذب فعدل بنا عن الطريق فاذا بعين ماء احلى من الشهد فتوضأت وشربت ثم قلت له والله ياسيدى لقد سلكت هذا

وظهرت عورته طاف باشجار الجنة يسأل منها ورقة يغطى بها عورته فزجرته اشجار الجنة حتى رحمته شجرة التين فاعطته ورقة فطفقا يعنى آدم وحواء يخصفان عليهما من ورق الجنة فكافا الله التين بان سوى ظاهره و باطنه فى الحلاوة والمنفعة وأعطاه الله ثمرتين في كل عام (والثالثة) أوهن جلده وصيره مظلما بعد ان كان جلده كله كالظفر وألقى عليه من ذلك قدرا يسيرا على أنامله ليتذكر بذلك اول حاله (والرابعة) أخرجه من جواره ونودى انه لا ينبغى ان يجاورنى من عصانى فذلك قوله تعالى اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم في الارض مستقر الاية يعني آدم وحواء وابليس والحية والطاوس فهبط آدم بسرنديب من أرض الهند وقيل على جبل من أرض الهند يقال له نود وقيل واسم وحواء بجدة بلد من أرض الحجاز وابليس بالابلة من أرض العراق وهي بالبصرة وقيل ميشان والحية باصبهان والطاوس بارض بابل ✽ ويقال ان الحكمة فى اخراج آدم من الجنة انه كان فى صلبه من لا يستحق الولاية ولا يصلح لحظيرة القدس فاذا اخرجهم من صلبه أعاده الله اليها خالدا فيها و يقال ان الله تعالي اخرج آدم من الجنة قبل ان يدخله فيها وذلك قوله تعالى انى جاعل فى الارض خليفة ولم يقل فى الجنة ✽ أخبرنى نافل بن أذفر بن أحمد باسناده عن عثمان بن علية قال سمعت الوضين بن عطاء يذكر ان آدم قال كنا نسلا من نسل الجنة فسبانا ابليس بالخطيئة الى الارض فلا ينبغى لنا الفرح في الدنيا ولكن الحزن والبكاء مادمنا فى دار السباء حتى نرد الى الدار التى سبينا منها وقال الشاعر

يا ناظرا يرنو بعيني راقد ✽ ومشاهد الايام غير مشاهد
منتك نفسك وصلة فابحتها ✽ سبل الرجا وهن غير قواصد
تصل الذنوب الى الذنوب وترتجى ✽ درج الجنان بها و فوز العابد
ونسيت ان الله أخرج آدما ✽ منها الى الدنيا بذنب واحد

(والخامسة) المفرقة فرق بينه و بين حواء مائة سنة هذا بالهند وهذه بجدة فجاء كل واحد منهما يطلب صاحبه حتى قرب احدهما من صاحبه فازدلفا فسميت المزدلفة واجتمعا بجمع فسمى جمعا وتعارفا بعرفة فى يوم عرفة فسمى الموضع عرفات واليوم عرفة (السادسة) العداوة التى بينهم العداوة والبغضاء كما قال الله تعالى بعضكم لبعض عدو فالانسان عدو الحية يشدخ رأسها حيث يراها والطاوس عدوه والحية عدوته تلدغه اذا امكنها وابليس عدولهم جميعا وفيه اشارة الى ان الاحباب اذا اجتمعوا وتعاونوا على معصية أعقبت معصيتهم عداوة كما قال الله تعالى الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين (والسابعة) النداء عليهم باسم العصيان فقال الله تعالى وعصى آدم ربه فغوى ✽ وروي ان ابراهيم عليه السلام تفكر ذات ليلة من الليالى فى أمر آدم فقال يارب خلقت آدم بيدك ونفخت فيه من روحك وأسجدت له ملائكتك وأسكنته جنتك بلا عمل ثم بزلة واحدة ناديت عليه بالمعصية وأخرجته من جوارك من الجنة فاوحى الله تعالى اليه ياابراهيم أما علمت أن مخالفة الحبيب على الحبيب أمر شديد (والثامنة) تسليط العدو على أولاده وهو قوله تعالى واجلب عليهم بخيلك ورجلك وشاركهم الآية (والتاسعة) جعل الدنيا سجناله ولاولاده وابتلاه بهواء الدنيا ومقاساة البرد والحر فيها ولم يكن له بهما عهد لك وذهواء الجنة وهو كما قال الله تعالى لا يرون فيها شمسا ولا زمهريرا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الجنة سجسج لاحر فيها ولا قر (العاشرة) التعب والشقاء وذلك قوله تعالى ان هذا عدو لك ولزوجك فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى فهو أول خلق عرق جبينه من التعب والنصب

(فصل) وابتليت حواء و بناتها بهذه الخصال وبخمس عشرة خصلة سواهن (الاولى) الحيض يروى انها لما تناولت الشجرة دميت الشجرة قال الله تعالى ان لك على أن ادميك انت و بناتك في كل شهر مرة كما أدميت

هذه

الطريق مرارا عديدة ولم يكن هنا ماء فتبسم وقال الحمد لله على لطفه بعباده قال السري فصلينا صلاة الظهر وسرنا الى قريب العصر فبانت لنا اعلام الحجاز ولاحت لنا حيطان مكة فقلت هذه ارض الحجاز فقال وصلت الى مكة فاخذنى البكاء ثم قال ياسرى تدخل معنا فقلت نعم فدخلنا من باب الندوة فرأيت رجلين احدهما كهل والاخر شاب فلما نظراه تبسما وقاما فعانقاه وقالا الحمد لله على السلامة فقلت له ياسيدى من هؤلاء فقال أما الكهل فابراهيم بن أدهم وأما الشاب فمعروف الكرخى قال السرى فسلمت عليهما ثم جلسنا الى ان صلينا صلاة العصر والمغرب والعشا بالحرم فقام كل منهم الى صلاته وقمت معهم بحسب طاقتى فغلبني النوم فى المسجد فنمت فلما انتبهت لم أجد منهم أحدا نصرت كالمجنون الهائم وطفت عليهم فى المسجد الحرام وفي مكة وفي منى فلم اجد منهم أحدا فرجعت باكيا حزينا على التخلف عنهم رضي الله عنهم اجمعين وحكى عن عثمان الجرجانى رضى الله عنه قال خرجت يوما من الكوفة

هذه الشجرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الحيض ان هذا شيء كتبه الله تعالى على بنات آدم (الثانيه) ثقل الحمل (الثالثه) الطلق وألم الوضع قال الله تعالى حملته أمه كرها ووضعته كرها وفى الخبر لولا الزلة التى أصابت حواء كان النساء لم يحضن ولكن حليمات وكن يحملن سرا و يضعن سرا (الرابعه) نقصان دينها (الخامسه) نقصان عقلها عن أبي سعيد في حديث ذكره قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما رأيت من ناقصات عقل ودين أذهب للب الرجل الحازم من احداكن فقلن له وما نقصان عقلنا ودينا يا رسول الله قال أليس شهادة المرأة بنصف شهادة الرجل فذلك نقصان عقلها أوليس اذا حاضت المرأة لم تصل ولم تصم قلن بلى قال فذلك نقصان دينها (السادسه) ان ميراثها على النصف من ميراث الرجل قال الله تعالى للذكر مثل حظ الانثيين (السابعه) تخصيصهم بالعدة (الثامنه) جعلهن تحت أيدى الرجال كما قال تعالى الرجال قوامون على النساء وقال عليه السلام استوصوا بالنساء خيرا فانهن عوار عندكم (التاسعه) ليس لهن من الطلاق شيء ولا يمكن ذلك وانما هو للرجال (العاشرة) حرمن الجهاد (الحادية عشر) ليس منهن نبي (الثانيه عشر) ليس منهن سلطان ولا حاكم (الثالثة عشر) لا تسافر احداهن الا مع ذي رحم محرم (الرابعه عشر) لا تنعقد بهن الجمعه (الخامسة عشر) لا يسلم عليهن * وعاقب ابليس لعنه الله تعالى بعشرة أشياء * اولها عزله من الولاية وكان له ملك الارض وملك سماء الدنيا وكان خازن الجنه * الثانيه أخرجه من جواره واهبطه الى الارض * الثالثة مسخ الله صورته فصيره شيطانا بعد ما كان ملكا * الرابعة غير اسمه كان اسمه عزازيل فسماه ابليس لانه ابلس من رحمة الله تعالى * الخامسة جعله امام الاشقياء * السادسة لعنه الله * السابعه نزع منه المعرفه * الثامنه أغلق عنه باب التوبه * التاسعه جعله مريدا أى خاليا من الخير والرحمه * العاشرة جعله خطيب أهل النار * وعاقب الحيه بخمسه اشياء قطع قوائمها وأمشاها على بطنها ومسخ صورتها بعد ان كانت أحسن الدواب وجعل غذاءها التراب وجعلها تموت كل سنه بالشتاء وجعلها عدوة بنى آدم وهم أعداؤها حيثما يرونها يقتلونها وأباح رسول الله صلى الله عليه وسلم قتلها في الصلاة وفى حال الاحرام * عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما سالمناهن منذ حاربناهن من ترك شيأ منهن خيفة منه فليس منى يعنى الحيات اخبرنا ابن (١) قال حدثنا عبد الله بن يونس قال اخبرنا داود عن محمد عن أبى الاعين العبدى عن أبى الاحوص الحسني قال بينما ابن مسعود يخطب ذات يوم فاذا هو بحية تمشى على الجدار فقطع خطبته ثم ضربها بقضيب حتى قتلها ثم قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من قتل حية فكأنما قتل رجلا مشركا قد حل دمه

(الباب السادس في حال آدم بعد هبوطه الى الارض وما كان منه)

قال ابن عباس رضى الله عنهما لما هبط ادم الى الارض على جبل سرنديب وذكر ان ذروته أقرب من ذرى جبال الارض الى السماء وكانت رجل ادم على الجبل ورأسه فى السماء يسمع دعاء الملائكة وتسبيحهم وكان ادم يأنس بذلك فهابته الملائكة واشتكت الى ربها فحطت قامته الى ستين ذراعا وكان قبل ذلك يمس رأسه السحاب فصلع وأخذ أولاده الصلع فلما نقص من قامته ذلك قال رب كنت جارك في دار ليس لى رب سواك ولا رقيب دونك اكل فيها رغدا وأسلك حيث احببت فاهبطتنى الى هذا الجبل وكنت اسمع اصوات الملائكة وأراهم كيف يحفون بعرشك واجد ريح الجنة وطيبها ثم اهبطتني الي الارض وحططتنى الى ستين ذراعا فقد انقطع عنى الصوت والنظر وذهبت عني رائحة الجنة فاجابه الله تعالى بمعصيتك يا ادم فقال ادم ذلك بك يارب * وقال وهب بن منبه لما أهبط الله ادم

أريد البصره فرأيت فى الطريق امرأة عجوز عليها جبة من صوف وخمار من شعر وهى تمشى وتقول الهى ما أبعد الطريق على من لم تكن له دليلا وما أوحش الطريق على من لم تكن له أنيسا قال عثمان فدنوت منها وسلمت عليها فردت على السلام وقالت من انت يرحمك الله فقلت لها عثمان الجرجانى فقالت حياك الله يا عثمان اين تريد فقلت اريد البصرة لحاجة فقالت يا عثمان هلا اعلمت صاحب الحاجة يوجهها اليك ولا يتعبك فقلت ليس بينى و بينه تلك المعرفة فقالت وما الذى قطعك عن معرفته قلت كثرة الذنوب فقالت والله بئس ما صنعت أما والله لو وصلت حبلك بحبله لتمسكت منه باقوى سبب وقضى حوائجك من غير تعب قال عثمان فلما سمعت قولها بكيت وقلت لها اريد منك الدعاء فقالت اعانك الله على طاعته وجنبك معصيته قال فلما عزمت على الانصراف اخرجت من جيبى دراهم كانت معى فقسمتها بيني و بينها وقلت خذي هذه النفقة لتستعيني بها على حالك فقالت يا عثمان من أين لك هذه الدراهم فقلت لها انى رجل اصمد

من الجنة واستقر جالسا على الارض عطس عطسة فسال أنفه دما فلما رأى سيلان الدم من أنفه ولم يكن رأى قبل ذلك دما هاله ما رأى ولم تشرب الارض الدم فاسود على وجهها كالحمم ففزع آدم من ذلك فزعا شديدا فذكر الجنة وما كان من الراحة فخر مغشيا عليه و بكى اربعين عاما فبعث الله اليه ملكا فمسح ظهره و بطنه وجعل يده على فؤاده فذهب عنه الحزن والغشي فاستراح مما كان يصيبه من الغم * قال شهر بن حوشب ان آدم عليه الصلاة والسلام لما اهبط الى الارض مكث ثلثمائة سنة لا يرفع رأسه حياء من الله تعالى * وقال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما بكى آدم وحواء على ما فاتهما من نعيم الجنة مائتي سنة ولم يا كلا ولم يشربا اربعين سنة ولم يقرب آدم حواء مائة سنة فلما اراد الله تعالى ان يرحم عبده آدم لقنه كلمات كانت سبب قبول توبته كما قال تعالى فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه الآية واختلفوا فى تلك الكلمات ماهى فقال ابن عباس هي ان آدم عليه السلام قال يارب ألم تخلقنى بيدك قال بلى قال ألم تنفخ فى من روحك قال بلى قال ألم تسبق لي رحمتك قبل غضبك قال بلى قال ألم تسكنى جنتك قال بلى قال فلم أخرجتنى منها قال لشؤم معصيتك قال اي رب ارأيت ان انا تبت واصلحت ترجعني الى الجنة فهي الكلمات وقال عبد الله بن عمر ان آدم قال يارب أرأيت ما اتيته شيأ ابتدعته من تلقاء نفسي اوشيء قدرته على قبل ان تخلقني بيدك قال لا بل شيء قدرته عليك قبل ان اخلقك قال يارب فكما قدرته على فاغفرلى * وقال محمد بن كعب القرظى هى قول لا اله الا انت سبحانك اللهم و بحمدك عملت سوأ وظلمت نفسي فتب على انك انت التواب الرحيم لا اله الا انت سبحانك اللهم و بحمدك عملت سوأ وظلمت نفسي فاغفر لى انك انت الغفور الرحيم لا اله الا انت سبحانك اللهم و بحمدك رب عملت سوأ وظلمت نفسي فارحمني انك انت ارحم الراحمين * وقال سعيد بن جبير والحسن ومجاهد وعكرمة هى قوله تعالى ربنا ظلمنا انفسنا الآية ثم انزل الله تعالى ياقوتة من يواقيت الجنة ووضعها موضع البيت على قدر الكعبة لها بابان باب شرقى وباب غربي وفيها قناديل من نور ثم اوحى الله تعالى الى آدم ان لى حرما بحيال عرشي فأته فطف به كما يطاف حول عرشي وصل عنده كما يصلى عند عرشي فهنالك أستجيب دعاءك فانطلق آدم من أرض الهند الى ارض مكة لزيارة البيت وقيض الله له ملكا يرشده فكان كل موضع يضع عليه قدمه عمرانا وما تعداه مفاوز وقفارا فلما وقف بعرفات وكانت حواء طلبته وقصدته من جدة فالتقيا بعرفات يوم عرفة فسمي ذلك الموضع عرفات فلما انصرفا الى منى قيل لآدم تمن قال أتمني المغفرة والرحمة فسمي ذلك الموضع منى وغفر ذنبهما وقبل توبتهما ثم انصرفا الى ارض الهند قال مجاهد حدثني ابن عباس ان آدم حج من ارض الهند اربعين حجة على رجليه فقيل لمجاهد يا أبا الحجاج الا كان يركب قال واى شيء كان يحمله فوالله ان خطوته لمسيرة ثلاثة أيام وقال ابن عمر لما حج آدم عليه السلام البيت وقضى المناسك كلها تلقته الملائكة يهنؤنه بالحج وقبول التوبة فقالوا برحجك يا آدم فداخله من ذلك شيء فلما رأت الملائكة منه ذلك قالوا يا آدم انا حججنا هذا البيت قبلك بألفي عام فتقاصرت الى آدم نفسه (وقال) ابو العالية خرج آدم من الجنة ومعه عصا من شجرة الجنة وعلى رأسه تاج من شجر الجنة فلما صار الى الارض يبس ذلك الاكاليل وتحات الورقه فنبت منه أنواع الطيب فلذلك كان اصل كل طيب بالهند وقال ابن عباس رضي الله عنهما نزل آدم من الجنة ومعه طيب فزرع آدم شجر الهند في اوديتها وكان اصله من الجنة فامتلأ ماهنالك طيبا فمن ثم يأتى بالطيب من الهند واصله من ريح آدم عليه السلام وريحه من ريح الجنة وانزل الله معه الحجر الاسود وكان اشد بياضا من الثلج وعصا موسى عليه السلام وكانت من آس الجنة طولها عشرة اذرع على طول موسي وقيل كانت من البان (وروى) سفيان عن منصور بن معمر عن ربعي بن حراش عن حذيفة قال سمعت رسول الله صلى

الى الجبل واحتطب منه حطبا واحمله على رأسي وابيعه فى اسواق المسلمين وانفق ثمنه فقالت نعم الكسب الحلال احل ما اكل المرء من كسب يمينه ولكن ياعثمان لو صححت معاملة ذى الجلال واتكلت عليه حق الاتكال لكفاك حمل الاحطاب من رؤس الجبال ثم قالت ياعثمان اريد ان أريك كيف صححت معاملتي مع سيدي وصدق التوكل عليه فقلت بلى فبسطت يديها وهمهمت بشفتيها فاذا يداها مملوءتان دنانير فقالت خذ هذه انت ياعثمان فوالله ما طبع عليها اسم ملك ولا سلطان واعلم انك لو احببت مولاك لاغناك عن الخلق وكفاك ثم غابت عنى فلم ارها نفعنا الله تعالى بها آمين (وحكى عن بعض الصالحين رضى الله تعالى عنه انه قال) كنت ملاحا بنيل مصر اعدى من الجانب الشرقي الي الجانب الغربي فبينما انا يوم من الايام جالس في الزورق اذا انا بشيخ ذى وجه مشرق قد اقبل على وسلم على وقال تحملنى لله قلت نعم ثم قال ثانيا وتطعمنى لله قلت نعم فطلع الزورق فعديته الى

الله عليه وسلم يقول لما أهبط آدم من الجنة الى ارض الهند وعليه ذلك الورق الذى كان لباسه من الجنة
فيبس وتطاير بارض الهند فبقى شجر العود والصندل والمسك والعنبر والكافور من ذلك الورق فقالوا
يارسول الله المسك هو من الدواب ام من الشجر قال اجل انما هي دابة تشبه الغزال رعت من ذلك الشجر
فصير الله المسك فى سرتها فاذا رعت الربيع جعله الله مسكا وتساقط فينتفع به الآدميون قالوا يارسول
الله فاين يقع قال قال لى جبريل فى ثلاث كور لا يكون فى شىء من الارض الا فيها ارض الهند وارض
السعدى وارض التبت قالوا يارسول الله العنبر انما هي دابة فى البحر قال اجل كانت هذه الدابة بارض
الهند ترعى في البر فبعث الله اليها جبريل عليه السلام فساقها رماحها فقذفها في البحر وهي اعظم ما تكون
من الدواب غلظها الف ذراع وانما ترمى به كما ترمى البقر اخثاءها فربما يخرج من جوفها العنبرة الف رطل
وخمسمائة رطل ونحو ذلك ثم ان آدم وجد ضربانا في رأسه وجسده فشكا ذلك الى الله تعالى فنزل عليه
جبريل بشجرة الزيتون فامره ان ياخذ ثمرها ويعصره فقال ان فى هذه الشجرة شفاء من كل داء الا السام
ودله جبريل عليه السلام على شجرة الاهليلج الابيض والاسود والاصفر فقال له ان ربك يقرئك السلام
ويقول لك كل من هذه فانك لن تتداوي أنت وذريتك بدواء أفضل منها فيها شفاء من كل داء ان بقى
في جوفك لم تخف منه وان خرج اخرج الداء كله وابرأ فاكله آدم فبرئ (قال) اهل الاخبار ان آدم عليه
السلام لما أهبط الى الارض وأصاب جسده أذى الهواء واحس به اشتكى وحشة بجسده وكان قد
اعتاد هواء الجنة فشكا ذلك الى جبريل فقال انك تشكو العرى فانزل الله عليه ثمانية أزواج المذكورة
في سورة الانعام من الضأن اثنين ومن المعز اثنين ومن الابل اثنين ومن البقر اثنين ثم امره ان يذبح
كبشا منها فذبحه ثم اخذ صوفه فغزلته حواء ونسجه آدم فجعل منه جبة لنفسه وجعل لحواء درعا وخمارا
فلبساه وبكيا على مافاتهما من لباس الجنة فحواء اول من غزلت وآدم اول من نسج ولبس الصوف
(عن) ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس قال جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله
ماتقول في حرفتى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وما حرفتك فقال انا رجل حائك قال حرفتك
حرفة ابينا آدم عليه السلام وكان أول من نسج ادم وكان جبريل يعلمه وادم تلميذه ثلاثة ايام وان الله
عز وجل يحب حرفتك فانها حرفة يحتاج اليها الاحياء والاموات فمن قال منكم القبيح فابونا ادم
خصمه ومن أنف منكم فقد أنف من ادم ومن لعنكم فقد لعن ادم ومن اذاكم فقد اذي ادم وهو
خصمه يوم القيامة فلا تخافوا وأبشروا فان حرفتكم حرفة مباركة ويكون ادم قائدكم الي الجنة
(وعن) أبى امامه الباهلى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عليكم بلباس الصوف تجدون قلة
الاكل عليكم بلباس الصوف تعرفون به في الآخرة وان النظر في الصوف ليورث القلب التفكر
والتفكر يورث الحكمة والحكمة تجرى في الجوف مجرى الدم فمن كثر تفكره قل طعمه وكل
من قل تفكره كثر طعمه وعظم بدنه وقسا قلبه والقلب القاسى بعيد من الله بعيد من الجنة قريب
من النار قالوا ثم ان آدم عليه الصلاة والسلام بعد ستر عورته اشتكى فقال له جبريل ما الذى اصابك
فقال اجد فى نفسى قلقا واضطرابا لا اجد الى العبادة منه سبيلا وانى أجد بين لحمى وجلدى دبيبا
كدبيب النمل فقال له جبريل ذلك يسمى الجوع قال وكيف الخلاص من ذلك قال سوف اهديك
الى ذلك فغاب عنه ثم جاءه بثورين احمرين والعلاة يعني السندان والمطرقة والمنفخة والكلبتين
ثم جاءه بشرر من جهنم فوقع في يد آدم فطار منه شرارة فوقعت فى البحر فدخل جبريل اليها واتى بها
فدفعها الى آدم فطارت منه أيضا حتى فعل ذلك سبع مرات فذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم ان

الجانب الغربى فكان عليه
مرقعة وبيده عصا وركوة
فلما نزل قال اريد ان احملك
امانه قلت وماهي فقال
اذا كان في غد عند الظهر
تجدنى ميتا تحت تلك
الشجرة فغسلني وكفني فى
الكفن الذى تجده تحت
رأسى وصل على وادفني
تحت تلك الشجرة فان
قبرى بها فاذا فرغت من
امرى خذ هذه المرقعة
والركوة والعصا فاذا جاءك
من يطلبهم فادفعهم اليه قال
فتعجبت منه ثم تركني
ومضى فبت تلك الليلة
متفكرا فلما اصبحت
انتظرت الوقت الذي قال
عليه الشيخ فلما جاء وقت
الظهر نسيت فما الهمت
الا قريب العصر فسرت
اليه مسرعا فوجدته تحت
الشجرة ميتا ووجدت
كفنا تحت راسه تفوح منه
رائحة المسك قال فغسلته
وكفنته فيه وصليت عليه
وحفرت تحت الشجرة
فوجدت قبرا مبنيا مرخما
فدفنته فيه ثم عدت الي
موضعي ليلا والمرقعة
والركوة والعصا معي فلما
طلع الفجر وبان الجو اذا
انا بشاب قد اقبل
فحددت النظر اليه فعرفته
وكان من بعض صبيان
الملاهي يرقص ويغني
وعليه ثياب رقاق وهو

نارکم هذه جزء من سبعين جزءاً من نار جهنم بعد ان غسلت بالماء سبع مرات فلما جاء بها في الثامنة نطقت النار فقالت يا آدم اني لا اطيعك واني منتقمة من عصاة اولادك يوم القيامة فقال جبريل يا آدم انها لن تطيعك ولكني اسجنها لك ولاولادك ليكون لك ولاولادك فيها المنافع فسجنها في الحجر والحديد فذلك قوله تعالى أفرأيتم النار التي تورون أأنتم الآية و يروي أن آدم لما أخذ النار احترقت يده فخلى عنها فقال لجبريل ماله تحرق يدي ولا تحرق يدك قال لانك عصيت الله واني لم أعصه ثم أمره جبريل باتخاذ آلة الحرث فهو أول من عمل الحديد ثم أتاه بصرة من حنطة فيها ثلاث حبات من الحنطة فقال يا آدم لك حبتان ولحواء حبة فلذلك صار للذكر مثل حظ الانثيين وكان وزن الحبة مائة ألف درهم وثمانين ألف درهم فقال آدم ما أصنع بهذا كله فقال يا آدم خذها فانها سبب سد جوعتك وبها أخرجت من الجنة وبها تحيا في الدنيا و بها تلاقى الفتنة أنت وأولادك الى ان تقوم الساعة ثم أمره ان يشد الثورين و يكسر من الخشب و يضعه عليهما ففعل ذلك وجعل يحرث الارض عليهما فهو أول من حرث الارض و بكى الثوران على مافاتهما من راحات الجنة فقطرت دموعهما على الارض فنبت منها الجاورس و بالا فنبت منه الحمص وراثا فنبت منه العدس ثم كسر جبريل تلك الحبوب حتى كثرها ثم بذرها فنبتت من ساعته فقال آدم عليه الصلاة والسلام آكله فقال لا اصبر حتي يدرك فلما سنبل وأفرك قال آكله قال لا وعلمه الحصاد فلما حصد قال آكله قال لا وعلمه الدياس فلما داس قال آكله قال لا وعلمه التنقية فلما نقاه قال آكله قال لا وجاءه بحجرين وعلمه الطحن فلما طحنه قال آكله قال لا وعلمه العجن و يقال ان آدم عليه الصلاة والسلام لما نخل دقيقه فأمره جبريل ان يبث النخالة في الارض المستحصدة فنبت فيها الشعير فلما عجن قال آكله قال لا فأمره ان يحفر حفيرة و يضع الحطب فيها و يوقد عليها نارا ففعل ذلك ثم وضع عجينه عليه فخبز حتى جعله خبزة فهو أول من خبز فلما أخرجه قال آكله قال لا حتى يبرد فلما برد أكله فلما أكله دمعت عينا آدم عليه السلام وقال ماهذا التعب والنصب قال له هذا وعد الله الذي وعدك فذلك قوله تعالى ان هذا عدو لك ولزوجك فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى أما آن لك ان تأكل من كد يمينك وعرق جبينك أنت وذريتك فلما استوفى آدم من الطعام شكا من بطنه ولم يدر ماهو فشكا ذلك الى جبريل عليه السلام فقال ذلك العطش قال فبم أسكنه فغاب عنه ثم عاد اليه ومعه المعول وقال له احفر الارض فما زال يحفر حتى بلغ الى ركبتيه فنبع الماء من تحت رجليه ماء زلالا أبرد من الثلج وأحلى من العسل وقال يا آدم اشرب منه فشرب شربة فشربها فاطمأن ثم انه بعد ذلك وجد تشكيا أشد من الاول والثاني فقال لجبريل ماهذا الذي أجده قال لا أدري فبعث الله اليه ملكا ففتق قبله ودبره ولم يكن قبل ذلك للطعام مخرج فلما خرج منه ما آذاه ووجد ريحه بكى على ذلك سبعين سنة (قالوا) لما أنزل الله على آدم الحديد نظر الى قضيب من حديد نابت على الجبل فقال هذا من هذا فجعل يكسر اشجارا قد عتقت و يبست فاوقد على ذلك الحديد حتي ذاب وكان أول شيء ضرب منه مدية فكان يعمل بها ثم ضرب التنور الذي ورثه نوح عليه الصلاة والسلام وهو الذي فار بالعذاب بالهند (قالوا) لما أهبط الله تعالى آدم عليه الصلاة والسلام أخرج معه من الجنة قطعة من ذهب فلذلك يبقى الذهب لا يبلى بالثرى ولا يصدأ من الندى ولا تنقصه الارض ولا تأكله النار لانه من الجنة حمل (وقيل) ان الله تعالى زود آدم حين أهبطه الى الارض من الثمار ثلاثين نوعا عشرة منها في القشور وعشرة لها نوي وعشرة لا قشور لها ولا نوى فاما التي هي في القشور فالجوز واللوز والفستق والبندق والخشخاش والبلوط والشاهبلوط والنارنج والرمان والموز وأما التي لها نوى فالخوخ والمشمش والاجاص والعناب والفرسك والرطب والغبيراء والنبق والزعرور والمقل واما التي لا قشر لها ولا نوى فالتفاح والسفرجل والكمثري والعنب والتوت والتين والاترج

مخضوب الكفين وطاره تحت ابطه فدنا مني وسلم علي وقال لي انت فلان بن فلان قلت نعم فقال هات الامانة التي عندك وديعة لي فقلت وماهي فقال مرقعة وعصا وركوة فقلت ومن اين لك هذا فقال لا أدري الا أني كنت في عرس فلان بالامس وانا ارقص واغني الى ان اذن المؤذن فنمت لاستريح فبينما انا نائم اذا رجل قد ايقظني وقال لي قم ان الله سبحانه وتعالى قد قبض روح فلان الولي وجعلك مكانه فسر الى فلان ابن فلان فان الشيخ اودع لك عنده وديعة وهي مرقعة وعصا وركوة قال فاخرجتهم اليه فخلع ثيابه واغتسل في البحر وتوضأ ولبسها واعطاني اثوابه وقال تصدق بهذه الثياب ثم سار وتركني فلم ادر اين ذهب فاقمت يومي ابكي الى الليل فلما نمت رأيت رب العزة في المنام وهو يقول يا فلان أثقل عليك ان مننت على عبد من عبادي كان عاصيا وقبلته اذ ذلك فضلي اوتيه من شئت ورحمتي وسعت كل شيء (وحكى عن بعضهم رضي الله تعالى عنه) انه قال كنت ساكنا ببغداد وكان لي دويرة

والخرنوب والخيار والبطيخ (وقال) ابن جريج أهبط الله تعالى آدم عليه السلام ومعه آنية فيها بزرعريشة
من عنب وريحانه فغرس آدم العريش فلما طلعت جاء ابليس فسرق ثمرها فقال له آدم ويلك اخرجتني من
الجنة ولا تريد ان تجعل لى رزقا فقال له ان لى فيها حقا قال وما حقك قال نشوها ولكم سائرها (وقال) ابن عباس
هبط آدم من الجنة بثلاثة أشياء الآسة وهي سيدة رياحين الدنيا و بالسنبلة وهي سيدة طعام اهل الدنيا
و بالعجوة وهى سيدة ثمار الدنيا (وروى) ابن عباس وعائشة وأبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه
قال ان العجوة من غراس الجنة وفيها شفاء وانها ترياق أول البكرة وعليكم بالتمر البرني فكلوه فانه يسبح في
شجره و يستغفر لآكله (وقال) ابن عباس لما اهبط ادم الى الارض كان اول شيء اكله من الثمار التين وقال
كعب اول من ضرب الدينار والدرهم آدم وقال لا تصح المعيشة الا بهما وقال وهب بن منبه ان آدم لما اهبط
الى الارض ورأى سعتها ولم يرفيها احدا غيره فقال يارب أما لارضك هذه من عامر يسبحك و يحمدك
و يقدسك غيري قال الله تعالى سأجعل فيها من ولدك من يسبحني ويحمدني و يقدسني وسأجعل فيها
بيوتا ترفع بذكري و يسبح فيها خلقي و يذكر فيها اسمي وسأجعل من ولدك يا آدم من يعبدني حق عبادتي
وسأجعل من تلك البيوت بيتا أخصه بكرامتي وأوثره باسمي فاسميه بيتي وأنطقه بعظمتي وعليه وضعت
جلالي وأجعل ذلك البيت حرما يحرم بحرمته ما حوله وما فوقه وما تحته فمن حرمه بحرمته استوجب كرامتي
بذلك ومن أخاف اهله فقد خفر ذمتي وأباح حرمتي واستوجب بذلك عذابي وعقابي وسأجعل
هذا البيت أول بيت وضع للناس ببطن مكة مباركا يأتونه شعثا غبرا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق
يرجون بالتلبية رجيجا و يضجون بالبكاء ضجيجا و يعجون بالتكبير عجيجا فمن اعتمره لا يريد غيره فقد
وفد الي وزارني واستضافني فحق على الكريم ان يكرم وفده واضيافه وان يسعف كلا بحاجته يا آدم تعمره
مادمت حيا ثم تعمره الامم والقرون والانبياء من ولدك امة بعد امة وقرنا بعد قرن ثم ان الله تعالى مسح ظهر
آدم بيده واخرج منه كل نسمة هو خالقها الى يوم القيامة كالذر بنعمان من عرفة قرية بمكة ثم أخذ عليهم
الميثاق وكلمهم وقال الست بربكم قالوا بلى شهدنا ان تقولوا يوم القيامة انا كنا عن هذا غافلين وسئل عمر بن
الخطاب رضى الله عنه عن هذه الآية فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله خلق آدم ومسح
ظهره فاستخرج منه ذرية وقال خلقت هؤلاء للجنة و بعمل اهل الجنة يعملون ثم مسح ظهره فاستخرج
ذرية وقال خلقت هؤلاء للنار و بعمل اهل النار يعملون فقال رجل يارسول الله ففيم العمل فقال ان الله
تعالى اذا خلق العبد للجنة استعمله بعمل اهل الجنة فيدخل الجنة واذا خلق العبد للنار استعمله بعمل اهل
النار حتى يموت على ذلك فهو من اهل النار (وقال) وهب بن منبه رحمه الله اوحى الله الى آدم بعد
ما تاب عليه يا آدم انى أجمع لك العلم كله في أربع كلمات واحدة لى وواحدة لك وواحدة بيني و بينك
وواحدة فيما بينك و بين الناس فاما التي لى فتعبدني لا تشرك بى شيأ واما التي لك فاجزيك بعملك
أحوج ماتكون اليه واما التي بيني و بينك فمنك الدعاء ومني الاجابة واما التي بينك و بين الناس فان
ترضى لهم ماترضى لنفسك فقال آدم يارب شغلت بطالب المعيشة والرزق عن التسبيح والعبادة ولست
اعرف ساعات التسبيح في أيام الدنيا فاهبط الله تعالى اليه ديكا فأسمعه اصوات الملائكة بالتسبيح
فهو اول داجن اتخذه آدم من الخلق فكان الديك اذا سمع التسبيح في السماء سبح في الارض
فيسبح آدم بتسبيحه (و يروى) ان الله تعالى اوحى الى آدم لما اراد ان يهبطه الى الارض يا آدم انى
منزلك انت وذريتك دار مبنية على اربع قواعد اما الاولى فانى اقطع ما تصلون واما الثانية فانى افرق ما تجمعون
واما الثالثة فانى اخرب ماتبنون والرابعة اميت ما تلدون ولذلك قيل

خراب فاحتجت بناء
حائط سقطت منها
فخرجت الى موقف
البنائين لانظر رجلا لبناء
الحائط فنظرت الى شاب
نحيف ذى وجه نظيف
فجئت اليه ووقفت بين
يديه ثم قلت له ياحبيبي
اتريد الخدمة فقال نعم
فقلت سر على بركة الله
تعالى فقال بشرط اشترط
عليك فقلت وماهو قال
الاجرة درهم ودانق فقلت
نعم قال وان أذن المؤذن
تدعني اصلى مع الجماعة
فقلت نعم فسار معى الى
منزلى فخدم خدمة لم ار
مثلها ولا احسن منها
فذكرت له الغداء فقال لا
فعرفت انه صائم فلما جاء
وقت صلاة الظهر وسمع
الاذان قال الشرط
ياسيدي فقلت نعم فحل
حزامه وتوضأ وضوأ
مارأيت احسن منه ثم
خرج الى الصلاة
مع الجماعة فى المسجد
ثم عاد الى خدمته الى ان
سمع أذان العصر فقال
الشرط ياسيدى فقلت
له نعم فخرج وصلى العصر
مع الجماعة وعاد الى خدمته
فاتيت اليه وقلت له حبيبي
ان خدمة البنائين الى
العصر فما تستريح فقال
سبحان الله انما كانت
خدمتي الى الليل قال فلما

لدوا للموت وابنوا للخراب * وكلكموا يصير الى ذهاب

(الباب السابع في ذكر هبوط ابليس لعنه الله الى الارض وحاله فيها بعد اللعنة)

قال الله تعالى قال اهبطوا بعضكم لبعض عدو الآية (قال الشعبي) انزل ابليس من السماء عليه عمامة لبس تحت ذقنه منها شيء اعور في احدى رجليه نعل (وروى) ابن المبارك عن خالد عن حميد بن هلال انما كره ان يتخصر في الصلاة لان ابليس هبط متخصرا (وروى) حماد عن ثابت وحميد عن عبد الله بن عبيد بن عمير ان ابليس قال يارب اخرجتني من الجنة من أجل ادم واني لا استطيعه الا بسلطانك قال فانك مسلط عليه قال يارب زدني قال لا يولد له ولد الا ولد لك مثلاه قال يارب زدني قال صدورهم مساكن لك وتجرى منهم مجرى الدم قال يارب زدني قال اجلب عليهم بخيلك ورجلك وشاركهم في الاموال والاولاد وعدهم وما يعدهم الشيطان الا غرورا قال ادم يارب قد سلطته علي واني لا امتنع منه الا بك قال لا يولد لك ولد الا وكلت به من يحفظه من قرناء السوء قال يارب زدني قال الحسنة بعشر امثالها وازيدها والسيئة بمثلها واحدة وامحوها قال يارب زدني قال قل ياعبادي الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله الآية قال يارب زدني قال التوبة لا انزعها من ولدك ما كانت الروح فيهم قال يارب زدني قال اغفر ولا ابالي قال حسبي (وروى) ان ابليس قال يارب لعنتني واخرجتني من الجنة وجعلتني شيطانا رجيما مذموما مدحورا وبعثت في بني ادم الرسل وانزلت عليهم الكتب فما رسلي قال الكهنة قال فما كتبي قال الوشم قال فما حديثي قال حديثك الكذب قال فما قراني قال قراءتك الشعر قال فما مؤذني قال مؤذنك المزمار قال فما مسجدي قال مسجدك السوق قال فما بيتي قال بيتك الحمام قال فما طعامي قال طعامك ما لم يذكر اسمي عليه قال فما شرابي قال شرابك كل مسكر قال فما مصايدي قال مصايدك النساء (وروى) مقاتل وجويبر عن الضحاك عن ابن عباس ان ابليس لما اخرج من الجنة ألقى الله عليه الحرقة والغلمة فنكح نفسه فباض اربع بيضات فمنها ذريته (وروى) اسحق بن بشر عن محمد بن اسحق قال بلغني ان ابليس تزوج الحية التي دخل في فيها حين كلم ادم عليه السلام بعد ما اخرج من الجنة فمنها ذريته

(الباب الثامن في ذكر ما روى من الاخبار فيمن تراءى له ابليس فرآه عيانا وكلمه شفاها)

يروي ان ادم التقى بابليس في ارض فلاة فلامه على صنيعه وقال له ياملعون اى شيء هذا الذي احللت بي غررتني واخرجتني من الجنة وفعلت بي ما فعلت قال فبكى ابليس وقال يا ادم اني فعلت بك ما تقول وازلتك هذه المنزلة فمن فعل بي ما انا فيه واحلني هذه المنزلة (ويروى) ان ابليس تصور لفرعون في صورة الانس بمصر في الحمام فانكره فرعون فقال له ابليس ويحك أما تعرفني فقال لا قال وكيف وانت خلقتني الست القائل انا ربكم الاعلى (ويروي) ان سليمان عليه الصلاة والسلام سأل ابليس فقال اي الاعمال احب اليك وابغض الى الله تعالى فقال لولا منزلتك عند الله تعالى ما اخبرتك اني لست اعلم شيأ احب الي وابغض الى الله تعالى من استغناء الرجل بالرجل والمرأة بالمرأة (ويروى) عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ما من ادمي الا وقد عمل خطيئة أو هم بها الا يحيي بن زكريا فانه ما عمل خطيئة ولا هم بها ولقد قال رب ارني ابليس كما هو واعزم عليه ان لا يكتمني شيأ سألته عنه فاوحى الله تعالى الى ابليس ان ائت عبدي يحيي بن زكريا كما هبطت الى الارض ولا تكتمه شيأ يسألك عنه فاتاه وقال يا يحيي أنا ابليس امرني ربي ان آتيك كما هبطت الى الارض فنظر اليه يحيي فاذا على رأسه خطاطيف تطير وجفواه محفوفتان باكوار كور هنا وكور هنا وفي رجليه خلاخيل فقال ماهذه الخطاطيف التي تطير على رأسك قال بها أخطف عقول بني آدم قال فما هذه الخلاخيل التي في رجليك قال أحركها لبني آدم حتى يغني اويغني

جاء الليل أخرجت له درهمين فلما رآهما قال ماهذا قلت والله ياسيدى هما من بعض أجرتك لاجتهادك في خدمتك فرماهما الى وقال والله لا أزيد على ما بيني و بينك شيأ فرغبته فلم أقدر عليه فاخذ الدرهم والدانق وتوجه فلما كان الغد أتيت الى الموقف فلم أجده فسألت عنه فقيل لي انه لم يات هنا الا من السبت الى السبت فلما جاء السبت جئت اليه فوجدته فلما رآني تبسم فقلت له باسم الله على الشرط الذي تعلمه فقال نعم وسار معي فخدم يومه كما تقدم وزاد على ذلك فدفعت اليه الاجرة فاخذها وسار فلما كان السبت الثالث أتيت الموقف فلم أجده فسألت عنه فقيل لي انه ضعيف في خيمة فلانة وكانت امرأة عجوز لها خيمة في الجبانة وكانت مشهورة بالصلاح والعبادة قال فسرت اليها فوجدت الشاب بها وهو مضطجع على الارض وليس تحته شيء وتحت رأسه لبنة ووجهه يتهلل نورا قال فسلمت عليه فرد على السلام فقعدت عند رأسه ابكي على صغر سنه وغربته ثم قلت له حبيبي الك من حاجة فقال نعم

له قال فاي ساعة انت على ابن ادم اقدر قال حين يمتلئ شبعا وريا قال فهل وجدت في نفسي شيأ قال لا قال ولا على حال قال نعم قدم اليك طعامك ذات ليلة وكنت قد صمت فشهيته اليك حتي اكلت اكثر من عادتك فتثاقلت عن وردك وعادتك فقال يحيي لا جرم لا اشبع أبدا فقال ابليس لا جرم لا انصح ادميا ابدا * وقيل لما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخذوا في جهازه وخرج الناس وخلا الموضع قال ابن عباس قال علي بن أبي طالب رضى الله عنه لما وضعته صلى الله عليه وسلم على المغتسل اذا بهاتف يهتف من زاوية البيت يا علي لا تغسلوا محمدا فانه طاهر مطهر قال فوقع في قلبي من ذلك شيء وقلت ويلك من أنت فان النبي صلى الله عليه وسلم أمرنا بهذا وهذه سنته واذا بهاتف اخر يهتف باعلى صوته غسله يا علي فان الهاتف الاول كان الشيطان حسد محمدا صلى الله عليه وسلم ان يدخل قبره مغسلا قال علي جزاك الله خيرا قد أخبرتني أن ذلك ابليس فمن أنت قال أنا الخضر حضرت جنازة محمد صلى الله عليه وسلم (ويحكى) ان قوما من بني اسرائيل تراءى لهم ابليس فقالوا له قف موقفا كنت تقفه بين يدي الله تعالى حسبما كنت تقف قبل أن عصيت ربك فقال انكم لا تطيقون رؤية ذلك فالحوا عليه فوقف وقفة فلما نظروا اليه والى خشوعه وخضوعه ماتوا عن اخرهم (ويروي) ان رجلا كان يلعن ابليس كل يوم الف مرة فبينما هو ذات يوم نائم اذ اتاه شخص وأيقظه فقال قم فان الجدار هاهو يسقط فقال له من أنت الذي اشفقت على هذه الشفقة فقال له انا ابليس فقال كيف هذا وانا العنك كل يوم الف مرة فقال هذا لما علمت من محل الشهداء عند الله تعالى فخشيت ان تكون منهم فتنال معهم كما ينالون

(الباب التاسع في قصة قابيل وهابيل)

قال الله تعالى واتل عليهم نبأ ابني ادم بالحق اذ قربا قربانا الي اخر القصة قال اهل العلم بقصص النبيين واخبار الماضين ان حواء كانت تلد لآدم توأمين في كل بطن غلاما وجارية الا شيثا فانها ولدته منفردا وكان جميع من ولدته حواء اربعين من ذكر وأنثى في عشرين بطنا أولهم قابيل وتوأمته اقليما واخرهم عبد المغيث وتوأمته أم المغيث ثم كثرالله في نسل ادم كما قال يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة الآية (قال ابن عباس) لم يمت ادم حتى رأي من ولده وولد ولده اربعين الفا ورأي ادم فيهم الزنا وشرب الخمر والفساد واختلف العلماء في وقت مولد قابيل وهابيل فقال بعضهم غشي ادم حواء بعد مهبطهما الى الارض بمائة سنة فولدت له قابيل وتوأمته اقليما في بطن ثم هابيل وتوأمته لبودا في بطن واحد وقال محمد بن اسحق عن بعض أهل العلم بالكتاب الاول ان ادم كان يغشي حواء في الجنة قبل ان تهبطا الى الارض فحملت له بقابيل وتوأمته فلم تجد عليهما وحما ولا نصبا ولا طلقا حين ولدتهما لطهارة الجنة فلما هبطا الى الارض واطمانا بها تغشاها فحملت بهابيل وتوأمته لبودا فوجدت فيهما الوحم والنصب والطلق والدم حتى اذا شب أولاده زوج غلام هذا البطن جارية البطن الآخر وزوج جارية هذا البطن غلام البطن الآخر وكان الرجل منهم يتزوج اى اخواته شاء الا توأمته التي ولدت معه فانها لا تحل له وذلك انه لم يكن نساء يومئذ الا اخواتهم وامهم حواء فلما ولد قابيل وتوأمته اقليما في بطن واحد وهابيل وتوأمته لبودا في بطن واحد وكان بينهما سنتان في قول الكلبي وادركوا امر الله تعالى ادم ان ينكح لبودا اخت هابيل قابيل وينكح هابيل اقليما اخت قابيل وكانت اخت قابيل من أجمل النساء وأحسنهن خلقا فذكر ادم ذلك لولده هابيل فرضي وسخط قابيل وقال هي اختي ولدت معي في بطن وهي احسن من اخت هابيل فانا أحق بها ونحن من اولاد الجنة وهما من أولاد الارض فانا أحق باختي فقال له ابوه انها لا تحل لك فابى ان يقبل ذلك منه وقال ان الله تعالى لم يأمره بذلك وانما هو من رأيه فقال لهما آدم قربا قربانا فايكما يقبل قربانه فهو احق بها (وقال معاوية بن عمار) سألت

اذا كان في غد تاتي ههنا عند الضحى تجدني ميتا فغسلني وكفني في هذه الخيمة واحفر قبري بها ولا تعلم بذلك احدا وافتق جيب هذه الجبة واخرج مافيها وامسكه عندك فاذا دفنتني وفرغت من امري فصل الى هرون الرشيد وادفع له ماتجده في الجيب واقرئه مني السلام قال فلما كان الغد وصلت الى تلك الخيمة فوجدته قد مات رحمة الله تعالى عليه قال فتاسفت عليه أسفا شديدا ثم أخذت في غسله وتجهيزه وكفنته وصليت عليه في الخيمة وحفرت قبره بها كما قال ثم فتقت جيبه فرأيت فيه ياقوتة تساوي الف دينار قال فتعجبت من ذلك وقلت والله لقد زهد في الدنيا كل الزهد قال فلما فرغت من امره وانصرفت من عنده انتظرت خروج هرون الرشيد فلما خرج في موكبه تعرضت له في بعض الطريق ودفعت اليه الياقوتة فلما راها خر مغشيا عليه فاحتوشتني الخدمة وداروا بي فلما افاق قال خلوا عنه ثم اخذ بيدي ومضي بي الى مجلسه وقال ياأخي ما فعل الله بصاحب هذه الياقوتة فقلت له مات

جعفر الصادق اكان آدم زوج ابنته من ابنه فقال معاذ الله لو فعل ذلك آدم لما رغبت عنه رسول الله صلى الله
عليه وسلم ولا كان دين آدم الا دين نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى اهبط آدم وحواء الى الارض
وجمع بينهما وولد له بنت فسماها عناق فبغت وهى اول من بغى في الارض فسلط الله عليها من قتلها فولد لآدم
على أثرها قابيل ثم ولد له هابيل فلما أدرك قابيل أظهر الله تعالى جنية من الجن يقال لها عمالة في صورة انسية
وخلق لها رحما وأوحى الله الى آدم ان زوجها من قابيل فزوجها منه فلما أدرك هابيل اهبط الله الى آدم
حوراء في صورة انسية وخلق لها رحما وكان اسمها تركة فلما نظر اليها هابيل ورمقها أوحى الله الى آدم
أن زوجها من هابيل ففعل فقال قابيل يا أبي الست أكبر من أخي وأحق بما فعلت به منه فقال يا بني ان الفضل
بيد الله يؤتيه من يشاء فقال لا ولكن آثرته على بهواك فقال له ان كنت تريدان تعلم ذلك فقربا قربانا فأيكما
يقبل قربانه فهو أولى بها من صاحبه قالوا وكانت القرابين حينئذ اذا قبلت نزلت نار من السماء فأكلها
واذا لم تقبل لم تنزل نار لا كلها وتأكلها السباع فخرجا ليقربا وكان قابيل صاحب زرع فقرب صبرة من
الطعام من أردأ زرعه وأضمر في نفسه ما أبالى أيقبل مني ام لا لا يتزوج اختى ابدا وكان هابيل راعيا صاحب
ماشية فقرب كبشا سمينا من خيار ماشيته ولبنا وزبدا وأضمر فى نفسه الرضا بالله والتسليم لامره
وقال اسمعيل بن رافع ان هابيل نتج له كبش فى غنمه فلما كبر لم يكن له مال أحب اليه منه وكان يحمله على
ظهره فلما أمر بالقربان قربه قال فوضعا قربانهما على الجبل فنزلت نار من السماء فأكلت الكبش والزبد
واللبن ولم تأكل من قربان قابيل حبة لانه لم يكن بزاكى القلب وقبل قربان هابيل لانه كان زاكى القلب
فمازال الكبش يرتع فى الجنة حتى فدى به ابن ابراهيم فذلك قوله تعالى فتقبل من أحدهما ولم يتقبل
من الاخر الى قوله من المتقين فنزلوا عن الجبل وتفرقوا وقد غضب قابيل لما رد الله قربانه وظهر فيه
الحسد والبغي وكان يضمرهما قبل ذلك في نفسه الى ان أتى مكة ايزور البيت فلما أراد ان يأتى مكة قال للسماء
احفظى ولدى بالامانة فأبت فقال ذلك للارض والجبال فأبيا فقال ذلك لقابيل فقال نعم ترجع وتراه كما
يسرك فرجع آدم وقد قتل قابيل هابيل فذلك قوله تعالى انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال
فأبين ان يحملنها واشفقن منها وحملها الانسان انه كان ظلوما جهولا يعني قابيل حين حمل أمانة ابيه ثم خانه
قالوا فلما غاب آدم أتى قابيل الى هابيل وهو في غنمه فقال لاقتلنك قال ولم قال لان الله قبل قربانك ولم يقبل
قرباني وتنكح أختي الحسناء وانكح اختك الذميمة فيتحدث الناس انك خير مني وافضل ويفتخر ولدك
علي ولدي فقال له هابيل وما ذنبى انما يتقبل الله من المتقين لئن بسطت الي يدك لتقتلني ما أنا بباسط يدي اليك
لاقتلك انى أخاف الله رب العالمين (قال) عبدالله بن عمران المقتول كان اشد ولكنه منعه التحرج ان يبسط
الى أخيه يده قال الله تعالى فطوعت له نفسه قتل أخيه فقتله الآية أى طاوعته وساعدته فقتله قال السدى
لما قصد قابيل قتل هابيل زاغ هابيل في رؤس الجبال ثم اتاه يوما من الايام وهو نائم فرفع صخرة فشدخ
بها رأسه فمات وقال ابن جريج لم يدر قابيل كيف يقتل اخاه فتمثل له ابليس وأخذ طيرا فوضع رأسه على
حجر ثم شدخه بحجر آخر وكان لهابيل يوم قتل عشرون سنة واختلفوا في مصرعه وموضع قتله فقال ابن
عباس على جبل نود وقال بعضهم على عقبة حراء وحكى محمد بن جرير الطبرى قال جعفر الصادق بالبصرة فى
موضع المسجد الاعظم فلما قتله تركه ولم يدر ما يصنع به لانه كان اول ميت على وجه الارض من بنى آدم
فقصدته السباع فحمله في جراب على ظهره سنة حتى تروح وعكفت عليه الطير والسباع ينظرون ان يرمى به
فتأكله فبعث الله غرابين فاقتتلا فقتل احدهما صاحبه ثم حفر له بمنقاره ورجليه حتى مكن له فى الارض ثم
القاه في الحفرة وواراه وقابيل ينظر اليه فلما رأى ذلك قال يا ويلتي اعجزت أن أكون مثل هذا الغراب فأواري

الى رحمة الله تعالى ثم
وصفت له كل ما كان منه
قال فجعل الرشيد يبكى
و يقول انتفع الولد وخاب
الوالد ثم نادى يا فلانه
فجاءت امرأة كانها
حورية فلما رأتني ارادت
ان ترجع فقال لها الرشيد
ادخلى فدخلت وسلمت
فرمي لها الياقوتة فلما رأتها
صاحت صيحة وغشى
عليها فلما افاقت قالت
ياامير المؤمنين ما فعل
بولدي صاحب هذه
الياقوته فقال لى صف لها
صفته وقص عليها قصته
قال فقصصت عليها ما كان
منه فجعلت تبكى وتقول
ماشوقني اليك باقرة عيني
ليتني ما كنت اسقيك اذ لم
تجد ساقيا وانيسة لك اذ لم
تجد مؤنسا ثم بكت بكاء
شديدا فقال لى امير
المؤمنين ياأخى هذا ولدي
كان مني قبل ولايتى هذا
الامر فكان يتردد على
العلماء و يجالس الصلحاء
فلما وليت هذا الامر نفر
عني وتباعد مني فقلت لامه
هذه ان ولدك انقطع الى الله
سبحانه وتعالى فلا بدان
تصيبه الشدائد ومكابدة
الاحزان فادفعي اليه هذه
الياقوته لينتفع بها عند
الاحتياج اليها فدفعتها له
فحرمت عليه ان يمسكها
فغاب عنا حديثه الى ان

سوأة أخي فاصبح من النادمين يعني على حمله لا على قتله وروى عن الازرعى قال حدثني المطلب عبد الله بن المخزومى لما قتل بن آدم اخاه رجفت الارض بما عليها سبعة أيام ثم شربت الارض دمه كما تشرب الماء فناداه ابن أخوك هابيل قال ما أدرى ما كنت عليه رقيبا فقال الله تعالى ان دم أخيك ليناديني من الارض فلم قتلت أخاك قال فابن دمه ان كنت قتلته فحرم الله على الارض من يومئذ أن تشرب دما بعده ابدا (وعن) الضحاك عن ابن عباس قال لما قتل قابيل هابيل وآدم بمكة اشتاك الشجرة وتغيرت الاطعمة وتحمضت الفواكه ومر الماء وأغبرت الارض فقال آدم قد حدث في الارض حدث فأتى الهند فاذا قابيل قد قتل هابيل فانشأ يقول وهو أول شعر قيل

تغيرت البلاد ومن عليها * فوجه الارض مغبر قبيح
تغير كل ذى طعم ولون * وقل بشاشة الوجه الصبيح

(وروى) عن ابن عباس انه قال من قال ان آدم قال الشعر فقد كذب على الله ورسوله ورمى آدم بالمأثم وان محمدا صلى الله عليه وسلم والانبياء كلهم في النهى عن الشعر سواء قال الله تعالى وما علمناه الشعر وما ينبغي له ولكن لما قتل قابيل هابيل رثاه آدم وهو سرياني وانما يقول الشعر من تكلم بالعربية فلما قال آدم مرثيته في ابنه هابيل وهو أول شهيد على وجه الارض قال آدم لشيث يا بني انك وصيي فاحفظ هذا الكلام ليتوارثه الناس فلم يزل ينقل حتى وصل الى يعرب بن قحطان بن هود عليه السلام وكان يتكلم بالسريانية والعربية وهو أول من ركب الخيل وتكلم بالعربية وقال الشعر فنظر في المرثية فاذا هو سجع فقال ان هذا ليقوم شعرا فرد المقدم الى المؤخر والمؤخر الى المقدم فوزنه شعرا فما زاد فيه ولا نقص حرفا من ذلك فقال

تغيرت البلاد ومن عليها * فوجه الارض مغبر قبيح
تغير كل ذي طعم ولون * وقل بشاشة الوجه الصبيح
وقابيل اذاق الموت هابيل * فواحزنا لقد فقد المليح
ومالي لا أجود بسكب دمع * وهابيل تضمنه الضريح
وجاءت شعلة ولها رنين * لهابيلها وقابيلها يصيح
لقتل ابن النبي بغير جرم * فقلبي عند قتلته جريح
وجاورنا لعين ليس يفني * عدو لا يموت فنستريح

(وقالت حواء)

دع الشكوى فقد هلكا جميعا * بموت ليس بالثمن الربيح
وما يغني البكاء عن البواكى * اذا ما المرء غيب في الضريح
فابك النفس وانزل عن هواها * فلست مخلدا بعد الذبيح

فاجابهما ابليس لعنه الله شامتا بهما

تنح عن البلاد وساكنيها * ففى الجنات ضاق بك الفسيح
وكنت بها وزوجك في رخاء * وقلبك من أذى الدنيا مريح
فما زالت مكايدتي ومكرى * الى ان فاتك الثمن الربيح
فلولا رحمة الجبار أضحي * بكفك من جنان الخلد ريح

(وقال) سالم بن ابى الجعد لما قتل قابيل هابيل مكث آدم مائة سنة لا يضحك ثم أتى فقيل له حياك الله واضحكك ولا ابكاك قال ولما مضى من عمر آدم مائة وثلاثون سنة وذلك بعد ما قتل قابيل هابيل بخمس سنين

رمى لنا دنيانا وإلقى الله تعالى تقيا نقيا ثم قال يا اخي ارني قبره قال فخرجت به الى قبره فبكى بكاء طويلا وسالني الصحبة فقلت له يا امير المؤمنين ان لى في ولدك عظة وعبرة ثم مضيت من عنده حزينا على ذلك الشاب رحمه الله تعالى ورضي عنه (وحكى عن الاصمعى رضى الله تعالى عنه انه قال) حججت سنه من السنين الى بيت الله الحرام وزيارة النبي عليه افضل الصلاة والسلام فبينما انا في الطريق اذا رجل اعرابي بيده سيف عريض ورمح طويل كان يقطع بهما الطريق لاخذ اسباب المسلمين واموالهم فلما دنا مني اراد ان ياخذ ثيابى فاسرعت نحوه وسلمت عليه فرد على السلام ثم قال من اين الرجل فقلت له فقير وعابر سبيل فقال ماصناعتك فقلت اقرأ القرآن واعلمه لاطفال المسلمين فقال وما يكون القرآن فقلت كلام الله عزوجل فقال اولله كلام فقلت له نعم فقال الاعرابى فانشدني من كلامه بيتا قال الاصمعي فقرأت بسم الله الرحمن الرحيم وفى السماء رزقكم وما توعدون فرمى الاعرابي سيفه ورمحه وقال تبا لقاطع طريق

ولد له شيث وتفسيره هبة الله يعني انه خلف الله من هابيل وعلمه الله ساعات الليل والنهار وعبادة الخالق في كل ساعة منها وانزل الله عليه خمسين صحيفة وكان وصي آدم وولي عهده وأما قابيل فقيل له اذهب فذهب طريدا شريدا فزعا مرعوبا لا يأمن من رآه فاخذ بيد أخته اقليما وذهب بها الى عدن من أرض اليمن فاتى اليه ابليس وقال له انما أكلت النار قربان أخيك لانه كان يخدم النار ويعبدها فانصب أيضا أنت نارا تكون لك ولعقبك فبنى بيت النار فهو أول من نصب النار وعبدها قال وكان لا يمر بواحد من ولده الا رماه وكان لقابيل ولد أعمى ومعه ابن له فقال ابن الاعمى لابيه هذا أبوك قابيل فرمى الاعمى اباه قابيل فقتله قال فقال ابن الاعمى انه أبوك فرفع يده فلطمه فمات فقال الاعمى ويل لي قتلت أبي برميتي وقتلت ابني بلطمتي قال مجاهد فعلقت احدى يدي قابيل الى فخذها وساقها وعلقت من يومئذ الى يوم القيامة ووجهت الى الشمس حيثما دارت وعليه في الصيف حظيرة نار وفي الشتاء حظيرة ثلج قالوا واتخذ أولاد قابيل آلات اللهو من أنواع الطبول والمزامير والطنابير وانهمكوا في اللهو وشرب الخمر والزنا وعبادة النار والاوثان والفواحش حتى أغرقهم الله بالطوفان في زمن نوح عليه السلام وبقي نسل شيث عليه السلام والله اعلم

(الباب العاشر في ذكر وفاة آدم عليه السلام)

ذكر أهل التاريخ وأصحاب الاخبار ان آدم عليه السلام مرض قبل موته أحد عشر يوما وأوصى الى ابنه شيث وكتب وصيته ودفعها الى شيث وأمره ان يخفي ذلك من ولد قابيل لان قابيل كان قد قتل هابيل حسدا منه له حين خصه آدم بتزويج اخته اقليما فخاف عليه أيضا ان يقتله حين خصه آدم بالعلم فاخفى شيث وولده ما عندهم من الوصية فلم يكن عند قابيل وولده علم ينتفعون به * وروى ابو هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال اخرج الله ذرية آدم من ظهره فجعل يعرضهم على آدم فاذا قوم عليهم النور فقال يارب من هؤلاء الذين عليهم النور قال هؤلاء الانبياء والرسل واذا فيهم رجل يزهو وهو أضوأهم نورا فقال يارب من هذا فقال ذلك داود فقال يارب كم عمره قال ستون سنة قال يارب زده في عمره قال لا الا ان تزيده أنت من عمرك فقد جف القلم باعمار بني آدم وكان عمر آدم الف سنة فوهب له من عمره اربعين سنة فكتب الله عليه بذلك كتابا وأشهد عليه الملائكة فلما مضى من عمره تسعمائة وستون سنة جاء اليه ملك الموت ليقبضه فقال آدم عجلت علي ياملك الموت قال ما فعلت بل انت استوفيت أجلك قال آدم قد بقي من عمري اربعون سنة قال انك قد وهبتها لابنك داود قال ما فعلت ولا وهبت له شيأ فانزل الله الكتاب وأقام الملائكة شهودا ثم ان الله أكمل لآدم الف سنة وأكمل لداود مائة سنة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نسي آدم فنسيت ذريته وجحد فجحدت ذريته فامر الله بالكتاب والشهود من يومئذ (قال) ابن اسحق وغيره ثم ان آدم مات واجتمعت عليه الملائكة لانه صفي الرحمن فدفنته الملائكة وشيث واخوته في مشارق الفردوس عند قرية هي اول قرية كانت في الارض وكسفت عليه الشمس والقمر ستة أيام بلياليهن فلما اجتمعت عليه الملائكة بعث الله اليه بحنوط وكفن من الجنة ووليت الملائكة غسله ودفنه فغسلته بالسدر والماء وترا وكفنوه في ثلاثة ثياب ثم لحدوا له ودفنوه ثم قالوا هذه سنة ولد آدم من بعده قال ابن عباس فلما مات آدم قال شيث لجبريل صل على آدم فقال له جبريل تقدم انت فصل على ابيك فصلى عليه وكبر ثلاثين تكبيرة فاما خمس فهي الصلاة وأما خمس وعشرون فهي تفضيل لآدم * وقد اختلف في موضع قبره فقال ابن اسحق في مشارق الفردوس وقال غيره دفن بمكة وقيل في غار ابي قبيس وهو غار يقال له الغار الكبير (وروى) ابو صالح عن ابن عباس انه قال مات آدم على جبل نود بالهند وقال ابن عباس لما كان أيام الطوفان حمل نوح تابوت ادم في السفينة فلما خرج من السفينة دفن آدم ببيت المقدس وكانت وفاة آدم يوم الجمعة وعاشت حواء بعده سنة ثم ماتت فدفنت مع آدم عليهما السلام والله اعلم

وخاف سبيل رزقه في السماء ويطلبه في الارض ثم تاب الى الله تعالى وعاهده ان لا يعود الى ما كان فيه قال الاصمعي ففرحت بذلك فرحا شديدا فلما كان العام الثاني خرجت حاجا الى بيت الله الحرام فبينما انا طائف بالبيت اذ رجل عليه سيما الخير والصلاح قد اقبل نحوي وسلم علي وقال الست صاحبي بالعام الماضي فقلت نعم فقال انشدني من كلام الله عز وجل بيتا ثانيا قال الاصمعي فقرأت عليه فورب السماء والارض انه الحق مثل ما انكم تنطقون قال فرفع الاعرابي راسه وقال يا اصمعي وما الذي الجاه الي هذا القسم ثم خر مغشيا عليه فحركته فاذا هو قد مات رحمة الله تعالى عليه ونفعنا به امين (وحكى عن بعضهم رضي الله تعالى عنه) انه قال بينما النبي صلى الله عليه وسلم في الطواف اذ سمع اعرابيا يقول يا كريم فقال النبي صلى الله عليه وسلم خلفه يا كريم فمضى الاعرابي الي جهة الركن اليماني وقال يا كريم فقال النبي صلى الله عليه وسلم خلفه يا كريم فمضى الاعرابي الى جهة الميزاب وقال يا كريم فقال النبي صلى الله عليه وسلم

﴿باب فى الخصائص التى خص الله بها آدم عليه السلام﴾

قال الاستاذ خلق الله ادم بيده ونفخ فيه من روحه وجعله خاتمة خلقه وخلقه فى أحسن صورة واقسم عليه فقال عز من قائل والتين والزيتون وطور سينين وهذا البلد الامين لقد خلقنا الانسان في أحسن تقويم ولقنه الحمد حين عطس ثم قال له يرحمك ربك فسبقت له رحمته غضبه واسكنه بعد خلقه الجنة بلا عمل واباح له جميع الجنة الا شجرة واحدة وعلمه الاسماء كلها وأمر ملائكته بالسجود له وامره بالتلقين وجعله أبا البشر وجعله خليفته في الارض وعرف الملائكة فضله عليها وامن ابليس من اجله مع كثرة عبادته وعاتب الملائكة بسببه وهو اول حامد واول تائب واول مجتبي واول مصطفى واول خليفة الله في الارض وهو المميز للارواح الخبيثة من الطيبة وهو الباعث يوم القيامة فبعث النار من ذريته فهذه ثلاث وعشرون خصلة من خصائصه صلى الله عليه وسلم وشرف وكرم والله اعلم

«مجلس في ذكر النبي ادريس عليه السلام»

قال الله تعالى واذكر فى الكتاب ادريس انه كان صديقا نبيا (قال) اهل العلم باخبار الماضين وقصص النبيين هو ادريس بن برد وقيل يارد بن مهلائيل بن قنين بن أنوش بن شيث بن ادم واسمه اخنوخ وسمى ادريس لكثرة درسه الكتب وصحف ادم وشيث وأمه اشوت وكان ادريس اول من خط بالقلم وأول من خاط الثياب ولبس الخيط واول من نظر في علم النجوم والحساب بعثه الله الى ولد قابيل ثم رفعه الى السماء وكان سبب رفعه الي السماء على ما قاله بن عباس واكثر الناس انه سار ذات يوم فاصابه وهج الشمس فقال يارب انى مشيت في الشمس يوما فتاذيت فكيف بمن يحملها خمسمائة عام في يوم واحد اللهم خفف عنه ثقلها واحمل عنه حرها فلما اصبح الملك وجد من خفة الشمس وحرها ما لا يعرف فقال يارب خففت عني حر الشمس فما حال الذى قضيت على فيه فقال تعالى ان عبدى ادريس سالنى ان اخفف عنك ثقلها وحرها فاجبته الى ذلك فقال يارب اجمع بيني وبينه واجعل بيني وبينه خلة فاذن الله له فكان ادريس يساله وكان مما ساله ان قال اخبرت انك اكرم الملائكة على ملك الموت وامكنهم عنده فاشفع لى اليه ليؤخر اجلى فازداد شكرا وعبادة فقال الملك لا يؤخر الله نفسا اذا جاء اجلها قال قد علمت ذلك ولكنه أطيب لنفسي فقال انا مكلمه لك وما كان يستطيع ان يفعل لاحد من بنى آدم فهو فاعله لك ثم حمله الملك على جناحه حتى رفعه الى السماء ووضعه عند مطلع الشمس ثم انه اتى الى ملك الموت فقال له لى اليك حاجة فقال له افعل لك كل شىء أستطيعه فقال لى صديق من بنى آدم تشفع بى اليك لتؤخر أجله فقال ليس ذلك الى ولكن ان أحببت أعلمته اجله ومتى يموت فيتقدم فى نفسه قال نعم فنظر في ديوانه فاخبره باسمه وقال انك كلمتني في انسان ما أراه يموت أبدا قال وكيف ذلك قال انى لاجده يموت عند مطلع الشمس قال فانى أتيتك وتركته هناك فقال له فانطلق فلا أراك تجده الا وقد مات والله ما بقى من أجل ادريس شيء فرجع الملك فوجده ميتا (قال وهب) كان يرفع له كل يوم من العبادة مثل ما يرفع لاهل الارض جميعهم في زمانه فتعجبت منه الملائكة واشتاق اليه ملك الموت فاستاذن الله فى زيارته فاذن له فاتاه في صورة بنى آدم وكان ادريس يصوم الدهر فلما كان وقت افطاره دعاه الى طعامه فابى ان ياكل وفعل ذلك ثلاث ليال فانكره وقال له فى الليلة الثالثة انى أريد أن أعلم من أنت قال أنا ملك الموت استاذنت ربى أن أزورك وأصاحبك فاذن لى في ذلك فقال له ادريس لى اليك حاجة قال وما هى قال اقبض روحي فاوحي الله تعالي اليه ان اقبض روحه فقبض روحه ثم ردها الله عليه بعد ساعة فقال له ملك الموت فما الفائدة في سؤالك قبض الروح قال لاذوق كرب الموت وغمه فاكون له أشد استعدادا ثم قال لى اليك حاجة أخرى قال وما هى قال ترفعنى الى السماء لانظر اليها والى الجنة فاذن له فى ذلك

خلقه يا كريم فالتفت الاعرابى الى النبى صلى الله عليه وسلم وقال يا صبيح الوجه يا رشيق القد اتهزأ بى لكونى اعرابيا والله لولا صباحة وجهك ورشاقة قدك لشكوتك الى حبيبى محمد صلى الله عليه وسلم قال فتبسم النبى صلى الله عليه وسلم وقال اما تعرف نبيك يا اخا العرب فقال الاعرابى لا فقال النبي صلى الله عليه وسلم فما ايمانك به فقال آمنت بنبوته ولم أره وصدقت برسالته ولم ألقه فقال النبي صلى الله عليه وسلم يا اعرابى اعلم انى نبيك في الدنيا وشفيعك فى الآخرة قال فاقبل الاعرابى يقبل قدمى النبي صلى الله عليه وسلم فقال صلى الله عليه وسلم مه يا أخا العرب لا تفعل بى كما تفعل الاعاجم بملوكها فان الله سبحانه وتعالى بعثنى لا متكبرا ولا متجبرا بل بعثني بالحق بشيرا ونذيرا قال فهبط جبريل على النبي صلى الله عليه وسلم وقال له يا محمد السلام يقرئك السلام ويخصك بالتحية والاكرام ويقول لك قل للاعرابى لا يغرنه كرمنا ولا حلمنا فغدا نحاسبه على القليل والكثير والفتيل والقطمير فقال الاعرابى

فلما قرب من النار قال لي إليك حاجة قال وما تريد قال تسأل مالكا يفتح لي أبواب النار حتى اردها ففعل ذلك ثم قال فكما أرتني النار فأرني الجنة فذهب به الى الجنة فاستفتحها ففتحت له أبوابها فدخلها فقال له ملك الموت اخرج لتعود الى مقرك فتعلق بشجرة وقال لا أخرج منها فبعث الله ملكا حكما بينهما فقال له الملك مالك لا تخرج قال لان الله تعالى قال كل نفس ذائقة الموت وقد ذقته وقال تعالى وان منكم الا واردها وقد وردتها وقال تعالى وما هم منها بمخرجين فلست أخرج فقال الله تعالى لملك الموت دعه فانه باذني دخل الجنة وبامري لا يخرج فهو حي هناك فتارة يعبد الله في السماء الرابعة وتارة يتنعم في الجنة والله أعلم

(قصة هاروت وماروت)

قال تعالى واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان الآية قال أهل التفسير ان الشياطين كتبوا السحر والنيرنجات على لسان آصف في مدة زوال ملك سليمان هذا ما علم آصف بن برخيا سليمان الملك ثم دفنوها تحت مصلاه ولم يشعر بذلك سليمان فلما مات استخرجوها من تحت مصلاه وقالوا للناس ما ملككم سليمان الا بهذه قال السدى وذلك ان شيطانا تمثل على صورة انسان فأتى نفرا من بني اسرائيل فقال هل أدلكم على كنز لا ينفد أبدا قالوا نعم قال فاحفروا تحت كرسي سليمان وذهب معهم فأراهم المكان وقام ناحية فقالوا له ادن فقال لا ولكني ههنا فان لم تجدوه فاقتلوني وذلك انه لم يكن احد من الشياطين يدنو من الكرسي الا احترق فحفروا فوجدوا تلك الكتب فلما أخرجوها قال الشيطان ان سليمان كان يضبط الجن والانس والشياطين والطير بهذا ثم طار الشيطان وذهب فأما علماء بني اسرائيل وصلحاؤهم فقالوا معاذ الله ان يكون هذا علم سليمان فان كان هذا علمه فقد هلك سليمان وأما الجهال والسفلة فاقبلوا على تعلمه ورفضوا كتب أنبيائهم فانزل الله هذه الآية اظهارا لعذر سليمان وبيانا لبراءته فهذه قصة الآية

(وأما قصة هاروت وماروت)

فقال المفسرون ان الملائكة لما رأوا ما يصعد الى السماء من أعمال بني آدم الخبيثة وذنوبهم الكثيرة وذلك في زمن ادريس النبي عليه السلام عيروهم بذلك وأنكروا عليهم وقالوا هؤلاء الذين جعلتهم خلفاء في الارض واخترتهم فهم يعصونك فقال تعالى لو أنزلتكم الى الارض وركبت فيكم ما ركبت فيهم لفعلتم مثل ما فعلوا قالوا سبحانك ربنا ما كان ينبغي لنا ان نعصيك قال الله تعالى اختاروا ملكين من خياركم أهبطهما الى الارض فاختاروا هاروت وماروت وكانا من أصلح الملائكة وأعبدهم قال الكلبي قال الله تعالى اختاروا ثلاثة منكم فاختاروا عزا وهو هاروت وعزابيا وهو ماروت وعزرائيل وانما غير اسمهما لما اقترفا الذنب كما غير الله اسم ابليس وكان اسمه عزازيل فركب الله تعالى فيهم الشهوة التي ركبها في بني آدم واهبطهم الى الارض وأمرهم أن يحكموا بين الناس بالحق ونهاهم عن الشرك والقتل بغير الحق والزنا وشرب الخمر فأما عزرائيل فانه لما وقعت الشهوة في قلبه استقال ربه وسأله أن يرفعه الى السماء فاقاله ورفعه وسجد أربعين سنة ثم رفع رأسه ولم يزل بعد ذلك مطأطئا رأسه حياء من الله تعالى وأما الآخران فانهما ثبتا على ذلك يقضيان بين الناس يومهما فاذا امسيا ذكرا اسم الله تعالى الاعظم وصعدا الى السماء قال قتادة فما مر عليهما شهر حتى افتتنا وذلك انه اختصم اليهما ذات يوم الزهرة وكانت من أجمل النساء قال علي رضي الله عنه كانت من اهل فارس وكانت ملكة في بلدها فلما رأياها اخذت بقلوبهما فراوداها عن نفسها فأبت وانصرفت ثم عادت في اليوم الثاني ففعلا مثل ذلك فقالت لا الا ان تعبدا ما اعبد وتصليا لهذا الصنم وتقتلا النفس وتشربا الخمر فقالا لا سبيل الى هذه الاشياء فان الله قد نهانا عنها فانصرفت ثم عادت في اليوم الثالث ومعها قدح من خمر وفي نفسها من الميل اليهما ما فيها فراوداها عن نفسها فأبت

وعرضت

أو يحاسبني ربي يا رسول الله قال نعم يحاسبك ان شاء فقال الاعرابي وعزته وجلاله ان حاسبني لأحاسبنه فقال صلى الله عليه وسلم وعلى ماذا تحاسب ربك يا أخا العرب فقال الاعرابي ان حاسبني ربي على ذنبي حاسبته على مغفرته وان حاسبني على معصيتي حاسبته على عفوه وان حاسبني على بخلي حاسبته على كرمه قال فبكى النبي صلى الله عليه وسلم حتى ابتلت لحيته فهبط جبريل عليه السلام على النبي صلى الله عليه وسلم وقال يا محمد السلام يقرئك السلام ويقول لك يا محمد قلل من بكائك فقد الهيت حملة العرش عن تسبيحهم قل لأخيك الاعرابي لا يحاسبنا ولا نحاسبه فانه رفيقك في الجنة (وحكى عن عبد الرحمن بن المهذب رضي الله عنه انه قال مررت يوما بسوق الرقيق فوجدت دلالا ينادي على عبد ويقول ايمه على عيبه فقلت للدلال ما العيب الذي في هذا العبد فقال يامولاي سله فدنوت من الغلام وقلت ما العيب الذي فيك فقال يا ربي عيوبي كثيرة ولا ادري بايها شهروني فقلت للدلال اخبرني ما العيب الذي في

وعرضت عليهما ما قالت بالامس فقالا الصلاة لغير الله امر عظيم وقتل النفس عظيم واهون الثلاثة شرب الخمر فشربا الخمر فانتشيا ووقعا بالمرأة وزنيا بها فرآهما انسان فقتلاه قال الربيع بن انس ووجد الاصنم فمسخ الله الزهرة كوكبا وقال على رضي الله عنه والسدى والكلبي انها قالت لا تدركاني حتى تعلماني الذى تصعدان به الى السماء فقالا نصعد باسم الله الاعظم فقالت فما انتما بمدركي حتى تعلمانيه قال احدهما لصاحبه علمها فقال انى اخاف الله فقال الآخر فاين رحمة الله تعالى فعلماها ذلك فتكلمت به وصعدت الى السماء فمسخها الله تعالى كوكبا (قال الاستاذ) فعلى قول هؤلاء هى الزهرة بعينها وقال آخرون هى هذا الكوكب الاحمر واسمها بالفارسية ناهيد وبالقبطية بارخت يدل على صحة هذا القول ما اخبرنا به يحيي بن اسمعيل باسناده عن على ابن ابى طالب كرم الله وجهه قال كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا رأى سهيلا قال لعن الله سهيلا انه كان عشارا باليمن ولعن الله الزهرة فانها فتنت ملكين هاروت وماروت (وقال) مجاهد كنت مع ابن عمر ذات ليلة فقال لى ارمق الكوكب يعنى الزهرة فاذا طلعت فايقظني فلما طلعت ايقظته فلما نظر اليها سبها سبا شديدا فقلت يرحمك الله تسب نجما سامعا مطيعا فقال ان هذه كانت بغيا فلقى الملكان منها ما لقيا وكذلك قال ابن عباس وانكر الاخرون هذا القول وقالوا الزهرة من الكواكب السبعة السيارة التى جعلها الله تعالى قواما للعباد واقسم بها فقال تعالى فلا اقسم بالخنس الجوارى الكنس وانما كانت التى فتنت هاروت وماروت امرأة تسمى زهرة لجمالها فلما زنت مسخها الله شهابا فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم الزهرة ذكر تلك المرأة الموافقة لهذا الاسم فلعنها وكذلك سهيل العشار كان رجلا فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا النجم الموافق اسمه لاسم هذا الرجل لعنه يدل عليه ما روى قيس بن عبيد عن ابن عباس فى هذه القصة قال كانت امرأة فضلت على النساء بالحسن والجمال كما فضلت هذه الزهرة على سائر الكواكب قالوا فلما امسى هاروت وماروت بعد ما قارفا الذنب هما بالصعود الى السماء فلم تطعهما اجنحتهما فعلما ما حل بهما فقصدا الى ادريس عليه السلام فاخبراه بامرهما وسألاه ان يشفع لهما الى الله تعالى وقالا له انا رأيناك يصعد لك من العبادة مثل ما يصعد لجميع اهل الارض فاشفع لنا الى الله تعالى قال ففعل ادريس ذلك فخيرهما الله بين عذاب الدنيا وعذاب الآخرة فاختارا عذاب الدنيا لانه ينقطع فهما ببابل يعذبان (واختلف) العلماء في كيفية عذابهما فقال ابن مسعود هما معلقان بشعورهما الى قيام الساعة وقال مقاتل كبلا من اقدامهما الى اصول افخاذهما وقال مجاهد ملئ جب نارا فجعلا فيه وقال عمر بن سعيد هما معلقان منكسان فى السلاسل يضربان بسياط الحديد (وروي) ان رجلا قصدهما ليتعلم السحر فوجدهما معلقين بارجلهما مزرقة اعينهما مسودة وجوههما ليس بين السنتهما وبين الماء الا اربعة أصابع وهما يعذبان بالعطش فلما رأى ذلك هاله مكانهما فقال لا اله الا الله فلما سمعا كلامه قالا لا اله الا الله من أنت قال رجل من الناس قالا له ومن اى امة انت قال من امة محمد صلى الله عليه وسلم قالا أو بعث محمد صلى الله عليه وسلم قال نعم فحمدا الله تعالى وأظهرا الاستبشار فقال الرجل ومم استبشاركما قالا انه نبي الساعة وقد دنا انقضاء عذابنا (وروى) هشام عن عائشة أنها قالت قدمت امرأة من دومة الجندل جاءت تبتغى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد موته تسأله عن شيء دخلت فيه من امر السحر وما تعمل به فقالت عائشة لعروة يا ابن اختى فرأيتها تبكى حين لم تجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فكانت تبكى حتى رحمتها ثم قالت انى لاخاف ان اكون قد هلكت ثم قالت كان لى زوج غاب عنى فدخلت على عجوز فشكوت لها ذلك فقالت ان فعلت ما آمرك به جعلته يأتيك فلما كان الليل جاءتني بكلبين اسودين فركبت أحدهما وركبت هى الآخر فلم يكن كثير حتى وقفنا ببابل واذا برجلين معلقين بارجلهما فقالا ما جاء بك فقالت أتعلم السحر فقالا انما نحن فتنة فلا

هذا الغلام فقال به داء الجنون فقلت للغلام كيف يأتيك هذا الصرع في كل سنة ام في كل شهر ام فى كل جمعة ام فى كل يوم فقال يا مولاى اذا استولى داء المحبة على القلب سرى في الاعضاء واذا استولي على الجوارح نشر خمار المحبة على سائر الجسد فيطيش العقل بذكر الحبيب فيحدث على القلب استغراقا وعلى البدن سكونا فيعتقده الجاهل جنونا قال عبد الرحمن فعلمت ان الغلام من اولياء الله تعالى فقلت للدلال كم ثمن هذا الغلام فقال مائتا درهم فقلت ولك عشرون فوزنت له الثمن واخذت الغلام واتيت به الى الدار ثم امرته بالدخول فابى وقال ياسيدي ألك اهل فقلت نعم فقال ومن يستطع النظر الى غير محرمه فقلت له قد ابحت لك ذلك فقال معاذ الله ولكن مهما كان لك من الحوائج قضيتها وانا دون الباب قال عبد الرحمن فسكت عنه وتركته ثم اخرجت له الغذاء فقال انى صائم فلما كان الليل اخرجت له العشاء فقال انى طاو فاقام عندى فى دهليز الدار فخرجت اليه نصف الليل فوجدته قائما يصلى

تكفرى فارجعي من حيث أتيت فقلت لا قالا فاذهبي الى ذلك التنور فبولي فيه فذهبت لابول ففزعت فلم افعل فرجعت فقالا فعلت قلت نعم فقالا هل رأيت شيأ فقلت لم ارشيئا فقالا لم تفعلي شيئا فارجعي الى بلادك ولا تكفرى فابيت فقالا اذهبي الى ذلك التنور فبولي فيه فذهبت فاقشعر جلدي وخفت ثم رجعت اليهما فقلت قد فعلت فقالا ما رأيت قلت لم ارشيئا قالا كذبت لم تفعلي فارجعي الى بلادك ولا تكفري فانك على رأس امرك فقلت لا فقالا لي اذهبي الى ذلك التنور فبولي فيه فذهبت اليه فبلت فيه فرأيت فارسا مقنعا بحديد خرج مني حتى ذهب في السماء وغاب حتى ما اراه فجئتهما فقلت قد فعلت قالا فما رأيت قلت رأيت فارسا مقنعا بالحديد خرج مني وذهب في السماء فلم اره قالا صدقت ذلك ايمانك خرج منك فاذهبي فقلت والله ما أعلم شيئا ولا قالا لي شيئا فقالا لا تريدين شيئا الا كان خذي هذا القمح فابذريه فبذرته ثم قلت له اطلع فطلع فقلت له احصد فحصد فقلت افرك ففرك ثم قلت اطحن فطحن ثم قلت اخبز فخبز فلما رأيت اني لا اريد شيئا الا كان سقط في يدي فرجعت وندمت والله يا ام المؤمنين ما فعلت شيئا قط ولا أفعله ابدا (قال) الاوزاعي بلغني ان جبريل عليه السلام أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا جبريل صف لي النار فقال ان الله تعالى امر بها فاوقد عليها الف عام حتى احمرت ثم اوقد عليها الف عام حتى اسودت فهي سوداء مظلمة لا يطفأ جمرها ولا يخمد لهبها والذي بعثك بالحق لوان ثوبا من ثياب اهل النار ظهر لاهل الارض لماتوا جميعا ولوان ذنوبا من شرابها صب في ماء الارض جميعا لقتل من ذاقه ولو ان حلقة من السلسلة التي ذكرها الله وضعت على جبال اهل الارض جميعا لذابت وما استقلت ولو ان رجلا دخل النار وخرج لمات اهل الارض من نتن ريحه وتشويه خلقه وعظمه فبكى النبي صلى الله عليه وسلم وبكى جبريل لبكائه وقال اتبكي يا محمد وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تاخر قال افلا اكون عبدا شكورا وبكي جبريل فقال يا جبريل اتبكي وانت الروح الامين امين الله على وحيه قال اخاف ان ابتلى بما ابتلى به هاروت وماروت فهذا الذى منعني من اتكالي على منزلتي عند ربي فاكون قد أمنت مكره فلم يزالا يبكيان حتى نوديا من السماء يا جبريل ويا محمد ان الله تعالى قد أمنكما من غضبه فلا يعذبكما وان فضل محمد صلى الله عليه وسلم على سائر الانبياء كفضل جبريل على سائر الملائكة

(مجلس في قصة نوح عليه السلام)

قال الله تعالى لنبيه عليه السلام واتل عليهم نبا نوح اذ قال لقومه الآية وهو نوح بن لمك بن متوشلخ بن اخنوخ بن برد بن مهلائيل بن قينان بن انوش بن شيث عليه السلام وامه قينوش بنت راكيل وقيل بنت كابيل بن مخوئيل بن أخنوخ ارسله الله تعالى الى ولد قابيل ومن تابعهم من ولد شيث (قال) ابن عباس وكان بطنان من ولد آدم أحدهما يسكن السهل والآخر يسكن الجبل وكان في رجال الجبل صباحة وفي نسائهم دمامة وكان في نساء السهل صباحة وفي الرجال دمامة وان ابليس اتى رجلا من اهل السهل في صورة غلام فآجر نفسه منه وكان يخدمه واتخذ ابليس شيأ مثل الذى يزمر به الرعاة فجاء منه بصوت لم يسمع الناس مثله فبلغ ذلك من حولهم فاتوهم مستمعين اليه واتخذوه عيدا يجتمعون اليه في السنة فتتبرج النساء للرجال والرجال لهن وان رجلا من أهل الجبل هجم عليهم وهم في عيدهم فرأى النساء وصباحتهن فجاء الى اصحابه فاخبرهم بذلك فتحولوا اليهم فنزلوا معهم وظهرت الفاحشة فيهم وهو قوله تعالى ولا تبرجن تبرج الجاهلية الاولى (قال ابن عباس) كان آدم اوصى ان لا يناكح بنو شيث بني قابيل فجعل بنو شيث آدم في مغارة وجعلوا عليها حفاظا لئلا يقربه احد من اولاد قابيل وكان الذى ياتونه ويستغفر لهم بني شيث فقال مائة من بني شيث صباح لو نظرنا ما فعل بنو عمنا يعنون بني قابيل فهبطت المائة الى نساء السهل صباح

ولم يشعر بي فلما فرغ من صلاته سجد وبكى بكاء شديدا فسمعته يقول في مناجاته الهي اغلقت الملوك ابوابها وبابك مفتوح للسائلين * الهي غارت النجوم ونامت العيون وانت الحي القيوم الذي لا تاخذك سنة ولا نوم * الهي فرشت الفرش وخلا كل حبيب بحبيبه وانت حبيب المتهجدين وانيس المستوحشين * الهي ان طردتني عن بابك فالي باب من التجي * الهي ان قطعتني عن جنابك فالى جناب من التجي * الهي ان عذبتني فاني مستحق للعذاب والنقم وان عفوت عني فانت اهل الجود والكرم ثم جلس ورفع يديه وبكى وقال يا سيدي لك اخلص العارفون وبفضلك نجا الصالحون وبرحمتك اناب المقصرون يا جميل العفو اذقني برد عفوك وحلاوة مغفرتك فان لم اكن اهلا لذلك فانت اهل لذلك يا من هو اهل التقوى واهل المغفرة قال عبد الرحمن فدخلت موضعي ولم اشوش عليه فلما اصبح الصباح خرجت اليه وسلمت عليه وقلت له كيف نمت البارحة فقال يا سيدي او

الوجوه من بني قابيل فاحتبس النساء الرجال ثم مكثوا ماشاء الله فقال مائة اخرى لو نظرنا ما فعل اخوتنا فهبطوا من الجبل اليهم فاحتبستهم النساء ثم هبط بنو شيث كلهم فظهرت المعصية وتناكحوا واختلطوا وكثر بنو قابيل حتى ملؤا الارض واكثروا الفساد فبعث الله اليهم نبيهم نوحا وهو ابن خمسين سنة فلبث فيهم الف سنة الا خمسين عاما يدعوهم الى الله تعالى ويخوفهم باسه ويحذرهم سطوته كما أخبر الله تعالى بقوله رب انى دعوت قومى ليلا ونهارا فلم يزدهم دعائي الا فرارا وقال تعالى وقوم نوح من قبل انهم كانوا هم اظلم واطغى وقال تعالى وقوم نوح من قبل انهم كانوا قوما فاسقين (وروى) الضحاك عن ابن عباس انه قال ان نوحا كان يضرب ثم يلف في لبد ثم يلقى في بيته فيرون انه قدمات ثم يخرج فيدعوهم حتى أيس من ايمان قومه فبعد ذلك جاء رجل ومعه ابنه يتوكا على عصا فقال يابني انظر الى هذا الشيخ اياك ان يغرك فقال ياابت مكنى من العصا فاعطاه العصا فقال ضعنى في الارض فوضعه فمشى اليه فضربه بالعصا فقال نوح رب قد ترى ما يصنع بى عبادك فان لم يكن في عبادك حاجة فاهدهم وان لم يكن غيرذلك فصبرنى الى ان تحكم بيني وبينهم وأنت خير الحاكمين فاوحى الله اليه انه لن يؤمن من قومك الا من قد آمن فلا تبتئس بما كانوا يفعلون فآيسه من ايمان قومه وأخبره انه لم يبق فى اصلاب الرجال ولا ارحام النساء مؤمن فعند ذلك دعا عليهم وقال رب انهم عصوني الآية الى قوله ولا تذرن ودا ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا وقد اضلوا كثيرا وهى اسماء اصنام لهم كانوا يعبدونها من دون الله وقوله تعالى رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا انك ان تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا الا فاجرا كفارا وقوله تعالى ولا تزد الظالمين الا تبارا اى هلاكا ودمارا فاجاب الله دعاءه وامره ان يصنع الفلك كما قال تعالى واصنع الفلك باعيننا ووحينا الآية قال نوح يارب وما الفلك قال بيت من خشب يجري على وجه الماء حتى اغرق اهل المعصية واريح ارضي منهم قال نوح يارب اين الماء قال يانوح انى على ما أشاء قدير قال نوح يارب واين الخشب قال اغرس الشجر فغرس الساج وأتى على ذلك اربعون سنة وكف فى تلك المدة عن الدعاء فلم يدعهم فاعقم الله تعالى ارحام نسائهم فلم يولد لهم ولد فلما أدرك الشجر امره ربه ان يقطع الشجر فقطعه وجففه ثم قال يارب كيف اتخذ هذا البيت قال اجعله ازور على ثلاثة صور رأسه كرأس الديك وجوفه كجوف الطير وذنبه كذنب الديك مائلا واجعلها مطبقة واجعل ابوابها فى جنبيها واجعلها ثلاث طبقات واجعل طولها ثمانين ذراعا وعرضها خمسين ذراعا وطولها في السماء ثلاثين ذراعا والذراع الى المنكب هذا قول أهل الكتاب ثم بعث الله جبريل يعلم نوحا صنعة الفلك وكان نوح يقطع الخشب ويضرب الحديد ويهيىء عدة الفلك من القار وغيره وكان قومه يمرون عليه وهو فى عمله فيسخرون منه ويقولون يانوح قد صرت نجارا بعد النبوة ثم يقولون الا ترون الى هذا المجنون يتخذ بيتا يسير به على الماء ويضحكون منه وذلك قوله تعالى ويصنع الفلك وكلما مر عليه ملأ من قومه سخروا منه فيقول نوح ان تسخروا منا فانا نسخر منكم كما تسخرون فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ويحل عليه عذاب مقيم واوحى الله الى نوح ان عجل صنعة الفلك فقد اشتد غضبى على من عصانى فاستاجر نوح اجراء يعملون معه وأولاده سام وحام ويافث ينحتون معه السفينة فجعل السفينة طولها ستمائة ذراع وستون ذراعا وعرضها ثلثمائة وثلاثون ذراعا وطولها فى السماء ثلاثة وثلاثون ذراعا هذا قول ابن عباس في رواية الضحاك وطلاها بالقار داخلها وخارجها وشدها بالدسر وهي مسامير الحديد وذلك قوله تعالى وحملناه على ذات الواح ودسر وفجر الله له عين القار بجنب السفينة تغلى غليانا حتى طلاها به فلما فرغ من صنع السفينة أوحى الله اليه ان احمل فيها من كل زوجين اثنين من أنواع الحيوانات كلها حتى لا ينقطع نسلهم وحشرها الله اليه من البر والبحر والسهل والجبل وقد جعل الله فوران

ينام من يخاف النار والعرض على الملك الجبار والتوبيخ غدا على الذنوب والاوزار ثم بكا بكاء طويلا فقلت له انت حر لوجه الله تعالى فبكى وقال ياسيدي كان لى اجران اجر العبودية واجر الخدمة وقد ذهب عني احدهما اعتقك الله من حر نار جهنم قال عبد الرحمن فدفعت اليه نفقة فابى قبولها وقال ان المتكفل بالارزاق حى لا يموت ثم خرج هائما على وجهه لا ادري اين ذهب رضى الله تعالى عنه * واشوقاه الى ارباب القلوب واحسرتاه على فوات المطلوب * يامحبوسا فى سجن الغفلة لو اشرفت على وادي الدجى لرأيت خيام القوم مضروبة على شاطىء بحر كانوا قليلا من الليل ما يهجعون واسمعت اطيار اشجانهم على اغصان احزانهم تترنم بالحان وبالاسحار هم يستغفرون لذلهم السهر وصفا وقتهم من الكدر وخلوا بالمحبوب وفازوا بالمشاهدة والنظر شعر

هذا الحبيب مع المحبوب قد حضرا
وساع الكل عمدا قد مضى وجرى
وقد ادار على العشاق خمرته
صرفا يكاد سناها يخطف

التنور آية بينه و بين نوح وعهد الله اليه فقال اذا رأيت التنور فار فاركب انت ومن معك على الفلك واحمل فيها من كل زوجين اثنين كما قال الله تعالى حتى اذا جاء أمرنا وفار التنور راى عذابنا وهو الطوفان قلنا احمل فيها من كل زوجين اثنين الاية (واختلف) العلماء فى قوله تعالى وفار التنور قال على بن أبى طالب رضى الله عنه يعنى طلع الفجر ونور الصبح وقال ابن عباس انبجس الماء من وجه الارض والعرب تسمى وجه الارض تنورا وقال قتادة التنور أشرف موضع في الارض وأعلى مكان فيها وقال الحسن أراد بالتنور الذى يخبز فيه وكان تنورا من حجارة وكان لآدم ثم انتقل الى نوح فقيل له اذا رأيت الماء يفور من التنور فاركب انت وأصحابك فنبع الماء من التنور فعلمت به امرأته فاخبرته واختلفوا فى موضعه فقال مجاهد كان ذلك فى ناحية الكوفة (وروى) السدي عن الشعبى انه كان يحلف بالله ما فار التنور الا فى ناحية الكوفة وقال اتخذ نوح السفينة فى جوف مسجد الكوفة وكان التنور عن يمين الداخل مما يلى باب كندة وكان فوران الماء علما لنوح ودليلا على هلاك قومه وقال مقاتل ذلك تنور آدم وانما كان بالشام فى موضع يقال له عين ورد وقال ابن عباس كان التنور بالهند والفوران هو الغليان فلما رآه نوح أيقن بنزول العذاب فحمل من كل زوجين اثنين من انواع الحيوانات كما أمره الله تعالى (قال ابن عباس أرسل الله المطر اربعين يوما وليلة فاقبلت الوحوش والطير والدواب الى نوح حين اصابها المطر وسخرت له فحمل منها من كل زوجين اثنين فكان أول ما حمل نوح فى الفلك من الدواب الدرة وآخر ما حمل الحمار فلما دخل الحمار بصدره تعلق ابليس بذنبه فلم تستقل رجلاه فجعل نوح يقول ادخل فينهض فلا يستطيع حتى قال ويحك ادخل وان كان الشيطان معك كلمة زل بها لسانه فلما قالها نوح خلى الشيطان سبيله فدخل ودخل الشيطان معه فقال له نوح ما ادخلك يا عدو الله فقال ألم تقل ادخل ولو كان الشيطان معك قال اخرج يا عدو الله قال ما أخرج وما كان بذلك ان تحملنى معك وكان فيما يزعمون على ظهر الفلك (قال) مالك بن سليمان الهروى ان الحية والعقرب اتيا نوحا فقالا احملنا فقال انكما سبب الضر والبلايا فلا احملكما قالا احملنا ونحن نضمن لك ان لا نضر أحدا ذكرك فمن قرأ حين يخاف مضرتهما سلام على نوح فى العالمين انا كذلك نجزى المحسنين انه من عبادنا المؤمنين لم يضراه (عن وهب بن منبه) قال لما امر الله تعالى نوحا ان يحمل من كل زوجين اثنين قال كيف اصنع بالاسد والبقر وكيف اصنع بالعناق والذئب وكيف اصنع بالحمام والهر قال الله تعالى له من ألقى بينهم العداوة قال انت يارب قال فانا أؤلف بينهم حتى لا يتضاروا فحمل نوح السباع والدواب فى الطبقة الاولى فالقى الله على الاسد الحمى وشغله بنفسه عن الدواب والبقر ولذلك قيل

وما الكلب محموما وان طال عمره * لعمرك ما المحموم دوما سوى الاسد

وجعل الوحوش في الطبقة الثانية وركب هو ومن معه من أولاد آدم في الطبقة العليا وجعل الدرة معه فى الطبقة العليا شفقة عليها لئلا يقتلها شىء * واختلفوا فى أهل السفينة الذين ذكرهم الله تعالى في قوله تعالى واهلك الا من سبق عليه القول منهم قال الضحاك كان نوح اذا أراد ان ترسو السفينة قال بسم الله فرست واذا اراد ان تجرى قال بسم الله فجرت على الماء فذلك قوله تعالى بسم الله مجراها ومرساها الآية * ومن آمن وما آمن معه الا قليل من هم وكم هم قال قتادة لم يكن فى السفينة الا نوح وامرأته وثلاثة من بنيه سام وحام ويافث ونساؤهم فجميعهم ثمانية فاصاب حام امرأته فى السفينة فدعا نوح ربه قال فتغيرت نطفته فجاء بالسودان (قال الكلبي) أمر نوح ان لا يقرب ذكر انثي مادام فى السفينة فوثب الكلب على الكلبة فدعا عليه نوح فقال نوح اللهم اجعله عسرا وقال الاعمش كانوا سبعة نوح وثلاثة بنين وثلاث كنائن له وقال ابن اسحق كانوا عشرة سوى نسائهم وهم نوح و بنوه سام وحام ويافث وستة اناث ممن كانوا آمنوا معه وازواجهم جميعا وقال مقاتل كانوا سبعين ونوح وامرأته و بنوه الثلاثة ونساؤهم فكان الجميع ثمانية وسبعين نفسا نصفهم

البصرا
يا سعد كرر لنا ذكرا الحبيب لقد
بليت اسماءنا يا مطرب الفقرا
ما ركب الحمى مالت ومعاطفه
لاشك ان حبيب القوم قد حضرا
وعند ذا تنظر الاعلام قد رفعت
يؤمهم على الوصل قد نشرا
فمجلس الانس للمحبوب يجمعه
والكاس قد دار فيما بينهم سحرا
ومن سقاهم تجلى لا شبيه له
حاشاه يشبه شمسا ولا قمرا
ومن اتاه فقير الامر دله
سواه يكتبه من جملة الفقرا
هذا السماع الذى تشفى الصدور به
هذا الحبيب الذى قد حير الفكرا
صوفية عند ما ضاقت صدورهم
ازال عنهم جميع الشك والكدرا
(وحكى عن محمد بن الفضل رضى الله تعالى عنه انه قال) رأيت شابا راقدا على الارض وقد افترش التراب تحته وهو يئن انينا شديدا فقلت لصاحبى اعدل بنا اليه فلعله عليل فقال ما هذا عليل هذا من المحبين وفى الظاهر انه من المجانين فقلبه بحب مولاه

نساء ونصفهم رجال وقال ابن عباس كانوا ثمانين انسانا وحمل نوح جسد آدم معه وجعله معرضا حاجزا بين الرجال والنساء * قالوا فلما ركب نوح في الفلك وأدخل معه كل من آمن كان ذلك فى شهر آب بالرومية فلما دخل وحمل معه من حمل تحركت ينابيع الارض والغوط الا كبر وأمطرت السماء كافواه القرب كما قال تعالى ففتحنا أبواب السماء بماء منهمر وفجرنا الارض عيونا فالتقى الماء على امر قد قدر يعني التقى ماء السماء وماء الارض فجعل الماء ينزل من السماء و ينبع من الارض حتى كثر واشتد وكان بين ارسال الماء و بين احتمال الماء الفلك ار بعين يوما وليلة ثم احتمل الماء الفلك وكان كنعان بن نوح تخلف عن أبيه قال قتادة لم يركب في السفينة فناداه نوح وكان فى معزل يابنى اركب معنا ولا تكن مع الكافرين قال سآوى الي جبل يعصمني من الماء قال لاعاصم اليوم من أمر الله الامن رحم وكان عهد كنعان الجبال انها تحصن من المطر فظن ذلك كما كان فقال نوح لاعاصم اليوم من أمر الله الامن رحم وحال بينهما الموج فكان من المغرقين وكثر الماء فارتفع فوق الجبال قال ابن عباس ارتفع على أعلى جبل في الارض خمسة عشر ذراعا (وروت) عائشة رضى الله عنها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لو رحم الله أحـدا من قوم نوح لرحم المرأة أم الصبي وذلك انها خشيت عليه من الماء وكانت تحبه حبا شديدا فخرجت به الى الجبل حتى بلغت ثلثه فلما بلغها الماء خرجت حتي استوت على الجبل وحملت الصبى فلما بلغ رقبتها رفعته بيدها حتى ذهب بهما الماء فلو رحم الله احدا منهم لرحم هذه قالوا ثم طافت السفينة باهلها الارض كلها في ستة أشهر لا تستقر على شيء حتى أتت الحرم فلم تدخله ودارت بالحرم اسبوعا وقد رفع الله البيت الذى كان يحجه آدم صيانة له من الغرق وهو البيت المعمور وخبأ جبريل الحجر الاسود فى جبل أبى قبيس فلما طافت السفينة بالحرم ذهبت في الارض تسير بهم حتى انتهت الى الجودى وهو جبل حصين من أرض الموصل فاستقرت عليه قال مجاهد تشامخت الجبال وتطاولت لئلا ينالها ماء فعلا الماء فوقها خمسة عشر ذراعا وتواضع لامر ربه الجودى فلم يغرق فارست السفينة عليه فذلك قوله تعالي واستوت على الجودى (وقال) ابن عباس استوت السفينة على الجودي وقد باد ما على وجه الارض من الكفار ومن كل شيء فيه الروح والاشجار فلم يبق شيء من الحيوانات الا نوح ومن معه فى الفلك والا عوج بن عنق فذلك قوله تعالى وقيل بعدا للقوم الظالمين أى هلاكا قال ابن عباس كان عوج يحتجز بالسحاب و يشرب منه من طوله و يتناول الحوت من قرار البحر فيشويه بعين الشمس يرفعه اليها ثم ياكله فقال لنوح احملني معك فقال اخرج يا عدو الله فانى لم أومر بحملك وأطبق الله الماء على وجه الارض والجبال وما بلغ ركبتى عوج بن عنق فلما استوت السفينة على الجودي قيل يا أرض ابلعى ماءك اي انشفى ويا سماء اقلعي اى احبسى ماءك وغيض الماء اى ذهب ونقص فصار ما نزل من السماء هذه البحور التى في الارض لانها آخر ما بقى في الارض من ماء الطوفان و بقى في الارض ار بعين سنة ثم ذهب (وروى) عن على بن زيد بن جدعان عن يوسف بن مهران عن ابن عباس قال قال الحواريون لعيسي بن مريم عليه السلام لو بعثت لنا رجلا شهد السفينة يحدثنا عنها فانطلق بهم حتى انتهى بهم الى كثيب من تراب فاخذ كفا من ذلك التراب فقال أتدرون ما هذا قالوا الله ورسوله اعلم قال هذا كعب سام بن نوح قال ثم ضرب الكثيب بعصاه وقال له قم باذن الله فاذا هو قائم ينفض التراب عن رأسه وقد شاب فقال له عيسي أهكذا هلكت قال لا بل مت وانا شاب ولكنى ظننت انها الساعة فمن ثم شبت فقال له حدثنا عن سفينة نوح قال كان طولها الف ذراع ومائتي ذراع وعرضها ستمائة ذراع وكانت ثلاث طبقات طبقة فيها الدواب والوحوش وطبقة فيها الانس وطبقة فيها الطير فلما كثرت أرواث الدواب اوحى الله الى نوح أن اغمز ذنب الفيل فغمزه فوقع منه خنزير وخنزيرة فاقبلا على الروث

مفتون وهو يعرف بمبيد المجنون قال فتقربت اليه فاذا هو شاب نحيف الجسم وعليه جبة من صوف بالية وهو يقول عجبا لمن ذاق حلاوة محبته كيف ينقطع عن خدمته ثم لم يزل يردد القـول حتى غشي عليـه فقلت لصاحبي والله ما هو بمجنون وانما المجنون الذي لا يصل الى هذا المقام فلما أفاق من غشيته قال ما بالكم تنظرون الى فقلنا العل دواء يشفى من الداء الذى تجده فقال الذى ابلي بالداء عنده الدواء ولـكن الذى يتداوي يحتمي قلنا بماذا يحتمي قال بترك الحـرام وتجنب الآثام ومراقبة الملك العلام والتهجد بالليل والناس نيام ثم بكى بكاء طويلا وبكينا معه وقلنا له نحن أضيافك فادع لنـا فقال لست من خيل هذا الميدان فاقسمنا عليه فقال جعـل الله قراكم المغفرة ومثواكم الجنة وجعل ذكر الموت مني ومنكم على بال قال فانصرفنا عنه وقـد عجبنا من استواء لفظـه وعاشت قلوبنا بكلامه ووعظه يا هـذا هـذه حالة المجانين من حب الحبيب فكيف بك ايها العاقل اللبيب يدعوك مولاك فلا تجيب ويستحضرك فى حضرة قربه وانت في

فاكلاه فلما كثرت الفأر في السفينة وجعل يقرض حبالها وذلك انه توالد في السفينة اوحى الله تعالى الى نوح ان اضرب بين عيني الاسد فضرب فخرج من منخره سنور وسنورة فاقبلا على الفأر فاكلاه فقال له عيسى كيف علم نوح ان البلاد قد يبست قال بعث نوح غرابا يأتيه بالخبر فوجد جيفة فوقع عليها واشتغل عن الرجوع فدعا عليه نوح بالخوف فلذلك لا يألف البيوت ثم بعث الحمامة فجاءت بورق زيتون بمنقارها وطين برجليها فعلم ان البلاد قد جفت قال فطوقها بالخضرة التي في عنقها ودعا لها ان تكون في انس وامان فمن ثم تألف البيوت فقالوا يا رسول الله الا ننطلق به الى اهلنا فيجلس معنا ويحدثنا قال كيف يتبعكم من لا رزق له ثم قال له عد باذن الله تعالى فعاد ترابا * قال اهل التاريخ ارسل الله الطوفان لثلاثة عشر يوما خلت من آب ومضى ستمائة سنة من عمر نوح ولتتمة الفي سنة ومائة سنة وست وخمسين سنة من لدن اهبط آدم الى الارض وركب نوح ومن معه في السفينة لعشر خلون من رجب وخرجوا منها في العاشر من المحرم فلذلك سمي يوم عاشوراء واقاموا في الفلك ستة أشهر فلما هبط نوح ومن معه من الفلك سالمين صام نوح وامر جميع من معه من الانس والوحوش والدواب والطير فصاموا شكرا لله تعالى ويقال ان نوحا وقومه كانت قد أظلمت عليهم أعينهم في السفينه من دوام النظر الى الماء فامروا بالاكتحال يوم عاشوراء الذى خرجوا فيه من السفينة (عن ابن عباس) قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من اكتحل بالاثمد يوم عاشوراء لم ترمد عينه ابدا فلما خرج نوح ومن معه من السفينة اتخذ في ناحية من ارض الجزيرة موضعا وابتنى هناك قرية سموها سوق ثمانين لانه كان ابتنى فيها لمن آمن معه وهم ثمانون فهي اليوم تسمى سوق ثمانين فاوحى الله تعالي الى نوح انه لا يعود الطوفان الى الارض أبدا وعاش نوح بعد ذلك ثلثمائة وخمسين سنة فكان جميع عمره الف سنة الا خمسين عاما ثم قبضه الله تعالى اليه هذا هو أكثر اقاويل العلماء وكذلك هو في التوراة وقال عون بن أبي شداد عاش نوح بعد الطوفان الف سنة الا خمسين عاما وقبله ثلثمائة وخمسين سنة فعلى هذا القول يكون مبلغ عمر نوح الفا وثلثمائة سنة (ويروى) انه قيل لنوح لما احتضر كيف وجدت الدنيا قال كبيت له بابان دخلت من احدهما وخرجت من الآخر ولما حضرته الوفاة اوصى ابنه ساما وجعله ولي عهده وكان ولد له سام قبل الطوفان بثمان وسبعين سنة وقيل لما حضرته الوفاة دعا ابنه ساما وهو بكره فقال يا بني اوصيك باثنتين وانهاك عن اثنتين فاما اللذان انهاك عنهما فالاشراك بالله والكبر فانه لا يدخل الجنة من في قلبه مثقال حبة من الشرك والكبر واما اللذان أوصيك بهما فاني رأيتهما يكثران الولوج الى الله تعالى قول لا اله الا الله وسبحان الله فان قول لا اله الا الله لو جمعت السموات السبع والارضون السبع لخرقتهما حتي تبلغ الى ربها ولو جعلت لا اله الا الله في كفة ميزان لرجحت بالسموات السبع والارضين السبع وما فيها واوصيك بسبحان الله فانها صلاة الخلق وبها يرزقون

(ذكر خصائص نوح عليه السلام)

وهي خمس عشرة خصلة لم يسم أحد من الانبياء باسمه وسمي بذلك لكثرة نوحه على نفسه وكان اول نبي من أنبياء الشريعة واول داع من الله تعالى واول نذير عن الشرك واول من عذبت امته لردهم دعوته واهلك أهل الارض كلهم بدعائه ويقال ان الله تعالى اوحى اليه بعد الطوفان انى خلقت خلقي وامرتهم بطاعتي فانتهكوا معصيتي فاشتد لذلك غضبي فعذبت بذنوب العاصين من لم يعصني وعذبت بذنوب بني آدم جميع خلقي في حلفت انى لا أعذب مثل هذا العذاب أحدا من خلقي ابدا ولكن اجعل الدنيا دولا بين عبادى ثم اجزيهم باعمالهم اذا اجتمعوا عندي وكان عليه السلام أطول الانبياء عمرا وقيل له اكبر الانبياء وشيخ المرسلين وجعل معجزته في نفسه لانه عمر الف سنة ولم ينتقص له سن ولم تنتقص له قوة ولم يبالغ أحد من

الرسل

المغيب الى متى انت تضيع عمرك وما نالت منه نصيب اللهم تب علينا ووفقنا لطاعتك يا مجيب (وحكى عن محمد بن ابى الفرج رضى الله تعالى عنه انه قال) احتجت في شهر رمضان الى جارية تصنع الطعام فرأيت في السوق جارية ينادي عليها بثمن يسير وهي مصفرة اللون نحيلة الجسم يابسة الجلد فاشتريتها رحمة لها واتيت بها الى المنزل فقلت لها خذى أوعية وامضي معي الى السوق لنشتري حوائج رمضان فقالت ياسيدى انا كنت عند قوم كل زمانهم رمضان فعلمت انها من الصالحات فكانت تقوم الليل كله في شهر رمضان فلما كانت ليلة العيد قلت لها امضي بنا الى السوق لنشتري حوائج العيد فقالت يا مولاى اى حوائج العيد تريد حوائج العوام أم حوائج الخواص فقلت لها صفي لي حوائج العوام وحوائج الخواص فقالت ياسيدي حوائج العوام الطعام المعهود في العيد وحوائج الخواص الاعتزال عن الخلق والتفريد والتفريغ للخدمة والتجريد والتقرب بالطاعة للملك المجيد والتزام ذل العبيد فقلت لها انا

الرسل في الدعوة مثل ما بالغ وكان يدعو قومه ليلا ونهارا واعلانا واسرارا ولم يلق نبي من أمته من الضرب والشتم وانواع الاذي والجفاء مالقى فلذلك قال الله تعالى وقوم نوح من قبل انهم كانوا قوما فاسقين وجعل ثاني المصطفى صلى الله عليه وسلم في الميثاق والوحى قال الله تعالى واذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وقال تعالى انا أوحينا اليك كما أوحينا الى نوح والنبيين من بعده وفي البعث هو اول من تنشق عنه الارض يوم القيامة بعد محمد صلى الله عليه وسلم وأعطاه الفلك وعلمه صنعته وحفظه بما فيه واجراه فوق الماء وسماه شكورا فقال تعالى ذرية من حملنا مع نوح انه كان عبدا شكورا واكرمه بالسلامة والبركة فقال تعالى يا نوح اهبط بسلام منا وبركات عليك وعلى امم ممن معك الآية (قال) محمد بن كعب القرظى دخل في ذلك السلام كل مؤمن ومؤمنة الى يوم القيامة وجعل ذريته هم الباقين فهو أول البشر واصل النسل (وروي) عن الحسن عن سمرة بن جندب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ولد لنوح ثلاثة سام وحام ويافث فسام ابو العرب وفارس والروم وحام أبو السودان ويافث أبو الترك وياجوج وماجوج (قال) عطاء ودعا نوح على حام ان لا يعدو اشعر ولده آذانهم وحيثما كان ولده يكونون عبيد الولد سام ويافث ولما هبط نوح وذريته من الفلك قسم الارض بين ولده اثلاثا فجعل لسام وسط الارض ففيها بيت المقدس والنيل والفرات ودجلة وسيحون وجيحون وذلك ما بين قيسون الى شرقى النيل وما بين مجري الجنوب الى مجرى الشمال وجعل غربي النيل وما بين مجرى ريح الجنوب وماوراءه الى سيحون الى مجري ريح الدبور وجعل قسم يافث من قيسون فما وراءه الى مجرى الصبا فذلك قوله تعالى وجعلنا ذريته هم الباقين وتركنا عليه في الآخرين سلام على نوح في العالمين انا كذلك نجزى المحسنين انه من عبادنا المؤمنين

(مجلس في قصة هود عليه السلام)

قال الله تعالى والى عاد اخاهم هودا الى تتقون وهو عاد بن عوص بن أرم بن سام بن نوح وهو عاد الاولى وكانوا ينزلون اليمن وكانت منازلهم منها بالشحر والاحقاف كما قال الله تعالى واذكر اخا عاد اذ انذر قومه بالاحقاف وقد خلت النذر الآية وهو رمال يقال لها رمل عالج وهو ما بين عمان الى حضرموت وكانوا مع ذلك قد فشوا في الارض وكثروا وقهروا اهلها لفضل قوتهم التي اتاهم الله تعالى وكان قد أعطاهم الله من القوة والقامة مالم يعط غيرهم كما قال الله تعالى واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح وزادكم في الخلق بسطة أي عظما وطولا وقوة وشدة (قال) ابو حمزة اليماني كان طول كل رجل منهم سبعين ذراعا وقال ابن عباس ثمانين ذراعا وقال الكلبي كان أطولهم مائة ذراع وأقصرهم ستون ذراعا (وقال) وهب كان رأس احدهم كالقبة العظيمة وكانت عين الرجل منهم تفرخ فيها السباع وكذلك مناخرهم وكانوا أصحاب اوثان يعبدونها من دون الله تعالى فمنها صنم يقال له صدى وصنم يقال له هرد وصنم يقال له هبا فبعث الله اليهم هودا نبيا وهو من أوسطهم نسبا وأفضلهم حسبا وهو هود بن عبدالله بن رباح بن الخلود بن عاد بن عوص ابن أرم بن سام بن نوح * وقال محمد بن اسحق ابن يسار وهود بن عابر بن شالخ بن ارفخشد بن سام بن نوح وولد لشالخ عابر بعد أن مضي من عمره ثلاثون سنة فامرهم هود ان يوحدوا الله تعالى ولا يجعلوا معه الها غيره وان يكفوا عن ظلم الناس ولم يأمرهم فيما ذكر بغير ذلك فابوا ذلك عليه وكذبوه وقالوا من أشد منا قوة وبنوا المصانع وبطشوا فيها بطش الجبارين كما قال تعالى اتبنون بكل ريع آية تعبثون وتتخذون مصانع لعلكم تخلدون واذا بطشتم بطشتم جبارين فلما فعلوا ذلك أمسك الله عنهم المطر ثلاث سنين حتى أضر بهم ذلك وكان الناس في ذلك الزمان اذا نزل بهم بلاء وجهد طلبوا من الله تعالى الفرج وكان طلبهم ذلك من الله تعالى عند بيته الحرام بمكة مسلمهم وكافرهم فيجتمع بمكة ناس كثير شتى مختلفة اديانهم وكلهم معظم لمكة

الطعام فقالت ياسيدى اى طعام تعنى طعام الاجساد أم طعام القلوب فقلت لها صفيهما لى فقالت اما طعام الاجساد فهو القوت المعتاد وأما طعام القلوب فترك الذنوب واصلاح العيوب والتمتع بمشاهدة المحبوب والرضا بحصول المطلوب وحوائجه الخشوع والتقوى وترك الكبر والدعوى والرجوع الى المولى والتوكل عليه في السر والنجوى ثم انها قامت تصلى فقرأت في الركعة الاولى صورة البقرة الى آخرها ثم شرعت في آل عمران الى آخرها فلم تزل تختم سورة بعد سورة حتى وصلت الى سورة ابراهيم الى قوله تعالى يتجرعه ولا يكاد يسيغه ويأتيه الموت من كل مكان وماهو بميت ومن ورائه عذاب غليظ قال فلم تزل تكرر هذه الاية وتبكى الى ان اغمى عليها وسقطت الى الارض فحركتها فاذا هى ميتة رحمة الله تعالى عليها (وحكى عن الاصمعى رضى الله تعالى عنه انه قال) خرجت حاجا الى بيت الله الحرام من طريق الشام فبينما نحن سائرون اذ خرج علينا أسد عظيم هائل المنظر فقطع عن الركب الطريق فقلت لرجل بجانبي أماف

عارف بحرمتها ومكانتها عند الله تعالى واهل مكة يومئذ العماليق وانما سموا العماليق لان أباهم عمليق بن سام ابن نوح وكان سيد العماليق اذذاك بمكة رجلا يقال له معاوية بن بكر وكانت أم معاوية اسمها ناهدة بنت الجبيري رجل من عاد فلما قحط المطر عن عاد جهدوا وقالوا جهزوا منكم وفدا الى مكة فليستسقوا لكم فبعثوا منهم قيل بن عنز ولقيم بن هزال بن هزيل وعبيل بن ضد بن عاد الاكبر ومرثد بن سعد بن عفير وكان مسلما كتم اسلامه وجلهمة بن الخبيري خال معاوية بن بكر ثم بعثوا أيضا لقمان بن عاد بن ضد بن عاد الاكبر فانطلق كل رجل من هؤلاء القوم ومعه رهط من قومه حتى بلغ عدد وفدهم سبعين رجلا فلما قدموا مكة نزلوا على معاوية بن بكر وهو بظاهر مكة خارج الحرم فانزلهم وأكرمهم وكانوا أخواله وأصهاره فاقاموا عنده شهرا يشربون الخمور وتغنيهم الجرادتان وهما قينتان لمعاوية بن بكر وكان مسيرهم شهرا ومقامهم شهرا فلما رأي معاوية طول مقامهم وقد بعثهم قومهم يستغيثون من البلاء الذي أصابهم شق ذلك عليه وقال هلك أخوالي وأصهاري وهؤلاء مقيمون عندي وهم ضيفي والله ما أدري كيف أصنع بهم فاستحيي ان آمرهم بالخروج الى ما بعثوا اليه فيظنون انه ضيق مني بمقامهم عندي وقد هلك من وراءهم من قومهم جهدا وعطشا فشكا ذلك من امرهم الى قينتيه الجرادتين فقالتا له قل شعرا نغنيهم به ولا يدرون من قاله لعل ذلك يحركهم فقال معاوية بن بكر

الا يا قيل ويحك قم فهينم * لعل الله يمنحنا غماما
فتسقى ارض عاد ان عادا * قد أمسوا لا يبينون الكلاما
من العطش الشديد فليس نرجوا * به الشيخ الكبير ولا الغلاما
وقد كانت نساؤهموا بخير * فقد أمست نساؤهموا عيامى
وان الوحش يأتيهم جهارا * ولا يخشى لعادي سهاما
وانتم ههنا فيما اشتهيتم * نهاركموا وليلكموا تماما
فقبح وفدكم من وفد قوم * ولا لقوا التحية والسلاما

فلما غنتهم الجرادتان بهذا قال بعضهم لبعض يا قوم انما بعثكم قومكم يستغيثون بكم من هذا البلاء الذى نزل بهم وقد ابطأتم عليهم فادخلوا هذا الحرم فاستسقوا لقومكم فقال مرثد بن سعد وكان قد آمن بهود عليه السلام سرا انكم والله لا تسقون بدعائكم ولكن ان أطعتم نبيكم وانبتم الى ربكم سقيتم فاظهر اسلامه عند ذلك قال جلهمة ابن الخبيري خال معاوية حين سمع قوله وعرف انه قد تبع دين هود عليه السلام

أبا سعد فانك من قبيل * ذوى كرم وامك من ثمود
فانا لا نطيعك ما بقينا * ولسنا فاعلين لما تريد
أتأمرنا لنترك دين رفد * ورمل وآل ضد والعبود
ونترك دين آباء كرام * ذوى رأى ونتبع دين هود

ثم قال لمعاوية بن بكر وابيه بكر وكان شيخا كبيرا احبسا عنا مرثد بن سعد حتى لا يقدم معنا مكة فانه قد تبع دين هود وترك ديننا ثم دخلوا الى مكة يستسقون لعاد بها فلما دخلوا مكة خرج مرثد بن سعد من منزل معاوية حتى ادركهم بمكة قبل ان يدعوا الله بشيء مما خرجوا اليه فلما انتهى قام يدعو الله ووفد عاد قد أخذوا يدعون فجعل يقول اللهم اعطني سؤلي وحدى ولا تدخلني في شيء مما يدعوا به وفد عاد وكان قيل بن عنز رأس وفد عاد قد أمرهم أن يأمنوا عليه فقال وفد عاد اللهم أعط قيلا ما سألك وأجعل سؤلنا مع سؤاله وكان تخلف عن وفد عاد لقمان بن عاد ولم يدخل فى دعوتهم فقال اللهم انى جئتك وحدى فى حاجتى فاعطنى سؤلى وقال قيل بن عنز حين دعى واستسقي اللهم لم أجيء لمريض فاداويه ولا لاسير فافادته اللهم اسق عادا ما كنت

هذا الرب رجل يأخذ سيفا يردعنا هذا الاسد فقال اما رجل فلا أعرف ولكنى اعرف امرأة ترده من غير سيف فقلت وأين هى فقام وقمت معه الى هودج قريب منا فنادى يا بنية انزلى وردى عنا هذا الاسد فقالت يا ابت ايطيب قلبك ان ينظر الى الاسد وهو ذكر وانا انثي ولكن قل له ابنتى فاطمه تقرئك السلام وتقسم عليك بالذي لا تاخذه سنة ولا نوم الا ما عدلت عن طريق القوم قال الاصمعى فوالله ما استتمت كلامها حتى رأيت الاسد ذاهبا أمامنا * هذه والله دلائل الصالحين وامارة العارفين نفعنا الله تعالى بهم آمين (وروى عن بعض الصالحين رضي الله تعالى عنه) انه رأى جارية فى البادية وهى تمشي وتفرح وليس معها احد فقال من اين اقبلت فقالت له من عند الحبيب قال والى اين تريدين قالت الي الحبيب قال فما تستوحشين وحدك في هذه البرية فرفعت صوتها ونادت باعلاه يعلم ما يلج في الارض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو معكم اينما كنتم والله بما تعملون بصير ثم قالت يا بطال من

تسقيهم بالهنا ان كان هود صادقا فاسقنا فانا قد هلكنا فانشأ الله سحائب ثلاثا واحدة بيضاء وواحدة حمراء وواحدة سوداء ثم ناداه مناد من السحاب الا يا قيل اختر لنفسك واحدة من هذه السحب الثلاث فقال قيل اخترت السحابة السوداء فانها اكثر السحاب ماء فناداه المنادى يقول اخترت يا قيل رمادا رمددا لم تبق من آل عاد أحدا لا ولدا تتركه ولا والدا الا جعلتهم رمما الا بنو اللوذية المهداو بنو اللوذية رهط من هزال بن هزيل بن بكر وكانوا سكانا بمكة مع أخوالهم لم يكونوا مع عاد بأرضهم فهم عاد الآخرة فساق الله السحابة السوداء التي اختارها قيل بما فيها من النقمة الى عاد حتى خرجت عليهم من واد لهم يقال له المغيث فلما رأوها استبشروا بها وقالوا هذا عارض ممطرنا فقال الله تعالى بل هو ما استعجلتم به ريح فيها عذاب أليم تدمر كل شيء بامر ربها أى كل شيء مرت به وكان أول من أبصر ما فيها وعرف انها ريح مهلكة امرأة من عاد يقال لها مهدد فلما تبينت ما فيها من العذاب صاحت ثم صعقت فلما أفاقت قالوا ما رأيت قالت رأيت ريحا فيها كشهب النار أمامها رجال يقودونها (أخبرنا) الحسن بن محمد بن الحسين انبأنا محمد بن جعفر انبأنا الحسن بن علوة أنبأنا اسمعيل بن عيسى انبأنا اسحق بن بشر أخبرني المثني بن الصباح عن عمر بن شعيب عن أبيه عن جده قال اوحى الله تعالى الى الريح العقيم ان تخرج على قوم عاد فتنتقم له منهم فخرجت بغير كيل ولا وزن على منخر ثور حتى رجفت الارض مما يلي المشرق والمغرب قال فقال الخزان يارب لن يطيقوها ولو خرجت على حالها لاهلكت ما بين مشارق الارض ومغاربها فاوحى الله اليها ان ارجعي فاخرجي على قدر خرمة الخاتم وهي الحلقة قال فسخرها الله عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوما اى دائمة متتابعة فلم تدع أحدا من عاد الا اهلكته وكان هود ومن معه قد اعتزلوا في حظيرة ما يصيبهم من الريح الا ما يلين جلودهم وتلذ به الانفس وانها من عاد لظعن فتحملهم ما بين السماء والارض وتدمغهم بالحجارة حتى هلكوا (قال) محمد بن اسحق والسدى بعث الله على عاد الريح العقيم فلما دنت منهم نظروا الى الابل والرجال تطير بهم الريح بين السماء والارض فتبادروا البيوت فلما دخلوها دخلت عليهم الريح فاخرجتهم منها فهلكوا فلما اهلكهم الله تعالى ارسل عليهم طيورا سودا التلقيهم في البحر فالقتهم فيه (قال) ابن بشار لما خرجت الريح على عاد من الوادى قال تسعة رهط منهم أحدهم الخلجان وكان رئيسهم وكبيرهم في ذلك الزمان تعالوا حتى نقوم على رأس الوادى فنردها فجعلت الريح تدخل تحت الواحد منهم فتحمله ثم ترمى به فيندق عنقه وكانت الريح تقلع الشجرة العظيمة بعروقها وتهدم عليهم بيوتهم وتقلعهم فتتركهم كما قال الله تعالى كأنهم أعجاز نخل خاوية حتى لم يبق منهم الا الخلجان فمال الى الجبل فاخذ بجانب منه فهزه فاهتز في يده ثم أنشأ يقول

لم يبق الا الخلجان نفسه * يالك من يوم دهاني امسه
ثبات الوطء شديدا بطشه * لولم يجئني جئته وحبسته

فقال له هود ويحك ياخلجان اسلم تسلم فقال له مالى عند ربك اذا أسلمت قال الجنة قال فما هؤلاء الذين اراهم في السحاب كأنهم البخت قال هود ذلك الملائكة قال ان اسلمت ايقيدني ربك منهم لقومي قال ويحك هل رأيت ملكا يقيد من جنوده فقال لو فعل مارضيت فجاءت الريح فالحقته باصحابه واهلكته وافني الله عادا سوي من بقى من قومهم بمكة ونواحيها (اخبرنا) الحسين بن محمد الدينورى اخبرنا أحمد بن محمد بن اسحق السني أخبرنا ابو يعلى الموصلى اخبرنا اسحق بن أبى اسرائيل وعبيد الله بن عمر القوارير أخبرنا جعفر بن سليمان الضبيعي اخبرنا فرقد السبخى عن عاصم عن عمرو البجلى عن ابى امامة الباهلى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يبيت قوم من هذه الامة على طعام وشراب ولهو فيصبحون قردة وخنازير ويصيبهم

استأنس بالله استوحش مما سواه ومن طلب رضاه صبر على قضاه ثم غابت عني فلم ارها رضى الله تعالى عنها (وحكى عن السري السقطي رضى الله تعالى عنه انه قال) ارقت ليلة من الليالى فلم أستطع الغمض فقلت في نفسي اخرج الى المقابر لعلى اعتبر برؤية القبور والتفكر في البعث والنشور فيزول همي وغمي فخرجت اليها فما وجدت قلبي منشرحا لديها فقلت ادخل الاسواق لعلى باختلاط الناس يزول عنى الباس ففعلت ذلك فما انشرح قلبي هنالك فقلت أدخل المارستان وانظر الى المرضي والمجانين والى افعالهم لعلى اعتبر باحوالهم فدخلت اليه فوجدت قلبي مقبلا عليه فقلت الهى وسيدى الي ههنا سيرتني ولاجله من منامى ايقظتني فنوديت في سرى ما اتينا بك الى هذا المكان الا ولنا فيه نبأ وشان قال السرى فتقدمت الى مكان المجانين فرأيت فيه جارية مصفرة اللون متغيرة ويداها مغلولتان الى عنقها وهى مشغولة بذكر الله تعالى قال السرى فقلت للقيم على المجانين ماشأن هذه الجارية فقال جارية اختل عقلها فحبسها

خسف وقذف فيقولون لقد خسف الليلة ببني فلان وليرسلن عليهم الريح العقيم التي اهلكت عادا بشربهم الخمر واكلهم الربا واتخاذهم القينات ولبسهم الحرير وقطعهم الارحام قالوا وخرج وفد عاد من مكة حتى مروا بمعاوية بن بكر فنزلوا عليه فبينماهم عنده اذا اقبل رجل على ناقة له في ليلة مقمرة من امصار عاد فاخبرهم بهلاك عاد فقالوا له اين فارقت هودا واصحابه قال فارقتهم بساحل البحر فكانهم شكوا فيما حدثهم به فقالت هزيلة بنت بكر صدق ورب الكعبة ومنور بن يعفر ابن أخي معاوية بن بكر معهم قالوا وقد قيل لمرثد بن سعد ولقمان بن عاد وقيل بن عنز حين دعوا بمكة قد أعطيتكم مناكم فاختاروا لانفسكم فقال مرثد اللهم اعطني برا وصدقا فاعطى ذلك وقال قيل اختار ان يصيبني ما أصاب قومي فقيل له هلاك فقال لا ابالي لا حاجة لي في البقاء بعد قومي فاصابه الذى اصاب عادا من العذاب فهلك وقال لقمان يارب اعطني عمرا فقيل له اختر لنفسك بقاء سبع بعرات سمر من أظب عفر لا يمسها القطر او عمر سبعة انسر اذا مضى نسر حولت الى نسر آخر فاستحقر بقاء الابعار واختار عمر النسور فعمر سبعة أنسر فكان ياخذ الفرخ حين يخرج من بيضته فيأخذ الذكر منها لقوته فيربيه حتى اذا مات اخذ غيره فلم يزل يفعل مثل ذلك حتى اتى الى السابع وكان كل نسر يعيش ثمانين سنة فلما لم يبق غير السابع قال ابن اخ للقمان ياعم لم يبق من عمرك الا هذا النسر فقال لقمان يا ابن أخى هذا لبد ولبد بلسانهم الدهر فلما انقضي عمر لبد طارت النسور غداة من رأس الجبل ولم ينهض لبد فيها وكانت نسور لقمان لا تغيب عنه قال فلما رأي لبدا لم ينهض مع النسور قام الى الجبل لينظر ما فعل لبد فوجد لقمان في نفسه وهنا لم يكن يجده قبل ذلك فلما انتهى الى الجبل رأى نسره لبدا واقفا بين النسور فناداه انهض لبد فذهب لينهض فلم يستطع فسقط ومات لقمان معه وفيه جرى المثل اتى ابد على لبد وقال النابغة الذبياني

أضحت قفارا واضحي اهلها احتملوا * أخنى عليها الذى اخنى على لبد

وقال محمد بن اسحق قال مرثد بن سعد حين سمع قول الراكب الذى اخبر بهلاك عاد شعرا

عصت عاد رسولهم فامسوا * عطاشا ماتبلهم السماء
وسير وفدهم شهرا ليسقوا * فاردفهم مع العطش العماء
بكفرهم بربهم جهارا * على آثارهم عاد العفاء
الا نزع الاله حلوم عاد * فان قلوبهم قفر هواء
من الرب المهيمن اذ عصوه * وماتغني النصيحة والشفاء
فنفسي وابنتاى وام ولدى * لنفس نبينا هود فداء
اتانا والقلوب مصميات * على ظلم وقد ذهب الضياء
لنا صنم يقال له صمود * يقابله صدى والهباء
فابصره الذين له أنابوا * وادرك من يكذبه الشقاء
وانى سوف الحق من آل هود * واخوته اذا جن المساء

ثم انه لحق بهود ومن آمن معه وبقى هود ماشاء الله ثم مات وعمره مائة وخمسون سنة وقال ابو الطفيل عامر ابن واثلة سمعت عليا رضى الله عنه يقول لرجل من اهل حضرموت هل رأيت كثيبا احمر يخالطه مدرة حمراء واراك وسدر كثير بناحية كذا وكذا من حضرموت قال نعم يا امير المؤمنين انك لتنعته لى نعت رجل قد رآه قال لا ولكني قد حدثت عنه فقال الحضرمي وماشأنه يا أمير المؤمنين فقال فيه قبر النبي هود عليه السلام أخبرنا ابو عمرو أحمد بن أبي العرابى أنبأنا المغيرة بن عمرو بن الوليد بمكة في المسجد الحرام بين الركن والمقام

مولاها فلما سمعت الجارية كلامه تنهدت وانشدت تقول هذه الابيات شعرا

معشر الناس ماجننت ولكن
انا سكرانة وقلبي صاحى
قد غللتم يدى ولم آت ذنبا
غير هتكى في حبه وافتضاحى
انا مفتونة بحب حبيب
لست ابغي عن بابه من براح
فصلاحى الذي رأيتم فسادي
وفسادى الذي رأيتم صلاحي

قال السري فلما سمعت كلامها اقلقني وابكاني وهيج لوعتي واشجاني فلما رأت دمعي ينحدر على وجهي قالت ياسرى ما جهلت منذ عرفت ولا فترت منذ خدمت ولا قطعت منذ وصلت ولا حجبت منذ وقفت واهل الدرجات يعرف بعضهم بعضا قال السرى فقلت لها ياجارية اراك للمحبة تذكرين وللتوحيد تظهرين فلمن تحبين فقالت لمن تعرف علينا باكرامه وتحبب الينا بانعامه وجاد علينا بجزيل عطائه فهو قريب الى القلوب مفرج للكروب حليم على من عصاه مجيب لمن دعاه قال

أنبأنا الفضل بن يحيي الجندى أنبأنا يونس بن محمد أنبأنا يزيد بن ابى حكيم عن سفيان الثوري عن عطاء عن السائب عن عبد الرحمن بن سابط انه قال بين الركن والمقام وزمزم قبور تسعة وتسعون نبيا وان قبر هود وصالح وشعيب واسمعيل عليهم السلام فى تلك البقعة (وفي رواية اخرى) كان النبي من الانبياء اذا هلك قومه نجا هو والصالحون معه يأتي مكة هو ومن معه يعبدون الله تعالى حتى يموتوا والله اعلم

﴿ مجلس فى قصة صالح عليه السلام ﴾

قال الله تعالى والى ثمود اخاهم صالحا وهو ثمود بن عاد بن ارم بن سام بن نوح وهو أخو جديس وارادهنا القبيلة قال ابو عمرو بن العلاء سميت ثمودا لقلة مائها والثمد الماء القليل وكانت مساكن ثمود الحجر بين الحجاز والشام وكان من قصتهم على ما ذكره محمد بن اسحق بن يسار والسدى والكلبى ووهب بن منبه وكعب وغيرهم من أهل الكتب دخل كلام بعضهم فى بعض ان عادا الاولى لما اهلكهم الله تعالى وانقضى امرهم عمرت ثمود بعدهم واستخلفوا فى الارض فحلوا فيها فكثروا وعمروا حتى جعل بعضهم يبني المسكن من الحجر والمدر فينهدم وهو حي فلما رأوا ذلك اتخذوا من الجبال بيوتا فنحتوا منها وجابوها وجوفوها وكانوا فى سعة من معايشهم كما قال الله تعالى واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد عاد وبوأكم فى الارض تتخذون من سهولها قصورا وتنحتون الجبال بيوتا فاذكروا آلاء الله ولا تعثوا فى الارض مفسدين فخالفوا أمر الله وعبدوا غيره وأفسدوا فى الارض فبعث الله اليهم صالحا نبيا وهو صالح بن عبيد بن آسف بن ماسح بن عبيد بن حاذر بن ثمود وكانوا قوما عربا وكان صالح من أوسطهم نسبا وأفضلهم حسبا فبعثه الله تعالى اليهم رسولا فدعاهم الى الله تعالى والى عبادته فلم يتبعه الا قليل مستضعفون فلما ألح عليهم صالح بالدعاء والتبليغ وأكثر عليهم التخويف والتحذير سألوه ان يريهم آية تكون مصداقا لما يقول فقال اللهم أرهم آية ليعتبروا بها ثم قال لهم أى آية تريدون قالوا تخرج معنا الى عيدنا وكان لهم عيد يخرجون اليه باصنامهم فى يوم معلوم من السنة فتدعو الهك وندعو الهتنا فان استجيب لك اتبعناك وان استجيب لنا اتبعتنا فقال لهم صالح نعم فخرجوا باوثانهم الى عيدهم ذلك وخرج صالح معهم فدعوا أوثانهم وسألوها ان لا يستجاب لصالح فى شيء مما يدعو به ثم قال جندع بن عمرو بن جواس وهو يومئذ سيد ثمود يا صالح اخرج لنا من هذه الصخرة يعنى الصخرة المنفردة عن الجبال في ناحية الحجر يقال لها الكاثبة ناقة مخترجة جوفاء وبراء عشراء والمخترجة ما شاكلت البخت من الابل فان فعلت ذلك صدقناك وآمنا بك فاخذ عليهم صالح الميثاق انه ان فعل ذلك صدقوه وآمنوا به ثم ان صالحا عليه السلام صلى ودعا الله تعالى بذلك فتمخضت الصخرة تمخض النتوج بولدها ثم تحركت الهضبة فانصدعت عن ناقة عشراء جوفاء وبراء كما سألوه لا يعلم ما بين جنبيها الا الله تعالى عظما وهم ينظرون ثم نتجت سقبا مثلها في العظم فآمن به جندع بن عمرو ورهط من قومه وأراد أشراف ثمود ان يؤمنوا بصالح ويتابعوه فنهاهم ذؤاب بن عمرو بن لبيد والخباب صاحبا أوثانهم ورباب بن صمعر وكانوا من أشراف ثمود وكان لجندع بن عمرو ابن عم يقال له شهاب بن خليفة فاراد ان يسلم فنهاه أولئك الرهط فاطاعهم فقال رجل من ثمود

وكانت عصبة من آل عمرو * الى دين النبي دعوا شهابا
عزيز ثمود كلهم جميعا * فهم ان يجيب لو اجابا
لاصبح صالح فينا عزيزا * وما عدلوا بصاحبهم ذؤابا
ولكن الغواة من آل حجر * تولوا بعد رشدهم ذبابا

فلما خرجت الناقة قال صالح هذه ناقة لها شرب ولكم شرب يوم معلوم فمكثت الناقة ومعها سقبها فى ارض

السري فقلت من حبسك في هذا المكان فقالت حاسدون مبغضون تعاونوا على ورموني بالجنون وهم أحق بهذا الاسم مني وانشدت تقول

يا من رأى وحشتي فانسني
بالقرب من وصله فانعشني
يا ساكني لاخلوت من سكنى
دهري ويا عدتي على الزمن
اوحشني ما فقدت منه فقد
عاد باحسانه يقربني
وجاد ايضا على منعطفا
كذاك قد كنت حين عرفني
حسبي من الكون من شغفت به
اصحبه مؤنسا ويصحبني
وكنت في غفلة فنبهني
وكنت في رقدة فايقظني

قال السري فقلت لها ما الاسم فقالت دع الاسم يكفيك ما سمعت يغنيك فبينما نحن كذلك اذا اقبل سيدها فقال للموكل عليها أين بدعة فقال قد دخل عليها الشيخ السري فكلمها بكلام اصغت اليه فدخل سيدها فرأى السري عندها تعظمه وقبل يده وقال ياسيدى لقد رحمت ببركتك فقال له اي شئ انكرت منها فقال يا سيدي هذه جارية كانت تضرب بالعود فاعجبتني

ثمود ترعي الشجر وتشرب الماء فكانت ترد الماء يوما ولهم يوم فاذا كان يومها وضعت رأسها في بئر بارض الحجر يقال لها بئر الناقة فيرتفع الماء اليها فما ترفع رأسها الا وقد شربت جميع ما فيها ولا تدع قطرة ماء فيها فتتفحج ثم تروح عليهم فيحلبون من لبنها ما شاؤا فيشربون ويدخرون ويملؤن اوانيهم لكن تصدر من غير الفج الذي وردت منه لانها لا تقدر ان تصدر من حيث وردت لانه يضيق عليها قال ابو موسى الاشعري أتيت أرض ثمود فذرعت مصدر الناقة فوجدته ستين ذراعا فاذا كان الغد من يومهم شربوا من الماء وقد أخرجه الله تعالى لهم من البئر وادخروا ما شاؤا قدر كفايتهم في يوم الناقة وكانوا من ذلك في سعة ودعة وكانت الناقة في الصيف اذا كان الحر تطلع ظهر الوادي فتهرب منها اغنامهم وبقرهم وابلهم وتهبط الى بطن الوادي في حره وحدته فكانت كل المواشي تنفر منها اذا رأتها واذا كان الشتاء سبقت الناقة في بطن الوادي فتهرب مواشيهم الى ظهر الوادي في البرد والحدة فضر ذلك مواشيهم للبلاء والاختبار فكان مراتعهم الجبال فكبر ذلك عليهم حتى حملوا على عقر الناقة فاحتالوا في عقرها وكانت امرأة من ثمود يقال لها عنيزة بنت غنم بن مخلد وتكنى أم غنم وهي من بني عبيد بن المهل وكانت امرأة ذؤاب بن عمرو وكانت عجوزا مسنة ولها بنات حسان ومال كثير من الابل والبقر والغنم وامرأة أخرى يقال لها صدوق بنت المحيا بن دهر وكانت غنية جميلة ذات مواش كثيرة وكانت هاتان المرأتان من أشد الناس عداوة لصالح وكانتا يحتالان في عقر الناقة من كفرهما بصالح عليه السلام ولما اضرت بمواشيهما وكانت صدوق عند ابن خال لها يقال له صنيم بن هراوة بن سعد بن الغطريف بن هلال فاسلم وحسن اسلامه وكانت صدوق قد فوضت اليه مالها فانفقه على من أسلم معه من اصحاب صالح عليه الصلاة والسلام حتى نفد المال فاطلعت صدوق على اسلامه فعاتبته على ذلك فاظهر لها دينه ودعاها الى الله تعالى فابت عليه واخذت أولادها فغيبتهم في بني عمها الذين هي منهم فقال لها زوجها ردي على أولادي فلما الح عليها قالت حتى احاكمك الى بني عمي وذلك ان بني عم زوجها كانوا مسلمين فابت ان تحاكمه اليهم فقال لها بنو عمها والله لتعطينه ولده طائعة أو كارهة فلما رأت ذلك أعطته أولاده ثم ان صدوق وعنيزة احتالتا في عقر الناقة للشقاء الذي كتب عليهما فدعت صدوق رجلا من ثمود يقال له الحباب فامرته بعقر الناقة وعرضت عليه نفسها ان هو فعل ذلك فابى عليها ثم انها دعت ابن عم لها يقال له مصدع بن مهرج وجعلت له نفسها ان هو عقر الناقة وكانت من أوفر الناس جمالا واكثرهم مالا واحسنهم كمالا فاجابها الى ذلك ودعت عنيزة قدار بن سالف من اهل قدح واسم امه قديرة وكان رجلا اشقر ازرق قصيرا ويزعمون انه كان لزنية رجل يقال له صفوان ولم يكن لسالف ولكنه قد ولد على فراشه فقالت له يا قدار اعطيك من بناتي ايما شئت على ان تعقر الناقة وكان قدار عزيزا في قومه وذكره رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ انبعث اشقاها رجل عزيز في قومه مثل ابي زمعة قالوا فانطلق قدار ومصدع فاستغاثوا من استغاثوا من ثمود فاتبعهم سبعة نفر وكانوا تسعة رهط كما قال الله تعالى وكان في المدينة تسعة رهط يفسدون في الارض ولا يصلحون فلقيهم هذيات بن مبلع خال قدار وعزيز من اهل الحجر وزعر بن غنم بن داعرة اخى مصدع وخمسة لم نذكر اسماؤهم فاجتمعوا على عقر الناقة قال السدي وغيره أوحى الله الى صالح ان قومك سيعقرون الناقة فقال لهم ذلك فقالوا ما كنا لنفعل ذلك فقال لهم انه سيولد في شهركم هذا غلام يعقرها ويكون هلاككم على يديه فقالوا لا جرم لا يولد لنا في هذا الشهر ولد الا قتلناه فولد لتسعة منهم في ذلك الشهر تسعة بنين فذبحوا اولادهم وولد للعاشر ابن فابى ان يذبح ابنه وكان بكره لم يولد له قبل ذلك شيء وكان ابن العاشر ازرق احمر فنبت نباتا سريعا وكان اذا مر بالتسعة ورأوه ندموا على ذبح أولادهم وقالوا لو كان ابناؤنا احياء لكانوا مثل هذا فغضب التسعة على صالح لانه كان سبب قتل اولادهم فتقاسموا بالله لنبيتنه واهله قالوا نخرج فنرى الناس انا

فشريتها بجميع مالي وهو عشرون الف درهم لفرط حسنها وحسن ضربها بالعود واملت ان اربح فيها مثل ثمنها فدخلت عليها في بعض الايام والعود في حجرها وهي تغني وتنشد هذه الابيات شعرا

وحقك ما نقضت الدهر عهدا
ولا كدرت بعد الصفو ودا
ملأت جوانحي والقلب وجدا
فكيف اقر يا سكني واهدا
فيا من ليس لي مولى سواه
لقد صيرتني في الناس عبدا

قال فلما فرغت من غنائها بكت بكاء طويلا ثم ضربت بالعود في الارض فكسرته وجعلت تهيم وتصيح وهي ذاهلة العقل فاتهمتها بمحبة المخلوق ثم كشفت عن حالها فلم أجد لذلك أثرا قال السري فقلت لها يا جارية اهكذا جرى عليك فاجابته بهذا الكلام تقول شعرا

خاطبني الحق من جناني
وكان وعظي على لساني
قربني منه بعد بعد
وخصني منه واصطفاني
اجبت لما دعيت طوعا
ملبيا للذي دعاني
وخفت لما جنيت فيه
ما يوقع الحب بالاماني

قال السري فقلت لسيدها اطلقها وعلي دفع ثمنها

قد خرجنا لسفر فأتى الغار فنكمن فيه حتى اذا كان الليل وخرج صالح الى مسجده اتيناه فنقتله ثم نرجع الي الغار فنكمن فيه ثم ننصرف بعد ذلك الي رحالنا فنقول ما شهدنا مهلك اهله وانا لصادقون فيصدقوننا و يظنون انا قد خرجنا الي سفر وكان صالح لاينام الليل معهم في القرية وكان يأوي الى مسجد يقال له مسجد صالح يبيت فيه في الليل فاذا اصبح اتاهم ووعظهم وذكرهم فاذا امسى خرج الى المسجد فبات فيه فلما دخلوا الغار واضمروا انهم يخرجون اليه بالليل فيقتلونه سقطت عليهم صخرة من الغار فقتلتهم فانطلق رجال ممن كان قد اطلع على ذلك الغار فاذا هم رضخ فرجعوا يصيحون في القرية ياعباد الله ماقنع صالح ان أمرهم بقتل اولادهم حتى قتلهم فاجمع اهل القرية على عقر الناقة (وقال) ابن اسحق انما كان تقاسم التسعة على تبييت صالح عليه السلام بعد عقرهم الناقة وانذار صالح اياهم بالعذاب وذلك ان التسعة الذين عقروا الناقة قالوا هلم فلنقتل صالحا فان كان صادقا كنا عجلنا قتله وان كان كاذبا الحقناه بناقته فاتوه ليلا ليبيتوه في أهله فرمتهم الملائكة بالحجارة فلما ابطؤا على اصحابهم اتى اصحابهم منزل صالح فوجدوهم مشدوخين قد رضخوا بالحجارة فقالوا لصالح انت قتلتهم وهموا به فقامت عشيرته دونه وأخذوا السلاح وقالوا لهم والله لاتقتلونه أبدا فقد وعدكم ان العذاب نازل بكم في ثلاث فان كان صادقا لم تزيدوا ربكم عليكم الا غضبا وان كان كاذبا فانتم من وراء ما تريدون فانصرفوا عنهم ليلتهم تلك (قال) السدى وغيره فلما ولد ابن العاشر يعني قدارا وكان يشب في كل يوم شباب غيره في الجمعة و يشب في الجمعة شباب غيره في الشهر و يشب في الشهر شباب غيره في السنة فلما كبر جلس مع اناس يصيبون من الشراب فارادوا ماء يمزجون به شرابهم وكان ذلك اليوم شرب الناقة فوجدوا الماء قد شربته الناقة فاشتد عليهم ذلك وقالوا ما نصنع باللبن لو كنا نأخذ الماء الذي تشربه هذه الناقة فنسقيه انعامنا وحرثنا كان خيرا لنا فقال ابن العاشر هل لكم ان اعقرها قالوا نعم (وقال) كعب كان سبب عقرهم الناقة امرأة يقال لها ملكا كانت قد ملكت ثمود فلما أقبل الناس على صالح وصارت الرياسة اليه حسدته فقالت لامرأة يقال لها قطام وكانت معشوقة قدار بن سالف ولامرأة يقال لها قبال وكانت معشوقة مصدع بن مهرج وكان قدار ومصدع يجتمعان معهما كل ليلة يشربون الخمر فقالت لهما ملكا ان اتاكما الليلة قدار ومصدع فلا تطيعاهما وقولا لهما ان الملكة حزينة لاجل صالح وناقته فنحن لانطيعكما حتى تعقرا الناقة فان عقرتماها اطعناكما فلما أتياهما قالتا لهما هذه المقالة فقالا نحن نعقرها (قال) ابن اسحق وغيره فانطلق قدار ومصدع واصحابهما السبعة فرصدوا الناقة حتى صدرت عن الماء وقد كمن لها قدار في أصل شجرة على طريقها وكمن لها مصدع في أصل شجرة اخرى فمرت الناقة على مصدع فرماها بسهم فانتظم به عضلة ساقيها وخرجت أم غنم وعنيزة وامرت ابنتها وكانت من أحسن النساء وجها فتراءت لقدار وأسفرت له عن وجهها وحرضته على عقر الناقة فشد عليها بالسيف فكشف عرقوبها فارادها وطعن في لبتها فنحرها وخرج اهل البلدة واقتسموها وأكلوا لحمها وكانت لما عقرها رغت فلما رأى سقبها ذلك انطلق حتى أتى جبلا منيعا يقال له ضوء وقيل اسمه قارة وروي ذلك مسندا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من حديث شهر بن حوشب عن عمر بن خارجة فأتى صالح عليه السلام فقيل له ادرك ناقتك فقد عقرت فاقبل وخرجوا يتلقونه و يعتذرون اليه و يقولون يانبي الله انما عقرها فلان ولا ذنب لنا فقال لهم صالح انظروا هل تدركون فصيلها فان ادركتموه فعسى ان يرفع عنكم العذاب فخرجوا يطلبونه فلما رأوه على الجبل ذهبوا ليأخذوه فاوحى الله الى الجبل فتطاول في السماء حتى ماتناله الطير وجاء صالح عليه السلام فلما رآه الفصيل بكى حتى سالت دموعه ثم رغا ثلاثا وانفجرت الصخرة فدخلها فقال صالح عليه السلام لكل أمة أجل فتمتعوا

فصاح سيدها وأقرأه من اين لك ثمن هذه الجارية قال السري فقلت لاتعجل وامكث في هذا المكان حتى آتيك بثمنها قال السري فمضيت الي منزلي وعيناى تذرفان بالدموع وقلبي بسبب حبها مودوع وصرت اتضرع الى الله تعالى واتوجه اليه واتوكل في قضاء حاجتي عليه فبينما انا كذلك اذا قارع يقرع الباب فقلت من بالباب من حبيب من الاحباب فنظرت فاذا هو شاب من احسن الناس وجها ومعه خادم على رأسه خمس بدر فقلت من انت يرحمك الله فقال احمد بن المثنى قد اعطاني الجبار جل جلاله ومابخل على بعطائه ورزقني من الاموال مايعجز عن حمله الرجال فبينما انا نائم اذ هتف بي هاتف من قبل الله عز وجل فقال يا أحمد هل لك في معاملتنا فقلت وقد زال النوم عني ومن اولي بذلك مني فناداني ان احمل الى الشيخ السري خمس بدر يعطيها لمولى بدعة ليفك اسرها من الرق ويحظى منها بالعتق فلنا بها عناية ولطف ورعاية فحملت اليك هذا المال واطلعتك على الحال قال السري فسجدت شكرا لله تعالى واخذت بيد احمد

في داركم ثلاثة أيام ثم يأتيكم العذاب ذلك وعد غير مكذوب قال محمد بن اسحق بن يسار اتبع الفصيل اربعة نفر من التسعة الذين عقروا الناقة وفيهم مصدع واخوه ذؤاب ولد مهرج فرماه مصدع بسهم فانتظم قلبه ثم جر برجله فأنزله والقوا لحمه مع لحم امه فقال لهم صالح عليه السلام انتهكتم حرمة الله فابشروا بعذاب الله تعالى ونقمته فقالوا مستهزئين به ومتى ذلك يا صالح وما آية ذلك وكانوا يسمون الايام فيوم الاحد الاول والاثنين اهون والثلاثاء دبار والاربعاء جبار والخميس مؤنس والجمعة العروبة والسبت شبار وفيه يقول الشاعر

أؤمل ان اعيش وان يومي * بأول او بأهون او جبار
أو المردى دبار فان افته * فمؤنس أوعروبة او شبار

قالوا وكان عقر الناقة يوم الاربعاء فقال لهم صالح عليه السلام حين سألوه عن وقت العذاب وآيته انكم تصبحون غدا مؤنس ووجوهكم مصفرة ثم تصبحون يوم العروبة ووجوهكم محمرة ثم تصبحون يوم شبار ووجوهكم مسودة ثم يصبحكم العذاب يوم الاول فاصبحوا يوم الخميس ووجوهكم مصفرة كأنما طليت بالخلوق صغيرهم وكبيرهم ذكرهم وانثاهم فايقنوا بالعذاب وعرفوا ان صالحا قد صدقهم فطلبوه ليقتلوه فخرج صالح عليه السلام هاربا منهم حتى لحق الى بطن من ثمود يقال لهم بنو غنم فنزل على سيدهم رجل منهم يقال له نفيل ويكنى ابا هدب وهو مشرك فغيبه عنهم فلم يقدروا عليه فغدوا على اصحاب صالح يعذبونهم ليدلوهم عليه فقال رجل من اصحاب صالح يقال له مبدع بن هرم يا نبي الله انهم ليعذبوننا لندلهم عليك افندلهم قال نعم فدلهم عليه مبدع فاتوا ابا هدب فكلموه في ذلك فقال نعم هو عندي وليس لكم اليه سبيل فاعرضوا عنه وتركوه وشغلهم عنه ما انزل الله تعالى بهم من عذابه فجعل بعضهم يخبر بعضا مما يرون في وجوههم فلما أمسوا صاحوا باجمعهم الا قد مضى يوم من الاجل فلما أصبحوا اليوم الثاني اذا وجوههم محمرة كأنما خضبت بالدم فصاحوا وضجوا وبكوا وعرفوا ان العذاب واقع بهم فلما أمسوا صاحوا باجمعهم الا قد مضى يومان من الاجل وحضركم العذاب فلما أصبحوا اليوم الثالث اذا وجوههم مسودة كأنما طليت بالقار فصاحوا جميعا الا قد حضركم العذاب فلما كان ليلة الاحد خرج صالح عليه السلام من بين اظهرهم وخرج معه من آمن به حتى جاؤا الشام فنزلوا رملة فلسطين فلما أصبح القوم تكفنوا وتحنطوا وكان حنوطهم الصبر والمر وكانت اكفانهم الانطاع ثم القوا أنفسهم بالارض فجعلوا يقلبون ابصارهم الى السماء مرة والى الارض مرة لا يدرون من اين يأتيهم العذاب فلما اشتد الضحى من يوم الاحد اتتهم صيحة من السماء فيها صوت كل صاعقة وصوت كل شيء له صوت في الارض فقطعت قلوبهم في صدورهم فلم يبق فيهم صغير ولا كبير الا هلك كما قال عز وجل فاصبحوا في دارهم جاثمين كأن لم يغنوا فيها ألا ان ثمود كفروا ربهم ألا بعدا لثمود ولم ينج منهم الا جارية مقعدة يقال لها ذريعة بنت شاف وكانت كافرة شديدة العداوة لصالح فاطلق الله لها رجليها بعد ما عاينت العذاب أجمع فخرجت كأسرع شيء يكون حتى اتت قرحا وهو وادى القرى حد ما بين الحجاز والشام فاخبرتهم بما عاينت من العذاب وما اصاب ثمود ثم استسقت من الماء فسقيت فلما شربت ماتت (وروى) ابو الزبير عن جابر بن عبد الله قال لما مر النبي صلى الله عليه وسلم بالحجر في غزوة تبوك قال لاصحابه لا يدخلن احد منكم هذه القرية ولا تشربوا من مائها ولا تدخلوا على هؤلاء المعذبين الا ان تكونوا باكين ان يصيبكم مثل الذي اصابهم ثم قال أما بعد فلا تسألوا رسولكم الآيات هؤلاء قوم صالح سألوا رسولهم الآية فبعث الله لهم الناقة فكانت ترد من هذا الفج وتصدر من هذا الفج فتشرب ماءهم يوم ورودها واراهم رسول الله صلى الله عليه وسلم مرتقى الفصيل

ومضينا الى المارستان واذا بالموكل عليها يلتفت يمينا وشمالا فلما رآني قال مرحبا ادخل عليها فانها لهفانة ولها عند الله حرمة ومكانة قال فدخلنا عليها فسمعناها تقول شعرا

قد تصبرت الى ان
عيل في حبك صبري
وكتمت الوجد لكن
ليس يخفى فيك امري
ان تكن عني راض
لا أبالي طول دهري
أنت لي خير انيس
يامناسؤلي وذخري
من برد يعتق رقي
ويفك اليوم اسري
غيرك اللهم ربي
انت لي كاشف ضري

قال فبينما هي تنشد اذ اقبل مولاها وهو يبكي وينتحب قال السري فقلت له لا باس عليك قد اتيناك بالذي وزنته في الجارية بربح خمسة آلاف درهم فقال لا والله فقلت بربح عشرة آلاف درهم فقال لا والله فقلت بربح المثل فقال لا والله ولو اعطيتني الدنيا بما فيها لما قبلت منها شيأ ولكن هي حرة لوجه الله تعالى قال السري فقلت له اخبرني ما الخبر فقال يا استاذي اتاني البارحة آت في النوم ووبخني في المنام واغلظ علي في الكلام وقال تهين

حين ارتقي في الغار فعتوا عن امر ربهم وعقروها فاهلك الله تعالى من تحت اديم السماء منهم في مشارق الارض ومغاربها الارجلا واحدا يقال له ابو رغال وهو ابو ثقيف كان في حرم الله تعالى فمنعه حرم الله من عذاب الله تعالى فلما خرج اصابه ما اصاب قومه ودفن معه غصن من ذهب وارا هم رسول الله صلى الله عليه وسلم قبر ابى رغال فنزل القوم فابتدروه باسيافهم و بحثوا عليه فاستخرجوا ذلك الغصن من الذهب ثم تقنع رسول الله صلى الله عليه وسلم بثوبه واسرع السير حتى جاوز الوادى وقال اهل العلم توفى صالح عليه السلام بمكة وهو ابن ثمان وخمسين سنة وذلك انه انتقل من الشام الى مكة بعد ما اهلك الله تعالى قومه وكان يعبد الله تعالى هناك حتى مات وكان قد اقام في قومه عشرين سنة (اخبرنا) محمد بن عبدالله بن حمدون (قال) اخبرنا عبد الله بن محمد بن الحسن قال حدثنا عبدالله بن هاشم حدثنا وكيع بن الجراح حدثنا قتيبة أبو عثمان عن ابيه عن الضحاك بن مزاحم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا علي اتدري ما اشقى الاولين قال قلت الله ورسوله اعلم قال عاقر الناقة قال يا علي اتدرى من اشقى الآخرين قال قلت الله ورسوله اعلم قال قاتلك والله اعلم

(مجالس في قصة ابراهيم عليه السلام والنمروذ)

وهو ابراهيم بن تارخ بن ناخور بن ساروغ بن ارغو بن فالغ بن عابر بن شالح بن قينان بن ارفخشذ بن سام ابن نوح وكان اسم أبي ابراهيم الذي سماه به أبوه تارخ فلما صار مع النمروذ قيما على خزائن آلهته سماه آزر وقال مجاهد ان آزر ليس اسم أبيه وانما هو اسم صنم وقال ابن اسحق ليس هو اسم صنم بل هو لقب عيب به وهو بمعنى معوج وقيل هو بالقبطية الشيخ الهرم وولد لناخور تارخ بعد ما مضى من عمره سبع وعشرون سنة وهذا المجلس يشتمل على أبواب والله أعلم

(الباب الاول في مولد ابراهيم عليه السلام)

اختلف العلماء في الموضع الذى ولد فيه فقال بعضهم كان مولده بالسوس من ارض الاهواز وقال بعضهم كان مولده ببابل من ارض السواد بناحية يقال لها كوثا وقال بعضهم كان مولده باوركاء ناحية في حدود كسكر ثم نقله أبوه الى الموضع الذي كان به نمرود من ناحية كوثا وقال بعضهم كان مولده بحران ولكن ابوه نقله الى ارض بابل وقال عامة السلف من أهل العلم ولد ابراهيم عليه السلام في زمن نمروذ بن كنعان وكان بين الطوفان و بين مولد ابراهيم عليه السلام ألف ومائتان وثلاث وستون سنة وذلك بعد خلق آدم عليه السلام بثلاث آلاف وثلثمائة وسبع وثلاثين سنة ونمروذ الذى ولد فى ملكه ابراهيم وهو نمروذ بن كنعان بن سنجاريب ابن كورش بن حام بن نوح (وفي الحديث) ملك الارض أربعة مؤمنان وكافران فالمؤمنان فسليمان بن داود وذو القرنين عليهما السلام وأما الكافران فنمروذ وبختنصر وكان نمروذ أول من وضع على رأسه التاج وتجبر في الارض ودعا الناس الى عبادته وكان له كهان ومنجمون فقالوا له انه يولد في بلدك في هذه السنة غلام يغير دين أهل الارض ويكون هلاكك وزوال ملكك على يديه ويقال انهم وجدوا ذلك فى كتب الانبياء وقال السدى رأى نمروذ فى منامه كأن كوكبا طلع فذهب بضوء الشمس والقمر حتى لم يبق لهما ضوء ففزع من ذلك فزعا شديدا ودعا السحرة والكهنة والقافة وهم الذين يخطون في الارض وسألهم عن ذلك فقالوا هو مولود يولد في ناحيتك هذه السنة يكون هلاكك وهلاك اهل بيتك على يديه قال فامر نمروذ بذبح كل غلام يولد فى تلك الناحية تلك السنة وأمر بعزل الرجال عن النساء وجعل على كل عشرة رجلا رقيبا أمينا فاذا حاضت المرأة خلي بينه و بينها اذ الأمن المواقعة فاذا طهرت عزل الرجل عنها فرجع آزر أبو ابراهيم فوجد امرأته قد طهرت من الحيض فوقع عليها في طهرها فحملت بابراهيم عليه السلام (وقال) محمد بن اسحق بعث نمروذ الى كل امرأة

ولية لنا يا عدو الله فانتبهت مرعوبا وقد هانت على الدنيا وخرجت عن جميع ما أملكه لله تعالى وانا هارب اليه عسى ان يقبلني ثم بكى وخرج على وجهه هائما قال السرى فالتفت الى احمد بن المثنى فوجدته يبكي و ينتحب ودموعه تجرى على خده وقد ظهرت آثار القبول عليه فقلت ما يبكيك يا احمد فقال ما رضيني مولاى الى ما ندبني اليه ولا وجدت لمالى قبولا بين يديه أشهدك انى قد خرجت عنه وهو صدقة لوجه الله تعالى قال السرى فقلت ما كان اعظم بركات بدعة على الجميع ثم قامت بدعة ونزعت جميع ما كان عليها ولبست جبة من صوف وخمارا من شعر وخرجت هائمة على وجهها فخرجنا معها وهي تنشد وتقول شعرا

هربت منه اليه
بكيت منه عليه
وحقه وهو مولي
لا زلت بين يديه
حتى انال وأحظى
ما قد رجوت اليه

(قال السروى) فما زلنا نتبعها حتى خرجت الى ظاهر المدينة وهي تنشد وتقول هذه الابيات شعرا

حبلى بقريته فجعلها عنده الا ما كان من أم ابراهيم فانه لم يعلم بحبلها وذلك انها كانت جارية حديثة السن لم تعرف الحبل ولم يبن في بطنها (وقال السدى) خرج نمروذ بالرجال الى العسكر ونحاهم عن النساء تخوفا من ذلك المولود ان يكون فمكث كذلك ماشاء الله ثم بدت له حاجة الى المدينة فلم يأمن عليها احدا من قومه الا آزر فدعاه وقال له ان لي اليك حاجة أحب أن أوصيك بها ولم ابعثك الا لثقتي بك فاقسمت عليك الا تدنو من أهلك ولا تواقعها فقال آزر أنا أشح على ديني من ذلك فاوصاه بحاجته ثم بعثه فدخل المدينة وقضى حاجته ثم قال لو دخلت الي أهلي فنظرت اليهم فلما نظر الى أم ابراهيم لم يتمالك حتى وقع عليها فحملت بابراهيم عليه السلام (قال ابن عباس) لما حملت أم ابراهيم قال الكهان للنمروذ ان الغلام الذى اخبرناك به قد حملت به أمه هذه الليلة فامر نمروذ بذبح الغلمان فلما دنت ولادة أم ابراهيم وأخذها المخاض خرجت هاربة مخافة أن يطلع عليها فيقتل ولدها فوضعته في نهر يابس ثم لفته في خرقة ووضعته في حلفاء ورجعت فاخبرت زوجها بابنها وانها قد ولدت وان الولد في موضع كذا فانطلق أبوه فاخذه من ذلك المكان وحفر له سردابا عند نهر فواراه وسد عليه بابه بصخرة مخافة السباع وكانت امه تختلف اليه فترضعه (قال السدي) لما عظم بطن ام ابراهيم خشي آزر ان يذبح فانطلق بها الى ارض بين الكوفة والبصرة يقال لها وركاء فانزلها في سرب من الارض وجعل عندها مايصلحها وجعل يتعهدها ويكتم ذلك من اصحابه فولدت ابراهيم عليه السلام في ذلك السرب فشب فكان وهو ابن سنة كابن ثلاث سنين وصار من الشباب بحالة اسقطت عنه طمع الذباحين ثم ذكر آزر لاصحابه ان له ابنا كبيرا فانطلق به اليهم (قال ابن اسحق) لما وجدت ام ابراهيم الطلق خرجت ليلة الي مغارة كانت قريبا منها فولدت فيها ابراهيم عليه السلام واصلحت من شأنه مايصلح بالمولود ثم سدت عليه المغارة ورجعت الى بيتها ثم كانت تطالعه في المغارة فتجده حيا يمص ابهامه قال ابو زريق كانت ام ابراهيم كلما دخلت على ابراهيم عليه السلام وجدته يمص ابهامه فقالت ذات يوم لانظرن الي اصابعه فوجدته يمص من اصبع ماء ومن اصبع لبنا ومن اصبع عسلا ومن اصبع سمنا (قال ابن اسحق) وكان آزر سأل ام ابراهيم عن حملها مافعل فقالت ولدت غلاما فمات فصدقها وسكت عنها وكان اليوم على ابراهيم عليه السلام في الشباب كالشهر والشهر كالسنة فلم يمكث ابراهيم عليه السلام في المغارة الا خمسة عشر يوما حتى جاء الى ابيه آزر فاخبره انه ابنه واخبرته بما كانت صنعت في شأنه فسر آزر بذلك وفرح فرحا شديدا

(الباب الثاني في خروج ابراهيم عليه السلام من السرب ورجوعه الي قومه ومحاجته اياهم في الدين والقائهم اياه في النار ومايتعلق بذلك)

(قال اهل العلم) لما شب ابراهيم عليه السلام وهو في السرب قال لامه من ربي قالت انا قال فمن ربك قالت ابوك قال فمن رب ابي قالت له نمروذ قال فمن رب نمروذ قالت له اسكت فسكت ثم رجعت الى زوجها فقالت أرأيت الغلام الذى يحدث انه يغير دين اهل الارض فانه ابنك ثم اخبرته بما قال لها فاتاه ابوه آزر فقال له ابراهيم عليه السلام ياأبتاه من ربي قال له امك قال فمن رب امي قال انا قال فمن ربك قال نمروذ قال فمن رب نمروذ فلطمه لطمة وقال له اسكت وذلك قوله عز وجل ولقد آتينا ابراهيم رشده من قبل وكنا به عالمين ثم قال لابويه اخرجاني فاخرجاه من السرب فانطلقا به حتى غابت الشمس فنظر ابراهيم عليه السلام الى الابل والبقر والغنم والخيل يراح بها فسأل اباه قال ماهذا فقال هذا ابل و بقر وغنم فقال مالهذه بد من ان يكون لها رب خالق ثم نظر وتفكر في خلق السموات والارض وقال ان الذي خلقني ورزقني واطعمني وسقاني لربي مالي اله غيره ثم نظر فاذا المشتري قد طلع و يقال الزهرة وكانت تلك الليلة في آخر شهر فراي الكوكب قبل القمر فقال هذا ربي فذلك قوله تعالى فلما جن عليه الليل رأى كوكبا قال هذا ربي فلما أفل قال لا احب الآفلين

يا حبيب القلوب انت حبيبي
يا سرور المرور انت سروري
يا حياة النفوس انت حياتي
وانيسي انت نور لنوري

قال السري ثم مضت حتى غابت عن اعيننا ثم اتى مولاها وصحبني وكذلك أحمد بن المثنى برهة من الزمان الى ان توفي سيدها و بقيت انا واحمد بن المثنى فعزمنا على الحج الى بيت الله الحرام فبينما نحن نطوف بالكعبة اذا بصوت مقروح يخرج من كبد مجروح وهو ينشد و يقول هذه الابيات

قد تهتكت بحبك
كيف لي منك بقربك
فترفق بفؤاد
يشتكي شدة بعدك
حيث يالناس اذالا
يضر ربك ذنبك
فاسألي العفو جهارا
والرضا من عند ربك

قال السري فاتبعت الصوت فاذا بامرأة كالخيال ذاهلة العقل والبال فلما رأتني قالت السلام عليك ياسري فقلت عليك السلام من انت يرحمك الله فقالت لا اله الا الله وقع التناكر بعد المعرفة انت الى الآن محجوب وقلبك مسلوب ثم قالت انا بدعة قال السري فقلت لها

فلما رأى القمر بازغا قال هذا ربي فلما أفل قال لئن لم يهدني ربي لأكونن من القوم الضالين فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربي هذا اكبر لانه رأي ضوأها اعظم فلما افلت قال ياقوم اني بريء مما تشركون اني وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض حنيفا وما انا من المشركين قالوا وكان ابوه يصنع الاصنام فلما ضم ابرهيم الى نفسه جعل يصنع الاصنام ويعطيها ابراهيم ليبيعها فيذهب ابراهيم عليه السلام فينادي من يشترى مايضر ولا ينفع فلا يشتري احد منه فاذا بارت عليه ذهب بها الى نهر فضرب رؤسها وقال لها اشربي كسدت استهزاء بقومه وبما هم عليه من الضلالة والجهالة حتي فشي عيبه اياها واستهزاؤه بها في قومه واهل قريته فحاجه قومه في دينه فقال لهم اتحاجوني في الله وقد هدان الآيات الى قوله عز وجل وتلك حجتنا آتيناها ابراهيم على قومه نرفع درجات من نشاء ان ربك حكيم عليم حتي خصمهم وغلبهم بالحجة ثم ان ابراهيم عليه السلام دعا اباه آزر الى دينه فقال ياأبت لم تعبد مالا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيأ الى آخر القصة فابى أبوه الاجابة الى مادعاه اليه ثم ان ابراهيم عليه السلام جاهر قومه بالبراءة مما كانوا يعبدون واظهر دينه فقال أفرأيتم ما كنتم تعبدون انتم وآباؤكم الاقدمون فانهم عدو لى الا رب العالمين قالوا فمن تعبد أنت قال رب العالمين قالوا تعني نمروذ فقال لا الذى خلقني فهو يهدين الى آخر القصة ففشا ذلك في الناس حتى بلغ نمروذ الجبار فدعاه فقال يا ابراهيم أرأيت الهك الذي بعثك وتدعو الى عبادته وتذكر من قدرته التى تعظمه بها على غيره ماهو قال ابراهيم عليه السلام ربى الذي يحيي ويميت قال نمرود انا احيي وأميت قال ابراهيم كيف تحيي وتميت قال آخذ رجلين قد استوجبا القتل فى حكمى فاقتل أحدهما فاكون قد أمته ثم أعفو عن الآخر فاتركه فاكون قد أحييته فقال له ابراهيم عند ذلك ان الله يأتى بالشمس من المشرق فات بها من المغرب فبهت عند ذلك نمروذ ولم يرجع اليه شيأ ولزمته الحجة فذلك قوله عز وجل فبهت الذى كفر الآية ثم ان ابراهيم عليه السلام اراد ان يري قومه ضعف الاوثان التى كانوا يعبدونها من دون الله وعجزها الزاما للحجة عليهم فجعل يتنهز لذلك فرصة ويحتال فيه الى ان حضر عيد لهم (قال السدى) كان لهم فى كل سنة عيد يخرجون اليه ويجتمعون فيه فكانوا اذا رجعوا من عيدهم دخلوا على الاصنام فسجدوا لها ثم عادوا الى منازلهم فلما كان ذلك العيد قال ابو ابراهيم يا ابراهيم لو خرجت معنا الى عيدنا أعجبك ديننا فخرج معهم ابراهيم فلما كان ببعض الطريق ألقي نفسه وقال انى سقيم اشتكى رجلى فتولوا عنه وهو صريع فلما مضوا نادي فى آخرهم وقد بقي ضعفاء الناس وتالله لاكيدن أصنامكم بعد ان تولوا مدبرين فسمعوها منه (وقال مجاهد) وقتادة انما قال ابراهيم عليه السلام هذا فى سر من قومه ولم يسمع ذلك الا رجل واحد منهم وهو الذى افشاه عليه قالوا ثم رجع ابراهيم عليه السلام من الطريق الى بيت الآلهة فاذا فى البيت بهو مستقبل باب البهو صنم عظيم يليه أصغر منه الى باب البهو واذا هم قد جعلوا طعاما فوضعوه بين يدى الآلهة وقالوا اذا كان حين رجوعنا رجعنا وقد باركت الآلهة فى طعامنا أكلنا فلما نظر ابراهيم الى الاصنام والى ما بين ايديهم من الطعام قال لهم على طريق الاستهزاء الا تأكلون فلما لم تجبه قال مالكم لا تنطقون فراغ عليهم ضربا باليمين وجعل يكسرهن بفأس في يده حتي لم يبق الا الصنم الاكبر فعلق الفأس في عنقه ثم خرج فذلك قوله عز وجل فجعلهم جذاذا الا كبيرا لهم لعلهم اليه يرجعون فلما جاء القوم من عيدهم الى بيت آلهتهم ورأوها بتلك الحالة قالوا من فعل هذا بآلهتنا انه لمن الظالمين قالوا سمعنا فتى يذكرهم يقال له ابراهيم هو الذي نظنه صنع هذا فبلغ ذلك نمروذ الجبار واشراف قومه فقالوا فأتوا به على أعين الناس لعلهم يشهدون عليه انه هو الذى فعل ذلك وكرهوا ان يأخذوه بغير بينة قاله قتادة والسدى وقال الضحاك لعلهم يشهدون بما نصنع به ونعاقبه فلما أحضروه قالوا له أأنت فعلت هذا بآلهتنا يا ابراهيم قال ابراهيم بل فعله كبيرهم هذا غضب من ان تعبدوا

ما الذي افادك الحق بعد انفرادك عن الناس فقالت شعرا

افادني كل المنى
وخص قلبي بالغنى
وقد ازال سيدى
عن باطني ثقل العنا
ان لم يداركني بما
أرجو والامن أنا

قال فلما فرغت من كلامها بكت وانتحبت وهاجت واضطربت ثم رفعت رأسها وقالت ياسيدى ومولاى فاز أهل التقى ونجا من اتقى وخاب من حظه الطرد والشقا فاسالك ياسيدي الاما قربت الوصل واللقا وقد توانيت عليك فخذني اليك فلا حاجة لى في البقا ثم صرخت ووقعت الى الارض فحركتها فاذا هي ميتة رحمة الله عليها قال فنظر اليها احمد بن المثني فطار قلبه وحار لبه ثم بكى وانتحب واهتز واضطرب واصعد الزفرات واظهر الحسرات ثم صرخ ووقع على الارض فحركته فاذا هو قد مات قال السرى فتعجبت من حالهما وقرب آجالهما وأخذت فى غسلهما وتجهيزهما ودفنهما رحمة الله تعالى عليهما ونفعنا بهما (وحكى عن السرى ايضا رضى الله

معه هذه الاصنام الصغار وهو أكبر منها فكسرهن فاسألوهم ان كانوا ينطقون قال النبي صلى الله عليه وسلم لم يكذب ابراهيم عليه السلام الا ثلاث كذبات كلها فى الله تعالى قوله انى سقيم وقوله بل فعله كبيرهم هذا وقوله للملك الذى عرض لسارة هي اختي فلما قال لهم ابراهيم ذلك رجعوا الى أنفسهم فقالوا انكم أنتم الظالمون هذا الرجل فى سؤالكم اياه وهذه آلهتكم التى فعل بها مافعل حاضرة فاسألوها وذلك قول ابراهيم عليه السلام فاسألوهم ان كانوا ينطقون فقال قومه ماراه الا كما قال (وقيل) انكم أنتم الظالمون بعبادتكم الاوثان الصغار مع هذا الكبير ثم نكثوا على رؤسهم متحيرين في أمره وعلموا أنها لاتنطق ولا تبطش فقالوا لقد علمت ماهؤلاء ينطقون فلما اتجهت الحجة عليهم لابراهيم عليه السلام قال لهم أفتعبدون من دون الله مالا ينفعكم شيأ ولا يضركم أف لكم ولما تعبدون من دون الله أفلا تعقلون فلما لزمتهم الحجة وعجزوا عن الجواب قالوا حرقوه وانصروا آلهتكم ان كنتم فاعلين قال عبدالله بن عمران الذي اشار عليهم بتحريق ابراهيم عليه السلام بالنار رجل من الاكراد قال شعيب الجبائى اسمه هينون فخسف الله تعالى به الارض فهو يتجلجل فيها الى يوم القيامة قال فلما اجمع نمرود وقومه على احراق ابراهيم عليه السلام حبسوه في بيت و بنوا له بنيانا كالحظيرة فذلك قوله عزوجل قالوا ابنوا له بنيانا فالقوه في الجحيم ثم جمعوا له من أصلب الحطب واصناف الخشب حتى ان كانت المرأة لتمرض فتقول لان عافانى الله لاجمعن حطبا لابراهيم وكانت المرأة تنذر فى بعض ماتطلب مما تحب ان تدرك لان اصابته لتحتطبن حطبا وتجعله في النار التى يحرق بها ابراهيم احتسابا في دينها (قال ابن اسحق) كانوا يجمعون الحطب شهرا حتى اذا كثر الحطب وجمعوا منه ماارادوا اشعلوا النار فى كل ناحية بالحطب فاشتعلت النار حتى اذا كان الطير يمر بها فيحترق من شدة وهجها ثم عمدوا الى ابراهيم عليه السلام فرفعوه على رأس البنيان وقيدوه ثم اتخذوا منجنيقا باشارة ابليس لعنه الله تعالى حيث لم يتمكنوا من القائه فى النار من شدة حرها فاتخذوا المنجنيق ووضعوه فيه مقيدا مغلولا صلوات الله تعالى عليه فضجت السموات والارض والجبال ومن فيهما من الملائكة وجميع الخلق الا الثقلين ضجة واحدة وقالوا اى ربنا ابراهيم ليس فى أرضك أحد يعبدك غيره يحرق في النار فاذن لنا في نصرته فقال الله تعالى لهم ان استعان بشيء منكم اودعاه فلينصره فقد أذنت لكم في ذلك وان لم يدع غيرى فانا أعلم به وأنا وليه فخلوا بيني و بينه فلما ارادوا القاءه فى النار أتاه ملك المياه فقال ان اردت اخمدت النار فان خزائن المياه والامطار بيدى واتاه خازن الريح فقال ان شئت طيرت النار فى الهواء فقال ابراهيم لا حاجة لى اليكم ثم رفع رأسه الى السماء فقال اللهم ان أنت الواحد فى السماء وفى الارض ليس فى الارض أحد يعبدك غيري وروى المعتمر عن ابى بن كعب عن ارقم ان ابراهيم عليه السلام قال حين أوثقوه ليلقوه فى النار لا اله الا أنت سبحانك رب العالمين لك الحمد ولك الملك لاشريك لك ثم رموا به المنجنيق الى النار فى موضع شاسع فاستقبله جبريل عليه السلام فقال يا ابراهيم ألك حاجة قال اما اليك فلا قال جبريل فاسأل ربك فقال ابراهيم حسبي من سؤالى علمه بحالى حسبي الله ونعم الوكيل وفي الخبر ان ابراهيم عليه السلام انما نجا بقوله حسبي الله ونعم الوكيل قال الله عزوجل يانار كونى بردا وسلاما على ابراهيم (قال السدى) كان جبريل عليه السلام هو الذى ناداها بامر الله تعالى قال على بن ابى طالب رضى الله عنه وابن عباس لو لم يقل وسلاما لمات ابراهيم من بردها ولم يكن حينئذ نار الا طفئت ظنت انها تعنى قال كعب الاحبار روي قتادة والزهري ماانتفع أحد من الارض يومئذ بنار ولا احرقت النار يومئذ شيأ الا وثاق ابراهيم عليه السلام ولم يبق يومئذ دابة الا اطفأت عنه النار الا الوزغ فلذلك أمر النبي صلى الله عليه وسلم بقتله وسماه فويسقا قال السدى فاخذت الملائكة بضبعي ابراهيم عليه السلام فاقعدته على الارض فاذا عين ماء وورد أحمر

ونرجس

تعالى عنه أنه قال) حججت سنة من السنين الى بيت الله الحرام وزيارة النبي عليه افضل الصلاة والسلام فبينما انا فى الطريق اذا أنا بامرأة حسناء ذات جمال بديع فقلت لها يا جارية أين تريدين فقالت الى بيت الحبيب فقلت لها ان الطريق بعيدة فقالت بعيدة على كسلان اوذى ملالة واما على العشاق فهى قريبة ثم قالت انهم يرونه بعيدا ونراه قريبا قال فلما وصلت الى بيت الله الحرام رأيتها تطوف بالبيت فقالت يامري أنا تلك الخادمة لولاي جئته بضعفى فحملني بقوته هذه صفات قوم فارقوا ديار اللهو وخلعوا ثياب الزهو آثروا المحبوب بالنفوس والاثار ووقفوا بين يديه فى حلل الانكسار هجروا الراحة فى الاوطان والاوطار فلله درهم خلعوا ثياب الاصطبار ومزقوا ستر الاستتار وافشوا وجدهم مع كتمان الاسرار ناداهم بالعناية في الاصلاب والارحام حرام عليكم ان تنظروا الى غيرى حرام وجمع لهم مجالس مناجاته وسقاهم لذيذ شراب مصافاته ياهذا هل لك فى هذا المجلس نديم هل لك فى هذا الغرام غريم هل لك

ونرجس قالوا فاقام ابراهيم في النار سبعة أيام قال المنهال بن عمرو وقال ابراهيم خليل الله ما كنت أياما قط أنعم مني عيشا في الايام التي كنت فيها في النار (قال) ابن اسحق وغيره و بعث الله ملك الظل في صورة ابراهيم عليه السلام فقعد فيها الي جنب ابراهيم وهو يؤنسه فاتاه جبريل عليه السلام بقميص من حرير وقال له يا ابراهيم ان ربك يقول أما علمت ان النار لا تضر احبابي وألبسه القميص ثم أشرف نمروذ من صرح له عال ونظر الى ابراهيم عليه السلام وما يشك انه قد هلك فرآه جالسا في روضة ورأي الملك قاعدا الي جنبه وحوله نار تحرق ما جمعوا من الحطب فناداه نمروذ يا ابراهيم كبير الهك الذي بلغت قدرته ان حال بينك وبين النار حتى لم تضرك يا ابراهيم فهل تستطيع ان تخرج منها قال نعم قال فهل تخشي ان اقمت فيها ان تضرك قال لا قال فقم فاخرج منها فقام ابراهيم عليه السلام يمشي فيها حتى خرج منها فلما خرج اليه قال له يا ابراهيم من الرجل الذي رايت معك في مثل صورتك قاعدا الى جنبك قال ملك الظل أرسله الى ربي ليؤنسني فيها فقال نمروذ يا ابراهيم انى مقرب الى الهك قربانا لما رأيت من قدرته وعزمه فيما صنع بك حين ابيت الا عبادته وتوحيده انى ذابح له اربعة آلاف بقره فقال له ابراهيم لا يقبل الله منك شيأ ما كنت على دينك حتى تفارقه الى ديني فقال يا ابراهيم لا استطيع ترك ملكي ولكن سوف اذبحها له فذبحها وقربها ومنع العذاب عن ابراهيم ثم انه قال لابراهيم نعم الرب ربك يا ابراهيم (قال الشعبي) القى ابراهيم عليه السلام في النار وهو ابن ست عشر سنة وذبح اسحق وهو ابن سبع سنين وولدته سارة رضى الله عنها وهي ابنة تسعين سنة وكان مذبحه من بيت المقدس على ميلين ولما علمت سارة بما أراد باسحق بقيت يومين وماتت في اليوم الثالث (قال ابن اسحق) استجاب لابراهيم عليه السلام رجال من قومه حين رأوا ماصنع الله عزوجل به من جعل النار عليه بردا وسلاما على خوف من نمروذ وملائهم فآمن به لوط وكان ابن أخيه وهو لوط بن هاران بن تارخ وهاران هو اخو ابراهيم عليه السلام وكان لهما اخ ثالث يقال له ناحور بن تارخ فهاران ابو لوط وناحور ابو تنوبل وتنوبل ابو لابان ورفقا بنت تنوبل امرأة اسحق بن ابراهيم أم يعقوب وليا وراحيل زوجتا يعقوب عليه السلام وهما ابنتا لابان وآمنت أيضا به سارة وهي بنت عمه وهي سارة بنت هاران الاكبر عم ابراهيم عليه السلام وقال السدي كانت سارة بنت ملك حران وذلك ان ابراهيم ولوطا عليهما السلام انطلقا قبل الشام فلقي ابراهيم سارة وهي ابنة ملك حران وكانت قد طعنت على قومها في دينهم فتزوجها ابراهيم عليه السلام على ان لا يضرها (قال ابن اسحق) خرج ابراهيم عليه السلام من كوثا من ارض العراق مهاجرا الى ربه عزوجل وخرج معه لوط وسارة عليهما السلام كما قال الله تعالى فآمن له لوط وقال انى مهاجر الى ربي فخرج حتى نزل فمكث بها ماشاء الله تعالى ان يمكث ثم خرج منها حتى قدم مصر ثم خرج من مصر الى الشام فنزل السبع من فلسطين وهي برية الشام ونزل لوط بالمؤتفكة وهي من السبع على مسيرة يوم وليلة فبعثه الله تعالى نبيا فذلك قوله عزوجل ونجيناه ولوطا الى الارض التي باركنا فيها للعالمين يعني الشام فبركتها ان بعث منها اكثر الانبياء وهي الارض المقدسة وأرض المحشر والمنشر وبها ينزل عيسى بن مريم عليه السلام وبها يهلك الله تعالى المسيح الدجال بباب لد وهي أرض خصبة كثيرة الاشجار والانهار والثمار يطيب فيها العيش للغني والفقير (قال أبي بن كعب) ما من ماء عذب الا وينبع أصله من تحت الصخرة التي ببيت المقدس ثم يتفرق في الارض والله اعلم

(الباب الثالث في ذكر مولد اسمعيل واسحق عليهما السلام ونزول اسمعيل وأمه هاجر الحرم وقصة بئر زمزم)

(قال اهل العلم بسير الماضين) لما نجى الله تعالى خليله ابراهيم عليه السلام آمن به من آمن وتابعوه على فراق

في هذا الربع أنيس هل لك في هذه الروضة جليس فاذا اردت ايها العبد رضا الرب اللطيف فتقرب اليه بقلب منكسر وجسم نحيف (قيل) انه لما نزل البلاء على ايوب عليه السلام أتاه طاوس السماء جبريل عليه السلام بامر الله عز وجل فقال له يا ايوب سينزل بك ولاك من البلاء والاهوال ما يعجز عن حمله الجبال فقال أيوب ان دمت على مواصلة الحبيب ساصبر حتى يقال عجيب عجيب فنودي يا أيوب استعد لبلائي واصبر على نزول حكمي وقضائي وكان السبب في ابتلائه ان ابليس اللعين حسده وتحيل عليه بانواع الحيل والمكر فلم يقدر عليه فقال الهي انما سبب شكر ايوب لك وطاعته ما وسعت له في الاموال والاولاد والارزاق والعافية فلو سلطتني عليه وسلبته ذلك لما اطاعك طرفة عين فقال الله جل جلاله اذهب فقد سلطتك عليه وانه لن يغيره ذلك قال فاول يوم ابتلاه باخذ الاولاد فزاد في الخدمة واجتهد غاية الاجتهاد وفي اليوم الثاني اخذ الاموال فاحرقها ومزقها فقال

قومهم واظهار البراءة منهم فقالوا انا برآء منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم ايها المعبودون من دون الله وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء ايها العابدون حتى تؤمنوا بالله وحده ثم خرج ابراهيم عليه السلام مهاجرا الى ربه وخرج معه لوط عليه السلام وتزوج ابراهيم عليه السلام بابنة عمه سارة فخرج بها يلتمس الفرار بدينه والامان على عبادته لربه حتى نزل حران فمكث بها ماشاء الله ان يمكث ثم خرج منها مهاجرا حتى قدم مصر وبها فرعون من الفراعنة الاول وكانت سارة من أحسن النساء واجملهن وكانت لا تعصى ابراهيم عليه السلام في شيء وبذلك اكرمها الله تعالى قال فاتى الجبار رجل وقال له ان ههنا رجلا معه امرأة من احسن النساء ووصف له حسنها وجمالها فارسل الجبار الى ابراهيم عليه السلام فجاءه فقال له ما هذه المرأة منك فقال هي اختي وتخوف ان قال هي امرأتي ان يقتله فقال له زينها وارسلها الي حتى انظر اليها فرجع ابراهيم الى سارة عليها السلام وقال لها ان هذا الجبار سألني عنك فاخبرته انك اختي فلا تكذبيني عنده فانك اختي في كتاب الله عز وجل وانه ليس في هذه الارض مسلم غيري وغيرك ثم اقبلت سارة الى الجبار وقدم ابراهيم عليه السلام يصلي فلما دخلت عليه ورآها اهوى اليها يتناولها بيده فيبست يده الى صدره فلما رأى الجبار ذلك اعظم امرها وقال لها سلي ربك ان يطلق يدي فوالله لا آذيتك فقالت سارة اللهم ان كان صادقا فاطلق له يده فاطلق الله تعالى يده (وفي بعض الاخبار المسندة) انه فعل ذلك ثلاث مرات يقصد ان يتناولها فتيبس يده فلما رأى ذلك ردها الى ابراهيم ووهب لها هاجر وهي جارية قبطية فاقبلت الى ابراهيم فلما أحس بها ابراهيم انفتل من صلاته قال مهيم فقالت كفي الله كيد الفاجر وأخدمني هاجر قال محمد بن سيرين كان ابو هريرة اذا احدث بهذا الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فتلك امكم يا بني ماء السماء (وفي بعض الاخبار) ان الله تعالى رفع الحجاب بين ابراهيم وسارة حتى كان ينظر اليها من وقت خروجها من عنده الى وقت انصرافها اليه كرامة لها وتطييبا لقلب ابراهيم عليه السلام قالوا وكانت لهاجر جارية ذات هيئة فوهبتها سارة لابراهيم فقالت انى اراها امرأة وضيئة لعل الله تعالى ان يرزقك منها ولدا وكانت سارة قد منعت الولد حتى اسنت فوقع ابراهيم على هاجر فولدت له اسمعيل عليه السلام (روى) محمد بن اسحق عن عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب بن مالك الانصاري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا افتتحتم مصر فاستوصوا باهلها خيرا فان لهم ذمة ورحما قال ابن اسحق فسألت الزهري ما الرحم الذي ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال كانت هاجر ام اسمعيل منهم قالوا ثم خرج ابراهيم من مصر الى الشام وهاب ذلك الملك الذي كان بها واشفق من شره فنزل السبع من أرض فلسطين واحتفر بها بئرا واتخذ بها مسجدا وكان ماء تلك البئر معينا ظاهرا وكانت غنمه تردها فاقام ابراهيم عليه السلام بالسبع مدة ثم ان اهلها آذوه فيها ببعض الاذى فخرج منها حتى نزل بناحية من ارض فلسطين بين الرملة وايليا ببلد يقال لها قطة فلما خرج من بين اظهرهم نضب ماء تلك العين وذهب فندم أهل السبع جميعا على ما صنعوا وقالوا اخرجنا من بين اظهرنا رجلا صالحا فاتبعوا اثره حتى ادركوه وسألوه ان يرجع فقال ما انا براجع الى بلد اخرجت منه قالوا ان الماء الذي كنت تشرب ونشرب معك منه قد نضب وذهب فاعطاهم سبعة اعنز من غنمه وقال اذهبوا بها معكم فانكم اذا أوردتموها البئر ظهر الماء حتى يكون معينا ظاهرا كما كان فاشربوا منها ولا تقربنها امرأة حائض فخرجوا بالاعنز قال فلما وقفت على البئر ظهر الماء فكانوا يشربون منها وهي على تلك الحالة حتى اتتها امرأة طامث فاغترفت منها فركد ماؤها الى الذي هو عليه اليوم وأقام ابراهيم عليه السلام ببلده وكان يضيف من نزل به وقد أوسع الله تعالى عليه وبسط له من الرزق والمال والخدم فلما أراد الله تعالى هلاك قوم لوط عليه السلام بعث اليه رسله يامرونه بالخروج من بين اظهرهم وامرهم ان يبدؤا بابراهيم عليه السلام ويبشروه وسارة باسحق

ايوب المطايا عطاياه ان شاء سلبها وان شاء أطلقها وفي اليوم الثالث نفخ ابليس في جسده وهو في صلاة الفجر فلسب الدود في جميع بدنه ولم يزل يذكر الله تعالى في سره وعلانيته وقال الحمد لله الذي اصطفاني لخدمته ومن علي بفضله وخيره ولم يشغلني بغيره قال ولم يزل ايوب ذاكرا لربه حامدا وشاكرا الى ان تمزق جلده وذاب لحمه ودق عظمه فسار الدود يغدو في جسده ويروح وهو بالشكوى لا يبوح وكان كلما سقط من جسده دودة الى الارض يردها الى مكانها ويقول كلي فهذه مائدة من جسدي ممدودة قال فنزل الامين جبريل عليه السلام فسلم عليه فلم يرد عليه السلام لاشتغال لسانه عن الكلام فسلم عليه ثانيا فرد عليه السلام فسأله عن عدم الرد في أول مرة فقال يا اخي يا جبريل ان الملك الودود أرسل الي اضيافا من الدود لاطعمهم من لحمي على مائدة عظمي فكان بعض اضيافي على لساني فخشيت ان ارد عليك السلام فتسقط من مكانها فاكون سببا لمنع قوتها وأطالب برزقها وأكون عاصيا لربي وربها (وحكى عن الامام محمد بن

ومن

ومن وراء اسحق يعقوب فلما نزلوا على ابراهيم عليه السلام وكان الضيف قد حبس عنه خمسة عشر يوما حتى شق عليه ذلك وكان لا يأكل الا مع ضيف ما امكنه فلما رآهم فى صورة الرجال سر بهم ورأى ضيوفا لم يضيف مثلهم حسنا وجمالا فقال لا يخرج لهؤلاء القوم الا أنا فخرج فجاء بعجل سمين حنيذ وهو المشوي بالحجارة فقربه اليهم فامسكوا أيديهم عنه فقال لهم ألا تأكلون فلما رأى أيديهم لا تصل اليه نكرهم وأوجس منهم خيفة حيث لم يأكلوا من طعامه فقالوا يا ابراهيم لا نأكل طعاما الا بثمن قال فان لهذا ثمنا قالوا وما ثمنه قال تذكرون اسم الله تعالى على أوله وتحملونه على آخره فنظر جبريل الى ميكائيل عليهما السلام وقال يحق لهذا أن يتخذه ربه خليلا ثم قالوا له لا تخف ولا تحزن انا ارسلنا الى قوم لوط وامرأته سارة قائمة تخدمهم وابراهيم قاعد معهم فلما أخبروه بما أرسلوا به وبشروه باسحق ويعقوب ضحكت سارة واختلف العلماء فى العلة الجالبة لضحكها ما هي فقال السدى انما ضحكت سارة حيث لم يأكلوا من طعامهم وقالت يا عجبا لاضيافنا هؤلاء انا نخدمهم بانفسنا تكرمة لهم وهم لا يأكلون طعامنا وقال قتادة ضحكت من غفلة قوم لوط وقرب العذاب منهم وقال مقاتل والكلبي ضحكت من خوف ابراهيم من ثلاثة وهم فيما بين خدمه وحشمه وقال ابن عباس ضحكت تعجبا من أن يكون لها ولد على كبر سنها وسن زوجها وكانت هي بنت تسعين سنة وابراهيم ابن مائة وعشرين سنة قال السدى قالت سارة لجبريل عليه السلام لما بشرها بالولد على حالة الكبر ما آية ذلك فاخذ بيده عودا يابسا فلواه بين أصابعه فاهتز أخضر فقال ابراهيم هو لله اذ ذبيح وقال مجاهد وعكرمة فضحكت أى حاضت في الوقت تقول العرب ضحكت الارنب اذا حاضت وقال السدى وابن يسار وغيرهما من أهل الاخبار فحملت سارة باسحق وقد كانت حملت هاجر باسماعيل فوضعتا معا فشب الغلامان فبينما هما يتناضلان ذات يوم وقد كان ابراهيم عليه السلام سابق بينهما فسبق اسماعيل فاخذه واجلسه في حجره واجلس اسحق الى جانبه وسارة تنظر اليه فغضبت وقالت عمدت الى ابن الامة فاجلسته في حجرك وعمدت الى ابني فاجلسته الى جنبك وقد جعلت ألا تضرني ولا تسوءني وأخذها ما يأخذ النساء من الغيرة فحلفت لتقطعن بضعة منها ولتغيرن خلقها ثم ثاب اليها عقلها فبقيت متحيرة في ذلك فقال لها ابراهيم عليه السلام اخفضيها واثقبي أذنيها ففعلت ذلك فصارت سنة فى النساء ثم ان اسمعيل واسحق عليهما السلام اقتتلا ذات يوم كما تفعل الصبيان فغضبت سارة على هاجر وقالت لا تساكنيني فى بلد واحد وأمرت ابراهيم عليه السلام أن يعزلها عنها فاوحى الله تعالى الى ابراهيم عليه السلام أن يأتي بهاجر وابنها مكة فذهب بهما حتى قدم مكة وهى اذ ذاك عضاه وسلم وسمر وبحواليها خارج مكة ناس يقال لهم العماليق وموضع البيت يومئذ ربوة حمراء فقال ابراهيم عليه السلام لجبريل عليه السلام ههنا أمرت ان تضعهما قال نعم فعمد بهما الى موضع الحجر فانزلهما فيه وامر هاجر أم اسمعيل ان تتخذ عريشا ثم قال ربنا انى اسكنت من ذريتى بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس تهوى اليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون ثم انصرف فاتبعته هاجر وقالت الى من تكلنا فجعل لا يرد عليها شيأ فقالت آلله أمرك بهذا قال نعم فقالت اذا لا يضيعنا ثم انصرف راجعا الى الشام وكان مع هاجر شنة فيها ماء فنفد الماء فعطشت وعطش الصبي فنظرت اى الجبال ادنى من الارض فصعدت الصفا وتسمعت هل تسمع صوتا أو ترى انسيا فلم تسمع شيأ ولم تر أحدا ثم انها سمعت اصوات سباع الوادى نحو اسمعيل فاقبلت اليه بسرعة لتؤنسه ثم سمعت صوتا نحو المروة فسعت وما تريد السعي كالانسان المجهود فهى أول من سعي بين الصفا والمروة ثم صعدت الى المروة فسمعت صوتا كالانسان الذي يكذب سمعه حتى استيقنت وجعلت تدعو اسمع ابل تمني يا الله قد اسمعتني صوتك فاغثني فقد هلكت وهلك من معي فاذا

در يس الشافعى رضى الله تعالى عنه انه قال) رأيت بمكة نصرانيا يدعى بالاسقف وهو يطوف بالكعبة فقلت له ما الذي زهدك عن دين آبائك فقال بدلت خيرا منه فقلت كيف كان ذلك فقال وقع لى حكاية عجيبة ونكتة غريبة وذلك انى ركبت البحر فى مركب فلما توسطنا البحر كسرت بنا المركب فنجوت على لوح منها فما زالت الامواج تدفعنى حتى رمتني في جزيرة من جزائر البحر فرأيت فيها اشجارا كثيرة ولها ثمار احلى من الشهد والين من الزبد ورايت فيها نهرا عذبا فقلت الحمد لله على ذلك فها انا آكل من تلك الثمار واشرب من ذلك الماء حتى يأتى الله بالفرج فلما ذهب النهار وجاء الليل خفت على نفسي من الدواب والهوام فعلوت شجرة وجلست على غصن من اغصانها فنمت على ذلك الغصن فلما كان وسط الليل اذا دابة على وجه الماء تسبح الله تعالى بلسان فصيح وتقول لا اله الا الله العزيز الغفار محمد رسول الله النبي المختار أبو بكر صاحبه فى الغار عمر مفتاح الامصار عثمان القتيل فى الدار على سيف

هي بجبريل عليه السلام فقال لها من أنت فقالت سرية ابراهيم عليه السلام تركني وابني ههنا قال والى من وكلكما قالت وكلنا الى الله تعالى قال لقد وكلكما الى كريم كاف ثم جاء بهما وقد نفد طعامهما وشرابهما حتى انتهى الى موضع زمزم فضرب بقدمه ففارت عين فلذلك يقال لزمزم ركضة جبريل عليه السلام فلما نبع الماء أخذت شنة لها وجعلت تستقي فيها وتدخره فقال لها جبريل عليه السلام انهاري وجعلت ام اسمعيل تحبسها حبسا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لولا انها عجلت لكانت زمزم عينا معينا وقال لها جبريل لا تخافي الظمأ على اهل هذه البلدة فانها عين يشرب منها ضيفان الله تعالى وقال لها امان اباهذا الغلام سيجيء فيبنيان لله تعالى بيتا هذا موضعه قالوا ومرت رفقة من جرهم تريد الشام فرأوا الطير على الجبل فقالوا ان هذا الطير لحائم على ماء فاشرفوا فاذا هم بالماء فقالوا لهاجر ان شئت كنا معك فآنسناك والماء ماؤك فاذنت لهم فنزلوا معها وهم أول سكان مكة فلذلك كانت العرب تقول تلبيتها

لهم ان جرهما عبادك ❊ الناس طارف وهم تلادك ❊ وهم قديما عمروا بلادك

فكانوا هناك حتى شب اسمعيل وماتت هاجر فتزوج اسمعيل امرأة من جرهم وأخذ لسانهم فتعرب بهم فهم أولاد العرب المتعربة ❊ ثم ان ابراهيم عليه السلام استأذن سارة ان يزور هاجر وابنها فاذنت له واشترطت عليه ان لا ينزل فقدم ابراهيم عليه السلام مكة وقد ماتت هاجر ويقال انه قدمها راكبا البراق فلما قدمها ذهب الى بيت اسمعيل فقال لامرأته اين صاحبك قالت ليس ههنا ذهب يتصيد وكان اسمعيل يخرج من الحرم يتصيد ثم يرجع وكان مولعا بالصيد فخص بالقنص والفروسية والرمي والصراع فقال لها ابراهيم عليه السلام هل عندك ضيافة هل عندك طعام اوشراب قالت ليس عندي شيء وما عندي أحد فقال لها ابراهيم اذا جاء زوجك فاقرئيه مني السلام وقولي له فليغير عتبة بابه فذهب ابراهيم عليه السلام ودخل اسمعيل فوجد ريح ابيه فقال لامرأته هل جاءك احد فقالت جاءني شيخ صفته كذا وكذا كالمستخفة بشأنه قال فما قال لك قالت قال اقرئي زوجك السلام وقولي فليغير عتبة بابه فطلقها وتزوج اخرى فلبث ابراهيم عليه السلام ماشاء الله تعالى ثم استأذن سارة ان يزور اسمعيل فاذنت له واشترطت عليه ان لا ينزل فجاء ابراهيم عليه السلام حتى انتهى الى باب اسمعيل فقال لامرأته اين صاحبك قالت ذهب يتصيد وهو يجيء الان ان شاء الله تعالى فانزل يرحمك الله قال لها هل عندك ضيافة قالت نعم فجاءت باللبن واللحم فدعا لهم بالبركة فلو جاءت يومئذ بخبز أو بر أو شعير أو تمر لكانت مكة اكثر ارض الله برا وشعيرا وتمرا ثم قالت له انزل حتى اغسل رأسك وشعثك فلم ينزل فجاءته بالمقام فوضعته عند شقه الايمن فوضع قدمه عليه فبقي اثر قدمه فيه فغسلت شق رأسه الايمن ثم جعلت المقام الى شقه الايسر فغسلت شق رأسه الايسر فقال لها اذا جاء زوجك فاقرئيه السلام وقولي له قد استقامت عتبت بابك فلما جاء اسمعيل وجد ريح ابيه فقال لامراته هل جاءك احد قالت نعم جاءني شيخ احسن الناس وجها واطيبهم ريحا فقال لي كذا وكذا وقلت له كذا وكذا وغسلت له رأسه وهذا موضع قدميه على المقام فقال ذلك ابراهيم عليه الصلاة والسلام (قال) انس بن مالك رأيت في المقام اثر اصابع ابراهيم عليه السلام وعقبيه واخمص قدميه غير انه أذهبه مسح الناس بايديهم (واخبرنا) محمد بن احمد بن عبدون قال اخبرنا محمد بن حمدون بن خالد حدثنا محمد بن ابراهيم حدثنا هدبة بن خالد حدثنا أبو يحيى بن جابر بن مسح القرشي قال سمعت مسافر بن شيبة يقول سمعت عبد الله بن عمر يقول اشهد ثلاث مرات اني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الركن والمقام ياقوتتان من يواقيت الجنة طمس الله نورهما ولولا ان طمس الله نورهما لاضاآ ما بين المشرق والمغرب

الله على الكفار فعلى مبغضهم لعنة الملك الجبار ومأواه جهنم وبئس القرار فما زالت تقول هذه الكلمات الى أن طلع الفجر فلما هممت بالانصراف قالت لا اله الا الله الملك المجيد محمد رسول الله الهادي الرشيد أبو بكر الصديق الصادق الشديد عمر بن الخطاب سور من حديد عثمان بن عفان القتيل الشهيد علي ابن ابي طالب ذو البأس الشديد فعلى مبغضهم لعنة الرب المجيد قال فلما وصلت تلك الدابة الى البراذا رأسها رأس نعامة ووجهها وجه انسان وقوائمها قوائم بعير وذنبها ذنب سمكة فخفت على نفسي منها فالتفتت الي وقالت قف فوقفت لها فقالت لي ما دينك فقلت لها دين النصرانية فقالت بئس الدين ويحك يا خاسر ارجع الي دين الحنيفية فانك قد حللت بفناء قوم من مؤمني الجن ولا ينجو منهم الا كل مسلم قال فقلت لها وكيف الاسلام فقالت تشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله قال فقلتها فقالت كمل اسلامك بالترضي عن ابي بكر وعمر وعثمان وعلي فقلت ذلك ثم قلت لها من اخبركم بذلك فقالت قوم حضروا عند

(الباب الرابع فى القول على بقية قصة زمزم)

(روت الرواة) عن على بن أبى طالب رضى الله عنه قال قال عبد المطلب بن هاشم بينا أنا نائم فى الحجر اذ أتانى آت فقال لى احفر طيبة قلت وما طيبة فذهب عنى ولم يجبنى فلما كانت الليلة الثانية جاءنى فقال احفر درة قلت وما درة فذهب عني ولم يجبنى فلما كانت الليلة الثالثة أتانى فقال احفر المصونة قلت وما المصونة فذهب عنى فلما كان من الغد رجعت الى مضجعى فنمت فجاءنى فقال احفر زمزم فقلت وما زمزم وكانت قد درست وغار ماؤها لما مضت أيام اسمعيل عليه السلام قال بئر يسقي الحجيج منه عند منحر قريش عند نقرة الغراب وقرية النمل فلما تبين له قام فدل على موضعها وعرف انه قد صدق فغدا بمعوله ومعه الحرث بن عبد المطلب وليس له ولد غيره يومئذ فلما علمت به قريش قاموا اليه فقالوا يا عبد المطلب انها من آثار ابينا اسمعيل وان لنا فيها حقا فاشركنا فيها فقال ما أنا بفاعل ان هذا شيء خصصت به دونكم وأعطيته من بينكم قالوا له فانصفنا فانا غير تاركيك حتى نخاصمك قال فاجعلوا بينى وبينكم من شئتم اخاصمكم اليه قالوا كاهنة بني سعد بن هذيل قال نعم وكانت فى اطراف الشام فركب عبد المطلب ومعه نفر من بني عبد مناف فركب من كل قبيلة من قريش نفر قال والارض اذ ذاك مفاوز فخرجوا حتى اذا كانوا ببعض تلك المفاوز نفد ما كان معهم من الماء حتى أيقنوا بالهلكة فاستسقوا من معهم من قبائل قريش فابوا عليهم وقالوا انا بمفازة وانا نخشي على أنفسنا ان يصيبنا مثل ما اصابكم فلما رأي عبد المطلب ما صنع القوم قال لاصحابه ماذا ترون قالوا ان رأينا تبع لرأيك فامرنا بما شئت قال فانى أرى ان يحفر كل رجل منكم لنفسه حفرة بما يجد من القوة فكل من مات منا دون صاحبه دفنه فى حفرته قال فحفروا وجلسوا ينتظرون الموت ثم قال عبد المطلب ومالنا لانضرب فى الارض فعسى الله تعالى ان يرزقنا ماء فارتحلوا ومن معهم من قريش ينظرون اليهم ماهم فاعلون وتقدم عبد المطلب الى راحلته فركبها فلما ان انبعثت به انفجرت من تحت حوافر دابة عبد المطلب عين ماء عذب فكبر عبد المطلب وكبر أصحابه ثم نزل فشرب منه وشرب اصحابه حتى رووا وملؤا اسقيتهم ثم دعا القبائل من قريش فقال هلموا الى الماء فقد سقانا الله تعالى واياكم فشربوا واستقوا ثم قالوا قد والله قضي الله لك علينا يا عبد المطلب والله لانخاصمك فى زمزم ابدا ان الذى سقاك هذا الماء في هذه الفلاة فهو ساقيك زمزم فارجع فرجع ورجعوا معه حتي وافوا مكة وخلوا بينه وبين زمزم ولما جن الليل رأى عبد المطلب في منامه كان قائلا يقول له

يا أيها المدلج احفر زمزم * انك ان حفرتها لم تندم
وهى تراث من أبيك الاعظم * تسقى الحجيج حافلا لم ينقم

فلما سمعه عبد المطلب قال واين موضع زمزم قيل له عند قرية النمل حيث ينقر الغراب الاعصم قال فغدا عبد المطلب ومعه ابنه الحرث فوجد قرية النمل ووجد الغراب ينقر عند الوثنين اساف ونائلة اللذين كانت قريش تعبدهما وتنحر عندهما فجاء بالمعول وقام ليحفر حيث امر فقامت قريش اليه وقالوا والله لا نتركك ان تحفرها ووثننا ومنحرنا عندها وكانت قريش حسدوه على ذلك لانهم اخبروا ان جرهما لما سكنت مكة أودعت فى زمزم أموالا واسلحة للمصطفى صلى الله عليه وسلم لما اخبرت ان الله تعالى باعث فى هذه القرية نبيا من صفته وحاله كيت وكيت ولم يكونوا عرفوا موضعها فلما أخبر بذلك عبد المطلب نازعوه في ذلك فقال بعضهم لبعض دعوه يحفر فربما يخطئ الموضع فحفر غير بعيد فظهرت له العلامات فكبر فعرفوا انه لم يخطئ فتمادى حتى بلغ الى تمثالين من ذهب وهما الغزالان اللذان دفنتهما جرهم ووجد فيها سيوفا ودروعا فقالت له قريش يا عبد المطلب لنا معك في هذا شركة قال لا ولكن نضرب بالقداح عليه قالوا وكيف

رسول الله صلى الله عليه وسلم فسمعوه يقول اذا كان يوم القيامة تأتى الجنة فتنادي بلسان طلق اللهم انك قد وعدتني ان تشيد اركانى فيقول لها الجليل جل جلاله قد شيدت أركانك بابى بكر وعمر وعثمان وعلى رضى الله تعالى عنهم اجمعين ثم قالت لى الدابة تريد ان تكون عندنا او الرجوع الى اهلك فاخترت الرجوع الى اهلى فقالت امكث مكانك حتى تاتيك مركب قال فمكثت مكانى ونزلت الدابة الى البحر فما غابت عن عيني غير ساعة واحدة حتى مرت على مركب عظيمة وفيها ركاب فاشرت اليهم فحملونى معهم فنظرت فاذا في المركب اثنا عشر رجل كلهم نصارى فاخبرتهم بخبرى وقصصت عليهم قصتى فاسلموا كلهم فعلمت ان لهؤلاء الاقوام سرا عظيما اذ ببركتهم حصل لنا الاسلام ونلنا اعلى مقام ولله الحمد على التوفيق و بلوغ المرام وانشدت أقول شعرا

قوم لهم عند رب العرش منزلة
وحرمة وبشارات واكرام
فازوا بصحبة خير الخلق واتصفوا
بوصفه فهم للناس اعلام

نصنع قال اجعلوا للكعبة قدحين ولي قدحين ولكم قدحين فمن خرج قدحاه على شي، كان له ومن تخلف قدحاه فلاشي له قالوا أنصفت فجعل قدحين اصفرين للكعبة وقدحين اسودين لعبد المطلب وقدحين ابيضين لقريش ثم اعطوا القداح التي تضرب بها عند هبل وقام عبد المطلب يدعو فخرج السهمان الاصفران على الغزالين للكعبة وخرج الاسودان على الاسياف والادرع لعبد المطلب وتخلف قدحا قريش قال فعلق عبد المطلب الاسياف والادرع بباب الكعبة وضرب في الباب الغزالتين الذهب فكان اول ذهب حليت به الكعبة وكانت الرياسة والتقدمة لعبد المطلب قبل حفر زمزم فلما حفرها واخرج منها ما اخرج ازداد بذلك في قريش عظما وجاها ومنزلة وعافت الحجيج المياه التي كانت بمكة ونواحيها واقبلوا على زمزم لما كان من عذوبة مائها لكونها من اثر اسمعيل عليه السلام وافتخرت بذلك بنو عبد مناف على قريش وعلى سائر العرب والله اعلم

(الباب الخامس في صفة بناء الكعبة وبدء امرها الى وقتنا هذا)

(اخبرنا) أبو عمرو أحمد بن أبي أحمد الفراتي اخبرنا الحسن بن المغيرة بن عمر بن الوليد المغربي بمكة حدثنا أبو سعيد المفضل بن محمد بن ابراهيم بن المفضل حدثنا عبد الله بن أبي غسان اليماني حدثنا أبو همام حدثنا محمد بن زياد عن ميمون بن مهران عن ابن عباس قال قال اليماني قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كان البيت قبل هبوط آدم عليه السلام ياقوتة من يواقيت الجنة والبيت المعمور الذي في السماء يدخله كل يوم سبعون الف ملك ثم لا يعودون اليه الى يوم القيامة حذاء الكعبة الحرام وان الله تعالى اهبط آدم عليه السلام الى موضع الكعبة وهو مثل الفلك من شدة رعدته وأنزل عليه الحجر الاسود وهو يتلألأ كانه لؤلؤة بيضاء فاخذه آدم فضمه اليه استئناسا به ثم أخذ الله تعالى من بني آدم ميثاقهم فجعله في الحجر ثم أنزل الله تعالى على آدم العصا ثم قال يا آدم تخط فتخطي فاذا هو بارض الهند فمكث هناك ماشاء الله ان يمكث ثم استوحش الى البيت فقيل له حج يا آدم فاقبل يتخطى فصار موضع كل قدم قرية وما بين ذلك مفاوز حتى قدم مكة فلقيته الملائكة فقالت بر حجك يا آدم لقد حججنا هذا البيت قبلك بالفي عام قال فما كنتم تقولون حوله قالوا كنا نقول سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر فكان آدم اذا طاف بالبيت قال هذه الكلمات وكان آدم يطوف بالبيت سبعة أسابيع خمسة أسابيع بالليل وبالنهار اسبوعان فقال آدم يارب اجعل لهذا البيت عمارا يعمرونه من ذريتي فاوحي الله تعالى اليه اني معمره بنبي من ذريتك اسمه ابراهيم أتخذه خليلا أقضي عليه عمارته وانيطه سقايته اورثه حله وحرمه ومواقفه واعلمه مشاعره ومناسكه فلما فرغ من بنائه نادى يا ايها الناس ان الله تعالى بنى بيتا فحجوه فاسمع ما بين الخافقين فاقبل من يحج هذا البيت من الناس يقولون لبيك لبيك وقال النبي صلى الله عليه وسلم ان آدم عليه السلام سال ربه عز وجل فقال يارب اسالك لمن مات في هذا البيت من ذريتي لا يشرك بك شيئا ان تلحقه بي في الجنة فقال الله تعالى يا آدم من مات في الحرم لا يشرك بي شيئا بعثته آمنا يوم القيامة (وروت الرواة) باسانيد مختلفة ان آدم عليه السلام لما اهبط الى الارض كانت رجلاه في الارض ورأسه في السماء يسمع كلام اهل السماء ودعاءهم وتسبيحهم ويانس اليهم فهابته الملائكة واشتكت ذلك الى الله عز وجل فنقصه الله تعالى الى ستين ذراعا بذراع آدم فلما فقد آدم عليه السلام ما كان يسمع من اصوات الملائكة وتسبيحهم استوحش وشكا ذلك الى الله عز وجل فانزل الله تعالى ياقوتة من يواقيت الجنة فكانت على موضع البيت الآن ثم قال يا آدم اني اهبط لك بيتا تطوف به كما يطاف حول عرشي وتصلي عنده كما كنت تصلي عند عرشي فتوجه آدم عليه السلام الى مكة ورأى البيت فطاف به (وروى) أبو صالح عن ابن عباس قال أوحى الله تعالى

الى

فمن أبي بكر الصديق قد وردت
آثار فضل لها في الذكر احكام
وبعده عمر الفاروق صاحبه
به تكمل في الآفاق اسلام
وهكذا البر عثمان الشهيد له
في الليل ورد وبالقرآن قوام
والامام على المرتضى منح
له احترام واعزاز واكرام
هم الصحابة للمختار قد وضحوا
طرق الهدى وعلى الخيرات قد داموا
عليهم من سلام الله اطيبه
ما افطر الناس يوم الشك او صاموا

(وروى عن ابى سعيد الخدرى رضي الله تعالى عنه) عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال دخلت الجنة فبينما انا اطوف برياضها وانهارها واشجارها اذ رأيت شجرة فضربت بيدى الى ثمرة فاخذتها فانفلقت في يدي عن اربع قطع فخرج من كل قطعة حورية لو أخرجت طرفها لفتنت أهل السموات والارض وان اظهرت كفها لغلب ضوء الشمس والقمر ولو تبسمت لملأت ما بين السماء والارض مسكا فقلت لمن انت فقالت

الى آدم عليه السلام ان لى حرما بحيال عرشى فانطلق فابن لى بيتا فيه ثم حف به كما رأيت الملائكة يحفون بعرشى فهنالك استجيب لك ولولدك من كان منهم في طاعتي قال آدم رب كيف لى بذلك ولا اقوى عليه ولا اهتدي اليه فقيض الله له ملكا فانطلق نحو مكة فكان آدم عليه السلام اذامر بروضة و بمكان يعجبه قال للملك انزل بى هنا فيقول له الملك مكانك حتى قدم مكة فكان كل مكان نزل فيه عمرانا وكل مكان تعداه مفاوز وقفارا ثم بنى البيت فلما فرغ من بنائه خرج به الملك الى عرفات فاراه المناسك كلها التي يفعلها الناس كلها اليوم ثم قدم به مكة وطاف بالبيت اسبوعا ثم رجع الى ارض الهند فمات على نور * قال ابو يحيي بائع القت قال لى مجاهد لقد حدثني عبد الله بن عباس ان آدم نزل حين نزل بالهند ولقد حج منها اربعين حجة على رجليه فقلت له يا أبا الحجاج الا كان يركب قال وأى شيء كان يحمله والله ان خطوته مسيرة ثلاثة ايام * وقال وهب بن منبه ان آدم عليه السلام لما اهبط الى الارض فرأى سعتها ولم ير فيها أحدا غيره قال يارب اما لهذه الارض عامر يسبح بحمدك و يقدسك غيرى قال الله تعالى انى سأجعل فيها من ولدك من يسبح بحمدى و يقدسنى وسأجعل فيها بيوتا ترفع بذكرى و يسبح فيها خلقى و يذكر فيها اسمى وسأجعل من تلك البيوت بيتا اخصه بكرامتي وأوثره باسمى واسميه بيتي انطقه بعظمتى وعليه وضعت جلالى ثم اجعل ذلك البيت حرما آمنا يحرم بحرمته من حوله ومن تحته ومن فوقه فمن حرمه بحرمته استوجب بذلك كرامتي ومن أخاف اهله فقد ضيع ذمتي وخفر ذمتى واباح حرمتى اجعله اول بيت وضع للناس يأتونه شعثا غبرا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق يضجون بالتلبية ضجيجا و يثجون بالبكاء ثجيجا و يعجون بالتكبير عجيجا فمن آثره لا يريد غيره فقد وفد الى وذرنى وضافنى وحق على الكريم ان يكرم وفده واضيافه وان ينعم و يتفضل و يسعف كلا بحاجته تعمره يا آدم ما كنت حيا ثم يعمره الامم والقرون والانبياء من ولدك أمة بعد أمة وقرنا بعد قرن فهكذا كان بدء أمر الكعبة حرسها الله تعالى ثم نت على ذلك الى ايام الطوفان فلما كان ايام الطوفان رفعه الله تعالى الى السماء الرابعة وبعث جبريل عليه السلام حتى خبأ الحجر الاسود في جبل ابى قبيس صيانة له من الغرق فكان موضع البيت خاليا الى زمان ابراهيم عليه السلام ثم ان الله تعالى أمر ابراهيم بعد ما ولد له اسمعيل واسحق عليهما السلام ببناء بيت له يعبد فيه و يذكر اسمه فلم يدر ابراهيم في اي موضع يبنيه فسال الله عز وجل ان يبين له ذلك (واختلف) العلماء في كيفية بيان ذلك فقال قوم بعث الله تعالى اليهم السكينة لتدله على موضع البيت كما حدث سماك بن حرب عن خالد بن عرعرة ان رجلا قام الى على بن ابى طالب رضي الله عنه فقال الا تخبرني عن البيت اهو اول بيت وضع للناس فقال لا ولكنه أول بيت وضع فيه البركة ووضع فيه مقام ابراهيم عليه السلام ومن دخله كان آمنا وان شئت انبأتك كيف بنى ان الله عز وجل أوحى الى ابراهيم عليه السلام ان ابن لي بيتا في الارض فضاق بذلك ابراهيم ذرعا فارسل الله عز وجل السكينة وهى ريح خجوج ولها رأسان فاتبع احدهما صاحبه حتى انتهينا الى مكة فتطوقت على موضوع البيت كتطوق الحجفة وأمر ابراهيم ان يبني حيث تستقر السكينة فبنى بيتا وقال آخرون ارسل الله تعالى اليه سحابة على قدر الكعبة فجعلت تسير معه الى ان قدم مكة فوقفت فى موضع البيت ونودي يا ابراهيم ابن على ظلها لا تزد ولا تنقص وقال بعضهم ان الذى خرج مع ابراهيم عليه السلام من الشام لدلالته على موضع البيت جبريل عليه السلام وذلك قوله عز وجل واذ بوأنا لابراهيم مكان البيت الاية قالوا فجعل ابراهيم يبنيه واسمعيل يناوله الحجارة وكان ابراهيم عبرانيا واسمعيل عربيا فالهم الله تعالى احدهما لسان صاحبه فكان ابراهيم عليه السلام يقول هب لى كينا يعنى هات لى حجرا فيقول له اسمعيل هاك نخذه فبنيا الكعبة من خمسة اجبل طور سينا وطور زيتا ولبنان والجودي و بنيت قواعده من حراء قال فبقى حجر فذهب اسمعيل يبتغيه ثم رجع فوجده قد ركب الحجر في مكانه

لابى بكر الصديق رضي الله عنه فقلت لها امضي الى قصر بلال فمضت وقالت للثانية لمن أنت فقالت لعمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه فقلت لها امضي الى قصر بلال فمضت ثم قالت للثالثة لمن انت فقالت للمختضب بدمه المقتول ظلما وعدوانا عثمان بن عفان رضى الله تعالى عنه فقلت لها امضي الى قصر بلال فمضت وقالت للرابعة لمن أنت فسكتت ثم قالت يارسول الله ان الله سبحانه وتعالى خلقني على حسن فاطمة وقد سماني باسمها وزوجني لعلى بن ابى طالب رضى الله عنه قبل ان يتزوج بفاطمة الزهراء بألف عام * فهم خلفاء النبي صلى الله عليه وسلم وانصاره واتباعه وهم حافون به يوم القيامة الى دار الكرامة رضي الله تعالى عنهم ورضي الله عنا بهم آمين (وحكى عن رافع ابن عبد الله رضى الله عنه أنه قال) قال لى هاشم بن يحيي الكناني الا احدثك حديثا رأيته بعيني وسمعته باذني وشهدته بنفسي ونفعني الله به فعسى ان ينفعك فقلت حدثني يا أبا الوليد فقال غزونا أرض الروم في سنة ثمان وثمانين وكان معنا رجل يقال له

فقال يا ابت من أتاك بهذا الحجر فقال له اتاني به من لم يكلني اليك ثم قال ابراهيم لاسمعيل ائتني بحجر حسن أضعه على الركن ليكون علما للناس فناداه ابو قبيس يا ابراهيم ان لك عندي وديعة فهاك فخذها فاخرج ابراهيم عليه السلام الحجر الاسود من جبل أبي قبيس وركبه في موضعه فلما فرغ ابراهيم واسمعيل من بناء البيت وأتماه دعوا ربهما فذلك قوله تعالى واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسمعيل ربنا تقبل منا انك انت السميع العليم الى قوله تعالى وارنا مناسكنا وتب علينا انك انت التواب الرحيم فاجاب الله تعالى دعاءهما وأرسل جبريل عليه السلام اليهما ليعلمهما مناسك الحج فخرج بهم يوم التروية الى منى فصلى بهما الظهر والعصر والمغرب والعشاء ثم بات بهما حتى اصبح فصلى بهما الصبح ثم غدا بهما الى عرفة فقام بهما هناك حتى اذا مالت الشمس جمع بين الصلاتين الظهر والعصر ثم راح بهما الى الموقف من عرفة فوقف بهما على الموضع الذي يقف عليه الناس اليوم فلما غربت الشمس دفع بهما الى المزدلفة فجمع بين الصلاتين المغرب والعشاء ثم بات بهما حتى طلع الفجر ثم صلى بهما صلاة الغداة فوقف بهما على قزح حتى اذا اسفر الصبح أفاض بهما الى منى فاراهما كيف يرميان الجمار ثم امرهما بالذبح واراهما المنحر من منى وأمرهما بالحلق ثم افاض بهما الى البيت فاوحى الله تعالى الى نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ان اتبع ملة ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين ثم أمر الله تعالى ابراهيم عليه السلام ان يؤذن في الناس بالحج فقال يارب وما يبلغ صوتي فقال عليك الاذان وعلى البلاغ فعلا ثبيرا ونادى ياعباد الله ان ربكم قد بنا بيتا فحجوه وأجيبوا داعى الله فسمعه ما بين السماء والارض وما بين الابحر ومن في أصلاب الرجال وأرحام النساء فاجابه كل من آمن بالله ممن سبق في علم الله تعالى ان يحج الى يوم القيامة لبيك اللهم لبيك (وقال) عبد الله بن الزبير لعبيد بن عمير استقبل ابراهيم عليه السلام اليمن والمشرق والمغرب والشام فدعا الى الحج فاجيب لبيك اللهم لبيك وذلك قوله عز وجل واذن في الناس بالحج ياتوك رجالا وعلى كل ضامر ياتين من كل فج عميق الايات فلم يزل البيت على ما بناه ابراهيم عليه السلام الى سنة خمس وثلاثين من مولد نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وذلك قبل مبعثه بخمس سنين فهدمت قريش الكعبة ثم بنتها وكان السبب في ذلك على ما ذكر محمد بن اسحق وغيره من أهل الاخبار ان الكعبة كانت رضمة فوق القامة فارادوا رفعها وتسقيفها وكان البحر قد رمى بسفينة الى جدة لرجل من تجار الروم فتحطمت فاخذوا خشبها فاعدوه لسقفها وكان بمكة رجل قبطي نجار فهيأ لهم في انفسهم بعض ما يصلحها وكانت حية تخرج من بئر الكعبة التي يطرح فيها ما يهدى لها كل يوم فتشرف على جدار الكعبة وكانوا يهابونه وذلك انه كان لا يدنوا منها احد الا كشرت وفتحت فاها فكانوا يهابونها فبينما هي ذات يوم على جدار الكعبة كما كانت تصنع فبعث الله طائرا فاختطفها فذهب بها وقالت قريش انا لنرجوا ان الله تعالى قد رضى ما أردناه من عمارة بيته وان عندنا عاملا رفيقا وخشبا وقد كفانا الله تعالى الحية وذلك بعد حرب الفجار بخمس عشرة سنة فلما اجمعوا امرهم على هدمها وبنائها قام ابو وهب بن عمرو بن عمير بن عامر بن عمرو بن مخزوم فتناول من الكعبة حجرا فوثب من يده حتى رجع الى موضعه فقال يامعاشر قريش لا تدخلوا في بنائها من كسبكم الا طيبا ولا تدخلوا فيها من مهر بغي ولا بيع ربا ولا مظلمة أحد من الناس ثم ان الناس هابوا هدمها فقال الوليد بن المغيرة انا أبدأ لكم في هدمها فاخذ المعول ثم قام عليها وهو يقول اللهم لا نريد الا الخير ثم هدم من ناحية الركنين فتربص الناس به تلك الليلة وقالوا ننتظر فان اصيب لم نهدم منها شيئا ورددناها كما كانت وان لم يصبه شيء فقد رضى الله تعالى بما فعلنا فاصبح الوليد من ليلته غاديا على عمله فهدم وهدم الناس معه حتى انتهى الهدم الى الاساس فافضوا الى حجارة خضر كانها اسنمة الابل آخذ بعضها ببعض فادخل رجل من قريش عتلة بين حجرين منها ليقلع احدهما فلما تحرك الحجر تحركت

سعيد بن الحرث وكان ذا حظ من العبادة يصوم النهار ويقوم الليل فان سرنا درس القرآن وان اقمنا ذكر الله تعالى فجاءت ليلة خفنا فيها فخرجت انا واياه نحرس القوم وكنا محاصرين العدو عند حصن من الحصون صعب علينا أمره فرأيت من سعيد من العبادة في تلك الليلة وصبره على التعب ما تعجبت منه فلما اطلع الفجر قلت له يرحمك الله ان لنفسك عليك حقا فلو رحمتها كان خيرا لك فبكى وقال أخي انما هي انفاس تعد وعمر يفني وأيام تنقضي وانا رجل ارتقب الموت قال فابكاني ذلك فقلت له اقسمت عليك بالله ما دخلت الخيام واسترحت فدخل ونام قليلا وانا جالس ظاهر الخيمة فسمعت كلاما في الخيمة ولم يكن في الخيمة سواه فتقدمت اليه فاذا هو يضحك في نومه ويتكلم بكلام فحفظت من كلامه ان قال لا أحب ان ارجع ثم مد يده اليمنى كانه يلتمس شيأ ثم ردها رفيقا وهو يضحك ثم قال والليلة ثم وثب من نومه وهو يرتعد فاحتضنته الى صدري مليا وهو يتلفت يمينا وشمالا حتى سكن وعاد اليه فهمه

مكة بامرها فلما رأوا أنهم قد انتهوا الى الاساس وقالوا ان القبائل قد اجتمعت لبنائها فجعلت كل قبيلة تجمع على حدتها ثم بنوا فلما بلغوا في البنيان الى موضع الركن اختصموا فيه فكل قبيلة ارادت ان تضعه في صفة دون الاخرى حتى تخالفوا وتحالفوا وتواعدوا للقتال فقربت بنو عبد الدار جفنة مملوءة دما ثم تعاقدوا هم و بنو عدى بن كعب على الموت وادخلوا أيديهم في ذلك الدم فسموا لعقة الدم بذلك فمكثوا اربع ليال أو خمس ليال على ذلك ثم انهم اجتمعوا فى المسجد وتشاوروا وتناصفوا فزعم بعض الرواة ان ابا أمية بن المغيرة كان حينئذ اسن قريش كلها فقال لهم يامعشر قريش اجعلوا بينكم فيما تختلفون فيه اول من يدخل عليكم من باب هذا المسجد يقضي بينكم فيه فرضوا بذلك وتوافقوا عليه فكان اول من دخل محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما رأوه قالوا هذا محمد الامين قد رضينا به فلما انتهى اليهم واخبروه الخبر قال هلموا الى ثوبا فاتوا به فاخذ الركن فوضعه فيه بيده ثم قال لتأخذ كل قبيلة بناحية من الثوب ثم ارفعوه جميعا ففعلوا ذلك حتى اذا بلغوا موضعه وضعه بيده ثم بنى عليه قالوا فكانت الكعبة كذلك على ما بنته قريش الى سنة اربع وستين من الهجرة حتى حاصر الحصين بن نمير السكونى عبد الله بن الزبير فقذفوا البيت بالمنجنيق واخذوا يرتجزون و يقولون

خطارة مثل الفنيق المزبد * ترمى بها عيدان هذا المسجد

وقال آخر منهم

كيف ترى صنيع أم فروه * تأخذهم من الصفا والمروه

أم فروة اسم منجنيق فمالت حيطان الكعبة مما رميت به من حجارة المنجنيق وانها مع ذلك احترقت وكان السبب فيه انهم كانوا يوقدون حولها فاقبلت شرارة هبت بها الريح فاحرقت باب الكعبة واحترق خشب البيت (وقال الواقدى) حدثني عبد الله بن زيد قال حدثنى عروة بن أذينة قال قدمت مكة مع أمى يوم احترقت الكعبة وقد خلصت اليها النار ورايت الركن قد اسود وانصدعت منه ثلاثة أمكنة فقلت ما اصاب الكعبة فاشاروا الى رجل من اصحاب ابن الزبير قالوا احترقت بسبب هذا أخذ قبسا في رأس رمحه فطارت الرمح به فضربت استار الكعبة ما بين الركن اليمانى والحجر الاسود (وقال) بعضهم كان السبب في ذلك ان امرأة كانت تبخر البيت فطارت شرارة من النار فاحترق البيت وكان أول ما تكلم الناس فى القدر يومئذ فقال قوم هو من قدرة الله وقال قوم ليس من قدرة الله قالوا فهدم عبد الله بن الزبير الكعبة حتى سواها بالارض وكان الناس يطوفون بها من وراء الاساس و يصلون الى موضعها وجعل الحجر الاسود عنده في تابوت في خرقة من حرير وجعل ما كان من حلى البيت وما وجد فيه من ثياب وطيب عند الحجبة في خزانة البيت ثم أعاد بناءه وقال ان امي أسماء بنت أبى بكر حدثتني ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعائشة لولا حداثة عهد قومك بالكفر لرددت الكعبة على أساس ابراهيم فازيد فى الكعبة الحجر وان قريشا أعوزتهم النفقة فاخرجوا الحجر من البيت ولجعلت لها بابين بابا شرقيا و بابا غربيا فامر به ابن الزبير فحفر فوجدوا قلاعا امثال الابل فحركوا منها صخرة فبرقت برقة فقال اقروها على اساسها فبناها ابن الزبير وادخل فيها الحجر وجعل لها بابين يدخل من احدهما ويخرج من الآخر فكانت الكعبة على ما بناها ابن الزبير الى سنة اربع وسبعين حتى قتل الحجاج بن يوسف الثقفي عبد الله بن الزبير وولى الحجاز من قبل عبد الملك بن مروان فنقض الحجاج بنيان الكعبة الذى كان بناه ابن الزبير بامر عبد الملك واعادها الى بنائها الاول بمشهد مشايخ من قريش فهى اليوم على ما بناها الحجاج الا ما كان من قلع القرمطى صاحب البحرين لعنه الله الحجر الاسود عام اوقع بالحجيج بمكة فذهب به مع أسرى من الحاج الى البحرين

فجعل يهلل و يكبر فقلت ما الخبر حدثنى فقال نعم فقلت سمعتك يا اخي تقول لا احب ان ارجع ورأيتك مددت يدك ثم رددتها برفق فقال لا أخبرك فاقسمت عليه فقال وتكتم ذلك فقلت نعم ياسيدى فقال رأيت القيامة قد قامت وخرج الناس من قبورهم شاخصين منتظرين أمر ربهم فبينما انا كذلك اذا اتانى رجلان لم أر احسن منهما فسلما على فرددت عليهما السلام فقالا لى ياسعيد ابشر فقد غفر ذنبك وشكر سعيك وقبل عملك واستجيب دعاؤك وعجلت لك البشرى فانطلق معنا حتى نريك ما أعد الله لك من النعيم فانطلقت معهم حتى اخرجانى من الموقف واذ أنا بخيل لا تسبقها خيل كانها البرق الخاطف أو هبوب الريح العاصف فركبنا وسرنا حتى انتهينا الى قصر شاهق لا يبلغ الطرف منتهاه كانه صنع من فضة وله نور يتلألأ فلما وصلنا اليه انفتح بابه من قبل ان نستفتح فدخلنا فرأينا شيئا لا يبلغه الواصفون ولا يخطر على قلب بشر وفيه من الحور والوصائف والولدان بعدد النجوم فلما رأونا

ثم أخذمنه ورد الى موضعه وذلك على يد شيخنا أبي اسحق ابراهيم بن محمد بن يحيي البرمكى النيسابورى رحمة الله عليه

(الباب السادس في ذكر أمر الله تعالى خليله عليه السلام بذبح ولده)

قال الله تعالى فلما بلغ معه السعى قال يابنى انى اري في المنام انى أذبحك فانظر ماذا ترى قال ياأبت افعل ما تؤمر ستجدنى ان شاء الله من الصابرين * واختلف السلف من علماء المسلمين في الذى امر ابراهيم عليه السلام بذبحه من ابنيه بعد اجماع اهل الكتاب على انه كان اسحق عليه السلام فقال قوم هو اسحق واليه ذهب من الصحابة عمر بن الخطاب رضى الله عنه وعلى بن ابى طالب ومن التابعين واتباعهم كعب الاحبار وسعيد ابن جبير والقاسم بن أبي برة ومسروق بن الاجدع وعبد الرحمن بن أبي سابط وابى الهذيل والزهري والسدى (روى) شعبة عن ابى اسحق عن ابى الاحوص قال افتخر رجل عند عبد الله بن مسعود قال انا فلان ابن فلان بن الاشياخ الكرام فقال عبد الله ذاك يوسف بن يعقوب بن اسحق ذبيح الله ابن ابراهيم خليل الله (وروى) سفيان عن زيد بن اسلم عن عبيد الله بن عبيد بن عمير عن ابيه عن جده قال قال موسى عليه السلام يارب يقولون يااله ابراهيم واسحق ويعقوب فلم قالوا ذلك فقال ان ابراهيم لم يعدل بى شيئا قط الا اختارنى عليه وان اسحق جادلي بالذبح فهو بغير ذلك اجود وان يعقوب كلما زدته بلاء زادنى حسن ظن (وروي) حمزة بن الزيات عن ابى اسحق عن ابى ميسرة قال قال يوسف عليه السلام للملك مصر اترغب ان تاكل معي وانا والله يوسف بن يعقوب نبي الله ابن اسحق ذبيح الله ابن ابراهيم خليل الله * وقال الآخرون هو اسمعيل والى هذا القول ذهب عبد الله بن عمر وابو الطفيل عامر بن واثلة وسعيد بن المسيب والشعبي ويوسف بن مهران ومجاهد وكان الشعبي يقول رأيت قرنى الكبش منوطين بالكعبة (وروى) عمرو بن عبيد عن الحسن البصري انه كان لا يشك فى ان الذى أمر بذبحه من ابني ابراهيم عليه السلام هو اسمعيل وهى رواية عطاء بن ابى رباح عن عبد الله بن عباس قال المفدى اسمعيل وزعمت اليهود انه اسحق وكذبت اليهود (وروى) محمد بن اسحق عن محمد بن كعب القرظى انه كان يقول ان الذي امر الله تعالى ابراهيم بذبحه من ابنيه اسمعيل وانا لنجد ذلك فى كتاب الله تعالى فى قصة الخبر عن ابراهيم عليه السلام وما امر به من ذبح ابنه انه اسمعيل وذلك ان الله عز وجل يقول حين فرغ من قصة المذبوح من ابنى ابراهيم وبشرناه باسحق نبيا من الصالحين وقال تعالى فبشرناها باسحق ومن وراء اسحق يعقوب يقول يابن وابن ابن فلم يكن يامره بذبح اسحق وله فيه من الله تعالى من الموعود ماوعده وما الذى امر بذبحه الا اسمعيل قال محمد بن كعب القرظى فذكرت ذلك لعمر بن عبد العزيز وهو خليفة اذ كنت معه بالشام فقال لى عمر ان هذا الشيء ما كنت انظر فيه وانى لاراه كما قلت ثم ارسل الى رجل كان عنده بالشام وكان يهوديا فاسلم وحسن اسلامه وكان يري انه من علماء اليهود فسأله عمر بن عبد العزيز عن ذلك وانا عنده فقال له اى ابني ابراهيم الذى كان أمر بذبحه فقال اسمعيل ثم قال والله ياامير المؤمنين ان اليهود لتعلم ذلك ولكنهم يحسدونكم معاشر العرب على ان يكون ابوكم الذى كان امر الله بذبحه لما فيه من الفضل الذي ذكرانه كان منه بصبره على ما امر به فهم يجحدون ذلك ويزعمون انه اسحق لان اسحق ابوهم وقد روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم كلا القولين ولو كان فيهما قول صح بالاجماع لم يعزه عبد الله الى غيره * فاما الرواة التى روت عنه ان الذبيح اسحق فاخبرنى ابو عبد الله بن الحسين بن محمد عن العباس بن عبد المطلب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى اراد ابراهيم ان يذبحه اسحق وعنه صلى الله عليه وسلم انه قال الذى فداه الله بذبح عظيم اسحق واخبرنا ابو عبد الله اخبرنا احمد بن جعفر بن حمدان اخبرنا يوسف بن عبد الله بن ماهان اخبرنا موسى

اخذ رافي حسن أنغام من القول الحسن مختلف الالحان وهم يقولون هذا ولى الله قد جاء فمرحبا به وسهلا فسرنا حتي انتهينا الي مجالس ذات اسرة من ذهب وهاج مكللة بالجواهر محفوفة بكراسي من اليواقيت وعلى كل سرير جارية احسن من الشمس والقمر لا يستطيع احد من الخلق ان يصفها وفي وسطهن واحدة عالية عليهن في طولها وكمالها وجمالها فقال الرجلان هذا منزلك وهؤلاء اهلك وهنا مقيلك ثم انصرفا عني فوثبت الجوارى الى بالترحيب والاستبشار كما يكون من اهل الغائب عند قدومه عليهن ثم حملوني حتي اجلسوني على السرير الاوسط الى جانب الجارية ثم قلن هذه زوجتك ولك اخري مثلها وقد طال انتظارهن اليك فكلمتها وكلمتني فقلت لها واين انا فقالت في جنة المأوي فقلت من انت فقالت انا زوجتك الخالدة فقلت واين الاخري فقالت في قصرك الآخر فقلت لها اقيم اليوم عندك واتحول في غد الى الاخري ثم مددت يدي اليها فردتها ردا رفيقا ثم قالت اما اليوم فلا فانك

ابن

ابن اسمعيل انبأنا المبارك عن الحسن عن الاحنف بن قيس عن العباس بن عبد المطلب عن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يشفع اسحق بعدى فيقول يارب صدقت نبيك وجدت بنفسى للذبيح فلا تدخل النار من لا يشرك بك شيأ قال فيقول الله وعزتى لا أدخل النار من لا يشرك بى شيأ وأخبرنا أبو طاهر محمد بن الفضل بن محمد بن اسحق المزنى قراءة عليه سنة ثلاث وثمانين وثلثمائة أنبأنا جدى أبو بكر ابن محمد بن اسحق بن خزيمة امام الائمة انبأنا على بن حجر انبأنا عمر بن حفص عن أبان عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله خيرنى بين ان يغفر لنصف امتى و بين ان اختبي شفاعتي فاخترت شفاعتي ورجوت ان يكون ذلك اعم لامتى ولولا الذي سبقنى اليه العبد الصالح لتعجلت منها دعوتى وذلك ان الله تعالى لما فرج عن اسحق كرب الذبيح قيل له يا اسحق سل تعطي فقال اما والذى نفسي بيده لاتعجلنها قبل نزغة الشيطان اللهم من مات لا يشرك بك شيأ فاغفر له وادخله الجنة * وأما الرواة التى روت عنه صلى الله عليه وسلم ان الذبيح اسمعيل فروى عمر بن عبد الرحمن الخطابى باسناده عن الصباحى قال كنا عند معاوية بن أبى سفيان فذكروا ان الذبيح اسمعيل أو اسحق فقال على الخبير سقطتم كنت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاءه رجل فقال يارسول الله اعد على ما أفاء الله عليك يا ابن الذبيحين فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقيل يا أمير المؤمنين ومن الذبيحان فقال ان عبد المطلب لما حفر زمزم نذر لو به ان سهل الله عليه أمرها ليذبحن أحد ولديه قال فخرج السهم على عبد الله فمنعه أخواله وقالوا له افد ولدك بمائة من الابل ففداه بمائة من الابل والثانى اسمعيل فهذا ما ورد من الاخبار وفي القرآن ما يدل على صحة كل واحد من القولين فاما الدليل على انه اسحق فهو ان الله تعالى اخبر عن ابراهيم عليه السلام حين فارق قومه مهاجرا الى الشام مع سارة ولوط وقال انى ذاهب الى ربى سيهدين انه دعا فقال رب هب لى من الصالحين يعنى ولدا صالحا من الصالحين وذلك قبل ان يعرف هاجر وقبل ان تصير له ام اسمعيل ثم اتبع ذلك الخبر عن اجابة دعوته وتبشيره اياه بغلام حليم وعن رؤيا ابراهيم ان يذبح ذلك الغلام الذى بشر به حين بلغ معه السعى وليس في القرآن انه بشر بولد ذكر الا باسحق واما الدليل على انه اسمعيل فما ذكرناه من حديث القرنين وقد صح الخبران قرنى الكبش كانا معلقين بالكعبة الى ان احترق البيت فاحترق القرنان فى ايام ابن الزبير والحجاج وهذا ادل دليل على ان الذبيح اسمعيل

﴿ وأما قصة الذبح وصفته وفعل ابراهيم عليهما السلام ﴾

قال السدي باسناده لما فارق ابرهيم الخليل عليه السلام قومه مهاجرا الى الشام هاربا بدينه كما قال تعالى وقال انى ذاهب الى ربى سيهدين دعا الله ان يهب له ابنا صالحا من سارة فقال رب هب لى من الصالحين فلما نزل به أضيافه من الملائكة المرسلين الى المؤتفكة بشروه بغلام حليم فقال ابراهيم لما بشر به هو اذا لله ذبيح فلما ولد الغلام و بلغ معه السعي قيل له اوف بنذرك الذى نذرت قربانا الى الله تعالى وكان هذا هو السبب في امر الله خليله ابراهيم عليه السلام بذبح ابنه فقال ابراهيم عند ذلك لاسحق انطلق تقرب قربانا الى الله تعالى واخذ سكينا وحبلا ثم انطلق معه حتى ذهب به بين الجبال فقال له الغلام يا ابت أين قربانك فقال يا بني انى أري في المنام انى اذبحك أى رأيت لفظه مستقبل ومعناه الماضى فانظر ماذا تري قال يا ابت افعل ما تؤمر ستجدنى ان شاء الله من الصابرين قال ابن اسحق كان ابراهيم اذا زارها جر واسمعيل حمل على البراق فيغدو من الشام فيقيل بمكة و يرجع من مكة فيبيت عند اهله بالشام حتى اذا بلغ اسمعيل معه السعى وأخذ بنفسه ورجاه لما كان يأمل فيه من عبادة ربه وتعظيم حرماته رأى فى المنام ان يذبحه فلما أمر بذلك قال لابنه يا بنى خذ الحبل والمدية ثم انطلق بنا الى هذا الشعب لنحتطب فلما خلا ابراهيم بابنه في شعب ثبير اخبره بما أمر به وقال

راجع الى الدنيا وستقيم ثلاثا فقلت لا احب ان ارجع فقالت لا بد من ذلك وستفطر عندنا بعد الثلاثة ايام ان شاء الله تعالى ثم نهضت من مجلسها فنهضت اودعها فا تيقظت يا اخى ولا صبر لى عنها قال هشام فغلبني البكاء وقلت هنيأ لك يا سعيد جدد لله شكرا فقد كشف الله لك عن ثواب عملك فقال هل رأى احد غيرك ما رأيت فقلت لا فقال بالله عليك يا اخى اكتم ما سمعت منى مادمت في الحياة ثم قام فتطهر وتطيب واخذ سلاحه وتوجه الى موضع القتال وهو صائم فقاتل الى الليل ثم انصرفت فتحدث الناس بقتاله وقالوا ما رأينا مثل ما فعل سعيد اليوم حتى انه كان يطرح نفسه تحت سهام العدو وحجارتهم فكلهم يثنون عليه قال فقلت في نفسي لو يعلمون شأنه لتنافسوا في مثل عمله ثم مكث قائما يصلى الى آخر الليل ثم اصبح صائما يقاتل ابلغ مما فعل بالامس قال أبو الوليد فانطلقت معه لانظر ماذا يكون منه فلم يزل يلقى نفسه في المهالك الى غاية النهار وهو لا يصل اليه شيء مما كانوا

يابني اني أرى في المنام اني اذبحك الآية فقال له ابنه الذي اراد ان يذبحه ياابت أشدد رباطي حتى لا أضطرب واكفف عني ثيابك حتى لا ينتضح عليها دمي فينقص اجري وتراه امي فتحزن واشحذ شفرتك واسرع بمر السكين على حلقي ليكون اهون للموت علي فان الموت شديد فاذا اتيت أمي فاقرئها مني السلام فان رأيت ان ترد قميصي اليها فافعل فانه عسى ان يكون اسلى لها عني فقال له ابراهيم نعم العون يابني أنت على ما امر الله به ففعل ابراهيم ما أمره ابنه ثم انه اقبل عليه يقبله وقد ربطه وهو يبكي والابن يبكي حتى استنقع الدموع تحت خده ثم انه وضع السكين على حلقه فلم يجزع ولم يعمل السكين شيأ قال السدي وضرب الله تعالى صفيحة من نحاس على حلقه فقال عند ذلك الابن ياابت كبني على وجهي فانك ان نظرت الي وجهي رحمتني وادركتك على رقة تحول بينك وبين امر الله ففعل ابراهيم ذلك فذلك قوله تعالى فلما اسلما وتله للجبين ثم انه وضع السكين على قفاه فانقلبت ونودي ياابراهيم قد صدقت الرؤيا الآية هذه ذبيحتك فداء لابنك فاذبحها دونه فنظر ابراهيم عليه السلام فاذا هو بجبريل عليه السلام ومعه كبش أعين أملح أقرن فكبر الكبش وكبر ابراهيم وكبر ابنه فذلك قوله تعالى وفديناه بذبح عظيم قال سعيد بن جبير وغيره عن ابن عباس خرج عليه الكبش من الجنة قد رعى فيها اربعين خريفا وروى عنه أيضا ان الكبش الذي فدي به عن ابن ابراهيم عليهما السلام هو الكبش الذي قربه هابيل بن آدم فتقبل منه فارسل ابراهيم ابنه وأخذ الكبش واتى به المنحر من منى فذبحه فوالذي نفس ابن عباس بيده لقد كان اول الاسلام وان رأس الكبش لمعلق بقرنيه في ميزاب الكعبة قد وحش يعني يبس وروى عمرو بن عبيد عن الحسن عن ابيه انه كان يقول مافدي اسمعيل الا بكبش من الاروى اهبط عليه بثبير وهي رواية أبي صالح عن ابن عباس قال كان وعلا (وروى) ابوهريرة عن كعب الاحبار وابن اسحق عن رجال قالوا لما رأى ابراهيم في المنام ان يذبح ابنه قال الشيطان والله لئن لم افتن عند هذا آل ابراهيم والالم افتن احدا منهم ابدا فتمثل لهم الشيطان رجلا فاتى أم الغلام فقال لها اتدرين اين ذهب ابراهيم بابنك قالت ذهب به ليحتطب من هذا الشعب فقال لا والله ماذهب به الا ليذبحه قالت كلا هو أرحم به مني وأشد حبا له من ذلك فقال لها انه يزعم ان الله أمره بذلك فقالت له ان كان أمره بذلك فقد أحسن في امتثال طاعة ربه وفي استسلامه لامر الله تعالى فخرج الشيطان من عندها هاربا حتى أدرك الابن وهو يمشي على أثر أبيه فقال ياغلام هل تدري اين يذهب بك ابوك قال نحتطب لاهلنا من هذا الشعب قال لا والله مايريد الا ذبحك قال ولم قال يزعم ان الله امره بذلك قال له فليفعل ماامره الله به فسمعا وطاعة لامر الله تعالى فلما امتنع منه الغلام أقبل على ابراهيم فقال له اين تريد ايها الشيخ قال أريد هذا الشعب لحاجة لي فقال والله اني لأرى الشيطان قد جاءك في منامك يامرك بذبح ابنك هذا فعرفه ابراهيم فقال له اليك عني ياملعون فوالله لامضين لامر ربي فرجع ابليس لعنه الله بغيظه لم يصب من ابراهيم واهله شيأ مما أراد وقد امتنعوا منه بعون الله وتأييده (وروى) ابو الطفيل عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ان ابراهيم عليه السلام لما أمر بذلك عرض له ابليس عند المشعر الحرام فسابقه فسبقه ابراهيم عليه السلام ثم ذهب الى جمرة العقبة فعرض له الشيطان فرماه بسبع حصيات حتى ذهب ثم عرض له عند الجمرة الوسطى فرماه بسبع حصيات حتى ذهب ثم ادركه عند الجمرة الكبرى فرماه بسبع حصيات حتى ذهب ثم مضى ابراهيم عليه السلام لامر الله تعالى فهذه قصة الذبح وقال أمية بن ابي الصلت الثقفي في ذلك شعرا

ولابراهيم الموفي بنذر * احتسابا وحامدا لاجزال
بكره لم يكن ليصبر عنه * لو رآه في معشر اقتال

يرمونه عليه من الحجارة وغيرها حتى غربت الشمس فجاءه سهم في منحره فخر صريعا وأنا أنظر اليه وهو يضحك فضجت الناس وبادروا اليه فاخذوه وجاؤا به الى الخيام وقد مات رحمة الله تعالى عليه فقلت له هنيئا لك ياسعيد ماذا انتظر الليلة ياليتني كنت معك قال هشام فعض على شفته السفلى وضحك في موته وقال الحمد لله الذي صدقنا وعده قال فصحت ياعباد الله لمثل هذا فليعمل العاملون فاستمعوا اخبركم بأعجب مما رأيتموه من اخيكم هذا فاقبل الناس باجمعهم فاخبرتهم بحكايته وماكان منه فما رأيت باكيا كاليوم ثم كبرنا تكبيرا اضطرب له العسكر وشاع الحديث وبلغ الخبر الى مسلمة فجاء وقد وضعناه لنصلي عليه فقلت صل عليه ايها الامير فقال بل يصلي عليه الذي عرف من أمره ماعرف فصلينا عليه ودفناه في موضعه وبات الناس يتحدثون به فلما طلع النهار تذاكرنا حديثه وصاح المسلمون صيحة واحدة وحملوا على المشركين وفتح الله تعالى ذلك الحصن في ذلك اليوم ببركته رحمة الله تعالى

* ابى انى نذرتك لله شحيطا فاصبر فذلك حالى
واشدد العضد عند جبذى للسكين جبذ الاسير الاغلال
وله مدية تخايل فى اللحم غلام جبينه كالهلال
بينما يخلع السراويل عنه * فكه ربه بكبش حلال
فخذ ذا فدا لابنك انى * للذى قد فعلتما غير قالى
ربما تجزع النفوس من الامر له فرجة كحل العقال

(الباب السادس فى هلاك النمروذ بن كنعان وما أحل الله تعالى به من نقمته وقصة الصرح)

قال الله تعالى قد مكر الذين من قبلهم فاتى الله بنيانهم من القواعد فخر عليهم السقف من فوقهم وأتاهم العذاب من حيث لا يشعرون (روت الرواة) باسانيد مختلفة ان اول جبار كان فى الارض النمروذ بن كنعان وكان الناس يخرجون اليه و يمتارون من عنده الطعام فخرج اليه ابراهيم يمتار مع من يمتار وكان النمروذ اذا مر به الناس قال لهم من ربكم قالوا انت حتى مر ابراهيم فقال له من ربك قال ربى الذي يحيي و يميت قال انا احيي وأميت قال ابراهيم فان الله ياتى بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب فبهت الذى كفر ورد ابراهيم بغير طعام فرجع ابراهيم الى اهله فمر بكثيب أعفر فقال لآخذن من هذا فآتى به اهلى فتطيب به قلوبهم حين ادخل اليهم فاخذ ابراهيم منه فاتى به اهله فوضع متاعه ثم نام فقامت امرأته الى متاعه ففتحته فاذا هو باجود دقيق رأته فاخذته وصنعت منه طعاما فلما افاق قدمته اليه وكان عهد اهله انه ليس عندهم شيء ولا عندهم طعام فقال لهم من اين هذا فقالت من الطعام الذى جئت به فعلم ابراهيم ان الله رزقه فحمد الله وشكره ثم ان النمروذ الجبار لما حاجه ابراهيم عليه السلام في ربه قال ان كان ما يقول ابراهيم حقا فلا انتهى حتى اعلم من في السماء فبنى صرحا عظيما عاليا ببابل ورام منه الصعود الى السماء لينظر الى اله ابراهيم فيما يزعم قال ابن عباس ووهب كان طول الصرح فى السماء خمسة آلاف ذراع وقال مقاتل وكعب كان طوله فرسخين ثم عمد الى اربعة أفراخ من النسور فعلفها اللحم والخبز وربّاها حتى شبت واستفحلت ثم قعد فى تابوت ومعه غلام وقد حمل قوسه ونشابه وجعل لذلك التابوت بابا من اعلاه وبابا من اسفله ثم ربط التابوت بارجل النسور وعلق اللحم على عصا فوق التابوت ثم خلى عن النسور فطارت وصعدت طمعا فى اللحم حتى ابعدت فى الهواء فقال النمروذ لفتاه افتح الباب الاعلى وانظر الى السماء هل قربنا منها ففتح الباب الاعلى ونظر فاذا السماء على هيئتها ثم قال افتح الباب الاسفل وانظر الى الارض كيف تراها ففتح فقال اري الارض مثل الحبة البيضاء والجبال كالدخان وطارت النسور وارتفعت حتى حالت الريح بينها وبين الطيران فقال لغلامه افتح البابين ففتح الاعلى فاذا السماء كهيئتها وفتح الباب الاسفل فاذا الارض سوداء مظلمة ونودى ايها الطاغى الباغى اين تريد قال عكرمة فامر عند ذلك غلامه فرمى بسهم فعاد اليه السهم متلطخا بالدم فقال كفيت شغل اله السماء واختلفوا فى ذلك السهم من اي شيء تلطخ فقال عكرمة من سمكة فى بحر معلق فى الهواء بين السماء والارض قربت نفسها لله تعالى وقال بعضهم اصاب السهم طائرا من الطير فتلطخ من دمه ثم أمر النمروذ غلامه ان يصوب العصا و ينكس اللحم ففعل ذلك فهبطت النسور بالتابوت فسمعت الجبال خفيق التابوت والنسور ففزعت وظنت انه امر حدث في السماء وان الساعة قد قامت فذلك قوله تعالى وقد مكروا مكرهم وعند الله مكرهم اى جزاء مكرهم وان كان مكرهم لتزول منه الجبال وقرأ علي وعمرو وابن مسعود وان كان مكرهم لتزول منه الجبال بالدال ثم ان الله تعالى ارسل ريحا على صرح النمروذ فالقت رأسه في البحر فخر عليهم الباقى وانقلبت بيوتهم واخذت النمروذ رعدة وتبلبلت

عليه ونفعنا به في الدارين آمين (حكى عن أبى يعقوب الطبرى رضي الله تعالى عنه) انه قال خرجت في سفر أريد الشام فوقعت في التيه اياما حتى اشرفت على الهلاك فبينما انا كذلك اذ رايت راهبين سائرين كانهما قد خرجا من مكان واحد يريدان ديرا لهما بالقرب فملت اليهما وقلت لهما اين تريدان فقالا لاندرى فقلت لهما فمن اين اقبلتما فقالا لاندرى الا انا في ملكه و بين يديه قال فتعجبت من ذلك وقلت في نفسي ان هذين الراهبين متحققان التوكل دونك فقلت لهما اتأذنان لى في الصحبة معكما فقالا ذلك اليك فسرنا حتى أمسينا قاما الى صلاتهما وقمت الى صلاة المغرب فتيممت وصليت فلما نظرا الى حين تيممت وصليت تعجبا من ذلك فلما فرغا من صلاتهما بحث احدهما في الارض فانفجرت عين ماء والى جانبه طعام موضوع فزدت تعجبا من ذلك فقالا لى ادن وكل واشرب قال فاكلنا وشربنا وتوضأت للصلاة ثم غار الماء وذهب الطعام فلما كانت الليلة الثانية فعل الثانى كما فعل الاول فلما

ألسن الناس حين سقط صرح النمروذ من الفزع فتكلموا بثلاث وسبعين لسانا فلذلك سميت بابل لتبلبل الالسنة فيها فذلك قوله تعالى فخر عليهم السقف من فوقهم واتاهم العذاب من حيث لا يشعرون وذلك ان الله تعالى بعث الى النمروذ ملكا ان آمن حتى اتركك على ملكك قال فهل رب غيري فجاءه الثانية والثالثة فابى عليه فقال له الملك اجمع جموعك الى ثلاثة أيام فجمع النمروذ جموعه وجنوده فامر الله تعالى الملك ان يفتح عليه بابا من البعوض ففعل فطلعت الشمس ذلك اليوم فلم يروها من كثرة البعوض فبعثها الله تعالى على النمروذ وقومه فاكلت لحومهم وشربت دماءهم فلم يبق منهم الا العظام والنمروذ كما هو لم يصبه شيء من ذلك فبعث الله اليه بعوضة فدخلت في منخره حتى وصلت الى دماغه فمكث اربعمائة سنة تضرب رأسه بالمطارق فارحم الناس به من جمع يديه ثم يضرب بهما رأسه وكان جبارا اربعمائة سنة فعذبه الله اربعمائة سنة كمدة ملكه ثم ان البعوضة اكلت دماغه واهلكه الله سبحانه وتعالى وخذله

(الباب السابع في ذكر وفاة سارة وهاجر وذكر وفاة ازواج ابراهيم وولده)

قال الله تعالى اتعجبين من امر الله رحمة الله وبركاته الآية قال اهل العلم باخبار الماضين ماتت سارة وهي ابنة مائة وسبع وعشرين سنة بالشام بقرية الجبابرة من ارض كنعان في جيرون في مزرعة اشتراها ابراهيم عليه السلام ودفنت بها وكانت هاجر ماتت قبل سارة بمكة فدفنت في الحجر فلما ماتت سارة تزوج ابراهيم بامرأة من بعدها من الكنعانيين يقال لها قطورا ابنة يقطان فولدت له ستة نفر يقشان وزمران ومدان ومدان واشنيق بن وشوخ وتزوج ايضا بامراة اخرى من العرب اسمها حجون بنت اهيب فولدت له خمسة بنين كيسان وفروخ واهيم ولوطان ونافس فكان جميع بنى ابراهيم مع اسحق واسمعيل ثلاثة عشر وكان اسمعيل بكره واكبر اولاده فانزل اسمعيل بارض الحجاز واسحق بارض الشام وفرق سائر ولده في البلاد فقالوا لابراهيم يا أبانا انزلت اسحق معك واسمعيل بقربك وامرتنا ان ننزل بارض الغربة والوحشة قال بذلك امرت ثم علمهم اسما من اسماء الله تعالى فكانوا يستسقون به ويستنصرون

(الباب الثامن في ذكر وفاة ابراهيم عليه السلام)

قال اهل التاريخ والسير لما أراد الله تعالى قبض روح ابراهيم عليه السلام أرسل الله اليه ملك الموت في صورة شيخ هرم قال السدى باسناده وكان ابراهيم كثير الاطعام يطعم الناس ويضيفهم فبينما هو يطعم الناس اذا هو بشيخ كبير يمشي في الجادة فبعث اليه بحمار فركبه فلما أتاهم قدم اليه الطعام فجعل الشيخ ياخذ اللقمة ويريد ان يدخلها فاه فيدخلها في عينه مرة وفي اذنه مرة ثم اذا ادخلها في فيه وحصلت في جوفه خرجت من دبره وكان ابراهيم قد سأل ربه ان لا يقبض روحه حتى يكون هو الذي يسأله الموت فقال للشيخ حين رأى حاله ما بالك يا شيخ تصنع هكذا فقال يا ابراهيم من الكبر قال ابن كم انت قال كيت وكيت فحسب ابراهيم فوجد عمره يزيد على عمر ابراهيم بسنتين فقال له ابراهيم انما بيني وبينك سنتان فاذا بلغت عمرك صرت مثلك قال نعم فقال ابراهيم اللهم اقبضني قبل ذلك فقام الشيخ فقبض نفسه وكان الشيخ ملك الموت وكان عمر ابراهيم مائتي سنة وقيل مائة وخمس وتسعون سنة ودفن عند قبر سارة في مزرعة جبرون

(الباب التاسع في ذكر خصائص ابراهيم عليه السلام)

هو ابراهيم خليل الرحمن قال الله تعالى واتخذ الله ابراهيم خليلا وهو سيد الفتيان (روى) في الحديث انه قيل للنبي صلى الله عليه وسلم يا سيد البشر قال ذاك ابراهيم وهو ابو الضيفان وكان لا يتغذى ولا يتعشى الا مع ضيف وربما مشي ميلين او اكثر حتى يجد ضيفا وضيافته قائمة الى يوم القيامة وهي الشجرة المباركة التي قال الله تعالى يوقد من شجرة مباركة الآية وصح انه دعا الله تعالى ان يجعل النبوة في نسله فاستجاب له وجعل النبوة

في

كانت الليلة الثالثة قالا لي يامسلم الليلة نوبتك قال محمد بن يعقوب فاستحييت من قولهما وداخلني هم شديد وامر غريب وقلت في نفسي اللهم اني اعلم ان ذنوبي لم تدع لي عندك جاها ولكن أسالك بجاه نبيك محمد صلى الله عليه وسلم ان لا تفضحني عندهما ولا تشمتهما بدين نبيك محمد صلى الله عليه وسلم قال فاذا بعين ماء قد انفجرت وبطعام كثير الى جنبها فاكلنا وشربنا ثم حمدنا الله تعالى على ذلك قال فلم نزل على تلك الحالة حتى بلغت النوبة الثالثة فلما ظهر الماء والطعام غلبني البكاء فلم استطع رده فاصابهما مثل ما اصابني وارتفعت اصواتنا بالبكاء فلما فرغنا قالا لي ما يبكيك فقلت اني رجل مسرف على نفسي وليس لي عند الله من الجاه والمنزلة ما يبلغني هذه الكرامة فقالا لي وكيف ظهر لك فقلت انما توسلت اليه بجاه نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ان لا يفضحني معكما فاستجاب لي فقالا قد عرفنا ان دينه هو الحق وهو عند الله عظيم فامدد يدك فانا نشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله قال فاسلما وخرجنا

في شعي اسمعيل واسحق عن انس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثت على ثمانية آلاف نبي اربعة آلاف من بني اسرائيل وهو المجعول له لسان الصدق في الاخرين فليس من نبي تجرى السنة الخلق كلهم بتصديقه وتفضله تبجله كل امة غيره وذلك بدعائه عليه السلام واجعل لي لسان صدق في الاخرين وهو المبتلى بانواع البلاء المشهود له بالوفاء قال الله تعالى واذا بتلى ابراهيم ربه بكلمات فاتمهن وقال ابراهيم الذي وفى اي بما امر به وهو الامة القانت قال الله تعالى ان ابراهيم كان امة قانتا لله حنيفا ولم يك من المشركين الى آخر الآية ومعنى الامة ان كان معلما للخير وقد اجتمع فيه من خلال الخير وانواع الفضل ما يجمع في امة كما قال الشاعر

ليس على الله بمستنكر * ان يجمع العالم في واحد

وهو الذي اوتى رشده من قبل بلوغه وهو امام الموحدين وجعل له لسان الحجة في التوحيد فدعا الخلق الى الحق بلسان الحجة من صغره الى كبره قال تعالى وتلك حجتنا آتيناها ابراهيم الآية واول من سماه الله حنيفا مسلما قال تعالى ولكن كان حنيفا مسلما وبرأه من دعاوى اليهود والنصاري وشهد له بالاسلام والاخلاص فقال تعالى ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا الاية وهو اول من اختتن (قال) ابو منصور الحشارى حدثنا ابو عباس المعقلى اخبرنا عبد الحكيم اخبرنا ابن وهب اخبرنا يحيي بن نصر قال قرأ على بن وهب اخبرنا ابن سمعان عن محمد بن المنكدر عن سعيد بن المسيب عن ابى هريرة رضي الله عنه انه قال اختتن ابراهيم عليه السلام بالقدوم وهو ابن مائة وعشرين سنة ثم عاش بعد ذلك ثمانين سنة (واخبرنا) الحسين بن محمد بن فنجويه اخبرنا محمد بن مخلد بن جعفر اخبرنا الحسن بن علوية اخبرنا اسمعيل بن عيسى اخبرنا اسحق بن بشر عن مقاتل عن الضحاك عن ابن عباس قال ان ابراهيم أول من اضاف الضيف وأول من ثرد الثريد وأول من لبس النعلين واول من قسم الفىء وأول من قاتل بالسيف وأول من اختتن واختتن على رأس مائة وعشرين سنة من ميلاده ختن نفسه في موضع يقال له القدوم بالقدوم وهو الفأس وذلك انه كان وقع بينه وبين العمالقة وقعة عظيمة فقتل من الفريقين خلق عظيم فلم يعرف ابراهيم اصحابه ليدفنهم فجعل الختان علامة الاسلام فاختتن يومئذ بالقدوم وهو أول من اتخذ السراويل (اخبرنا) الحسن الدينورى اخبرنا احمد بن شداد بن عمر بن أحمد القطان اخبرنا محمد بن اسمعيل بن حسان اخبرنا وكيع اخبرنا جرير بن حازم عن واصل مولى ابن عيينة قال أوحى الله تعالى الى ابراهيم عليه السلام يا ابراهيم انك اكرم اهل الارض علي فاذا سجدت فلا ترى الارض عورتك فاتخذ السراويل وهو اول من شاب فلما رآه هاله ذلك فقال يارب ماهذا قال الوقار فقال يارب زدنى وقارا وهو اول من أقام المناسك وذلك بدعوته حيث قال وارنا مناسكنا فاستجيب له وهو أول من ضحى وهو الذى بوأ الله له مكان البيت وأراه ذلك بعد دروسه حتى بناه قال الله تعالى واذ بوأنا لابراهيم مكان البيت الآية وهو أول من القي في النار في الله فجعلت النار عليه بردا وسلاما وهو أول نبي أحيا الله له الموتى بسؤاله حيث قال رب ارنى كيف تحيي الموتى الآية وهو الذى كان اذا سافر وتمنى سارة واشتاق اليها رفع الله الحجاب بينه وبينها حتى يراها حيث كان وهو الذى يكسى حلة بيضاء يوم القيامة ويوضع له منبر عن يسار عرش الرحمن قال النبي عليه السلام تحشر الناس يوم القيامة حفاة عراة غرلا بهما وهو أول من يكسي ابراهيم خليل الرحمن وهو الكفيل لاطفال المسلمين والقائد لاهل الجنة وهو أول من قص شاربه وأول من قلم أظفاره وأول من استحد وأول من نتف الابط واول من استاك وأول من فرق شعره واول من تمضمض وأول من استنشق وأول من استنجي بالماء واول من هاجر لله قال الله تعالى فآمن له لوط وقال انى مهاجرا الى ربى وجعل مقامه قبلة للناس قال الله تعالي واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى وجعله اماما للناس قال الله تعالى انى جاعلك للناس اماما وقال تعالي قد كانت لكم اسوة حسنة في ابراهيم وامر محمدا خير الانبياء

جميعا الى مكة شرفها الله تعالى فاقمنا بها مدة وخرجنا الى الشام فتفرقنا فوالله ما ذكرتهما الا وهانت على الدنيا وصغرت في عيني (وانشدت شعرا في المعنى)

لما رأيتك حاضرا
في القلب زاد بي الحار
وبقيت فيك محيرا
والقلب ليس له قرار
فامزج كؤسي بالرضا
جهرا فما عنها اصطبار
دارت على موسى الكليم فلاح نحو الطور نار
لطفت فلما ذاقها ا
لاحباب نحو الحب طاروا
بذلوا اليه نفوسهم
وعلى خيول القوم غاروا
واليه في بحر الهوي
ركبوا وبالارواح ساروا
طلبوه حقا بالقلوب وعندما نظروه حاروا
هاموا به حتى لقد
أنست بقربهم الديار
ورأوا اشارات الهوى
لاحت لديهم فاستناروا

هذان راجلان لاح لهما قدر خرم ابرة من الايمان فرأوا الطريق وسلكوا منهج التصديق وانت يامسكين عمرك قد انقضي ومضى في العصيان وزمانك قد ذهب في الخسران وانت في بحر الغفلة غريق وقد هبت نسمات القبول والتوفيق انت سكران بخمر المعاصي

وأمته خير الامم باتباع ملته قال تعالى ثم اوحينا اليك ان اتبع ملة ابراهيم حنيفا وقال قل بل ملة ابراهيم حنيفا وسماه حليما منيبا أواها قال تعالى ان ابراهيم لحليم أواه منيب الحليم السيد الذي يملك نفسه عند الغضب والاواه الذي يكثر التأوه عند ذكر الذنوب والمنيب المقبل بقلبه الى ربه فهذه ست وأربعون خصلة من خصاله التي أكرمه الله بها (ويروي) ان الله تعالى اوحى الى ابراهيم يا ابراهيم انك لما سلمت مالك الى الضيفان وابنك الى القربان ونفسك الى النيران وقلبك الى الرحمن اتخذناك خليلا (وروى) ابو ادريس الخولاني عن ابي ذر الغفاري قال قلت يارسول الله كم كتابا انزل الله تعالى قال مائة صحيفة وأربعة كتب أنزل الله تعالى على آدم عشر صحائف وعلى شيث خمسين صحيفة وعلى ادريس ثلاثين صحيفة وعلى ابراهيم عشر صحائف وانزل التوراة والانجيل والزبور والفرقان قال فقلت يارسول الله فما كانت صحف ابراهيم قال كانت أمثالا كلها ايها الملك المبتلى المسلط المغرور اني لم ابعثك لتجمع الدنيا بعضها على بعض ولكني بعثتك لترد عني دعوة المظلوم فاني لا أردها ولو كانت من كافر وكان فيها أمثال على العاقل مالم يكن مغلوبا على عقله أن يكون له أربع ساعات ساعة يناجي فيها ربه وساعة يتفكر فيها في صنع الله تعالى وساعة يحاسب فيها نفسه على ماقدم وأخر وساعة يخلو فيها لحاجته من الحلال والحرام في المطعم والمشرب وغيرهما وعلى العاقل ان لا يكون ظاعنا الا في ثلاث تزود لمعاده ومؤنة لمعاشه ولذة في غير محرم وعلى العاقل ان يكون بصيرا بزمانه مقبلا على شانه حافظا للسانه ومن علم ان كلامه من عمله قل كلامه فيما لا يعنيه والله عن كل محذور يغنيه

﴿مجلس في بعض اخبار اسمعيل واسحق ابني ابراهيم عليهم السلام﴾

وقد ذكرنا مسير ابراهيم الخليل بابنه اسمعيل وهاجر الى مكة واسكانه اياهما بها ولما كبر اسمعيل وبلغ النكاح تزوج امرأة من جرهم فكان من أمرها ماقدمنا ذكره ثم طلقها بامر أبيه ثم تزوج بامرأة أخرى يقال لها السيدة بنت مضاض بن عمرو الجرهمي وهي التي قال لها ابراهيم حين قدم مكة اذا جاء زوجك فاقرئيه مني السلام وقولي له قد استقامت عتبة بابك فولدت السيدة لاسمعيل اثني عشر رجلا نابتا وقيذار وادبيل وبسام ومسمع وذوما ومسا وحراه وقيما وبطور ونافس وقيدما ومن نابت وقيذار ابني اسمعيل نشر الله تعالى العرب ثم نبأ الله تعالى اسمعيل فبعثه الي العماليق وقبائل اليمن فلما حضرت اسمعيل الوفاة اوصى الى اخيه اسحق أن يزوج ابنته من عيص بن اسحق وعاش اسمعيل مائة وسبعة وثلاثين سنة ودفن بالحجر عند قبر امه هاجر (وروى) عمر بن عبد العزيز انه قال شكا اسمعيل الى ربه تعالى حر مكة فاوحى الله تعالى اليه اني فاتح لك بابا من الجنة يجري عليك روحها الى يوم القيامة وفي ذلك المكان دفن * واما حديث اسحق عليه السلام فانه نكح رفقا بنت بتويل فولدت له عيصا ويعقوب بعدما مضى من عمره ستون سنة ولهما قصة عجيبة على ماذكره السدي قال حملت رفقا في بطن واحد بغلامين فلما ارادت ان تضع اقتتل الغلامان في بطنها فاراد يعقوب ان يخرج قبل عيص فقال عيص والله لئن خرجت قبلي لاعترضن في بطن امي فاقتلها فتاخر يعقوب وخرج عيص قبله فسمي عيصا لانه عصا فخرج قبل يعقوب وسمي الآخر يعقوب لانه خرج آخرا بعقب عيص وكان يعقوب اكبرهما في البطن ولكن عيصا خرج قبله فلما كبر الغلامان كان عيص أحبهما الى أبيه ويعقوب احبهما الى امه وكان عيص صاحب صيد فلما كبر اسحق وعمي قال لعيص يابني اطعمني لحم صيد واقترب مني ادع لك بدعاء دعا به أبي وكان عيص رجلا اشعر ويعقوب رجلا اجرد فخرج عيص يطلب الصيد فسمعت امه الكلام فقالت ليعقوب يابني اذهب الى الغنم فاذبح منها شاة واشوها والبس جلدها ثم قدمها الى ابيك وقل له انا ابنك عيص ففعل ذلك واتى الى أبيه وقال يا أبتاه كل فقال من انت قال انا عيص فمسه وقال المس مس عيص

والريح

ولا تفيق (وعن عبد الله القرشي رحمه الله تعالى انه قال) كنت أصحب ابراهيم ابن ادهم رحمه الله تعالي واسرح معه فسرنا يوما من الايام نريد الحجاز فمشينا ثلاثة ايام لم نستطعم فيها بطعام ولاشراب فقلت له اتعرف مابي من الجوع ياسيدي قال فرمق بطرفه الى السماء بعد ان جلس وجلست بجانبه فاذا رغيف سخن قد سقط في حجري فرفع ابراهيم رأسه الي وقال كل فاكلت نصفه وشبعت ثم سرنا فررنا بقافلة قد حبسها الاسد عن المسير فتقدم ابراهيم اليه وقال له ياقسورة ان كنت قد امرت فينا بشيء فامض الى ماامرت به والا فاذهب فولى الاسد هاربا وسار القوم فقالوا له بالله عليك ياسيدي الا مادعوت لنا فنحن نخاف في السفر فقال لهم قولوا اللهم احرسنا بعينك التي لاتنام واكنفنا بكنفك الذي لايرام وارحمنا بقدرتك علينا فلا نهلك وأنت رجاؤنا قال عبد الله فلقيت رجلا من اهل القافلة بعد مدة فسألته فقال والله مذ كنا ندعوا بهذا الدعاء الذي علمه لنا الشيخ مارأينا سبعا وقال الصائم ٧ ركب معنا ذلك

والريح ريح يعقوب فقالت له امرأته هو ابنك عيص فادع له فقال قدم طعامك فقدمه فاكل منه ثم قال له ادن
مني فدنا منه فدعا له ان يجعل في ذريته الانبياء والملوك ثم قام يعقوب من عنده وجاء عيص بعده فقال يا أبت قد
جئتك بالصيد الذي أردته فقال يا بني قد سبقك أخوك يعقوب فغضب عيص وقال والله لا قتلنه فقال يا بني
قد بقيت لك دعوة فهلم ادع لك بها فتقدم اليه فدعا له فقال ان تكون ذريتك عدد التراب ولا يملكهم احد غيرهم
ثم ان ام يعقوب قالت ليعقوب الحق بخالك فكن عنده خشية عليه ان يقتله عيص فانطلق يعقوب الى خاله
وكان يسير في الليل و يكمن في النهار فلذلك سماه الله اسرائيل وهو اول من سرى بالليل فاتى يعقوب الى خاله
وكان اسحق امره ان لا ينكح امرأة من الكنعانيين وامره ان ينكح امرأة من بنات خاله ليان بن ناهر وان
يعقوب لما مكث عند خاله فخطب ابنته راحيل وكان له ابنتان ليا وهي الكبرى وراحيل وهي الصغرى فقال
له هل لك من مال فازوجك عليه فقال لا لكن اخدمك اجيرا حتى تستوفي صداق ابنتك فقال له ان صداقها
ان تخدمني سبع حجيج فقال يعقوب تزوجني راحيل لانها اصغر ولاجلها اخدمك فقال له خاله ذلك بيني
و بينك فرعى له يعقوب سبع سنين فلما وفى له شرطه دفع له ابنته الكبرى ليا وادخلها عليه ليلا فلما اصبح
وجد غير ما شرط فجاءه يعقوب وهو في نادٍ من قومه فقال له غررتني وخدعتني واستحللت عملي سبع سنين
ودلست على غير امرأتي فقال له خاله يا ابن اختي أردت ان لا يدخل علي في ذلك العار والسبة وانا خالك
ووالدك متى رأيت الناس يزوجون الصغرى قبل الكبرى فهلم فاخدمني سبع سنين اخرى حتى ازوجك
الاخرى وكان الناس يومئذ يجمعون بين الاختين الى ان بعث موسى وانزلت التوراة فرعى له يعقوب سبع
سنين اخرى فدفع اليه راحيل فولدت له ليا اربعة اسباط روبيل وكان اكبرهم ويهوذا وشمعون
ولاوى وولدت له راحيل يوسف وبنيامين وهو بالعربية شداد وانما سمي بنيامين لان امه راحيل
ماتت في نفاسها و يامين بالعربية الشكل وكان ليان دفع الى ابنتيه حين جهزهما الى يعقوب امتين يقال
لاحدهما زلفة والاخرى بلهة فوطئ الامتين يعقوب فولدت كل واحدة منهما ثلاثة أسباط فولدت
زلفة ليعقوب دان ونفتالي وروبالون وولدت له بلهة جاد ويشجر وآشر فكان بنو يعقوب اثني عشر
رجلا اثنان من راحيل واربعة من ليا وثلاثة من زلفة وثلاثة من بلهة وهم الذين سماهم الله تعالى
الاسباط وسموا بذلك لان كل واحد منهم ولد قبيلة والسبط في كلام العرب الشجرة الملتفة
الكثيرة الاغصان والاسباط من بني اسرائيل كالشعوب من العجم والقبائل من العرب ثم ان يعقوب فارق
خاله ليان وانصرف بولده وامرأتيه وجاريتيه المذكورات الى منزل ابيه من فلسطين على تخوف شديد من اخيه
عيص فلم يرَ منه الاخير فما زال اخاه وتألفه وتلطفه حتى ترك له البلاد وتنقل في الشام وصار الى السواحل
ثم عبر الى الروم فاستوطنها فصار ذلك له ولولده من بعده * وقال ابن اسحق تزوج عيص بن اسحق بنت عمه
نسيمة بنت اسمعيل بن ابراهيم فولدت له الروم بن عيص فكل بني الاصفر من ولده وكان عيص فيما
يذكر يسمي آدم لادمته ولذلك سمي ولده بني الاصفر قالوا وعاش اسحق بعد ما ولد له عيص ويعقوب
مائة سنة وتوفي وله مائة وسبعون سنة ودفنه ابناه عند قبر أبيه ابراهيم عليهما السلام في مزرعة حبرون
والله اعلم

(مجلس في قصة لوط عليه الصلاة والسلام)

وهو لوط بن هاران بن تارح بن أخي ابراهيم عليه السلام وانما سمي لوطا لان حبه لاط بقلب ابراهيم عليه
السلام اي تعلق به ولصق ومنه حديث ابي بكر رضي الله عنه حين ذكر عمر اللهم غفرا ولا ذاك ألوط اي
الصق بالقلب وكان ابراهيم يحبه حبا شديدا وكان من امر لوط فيما ذكر اهل العلم باخبار الانبياء وذكر

الرجل في مركب في البحر
فعصفت الريح وهاجت
الامواج واضطرب
المركب خفنا من الغرق
فخافت الناس وبكوا
وضجوا فقال الرجل يا قوم
معنا في السفينة رجل صالح
كان من امره كذا وكذا
فاسألوه ان يدعو لكم فاتوا
اليه وهو نائم في ناحية
المركب ملفوف رأسه في
الكساء قال فايقظناه وقلنا
له يا سيدي ما ترى من
حالنا وما نحن فيه من الشدة
والغرق فرفع رأسه الى
السماء وقال اللهم اريتنا
قوتك وقدرتك فارنا
حلمك وعفوك قال فما
استتم كلامه حتى سكن
الريح وهدأ الموج وسارت
السفينة قال عبد الله فلما
نزلنا من السفينة مررنا اياما
فهلكت من الجوع
وشكوت اليه فاخذ المزود
ورقى الى شجرة البلوط
فملأ المزود من اوراقها ثم
اتى به الي وقال كل فاذا هو
رطب جني ما اكلت الذ
منه ولا اطيب قال
وعطشت معه في بعض
السياحات ليلا فشكوت
اليه ذلك فقال لي اشرب
فنظرت الى دلو تدلى في
الهواء وفيه ماء لم اذق
اطيب منه طعما ولا
احسن منه ريحا فشربت
منه حتى رويت فكنت

وهب في المبتدا انه شخص من ارض بابل مع عمه ابراهيم مؤمنا به متبعا له على دينه مهاجرا معه الى الشام ومعهما سارة بنت ناحور وشخص معه تارح ابو ابراهيم مخالفا لابراهيم في دينه ومقيما على كفره الى ان وصلوا الى حران ومكثوا بها فمات تارح وهو آزر ابو ابراهيم بحران على كفره وشخص ابراهيم ولوط وسارة الى الشام ثم مضوا الى مصر فوجدوا بها فرعونا من فراعنتها يقال له سنان بن عاران بن عبيد بن عوج ابن عملاق بن لاوذ بن سام بن نوح عليه الصلاة والسلام فرجعوا عودا الى ارض الشام نزل ابراهيم فلسطين وانزل لوطا الاردن فبعثه الله تعالى الى ارض سدوم وما يليها وكانوا اهل كفر بالله وركوب فواحش كما اخبر الله عنهم بقوله تعالى اتأتون الفاحشة ما سبقكم بها من احد من العالمين انكم لتأتون الرجال شهوة دون النساء بل أنتم قوم مسرفون قال عمرو بن دينار ما كان يرى ذكر على ذكر حتى كان قوم لوط وقال تعالى أئنكم لتأتون الرجال وتقطعون السبيل وتأتون فى ناديكم المنكر فكان قطعهم السبيل فى ذكر اهل التأويل اذا تيانهم الفاحشة مع من ورد بلادهم واتيانهم المنكر هم ناديهم قال المفسرون هو انهم كانوا يجلسون فى مجالسهم على الطريق فيحذفون من مر بهم و يتضارطون في مجالسهم و ينكح بعضهم بعضا فى الطريق وقال مجاهد كانوا يجامعون الرجال في مجالسهم على الطريق وروى ابو صالح عن ام هانىء قالت سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هذه الآية فقال كانوا يجلسون على الطريق فيحذفون من مر بهم ويسخرون به وهو المنكر الذي كانوا يأتونه وكان لوط ينهاهم عن ذلك و يدعوهم الى عبادة الله تعالى و يتوعدهم علي اصرارهم على ما هم عليه و يامرهم بالتوبة منه و يخوفهم من العذاب الاليم فلا يزجرهم عن ذلك وعده ولا يزيدهم وعظه الا تماديا وعتوا واستعجالا بعذاب الله تعالى وانكارا وتكذيبا ويقولون له ائتنا بعذاب الله ان كنت من الصادقين حتى سأل لوط ربه ان ينصره عليهم فقال رب انصرني على القوم المفسدين فاجاب الله دعاءه و بعث جبريل وميكائيل واسرافيل عليهم السلام باهلاكهم و بشارة ابراهيم عليه السلام بالولد فاقبلوا مشاة فى صورة رجال مرد حسان حتى نزلوا على ابراهيم عليه السلام فتضيفوه و بشروه باسحق وقد مضت القصة فلما فرغوا من ذلك واخبروا ابراهيم ان الله تعالى بعثهم لاهلاك قوم لوط ناظرهم ابراهيم وحاجهم فى ذلك كما قال الله تعالى فلما ذهب عن ابراهيم الروع وجاءته البشرى يجادلنا في قوم لوط وكان جداله اياهم على ما ذكره ابن عباس وغيره انهم لما قالوا له انا مهلكوا اهل هذه القرية قال لهم أتهلكون قرية فيها أربعمائة مؤمن قالوا لا قال أفتهلكون قرية فيها ثلثمائة مؤمن قالوا لا قال أفتهلكون قرية فيها مائتا مؤمن قالوا لا قال أفتهلكون قرية فيها مائة مؤمن قالوا لا قال أفتهلكون قرية فيها أربعون مؤمنا قالوا لا قال أفتهلكون قرية فيها أربعة عشر مؤمنا قالوا لا وكان ابراهيم يعدهم أربعة عشر بامرأة لوط فسكت عنهم واطمأنت نفسه وروى سعيد عن ابن عباس قال قال الملك لابراهيم ان كان فيهم خمسة يصلون رفع عنهم العذاب فلما عرف ابراهيم حال قوم لوط قال للرسل ان فيها لوطا قالها اشفاقا منه عليه فقالت له الرسل نحن أعلم بمن فيها لننجينه وأهله الا امرأته (قال) قتادة فى هذه الآية لا نرى المؤمن الا يحوط المؤمن ثم مضت رسل الله تعالى نحو سدوم فلما انتهوا اليها لقوا لوطا في أرض له يعمل فيها قال قتادة رواه عن حذيفة ان الله تعالى قال للملائكة لا تهلكوهم حتي يشهد عليهم لوط أربع شهادات فأتوه فقالوا انا متضيفوك الليلة فانطلق بهم فلما مشى ساعة التفت لهم وقال أوما بلغكم أمر هذه القرية قالوا وما أمرها قال أشهد بالله انها لشر قرية فى الارض وما أعلم على وجه الارض أناسا أخبث منهم قال ذلك أربع مرات فدخلوا معه منزله وعلم لوط أنه سيحتاج الى المدافعة عن أضيافه وخاف عليهم من قومه فذلك قوله تعالى ولما جاءت رسلنا لوطا سيء بهم وضاق بهم ذرعا وقال هذا يوم عصيب أي شديد (قال السدى) باسناده لما خرجت الملائكة من عند ابراهيم نحو قرية لوط فأتوها نصف النهار فلما بلغوا سدوم لقوا ابنت لوط

بعد ذلك اصوم في الهواجر فلا اجوع ولا اعطش فهذا كله ببركته فلله در رجال ما تركوا في قلوبهم لغير محبوبهم مجالا قد سبلوا العبرات على الوجنات (شعر)

لله در رجال واصلوا السهرا
واستعذبوا الوجد والتبريح والفكرا
فهم نجوم الهدى والليل يعرفهم
اذا نظرتهم هم سادة برر
كل غدا قلبه بالله مشتغلا
عمن سواه وللذات قد هجرا
يمسي ويصبح في وجد وفي قلق
مما جناه من العصيان منذعرا
يقول ياسيدى قد جئت معترفا
بالذنب فاغفره لي يا خير من غفرا
حملت ذنبا عظيما لا أطيق له
ولم اطع سيدي في كل ما امرا
عصيته وهو يرخي ستره كرما
يا طالما قد عفى عني وقد سترا
يا طالما كان لى في كل نائبة
اذا استغثت به فى كربة نصرا
واني تائب مما جنيت وقد
وافيت بابك يا مولاي معتذرا
لعل تقبل عذرى ثم تجبرني

تستقى الماء لأهلها وكان له ابنتان اسم الكبرى ريثا والاخرى غيثا فقالوا لها ياجارية هل من منزل قالت نعم
مكانكم لاتدخلوا حتي آتيكم ففزعت عليهم من قومها ثم أتت أباها فقالت ياأبتاه أدرك فتيانا على باب المدينة
ما رأيت وجوه قوم قط أحسن منهم لئلا تأخذهم قومك فيفضحوك وقد كان قومه نهوه أن يضيف رجالا
وقالوا له خل عنا فلنضيف الرجال فذلك قوله تعالى أولم ننهك عن العالمين فجاء بهم لوط الى منزله ما يعلم بهم أحد
الا أهل بيت لوط فخرجت امرأته فأخبرت قومها بذلك وقالت ان فى بيت لوط رجالا ما رأيت مثلهم حسنا
قط (قال أبو حمزة الثمالى) بلغنا ان العلم الذى كان بين امرأة لوط وقومه اذا أتتهم الضيفان يقول رسولها هيئوا
لنا ملحا تدعوهم بذلك الى الفاحشة باضياف لوط فبلغنا أن الله تعالى مسخها ملحا قالوا فلما أخبرت امرأة لوط
قومها باضياف زوجها جاءه قومه يهرعون اليه أى يسرعون ويهرولون فلما أتوه قال لهم لوط ياقوم اتقوا الله
ولا تخزون فى ضيفى أليس منكم رجل رشيد وقال لهم هؤلاء بناتى هن أطهر لكم قالوا أولم ننهك عن العالمين
أن تضيف الرجال وقالوا لقد علمت مالنا فى بناتك من حق وانك لتعلم ما نريد فلما لم يقبلوا منه ما عرض عليهم
قال لو أن لى بكم قوة أو آوى الى ركن شديد قالوا انما بعث الله نبيا بعده الا فى شرف من قومه ومنعة من عشيرته
وقال صلى الله عليه وسلم لما قرأ هذه الآية رحم الله أخى لوطا لقد كان يأوى الى ركن شديد قال ابن عباس وغيره
وغلق بابه والملائكة معه فى الدار وهو يناظرهم ويناشدهم من وراء الباب وهم يعالجون تسور الدار فلما رأت
الملائكة مالقى لوط من الكرب والنصب والتعب بسببهم قالوا له يالوط ان ركنك لشديد وانهم آتيهم عذاب
غير مردود انا رسل ربك لن يصلوا اليك فأسر بأهلك بقطع من الليل الآية ثم قالوا له افتح الباب ودعنا وإياهم
ففتح الباب فدخلوا فاستأذن جبريل عليه السلام ربه فى عقوبتهم فاذن له فقام فى الصورة التى يكون فيها فنشر
جناحيه وله جناحان وعليه وشاح من در منظوم وهو براق الثنايا أجلى الجبين ورأسه حبك مثل المرجان كأنه
الثلج بياضا وقدماه الى الخضرة فضرب بجناحه وجوههم فطمس أعينهم وأعماهم فذلك قوله تعالى ولقد
راودوه عن ضيفه فطمسنا أعينهم الآية فصاروا لا يعرفون الطريق ولا يهتدون الى بيوتهم ثم انهم انصرفوا
وهم يقولون النجاء النجاء ان فى بيت لوط أسحر قوم فى الارض وقالوا للوط جئتنا بقوم سحرة سحرونا كن
كما كنت حتى نصبح يتوعدونه فلما علم لوط ان اضيافه رسل ربه وانهم ارسلوا باهلاك قومه قال لهم اهلكوهم
الساعة فقال له جبريل ان موعدهم الصبح أليس الصبح بقريب ثم أمره ان يسرى باهله بقطع من الليل ولا
يلتفت منهم احد الا امرأته فلما كان السحر خرج لوط وأهل بيته ومعه امرأته فذلك قوله تعالى الا آل لوط
نجيناهم بسحر نعمة من عندنا كذلك نجزى من شكر فلما أصبحوا أدخل جبريل جناحه تحت ارضهم
فاقتلع قرى قوم لوط الاربع وكان فى كل قرية مائة الف فرفعهم على جناحه بين السماء والارض حتى
سمع أهل سماء الدنيا صياح ديوكهم ونباح كلابهم ثم كفأها وقلبها فجعل عاليها سافلها كما قال الله تعالى
فجعلنا عاليها سافلها ثم اتبع شاردهم ومسافرهم بالحجارة فذلك قوله تعالى وأمطرنا عليهم حجارة من
سجيل منضود مسومة عند ربك وماهى من الظالمين ببعيد أى ممن يفعل كفعلهم * أخبرنا الحسين بن
محمد بن فنجويه أخبرنا مخلد بن جعفر الباقرى أخبرنا الحسين بن علوية أخبرنا اسماعيل بن عيسى
أخبرنا اسحق بن بشر أخبرنى جويبر ومقاتل عن الضحاك عن ابن عباس عن على بن أبى طالب رضى
الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انى لأسمع العواصف والقواصف من الرعد فاخشى
انها الحجارة التى اعدت لقوم لوط او من يفعل بفعلهم واخبرنا ابو بكر بن محمد بن احمد بن عقيل القطان
اخبرنا ابو الفضل عبدوس بن الحسن بن منصور اخبرنا ابو حاتم الرازي اخبرنا ابو اليمان الحكم بن
نافع الحمصي عن صفوان بن عمرو قال كنت عند عبد الملك بن مروان الى ان اتى شعيب قاضى

يوم الحساب اذا قدمت منكسرا
وقد اتيت بذل راجيا كرما
اليك ياسيد السادات مفتقرا
ها قد تشفعت بالهادى النبي ومن
فاق النبيين والاملاك والوزرا
تالله لولم يكن فى الارض ما نبتت
زرع ولا أنزل البارى لها مطرا
متى اسيرالى ذاك الجناب متى
احظى برؤيته اقضى بها وطرا
صلى عليه اله العرش ماركضت
نوق وما زمزم الحادى لها وسرى

(وحكى عن ابى سليمان الدارانى رحمه الله تعالى ونفعنا به) أنه كان يقول في بعض مناجاته سيدي لئن طالبتني بذنبي لاطالبنك بعفوك ولئن طالبتني ببخلى لاطالبنك بجودك وكرمك ولئن طالبتنى باساءتى لاطالبنك باحسانك ولئن ادخلتني النار لاخبرن اهلها بمحبتى لك فنودى ياأبا سليمان لاندخلك النار ولا نعذبك بها ابدا بل ندخلك الجنة لتخبر اهلها بمحبتنا لك ولا تخبر اهل النار

حمص وكان رجلا عالما فسأله كم عقوبة اللوطي قال ان يرموه بالحجارة كما رجم قوم لوط فان الله تعالى قال وأمطرنا عليهم مطرا فساء مطر المنذرين وقال تعالى وامطرنا عليهم حجارة من سجيل فتقبل عبد الملك ذلك منه واستحسنه قالوا وكان الرجل منهم يتحدث في قريته التي يكون فيها فيأتيه الحجر فيقتله قال وسمعت امرأة لوط الهدة فالتفتت وقالت واقوماه فادركها حجر فقتلها فذلك قوله تعالى الا امرأته كانت من الغابرين اي الباقين في العذاب وقال تعالى انه مصيبها ما أصابهم الآية (أخبرنا) الحسين بن محمد بن الحسين اخبرنا موسى بن محمد بن علي اخبرنا الحسين بن علوية اخبرنا اسمعيل بن عيسى قال اخبرنا المسيب قال سمعت ابا روق يقول الا امرأته كانت من الغابرين اي خلفت فمسخت حجرا وكانت تسمى هلسفع وقال غيره اسمها واعلة قالوا وكانت قرى قوم لوط خمسا سدوم وعامورا ودومة وساعورا فأما سدوم فهي القرية العظمى وكان في هذه القرية اربعة آلاف فاحتملها جبريل على جناحه فقلبها فلذلك سميت المؤتفكات اى المنقلبات واما القرية الخامسة فانها تسمي صفرة ونجت من العذاب لان اهلها آمنوا بلوط (وروى) ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لجبريل عليه السلام ان الله تعالى سماك باسماء ففسرها لي قال وصفك في قوله تعالى ذي قوة عند ذي العرش مكين مطاع ثم امين فاخبرني عن قوتك قال يا محمد رفعت قرى قوم لوط من تخوم الارض على جناحي في الهواء حتى سمعت ملائكة سماء الدنيا اصواتهم واصوات الديكة ثم قلبتها ظهرا لبطن قال فاخبرني عن قوله تعالى مطاع قال ان رضوان خازن الجنان ومالكا خازن النيران متى قلت لهما او كلفتهما فتح ابواب الجنان اوالنيران فتحاها قال فاخبرني عن قوله تعالى امين قال ان الله تعالى انزل من السماء مائة واربعة كتب على انبيائه لم يأتمن عليها غيري (اخبرنا) عبد الله بن الحسين بن محمد الثقفي اخبرنا ابو عثمان بن احمد بن سمعان البزاري اخبرنا عبد الله بن قحطبة اخبرنا ابن نوبة اخبرنا محمد بن راموز اخبرنا ابو بكر بن عياش قال سألت اباجعفر اعذب الله النساء من قوم لوط بعمل رجالهم فقال الله تعالى اعدل من ذلك بل استغنى الرجال بالرجال والنساء بالنساء فوجب عليهم العذاب جميعا (اخبرنا) ابن فنجويه اخبرنا مخلد بن جعفر اخبرنا الحسين بن علوية اخبرنا اسمعيل بن عيسى اخبرنا اسحق بن بشر حدثني مقاتل بن سليمان قال قلت لمجاهد يا ابا الحجاج هل بقي من قوم لوط احد قال لا الا رجل بقي أربعين يوما وكان بمكة فجاءه حجر ليصيبه في الحرم فقام اليه ملائكة الحرم فقالوا للحجر ارجع من حيث جئت فان الرجل في حرم الله فوقف الحجر خارج الحرم اربعين يوما بين السماء والارض حتى قضي الرجل حاجته فلما خرج اصابه الحجر خارج الحرم فقتله (عن مقاتل) عن أبي نضرة عن أبي سعيد قال ما عمل ذلك قوم لوط انما كانوا ثلاثين رجلا ونيفا لا يبلغون الى اربعين فاهلكهم الله جميعا وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو لتعمنكم العقوبة جميعا

(مجالس في قصة يوسف بن يعقوب واخوته عليهم الصلاة والسلام)

قال الله تعالى نحن نقص عليك احسن القصص الآية قال سعد بن أبي وقاص قالت الصحابة لرسول الله صلى الله عليه وسلم لو حدثتنا قال فانزل الله تعالى الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها الآية فقالوا يارسول الله لو قصصت علينا فانزل الله تعالى نحن نقص عليك احسن القصص بما أوحينا اليك هذا القرآن الاية فدلهم الله تعالى في هذه الآية على احسن القصص واختلف العلماء في سبب تسمية الله تعالى قصة يوسف عليه السلام من بين الاقاصيص احسن القصص فقال بعض أهل المعاني الآية قصة حسنة لفظه لفظ المبالغة وحكمه حكم الصفة كقوله تعالى وهو اهون عليه قال الشاعر

بمحبتك لنا فان مكان المحبين الجنة ومكان الاعداء النار اخواني المحبة عروس مهرها النفوس ولها تخضع الرقاب والرؤس وهي تجلي على أهلها الاسرار وتصفو بها الاكدار وتروق معاني أبكار الافكار وهي للعارف نور وللجاهل نار اذا امزجت خمرة المحبة على أهل جنة الوصال يتنعمون فيها بالغدو والاصال والحبيب يتجلى عليهم بلا حجاب وملائكة السرور يدخلون عليهم من كل باب فالذين يتلون كتاب الله طوبى لهم وحسن مآب متكئين فيها على الارائك نعم الثواب (وحكى عن يوسف بن الحسين رحمه الله تعالى) انه قال سمعت ذا النون المصري رضي الله عنه يقول بينما أنا في شوارع مصر اذ رأيت جارية مسفرة عن وجهها وهي تمشي من غير خمار فقلت لها يا جارية أما تستحي من الله تعالى فقالت يا ذا النون وما يصنع الخمار بوجه علاه الاصفرار قال ذو النون فقلت لها عساك تناولت شيأ من شراب القوم فقالت اسكت يا بطال شربت البارحة بكاس وده مسرورة فاصبحت بحبه مخمورة قال ذو النون فقلت لها يا جارية عسى فائدة منك أو وصية أحفظها

ان

ان الذى سمك السماء بنالنا * بيتا دعائمه اعز وأطول

راد عزيزة طويله واجراه الباقون على الظاهر فقالوا هي احسن القصص ثم اختلفوا في وجهها فروى مقاتل
ن سعيد بن جبير قال اجتمع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى سلمان الفارسي فقالوا يا سلمان
حدثنا عن التوراة باحسن ما فيها فانزل الله تعالى نحن نقص عليك احسن القصص يعني ان قصص القرآن
احسن مما في التوراة وقيل سمى الله هذه القصة احسن القصص لانها ليست قصة في القرآن تتضمن من العبر
والحكم والعجائب واللطائف ما تضمنت هذه القصة ولذلك قال الله تعالى لقد كان في يوسف واخوته آيات
للسائلين وقال تعالى لقد كان في قصصهم عبرة لاولى الالباب وقيل سماها احسن القصص لحسن مجازاة
يوسف اخوته وصبره على اذاهم واغضائه عن الالتقاء بهم عن ذكر ما تعاطوه معه وكرمه في العفو عنهم حيث
قال لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وقيل لان فيها ذكر الانبياء والصالحين والملائكة والشياطين والجن
والانس والانعام والطير وسير الملوك والمماليك والعلماء والتجار والعقلاء والجهلاء وحال الرجال والنساء
ومكرهن وحيلهن وفيها ايضا ذكر العفة والتوحيد وعلم السير وتعبير الرؤيا وآداب السياسة والمعاشرة وتدبير
المعاش فصارت احسن القصص لما فيها من الجزيلة والفوائد الجليلة التي تصلح للدين والدنيا وتجمع خيري
الدنيا والعقبي قال أهل الاشارة سماها الله احسن القصص لما فيها من ذكر المحب والمحبوب

(الباب الاول في ذكر نسبه عليه الصلاة والسلام)

هو يوسف الصديق ابن يعقوب الصفي ابن اسحق الذبيح ابن ابراهيم الخليل عليهم السلام بذلك سماه رسول
الله صلى الله عليه وسلم كريما وآباءه كرماء عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم صلوات الله عليهم
واختلفوا في معنى اسم يوسف فقال اكثر الفقهاء هو اسم عبري فلذلك لا يجر وقال بعضهم هو اسم عربي
سمعت الاستاذ أبا القاسم الحبيبي يقول سمعت أبي يقول سمعت ابا الحسن الاقطع وكان حكيما فسئل عن
يوسف فقال الاسف في اللغة الحزن والاسيف العبد واجتمعا فيه فلذلك سمي يوسف

(الباب الثاني في صفة يوسف عليه الصلاة والسلام وحليته ونعت خلقه وصفة صورته)

قال الله تعالى فلما رأينه اكبرنه الآية (اخبرنا) ابو عبد الله الثقفي اخبرنا عمر بن أحمد بن عثمان اخبرنا محمد بن محمد
ابن سليمان اخبرنا محمد بن حميد الرازي اخبرنا سلمة بن الفضل عن محمد بن اسحق عن روح بن القاسم قال
حدثني عمارة عن ابي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مررت ليلة أسري بي الى السماء
فرأيت يوسف فقلت يا جبريل من هذا فقال هذا يوسف قالوا فكيف رأيته يا رسول الله قال كالقمر ليلة البدر
واخبرني الحسن بن محمد اخبرنا احمد بن جعفر بن حمدان اخبرنا حامد بن سعدان أخبرنا أبي اخبرنا يعقوب
اخبرنا الوليد بن مسلم عن ثابت عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اعطي وامه شطر الحسن وعن
ابي اسحق بن عبد الله بن ابي فروة قال كان يوسف اذا سار في ازقة مصر يرى تلألؤ وجهه على الجدران كما
يرى نور الشمس والقمر على الجدران * قال كعب الاحبار ان الله تعالى مثل لآدم ذريته بمنزلة الذر فاراه الانبياء
عليهم السلام نبيا نبيا واراه في الطبقة السادسة يوسف متوجا بتاج الوقار متزرا بحلة الشرف مرتديا برداء الكرامة
متقمصا بقميص البهاء وفي يده قضيب الملك وعن يمينه سبعون الف ملك وعن يساره سبعون الف ملك ومن
خلفه امم الانبياء لهم زجل بالتسبيح والتقديس وبين يديه شجرة السعادة تزول معه حيثما زال وتحول معه
حيثما حال فلما رآه آدم قال الهي من هذا الكريم الذي ابحت له بحبوحة الكرامة ورفعته الدرجة العالية قال
يا آدم هذا ابنك المحسود على ما آتيته يا آدم انحله قال آدم قد انحلته ثلثي حسن ذريتي ثم ان آدم ضم يوسف الى

عنك فقالت يا ذا النون
عليك بالكسوة حتى
يتهموك أنك مبهوت
وارض من الله باليسير من
القوت يبن لك بيت في
الجنة من الياقوت قيل
أوحى الله تعالى الى نبيه
داود عليه السلام يا داود
أحببني وأحب من يحبني
وحببني الى عبادي فقال
داود يا رب كيف أحبك
واحب من يحبك واحببك
الى عبادك فقال تذكرني
لهم وتذكرهم آلائي ونعمائي
فانهم لم يعرفوا مني الا الجميل
والاحسان * قيل أوحى
الله تعالى الى نبيه الخليل
عليه السلام يا ابراهيم انك
لي خليل وأنا لك خليل
فاحذر أن أطلع على قلبك
فاجده مشغولا بغيري
فينقطع حبك مني فانما
اختار لحبي من لو احرقته
بالنار لم يلتفت قلبه عني ولم
يشتغل بغيري فاذا كان
كذلك اسكنت محبتي في
قلبه فتواترت عليه الطافي
فقربته مني ووهبته محبتي
فاي نعيم يعدل ذلك
عندي واي شرف
اشرف منه لدي فوعزتي
لاشفين صدره بالنظر الي
وذلك اني محب لمن احبني
(اخواني) اذا كانت محبته
سبقت للعبد بالعناية
القديمة كيف لا يسلك
العبد الطريق المستقيمة

صدره وقبله بين عينيه وقال يا بني لا تأسف فانت يوسف فاول من سماه يوسف آدم فقسم الله تعالى ليوسف من الجمال الثلثين وقسم بين العباد الثلث وكان يشبه آدم عليه السلام يوم خلقه الله تعالى بيده وصوره ونفخ فيه من روحه قبل ان يصيب المعصية وقد كان الله اعطى آدم الحسن والجمال والبهاء يوم خلقه فلما عصى نزع ذلك منه واعطاه يوسف عليه السلام ثم لما تاب عليه وهبه ثلث الجمال الذى كان انتزعه منه وذلك ان الله تعالى احب ان يرى العباد انه قادر على ما يشاء فاعطى يوسف من الحسن والجمال ما لم يعطه احد من الناس ثم اعطاه العلم بتأويل الرؤيا وكان يخبر بالامر الذي يرى في المنام انه سيكون كذا وكذا من قبل ان يكون ذلك الامر علمه الله ذلك كما علم الاسماء كلها آدم فكان حسن يوسف كضوء النهار وكان يوسف ابيض اللون جميل الوجه جعد الشعر ضخم العينين مستوى الخلقة غليظ الساقين والعضدين والساعدين خميص البطن اقنى الانف صغير السرة وكان بخده الايمن خال اسود وكان ذلك الخال يزين وجهه وكان بين عينيه شامة بيضاء كانها القمر ليلة البدر وكانت أهداب عينيه تشبه قوادم النسور وكان اذا ابتسم رؤى النور من ضواحكه واذا تكلم رأيت شعاع النور يشرق من بين ثناياه لا يقدر بنو آدم ولا أحد على وصف يوسف عليه الصلاة والسلام ويقال انه ورث الحسن من جده اسحق بن ابراهيم وكان احسن الناس واسحق هو الضاحك بالعبرانية وهو ورث الحسن من أمه سارة فان الله تعالى صورها على صورة الحور العين ولكن لم يعطها صفاءهن واعطى يوسف من الحسن والجمال وصفاء اللون ونقاء البشرة ما لم يعطه احدا من العالمين وانه كان اذا اكل البقول والفواكه فترى حين يزدردها في حلقه وفي صدره حتى تصل الى بطنه وورثت سارة الحسن من جدتها حواء (وقال وهب) الحسن عشرة أجزاء ليوسف تسعة وواحد بين سائر الناس (وعن) عبد الله بن مسعود عن النبي عليه السلام قال هبط جبريل عليه السلام فقال يا محمد ان الله تعالى يقول لك كسوت حسن يوسف من نور الكرسي وكسوت وجهك من نور عرشي وقيل لبعض الحكماء أيوسف أحسن أم محمد فقال كان يوسف من احسن الناس ومحمد صلى الله عليه وسلم أحسن الناس ويدل عليه حديث جابر بن عبد الله قال نظرت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليه حلة حمراء ونظرت الى القمر ليلة البدر فهو احسن في عيني من القمر

(القول في القصة)

قال اهل العلم بقصص الانبياء واخبار الماضين كان ابتداء امر يعقوب و يوسف عليهما السلام وبدء محبة يعقوب له وايثاره على سائر ولده أن الله تعالى انبت ليعقوب شجرة فى صحن داره فكان كلما ولد له ولد اخرج الله تعالى من تلك الشجرة غصنا فكان كلما كبر الغلام وشب طال ذلك الغصن وغلظ فاذا بلغ ذلك الغلام قطع يعقوب ذلك الغصن ودفعه اليه فولد له عشرة بنين فاخرج الله تعالى من تلك الشجرة عشرة قضبان فلما ولد له يوسف لم يخرج الله تعالى من الشجرة شيئا فلما كبر وشب قال لابيه يا نبي الله انه ليس احد من اخواتى الا وله غصن الا انا فادع الله تعالى ان يخصني بغصن من الجنة فرفع يعقوب يديه الى السماء وقال اللهم انى اسالك ان تهب ليوسف غصنا من الجنة يفتخر به على جميع اخواته فهبط جبريل عليه الصلاة والسلام ومعه قضيب من الجنة من الزبرجد الاخضر فقال ليوسف خذ هذا فكان يوسف يأخذه ويخرج به مع اخوته قال فرأى يوسف فيما يرى النائم وهو اذ ذاك صبي كان قضيبه غرس فى الارض فعلق وتدلت اغصانه واثمر من كل ثمرة ثم اتى باغصان اخوته فغرست حوله فلم تعلق ولم تفرع ولم تثمر واذا بغصن يوسف اقصرها واصغرها فلم يزل يعلو فى السماء ويطول حتى طال على أغصان اخوته ثم هبت الريح فاقتلعت اغصان اخوته من غصونها والقتها في البحر وثبت غصن يوسف في الارض قائما فانتبه فزعا مرعوبا فقال له ابوه ما الذى دهاك يا بنى فقص عليه رؤياه فبلغ اخوته فقالوا يا ابن راحيل لقد رأيت عجبا يوشك ان تدعى انك

مولانا

كما قيل ان الله تعالى يقول لجبريل أنم فلانا وايقظ فلانا فالمحب بين يدي محبوبه قائم وبخدمته ملازم وفى حبه هائم لما عليه من العاذل واللائم (شعر)

يا عاذل القلب فى صبابته
ولائم الصب في تصابيه
اتوك ملامي وخل عن عذلي
فالحب مني ولست تدريه
وفى ضميري من لا ابوح له
وفى فؤادي من لا اسميه
قد ادهش الطرف فى محاسنه
وحير القلب فى معانيه
محجب والقلوب تشهده
مغيب والغرام يبديه
ووجهه حيث كنت واجهني
لاشئ يخفيه او يواريه
ان جئته ضارعا فيا أملى
يقول لبيك فى تعاليه
ها انا دان ومنك مقترب
خذ من الوصل ورد صافيه

(وعن ذى النون المصرى رحمه الله تعالى) انه قال رأيت فتى ظاهره الجنون وباطنه الفنون فعلمت انه محب مولاه مفتون فسمعته يبكى ويقول في مناجاته مولاى قربت المحبين وطردتني فما ذنبي وخصصتهم بالوصل منك وهجرتني فوا كربى وايقظتهم للقيام بين يديك وانمتني فواندمي ولذذتهم

مولانا ونحن عبيدك فشق عليهم رؤياه وحسده بعض الحسد قال وهب رأى يوسف هذه الرؤيا يعني الغصن وهو ابن سبع سنين ثم انه رأي وهو ابن اثنتي عشر سنة الرؤيا التي قصها الله علينا في كتابه اذ قال تعالى اذ قال يوسف لابيه يا ابت انى رأيت احد عشر كوكبا الآية وكان ينومه الى جانبه فبينما يوسف نائم عند أبيه ليلة من الليالي اذ رأى الرؤيا التي ذكرها الله تعالى في كتابه العزيز وكانت ليلة الجمعة فانتبه من منامه فزعا مرعوبا فالتزمه يعقوب وضمه الى صدره وقبل بين عينيه وقال يا حبيب ابيه ما الذي اصابك فقال يا ابت رايت رؤيا افزعتني فقال يا بني خيرا رايت ما الذى رايت قال يوسف رأيت كان ابواب السماء فتحت وقد أشرق منها النور فاستنارت النجوم واشرقت الجبال وزخرت البحار وعلت أمواجها وسبحت الحيتان بانواع اللغات ورأيت كانى ألبست رداء أشرقت الارض من حسنه ونوره ورأيت كان مفاتيح خزائن الارض ألقيت بين يدى فبينما انا كذلك اذ رأيت احد عشر كوكبا انقضت من السماء ومعها الشمس والقمر فخروا لى ساجدين فقال يعقوب يا بنى لا تقصص رؤياك على اخوتك الآية ثم عبر رؤياه فقال وكذلك يجتبيك ربك ويعلمك من تاويل الاحاديث الآية قال فسمعت امرأة يعقوب ما قال يوسف لابيه فقال لها يعقوب اكتمي ما قال يوسف ولا تخبرى اولادك بذلك فقالت نعم فلما أقبل اولاد يعقوب من مراعيهم اخبرتهم بالرؤيا التي امرها يعقوب بكتمها فانتفخت ارداجهم واقشعرت جلودهم غضبا على يوسف وقالوا اما عنى بالشمس غير ابينا ولا بالقمر غيرك ولا بالكواكب غيرنا ثم قالوا ان ابن راحيل يريد ان يتملك علينا فيقول انا سيدكم وانتم عبيدى فحسدوه على ذلك فلذلك قيل فى الحكمة لا تأمن قارئا على صحيفة ولا شابا على امرأة ولا امرأة على سر (وروى) الحكم بن ظهير عن اسمعيل السدي عن عبد الرحمن عن جابر بن عبد الله قال جاء رجل من اليهود يقال له نستار الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله اخبرنى عن النجوم التى رآها يوسف ساجدة له ما أسماؤها فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يجبه بشيء حتي نزل جبريل عليه السلام فاخبره باسمائها فارسل الى اليهودي ودعاه وقال له ان أخبرتك باسمائها أتسلم قال نعم فقال له جريان والطارق والذيال وذو الكتفين والفرغ ووثاب وعمودان وقابس والمصبح والفليق والضروح رآها يوسف فى افق السماء ساجدة له فلما قص رؤياه على أبيه قال اري شيئا مشتتا و يجمعه الله لك فقال اليهودى هذه والله اسماؤها و يقال كان بين رؤيا يوسف فى الغصن ورؤياه في الكواكب سبع سنين فلما كان من امر رؤيا يوسف ما كان وانضاف الى ذلك تخصيص أبيه يعقوب اياه بالمحبة والقربة حسده اخوته وحملهم الحسد على ان تآمروا بينهم في ان يفرقوا بينه و بين أبيه بضرب من الاحتيال و يهلكوه فيما بينهم كما أخبر الله عنهم فى قوله تعالى اذ قالوا ليوسف وأخوه احب الى ابينا منا ونحن عصبة ان ابانا لفى ضلال مبين اى خطا بين في ايثاره يوسف واخاه علينا اقتلوا يوسف اواطرحوه ارضا يخل لكم وجه أبيكم وتكونوا من بعده قوما صالحين اي تائبين فاستعدوا للتوبة قبل وقوع الذنب قال قائل منهم وهو يهوذا وكان افضلهم واعقلهم لا تقتلوا يوسف فان القتل عظيم والقوه فى غيابة الجب وهو البئر غير المطوية يلتقطه بعض السيارة ان كنتم فاعلين قيل للحسن ايحسد المؤمن فقال للسائل ما أنساك بنى يعقوب ولهذا قيل الاب جلاب والاخ سلاب فعند ذلك اجمعوا رأيهم ان يدخلوا على يعقوب و يكلموه فى ارسال يوسف معهم الي البرية فقال لهم روبيل وهو اكبر ولد يعقوب ان اباكم لا يامنكم على يوسف ولكن انطلقوا بنا الى يوسف حتي نلعب بين يديه فاذا نظر الينا كيف نمرح ونلعب اشتاق الى ذلك فاقبلوا على يوسف وهو قاعد يسبح فجعلوا يلعبون ويتضاحكون بين يديه فلما رأى يوسف ذلك اشتاق الى اللعب معهم فاقبل عليهم وقال يا اخوتاه هكذا تلعبون فى مراعيكم فقالوا نعم يا يوسف انك لو رأيتنا ونحن نلعب فى مراعينا لتمنيت ان

في السحر عنا جانك وما لذذتني فوا ألمي ثم اخذني البكاء والنحيب قال ذو النون فحرك مني ما كان ساكنا وهيج من شوقي ما كان كامنا فقلت له يا فتى ما هذا البكاء فقال يا ذا النون اخبرني سواد الثوب يزول بالماء والصابون وسواد القلب يزول بماذا قال ذو النون فقلت انا والله في طلب ما انت فى طلبه وما وقعت منه الا فى الحيرة والتيه وانشد يقول شعرا

راى سوادي فقلت و يلى اشد منه سواد قلبي
طلبت منه لذاك غسلا فقال لى ليس ذا بصعب
كذاك قلبي به سواد فازددت كربا لعظم كربى

(اخوانى) سكنت نار المحبة فى القلوب فاستنارت بانوار المحبوب قال بعضهم سبعة أشياء لا تتم معرفة الرب الا بها اخلاص النية لله عز وجل وصدق العزيمة مع الله والصدق في الله والشوق الى الله وحسن الظن بالله والخوف من الله فهذه السبعة لا تتم معرفة الله الا بها كما ان المصباح لا توقد الا بسبعة اشياء لا بد منها الزناد والحجر والحراق والكبريت المسرجة والزيت والفتيلة فبدون هذه السبعة اشياء لا سبيل الى ايقاد المصباح

تكون معنا فشوقوه الى ذلك حتي كان هو الطالب اليهم فقال لهم يا اخوتاه انطلقوا الى ابى واسالوه ان يرسلني معكم فاقبلوا الى يعقوب ووقفوا بين يديه صفا وكانوا يفعلون هكذا اذا ارادوا ان يسالوه حاجة فلما رآهم بين يديه وقوفا صفوفا قال لهم ما حاجتكم قالوا يا أبانا ما لك لا تامنا على يوسف وانا له لناصحون نحوطه ونحفظه حتى نرده اليك ارسله معنا غدا يرتع ويلعب فى الصحراء وانا له لحافظون فقال لهم يعقوب انى ليحزنني ان تذهبوا به وأخاف ان يا كله الذئب وانتم عنه غافلون لا تشعرون بذلك قال ابن عباس وغيره انما قال ذلك يعقوب لانه رأى فى منامه كان يوسف على رأس جبل وكان عشرة من الذئاب قد شدوا عليه ليا كلوه واذا ذئب منها يحمى عنه وكان الارض قد انشقت فدخل فيها يوسف فلم يخرج منها الا بعد ثلاثة أيام فلما رأي يعقوب هذه الرؤيا خاف على يوسف من الذئب فلذلك قال لهم واخاف ان يا كله الذئب (اخبرنا) الحسين ابن محمد بن فنجويه اخبرنا عبدالله بن شبة أخبرنا أبو نعيم وعبد الرحمن بن قريش اخبرنا محمد بن عمرو ابن الحكم الهروي اخبرنا مالك بن سليمان القروي اخبرنا عبيدالله بن عمر العمرى عن نافع عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تلقنوا الناس الكذب فيكذبوا فان بنى يعقوب لم يعلموا ان الذئب يا كل الانسان حتي لقنهم ابوهم فلما لقنهم وقال انى أخاف ان يا كله الذئب قالوا اكله الذئب فقال بنوه لئن اكله الذئب ونحن عصبة اى عشرة رجال انا اذا لخاسرون عجزة مغلوبون ثم قالوا يا نبي الله كيف يا كله الذئب وفينا شمعون اذا غضب لا يسكن غضبه حتى يصيح فاذا صاح لا تسمعه حامل الا وضعت ما في بطنها وفينا يهوذا اذا غضب شق السبع نصفين فلما سمع منهم يعقوب ذلك اطمان اليهم واقبل يوسف حتى وقف بين يدي ابيه ثم قال له يا أبت ارسلني معهم قال او تحب ذلك يا بني قال نعم قال اذا كان غدا أذنت لك فى ذلك فلما اصبح يوسف لبس ثيابه وشد عليه منطقته وأخذ قضيبه وخرج مع اخوته ثم عمد يعقوب الى السلة التى حمل فيها ابراهيم زاد اسحق فحمل فيها زادا ليوسف وخرج ليشيعهم فقالوا يا نبي الله ارجع فقال يعقوب يا بنى أوصيكم بتقوى الله وبحبيبي يوسف أسألكم بالله ان جاع فاطعموه وان عطش فاسقوه وقوموا عليه ولا تتعبوه ولا تخذلوه وكونوا متواصلين متراحمين قالوا نعم يا أبانا كلنا لك ولد وهو أخونا كاحدنا بل له الفضل علينا بحبك اياه فقال نعم يا بنى الله خليفتي مع أنى خائف ان اكون قد ضيعته ثم انه اقبل على يوسف فالتزمه وضمه الى صدره وقبل بين عينيه ثم قال استودعك الله رب العالمين ثم انصرف راجعا (وروى) السدى ورجاء عن ابن مسعود وابن عباس وناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم واسحق بن بشر بن جويبر عن الضحاك عن ابن عباس ومقاتل عن ابن بحيرة عن كعب الاحبار وسعيد بن ابى عروبة عن الحسن دخل كلام بعضهم في بعض قالوا أرسل يعقوب يوسف مع اخوته فاخرجوه مظهرين له الكرامة فلما برزوا به الى البرية أظهروا له العداوة وضربوه فجعل يستغيث بهم واحدا بعد واحد وهم يضربونه فلا يرى منهم رحيما وأخذوا ما كان زوده يعقوب وأطعموه الكلاب وضربوه حتى كادوا يقتلونه وعطش عطشا شديدا فقال لهم اسقونى جرعة من ماء قبل أن تقتلونى فلم يسقوه فعند ذلك بكت الملائكة رحمة ليوسف فلما رأي يوسف ان ليس احد منهم يعطف عليه جعل يصيح ويقول يا أبتاه يا يعقوب لو تعلم ما تصنع بابنك بنو الاماء فلما هموا بقتله قال لهم يهوذا وكان ابن خالة يوسف وأحسنهم فيه رأيا أليس انكم قد أعطيتمونى موثقا ان لا تقتلوه فعند ذلك اجمعوا على القائه فى الجب كما قال الله تعالى فلما ذهبوا به واجمعوا ان يجعلوه في غيابة الجب فانطلقوا به الى الجب ليطرحوه فيه وكان ذلك الجب في الاردن بين مدين ومصر وقيل بين طبريه والقدس على قارعة الطريق فى واد من اوديتها على ثلاثة فراسخ من منزل يعقوب وكانت بئرا وحشة مظلمة أسفلها واسع واعلاها ضيق يهلك من طرح فيها من سعة

فاذا أردت يا هذا ايقاد مصباح قلبك بمشاهدة ربك فلا بد من زناد المجاهدة وحجر المكابدة وحراق الاشواق وكبريت المحبة ومسرجة التوكل وزيت الشكر وفتيلة الصبر ثم تعلق المصباح في سلاسل التضرع الى ربك فعند ذلك يتوقد نور فى قلبك (وحكى عن محمد بن احمد المفيد رحمه الله تعالى) انه قال سمعت الجنيد رضى الله تعالى عنه يقول كنت نائما عند السرى السقطي رضى الله تعالي عنه ليلة من الليالى فايقظنى وقال يا جنيد رأيت كانى وقفت بين يدى الله تعالى فقال يا سري خلقت الخلق فادعى كلهم محبتى وخلقت الدنيا فهرب مني تسعة اعشارهم وبقى العشر وخلقت الجنة فهرب مني تسعة اعشار العشر وبقى عشر العشر فسلطت عليهم ذرة من البلاء فهرب مني تسعة اعشار عشر العشر وبقى عشر عشر العشر فقلت للباقين لا الى الدنيا اردتم ولا الى الجنة طلبتم ولا من البلاء هربتم فما الذى تريدون وما الذى تطلبون فقالوا انت المراد ولو قطعتنا بالبلاء لم نحل عن المحبة

أسفلها لا يمكنه الصعود وكان ماؤها ملحا وكان الجب من حفر سام بن نوح ويسمى جب الاحزان فلما
أرادوا ان يلقوه فيه جعلوا يدلونه في البئر فتعلق بشفير البئر فربطوا يديه الى عنقه ونزعوا قميصه فقال يا اخوتاه
ردوا على قميصي استر به عورتي ويكون لي كفنا بعد مماتي واطلقوا يدي اطرد بهما عني هوام الجب فقالوا له
ادع الشمس والقمر والاحد عشر كوكبا تلبسك وتؤنسك فدلوه في البئر بحبل فلما بلغ نصفها قطعوا الحبل
ليسقط فيموت فيه فاخرج الله تعالى على وجه الماء صخرة ململة لينة ورفعها الى يوسف فوقف عليها وجعل
يوسف يبكي فنادوه فظن انها رحمة لحقتهم فاجابهم فهموا ان يرضخوه بالحجارة فيقتلوه فمنعهم يهوذا وقال
لقد أعطيتموني موثقا ان لا تقتلوه قالوا فلما ألقي يوسف في الجب اضاء له الجب وعذب ماؤه حتى كان يغنيه
عن الطعام والشراب وبعث الله تعالى اليه ملكا فحل عنه قيده وكان ابراهيم حين ألقي في النار جرد من ثيابه
وقذف في النار عريانا فاتاه جبريل عليه السلام بقميص من حرير الجنة فالبسه اياه وكان ذلك القميص عند
ابراهيم فلما مات ابراهيم ورثه اسحق فلما مات اسحق ورثه يعقوب منه فلما شب يوسف جعل يعقوب ذلك
القميص في تعويذ وعلقه في عنقه لما كان يخاف عليه من العين وكان لا يفارقه فلما ألقي في الجب عريانا جاءه
الملك وكان عليه التعويذ فاخرج القميص والبسه اياه وجعل يؤنسه بالنهار (وروي) ان الملك اتاه بسفرجلة
من الجنة فاطعمه اياها فلما امسى يوسف نهض الملك ليذهب فقال له يوسف انك اذا خرجت عني استوحش
فقال له الملك قل اذا اهبت شيأ يا صريخ المستصرخين يا غياث المستغيثين يا مفرج كرب المكروبين قد ترى
مكاني وتعرف حالي ولا يخفى عليك شيء من امري فلما دعا يوسف بهذا الدعاء بعث الله اليه سبعين ملكا فحفوا
به وآنسوه في البئر ثلاثة أيام فلما كان في اليوم الرابع اتاه جبريل عليه السلام وقال يا غلام من طرحك ههنا في
هذا الجب قال إخوتي لابي قال ولم قال حسدوني على منزلتي من ابي قال أتحب ان تخرج من هذا الجب قال نعم
قال قل يا صانع كل مصنوع ويا جابر كل مكسور ويا حاضر كل ملأ ويا شاهد كل نجوى ويا قريبا غير بعيد
ويا مؤنس كل وحيد ويا غالبا غير مغلوب ويا علام الغيوب ويا حيا لا يموت ويا محيي الموتى لا إله إلا أنت
سبحانك أسألك يا من له الحمد يا بديع السموات والارض يا مالك الملك ويا ذا الجلال والاكرام أسألك
أن تصلي على محمد وعلى آل محمد وان تجعل لي من أمري ومن ضيقي فرجا ومخرجا وترزقني من حيث أحتسب
ومن حيث لا أحتسب فقالها يوسف فجعل الله له من الجب مخرجا ومن كيد إخوته فرجا وآتاه ملك مصر من
حيث لا يحتسب وأوحى الله اليه وهو في البئر لتنبئن إخوتك بما عملوا وهم لا يعلمون انك يوسف فذلك
قوله تعالى لتنبئنهم بامرهم هذا وهم لا يشعرون (وقال مجاهد) خرج يوسف من عند يعقوب وهو ابن ست
سنين لم يثغر وجمع الله بينهما وهو ابن أربعين سنة (أخبرنا) ابو عبد الله الدينوري اخبرنا ابو العباس احمد بن
محمد بن يوسف الصرصري اخبرنا ابو جعفر محمد بن جرير الطبري اخبرنا عمران القزاز اخبرنا عبد الوارث اخبرنا
يونس عن الحسن قال ألقي يوسف في الجب وهو ابن سبع عشرة سنة وكان في العبودية والملك والسجن
ثمانين سنة وعاش بعد ذلك ثمانية وعشرين سنة ومات وهو ابن مائة وخمس وعشرين سنة * رجعنا
الى قصة يوسف عليه السلام واخوته بعد ما ألقي في الجب فلما ألقوه في الجب عمدوا الى سخلة من الغنم
فذبحوها ولطخوا قميص يوسف بدمها وشووها واكلوا لحمها ثم انهم رجعوا الى يعقوب وهو قاعد على قارعة
الطريق ينتظرهم متى يأتون بيوسف فلما دنوا منه اصطرخوا صراخ رجل واحد ورفعوا أصواتهم بالبكاء
فعلم يعقوب انهم قد أصيبوا بمصيبة فلما وافوه اجتمعوا وتقدموا بين يديه وشقوا جيوبهم وبكوا ففزع
يعقوب وقال مالكم يا بني وأين يوسف قالوا يا أبانا انا ذهبنا نستبق اي ننتضل وكذلك هو في قراءة عبد الله
وتركنا يوسف عند متاعنا فاكله الذئب وما أنت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين وهذا قميصه ملطخ بدمه فذلك

والوداد فقلت لهم اني مسلط
عليكم من البلاء والاهوال
ما لا تقوم بحمله الجبال
اتصبرون على البلاء قالوا بلى
اذا كنت انت المبلي لنا
فافعل ما شئت بنا فهؤلاء
عبادي حقا واحبابي صدقا
(اخواني) البلاء موكل
بالمحبين قد اضنى منهم
الاجساد وتمكن من
القلوب فلا يزالون كذلك
حتى يصلوا الى المحبوب
وانشد بعض العارفين
يقول شعرا

بنى الله للاحباب بيتا
سماؤه
هموم واحزان وحيطانه
الضر
وحصباؤه كرب وغم
وسقفه
صفام وآلام يضيق به
الصدر

وادخلهم فيه واغلق بابه
وقال لهم مفتاح بيتكم الصبر
(وعن ابراهيم الخواص
رضى الله تعالى عنه) ونفعنا
به انه قال كان عتبة الغلام
من الخواص المعروفين
بالاخلاص وكان يزورني
في بعض الايام والليالي
وكان صائم الدهر قائم الليل
فبات عندي ليلة فقدمت
اليه العشاء ليفطر عليه فلم
يفطر عندي الا على الماء
فلما صلى العشاء الاخيرة
احرم وقام يصلي الى
السحر فسمعته يقول في

قوله تعالى وجاؤا أباهم عشاء يبكون وانما فعلوا ذلك ليكونوا فى الظلمة أجرأ على الاعتذار وتزوير مامكروا فقد قالوا لا تطلب الحاجة فى الليل فان الحياء فى العينين ولا تعتذر فى النهار من قبيح فعلك فتتلجلج في الاعتذار فلا تقدر على اتمامه (روى) الشعبي قال جاءت إمرأة الى شريح فجعلت تبكى فقال رجل ألا ترى الى هذه المرأة المسكينة كيف تبكى فقال شريح قد جاء إخوة يوسف عشاء يبكون ثم انه أنشد في معناه

أغرك من شيخ بكاه وملقه * أم اللحية البيضاء للنتف مطلقه
فان بني يعقوب جاؤا أباهم * عشاء وهم يبكون زورا ومخرقه

قال فلما قالوا يا أبانا انا ذهبنا نستبق اى ننتضل وتركنا يوسف عند متاعنا فأكله الذئب الآية الى قوله بدم كذب لانه لم يكن دم يوسف وانما كان دم شاة وقرأت عائشة بدم كذب بدال غير معجمة اى طرى فلما قالوا ذلك ليعقوب بكى بكاء شديدا وقال لهم أرونى قميصه فاروه فقال تالله ما رأيت كاليوم ولا ذئبا أحلم من هذا أكل ابني ولم يشق له جيبا ولا خرق له شقا وصاح صيحة وخر مغشيا عليه فلم يفق الا بعد ساعة طويلة فلما أفاق بكى بكاء شديدا ثم اخذ القميص وجعل يشمه ويقبله ويضعه على وجهه وعينيه (اخبرنا) ابن فتحويه اخبرنا احمد بن ابراهيم بن شاذان اخبرنا عبيد الله بن ثابت اخبرنا ابو سعيد الاشج اخبرنا اسامة حدثني زكريا عن سماك عن الشعبي قال كان في قميص يوسف ثلاث آيات لما جاؤا به الى ابيه فقالوا أكله الذئب فقال ابوه لو اكله الذئب ليشق قميصه وحين سعى نحو الباب فشقت قميصه من خلف فعرف العزيز انه لو كان هو الذى راودها لكان الشق من بين يديه وحين ألقي على وجهه فارتد بصيرا * قالوا فلما أصبح إخوة يوسف من الغد رجعوا الى مراعيهم فقال بعضهم لبعض قد رأيتم ما كان من تكذيب ابيكم البارحة فان اردتم ان يصدقكم ويخرجكم من الملامة فمروا بنا على الجب فنخرج يوسف منه ونفرق بين اضلاعه ولحمه ونجيء به فقال لهم يهوذا يا إخوتاه أين العهد الذى بيني وبينكم والله لئن فعلتم ما تقولون لأخبرن يعقوب بما كان منكم اليه ثم لأكونن لكم عدوا ما بقيت فتركوه ثم انهم رجعوا الى أبيهم عشاء فقال لهم يعقوب ان كنتم صادقين ان الذئب اكله فأين الذئب ائتونى به فعمدوا الى حبالهم وعصيهم فاخذوها ومضوا الى الصحراء فاصطادوا ذئبا وشدوه وأوثقوه كتافا ثم حملوه الى يعقوب وأوقفوه بين يديه فقال حلوا عقاله خلوه فقال له يعقوب أقبل فاقبل الذئب يتخطي القوم حتى وقف بين يدى يعقوب منكسا رأسه فقال له يعقوب أيها الذئب اكلت ولدى وقرة عيني وحبيب قلبي وثمرة فؤادى لقد أورثتني حزنا طويلا وألما عظيما قال فتكلم الذئب وقال لا وحق شيبتك يا نبي الله ما اكلت لك ولدا وان لحومكم ودماءكم معشر الانبياء لمحرمة علينا وانى لمظلوم مكذوب على وانى لذئب غريب من بلاد مصر فقال له يعقوب وما أدخلك ارض كنعان قال جئت لاجل قرابة لى من الذئاب ازورهم واصلهم فعند ذلك قال يعقوب لاولاده بل سولت لكم انفسكم امرا فصبر جميل وهو الذى لا جزع فيه ولا شكوي والله المستعان علي ما تصفون * قال ابن عباس انما كان سبب بلاء يعقوب انه ذبح شاة وهو صائم فاستطعمه جاره فلم يطعمه فابتلاه الله تعالى بامر يوسف قال فمكث يوسف في الجب ثلاثة ايام فلما كان اليوم الرابع ودعا بالدعاء الذي علمه جبريل عليه السلام جاءت سيارة اى رفقة مارة من قبل مدين تريد مصر فاخطؤا الطريق وضلوا عنها حتى نزلوا قريبا من الجب قال وكان الجب فى قفر بعيد من العمران وانما هو للرعاة والمجتازة وكان ماؤه مالحا فعذب حين التي فيه يوسف فلما نزلت السيارة ارسلوا رجلا من العرب من اهل مدين يقال له مالك بن دعر ليطلب لهم ماء فذلك قوله تعالى وجاءت سيارة فارسلوا واردهم فادلى دلوه قالوا والوارد الذي يتقدم الرفقة الى الماء فيهيء الارشية والدلاء فوصل الوارد الى البئر فادلى دلوه اى ارسلها فتعلق يوسف بالحبل فلما وصل الى فم البئر ورآه مالك بن دعر

فراى

هنا جاءته سيدى ان تعذبني فانالك محب وان ترحمني فانالك محب ثم بكى وشهق شهقة عظيمة وخر مغشيا عليه فلما أفاق قالت له ياعتبة كيف كانت ليلتك فصرخ صرخة عظيمة ثم قال يا ابراهيم ذكر العرض على اسرع الحال بين قطع اوصال المحبين ثم غشي عليه فلما افاق رفع رأسه وقال ياسيدى أتراك تعذب من أحبك بالنيران او تبتلى قلبه بالهجران فسمع هاتفا يقول حاشاه ان يعذب من أحبه واجتباه واختاره واصطفاه وانشد يقول شعرا

في وصف حبك مايغني عن الغزل
وفي حديثك مايلهى عن المذل
ملكت كلى فكلى منك محتمل
فالامر أمرك ليس الامر من قبلى
وحق حبك ما قلبي بمنقلب
الى سواك وما حبي بمرتحل
ولوسفكت دمى عمدا بلا سبب
لكان عين الرضا حقا بلا ملل

(وعن ابى بكر بن عبد الله رضى الله تعالى عنه) انه قال

فرأى أحسن ما يكون من الغلمان فقال مالك يا بشراي هذا غلام يبشر اصحابه انه اصاب عبدا واسروه بضاعة قال المفسرون اسم مالك بن دعر فاخبر اصحابه أمر يوسف من التجار الذين معهم وقالوا لهم هو بضاعة استبضعناها من بعض الناس الى مصر خيفة ان يطلبوا منهم فيه الشركة ان علموا حاله قال وكان يهوذا يأتي يوسف بالطعام كل يوم سرا من إخوته فاتاه ذلك اليوم كما كان يفعل فلم يجده في البئر فنظر فاذا هو بمالك واصحابه نزولا و يوسف معهم فرجع يهوذا واخبر اخوته بذلك فاتوا الى مالك وقالوا له هذا عبد لنا ابق منا وكتم يوسف حاله مخافة ان يقتلوه فقال مالك انا اشتريه منكم فباعوه منه فذلك قوله تعالى وشروه بثمن بخس دراهم معدودة وكانوا فيه من الزاهدين اى باعوه بثمن ناقص ظلم حرام لان ثمن الحر حرام ثم بين الثمن فقال دراهم معدودة وانما قال ذلك لانهم كانوا في ذلك الزمان لا يزنون ما كان وزنه أقل من اوقية اربعين درهما انما كانوا يعدونها عدا فاذا بلغ اوقية وزنوه لان اقل اوزانهم واصغرها يومئذ اوقية اربعون درهما (واختلف) العلماء في عدد الدراهم التي باعوا بها يوسف فقال ابن مسعود وابن عباس وقتادة والسدي عشرون درهما واقتسموها بينهم درهمين درهمين وقال مجاهد اثنان وعشرون درهما وقال عكرمة اربعون درهما وانما باعوه بهذا القدر لانهم كانوا فيه من الزاهدين لم يعلموا كرامته على الله ولا منزلته عند الله ويقال ان السبب في استرقاق يوسف وبيعهم اياه ان ابراهيم دخل مصر في بعض الازمنة فلما خرج منها شيعه زهادهم وعبادهم حفاة مشاة الى اربعة فراسخ تعظيما له واجلالا ولم يترجل لهم ابراهيم فاوحى الله اليه انك لم تنزل لعبادي وهم يمشون معك حفاة لاعاقبنك بان يباع ولد من أولادك في هذه المدينة ثم ان مالك بن دعر انطلق هو واصحابه بيوسف ومعهم اخوته يقولون لهم استوثقوا منه فانه آبق سارق كاذب وقد برئنا اليكم من عيوبه فحمله مالك على ناقته وساروا به الى مصر وكان طريقهم على قبر امه فلما رأى قبر امه لم يتمالك ان رمى نفسه عن الناقة الى القبر وهو يقول يا أمي يا راحيل حلي عنك عقدة الردي وارفعي رأسك من الثرى وانظري الى ولدك يوسف وما لقي بعدك من البلايا أماه لو رأيت ضعفي وذلي لرحمتيني يا اماه لو رأيتني وقد نزعوا قميصي وشدوني وفي الجب القوني وعلى حر وجهي لطموني وبالحجارة رجموني ولم يرحموني وكما تباع العبيد باعوني وكما يحمل الاسير حملوني (قال كعب الاحبار) فسمع يوسف مناديا من خلفه وهو يقول اصبر وما صبرك الا بالله قال فافتقده مالك على الناقة التي كان عليها فلم يجده فصاح في القافلة الا ان الغلام قد رجع الى اهله فطلب القوم يوسف فرأوه فاقبل عليه رجل منهم فقال يا غلام قد اخبرنا مواليك بانك آبق سارق فلم نصدق حتى رأيناك تفعل ذلك فقال والله ما ابقت ولكنكم مررتم على قبر امي فلم أتمالك ان رميت نفسي على قبرها قال فرفع مالك بن دعر يده والطم حر وجهه وجره حتى حمله على ناقته وروي انهم قيدوه فذهبوا به حتى قدموا مصر قال مالك ما نزلت منزلا ولا ارتحلت الا استبان لي بركة يوسف وكنت اسمع تسليم الملائكة عليه صباحا ومساء وكنت انظر الى غمامة بيضاء تظله وتسير فوق رأسه اذا سار وتقف على رأسه اذا وقف فلما قدموا مصر امره مالك بن دعر ان يغتسل فاغتسل والبسه ثوبا حسنا وعرضه للبيع فاشتراه قطفير بن رحيب وهو العزيز بمصر ونواحيها وكان على خزائن الملك الاعظم وكان الملك يومئذ بمصر ونواحيها الريان بن الوليد بن ثروان بن اراشة بن قاران بن عمرو بن عملاق بن لاوذ بن سام بن نوح عليه السلام يروي ان هذا الملك ما مات حتى آمن بيوسف وتبعه على دينه ثم مات و يوسف حي ثم ملك بعده قابوس بن مصعب بن معاوية بن نمير بن السلواس بن فاران بن عمرو بن عملاق بن لاوذ بن سام بن نوح عليه السلام وكان كافرا فدعاه يوسف الى الاسلام فابى ان يسلم (قال ابن عباس) لما دخلوا مصر تلقى قطفير السيارة وابتاع يوسف من مالك بن دعر بعشرين دينارا وزوج نعال وثوبين ابيضين (وقال وهب بن منبه) قدمت السيارة الى مصر فدخلوا بيوسف الى السوق يعرضونه

فتهت في العراق أياما بادية فلم أجد احدا ارافقه فبينما انا سائر ذات يوم اذ رأيت خيمة من شعر لبعض العرب فقصدتها فاذا على باب تلك الخيمة ستر مسبل فسلمت على من في الخيمة فردت على السلام عجوز من داخل الخيمة ثم قالت من اين الرجل قلت من مكة قالت واين تريد قلت الشام فقالت اري سبحك سبح البطالين هلا لزمت زاوية تعبد الله فيها ثم قالت هل تحسن شيأ من القرآن قلت نعم فقالت اقرأ على آخر سورة الفرقان قال فقرأتها فصرخت صرخة عظيمة وغشي عليها فلما أفاقت قرأت على آيات فاقشعر جلدي لقراءتها ثم قالت اقرأ على ثانيا ما قرأته قال فقرأتها فلحقها مثل ما لحقها في المرة الاولى ثم مكثت طويلا فقلت في نفسي أتري ماتت أم لا فرجعت ذاهبا وتركتها مقدار نصف ميل فاشرفت على واد فيه عربان فابتدرني غلامان ومعهما جارية فقال لي احدهما أتيت على الخيمة الشعر التي في الفلاة قلت نعم قال أبها حس يسمع قلت لا فقال ماتت ورب الكعبة فمضيت مع الغلامين حتى اتينا الى

للبيع فترافع الناس في ثمنه وتزايدوا حتي بلغ ثمنه وزنه مسكا وورقا وحريرا فابتاعه قطفير بهذا الثمن من مالك فلما اشتراه اتى به منزله وقال لامرأته اكرمى مثواه عسى ان ينفعنا او نتخذه ولدا واسمها راعيل بنت رعيائيل قاله اسحق بن يسار * واخبرني ابن فنجويه اخبرنا ابن ابى شيبة اخبرنا ابو حامد المسيلمى اخبرنا ابو هاشم الرفاعى قال اسم امرأة العزيز بكا بنت فيوش قالوا فقال لها اكرمي مثواه عسى ان ينفعنا او نتخذه ولدا نتبناه وقال ابن اسحق كان قطفير لا يأتى النساء وكانت إمرأته راعيل حسناء ناعمة في ملك ودنيا (اخبرنا) ابو بكر الجوزقى اخبرنا ابو العباس الدعولى بسرحين اخبرنا على بن الحسين الهلالى اخبرنا ابو نعيم اخبرنا زهير عن ابن اسحق عن ابى عبيد عن عبد الله بن مسعود قال افرس الناس ثلاثة العزيز حين تفرس في يوسف وقال لامرأته اكرمى مثواه والمرأة التى اتت موسى فقال لابيها يا ابت استأجره وابو بكر حين استخلف عمر قال الله تعالى وكذلك مكنا ليوسف في الارض يعنى ارض مصر قال اهل الكتاب لما تم ليوسف فى الارض ثلاثون سنة استوزره فرعون مصر وجعله على خزائنه فذلك قوله تعالى وكذلك مكنا ليوسف فى الارض ولنعلمه من تأويل الاحاديث الآية قالوا فلما اتى العزيز بيوسف الى منزله وقال لامرأته اكرمى مثواه فتأملته إمرأة العزيز ورأت حسنه وجماله وقع حبه فى قلبها وعشقته فراودته اى طلبت منه متابعتها على هواها وذلك قوله تعالى وراودته التى هو في بيتها عن نفسه وغلقت الابواب وقالت هيت لك اى هلم تدعوه الى نفسها فقال يوسف عند ذلك معاذ الله انه ربى أحسن مثواى يعنى زوجك قطفير سيدى انه أحسن مثواي انه لا يفلح الظالمون يعني ان فعلت هذا خنته فى أهله بعد ما أكرمنى وائتمنني فانا ظالم له ولا يفلح الظالمون قال الله تعالى ولقد همت به وهم بها لولا أن رأى برهان ربه ومعني الهم بالشىء ما حدث المرء به نفسه ولم يفعل ذلك بعد قال الشاعر

همت ولم افعل وكدت وليتنى * تركت على عثمان تبكى حلائله

وأما ما كان من هم يوسف بالمرأة وهمها به فاختلف اهل العلم في ذلك قال السدى وابن اسحق لما أرادت امرأة العزيز مراودة يوسف عن نفسه جعلت تذكر له محاسن نفسه وتشوقه الى نفسها فقالت له يا يوسف ما احسن شعرك قال هو اول شيء ينتثر من جسدى قالت يا يوسف ما أحسن عينيك قال هو أول ما يسيل في الارض قالت ما أحسن وجهك قال التراب يأكله فلم تزل تأمره مرة وتطمعه أخرى وتدعوه الى اللذة وهو شاب مستقبل يجد شبق الشباب وهى حسناء جميلة حتى لان لها لما يرى من كلفها به ولم يتخوف منها حتى خلوا فى بعض البيوت وهم بها (وروى) اسحق بن يسار عن جويبر عن الضحاك ومقاتل جميعا عن ابن عباس فيما كان من محاورتهما قال قالت يا يوسف ما أحسن شعرك قال هو أول شىء يبلى اذا مت قالت يا يوسف ما أحسن وجهك قال ربى تعالى صورنى فى الرحم قالت يا يوسف قد انحلت جسمي بصورة وجهك قال الشيطان يعينك على ذلك قالت يا يوسف الجنينه قد التهبت نارا قم فاطفئها فقال ان اطفأتها فمنها احتراق قالت يا يوسف الجنينة قد عطشت قم فاسقها قال من كان المفتاح بيده فهو أحق ان يسقيها منى قالت يا يوسف بساط الحر برقد بسط لك قم فاقض حاجتى قال اذا يذهب نصيبى من الجنة قالت يا يوسف ادخل معى تحت الستر فاسترك به قال ليس شىء يسترنى من ربى تعالى ان عصيته قالت يا يوسف ضع يدك على صدرى تشفنى بذلك قال سيدى أحق بذلك منى قالت أما سيدك فاسقيه كاس فيه زئبق الذهب فيتناثر لحمه ويتساقط عظمه ثم القيه في الاستبرق والقيه في القيطون يعنى المخدع لا يعلم به أحد من الناس وأوليك ماله قليله وكثيره قال فان الجزاء يوم الجزاء قالت يا يوسف انى كثيرة الدر والياقوت والزمرذ فاعطيك ذلك كله حتى تنفقه في مرضاة سيدك الذي في السماء فابى يوسف (قال ابن عباس) فجري الشيطان فيما بينهما فضرب

باحدي

الخيمة ودخلت الجارية فكشفت عن وجه العجوز فاذا هي ميتة فتعجبت من ذلك ثم قلت للجارية من هذان الغلامان فقالت هما شريفان جعفريان وهذه أختهما ولها منذ ثلاثين سنة لم تستأنس بكلام احد من الناس واذا نزلوا بواد اعتزلت عنهم بعيدا وضربت خيمتها فى الفلاة فكانت تأكل في كل ثلاثة ايام مرة واحدة رضى الله عنها (اخوانى) الي متى تشتغلون باللذات الفانيات عن الباقيات الصالحات فبادروا الى الاوقات واستدركوا الهفوات وكفوا عن الشبهات اما اينظكم منادي الشتات اما هزكم حديث الصالحين والصالحات اذا جاء النهار قطعوه بمقاطعة اللذات واذا أقبل الليل ضجوا بحنين الاصوات ليس لهم الى غير محبوبهم التفات (شعر)

حياتنا باطل غرور
وعمرنا ذاهب قصير
والناس فى غفلة نيام
وقد دعتهم لها القبور
والعمر يمضي وليس ندرى
مثل سنين بنا تدور
يا نفس ما سر فهو حزن
لا تحسبي انه سرور
فاذكرى الموت واستعدي
له فقد جاءك النذير

باحدى يديه الي جنب يوسف و باليد الاخري الى جنب المرأة حتى جمع بينهما قال ابن عباس فبلغ من هم يوسف الى ان حل الهميان وجلس منها مجلس الرجل الخائن (وروي) جابر عن الضحاك عن ابن عباس همت بيوسف ان يفترشها وهم بها يعني تمناها ان تكون له زوجة * وأما البرهان الذي رآه يوسف وكان سبب العصمة وصرف الفاحشة عنه فاختلفوا فيه (اخبرنا) أبو الحسين عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله الطيرانى أخبرنا حسن بن عطية عن اسرائيل بن أبي حصين عن أبي سعيد قال ابن عباس فى قوله تعالي لولا ان رأى برهان ربه قال مثل له يعقوب فضرب بيده على صدره فخرجت شهوته من أنامله وقال الحسن ومجاهد وعكرمة والضحاك انفرج له سقف البيت فرأى يعقوب عاضا على أصبعه قال فكل بنى يعقوب ولد له اثنا عشر ولدا الا يوسف فانه ولد له أحد عشر ولدا من اجل ما نقص من شهوته حين رأى صورة ابيه فاستحيا منه وقال قتادة رأى صورة يعقوب فقال له يعقوب يا يوسف اتعمل عمل السفهاء وانت مكتوب فى ديوان الانبياء (وقال السدي) نودى يا يوسف لا تواقعها انما مثلك مالم تواقعها مثل الطير في جو السماء لا يطاق ومثلك ان واقعتها مثله اذا مات ووقع فى الارض لا يقدر ان يدفع عن نفسه ومثلك مالم تواقعها مثل الثور الصعب الذى لا يعمل عليه ومثلك ان واقعتها مثل الثور الذى يموت فيدخل النمل في اصل قرنيه فلا يستطيع ان يدفع عن نفسه (اخبرنا) عبد الله بن حامد بن محمد الاصفهانى اخبرنا أحمد بن محمد بن يزيد السكونى اخبرنا محمد بن ابراهيم بن خالد بن عمر بن حفص البصرى ببغداد أخبرنا خالد بن يزيد البصرى اخبرنا جرير عن ليث عن مجاهد عن ابن عباس فى قوله تعالى ولقد همت به وهم بها فقد حل سراويله وقعد منها مقعد الرجل من المرأة فاذا بكف قد بدت فيما بينهما ليس لها عضد ولا معصم مكتوب فيها وان عليكم لحافظين كراما كاتبين يعلمون ما تفعلون فقام هاربا فارا فلما ذهب عنه الروع والرعب عادت وعاد فلما قعد منها مقعد الرجل من امرأته اذا الكف قد بدت بينهما ليس لها عضد ولا معصم مكتوب فيها واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله الآية فقام هاربا وقامت فلما ذهب عنهما الرعب عادت وعاد فلما قعد منها مقعد الرجل من امرأته اذا الكف قد بدت بينهما ليس لها عضد ولا معصم مكتوب فيها ولا تقربوا الزنا انه كان فاحشة وساء سبيلا فقام هاربا وقامت فلما ذهب عنهما الرعب عادت وعاد فلما قعد منها مقعد الرجل من امرأته قال الله تعالى لجبريل عليه السلام يا جبريل ادرك عبدى قبل ان يصيب الخطيئة فانحط جبريل عاضا على اصبعه أو كفه وهو يقول يا يوسف اتعمل عمل السفهاء وانت مكتوب عند الله فى الانبياء قال الله تعالى كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء انه من عبادنا المخلصين (اخبرنا) يعقوب بن أحمد أخبرنا محمد بن عبد الله النعمانى أخبرنا عبد الله بن أحمد بن عامر الطبرستانى حدثنى أبي قال حدثنى على بن موسي الرضا حدثنى أبى عن أبيه جعفر بن محمد الصادق حدثني ابى عن أبيه عن على بن الحسين فى قوله تعالى لولا ان رأى برهان ربه قال قامت امرأة العزيز الى الصنم فظللت دونه بثوب فقال لها يوسف ماهذا قالت استحي ان يرانا فقال لها يوسف اتستحيين ممن لا يسمع ولا يبصر ولا يفقه ولا استحي انا ممن خلق الاشياء كلها وعلمها * قالوا فلما رأى يوسف البرهان قام مبادرا الى باب البيت هاربا مما أرادته فاتبعته المرأة فذلك قوله تعالى واستبقا الباب يعني تبادر يوسف وراعيل الى الباب اما يوسف ففرارا من ركوب الفاحشة واما المرأة فطلبا ليوسف ليقضى حاجتها التى راودته عنها فادركته فتعلقت بقميصه من خلفه فجذبته اليها مانعة له من الخروج فقدت اى خرقت وشقت قميصه من دبر أى من خلفه لان يوسف كان الهارب والمرأة الطالبة فلما خرجا ألفيا سيدها لدى الباب اي وجدا زوجها قطفير عند الباب جالسا مع ابن عم لراعيل فلما رأته هابته وقالت سابقة بالقول لزوجها ما جزاء من أراد باهلك سوأ يعنى الزنا الا ان يسجن

(وعن السرى السقطى رضي الله تعالى عنه) انه قال مررت بسكران وهو ملقى على الارض والخمر يطفح من فيه وهو يقول الله الله قال فتعجبت من ذلك ورفعت بصرى الى السماء وقلت الهى لسان يذكرك لا يكون هكذا ثم طلبت ماء فغسلت له فمه وانصرفت فلما أفاق اخبره جماعة من الناس ان السرى السقطي فعل معك كذا وكذا فخجل الرجل واستحى ولام نفسه ووبخها وقال ويحك يا نفسى اذا لم تستحي من الله ومن اوليائه فممن تستحيين ثم ندم وتاب مما كان فيه واقسم على نفسه ان لا يعود قال السرى فبت تلك الليلة متفكرا في امر ذلك الرجل فرأيت رب العزة فى المنام وهو يقول يا سري انت طهرت فمه من أجلنا ونحن طهرنا قلبه من اجلك قال السرى فلما اصبحت فرحت بذلك فرحا شديدا ثم سألت عن ذلك الرجل فوجدته في بعض المساجد وهو قائم يصلي فلما فرغ من صلاته سلم على وقال جزاك الله عني خيرا قال السرى فقلت ما حالك فقال يا سيدى وكيف تسأل عن حالي وقد

اوعذاب اليم يعني الضرب بالسياط (عن ابن عباس) رهذا كالمثل السائر خذ اللص قبل ان يأخذك فقال يوسف بل هي راودتني عن نفسي فابيت وفررت منها فادركتني وشقت قميصي قال نوف الشامي ما كان يوسف يريد ان يذكرها فلما قالت ما جزاء من اراد باهلك سوأ غضب وقال هي راودتني عن نفسي وشهد شاهد من اهلها واختلفوا في هذا الشاهد من هو (قال) سعيد بن جبير والضحاك كان صبيا في المهد انطقه الله تعالى يدل عليه حديث ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال تكلم اربعة في المهد وهم صغار ابن ماشطة بنت فرعون وشاهد يوسف وصاحب جريج الراهب وعيسى بن مريم وقال الحسن وعكرمة وقتادة ما كان صبيا ولكن كان رجلا حكيما وله رأى وكان من خاصة الملك وقال السدي هو ابن عم راعيل كان جالسا مع زوجها على الباب فحكم بما اخبر الله تعالى عنه ان كان قميصه قد من قبل فصدقت وهو من الكاذبين وان كان قميصه قد من دبر فكذبت وهو من الصادقين فلما رأى قميصه قد من دبر عرف خيانة امرأته وبراءة يوسف عليه السلام فقال انه من كيدكن ان كيدكن عظيم ثم اقبل على يوسف فقال يا يوسف اعرض عن هذا الحديث لا تذكره لاحد ثم قال لامرأته واستغفري لذنبك انك كنت من الخاطئين أي من المذنبين حين راودت شابا عن نفسه وخنت زوجك فلما استعصم كذبت عليه (قالوا) فشاع أمر يوسف وراعيل وتحدث الناس بذلك وقال نسوة في المدينة وهن امرأة الساقي وامرأة الخباز وامرأة صاحب الدواة وامرأة صاحب السجن وامرأة الحاجب امرأة العزيز تراود فتاها عن نفسه اى عبدها الكنعاني قد شغفها حبا اى دخل حبه في شغاف قلبها وهو حجابه وغلافه انا لنراها في ضلال مبين أي خطأ بين حيث تراود عبدها عن نفسه فلما سمعت راعيل بمكرهن أي بقولهن وحديثهن وقال ابن اسحق يعني بكيدهن وذلك انهن قلنه مكرا بها لتريهن يوسف لما بلغهن من حسنه وجماله فاتخذت راعيل مائدة ودعت اربعين امرأة منهن هؤلاء اللواتي عيرنها فذلك قوله تعالى وأرسلت اليهن واعتدت لهن متكأ اعتدت أي هيأت لهن مجالس الطعام وما يتكئن عليه من النمارق والوسائد (عن ابن عباس) وسعيد ابن جبير وقتادة يعني هيأت طعاما وقرأ مجاهد متكا خفيفا غير مهموز وهو كل طعام يحز بالسكين وقال وهب اعتدت لهن اترجا وبطيخا وموزا ورمانا وورد وآتت كل واحدة منهن سكينا وقالت ليوسف اخرج عليهن وكانت قد أجلسته في مجلس غير المجلس الذي هن فيه جلوس فخرج عليهن يوسف فلما رأينه أكبرنه وهالهن أمره وبهتن وقطعن أيديهن بالسكاكين التي معهن وهن يحسبن أنهن يقطعن الاترج وغيره (قال قتادة) أبن أيديهن حتى ألقينها فما أحسسن الا بالدم ولم يجدن من حز الايدي ألما لشغل قلوبهن بيوسف عليه السلام (قال وهب) بلغني أن سبعا من الاربعين امرأة متن في ذلك المجلس وجدا بيوسف عليه السلام وقلن حاش لله أى معاذ الله ما هذا بشرا ان هذا الا ملك كريم فقالت راعيل عند ذلك للنسوة فذلكن الذي لمتنني فيه أى في حبه وشغفي به ثم انها أبدت لهن الميل الذي عندها فقالت ولقد راودته عن نفسه فاستعصم أي امتنع واستعصى فقالت النسوة ليوسف أطع مولاتك فقالت راعيل لئن لم يفعل ما آمره ليسجنن وليكونا من الصاغرين فاختار يوسف حين عاودته المرأة وتوعدته بالسجن على المخالفة السجن فقال رب السجن أحب الي مما يدعونني اليه والا تصرف عني كيدهن أصب اليهن أى أمل وأتابعهن وأكن من الجاهلين فاستجاب له ربه فصرف عنه كيدهن انه هو السميع العليم ثم بدا لهم أي العزيز وأصحابه من بعد ما رأوا الآيات الدالة على براءة يوسف وهى قد القميص من دبر وخمش الوجه وقطع النسوة أيديهن ليسجننه حتى حين (قال السدي) وذلك ان المرأة قالت لزوجها ان هذا العبد العبراني قد فضحني في الناس يعتذر اليهم ويخبرهم اني راودته عن نفسه ولست أطيق أن أعتذر بعذري فاما أن تأذن لى أخرج فاعتذر واما ان تحبسه كما حبستني فحبسه بعد علمه ببراءته وفاء لما تقع امرأته وذلك ان الله تعالى جعل ذلك الحبس تطهيرا

أخبرك به المولى الكريم حين قال لك وقد طهرنا قلبه من اجلك قال السري فتعجبت من ذلك وقلت من أخبرك بذلك فقال الذى طهر قلبي من سواه وجاد على بعفوه ورضاه (وعن السري أيضا رضي الله تعالى عنه) انه قال دخلت الجبانة فرايت بهلول المجنون على قبر متمرغا على التراب فقلت له ما جلوسك ههنا فقال عند قوم اذا حضرت عندهم لا يؤذوني وان غبت عنهم لا يغتابوني فقلت له يا هذا ان الخبز قد غلا فقال والله ما أبالي ولو صارت كل حبة بدينار علينا ان نعبده كما أمرنا وعليه ان يرزقنا كما وعدنا (وقيل) ان رابعة العدوية رضي الله عنها مرت برجل وهو يذكر الجنة وما أعد الله فيها لاهلها فقالت له يا هذا الى متى تشتغل بالاغيار عن الواحد القهار ويحك عليك بالجار ثم الدار فقال لها اذهبي يا مجنونة فقالت لست بمجنونة وانما المجنون من لم يفهم ما أقول ثم قالت يا مسكين الجنة سجن من لم يكن الله انيسه وجليسه الا ترى الى آدم عليه السلام لما كان في الجنة يرتع فلما تعرض له ابليس للاكل

ليوسف من همه وتكفير الزلته قال ابن عباس عثر يوسف ثلاث عثرات حين هم بها فسجن وحين قال اذكرني عند ربك فلبث في السجن بضع سنين وحين قال لاخوته انكم لسارقون قالوا ان يسرق فقد سرق أخ له من قبل
* ولما سجن يوسف دخل معه السجن فتيان وهما غلامان كانا للوليد بن الريان ملك مصر الاكبر أحدهما خبازه وصاحب طعامه واسمه مجلب والآخر ساقيه وصاحب شرابه واسمه بيوص غضب عليهما الملك فحبسهما وذلك انه بلغه عنهما ان خبازه يريد أن يسمه وان ساقيه وافقه على ذلك وكان السبب فيه ان جماعة من مصر أرادوا المكر بالملك واغتياله فدسوا الى هذين الغلامين وضمنوا لهما لايسما طعام الملك والشراب فاجاباهم الى ذلك ثم ان الساقي نكل عنه والخباز غش الملك وقبل الرشوة فسم الطعام فلما حضر وقته وأحضر الطعام قال الساقي أيها الملك لا تأكل فان الطعام مسموم وقال الخباز لا تشرب فان الشراب مسموم فقال الملك للساقي اشرب فشرب فلم يضره فقال للخباز كل من طعامك فابى فجرب ذلك الطعام في دابة من الدواب فاكلته فهلكت فامر الملك بحبسهما وكان يوسف عليه السلام لما دخل السجن قال لاهله اني أعبر الاحلام فقال أحد الفتيين لصاحبه هلم نجرب علم هذا العبد العبراني فنتراءى له فنسأله من غيران يكونا رأيا شيأ قال عبد الله بن مسعود ما رأي صاحبا يوسف شيأ وانما كانا تحالما ليجربا علمه وقال قوم بل كانت رؤياهما على صحة وحقيقة فسألاه عنها وقال مجاهد لما رأى الفتيان يوسف قالا له والله لقد احببناك حين رأيناك فقال لهما يوسف انشدكما الله تعالى لا تحباني فوالله ما احبني احد قط الا دخل علي من حبه بلاء لقد احبتني عمتي فدخل علي من حبها بلاء ثم احبني ابي فدخل علي من حبه بلاء ثم احبتني زوجة صاحبي فدخل علي من حبها بلاء فلا تحباني بارك الله فيكما قال فابيا الاحبه والفاه حيث كان وجعل يعجبهما ما يريا من فهمه وعقله وقد كانا رايا حين دخلا السجن رؤيا فاتيا يوسف فقال الساقي ايها العالم اني رايت كاني في بستان فاذا انا باصل كرمة عليها ثلاث عناقيد من عنب فجنيتها وكان كاس الملك بيدي فعصرتها وسقيت الملك شربة فذلك قوله تعالى قال احدهما اني اراني اعصر خمرا يعني عنبا بلغة عمان يدل عليه قراءة ابن مسعود اعصر خمرا اي عنبا وقال الخباز اني رايت كان فوق راسي ثلاث سلال فيها خبز تأكل الطير منه نبئنا بتأويله انا نراك من المحسنين اخبرنا ابو بكر محمد بن احمد بن محمد بن احمد بن عقيل اخبرنا عبيد الله بن محمد بن ابراهيم بن قالويه (اخبرنا) محمد بن يزيد السلمي اخبرنا ابو الربيع الزهراني اخبرنا خلف بن خليفة اخبرنا سليم عن الضحاك بن مزاحم في قوله تعالى انا نراك من المحسنين قال كان احسانه اذا مرض رجل في السجن قام عليه فاذا ضاق عليه وسع له وان احتاج جمع له وسأل ربه وقال قتادة بلغنا ان احسانه كان يداوي مريضهم ويعزي حزينهم ويجتهد لربه وقال لما انتهى يوسف الى السجن وجد فيه قوما قد انقطع رجاؤهم واشتد بلاؤهم وطال حزنهم فجعل يقول ابشروا واصبروا وأوجروا ان في هذا الاجر ثوابا فقالوا يافتى بارك الله فيك ما احسن وجهك وخلقك وحديثك لقد بورك لنا في جوارك انا لا نحب ان نكون في غير هذا المكان منذ رايناك لما تخبرنا به من الاجر والكفارة والطهارة في ذلك فمن انت يافتي قال انا يوسف ابن صفي الله يعقوب ابن ذبيح الله اسحق ابن خليل الله ابراهيم عليهم السلام فقال له عامل السجن والله يافتي لو استطعت لخليت سبيلك ولكن ساحسن جوارك واحسن ايثارك فكن في اي بيت شئت قال فكره يوسف ان يعبرلهما ماسألاه لما علم في ذلك من المكروه على احدهما فاعرض يوسف عن سؤالهما واخذ في غيره قال لا يأتيكما طعام ترزقانه الا نبأتكما بتاويله قبل ان يأتيكما فقالا له هذا فعل الكهنة والسحرة فقال ما انا بكاهن ولا ساحر ولكن ذلكما مما علمني ربي ثم بين لهما دينه ومذهبه

من الشجرة صارت عليه سجنا وابراهيم الخليل لما حفظ سر مولاه قربه واجتباه ولما طرح في النار صارت عليه بردا وسلاما وأنشدت تقول شعرا

فروحي وريحاني اذا كنت حاضرا
وان غبت فالدنيا على محابس
اذا لم انافس في هواك ولم غر
عليك ففي من ليت شعري انافس

(وقيل) كان حبيب النجار رحمه الله تعالى من الاولياء الاخيار وكان يقوم الليل ويصوم النهار ويؤثر بطعامه عند الافطار ويبيت طاويا في خدمة الملك الغفار فاذا كان وقت الاسحار ناجى ربه بلسان الذل والانكسار وقال الهي غرقت في بحار غفلتي وركضت في ميدان صبوتي وعثرت في اذيال ذلي في بزية شقوتي ومالي غيرك اعتمد عليه ولا اعرف بابا غير بابك التجيء اليه وها انا عبدك الذليل المذنب قد وقفت ببابك ولذت بجنابك فان لم تغفرلي فواذلي وحسرتي وان لم تعف عني فواطول حيرتي ثم يسجد فلا يرفع راسه حتى يطلع الفجر فاذا صلى

فقال اني تركت ملة قوم لايؤمنون بالله وهم بالآخرة هم كافرون واتبعت ملة آبائي ابراهيم واسحق ويعقوب الى آخر الآية فاراهما يوسف فطنته ودرايته ثم دعاهما الى الاسلام واقبل عليهما وعلى اهل السجن وكان بين ايديهم اصنام يعبدونها من دون الله فقال الزاما للحجة ياصاحبي السجن ارباب متفرقون خير ام الله الواحد القهار ماتعبدون من دونه الآية ثم فسر رؤياهما الحاعليه فقال ياصاحبي السجن اما احدكما وهو الساقي فيسقي ربه خمرا يعني الملك ويعود الى منزلته التى كان عليها واما العناقيد الثلاثة فانها ثلاثة ايام يبقى في السجن ثم يخرج واما الآخر فيصلب والسلال التى رآها في المنام ثلاثة ايام يبقى في السجن ثم يخرج فيصلب فتا كل الطير من راسه (قال ابن مسعود) ثم لما سمعا قول يوسف عليه السلام قالا مارأينا شيئا انما كنا نلعب ونجرب علمك هذا فقال يوسف قضي الامر الذي فيه تستفتيان اى فرغ الامر الذي عنه تسألان (اخبرنا) عبدالله بن حامد بن محمد بن الوزان اخبرنا علي بن عبدالله الصفار أخبرنا احمد بن مهران عن ابي رزين العقيلي قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الرؤيا على رجل طائر مالم تعبر فاذا عبرت وقعت وان الرؤيا جزء من ستة واربعين جزأ من النبوة وأحسبه قال لاتقصها الاعلى ذى رأى وعقل وقال صلى الله عليه وسلم الرؤيا لاول عابر فقال يوسف عليه السلام عند ذلك للذى علم انه ناج منهما وهو الساقى اذكرني عند ربك يعني الملك وقل له في السجن غلام محبوس ظلما فانساه الشيطان ذكر ربه الآية والبضع مابين الثلاثة الى العشرة واكثر المفسرين على ان البضع في هذه الآية سبع سنين (وقال) وهب بن منبه اصاب ايوب البلاء سبع سنين وعذب بختنصر بالمسخ سبع سنين وترك يوسف فى السجن سبع سنين (وروى) يونس عن الحسن قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رحم الله أخي يوسف لولا كلمته مالبث في السجن مالبث يعني قوله اذكرني عند ربك ثم بكى (وقال الحسن) نحن اذا نزل بنا امر فزعنا الى الناس (وقال مالك) بن دينار لما قال يوسف للساقى اذكرني عند ربك قيل له يايوسف اتخذت من دوني وكيلا لاطيلن حبسك فبكى يوسف وقال يارب انسى قلبي كثرة البلوى فقلت ماقلت فويل لاخوتي (ويحكى) ان جبريل عليه السلام دخل على يوسف وهو فى السجن فلما رآه يوسف عرفه وقال يااخا المنذرين مالي اراك بين الخاطئين فقال له جبريل عليه السلام ياطاهر الطاهرين يقرأ عليك السلام رب العالمين ويقول لك مااستحييت مني ان استشفعت بالآدميين فوعزتي لالبثنك في السجن بضع سنين قال يوسف ياأخي ياجبريل وهو في ذلك راض عني قال نعم قال اذا لاابالي (وقال كعب الاحبار) قال جبريل ليوسف ان الله تعالي يقول لك من خلقك قال الله تعالى قال فمن حببك الى ابيك قال الله تعالى قال فمن آنسك في البئر والبئر وانت عريان قال الله تعالى قال فمن نجاك من كرب البئر قال الله تعالى قال فمن علمك تأويل الرؤيا قال الله تعالى قال فكيف استغثت بآدمى مثلك قالوا فلما انقضت سبع سنين قال الكلبي وهذه السبع سوى الخمس التي كانت قبلها وذلك انه حبس خمس سنين قبل ان يستشفع بالساقي وهو قوله تعالى ليسجننه حتى حين فلما استشفع بالساقي وقال له اذكرني عند ربك بقى فى السجن سبع سنين فلما انتهت محنته ودنا فرجه وراحته رأى ملك مصر الاكبر وهو الريان بن الوليد رؤيا عجيبة فهالته وذلك انه رأى سبع بقرات سمان خرجن من نهر يابس وسبع بقرات عجاف فابتلعت العجاف السمان فدخلت فى بطونهن فلم ير منها شيأ ورأى سبع سنبلات خضر قد انعقد حبها وافركت وسبعا اخر يابسات قد استحصدت فالتوت اليابسات على الخضر حتى غلبتها فجمع السحرة والكهنة ومعبريه وقصها عليهم وقال ياايها الملأ افتوني في رؤياي ان كنتم للرؤيا تعبرون أي تفسرون قالوا اضغاث احلام مخلطة مشتبهة التأويل الاباطيل ومانحن بتأويل الاحلام بعالمين

وفرغ من صلاته شرع في قراءة القرآن من اول الختمة الي آخرها بقية اليوم كله فلما مات كان آخر آية تلاها في سورة يس قوله تعالى انى اذالفي ضلال مبين فلما دفن في قبره حضر اليه الملكان فقالا له مار بك وما دينك فقال انى آمنت بربكم فاسمعون قيل ادخل الجنة قال ياليت قومى يعلمون بما غفر لى ربى وجعلنى من المكرمين فلله درهم من اقوام قاموا يناجون الحبيب والناس فى غفلاتهم نائمون ويتحملون اثقال الوجد والغرام ويفرحون بالليل اذا جن الظلام فهم فى جنات الخلد يتنعمون والى وجه الحبيب ينظرون الا ان اولياء الله لا خوف عليهم ولاهم يحزنون شعر

الله قوم بذكره اشتغلوا
وفي حمى قربه لقد نزلوا
ليس لهم غير ذكره فرج
فهم حقيقا مرادهم حصلوا
من ذاق وصل الحبيب هام
ولم يكنه منزل ولا طلل
بروحهم في وصاله سمحوا
وحققوا ربحهم وما جهلوا
قاموا ينا جونه وقد علموا
انهم للمراد قد عملوا
فاستعذبوا الصعب في هواه وقد
لذهم في رضاه ماحملوا

(قيل كان ابويزيد البسطامي رحمه

وقال الذي نجا منهما أي من الفتيين وهو الساقي وادكر بعد امة اى وتذكر حاجة يوسف بعد حين قال ابن عباس بعد امة اى بعد سنين انا أنبئكم بتأويله فارسلون اى الى السجن قال ابن عباس رضى الله عنهما لم يكن السجن في المدينة فبعثوه فأتى ليوسف فقال ايها الصديق يعنى فيما عبرت لنا من الرؤيا والصديق هو كثير الصدق افتنا في سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف الى قوله لعلهم يعلمون اى فضلك وعلمك فقال له يوسف تزرعون سبع سنين دأبا الى قوله وفيه يعصرون فرجع الساقي الى الملك واخبره بما أفتاه به يوسف من تأويل رؤياه كالنهار وعرف الملك ان الذي قال كائن فقال الملك ائتونى بالذى عبر رؤياى هذه فلما جاء الرسول الى يوسف أبى ان يخرج معه حتى يعرف عذره وبراءته ويعرف صحة امره من قبل النسوة فقال للرسول ارجع الى ربك اى سيدك الملك فاسأله ما بال النسوة اللاتى قطعن ايديهن ان ربى بكيدهن عليم قال ابن عباس لو خرج يوسف يومئذ قبل ان يعلم الملك شانه مازالت في نفسه منه حاجة يقول هو هذا الذي راود امرأتى وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد عجبت من اخي يوسف وكرمه وصبره والله تعالى يغفر له حين سئل عن البقرات السمان والعجاف ولو كنت مكانه ما اخبرتهم حتى اشترطت ان يخرجونى ولو كنت مكانه ولبثت فى السجن ما لبثت لاسرعت الاجابة وبادرت ولم ابتغ العذر والله انه كان لحليما ذا أناة قال فرجع الرسول الى الملك من عند يوسف برسالته فدعا الملك النسوة اللاتى قطعن ايديهن وامرأة العزيز فقال لهن ما خطبكن اذ راودتن يوسف عن نفسه قلن حاش لله ما علمنا عليه من سوء قالت امرأة العزيز الآن حصحص الحق انا راودته عن نفسه وانه لمن الصادقين فلما سمع ذلك يوسف قال ذلك ليعلم انى لم أخنه بالغيب وان الله لا يهدى كيد الخائنين فقال له جبريل ولا حين هممت بها يا يوسف فقال يوسف عند ذلك وما ابرئ نفسى الآية فلما تبين للملك عذر يوسف وعرف امانته وكفايته وديانته وعلمه وعقله قال ائتونى به استخلصه لنفسى فلما جاء الرسول الى يوسف قال له اجب الملك الآن ودعا لاهل السجن بدعاء يعرف الى اليوم وذلك انه قال اللهم عطف عليهم قلوب الاخيار ولا تعم عنهم الاخبار فهم اعلم الناس بالاخبار الى اليوم في كل بلدة فلما خرج يوسف من السجن كتب على بابه هذا قبر الاحياء وبيت الاحزان وتجربة الاصدقاء وشماتة الاعداء ثم انه اغتسل وتنظف من درن السجن والبس ثيابا جددا حسانا وقصد الى الملك قال وهب فلما وقف بباب الملك قال حسبي ربى من دنياى حسبي ربى من خلقه عز جاره وجل ثناؤه ولا اله غيره فلما دخل على الملك قال اللهم انى اسألك بخيرك من خيره واعوذ بك من شره وشر غيره فلما نظر اليه الملك سلم عليه يوسف بالعربية فقال له الملك ما هذا اللسان قال لسان عمى اسمعيل ثم انه دعا له بالعبرانية ثانيا فقال له الملك ما هذا اللسان قال لسان ابى يعقوب قال وهب وكان الملك يتكلم بسبعين لسانا فكلما كلم يوسف بلسان اجابه بذلك اللسان فعجب الملك مما رأى منه وكان يوسف ابن ثلاثين سنة فلما رأى الملك حداثة سنه وغزارة علمه قال لمن عنده ان هذا علم تأويل رؤياى ولم تعلمه الكهنة والسحرة ثم انه اجلسه وقال له انى أحب ان اسمع رؤياى منك شفاها فقال يوسف نعم ايها الملك رأيت سبع بقرات سمان شهب حسان غير عجاف كشف لك عنهن نهر النيل فطلعن عليك من شاطئه تشخب اخلافهن لبنا فبينما انت كذلك تنظر اليهن وقد اعجبك حسنهن اذ نضب النيل فغار ماؤه وبدا قعره فخرج من حمئه ووحله سبع بقرات عجاف شعث غبر ملصقات البطون ليس لهن ضروع ولا اخلاف ولهن انياب واضراس واكف كاكف الكلاب وخراطيم كخراطيم السباع فاختلطن بالسمان وافترسنهن افتراس السباع واكلن لحمهن ومزقن جلودهن وحطمن عظامهن ومششن مخهن فبينما انت تنظر وتتعجب كيف غلبنهن وهن مهازيل ثم لم يظهر فيهن سمن ولا زيادة بعد اكلهن اذا سبع سنبلات خضر وسبع اخر سود يابسات في منبت واحد عروقهن في

الله تعالى يقول في مناجاته الهى لست اعجب من حبي لك وانا عبد حقير وانما اعجب من حبك لى وانت ملك قدير (وكان) يحيى بن معاذ الرازى يقول في مناجاته الهي ليس العجب من عبد ذليل يحب ربا جليلا بل العجب من رب جليل يحب عبدا ذليلا قال بعض العارفين رضى الله تعالى عنه الحب حب يزرع في ارض القلوب ويسقى بماء العقول فينمو على قدر طيب الارض وصفو الماء والبلد الطيب يخرج نباته باذن ربه والذى خبث لا يخرج الا نكدا (وعن) انس بن مالك رضى الله عنه انه قال ثلاثة من كن فيه وجد بهن حلاوة الايمان ان يكون الله ورسوله احب اليه مما سواهما وان يحب المرء اخاه لله تعالى وان يكره ان يعود للكفر بعد ان انقذه الله تعالى منه كما يكره احدكم ان يقذف في النار (وعن) أبى هريرة رضي الله تعالى عنه انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى يقول يوم القيامة أين المتحابون فى جلالى اليوم اظلهم فى ظلى يوم لا ظل الا ظلى (وقيل) كان لعبد الله ابن الحسين جارية أعجمية وكانت من اولياء الله تعالى

الثرى والماء فبينما انت تقول فى نفسك ما هذا هؤلاء خضر مثمرات وهؤلاء سود يابسات والمنبت واحد واصولهن في الماء اذهبت ريح فردت اوراق السود اليابسات على الخضر المثمرات فاشعلت فيهن النار فاحرقهن وصرن سودا متغيرات فهذ آخر ما رأيت من الرؤيا ثم انك انتبهت مذعورا فقال له الملك والله ما شان هذه الرؤيا وان كانت عجبا باعجب مما سمعته منك فما ترى في رؤياى أيها الصديق فقال يوسف الصديق انى ارى ايها الملك ان تجمع الطعام وتزرع زرعا كثيرا في هذه السنين الخصبة وتبنى الاهرام والخزائن وتجعل الطعام فيها بقصبه وسنبله ليكون ابقى له و يكون قصبه وسنبله علفا للدواب وتامر الناس فيرفعون من طعامهم الخمس فيكفيك الطعام الذى جمعته لاهل مصر ومن حولها ثم تاتيك الخلق من جميع النواحي فيمتارون منك بحكمك فيجتمع عندك من الكنوز ما لا يجتمع لاحد قبلك فقال له الملك ومن لى بهذا ومن يجمعه و يبيعه لى و يكفينى الشغل فيه فقال له يوسف اجعلنى على خزائن الارض انى حفيظ عليم اي كاتب حاسب وقيل حفيظ لما استودعتنى عليم بسني الجاعة وبلغة من يأتيني فقال له الملك ومن احق به منك وولاه ذلك كله وقال له انك اليوم لدينا مكين أمين (أخبرني) الحسين بن محمد بن الحسين الثقفى بن مخلد بن علوية أخبرنا اسمعيل بن جعفر الباقري اخبرنا الحسين بن علوية اخبرنا اسمعيل بن عيسى قال اخبرنا اسحق بن بشر عن جويبر عن الضحاك عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رحم الله أخى يوسف لو لم يقل اجعلني على خزائن الارض لاستعمله من ساعته ولكن لاجل سؤاله اياه أخر عنه ذلك سنة فاقام عند الملك في بيته سنة وروى سفيان عن ابى سنان عن عبد الله بن ابى الهذلي قال قال الملك ليوسف انى أريد ان تخالطني فى كل شيء غير انى آنف ان تاكل معي فقال له يوسف انى أحق ان آنف بذلك منك لانى انا ابن يعقوب اسرائيل الله ابن اسحق ذبيح الله ابن ابراهيم خليل الله فصار بعد ذلك يأكل معه قال ابن عباس فلما انصرفت السنة من يوم سأل الامارة دعاه الملك فتوجه بتاجه وقلده بسيفه وحلاه بخاتمه وأمر له بسرير من الذهب مكلل بالدر والياقوت فضرب عليه قبة من استبرق وكان طول السرير ثلاثين ذراعا وعرضه عشرة اذرع وعليه ثلاثون فراشا وستون مرفقة ثم امره ان يخرج فخرج متوجا ولونه كالثلج ووجهه كالقمر يرى فيه من بياض وجهه الناظر صفاء لونه ثم انطلق حتى جلس على السرير فدانت له الملوك ولزم الملك وفوض اليه امر مصر وعزل قطفير عما كان عليه وجعل يوسف مكانه ثم مات قطفير عن قريب فزوج الملك يوسف راعيل إمرأة قطفير فلما دخل عليها قال لها أليس هذا خيرا مما كنت تريدين مني فقالت له أيها الصديق لا تلمنى فانى كنت إمرأة حسناء ناعمة كما رأيت في ملك ودنيا وكان صاحبي لا ياتى النساء وكنت كما جعلك الله في صورتك وهيئتك فغلبتني نفسي فلما بنى بها يوسف وجدها عذراء فاصابها فولدت له ابنين افرائيم وميشا بني يوسف عليه السلام واستوثق ليوسف ملك مصر فاقام فيهم العدل فاحبه الرجال والنساء فذلك قوله تعالى وكذلك نجزي المحسنين وكذلك مكنا ليوسف فى الارض يعني أرض مصر يتبوأ منها حيث يشاء نصيب برحمتنا من نشاء ولا نضيع اجر المحسنين وللبحترى في هذا المعني

أما فى رسول الله يوسف أسوة * لمثلك محبوسا على الظلم والافك
أقام جميل الصبر فى السجن برهة * فآل به الصبر الجميل الي الملك

وكتب بعضهم الى صديق له هذه الابيات

وراء مضيق الخوف متسع الامن * وأول مفروح به آخر الحزن
فلا تيأسن فالله ملك يوسفا * خزائنه بعد الخلاص من السجن

قال فلما اطمأن يوسف في ملكه وخلت السنين الخصبة ودخلت الجدبة جاءت بهول لم تعهد الناس مثله

قال فرايتها في بعض الليالى وقد قامت من منامها فاحسنت الوضوء وقامت الى صلاتها فلما فرغت من صلاتها خرت ساجدة لله تعالى وهي تقول سيدى بحبك لى الا ما غفرت لى قال فقلت لها ويحك لا تقولى هكذا ولكن قولى بحبي لك فقالت اليك عني يا بطال فلولا حبه لى ما أنامك واقامنى واوقفنى بين يديه وبحبه لى اخرجني من ديوان المشركين وكتبني في ديوان المؤمنين قال عبد الله فقلت لها اذهبي فانت حرة لوجه الله تعالى فقالت مولاى كان لى اجران فصار لى اجر واحد اعتق الله جسدك من النار ثم قلت هذا عتق مولاى الاصغر فكيف عتق مولاى الاكبر ثم خرت ساجدة لله تعالى فحركتها فاذا هي ميتة رحمة الله تعالى عليها فقلت هذه والله صفات المحبين المتعلقة قلوبهم بمحبة رب العالمين وانشدت اقول شعرا

الحب فيه حلاوة ومرارة
وتنسك وتهتك ببشائر
ماشاء يصنع بالمحب فانما
حكم الهوى بيد الحبيب الآمر
لو كنت املك فى الهوى
امرى الذى

فاصاب الناس الجوع فلما كان بدء القحط ام الملك فبيناهو نائم اذ أصابه الجوع فهتف الملك يايوسف الجوع
الجوع فقال يوسف هذا اوان القحط والجوع فلما دخل اول سنة من سني الجدب هلك فيها كل شيء
اعدوه من السنين المخصبة فجعل اهل مصر يبتاعون من يوسف الطعام فباعهم في اول سنة بالنقود من الذهب
والفضة حتى لم يبق في مصر درهم ولا دينار الا قبضه وباعهم في السنة الثانية بالحلي والحلل والجواهر حتى لم
يبق في ايدي الناس منها شيء . وباعهم في السنة الثالثة بالمواشي والدواب حتى احتوى عليها اجمع وباعهم في
السنة الرابعة بالعبيد والاماء حتى لم يبق عبد ولا أمة الا اخذه وباعهم في السنة الخامسة بالضياع والعقار والدور
حتى احتوى عليها ولم يبق لاحد ملك وباعهم في السنة السادسة باولادهم فان الرجل كان يشتري بولده الحنطة
او الشعير من شدة السنة فلم يبق لاحد ولد ذكر ولا أنثى الا ممليك له وباعهم في السنة السابعة برقابهم
وارواحهم حتى لم يبق بمصر حر ولا عبد ولا أمة الا صار ملكا له فتعجب الناس من امر يوسف وقالوا انا لله
مارأينا ملكا اجل من هذا واعظم ثم قال يوسف الملك كيف رأيت صنع ربي فيما خولني فما ترى في هذا
فقال له الملك الرأي رأيك وانما نحن لك تبع فقال يوسف فاني اشهد الله واشهدك اني قد اعتقت اهل مصر
جميعا ورددت عليهم عقارهم وعبيدهم واولادهم (وروى) ان يوسف كان لا يشبع من الطعام في تلك الايام
فقيل له أتجوع وبيدك خزائن الارض فقال اني اخاف ان شبعت ان أنسى الجائع (وروى) ان يوسف
امر طباخ الملك ان يجعل غداءه نصف النهار مرة واحدة في اليوم والليلة واراد بذلك ان يذوق الملك طعم الجوع
فلا ينسى الجائع ويحسن الي المحتاجين ففعل الطباخ ذلك فمن ثم جعل الملوك غداءهم نصف النهار وقصد
الناس مصر من كل ناحية يمتارون فجعل يوسف لا يمكن احدا منهم وان كان عظيما من اكثر من حمل بعير
تقسيطا بين الناس وتوسيعا عليهم فتزاحم الناس عليه * قالوا واصاب ارض كنعان وبلاد الشام من القحط
والشدة ما اصاب سائر البلاد ونزل بيعقوب من ذلك ما نزل بالناس فارسل بنيه الى مصر يطلبون الميرة وامسك
عنده بنيامين اخا يوسف لامه فجاء بنو يعقوب الى يوسف عليه السلام وكانوا عشرة وكان منزلهم بالقرب من
ارض فلسطين من ثغور الشام وكانوا اهل بادية ومواش فلما دخلوا عليه عرفهم يوسف وأنكروه لما اراد
الله تعالى ان يبلغ يوسف ما أراده قال ابن عباس وكان بين ان قذفوه في الجب وبين ان دخلوا عليه ارض مصر
اربعون سنة فلذلك انكروه وقيل انه كان متزييا بزي فرعون مصر فكانت عليه ثياب الحرير جالسا على
سرير وفي عنقه طوق من ذهب وعلى رأسه تاج من ذهب فلذلك لم يعرفوه وقيل كان بينهم وبينه ستر فلذلك
انكروه قال بعض الحكماء المعصية تورث النكرة ولذلك قال الله تعالى وجاء اخوة يوسف فدخلوا عليه
فعرفهم وهم له منكرون قالوا فلما نظر اليهم يوسف وكلموه بالعبرانية قال لهم اخبروني من انتم وما امركم فاني
انكرت شأنكم فقالوا نحن قوم من اهل الشام رعاة أصابنا الجهد فجئنا نمتار فقال لعلكم عيون جئتم تنظرون
عورة بلادي فقالوا لا والله ما نحن بجواسيس وانما نحن إخوة بنو أب واحد شيخ كبير صديق الله نبي من
انبياء الله تعالى يقال له يعقوب قال فكم انتم قالوا نحن كنا اثنى عشر فذهب منا أخ الى البرية فهلك فيها وكان
أحب الى أبينا منا قال كم أنتم ههنا قالوا عشرة قال فاين الآخر قالوا عند أبينا لانه اخو الذي هلك من امه فابونا
يتسلى به قال فمن يعلم ان الذي تقولون حق فقالوا أيها الملك انا ببلاد لا نعرف فيها فقال يوسف فأتوني باخيكم
الذي من ابيكم ان كنتم صادقين فاني ارضى بذلك قالوا ان ابانا يحزن على فراقه وسنراوده عنه قال فضعوا
بعضكم عندي رهينة حتى تأتوني باخيكم فاقترعوا بينهم فاصاب القرعة شمعون وكان أبرهم بيوسف فخلفوه
عنده فذلك قوله تعالى ولما جهزهم بجهازهم قال ائتوني باخ لكم من أبيكم الآية الى قوله وانا لفاعلون فقال عند
ذلك يوسف لفتيانه اى لغلمانه الذين يكيلون الطعام اجعلوا بضاعتهم اى ثمن طعامهم (قال ابن عباس) كانت

اهوى لكان مؤانسي
ومسامري
(وقيل) لبعض المحبين
كيف رأيت المحبة قال
وقفت على ساحل بحر
زاخر ليس له آخر وقرب
مني قارب من تقرب مني
شبرا تقربت منه ذراعا
فركبت موافقة له واتباعا
له فاجابت الروح من دعاها
بسم الله مجراها ومرساها
فلما توسطت اللجة
توعرت سبيل الحجة
فما زلت حتى جمعني في مجمع
بحر يحبهم ويحبونه فانا بين
البقاء والفناء حتى وصلت
الى ذلك الفناء والهناء شعر
حروف المحبة ممزوجة
تبشرنا ببلوغ المنا
فميم الممات وحاء الحياة
وباء البلاء وهاء الهنا
فلا تطمعن بطيب اللقا
وطول البقاء بدون الفنا
حمينا الوصال بحد النصال
فان تلق شمر لتمنا تلقنا
فلا تجزعن لمر النكال
وحر الوبال ففيه الهنا
ومت مثل ما مات اهل
الهوى
فماتوا اشتياقا فنالوا المنى
وما ضرهم حين ناديتهم على
طور سينا اني انا
(وحكى عن ابي يزيد
البسطامي رضي الله تعالى
عنه) انه قال كنت يوما في
في سياحتي متلذذا بخلوتي
وراحتي مستغرقا في

بضاعتهم النعال والادم (وقال قتادة) كانت ورقا في رحالهم لعلهم يعرفونها اذا انقلبوا الى اهلهم لعلهم يرجعون
واختلف العلماء في السبب الذى فعل ذلك يوسف بهم من أجله فقال الكلبي تخوف يوسف أن لا يكون
عند أبيه من الورق ما يرجعون به اليه مرة أخرى وقيل خشي ان يشق اخذ ذلك منهم على ابيه اذ كانت
السنة سنة جدب وقيل رأى لؤما اخذ ثمن الطعام من ابيه واخوته مع احتياجهم اليه فرده عليهم من حيث
لا يعلمون تكرما وتفضلا وقيل فعل ذلك لانه علم ان ديانتهم وامانتهم تحملهم على رد البضاعة ولا يستحلون
امساكها فيرجعون اليه لاجلها فلما رجعوا الى أبيهم قالوا يا أبانا قدمنا على خير رجل أنزلنا واكرمنا كرامة
لو كان رجل من ولد يعقوب ما أكرمنا كرامته فقال لهم يعقوب اذا أتيتم ملك مصر فاقرؤا عليه مني السلام
وقولوا له ان أبانا يصلي عليك ويدعو لك بما اوليتنا ثم انه قال لهم اين شمعون فقالوا ان الملك ارتهنه لنأتيه
ببنيامين ثم أخبروه بالقصة فقال لهم ولم اخبرتموه بذلك فقالوا انه أخذنا وقال انكم جواسيس حيث كلمناه
بلسان العبرانية ثم قصوا عليه القصة وقالوا يا ابانا منع الكيل فارسل معنا أخانا يعني بنيامين نكتل وانا له
لحافظون فقال لهم يعقوب هل آمنكم عليه الا كما أمنتكم على أخيه من قبل الآية (قال كعب) لما قال يعقوب
فالله خير حافظا وهو ارحم الراحمين قال الله وعزتي وجلالي لاردن عليك كلاهما بعدما توكلت علي قالوا
ولما فتحوا متاعهم الذى حملوه من مصر وجدوا بضاعتهم اي ثمن طعامهم ردت اليهم قالوا يا ابانا ما نبغي هذه
بضاعتنا ردت الينا ونمير اهلنا ونحفظ اخانا ونزداد كيل بعير ذلك كيل يسير فقال لهم يعقوب لن ارسله معكم
حتى تؤتون موثقا من الله لتأتنني به الا ان يحاط بكم اي تهلكوا جميعا (وروي) جويبر عن الضحاك عن ابن
عباس في قوله تعالى لتأتنني به الا ان يحاط بكم الى قوله حتى تؤتون موثقا من الله ومن قبل يعني حتى تحلفوا الي
بحق محمد خاتم النبيين وسيد المرسلين ان لا تغدروا باخيكم ففعلوا ذلك فلما آتوه موثقهم قال يعقوب الله على
ما نقول وكيل اي شاهد بالوفاء فلما ارادوا الخروج من عنده قال لهم لا تدخلوا مصر من باب واحد وادخلوا
من ابواب متفرقة وذلك انه خاف عليهم العين لانهم كانوا ذوي جمال وهيبة وصور حسان وقامات ممتدة
وكانوا اولاد رجل واحد فامرهم ان يتفرقوا في دخولهم البلد لئلا يصابوا بالعين ثم قال لهم وما اغني عنكم من
الله من شيء ان الحكم الا لله عليه توكلت وعليه فليتوكل المتوكلون ولما دخلوا من حيث امرهم ابوهم وكان
لمصر اربعة ابواب فدخلوا من ابوابها كلها ما كان يغني عنهم من الله من شيء صدق الله يعقوب عليه السلام
فيما قال الى قوله تعالى ولكن اكثر الناس لا يعلمون ولما دخلوا على يوسف في الكرة الثانية قالوا ايها العزيز
هذا اخونا الذى أمرتنا ان نأتيك به قد جئناك به قال لهم احسنتم واصبتم وستحمدون على ذلك عندي
ثم انه انزلهم واكرمهم واضافهم واجلس كل اثنين منهم على مائدة فبقي بنيامين على مائدة وحده وحيدا فبكى
وقال لو كان اخي يوسف حيا لاجلسني معه فقال لهم يوسف لقد بقي اخوكم هذا وحيدا فريدا ثم اجلسه
يوسف معه على مائدته فجعل يؤاكله فلما كان الليل امرهم يوسف بمثل ذلك وقال لهم ليبت كل اثنين منكم
على فراش واحد فلما بقي بنيامين وحده قال يوسف هذا ينام معي على فراشي فبات معه فجعل يوسف يضمه
اليه ويشم ريحه حتى اصبح فجعل روبيل يقول ما رأينا مثل هذا فلما اصبح قال لهم اني لارى هذا الرجل
الذى جئتم به ليس له أخ يؤنسه فان تشاؤا أضمه الي ليكون منزله معي ثم ان يوسف انزلهم منزلا واجرى
عليهم الطعام والشراب وانزل اخاه لامه معه فذلك قوله تعالى آوى اليه اخاه فلما خلا به قال له ما اسمك قال
بنيامين قال له وما بنيامين قال المثكل وذلك انه لما ولد فقد امه قال وما اسم أمك قال راحيل بنت ليان بن
ناحور قال فهل لك من ولد قال نعم قال كم قال عشرة بنين قال فما أسماؤهم قال لقد اشتققت اسماءهم من اسم أخ لي
من أمي هلك اسمه يوسف فقال يوسف لقد اضطرك ذلك الى حزن شديد فما اسماؤهم قال بالا واخير

وكري مستأنسا بذكري
اذ نوديت في سري يا ابا
زيد امض الى دير سمعان
واحضر مع الرهبان في
يوم عيدهم والقربان فلنا في
ذلك نبأ وشان قال
فاستعذت بالله من هذا
الخاطر وقلت لست
أخاطر فلما كان الليل
أتاني الهاتف في المنام
واعاد علي ذلك الكلام
فانتبهت من منامي مرعوبا
وفي هذا الامر مفكرا
مكروبا فنوديت جهاراً
يا أبا يزيد لا باس عليك انت
عندنا من الاولياء الاخيار
ومكتوب في ديوان
الابرار فالبس زي الرهبان
واشدد من اجلنا الزنار فما
عليك في ذلك جناح ولا
انكار قال ابو يزيد فقمت
مسرعا من باكر وامتثلت
الاوامر ولبست زي
الرهبان وحضرت معهم
في دير سمعان فلما حضر
كبيرهم واجتمعوا وانصتوا
ارتج عليه المقام فلم ينطق
الكلام كأن في فيه لجام
فقال له القسيسون
والرهبان ما الذي منعك
عن الكلام ايها الرهبان
فنحن بقولك نهتدي
وبعلمك نقتدي فقال
ما منعني عن ان اتكلم
واتحدى الا رجل بينكم
محمدي وقد جاء لدينكم
ممتحنا وعليكم معتدي

وأشكل واحيا وخير ونعمان وورد ورأس وحيثم وعيثم قال فما هذه الاسماء قال اما بالعا فان أخي ابتلعته الارض وأما أخير فانه كان بكر أمي وابي واما اشكل فانه كان اخي لابي وامي ومني واما احيا فلكونه كان حيبا واما خير فانه كان خيرا حيث كان واما نعما فانه ناعما بين ابويه واما ورد فانه كان بمنزلة الورد في الحسن واما رأس فانه كان مني بمنزلة الرأس من الجسد واما حيثم فاعلمني ابي انه حي واما عيثم فلو رأيت غرته لقرت عيني وتم سروري فقال له يوسف أتحب أن أكون اخاك بدل أخيك ذلك الهالك فقال بنيامين أيها الملك ومن يجد اخا مثلك ولكن لم يلدك يعقوب ولا راحيل قال فبكى يوسف عليه السلام وقام اليه وعانقه وقال انى أنا أخوك فلا تبتئس بما كانوا يعملون ولا تعلمهم بشيء من هذا ثم ان يوسف أوفى لاخوته الكيل وحمل لبنيامين بعيرا باسمه (قال كعب) لما قال له انى انا اخوك قال بنيامين فانى انا لا أفارقك قال يوسف انى قد علمت باغتمام الوالد فان حبستك زاد غمه ولا يمكنني حبسك الا بعد اشتهارك بامر فظيع فقال لا أبالي افعل ماتريد فقال يوسف انى ادس صاعي هذا في رحلك ثم انادي عليكم بالسرقة ليتهيأ لى ردك بعد تسريحك قال افعل فذلك قوله تعالى فلما جهزهم بجهازهم جعل السقاية فى رحل اخيه وكانت مشربة يشرب بها الملك وكانت كاسا من الذهب مكللا مرصعا بالجواهر جعلها يوسف مكيالا يكتال بها ثم انهم ارتحلوا وامهلهم يوسف حتى ظعنوا ثم ان يوسف امر بهم فادركوا وحبسوا عن المسير ثم أذن مؤذن أيتها العير انكم لسارقون فوقفوا فلما قرب منهم الرسول قال لهم ألم نحسن منزلتكم ونكرم ضيافتكم ونوف كيلكم ونفعل لكم مالم نفعل لغيركم قالوا بلى وماذاك قال سقاية الملك فقدناها ولم نتهم عليها غيركم قالوا تالله لقد علمتم ماجئنا لنفسد فى الارض وما كنا سارقين وانا منذ قطعنا هذا الطريق لم نرد احدا بسوء واسألوا عنا من مررنا به هل اضررنا احدا او افسدنا شيأ وانا قد رددنا الدراهم لما وجدناها فى رحالنا فلو كنا سارقين مارددناها وفي الحديث انهم لما دخلوا مصر كمموا افواه دوابهم لئلا تتناول من حروث الناس شيأ فقال الرسول انه صاع الملك الاكبر الذي يتكهن فيه وانه ائتمنني عليه فلم اجده تخوفت ان تسقط منزلتى عنده وافتضح فى مصر فمن رده على فله حمل بعير من طعام وانا به زعيم اى كفيل قالوا معاذ الله ان نسرق فقال المؤذن واصحابه فما جزاؤه اى جزاء من وجد فى رحله ان كنتم كاذبين قالوا جزاؤه من وجد فى رحله فهو جزاؤه كذلك نجزى الظالمين فقال الرسول عند ذلك لابد من تفتيش أمتعتكم ولستم ببارحين حتى افتشها ثم انه انصرف بهم الى يوسف فبدأ باوعيتهم قبل وعاء اخيه ثم استخرجها من وعاء اخيه لازالة التهمة وكان يفتش امتعتهم واحدا واحدا (قال قتادة) ذكر لنا انه كان لا يفتح متاعا ولا ينظر في وعاء احد الا استغفر الله تعالى مما قذفهم به حتى لم يبق الا الغلام فقال ما اظن ان هذا الغلام اخذ شيأ فقالت اخوته والله ما نتركك حتى تنظر فى رحله فانه اطيب لنفسك ولانفسنا فلما فتحوا متاعه استخرجوا الصاع منه فلما اخرج الصاع من رحل بنيامين نكس إخوته رؤسهم من الحياء ثم اقبلوا على بنيامين فقالوا ايش الذي صنعت بنا وفضحتنا وسودت وجوهنا يا ابن راحيل لا يزال لنا منكم بلاء اخذت هذا الصاع فقال لهم بنيامين بل بنو راحيل الذين لا يزال لهم منكم بلاء ذهبتم باخى الى البرية فاهلكتموه ان الذى وضع الصاع فى رحلى هو الذي وضع الدراهم فى رحالكم ثم انهم قالوا ليوسف ان يسرق فقد سرق أخ له من قبل وهذا هو المثل السائر عذره شر من جرمه * واختلف العلماء فى السرقة التى وصفوا بها يوسف قال سعيد بن جبير وقتادة السرقة التى وصفوا بها يوسف انه سرق صنما لجده ابى أمه من ذهب فكسره والقاه في الطريق وقال ابن جريج امرته امه وكانت مسلمة ان يسرق صنما لخاله من ذهب فاخذه وكسره وقال مجاهد جاء سائل يوما فسرق بيضة من البيت واعطاها السائل وقال ابن عيينة دجاجة فتناولها السائل فعيروه بها وقال وهب كان يخبأ الطعام من المائدة للفقراء وقال الضحاك وغيره كان اول ما دخل على يوسف من البلاء أن

فقالوا ارناه لنقتله الآن فقال لانقتله الا بدليل وبرهان فقالوا له افعل ماتريد فنحن ماحضرنا الا لنستفيد قال فقام كبيرهم على قدميه ونادي يا محمدى بحق محمد عليك الا ما نهضت قائما على قدميك لننظر اليك فقام ابو يزيد ولسانه لا يفتر عن التسبيح والتقديس والتحميد فقال له البترك يا محمدى اريد ان اسألك عن مسائل فان أجبت عنها اتبعناك وان عجزت عنها قتلناك فقال سل عما تريد من المعقول والمنقول والله شاهد على ماتقول قال فاخبرني عن واحد لا ثانى له وعن اثنين لا ثالث لهما وعن ثلاثة لا رابع لهم وعن أربعة لا خامس لهم وعن خمسة لا سادس لهم وعن ستة لا سابع لهم وعن سبعة لا ثامن لهم وعن ثمانية لا تاسع لهم وعن تسعة لا عاشر لهم وعن عشرة كاملة وعن احد عشر وعن اثني عشر وعن ثلاثة عشر وعن اربعة عشر تكلموا مع رب العالمين واخبرنا عن قوم كذبوا وادخلوا الجنة وعن قوم صدقوا وادخلوا النار واخبرنا أين مستقر روحك في جسدك وعن الذاريات ذروا وعن الحاملات وقرا وعن

عمته بنت اسحق كانت اكبر ولد اسحق وكانت منطقة اسحق عندها وكانوا يتوارثونها بالكبر وكانت راحيل أم يوسف ماتت فحضنته عمته وأحبته حبا شديدا وكانت لا تصبر عنه فلما ترعرع وبلغ سنوات وقع حبه في قلب يعقوب فاتاها وقال لها يا أختاه سلمي الى يوسف فوالله ما أصبر عنه ساعة واحدة فقالت له ما أنا بتاركته فلما ألح عليها يعقوب قالت دعه عندي أياما أنظر اليه لعل ذلك يسليني عنه ففعل ذلك فلما خرج يعقوب من عندها عمدت الى منطقة اسحق فحزمت يوسف بها تحت ثيابه ثم انها قالت فقدت منطقة اسحق فانظروا من أخذها فالتمست فلم توجد فلما فتشوا أهل البيت وجدوها مع يوسف فقالت والله انه ليسلم لي اصنع فيه ما شئت وكان ذلك حكم آل ابراهيم في السارق فاتاها يعقوب فاخبرته بذلك فقال ان كان هذا فهو مسلم لك لا أستطيع غير ذلك فامسكته بعلة المنطقة فما قدر عليها يعقوب يأخذه منها حتى ماتت فهو الذي قال اخوته ان يسرق فقد سرق أخ له من قبل فاسرها يوسف في نفسه ولم يبدها لهم قال انتم شر مكانا والله اعلم بما تصفون قال الرواة لما دخلوا على يوسف واستخرج الصواع من رحل بنيامين دعا يوسف بالصاع فنقره ثم ادناه من اذنه ثم قال ان صاعي هذا ليخبرني انكم كنتم اثني عشر رجلا وانكم انطلقتم باخ فبعتموه فلما سمع بنيامين ذلك قام فسجد ليوسف وقال ايها الملك سل صواعك هذا عن أخي أحي هو فنقره ثم قال له حي وسوف تراه فقال بنيامين اصنع بي ما شئت فانه ان علم بي سوف يستنقذني قال فدخل يوسف الى منزله ثم انه بكى وتوضا فقال بنيامين أيها الملك اني اريد ان تضرب صواعك هذا فيخبرك بالحق من الذي سرقه فجعله في رحله فنقره ثم انه قال ان صواعي غضبان وهو يقول كيف تسألني عن صاحبي الذي سرقني وقد رأيت مع من كنت قال وكان بنو يعقوب اذا غضبوا لم يطاقوا فغضب روبيل وقال ايها الملك والله لئن لم تتركنا وتترك اخانا لاصيحن صيحة لا يبقى في مصر امرأة حامل الا القت ما في بطنها وقامت كل شعرة في جسده فخرجت من ثيابه وكان بنو يعقوب اذا غضبوا ومس أحدهم الآخر ذهب غضبه فقال يوسف لابنه قم الى جنب روبيل ومسه فقام الغلام الى جنبه فمسه فسكن غضبه فقال روبيل ان في هذا البيت لشيء من ولد يعقوب فقال يوسف من يعقوب فغضب روبيل وقال ايها الملك لا تذكر يعقوب فانه اسرائيل الله بن اسحق ذبيح الله ابن ابراهيم خليل الله قال يوسف انت اذا ان كنت صادقا صادق فلما أراد يوسف ان يحبس اخاه عنده ويصير بحكمه وانه أولى به منهم واحتبسه ورأوا ان لا سبيل لهم الى تخليصه منه سألوه أن يخليه لهم ويعطونه واحدا منهم بدله فقالوا ايها العزيز ان له ابا شيخا كبيرا كلفا بحبه فخذ احدنا مكانه انا نراك من المحسنين قال يوسف معاذ الله ان نأخذ الا من وجدنا متاعنا عنده ولم يقل من سرق تحرزا عن الكذب انا اذا الظالمون ان اخذنا بريئا بسقيم فلما استيأسوا منه خلصوا نجيا اي خلا بعضهم ببعض متناجين متشاورين فقال كبيرهم يعني في العقل وهو شمعون عن مجاهد وقال قتادة والسدي كبيرهم في السن وهو روبيل الم تعلموا ان اباكم قد أخذ عليكم موثقا من الله في هذا الغلام لتردونه ومن قبل ما فرطتم في يوسف اي من قبل هذا قصرتم في شأن يوسف فلن ابرح الارض يعني ارض مصر حتي يأذن لي ابي فارجع الى الملك فاناجزه القتال أو يحكم الله لي وهو خير الحاكمين ارجعوا الى ابيكم فقولوا يا ابانا ان ابنك سرق وما شهدنا الا بما علمنا أي نحن رأينا سرقته معه وما كنا للغيب حافظين حين سألناك ان ترسله معنا ولو علمنا الغيب انه يسرق ما ذهبنا به معنا واسأل القرية يعني واسأل اهل القرية التي كنا فيها والعير التي اقبلنا فيها يعني قوما صحبوهم من اهل كنعان وانا لصادقون لك في قولنا فرجعوا الى يعقوب بذلك القول فقال يعقوب بل سولت لكم انفسكم أمرا فصبر جميل وهو الذي لا جزع فيه عسى الله ان يأتيني بهم جميعا يعني يوسف وبنيامين انه هو العليم الحكيم وتولى عنهم يعقوب وقال يا أسفا على يوسف وذلك انه لما بلغه خبر بنيامين تكامل حزنه وبلغ جهده وهيج حزنه على يوسف فاعرض عنهم وقال

الجاريات يسرا وعن المقسمات امرا واخبرنا عن شيء تنفس بغير روح وعن قبر مشى بصاحبه وعن ماء لا نزل من السماء ولا نبع من الارض وعن اربعة لا من الجن ولا من الانس ولا من الملائكة ولا من ظهر أب ولا من بطن أم واخبرنا عن اول دم اهريق في الارض وعن شيء خلقه الله ثم استعظمه وعن افضل النساء وعن افضل البحار وعن افضل الجبال وعن افضل الدواب وعن افضل الشهور وعن أفضل الليالي وعن الطامة وعن شجرة لها اثنا عشر غصنا في كل غصن ثلاثون ورقة في كل ورقة خمس زهرات اثنان منها في الشمس وثلاثة في الظل وعن شيء حج الى بيت الله الحرام وليس له روح ولا وجبت عليه فريضة واخبرنا كم نبي خلقه الله وكم مرسل منهم وغير مرسل وعن اربعة أشياء يختلف طعمها ولونها والاصل واحد واخبرنا عن النقير والفتيل والقطمير وعن السبد واللبد والطم والرم واخبرنا عما يقول الكلب في نبيحه وما يقول الحمار في نهيقه وما يقول الثور في نعيره وما يقول الفرس في صهيله وما يقول

يا اسفا على يوسف والاسف اشد الحزن (وروي) سعيد بن جبير عن ابن عباس رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لم تعط امة من الامم عند المصيبة انا لله وانا اليه راجعون الا امة محمد صلى الله عليه وسلم الا ترى الى يعقوب حين اصابه على ابنه ما اصابه من الحزن لم يسترجع انما قال يا أسفا على يوسف (وقال الحسن) كان بين خروج يوسف من عند ابيه الى يوم الالتقاء معه ثمانون سنة لم تجف عيناه من الدموع وما كان على وجه الارض اكرم على الله تعالى من يعقوب فلما شكا وبكى قال له ولده تالله تفتؤ تذكر يوسف حتى تكون حرضا اى مريضا ذاهب العقل من الهم او تكون من الهالكين فقال يعقوب لما راي غلظتهم وجفوتهم انما اشكو بثي وحزني الى الله الآية وفى الحديث ان يعقوب كبر وضعف حتى سقط حاجباه على عينيه وكان يرفعهما بخرقة فقال له بعض جيرانه قد تهشمت وفنيت ولم تبلغ من السن ما بلغ اخوك فما بلغ بك ما ارى فقال طول الزمان وكثرة الاحزان فاوحي الله تعالى الى يعقوب اتشكوني الى خلقي فقال يارب خطيئة اخطأتها فاغفرها لى قال قد غفرت لك فكان بعد ذلك اذا سئل قال انما اشكو بثي وحزني الى الله (اخبرني) الحسين بن فتحويه اخبرنا احمد بن الحسن بن حامد اخبرنا الحسين بن ايوب اخبرنا عبد الله بن أبى زياد اخبرنا سيار بن حاتم عن عبد الله بن السمط سمعت ابى يقول بلغنا ان رجلا قال ليعقوب ما الذى اذهب بصرك قال حزنى على يوسف قال فما الذى قوس ظهرك قال حزنى على أخيه فاوحي الله تعالى اليه وعزتى وجلالى لأكشف ما بك حتى تدعونى فقال عند ذلك انما اشكو بثي وحزني الي الله فاوحى الله تعالى اليه وعزتى وجلالى لو كانا ميتين لاخرجتهما لك حتي تنظر اليهما وانما وجدت عليكم لانكم ذبحتم شاة فقام ببابكم مسكين يستطعم فلم يطعموه منها شيأ وان احب الناس الى من خلقى الاسخياء ثم المساكين فاصنع طعاما وادع اليه المساكين فصنع طعاما ثم قال من كان صائما فليفطر الليلة عند آل يعقوب (وقال) وهب بن منبه اوحى الله تعالى الى يعقوب اتدري لم عاقبتك وحبست عنك يوسف ثمانين سنة قال لا يا الهي قال لانك شويت عناقا وقترت على جارك وأكلت ولم تطعمه ويقال ان سبب ابتلاء يعقوب بفقد يوسف انه كان له بقرة ولدها عجل فذبح عجلها بين يديها وكانت تخور فلم يرحمها يعقوب فآخذه الله بذلك فابتلاه بفقد اعز ولده اليه ثم ان يعقوب قال لبنيه يا بني اذهبوا فتحسسوا من يوسف واخيه ولا تيأسوا من روح الله الآية قال السدى لما اخبره ولده بخبر العزيز وقوله وفعله احست نفس يعقوب وطمع وقال لعله يوسف (وروى) انه كان رأى ملك الموت فى المنام فسأله هل قبضت روح يوسف فقال لا والله وانه حى يرزق (وروي) انه رأي ملك الموت وقد زاره فقال له السلام عليك أيها الكظيم فاقشعر جلده وارتعدت فرائصه ورد عليه السلام ثم قال له من أنت ومن أدخلك هذا البيت وقد أغلقت على نفسي بابى كيلا يدخل علي احد واشكوا بثى وحزنى الى الله فقال له يا نبي الله انا الذى ايتم الاولاد وأرمل الازواج وافرق بين الجماعات قال فانت اذا ملك الموت قال نعم فقال يا ملك الموت انشدك الله الا اخبرتني هل تقبض روح من تأكله السباع قال نعم قال فاخبرنى عن الارواح اتقبضها مجموعة أو متفرقة روحا روحا قال اقبضها روحا روحا قال فهل مرت بك روح يوسف في الارواح قال لا قال فجئتني زائرا أم داعيا فقال يا نبي الله ما جئتك الا مسلما فان الله تعالى لا يميتك حتى يجمع بينك وبين يوسف ولو كان في الصخرة التى عليها قرار الارضين وما أذن الله لى فى زيارتك الا لابشرك وأجيبك عما تسألني عنه وان شئت اعلمتك لماذا ابتليت بفقد ولدك قال له فاعلمني يا عزرائيل فقال يا اسرائيل الله هل تذكرت الجارية التى اشتريتها عام كذا في شهر كذا ثم فرقت بينها وبين ابويها قال نعم يا ملك الموت كانه كان بالامس فقال له ملك الموت فلاجل ذلك ابتليت بفقد الولد وهل تعلم لماذا ابتليت بفقد البصر قال لا قال امرت يوما بذبح جذعة فذبحتها وشويتها فى يوم كذا وشهر كذا فرنم العابد العبد الصالح بك

البعير في رغائه وما يقول الطاوس في صياحه وما يقول الدراج في صفيره وما يقول البلبل في تغريده وما يقول الضفدع في تسبيحه وما يقول الناقوس فى نقيره واخبرنا عن قوم اوحى الله اليهم لا من الجن ولا من الانس ولا من الملائكة واخبرنا أين يكون الليل اذا جاء النهار وأين يكون النهار اذا جاء الليل * فقال ابو يزيد هل بقى مسائل غير هذه المسائل فقال لا فقال ان فسرتها لكم واجبت عنها تؤمنوا بالله ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم فقالوا نعم فقال اللهم أنت الشاهد على ما يقولون (اما) سؤالكم عن واحد لا ثانى له فهو الله عز وجل (واما) سؤالكم عن اثنين لا ثالث لهما فهما الليل والنهار لقوله تعالى وجعلنا الليل والنهار آيتين (وأما) سؤالكم عن ثلاثة لا رابع لها فهي العرش والكرسي والقلم (وأما) سؤالكم عن اربعة لا خامس لها فهى الكتب المنزلة وهي التوراة والانجيل والزبور والفرقان (وأما سؤالكم) عن خمسة لا سادس لها فهى الصلوات الخمس المفروضات على كل مسلم ومسلمة (وأما) سؤالكم عن ستة لا سابع

وهو صائم ما افطر منذ اسبوع فاشتم قتار الشوى فلم تطعمه شيأ فعند ذلك اعتق يعقوب من كان بحضرته من
العبيد والاماء وامران يذبح كل يوم من أغنامه كبشان و يفرق لحمهما على الفقراء والمساكين فقبل الله ذلك
منه وشكره عليه واتاه الفرج فعند ذلك قال يعقوب يابني اذهبوا فتحسسوا من يوسف وأخيه الى قوله
تعالى الا القوم الكافرون (قال قتادة) ذكر لنا ان نبي الله يعقوب عليه السلام ما ساء ظنه بالله تعالى في طول
بلائه ساعة قط من ليل او نهار فعند ذلك خرج اخوة يوسف راجعين الى مصر وهذه كرة ثالثة فدخلوا على
يوسف فلما دخلوا عليه قالوا يا ايها العزيز اى الملك بلغة مصر مسنا واهلنا الضر وجئنا ببضاعة مزجاة أى
قليلة رديئة لا تنفق في ثمن الطعام الا بتجاوز من البائع فيها واختلف المفسرون فى هذه البضاعة ما هي فقال
ابن عباس كانت دراهم رديئة زيوفا لا تنفق الا بوضيعة وقال ابن أبي مليكة رضى الله عنه كانت خلقة الغرائر
والحبال رثة المتاع وقال عبد الله بن الحرث والحسن كانت امتعة الاعراب الصوف والسمن والاقط وقال
الضحاك كانت النعال والادم والسويق المقلى فاوف لنا الكيل وتصدق علينا ان الله يجزي المتصدقين قال
الضحاك لم يقولوا ان الله يجزيك ان تصدقت علينا لانهم لم يعلموا أنه مؤمن وقال عبد الجبار بن العلائى سئل
سفيان بن عيينة هل حرمت الصدقة على احد من الانبياء سوى نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فقال سفيان
ألم تسمع قول الله تعالى وتصدق علينا اراهم سفيان ان الصدقة كانت لهم حلالا وانما حرمت على نبينا
عليه الصلاة والسلام فقال لهم يوسف مجيبا لهم عند ذلك هل علمتم ما فعلتم بيوسف واخيه اذ أنتم جاهلون
واختلف العلماء في السبب الذي حمل يوسف على هذا القول الذي كان بدء فرج يعقوب وراحته وآخر
بلائه ومحنته فقال محمد بن اسحق ذكر لنا انهم لما كلموه بهذا الكلام غلبته نفسه وادركته الرقة فارفض دمعه
باكيا ثم باح لهم بالذى كان يكتم فقال هل علمتم ما فعلتم الآية وقال الكلبي انما قال ذلك حين حكى لاخوته ان
مالك بن دعر قال انى وجدت غلاما فى بئر من حاله كيت وكيت فابتعته من قوم بكذا وكذا درهما فقالوا له
أيها الملك نحن بعناه هذا الغلام فاغتاظ يوسف من ذلك وأمر بقتلهم فذهبوا بهم ليقتلوهم فولى يهوذا وهو يقول
كان يعقوب يبكى ويحزن لفقد واحد منا حتى كف بصره فكيف اذا أتاه خبر قتل بنيه كلهم ثم انهم
قالوا له ان انت فعلت بنا ذلك فابعث بامتعتنا الى أبينا فانه بمكان كذا وكذا فذلك الوقت رحمهم و بكى وقال
لهم ذلك القول * وقال بعضهم انما قال ذلك حين قرأ كتاب أبيه اليه وذلك ان يعقوب لما قيل له ان ابنك
سرق كتب الى يوسف كتابا من يعقوب اسرائيل الله ابن اسحق ذبيح الله ابن ابراهيم خليل الله الى
عزيز مصر المظهر العدل والموفي الكيل أما بعد فانا اهل بيت موكل بنا البلاء فاما جدى فابتلى بالنمروذ فشدت
يداه ورجلاه والقى فى النار فجعلها الله بردا وسلاما واما ابى فشدت يداه ورجلاه ووضعت السكين على
قفاه ليذبح ففداه الله بذبح عظيم وأما أنا فكان لى ابن وكان احب أولادى الي فذهب به اخوته الى البرية
ثم أتونى بقميصه ملطخا بالدم وقالوا قد اكله الذئب فذهبت عيناي من بكائى عليه ثم كان لى ابن آخر
وكان اخاه من امه وكنت أتسلى به فذهبوا به ثم رجعوا وقالوا انه سرق وانك حبسته لذلك وانا اهل بيت
لا نسرق ولا نلد سارقا فان رددته على والا دعوت عليك دعوة تدرك السابع من ولدك فلما قرأ
يوسف الكتاب لم يتمالك نفسه من البكاء وعيل صبره فاظهر لهم أمره وقال بعضهم انما قال ذلك حين سأل
اخاه بنيامين هل لك ولد قال نعم قال ثلاثة بنين قال فاسميتهم قال سميت الاكبر منهم يوسف قال ولم
قال محبة لك ولاذكرك قال فما سميت الثانى قال ذئبا قال ولم قال الذئب سبع عاقر قال لاذكرك به قال فما
سميت الثالث قال دما قال ولم قال لاذكرك به فلما سمع يوسف هذه المقالة خنقته العبرة ولم يتمالك ان قال
لاخوته هل علمتم ما فعلتم بيوسف واخيه اذ انتم جاهلون قالوا له أئنك لانت يوسف قال ابن اسحق لما قال

لها فهي الستة ايام التي
ذكرها الله في كتابه العزيز
بقوله ولقد خلقنا السموات
والارض وما بينهما فى ستة
أيام (وأما) سؤالكم عن
سبعة أيام لا ثامن لها فهي
السموات السبع لقوله
تعالى الذي خلق سبع
سموات طباقا (وأما)
سؤالكم عن ثمانية لا تاسع
لهم فهم حملة العرش لقوله
تعالى ويحمل عرش ربك
فوقهم يومئذ ثمانية (وأما)
سؤالكم عن تسعة لا عاشر لهم
فهم التسعة رهط الذين
يفسدون فى الارض لقوله
تعالى وكان في المدينة تسعة
رهط يفسدون فى الارض
ولا يصلحون (وأما)
سؤالكم عن عشرة كاملة
فهى فروض مكة التى
وجبت على الحاج وهو
محرم لقوله تعالى فصيام
ثلاثة ايام فى الحج وسبعة
اذا رجعتم تلك عشرة كاملة
(وأما) سؤالكم عن احد
عشر فهم اخوة يوسف عليه
السلام (وأما) سؤالكم عن
ثلاثة عشر فهى رؤية
يوسف عليه السلام لقوله
تعالى انى رأيت احد عشر
كوكبا والشمس والقمر
(وأما) سؤالكم عن قوم
كذبوا ودخلوا الجنة فهم
اخوة يوسف وجاؤا على
قميصه بدم كذب (وأما)
سؤالكم عن قوم صدقوا

يوسف لاخوته هل علمتم مافعلتم بيوسف واخيه كشف عنه الغطاء ورفع عنه الحجاب فعرفوه فقالوا ائنك لانت يوسف قال انا يوسف وهذا اخى (وروى) جويبر عن الضحاك عن ابن عباس قال قال لهم يوسف هل علمتم مافعلتم الآية ثم تبسم وكان اذا تبسم كان ثناياه اللؤلؤ المنظوم فلما أبصروا ثناياه شبهوه بيوسف فقالوا له مستفهمين أئنك لانت يوسف (وروى) عطاء عن ابن عباس انه قال ان اخوة يوسف لم يعرفوه حتى وضع التاج عن رأسه وكان له في فرقه علامة وكان ليعقوب مثلها وكان لاسحق مثلها وكان لسارة مثلها شبه الشامة فلما رفع التاج عن رأسه ورأوا الشامة عرفوه وقالوا له ائنك لانت يوسف قال انا يوسف وهذا اخى قد من الله علينا بان جمعنا بعدما فرقتم بيننا انه من يتق ويصبر فان الله لا يضيع أجر المحسنين ثم انهم أقروا بفضل يوسف عليهم وجريمتهم اليه فقالوا تالله لقد آثرك الله علينا وان كنا لخاطئين فقال يوسف وكان حليما كريما موفقا لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو ارحم الراحمين (قال) السدي وغيره فلما عرفهم يوسف بنفسه سألهم عن أبيه فقال مافعل ابى من بعدى قالوا ذهبت عيناه فاعطاهم قميصه (قال) الضحاك كان ذلك القميص من نسج الجنة وكان فيه ريح الجنة لا يقع على مبتلى ولا على سقيم الا صح وعوفى فاعطاهم يوسف ذلك القميص وهو الذي كان لابراهيم وقد مضت قصته فقال لهم اذهبوا بقميصى هذا فالقوه على وجه أبى يات بصيرا وأتونى باهلكم أجمعين فلما فصلت العير من مصر متوجهين الى كنعان قال ابوهم يعقوب انى لاجد ريح يوسف لولا ان تفندون اى تسفهون (ويروي) ان ريح الصبا استأذنت ربها ان تأتى يعقوب بريح يوسف قبل ان ياتيه البشير بالقميص فاذن لها فاتته بها قال ابن عباس وجد يعقوب ريح يوسف من مسيرة ثمان ليال وقال مجاهد وذلك انه هبت ريح فصفقت القميص فاحتملت الصبا ريح القميص الى يعقوب فوجد ريح الجنة فعلم انه ليس في الارض من رياح الجنة الا ما كان من ذلك القميص فمن ثم قال انى لاجد ريح يوسف لولا ان تفندون فقال له بنو بنيه تالله انك لفى ضلالك القديم فلما ان جاء البشير وهو يهوذا بن يعقوب قال ابن مسعود جاءه البشير من بين يدي العير وقال السدى قال يهوذا ليوسف انا ذهبت بالقميص ملطخا بالدم الى يعقوب فاخبرته ان يوسف اكله الذئب فاعطنى اليوم قميصك لاخبره انك حى فافرحه كما احزنته (قال) ابن عباس حمله يهوذا وخرج ماشيا حاسرا حافيا وجعل يعدو حتى أتى اباه وكان معه سبعة ارغفة فلم يستوف اكلها حتى بلغ كنعان وكانت المسافة ثمانين فرسخا فلما أتاه بالقميص القاه على وجهه فارتد بصيرا قال الضحاك رجع اليه بصره بعد العمى وقوته بعد الضعف وشبابه بعد الهرم وسروره بعد الحزن (عن) أبى هريرة رضي الله عنه قال كان يعقوب عليه السلام أكرم اهل الارض على ملك الموت وان ملك الموت استأذن ربه فى أن ياتى يعقوب فاذن له فجاءه فقال له يعقوب ياملك الموت أسألك بالذى خلقك هل قبضت نفس يوسف فيمن قبضت من النفوس فقال لا ثم قال له ملك الموت يايعقوب ألا أعلمك كلمات قال بلى قال قل ياذا المعروف الذى لا ينقطع أبدا ولا يحصيه أحد غيرك قال فدعا بها يعقوب في تلك الليلة فلم يطلع الفجر حتى طرحوا القميص على وجهه فارتد بصيرا فقال لهم عند ذلك ألم اقل لكم انى اعلم من الله مالا تعلمون قالوا ياأبانا استغفر لنا ذنوبنا انا كنا خاطئين قال سوف استغفر لكم ربى الآية (قال) اكثر المفسرين أخر ذلك الى السحر من ليلة الجمعة فوافق ذلك ليلة عاشوراء وذلك ان الدعاء فى الاسحار لا يحجب عن الله تعالى فلما انتهى يعقوب الى الوعد قام الى الصلاة بالسحر فلما فرغ منها رفع يديه الى الله عز وجل وقال اللهم اغفر لي جزعى على يوسف وقلة صبرى عنه واغفر لولدي ماجنوا على أخيهم يوسف فاوحى الله اليه انى قد غفرت لك ولهم أجمعين وقال وهب كان يستغفر لهم كل ليلة جمعة فى نيف وعشرين سنة (أخبرنا) الحسين بن محمد بن فنجويه اخبرنا عبد الله بن محمد بن شيبة اخبرنا

وادخلوا النار فهم اليهود وقالت اليهود ليست النصارى على شيء وقالت النصارى ليست اليهود على شيء فهم صدقوا وادخلوا النار (وأما) سؤالكم عن مستقر الروح فى الجسد فانها تكون بين اذنيك فى صورة الوجه (واما) سؤالكم عن الذاريات ذروا فهى الرياح الاربع (وأما) الحاملات وقرا فهى السحب (واما) سؤالكم عن الجاريات يسرا فهى السفن الجارية فى البحار (وأما) سؤالكم عن المقسمات أمرا فهم الملائكة الذين يقسمون على الناس أرزاقهم في ليلة النصف من شعبان (واما) سؤالكم عن أربعة عشر تكلموا مع رب العالمين فهى السموات السبع والارضون السبع لقوله تعالى فقال لها وللارض ائتيا طوعا أو كرها قالتا اتينا طائعين (واما) سؤالكم عن قبر مشى بصاحبه فهو حوت يونس عليه السلام (وأما) سؤالكم عن شيء تنفس بغير روح فهو الصبح (وأما) سؤالكم عن ماء لا نزل من السماء ولا نبع من الارض فهو الذي بعثته بلقيس الى سليمان عليه السلام في قارورة وكان من عرق

احمد بن ابى السفر بن ثوبان البصري اخبرنا اسحق بن زياد الارملي اخبرنا الفضل بن حميد البغدادي اخبرنا اسحق بن زياد وابن ضمرة عن رجاء بن ابى سلمة عن عطاء الخراسانى قال طلب الحوائج الى الشباب أيسر منها الى الشيوخ ألا ترى قول يوسف لاخوته لا تثريب عليكم اليوم وقول يعقوب سوف استغفر لكم ربى (وروي) ان يعقوب قال للبشير لما اخبره بحياة يوسف كيف يوسف قال انه ملك مصر فقال يعقوب ما أصنع بالملك على اي دين تركته قال على دين الاسلام فقال يعقوب الآن تمت النعمة (وقال الثورى) لما التقى يعقوب ويوسف عليهما السلام عانق كل واحد منهما صاحبه وبكيا فقال يوسف يا أبت بكيت علي حتى ذهب بصرك ألم تعلم ان القيامة تجمعنا قال بلى يا بني ولكن خشيت ان تسلب دينك فيحال بيني وبينك يوم القيامة قالوا وكان يوسف قد بعث مع البشير جهازا ومائتى راحلة وسأله ان يأتيه باهله وولده أجمعين فتهيأ يعقوب للخروج الى مصر فلما دنا يعقوب من مصر كلم يوسف الملك الاكبر الذى فوقه فخرج مع يوسف فى أربعة آلاف من الجند وركب اهل مصر معهما يتلقون يعقوب وكان يعقوب يمشى متوكئا على يهوذا فنظر يعقوب الى الجند والناس فقال يهوذا هذا فرعون مصر قال لا هذا ابنك فلما دنا كل واحد منهما من صاحبه ذهب يوسف يبدؤه بالسلام فمنعه الله من ذلك وكان يعقوب افضل وأحق بذلك منه فابتدأه يعقوب بالسلام فقال السلام عليك يا مذهب الاحزان فلما دخلوا على يوسف آوى اليه أبويه ورفعهما على العرش وابوه يعقوب وخالته ليا فسمى الخالة اما كما سمي العم أبا في قوله تعالى قالوا نعبد إلهك واله آبائك ابراهيم واسمعيل واسحق وقال الحسن نشر الله راحيل أم يوسف من قبرها حتى سجدت له تحقيقا للرؤيا فذلك قوله تعالى وخروا له سجدا وكانت تحية الناس يومئذ السجود ولم يرد بالسجود وضع الجباه على الارض فلما رأي يوسف أبويه واخوته قد خروا له سجدا اقشعر عند ذلك جلده وقال يا أبت هذا تأويل رؤياى من قبل قد جعلها ربى حقا الآية (قال وهب) دخل يعقوب وولده مصر وهم اثنان وسبعون انسانا ما بين رجل وامرأة وخرجوا منها مع موسي ومقاتلتهم ستمائة الف وخمسمائة وبضع وسبعون رجلا سوى الذرية والهرمي والزمني وكانت الذرية الف الف سوى المقاتلة * وقال الفضيل بن عياض بلغنا ان يعقوب عليه السلام لما دخل مصر ورأى يوسف ومملكته فكان يطوف يوما من الايام في خزائنه فرأى خزانة مملوءة قراطيس بيضاء فقال يا بني لقد تغيرت بعدي لك كل هذه القراطيس وما حملت بطاقة منها تكتب الى كتابا فقال يوسف هذه القراطيس كما هى لك كنت كلما ازداد شوقى وكثر حنينى آخذ ورقة حتى اكتب اليك يا أبت فيمنعنى جبريل اذا كتبت اليك فاتركها في هذه الخزانة حتى بلغ هذا المبلغ فسأل يعقوب جبريل عن ذلك فقال منعنى ربى فسأل الله عن ذلك فأوحى الله اليه لانك قلت أخاف ان يأكله الذئب فهلا خفتني هذه العقوبة لاجل تخوفك من غيري (وروى) صالح المرى عن يزيد الرقاشى عن أنس بن مالك قال ان الله تعالى لما جمع ليعقوب شمله خلا ولده نجيا فقال بعضهم لبعض أليس قد علمتم ما فعلتم بالشيخ يعقوب وبيوسف قالوا بلى قالوا فان عفوا عنكم فكيف لكم بربكم فاستقام أمرهم على ان يأتوا الشيخ فاتوه وجلسوا بين يديه ويوسف الى جنب أبيه قاعد فقالوا يا أبانا أتيناك على أمر لم نأتك بمثله قط ونزل بنا أمر لم ينزل بنا مثله قط والانبياء ارحم البرية فقال ما بكم يا بني فقالوا ألست تعلم ما كان منا اليك والى أخينا يوسف قال بلى قد علمت قالوا فلتما قد عفوتما عنا قالا بلى قالوا فان عفوكما لا يغني عنا شيأ اذا كان الله تعالى لم يعف عنا قال فما تريدون يا بني قالوا نريد أن تدعوا الله لنا فاذا جاءك الوحي من عند الله سله هل عفا الله عنا فان اجابك بانه قد عفا عنا جميعا قرت أعيننا واطمأنت قلوبنا والا فلا قرت لنا عين فى الدنيا ابدا فقام الشيخ واستقبل القبلة وقام يوسف خلفه وقاموا كلهم خلفهما أذلة خاشعين فدعا يعقوب وأمن يوسف عليهما السلام فلم يجب فيهم قريبا من عشرين سنة قال صالح

الخيل (واما) سؤالكم عن اربعة لا من الجن ولا من الانس ولا من الملائكة ولا من ظهر اب ولا من بطن ام فهى كبش اسمعيل وناقة صالح وآدم وحواء (وأما) سؤالكم عن شي خلقه الله ثم انكره فهو صوت الحمار كما قال الله تعالى ان أنكر الاصوات لصوت الحمير (وأما) سؤالكم عن أول دم اهريق على وجه الارض فهو دم هابيل لما قتله قابيل (واما) سؤالكم عن شيء خلقه الله واستعظمه فهو كيد النساء لقوله تعالى ان كيدكن عظيم (واما) سؤالكم عن شيء اوله عود وآخره روح فهى عصا موسى عليه السلام لقوله تعالى وما تلك بيمينك ياموسي الآية (واما) سؤالكم عن أفضل النساء فحواء أم البشر وخديجة وعائشة وآسية ومريم ابنة عمران (وأما) سؤالكم عن أفضل البحار فسيحون وجيحون والفرات ونيل مصر (وأما) سؤالكم عن أفضل الجبال فهو الطور (وأما) سؤالكم عن أفضل الدواب فهى الخيل (واما) سؤالكم عن افضل الشهور فشهر رمضان (وأما) سؤالكم عن أفضل الليالى فليلة القدر (واما) سؤالكم

المري ثم نزل جبريل عليه السلام على يعقوب فقال ان الله تعالى بعثني اليك أبشرك بانه قد أجاب دعوتك في ولدك وانه قد عفا عما صنعوا وانهم قد انعقدت مواثيقهم بعدك على النبوة قالوا فاقام يعقوب بمصر بعد موافاته باهله وولده اربعة وعشرين سنة باغبط حال واهنا عيش وأتم راحة وأدوم سلامة ثم حضرته الوفاة فلما احتضر جمع بين بنيه وقال ما تعبدون من بعدى قالوا نعبد إلهك وإله آبائك ابراهيم واسمعيل واسحق ثم قال يابني ان الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن الا وأنتم مسلمون ثم انه أوصي الى يوسف ان يحمل جسده الى الارض المقدسة حتي يدفنه عند أبيه اسحق وجده ابراهيم ففعل ذلك ونقله الى بيت المقدس في تابوت من ساج وخرج معه يوسف في عسكره واخوته وعظماء أهل مصر ووافق ذلك يوم وفاة عيص فدفنا في يوم واحد وكان عمرهما جميعا مائة سنة وسبعا واربعين سنة لانهما ولدا في بطن واحد وقبرا في قبر واحد (قال) فلما جمع الله ليوسف شمله وأقر له عينه وأتم له تعبير رؤياه وكان موسعا عليه في ملك الدنيا ونعيمها وعلم أن ذلك لا يدوم له وانه لابد من فراقه فاراد نعيم الجنة اذ هو افضل منه فتاقت نفسه الى الجنة فتمني الموت ودعا به ولم يتمن نبي قبله ولا بعده الموت فقال رب قد آتيتني من الملك وعلمتني من تأويل الاحاديث الآية (وروى) ان يوسف لما حضرته الوفاة جمع اليه قومه من بني اسرائيل وهم ثمانون رجلا واعلمهم بحضور أجله ونزول أمر الله تعالى به فقالوا يانبي الله نحب ان تعرفنا كيف تتصرف الاحوال بنا بعد خروجك من بين اظهرنا والى مايؤل اليه أمرنا وديننا وملتنا فقال لهم ان أمركم يستقيم على ما أنتم عليه وتستقيمون على دينكم الى ان يبعث رجل جبار عات من القبط يدعى الربوبية فيقهركم ويذبح ابناءكم ويستحيي نساءكم ويسومكم سوء العذاب فتمد أيامه مدة مديدة ثم يخرج من بني اسرائيل من ولد لاوى بن يعقوب رجل اسمه موسى بن عمران رجل طوال جعد الشعر آدم اللون فينجيكم الله من أيدى القبط على يده قال فجعل كل من بني اسرائيل يسمى ابنه عمران ويسمي عمران ابنه موسي قال وكان ليوسف ديك وكان عمره خمسمائة سنة فقال لهم يوسف انه يستقيم امركم مادام يصرخ فيكم هذا الديك فاذا ولد هذا الجبار يسكن فلا يصرخ مدة ولايته حتى اذا انقضت مدة ولايته وأذن الله تعالى بمولد هذا النبي فيصرخ هذا الديك ويعود الى صراخه ويكون ذلك علامة انقضاء ملك الجبار وظهور نبي الله في الارض فمازالوا يراعون الحال الان سكن صراخ الديك فوجموا واكتأبوا وايقنوا بوهي اركان دينهم واظلال ما أنذرهم به يوسف من مولد الجبار واعتزلوا لذلك واجمين الى ان صرخ ذلك الديك فاستبشروا وتصدقوا وفرحوا واستيقنوا بالفرج والراحة ثم مات يوسف عليه السلام وكان قد أوصي الي أخيه يهوذا واستخلفه على بنى اسرائيل فتوفاه الله طيبا طاهرا ودفن في النيل في صندوق من رخام وذلك انه لما مات تشاح الناس عليه كل يحب ان يدفن في محلتهم لما يرجون من بركته حتي هموا بالقتال فرأوا ان يدفن في النيل حيث تتفرق المياه بمصر فيمر الماء عليه ثم يصل الى جميع مصر فيكونون كلهم فيه شرعا واحدا ففعلوا ذلك وكان قبره في النيل الى ان حمله موسي عليه السلام معه حين خرج من مصر ببني اسرائيل فنقله الى الشام ودفنه بارض كنعان خارج الحصن حيث هو اليوم فلذلك تنقل اليهود موتاهم الى الشام من فعل ذلك فيهم (وروي) يونس بن عمران عن ابى موسي قال نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم باعرابى فاكرمه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اكرمتنا فاحسنت سل حاجتك فقال ناقة نرحلها وعنزة نحلبها أهلي فقال صلى الله عليه وسلم أعجز هذا أن يكون مثل عجوز بنى اسرائيل فقالوا يارسول الله وما عجوز بنى اسرائيل فقال ان بني اسرائيل لما خرجوا ضلوا الطريق وأظلم عليهم الليل فقالوا ما هذا فقال علماؤهم ان يوسف لما حضرته الوفاة أخذ علينا موثقا من الله ان لا نخرج من مصر حتى ننقل عظامه معنا قال موسى فمن يعلم موضع قبره قالوا عجوز لبني اسرائيل فبعث اليها موسى فاتته فقال دليني على قبر يوسف فقالت له وتعطيني حكمي قال وما حكمك قالت ان اكون معك في الجنة فكره ان يعطيها حكمها فاوحي الله اليه ان اعطها حكمها ففعل

عن الطامة فهى يوم القيامة وأ(ما) سؤالكم عن شجرة لها اثناعشر غصنا في كل غصن ثلاثون ورقة في كل ورقة خمس زهرات اثنان في الشمس وثلاثة في الظل فهى السنة والاغصان هى الشهور والاوراق هي الايام والخمس زهرات هي الخمس صلوات في اليوم والليلة (واما) سؤالكم عن شيء حج الى البيت الحرام وطاف وليس له روح ولا وجب عليه فريضة فهى سفينة نوح عليه السلام (واما) سؤالكم عن اربعة مختلف طعمها ولونها والاصل واحد فهى العينان والاذنان والانف والفم فماء العين مالح وماء الاذنين مر وماء الانف حامض وماء الفم حلو (واما) سؤالكم عن النقير والفتيل والقطمير فالنقير النقرة التى في ظهر النواة والفتيل هو الذي في باطنها والقطمير هو القشر الذى فوقها (واما) سؤالكم عن السبد واللبد فهو شعر الضأن والمعز (واما) سؤالكم عن الطم والرم فهى الامم الماضية قبل آدم عليه السلام (واما) سؤالكم عما يقول الحمار في نهيقه فانه يرى الشيطان ويقول لعن الله العشار (واما) سؤالكم عما يقول الكلب

(ويروى) من طريق آخر ان هذه العجوز كانت مقعدة عمياء فقالت لموسى ألا أخبرك بموضع قبر يوسف قال نعم فقالت له لا أخبرك حتى تعطيني اربع خصال تطلق رجلي وتعيد الي بصري وشبابي وتجعلني معك في الجنة قال فكبر ذلك على موسى فاوحى الله تعالى اليه ان اعطها ماسألت فانك انما تعطى على فقعل فانطلقت بهم الى موضع عين في مستنقع ماء فاستخرجوه من شاطىء النيل في صندوق من مرمر فلما حملوا تابوته طلع القمر وأضاء الطريق مثل النهار فاهتدوا به وحملوه (وقال اهل التاريخ) عاش يوسف بعد موت يعقوب عليه السلام ثلاثا وعشرين سنة ومات وهو ابن مائة وعشرين سنة صلوات الله عليه وعلى جميع الانبياء والمرسلين والحمد لله رب العالمين

﴿ مجلس في قصة يوسف بن ميشا بن يوسف عليه السلام ﴾

وهو موسى الاول وقد ذكرنا فيما مضى ان يوسف عليه السلام ولد له ابنان احدهما يقال له افرائيم والآخر ميشا وابنة يقال لها رحمة وهي امرأة النبي أيوب عليه السلام فولد لافرائيم نون وولد لنون يوشع وهو فتى موسى بن عمران وخليفته على بني اسرائيل واما ميشا فولد له موسى فنبأه الله تعالى فزعم أهل التوراة انه صاحب الخضر والعامة من العلماء ان صاحب الخضر موسى بن عمران وكذلك روى عن ابن عباس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم (قال) أهل العلم بالتاريخ لما مات يعقوب ويوسف عليهما السلام وآل الامر الى الاسباط كثروا ونموا وظهر فيهم ملوك فغيروا سيرتهم وافسدوا في الارض وفشا فيهم السحر والكهانة فبعث الله تعالى اليهم موسى بن ميشا رسولا يدعوهم الى عبادة الله وأداء أمره واقامة سننه وذلك قبل مولد موسى بن عمران بمائتى سنة فاطاعه قوم منهم وعصاه آخرون (وقال) وهب بن منبه وغيره كان مما أوحى الله اليه ان قل لقومك اني بريء ممن سحر او سحر له او تكهن او تكهن له او تطير او تطير له من آمن بي صادقا وتوكل علي فاني كنت له كافيا ومثيبا وكفيته هم دينه ودنياه وكنت له خير معين وهاد وكنت عند ظنه بي ومن عدل عني ووثق بغيري فانا أغنى الشركاء عن الشرك اكله الى من وثق به دوني ومن وكلته الى غيري فليستعد للفتنة والعذاب ومن تباعد عني كنت عنه أشد تباعدا ومن تقرب الي كنت اليه أشد تقربا منه الي وقل لعبادي لا تغفلوا عن ذكري وليكثروا ذكر الموت عند كل شهوة فانه يميت الشهوات واللذات كلها قالوا فلبث فيهم ماشاء الله ان يلبث يقيم أمرهم ويصلح أحوالهم ثم مات صلى الله عليه وسلم وعلى جميع الانبياء والمرسلين والله تعالى أعلم

﴿ مجلس في ذكر بقية عاد وقصة شديد وشداد وصفة ارم ذات العماد ﴾

قال الله تعالى ألم تر كيف فعل ربك بعاد ارم ذات العماد الآية (روى) سفيان عن منصور عن أبي وائل قال ان رجلا يقال له عبد الله بن قلابة خرج في طلب ابل له قد ضلت أي شردت فبينما هو في بعض صحاري عدن في تلك الفلوات اذ وقع على مدينة عليها حصن حول ذلك الحصن قصور عظيمة واعلام طوال فلما دنا منها ظن ان فيها من يسأله عن ابله فلم ير فيها احدا الا داخلا ولا خارجا فنزل عن ناقته وعقلها وسل سيفه ودخل من باب الحصن فاذا هو ببابين عظيمين لم ير في الدنيا أعظم منهما ولا أطول واذا خشبهما من أطيب عود وعليهما نجوم من ياقوت اصفر وياقوت أحمر ضوؤها قد ملأ المكان فلما رأى ذلك أعجبه ففتح أحد البابين فاذا هو بمدينة لم ير الراؤن مثلها قط واذا هو بقصور معلقة تحتها أعمدة من زبرجد وياقوت وفوق كل قصر منها غرف مبنية بالذهب والفضة واللؤلؤ والياقوت والزبرجد على كل باب من ابواب تلك القصور مصراع مثل مصراع باب تلك المدينة من عود رطب قد نضدت عليه اليواقيت وقد فرشت تلك القصور باللؤلؤ وبنادق المسك والزعفران فلما رأى ذلك ولم ير هناك احدا اخذه الفزع ثم انه نظر الى الازقة فاذا في كل زقاق منها اشجار قد اثمرت وتحتها انهار تجري في قنوات من فضة اشد بياضا من الثلج فقال هذه الجنة التي وصفها

في تبيحه فانه يقول ويل لاهل النار من غضب الجبار (واما) سؤالكم عما يقول الفرس في صهيله فانه يقول سبحان حافظي اذا التقت الابطال واشتغلت الرجال بالرجال (واما) سؤالكم عما يقول البعير في رغائه فانه يقول حسبي الله وكفى بالله وكيلا (واما) سؤالكم عما يقول البلبل في تغريده فانه يقول فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون (واما) سؤالكم عما يقول الضفدع في تسبيحه فانه يقول سبحان المعبود في البراري والقفار سبحان الملك الجبار (واما) سؤالكم عما يقول الناقوس في نقيره فانه يقول سبحان الله حقا حقا انظر يا ابن آدم في هذه الدنيا غربا وشرقا ما ترى فيها احدا يبقى (واما) سؤالكم عن قوم اوحى الله اليهم لا من الجن ولا من الانس ولا من الملائكة فهو النحل لقوله تعالى وأوحى ربك الى النحل الآية (وأما) سؤالكم عن الليل اين يكون اذا جاء النهار وعن النهار اين يكون اذا جاء الليل فانهما يكونان في غامض علم الله تعالى ثم قال ابو يزيد هل بقي معكم مسائل غير ذلك فقالوا لا فقال اخبروني عن مفتاح

الله لعباده فى الدنيا والحمد لله الذى أدخلني الجنة ثم انه حمل من لؤلؤها وبنادق المسك والزعفران ولم يستطع ان يقلع من زبرجدها شيئا ولا من يواقيتها لانها كانت مثبتة فى أبوابها وجدرانها وكان اللؤلؤ وبنادق المسك والزعفران منثورة بمنزلة الرمل في تلك القصور والغرف فاخذ منها ما أراد وخرج حتى أتى ناقته فركبها ثم انه سار يقفوا اثر ناقته حتى رجع الى اليمن فاظهر ما كان معه واعلم الناس بامره وباع بعض ذلك اللؤلؤ وكان قد اصفر وتغير لونه من طول الزمان الذي مر عليه ففشا خبره حتى بلغ معاوية بن ابى سفيان فارسل رسولا الى صاحب صنعاء وكتب اليه باشخاصه فاشخص حتى قدم على معاوية فخلا به ثم سأله عما عاين فقص عليه امر المدينة وما رأى فيها فاستعظم ذلك معاوية وانكر ما حدثه به وقال له ما أظن ما تقوله حقا فقال له يا أمير المؤمنين ان معى من متاعها الذي هو مفروش فى قصورها وغرفها فقال له وما هو قال اللؤلؤ وبنادق المسك والزعفران فقال له ارنى اياه فعرض عليه مما حمله من تلك المدينة من اللؤلؤ وبنادق المسك فشم البنادق فلم يجد لها ريحا فامر ببندقة منها فدقت فسطع ريحها مسكا وزعفران فصدقه عند ذلك ثم قال معاوية كيف اصنع حتى اعرف اسم هذه المدينة ولمن هي ومن بناها والله ما أعطي احد مثل ما اعطى سليمان بن داود عليه السلام وما أظن انه كان له مثل هذه المدينة فقال له بعض جلسائه ما كان لسليمان مدينة مثل هذه وما يوجد خبر هذه المدينة فى زماننا هذا الا عند كعب الاحبار فان رأى أمير المؤمنين ان يبعث اليه ويامر باشخاصه ويغيب عنه هذا الرجل فى موضع هنا بحيث يسمع كلامه وحديثه ووصفه للمدينة حتى يتبين أمر هذه المدينة على مثل هذه الصفة فان كعبا سيخبر أمير المؤمنين بخبرها وأمر هذا الرجل ان كان دخلها الان مثل هذه المدينة على مثل هذه الصفة لا يستطيع هذا الرجل دخولها الان يكون قد سبق له في الكتاب دخولها فيعرف ذلك فارسل معاوية الى كعب الاحبار فلما حضر قال له يا ابا اسحق انى دعوتك لامر رجوت ان يكون علمه عندك فقال له يا امير المؤمنين على الخبير سقطت سل عما بدا لك فقال له اخبرنا يا أبا اسحق هل بلغك ان في الدنيا مدينة مبنية بالذهب والفضة وعمدها من زبرجد وياقوت وحصي قصورها وغرفها اللؤلؤ وانهارها فى الازقة تجرى تحت الاشجار فقال كعب والذى نفس كعب بيده لقد ظننت انى سأسأل قبل ان يسالنى احد عن تلك المدينة ومافيها ولكن اخبرك بها يا أمير المؤمنين ولمن هى ومن بناها اما تلك المدينة فهى حق على ما بلغ أمير المؤمنين وعلى ما وصفت له واما الذى بناها فشداد بن عاد واما المدينة فهى ارم ذات العماد التى لم يخلق مثلها فى البلاد فقال له معاوية يا ابا اسحق حدثنا بحديثها يرحمك الله فقال كعب يا أمير المؤمنين ان عادا كان له ابنان سمي احدهما شديدا والاخر شدادا فهلك عاد وبقى ولداه بعده فملكا وتجبرا وقهرا كل البلاد واخذاها عنوة وقهرا حتى دان لهما جميع الناس ولم يبق أحد في زمانهما الا دخل في طاعتهما الا فى شرق الارض ولا فى غربها وانهما لما صفا لهما ذلك وقر قرارهما مات شديد بن عاد وبقى شداد فملك وحده ولم ينازعه احد وكانت له الدنيا كلها وكان مولعا بقراءة الكتب القديمة وكان كلما مر فيها على ذكر الجنة دعته نفسه ان يجعل تلك الصفة لنفسه في الدنيا عتوا على الله تعالى وكفرا فلما وقر ذلك في نفسه أمر بصنعة تلك المدينة التى هي ارم ذات العماد وامر على صنعتها مائة قهرمان مع كل قهرمان الف من الاعوان ثم قال لهم انطلقوا الى اطيب بقعة فى الارض وأوسعها واعملوا لى فيها مدينة من ذهب وفضة وياقوت وزبرجد ولؤلؤ وتحت تلك المدينة أعمدة من زبرجد وياقوت وعلى المدينة قصور ومن فوق القصور غرف واغرسوا تحت القصور غرائس فيها أصناف الثمار كلها واجروا فيها الانهار تحت الاشجار فانى أرى فى الكتب صفة الجنة وانى احب ان اتخذ مثلها فى الدنيا واتعجل سكناها فقالت له قهارمته كيف لنا بالقدرة على ما وصفت لنا من الزبرجد والياقوت واللؤلؤ والذهب والفضه فنبنى منها مدينة كما

الجنة ومفتاح السموات ما هو قال فسكتوا ولم يتكلموا فقال ابو يزيد سألتمونى عن مسائل كثيرة فاجبت عنها وقد سألتكم عن مسئلة واحدة فلم تجيبوا عنها اعجزتم عنها فقالوا نعم ثم التفتوا الى كبيرهم وقالوا او عجزت عن ذلك فقال ما عجزت ولكن أخاف ان لا توافقونى فقالوا بل نوافقك فانك كبيرنا ومهما قلت لنا سمعناه ووافقناك عليه فقال مفتاح الجنة والسموات لا إله إلا الله محمد رسول الله فقالوها واسلموا عن آخرهم وحسن اسلامهم وخرجوا من الدير وخربوه وبنوه مسجدا وقطعوا زنانيرهم فهنالك نودى ابو يزيد شددت من أجلنا زنارا فقطعنا من أجلك خمسمائة زنار (إخوانى) انظروا الى هؤلاء كلهم قد كانوا كفارا في ظلمات العمي فانقذهم الله تعالى من الردى بنور الهدى فكل ذلك ببركة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فانظروا الي كلمة الاخلاص ما أعظم بركاتها وما أنجع حركاتها فرطبوا السنتكم بها لتنالوا بركة احسانها وتظفروا بحلاوة امتنانها وتدخلوا

وصفت لنا فقال لهم شداد ألستم تعلمون ان ملك الدنيا كلها بيدى قالوا بلى قال فانطلقوا الى كل موضع به معدن من معادن الزبرجد والياقوت والذهب والفضة وأى بحر فيه لؤلؤ فوكلوا به من كل قوم رجالا تخرج لكم ما فى كل معدن من تلك الارض ثم انطلقوا الى ما في ايدى الناس من ذلك تخذونه سوي ما يأتيكم به أصحاب المعادن فان معادن الدنيا فيها كثير من ذلك وما فيها مما لا تعلمون أكثر وأعظم مما كلفتم به من صنعة هذه المدينة (قال) فخرجوا من عنده وكتب معهم الى كل ملك في الدنيا كتابا يأمرهم ان يجمع له ما في بلاده من الجواهر وان يحفر معادنها فانطلق هؤلاء القهارمة واعطوا كل ملك من الملوك كتابا بأخذ ما يوجد فى مملكته فبقوا على تلك الحالة عشر سنين حتى جمعوا ما يحتاجونه الى ارم ذات العماد من الزبرجد والياقوت واللؤلؤ والذهب والفضة وأخذوا موضعا كما أراد ووصف لهم فقال معاوية يا أبا اسحق كم عدد أولئك الملوك الذين كانوا تحت يد شداد قال كانوا مائتين وستين ملكا قال فخرج عند ذلك الفعلة والقهارمة فتفرجوا فى الصحاري ليتخذوا ما يوافق غرضه فلم يجدوا ذلك الا في ارض ابين من بلاد عدن فوقعوا بها على صحراء عظيمة نقية من التلال والجبال واذا هم بعيون مطردة فقالوا هذه صفة الارض التى أمرنا بها فاخذوا بقدر ما أمرهم به من العرض والطول ثم جعلوا لها حدودا محدودة ثم عمدوا الى مواضع الازقة التى فيها الماء فاجروا فيها القنوات لتلك الانهار ثم وضعوا الاساس من صخور الجزع اليماني وعجنوا طين ذلك الاساس من دهن البان والحلب فلما فرغوا من وضع الاساس واجروا فيها القنوات ارسل الملوك اليهم الجواهر والذهب والفضة فمنهم من بعث بالعمد مضروبة ومنهم من بعث بالذهب والفضة مصنوعة مفروغا منها فدفعوا كل ذلك الى أولئك القهارمة والوزراء فاقاموا فيها حتى فرغوا من بنائها على ما أراد شداد فقال له معاوية يا أبا اسحق انى لاحسبهم اقاموا في بنائها زمانا من الدهر قال نعم يا أمير المؤمنين انى لاجد في التوراة انهم اقاموا في بنائها ثلثمائة سنة فقال معاوية كم كان عمر شداد صاحبها قال كان عمره سبعمائة سنة فقال له يا أبا اسحق لقد اخبرتنا خبرا عجيبا فحدثنا فقال يا أمير المؤمنين انما سماها الله تعالى ارم ذات العماد من اجل العماد التى تحتها من الزبرجد والياقوت وليس في الدنيا مدينة من الزبرجد والياقوت غيرها فلذلك قال التى لم يخلق مثلها فى البلاد (قال كعب) انهم لما أتوه واخبروه بفراغهم منها قال انطلقوا فاجعلوا عليها حصنا واجعلوا حول الحصن الف قصر عند كل قصر الف علم ويكون فى كل قصر من تلك القصور وزير من وزرائي ويكون كل علم منها عليه ناطور فرجعوا وعملوا تلك القصور والاعلام والحصن ثم انهم اتوه فاخبروه بالفراغ مما أمرهم قال فامر الف وزير من خاصته ان يهيئوا أسبابهم ويعملوا على النقلة الى ارم ذات العماد وأمر رجالا ان يسكنوا تلك الاعلام وان يقيموا فيها ليلهم ونهارهم وأمر لهم بالعطاء والارزاق وأمر الملك من اراد من نسائه وخدمه ان يتجهزوا الى ارم ذات العماد فاقاموا في جهازهم عشرين سنة ثم سار الملك بمن أراد الى ارض ابين وخلف من قومه اكثر مما سار به فلما استقبل وسار اليها ليسكنها وبلغ منها مرحلة وبقي بينه وبين دخولها مسيرة يوم وليلة بعث الله تعالى عليه وعلى كل من كان معه صيحة من السماء فاهلكتهم جميعا ولم يبق أحد منهم ولم يدخل شداد ولا من كان معه ارم ذات العماد ولم يقدر أحد منهم على الدخول فيها حتى الساعة فهذه صفة ارم ذات العماد وانه سيدخلها رجل من المسلمين في زمانك هذا يرى ما فيها فيحدث بما عاين ولا يصدق فقال له معاوية يا أبا اسحق هل تصفه لنا قال نعم هو رجل احمر أشقر قصير على حاجبه خال وعلى عنقه خال يخرج فى طلب ابل له فى تلك الصحاري فيقع على ارم ذات العماد فيدخلها ويحمل مما فيها وكان الرجل جالسا عند معاوية فالتفت كعب فرأي الرجل فقال له هو ذاك الرجل يا أمير المؤمنين قد دخلها فسأله عما حدثت به فقال معاوية يا أبا اسحق ان هذا من خدمي ولم يفارقني قال قد دخلها والى سوف يدخلها وسيدخلها أهل هذا الدين في

اخر

حرم امانها فانها حصن منيع ودرع رفيع وقد قال الله تعالى في كتبه المنزلة اكثروا من قول لا إله إلا الله فانها حصني ومن دخل حصني أمن من عذابى وقال بعض الصحابة من قال لا إله إلا الله مخلصا من قلبه ومدها بالتعظيم غفر الله تعالى له اربعة آلاف ذنب فان لم يكن عليه ذلك يغفر من ذنوب أهله وجيرانه قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما الليل والنهار اربعة وعشرون ساعة وحروف لا إله إلا الله محمد رسول الله اربعة وعشرون حرفا فمن قال لا إله إلا الله محمد رسول الله كفر الله بكل حرف ذنوب ساعة فلا يبقى عليه ذنب فانظروا يا إخواني كيف خص الله هذه الامة بهذه الرحمة فاجعلوا استكثارها شغلكم تفوزوا برضوان ربكم (وعن وهب بن منبه رضى الله تعالى عنه) انه قال لما خلق الله آدم عليه السلام ونفخ فيه من روحه ففتح عينيه فنظر الى باب الجنة فرأي مكتوبا عليه لا إله إلا الله محمد رسول الله فقال يارب وهل خلقت خلقا أعز عليك منى فقال الجليل جل جلاله نعم يا آدم هو نبي من ذريتك ابعثه آخر الزمان بالآيات والبرهان

آخر الزمان فقال معاوية يا أبا اسحق لقد فضلك الله على غيرك من العلماء ولقد اعطيت من علم الاولين والآخرين مالم يعطه أحد فقال يا أمير المؤمنين والذى نفس كعب بيده ما خلق الله في الارض شيأ الا وقد فسره فى التوراة لعبده موسى تفسيرا وان هذا القرآن أشد وعيدا وكفى بالله شهيدا ووكيلا (قال الشعبي) اخبرنا دغفل الشيبانى عن رجل من حضرموت يقال له بسطام انه وقع على حفيرة شداد بن عاد في جبل من جبال حضرموت مطل على البحر قال كنت أصبع فى صباي الى ان اكتهلت بمغارة في جبل من جبالها وان الناس تهيب دخولها فلم أحفل بما كنت اسمع من ذلك فبينما انا فى نادى قومى اذا انشدوا حديث تلك المغارة واطنبوا فى ذكرها ووصفوا موضعها فقلت لقومى انى غير منته عن هذه المغارة حتى ادخلها فهل فيكم من يساعدنى فقال فتى منهم حديث السن انا أصاحبك فقلت يا ابن أخي أتجسر على ذلك قال عندى ما عند رجل من شدة الجاش وقوة القلب فهيأ ناشمعة وحملنا معنا أدوات عظيمة مملوأة ماء وطعاما مقدار ما يقوم بنا ونقدر على حمله ثم مضينا نحو ذلك الجبل الذى فيه المغارة وكان مشرفا على البحر فى المكان الذى يركب منه أهل حضرموت البحر فلما انتهينا الى باب المغارة حزمنا علينا ثيابنا وأشعلنا الشمعة ثم ذكرنا الله تعالى ودخلناها ومعنا تلك الادوات من الماء والطعام فاذا مغارة عظيمة عرضها عشرون ذراعا وطولها علوا نحو خمسين ذراعا فمشينا فيها وهو بنا فى طريق أملس مستو ثم افضينا الى درج عادية عرض الدرجة عشرون ذراعا فى سمك عشرة اذرع فجعلنا نقسنا على نزول تلك الدرجة فقلت لصاحبى هلم الى يدك فكنت آخذ بيده حتى ينزل فاذا نزل وقام فى الدرجة تعلقت بطرف الدرجة وتشبثت حتى يتناول رجلى على منكبه فلم نزل كذلك وذلك دأبنا عامة يومنا حتى نزلناها وكانت مقدار مائة درجة فافضينا الى ازج عظيم محفور فى الجبل فى طول مائة ذراع وعرض اربعين ذراعا وسمكه في السماء قدر مائة ذراع وفى صدره سرير من ذهب منضد بصنوف الجواهر وفوقه رجل عادي عظيم الجسم قد أخذ طول ذلك الازج وعرضه وهو مضطجع على ظهره كهيئة النائم وعليه سبعون حلة بمقدار طوله وعرضه منسوجة تلك الحلل بقضبان الذهب والفضة واذا ذلك الازج يضىء من ثقب عرضه ذراعان وارتفاعه ثلاثة اذرع خارجا الى فضاء لم يدر ما هو واذا على رأس السرير لوح من ذهب عظيم فيه كتابة ما لها مثل وهى كتابة كاتب عاد كتبها فى زمانه محفورة تلك الكتابة في اللوح حفرا فطلعنا ودنونا من ذلك الرجل ومسسنا تلك الحلل فصارت رمادا وبقيت قضبان الذهب قائمة فجمعناها فكانت مقدار مائة رطل فجعلناها فى ازرنا وأرديتنا وأردنا قلع شىء من تلك الجواهر المنضد بها السرير فلم نقدر عليها لوثاقتها فتركناها وهجم علينا الليل ونحن في ذلك الازج وعرفنا ذهاب النهار بذهاب ذلك الضوء الذي كان يدخل من ذلك الثقب فبتنا ليلتنا فى ذلك الازج وطفئت الشمعة التى كانت معنا فلما أصبحنا قلت لصاحبي ما ترى قال أما الرجوع من حيث جئنا فلا سبيل اليه لارتفاع هذه الدرج وأنا لا نستطيع صعودها لا سيما والشمعة قد طفئت ولكن هلم بنا لنزم هذا الضوء الذي نراه في هذا الثقب فانى أرجو ان نخرج منه الى الفضاء ان شاء الله تعالى فقلت له لعمري ان هذا لهو الرأى فنهضنا بما معنا من تلك القضبان التى من الذهب وحملنا معنا ذلك اللوح الذي كان عند رأس السرير وسرنا من ذلك الثقب فلم نزل نمشى في طريق ضيق مقدار مائة ذراع حتى خرجنا منه الى كهف في ذلك الجبل كهيئة الحائط وقد حف بذلك الكهف البحر فجلسنا على باب ذلك الثقب ثلاثة أيام بلياليها نتعون ببقية الماء والطعام الذي كان معنا فلما كان اليوم الرابع نظرنا الى مركب قد أقبل في البحر فلوحنا اليه فنظر الينا اهله فارسلوا الينا القارب فنزلنا من باب ذلك الثقب نزولا شاقا حتى وثبنا الى القارب فلما خرجنا من البحر اقتسمنا ذلك الذهب بيننا وصار ذلك اللوح الى بقسطى ثم ان انفسنا دعتنا الى العود الي ذلك المرب مما يلى الثقب فركبنا قاربا وسرنا فى البحر نحو المكان الذى خرجنا منه فخفى علينا مكانه

فهو خير الانبياء وأمته خير الامم قال فلما خلق الله تعالى حواء ركب فيه الشهوة فقال آدم يارب زوجني بها فقال الله تعالى هات مهرها فقال يارب وما مهرها فقال تصلي على صاحب هذا الاسم مائة مرة وانا ازوجك بها فقال آدم يارب ان فعلت ذلك تزوجنيها فقال الله عز وجل نعم فصلى آدم عليه السلام مائة مرة على النبي صلى الله عليه وسلم فزوجه الله بها (وقال بعض الصوفية رضى الله تعالى عنه) كان لى جار مسرف على نفسه بالمعاصى فلما مات رأيته فى المنام وهو فى دار السلام فقلت له بم نلت هذه المنزلة قال حضرت بمجلس الذكر فسمعت المحدث يروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول انه من صلى على صلاة ورفع بها صوته وجبت له الجنة ثم رفع المحدث صوته بالصلاة ورفعنا أصواتنا وجميع القوم فغفر لنا فى ذلك اليوم (قال) ورأت امرأة ولدها بعد موته يعذب فحزنت على ذلك وبكت ثم رأته بعد ذلك فى النور والرحمة قالت فسألته عن ذلك فقال مر بنا رجل فوقف بوسط المقبرة وصلى على النبي صلى

فعلمنا انالم نرزق منه الاماأخذنا فرجعنا وان اللوح مكث عندى حولا لاأجد احدا يقرؤه لى حتى أتانا رجل من اهل صنعاء حميري كان يحسن قراءة تلك الكتابة فاخرجنا اليه اللوح فقرأه فاذا فيه مكتوب هذه الابيات

اعتبر بى ايها المغرور بالعمر المديد * أنا شداد بن عاد صاحب الحصن العميد
وأخو القوة والبأساء والملك الحشيد * دان اهل الارض طرا لى من خوف وعيد
وملكت الشرق والغرب بسلطان شديد * وبفضل الملك والعدة فيه والعديد
جاءنا هود وكنا في ضلال قبل هود * فدعانا لو قبلنا كان بالامر الرشيد
فعصيناه ونادينا الاهل من محيد * فأتتنا صيحة تهوى من الافق البعيد
فتوافينا كزرع * وسط بيداء حصيد

(قال دغفل) سالت علماء حمير عن شداد وقلت انه اصيب وقد نامن ارم ذات العماد فكيف وجد فى تلك المغارة وهي بحضرموت فقالوا انه لما هلك هو ومن معه من الصيحة على مرحلة تلك المدينة ملك من بعده مزيد بن شداد وقد كان ابوه خلفه على ملكه بحضرموت فامر بحمل ابيه الى حضرموت فحمل مطليا بالصبر والكافور ثم أمر بحفر تلك المغارة فحفرت واستودعه فيها على ذلك السرير الذي من الذهب والله اعلم

(مجلس فى ذكر قصة اصحاب الرس)

قال الله تعالى وعاد وثمود واصحاب الرس اختلف العلماء من أهل التفسير واصحاب الاقاصيص فيهم فقال سعيد بن جبير والكلبي والخليل بن أحمد دخل كلام بعضهم في بعض وكل اخبر بطائفة من حديث اصحاب الرس ان أصحاب الرس بقية ثمود قوم صالح وهم اصحاب البئر التى ذكرها الله تعالى فى كتابه في قوله تعالي وبئر معطلة وقصر مشيد وكانوا بفلج اليمامة نزولا على تلك البئر وكل ركية لم تطو بالحجارة والآجر فهي رس وكان لهم نبي يقال له حنظلة بن صفوان وكان بارضهم جبل يقال له فتج مصعد فى السماء ميلا وكانت العنقاء تبيت به وهي كاعظم مايكون من الطير وفيها من كل لون وسموها العنقاء لطول عنقها وكانت في ذلك الجبل تنقض على الطير فتاكلها فجاعت ذات يوم واعوزها الطير فانقضت على صبي فذهبت به فسميت عنقاء مغرب لانها تغرب عما تاخذه ثم انقضت على جارية حين ترعرعت فاخذتها فضمتها الى جناحين لها صغيرين سوى الجناحين الكبيرين فشكوا ذلك الى نبيهم فقال اللهم خذها واقطع نسلها وسلط عليها آية تذهب بها فاصابتها صاعقة فاحترقت فلم يرلها اثر بعد ذلك فضربت بها العرب مثلا فى أشعارها وحكمها وأمثالها ان اصحاب الرس قتلوا نبيهم فاهلكهم الله تعالى (وقال بعض العلماء) بلغني انه كان رسان أما احدهما فكان اهله اهل بدو وعمود وأصحاب غنم ومواش فبعث الله اليهم نبيا فقتلوه ثم بعث اليهم رسولا آخر وعضده بولى فقتلوا الرسول وجاهدهم الولى حتى افحمهم وكانوا يقولون الهنا في البحر وكانوا على شفيرة وكان يخرج اليهم من البحر شيطان في كل شهر خرجة فيذبحون عنده ويتخذونه عيدا فقال لهم الولى أرأيتم ان خرج الهكم الذى تدعونه وتعبدونه الى واطاعني أتجيبونني الى مادعوتكم اليه قالوا بلى فاعطوه على ذلك العهود والمواثيق فانتظر حتي خرج ذلك الشيطان على صورة حوت راكبا أربعة أحوات وله عنق مستعلية على رأسه مثل التاج فلما نظروا اليه خروا له سجدا فخرج الولى اليه وقال له ائتني طوعا أوكرها بسم الله الكريم فنزل عند ذلك من على اخوته فقال له الولى ائتني راكبا عليهن لئلا يكون القوم من امرهم على شك فاتى الحوت واتت به الحيتان حتي أفضوا به الى البرية يجرونه ويجرهن فلما رأوا ذلك سجدوا به وكذبوه ونقضوا العهود فبعث الله اليهم ريحا فالقتهم فى البحر ومواشيهم جميعا وما كانوا يملكون من ذهب وفضة وآنية فاتى الولى الصالح الى البحر واخذ الذهب والفضة والاوانى فقسمها على اصحابه بالسوية حتى الصغير والكبير وانقطع ذلك

الله عليه وسلم واهدى ثواب صلاته لجميع الاموات فجعل نصيبي من ذلك الرحمة والمغفرة فغفر لى (وقال بعض العارفين رضي الله تعالى عنه صليت ليلة من الليالى صلاة العشاء الاخيرة فلما جلست للتشهد نسيت الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم فرأيته فى المنام وهو يقول باهذا نسيت الصلاة علينا فقلت يارسول الله اشتغلت بالثناء على الله فقال اماعلمت ان الله سبحانه وتعالى لايقبل الثناء عليه الابالصلاة علي أماسمعت قول الله سبحانه وتعالى في كتابه العزيز ياأيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما فقمت من نومي وانشدت شعرا

صلوا على من أنت حقا بشائره
الهاشمى الذى طابت عناصره
هو النبي الذى شاعت رسالته
فى الخلق طرا وقد عمت مآثره
هو الرسول الذي تسمى الملوك له
على رؤس فتاتهم مفاخره
هذا الطبيب لهدى الناس كلهم
يشفي العليل وللمكسور جابره

النسل (وأما لآخر) فانهم قوم كان لهم نهر يدعى الرس ينسبون اليه وكان فيهم انبياء كثيرة لا يقوم فيهم نبي الا قتلوه وذلك النهر بمنقطع اذربيجان بينها و بين ارمينية فاذا قطعته مدبرا دخلت في حد ارمينية واذا قطعته مقبلا دخلت في حد اذربيجان وكان من حولهم من أهل ارمينية يعبدون الاوثان ومن قدامهم من أهل اذربيجان يعبدون النيران وهم كانوا يعبدون الجواري والعذارى فاذا تمت لاحداهن ثلاثون سنة قتلوها واستبدلوا غيرها وكان عرض نهرهم ثلاثة فراسخ وكان يرتفع في كل يوم وليلة حتى يبلغ انصاف الجبال التي حوله وكان لا ينصب في بحر ولا بر فاذا خرج من حدهم يقف و يدور ثم يرجع اليهم فبعث الله تعالى اليهم ثلاثين نبيا في شهر واحد فقتلوهم جميعا فبعث الله تعالى اليهم نبيا وايده بنصره و بعث معه وليا فجاهدهم في الله حق جهاده ثم بعث اليه ميكائيل حين نابذوه وكان في أوان وقوع الحب في الارض وكانوا اعند ذلك أحوج ما يكونون الى الماء فحفر نهرهم في البحر وانصب ما في اسفله وأتى الى عيونه من فوق فسدها وبعث الله اليه خمسمائة من الملائكة اعوانا له ففرقوا ما بقي في وسط نهرهم ثم امر الله جبريل فنزل فلم يدع في ارضهم عينا ولا نهرا الا ايبسه باذن الله تعالى وأمر ملك الموت فانطلق الى المواشي فاماتها دفعة واحدة وامر الرياح الاربع الجنوب والشمال والدبور والصبا فضمت ما كان لهم من متاع والقى الله تعالى عليهم السبات ثم خففت الرياح الاربع بذلك المتاع اجمع فرمته في رؤس الجبال و بطون الاودية وأما ما كان من حلي و تبر وآنية فان الله تعالى امر الارض فابتلعته فاصبحوا لا شاة عندهم ولا بقرة ولا مال يعودون اليه ولا ماء يشربون ولا طعاما يأكلون فآمن بالله عند ذلك قليل منهم وهداهم الله الى غار في جبل له طريق من خلفه فنجوا وكانوا أحدا وعشرين رجلا واربع نسوة وصبيين وكان عدة الباقي من الرجال والنساء والذرارى ستمائة الف ماتوا عطشا وجوعا ولم يبق منهم باقية ثم عاد القوم الى منازلهم فوجدوها قد صار اعلاها أسفلها فدعا القوم عند ذلك مخلصين لله ان يجيئهم بماء وزرع وماشية و يجعله قليلا لئلا يطغوا فاجابهم الله تعالى الى ذلك لما علم من صدق نياتهم واخلاصهم وقالوا انه لا يبعث الله رسولا الى من يليهم و يقاربهم الا اعانوه وصدقوه وعضدوه فعلم الله منهم الصدق فاطلق لهم نهرهم و زادهم على ما سألوه فاقام أولئك القوم في طاعة الله ظاهرا و باطنا حتى مضوا وانقرضوا فحدث من بعدهم من نسلهم قوم اطاعوا الله في الظاهر ونافقوا في الباطن وأملى الله تعالى لهم وكان عليهم قادرا وكانت معاصيهم اكثر من طاعتهم وخالفوا أولياء الله فبعث الله عليهم من قاتلهم وخالفهم فاسرع فيهم القتل و بقيت منهم شرذمة فسلط الله عليهم الطاعون فلم يبق منهم أحد و بقي نهرهم ومنازلهم وما فيها مائتي عام لا يسكنها احد ثم أتى الله بقوم بعد ذلك نزلوها وكانوا صالحين فاقاموا فيها ستين سنة ثم احدثوا فاحشة فجعل الرجل يدعو ابنته واخته وزوجته فيبيت معها جاره واخاه او صديقه يلتمس بذلك البر والصلة ثم ارتفعوا من ذلك الى نوع آخر ترك الرجال النساء حتى شبقن واستغنى الرجال بالرجال فجاءت للنساء شيطانة في صورة امرأة وهي الدلهان بنت ابليس وهي اخت الشيطان وكانا في بيضة واحدة فشهت للنساء ركوب بعضهن بعضا وعلمتهن كيف يصنعن فاصل ركوب النساء بعضهن بعضا من الدلهان فسلط الله تعالى على هؤلاء القوم صاعقة في اول ليلهم وخسفا في آخره وصيحة مع الشمس فلم يبق منهم باقية وبادت منازلهم ولا احسب منازلهم اليوم مسكونة (وروي) على بن الحسين زين العابدين عن أبيه عن جده على بن أبي طالب رضوان الله عليهم ان رجلا من اشراف بني تميم يقال له عمر أتاه فقال يا امير المؤمنين أخبرني عن اصحاب الرس وفي أي عصر كانوا واين كانت منازلهم ومن كان ملكهم وهل بعث الله اليهم رسولا أم لا و بماذا اهلكوا فاني أجد في كتاب الله عز وجل ذكرهم ولا أجد خبرهم فقال له أمير المؤمنين على رضى الله عنه لقد سألتني عن حديث ما سألني عنه أحد قبلك ولا

صلى عليه اله العرش ما طلعت
شمس وماناح فوق الغصن طائره

(وعن سفيان الثوري رضى الله تعالى عنه) انه قال بينما انا أطوف بالبيت اذ رأيت رجلا لا يرفع قدما ولا يضع قدما الا وهو يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم فقلت يا هذا انك تركت التسبيح والتهليل بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم فهل عندك في هذا شيء فقال من انت عافاك الله فقلت سفيان الثوري فقال لولا انك عارف اهل زمانك لما اطلعتك على حالي واخبرتك بامري ثم قال خرجت من بلدي انا و والدي حاجين الى بيت الله الحرام وزيارة النبي عليه افضل الصلاة والسلام فبينما نحن في بعض المنازل اذ مرض والدي مرضا شديدا فمكثت لاعالجه فبينما انا عند رأسه اذ هو قد مات واسود وجهه فقال خللت ازراري وغطيت به وجهه وحصل عندي غم عظيم وحل بي خطب جسيم حيث مات على تلك الحالة في بلاد الغربة ولا يمكنني اخفاء تلك الحال عن الناس وصرت مفكرا في امري لا ادري ما اصنع

يحدثك به أحد بعدي كان من قصتهم يا أخا تميم انهم كانوا قوما يعبدون شجرة صنوبر يقال لها شاب درخت وكان يافث بن نوح غرسها على شفير عين يقال لها دوسان كانت نبعت لنوح عليه السلام بعد الطوفان وانما سموا أصحاب الرس لانهم دسوا نبيهم فى الارض وذلك قبل سليمان بن داود عليهما السلام وكان لهم اثنتا عشرة قرية على شاطئ نهر يقال له الرس من بلاد المشرق وبهم سمى ذلك النهر ولم يكن يومئذ فى الارض نهر أغزر منه ولا أعذب منه ولا قرى أكثر سكانا وعمرانا منها وكان اعظم منازلهم اسفنديا وهى التى كانت ينزلها ملكهم وكان يسمى تركون بن عابور بن نوش بن سارب بن النمروذ بن كنعان فرعون ابراهيم عليه السلام وفيها العين التى يسقون منها الصنوبرة التى كانوا يعبدونها وقد غرسوا فى كل قرية منها حبة من طلع تلك الصنوبرة فتنبت تلك الحبة وتصير شجرة عظيمة ثم حرموا ماء تلك العين والانهار فلا يشربون منها لا هم ولا أنعامهم ومن فعل ذلك قتلوه ويقولون هى حياة آلهتنا فلا ينبغى لاحد ان ينقص من حياتها ويشربون هم وأنعامهم من نهر الرس الذى عليه قراهم وقد جعلوا فى كل شهر من السنة فى كل قرية عيدا يجتمع اليه أهلها ويضربون على تلك الشجرة مظلة من الحرير فيها أصناف الصور ثم يأتون بشياه وبقر فيذبحونها قربانا للشجرة ويشعلون فيها النيران بالحطب الكثير فاذا سطع دخان تلك الذبائح وقتارها وبخارها فى الهواء وحال بينهم وبين النظر للسماء خروا سجدا للشجرة يبكون ويتضرعون اليها ان ترضى عنهم وكان الشيطان يجىء فيحرك أغصانها ويصيح فى ساقها صياح الصبى عبادى قد رضيت عنكم فطيبوا نفسا وقروا عينا فيرفعون عند ذلك رؤسهم ويشربون الخمر ويضربون المعازف فيكونون على ذلك يومهم وليلتهم ثم ينصرفون حتى اذا كان عيد قريتهم العظمى اجتمع اليه صغيرهم وكبيرهم فيضربون عند شجرة الصنوبر والعين سرادقا من ديباج وعليه أنواع الصور له اثنا عشر بابا كل باب لاهل قرية منهم فيسجدون للصنوبرة من خارج السرادق ويقربون اليه الذبائح أضعاف ما قربوا للشجرة التى فى قراهم فيجىء ابليس عند ذلك فيحرك الصنوبرة تحريكا شديدا ويتكلم من جوفها كلاما جهورا يايعدهم ويمنيهم باكثر مما وعدتهم الشياطين جميعا فيرفعون رؤسهم من السجود وهم من الفرح والسرور ما لا يفيقون ولا يتكلمون معه فيديمون الشرب والمعازف ويكونون على ذلك اثنا عشر يوما وليلة بعدد أعيادهم فى السنة ثم انهم ينصرفون فلما طال كفرهم بالله تعالى وعبادتهم غيره بعث الله اليهم نبيا من بنى اسرائيل من ولد يهوذا بن يعقوب فلبث فيهم زمانا طويلا يدعوهم الى الله تعالى ويعرفهم بربوبيته فلا يتبعونه ولا يسمعون مقالته فلما رأى شدة ما هم فيه من الغى والضلالة وتركهم قبول ما دعاهم اليه من الرشد والصلاح حضر عند قريتهم العظمى وقال يارب ان عبادك أبوا تصديقى ودعوتى اليهم وما أرادوا الا تكذيبى والكفر بك ثم غدوا يعبدون شجرة لا تنفع ولا تضر فايبس شجرهم أجمع وارهم قدرتك وسلطانك فاصبح القوم وقد يبس شجرهم كله فهالهم ذلك وخضعوا فصاروا فرقتين فرقة قالوا اسحر هذا الرجل الذى زعم انه رسول رب السماء آلهتكم ليصرف وجوهكم عنها الى الهه وفرقة قالت بل غضبت عليكم آلهتكم حين رأت هذا الرجل يعيبها ويقع فيها ويدعوكم الى عبادة غيرها فحجبت حسنها وبهاءها وجمالها لكى تغضبوا لها فتنتصروا منه فاجمعوا امرهم على قتله فاتخذوا مثل بيت واتخذوا أنابيب طوالا من رصاص واسعة الافواه ثم انهم أرسلوها الى قرار العين واحدة فوق الاخرى مثل البرابخ ونزحوا ما فيها من الماء ثم حفروا فى قعرها بئرا ضيقة العين عميقة فرسوا فيها نبيهم والقوا على فيها صخرة عظيمة ثم أخرجوا الانابيب من الماء وقالوا الآن نرجوا ان ترضى عنا آلهتنا اذا رأت انا قتلنا من يقع فيها ويصد عن عبادتها وانا دفناه تحت كبيرها يتشفى فيه فيعود لها نورها ونضرتها كما كان فبقوا على ذلك عامة يومهم

ويسمعون

فبينما انا كذلك اذ غلبنى النوم فنمت فاذا انا برجل لم أر احسن منه وجها ولا أنظف منه ثيابا ولا اطيب منه رائحة وهو يرفع قدما ويضع قدما حتى دنا من والدى ثم كشف الازار عن وجهه وامر بيده عليه فعاد ابيض يلوح منه نور ثم ولى راجعا فتعلقت بثوبه وقلت من انت الذى من الله على والدى بك فى هذه البرية قال فتبسم وقال انا محمد رسول الله صاحب القرآن كان والدك مسرفا على نفسه وكان يكثر الصلاة على فلما نزل به ما نزل استغاث بى فاغثته وانا غياث من اكثر الصلاة على فانتبهت فرأيت وجه أبى أبيض يلوح منه نور ساطع (اخوانى) اكثروا من الصلاة على هذا النبى الكريم فان الصلاة عليه تكفر الذنب العظيم وتهدى الى صراط مستقيم وتقى قائلها من عذاب الجحيم ويحظى بالجنة دار النعيم (وعن عبد الرحمن بن جعفر) رحمه الله تعالى انه قال كنت بالبصرة اصلى الخمس فى مسجد بجوارى وكان ذلك المسجد يعرف بالخشابين وكان فيه امام مغربى يدعى بابى سعيد وكان رجلا مشهورا بالخير والصلاح وكان يتكلم فى

ويسمعون انين نبيهم وهو يقول سيدي ومولاي ترى ضيق مكاني وشدة كربي فارحم ضعف ركني وقلة حيلتي وعجل قبض روحي ولا تؤخرا جابة دعوتي حتى مات عليه السلام فقال الله تعالى لجبريل عليه السلام انظر عبادي هؤلاء الذي غرهم حلمي وأمنوا مكري وعبدوا غيري وقتلوا رسلي وأنا المنتقم ممن عصاني ولم يخش عقابي وانى حلفت بعزتي لاجعلنهم عبرة ونكالا للعالمين فبينما هم في عيدهم اذ غشيتهم ريح عاصف حمراء فتحيروا فيها وذعروا منها وتضام بعضهم الى بعض ثم ان الارض صارت من تحتهم كحجر كبريت تتوقد واظلتهم سحابة سوداء فالقت عليهم حجرا كالقبة يلتهب فاذاب ابدانهم كما يذوب الرصاص في النار فنعوذ بالله من غضبه ودرك نقمته انه هو السميع العليم ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا والله اعلم

(مجلس في ذكر قصة نبي الله أيوب وبلائه عليه السلام)

قال الله تعالى واذكر عبدنا أيوب اذ نادى ربه الآية وقال تعالى وأيوب اذ نادي ربه اني مسني الضر وأنت ارحم الراحمين قال وهب وكعب وغيرهما من اهل الكتب كان ايوب رجلا من الروم وكان رجلا طويلا عظيم الرأس جعد الشعر حسن العينين والخلق قصير العنق غليظ الساقين والساعدين وكان مكتوبا على جبهته المبتلى الصابر وهو ايوب بن أموص بن تارخ بن روم بن عيص ابن اسحق بن ابراهيم عليهم السلام وكانت أمه من ولد لوط بن هاران وكان الله قد اصطفاه ونباه وبسط عليه الدنيا وكان له الثنية من أرض الشام كلها سهلها وجبلها وما كان فيها وكان له من أصناف المال كله من الابل والبقر والغنم والخيل والحمير مالا يكون لرجل أفضل منه في العدة والكثرة وكان له بها خمسمائة فدان يتبعها خمسمائة عبد لكل عبد امرأة وولد ومال ويحمل آلة كل فدان أتان ولكل أتان ولد من الاثنين الى فوق الخمسة وكان الله أعطاه أهلا وولدا من رجال ونساء وكان امرأ تقيا رحيما بالمساكين يكفل الارامل والايتام ويكرم الضيف ويبلغ ابن السبيل وكان شاكرا لانعم الله تعالى مؤديا لحقه قد امتنع من عدو الله ابليس أن يصيب منه ما أصاب من أهل الغني من الغرة والغفلة والتشاغل والسهو عن أمر الله تعالى بما هو فيه من الدنيا وكان معه ثلاثة قد آمنوا به وصدقوه وعرفوا فضله رجل من أهل اليمن يقال له اليفن ورجلان من أهل بلاده يقال لاحدهما مالك وللآخر ظافر وكانوا كهولا (قال وهب) ان لجبريل عليه السلام بين يدي الله مقاما ليس لاحد من الملائكة مثله في القربة والفضيلة وان جبريل هو الذي يتلقى الكلام فاذا ذكر الله تعالى عبدا بخير تلقاه جبريل ثم ميكائيل ثم من حوله من الملائكة المقربين والحافين من حول العرش فاذا شاع ذلك في الملائكة المقربين صارت الصلاة على ذلك العبد من أهل السموات فاذا صلت عليه ملائكة السموات هبط عليه بالصلاة الى ملائكة الارض وكان ابليس لا يحجب عن شيء من السموات وكان يقف فيهن حيثما أراد ومن هناك وصل الى آدم حين اخرجه من الجنة فلم يزل على ذلك يصعد الى السماء حتى رفع الله تعالى عيسى عليه السلام فحجب عن أربع وكان يقعد في ثلاث فلما بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم حجب عن الثلاثة الباقية فهو وجنوده محجوب عن جميع السموات الى يوم القيامة الا من استرق السمع فاتبعه شهاب مبين قال فسمع ابليس تجاوب الملائكة بالصلاة على أيوب وذلك حين ذكره الله وأثنى عليه فادركه البغي والحسد وصعد سريعا حتى صعد في السماء موقفا كان يقفه فقال يا الهي نظرت في أمر عبدك أيوب فوجدته عبدا أنعمت عليه فشكرك وعافيته فحمدك ثم لم تختبره لا بشدة ولا بلاء وأنا لك زعيم لئن ضربته ببلاء ليكفرن بك ولينسينك فقال الله تعالى انطلق اليه فقد سلطتك على ماله فانقض عدو الله حتى بلغ الارض ثم جمع عفاريت

المسجد بعد صلاة الصبح بكلام لا يفهمه احد فخرجت في بعض السنين حاجا الى بيت الله الحرام وكانت سنة شديدة الحر فكنت اسبق الركب حتى يلحقني رفاقي فنمت ليلة من الليالي على عادتي وكنت عادلا عن الطريق فسار الركب ولم يشعر بي فصرت نائما حتى طلعت الشمس وانتبهت وانا لا ادري كيف الطريق فرفعت طرفي الى السماء وقلت الهي وسيدي الى ههنا حملتني وعن بيتك قطعتني فما يضرك لو وصلتني ثم سرت حتى عييت من المسير وقوي على حر الهجير فايست من الحياة وانطرحت على كثيب من رمل انتظر الموت فبينما انا كذلك اذا شخص يناديني باسمي فقمت ونظرت فاذا هو الشيخ ابو سعيد قال فسلمت عليه فرد السلام علي ثم ناولني رغيفا سخنا فاكلته فاستدرهقني ثم ناولني ركوة فيها ماء احلى من الشهد وابرد من الثلج وابيض من اللبن فشربت منها وغسلت وجهي فعادت روحي ثم قال اتبعني يا عبد الرحمن ففرحت بذلك فقال البث ههنا فالركب يأتيك بعد ثلاثة ايام ثم ناولني رغيفا

الشياطين وعظماءهم فقال لهم ماذا عندكم من القوة والمعرفة فانى قد سلطت على مال أيوب وزوال المال هو المصيبة الفادحة والفتنة التى لا تصبر عليها الرجال فقال عفريت من الشياطين أعطيت من القوة ما لو شئت تحولت أعصارا من نار فاحرقت كل شىء آتى عليه فقال له ابليس فأت الابل فاحرقها ورعاتها فانطلق يؤم الابل وذلك حين وضعت رؤسها وثبتت فى مراعيها فما تشعر الناس حتى ثارت من تحت الارض أعصار من نار تنفخ فيه رياح السموم لا يدنو منها أحد الا احترق فلم يزل يحرقها ورعاتها حتى أتى على آخرها فلما فرغ منها تمثل ابليس على قعود منها فى صفة راعيها ثم انطلق يؤم أيوب حتى وجده قائما يصلي فقال له يا أيوب قال لبيك فقال هل تدرى ما الذى صنع ربك الذى اخترته وعبدته بابلك ورعاتها فقال أيوب انها ماله أعارنيها وهو أولى بها ان شاء تركها وان شاء أخذها وقد تحققت وطيبت النفس انى ومالي للفناء والزوال فقال له ابليس فان ربك أرسل اليها نارا من السماء فاحترقت كلها وبقى الناس مبهوتين وقوفا عليها يتعجبون منها فمنهم من يقول ما كان أيوب يعبد شيأ وما كان الا فى غرور ومنهم من يقول لو كان اله أيوب يقدر على أن يصنع شيأ لمنع وليه من حريق مواشيه ومنهم من يقول بل هو الذى فعل ما فعل فشمت به عدوه وفجع به صديقه فقال أيوب الحمد لله الذى أعطانى وحيث شاء نزع منى عريانا خرجت من بطن أمي وعريانا أعود الى القبر وعريانا أحشر الى ربى ليس ينبغي لك أن تفرح حين أعارك الله وتجزع حين قبض عاريته فهو أولى بك وبما أعطاك ولو علم الله فيك أيها العبد خيرا لنقل روحك مع تلك الارواح وصيرك شهيدا مع الشهداء ولكنه علم فيك شرا فاخرك وخلصك من البلاء كما يخلص الزوان من القمح الخالص فرجع ابليس الى أصحابه خائبا ذليلا وقال لهم ماذا عندكم من القوة انى لم أكلم قلبه فقال عفريت من عظمائهم عندى من القوة ما لو شئت صحت صوتا لا يسمعه ذو روح الا خرجت مهجة نفسه فقال له ابليس فأت الغنم ورعاتها فانطلق يؤم الغنم ورعاتها حتى اذا توسطها صاح صوتا ماتت منه الغنم جميعا وماتت رعاتها ثم ان ابليس خرج متمثلا بقهرمان الرعاة حتى جاء الى أيوب وهو قائم يصلي فقال له مثل قوله الاول ورد عليه أيوب مثل ما قال فى النوبة الاولى ثم ان ابليس رجع الى أصحابه فقال ماذا عندكم من القوة فانى لم أكلم قلب أيوب فقال عفريت من عظمائهم عندى من القوة ما اذا شئت تحولت ريحا عاصفا تنشف كل شىء تأتى عليه حتى لا يبقى منه شىء فقال له ابليس فأت الفدادين والحراث فانطلق يؤمهم حتى قرب من الفدادين واستوى فى الحرث وأولادهم رتوع فلم يشعروا حتى هبت ريح عاصف فنشفت كل شىء من ذلك حتى كأنه لم يكن ثم ان ابليس خرج متمثلا بقهرمان الحرث حتى جاء الى أيوب وهو قائم يصلي فقال له مثل قوله الاول فأجابه أيوب بمثل جوابه الاول فجعل ابليس يصيب ماله الاول فالاول حتى أتى على آخره (قال) وأيوب كلما انتهى اليه هلاك مال من ماله حمد الله وأحسن الثناء عليه ورضي بالقضاء ووطن نفسه بالصبر على البلاء حتى ما بقى له مال فلما رأى ابليس انه قد أفنى ماله ولم ينل منه شيأ ولا نجح فى شىء من أعماله شق عليه ذلك وصعد سريعا ووقف الموقف الذى كان يقفه وقال الهى ان أيوب يرى انك مهما متعته من نفسه وولده فانت معطيه المال فهل أنت مسلطي على ولده فانها الفتنة المضلة والمصيبة التى لا تقوم لها قلوب الرجال ولا يقوى عليها صبرهم فقال الله تعالى له انطلق فقد سلطتك على ولده فانقض عدو الله حتى جاء بني نبي الله أيوب وهم فى قصرهم فلم يزل يزلزله حتى تداعى القصر من قواعده ثم جعل يناطح جدره بعضها ببعض فرماهم بالخشب والجندل حتى مثل بهم كل مثلة ثم رفع بهم القصر وقلبه فصاروا منكسين ثم ان ابليس انطلق الى أيوب متمثلا بالمعلم الذى كان يعلمهم الحكمة وهو جريح مشدوخ الرأس والوجه يسيل دمه من

دماغه

ومضى فكنت كلما أكلت من ذلك الرغيف لقمة شبعت فأقام الرغيف عندى ثلاثة أيام الى ان جاء الركب واجتمعت برفاقي فلما وقفنا بعرفة رأيت الشيخ وهو واقف عند الصخرات مشغول بالدعاء فلما فرغ سلمت عليه فرد على السلام وقال الك حاجة يا عبد الرحمن فقلت يا سيدي اريد دعاءك فدعا لى ثم نزلنا من الجبل ولم اره بعد ذلك فلما قضيت الحج وسرت الى البصرة اتيت الى مسجده لانظره فلما نظرته قام الي وسلم علي وصافحني وعصر على يدي ففهمت منه ان اكتم سرك قال فلما اقيمت الصلاة وفرغنا سالت المؤذن عن غيبة الشيخ في ايام الحج عن المسجد فحلف المؤذن ان الشيخ اباسعيد لم يكن قطع الصلوات الخمس في المسجد ابدا ولا ساعة واحدة قال عبد الرحمن فعلمت انه من الخواص الابدال السادة الرجال اعاد الله علينا من بركاتهم وصالح دعواتهم فى الدنيا والآخرة آمين

(وعن عبد الصمد البغدادى رضي الله تعالى عنه انه قال كنت اتجر من بغداد الى بلاد اليمن واحج في كل سنة فبينما انا

دماغه فاخبره بذلك وقال له يا أيوب لو رأيت بنيك كيف عذبوا وكيف قلب بهم القصر وكيف نكسوا على رؤسهم تسيل دماؤهم وأدمغتهم من أنوفهم وشفاههم ولو رأيت كيف شقت بطونهم فتناثرت أمعاؤهم لتقطع قلبك فلم يزل يقول هذا ويردده حتى رق أيوب لذلك وبكى وقبض قبضة من التراب فاغتنم ابليس الفرصة منه لذلك فصعد سريعا بالذى كان من جزع أيوب مسرورا ثم لم يلبث أيوب أن أبصر فاستغفر وشكر فصعد قرناؤه من الملائكة باستغفاره وتوبته فبدروا ابليس وسبقوه الى الله والله أعلم بما كان فوقف ابليس خاسئا ذليلا فقال يا الهي انما هون على أيوب خطر المال والولد انه يرى انك مهما متعته بنفسه فانت تعيد له المال والولد فهل أنت مسلطي على نفسه وبدنه فانى لك زعيم لئن ابتليته فى جسده لينسينك وليكفرن بك وليجحدن نعمتك فقال الله تعالى انطلق فقد سلطتك على جميع جسده ولكن ليس لك سلطان على لسانه وقلبه ولا على عقله وكان والله أعلم به انه لم يسلطه عليه الا رحمة ليعظم له الثواب ويجعله عبرة للصابرين وذكرى للعابدين فى كل بلاء نزل بهم ليتأسوا به فى الصبر ورجاء الثواب فانقض عدو الله سريعا فوجد أيوب ساجدا فعجل ان يرفع رأسه اتاه من قبل الارض فى موضع وجهه ونفخ فى منخريه نفخة اشتعل منها جسده فذهل وخرج به من فوقه الى قدمه ثآليل مثل اليات الغنم ووقعت فيه حكة لا يملكها ولا يتمالك عن حكها فحك باظفاره حتى سقطت كلها ثم حكها بالمسوح الخشنة حتى قطعها ثم بالفخار والحجارة الخشنة فلم يزل يحكها حتى نزل لحمه وتقطع وتغير وانتن فاخرجه اهل القرية فجعلوه على كناسة وجعلوا له عريشا فرفضه خلق الله كلهم غير امرأته رحمة بنت افرائيم بن يوسف بن يعقوب عليهم السلام وكانت تختلف اليه بما يصلحه وتكرمه فلما رأى أصحابه الثلاثة ما ابتلاه الله به اتهموه ورفضوه من غير أن يتركوا دينه فلما طال به البلاء انطلقوا اليه وهو فى بلائه فبكتوه ولاموه وقالوا له تب الى الله من الذنب الذى عوقبت به (قال) وكان حضر معهم فتى حديث السن وكان قد آمن به وصدقه فقال انكم تكلمتم أيها الكهول وكنتم أحق بالكلام لاسنانكم ولكنكم قد تركتم من القول أحسن من الذى قلتم ومن الرأى اصوب رأيتم ومن الامر اجمل من الذى أتيتم وقد كان لايوب عليكم من الحق والذمام أفضل من الذى وصفتم فهل تدرون ايها الكهول حق من انتقصتم وحرمة من انتهكتم ومن الرجل الذى عبتم واتهمتم ألم تعلموا ان ايوب نبي الله وحبيبه وخيرته وصفوته من اهل الارض فى يومكم هذا ثم انكم لم تعلموا ولا أطلعكم الله تعالى على انه سخط شيأ من امره منذ آتاه ما آتاه الى يومكم هذا ولا علمتم انه نزع منه شيأ من الكرامة التى اكرمه الله بها ولا ان ايوب غير الحق فى طول ما صحبتموه الى يومكم هذا فان كان البلاء هو الذى ازرى به عندكم ووضعه فى أنفسكم فقد علمتم ان الله تعالى يبتلي النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ثم ان بلاءهم ليس دليلا على سخطه عليهم ولا هوانهم عليه ولكنه كرامة وخيرة لهم ولو كان ايوب ليس هو من الله بهذه المنزلة الا انكم آخيتموه على وجه الصحبة لكان لا يجمل بالحكيم ان يعذل أخاه عند البلاء ولا يعيره بالمصيبة ولا يعيبه بما لا يعلم وهو مكروب حزين ولكنه يرحمه ويبكى معه ويستغفر الله له ويحزن لحزنه ويدله على رشد امره وليس بحكيم ولا رشيد من جهل هذا فالله الله أيها الكهول فقد كان لكم فى عظم الله وجلاله وذكر الموت ما يقطع ألسنتكم ويكسر قلوبكم ألم تعلموا ان لله عبادا أسكتتهم خشيته من غير عى ولا بكم وانهم لهم الفصحاء النبلاء البلغاء الالباء العالمون بالله وآياته ولكنهم اذ ذكروا عظمة الله انقطعت ألسنتهم واقشعرت جلودهم وانكسرت قلوبهم وطاشت عقولهم اعظاما لله تعالى واعزازا واجلالا فاذا استفاقوا استبقوا الى الله تعالى بالاعمال الزاكية الصالحة يعدون انفسهم مع الخاطئين الظالمين وانهم برآء ويعدون انفسهم مع المفرطين المقصرين وانهم لاكياس أقوياء ولكنهم لا يستكثرون لله الكثير ولا يرضون له بالقليل ولا يدلون عليه

في بعض السنين فى الطريق بين منى وعرفة اذ رايت شابا حسن الشباب نقى الاثواب كان على وجهه قنديلا من نور وهو راقد على الرمل وتحت راسه حجر وهو يعالج سكرات الموت قال فتقدمت اليه وسلمت عليه فرد على السلام فقلت الك حاجة ايها الشاب فقال نعم تقيم عندى ساعة حتي اقضي نحبي والحق بربى فقلت ما الذي تريد قال اذا انا مت فوارنى فى التراب وخذ هذه المضدة ورح الى صنعاء اليمن واسأل عن الدرب الفلانى وقل لاهلى عثمان يقرئكن السلام ثم غاب عن الكلام ساعة طويلة حتي حسبت انه مات ثم افاق بعد ذلك وهو يقرا هذه الآية هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون ثم شهق شهقة فارق الدنيا رحمة الله تعالى عليه قال عبد الصمد فغسلته وكفنته ووجهه يضئ ويتلألأ ثم صليت عليه فى جماعة ثم دفناه واخذت المضدة معى فلما وصلت الى صنعاء اليمن سألت عن الدرب فارشدت اليه فخرجت الى عجوز وبنات فوقفت البهن تلك الوديعة فلما راوها جدوا فى البكاء والنحيب ثم خرت العجوز مغشيا عليها فلما افاقت قالت ان

بالاعمال فهم مروعون مفزعون خاشعون مستكينون فقال ايوب ان الله تعالى يزرع الحكمة بالرحمة في قلب المؤمن الكبير والصغير فمتى نبتت في القلب اظهرها الله تعالى على اللسان وليس تكون الحكمة من قبل السن والشيب ولا طول التجربة فاذا جعل الله العبد حكيما في الصبا لم تسقط منزلته عند الحكماء وهم يرون من الله تعالى نور الكرامة ثم ان ايوب اقبل على الثلاثة وقال أتيتموني غضابا رهبتم قبل ان تسترهبوا وبكيتم قبل ان تضربوا كيف بكم لو قلت لكم تصدقوا عني باموالكم لعل الله يخلصني وقربوا عني قربانا لعل الله يتقبلها ويرضى عني وانكم قد اعجبتكم انفسكم وظننتم انكم قد عوفيتم باحسانكم فهنالك بغيتم وتعززتم ولو نظرتم فيما بينكم وبين ربكم ثم صدقتم لوجدتم لكم عيوبا سترها الله عليكم بالعافية التي البسكم اياها وقد كنت فيما خلا الرجال توقرني وانا مسموع كلامي معروف حقي منتصف من خصمي فاصبحت اليوم وليس لي رأى ولا كلام معكم فانتم اليوم اشد علي من مصيبتي ثم انه اعرض عنهم واقبل على ربه مستغيثا متضرعا اليه فقال رب لاي شيء خلقتني ليتني اذ كرهتني ما خلقتني ياليتني كنت حيضة ألقتني امي او ليتني قد عرفت الذنب الذي اذنبت والعمل الذي عملت فصرفت وجهك الكريم عني لو كنت امتني والحقتني بآبائي فالموت كان اجمل لي يا الهي ألم اكن للغريب دارا وللمسكين قرارا ولليتيم وليا وللارملة قيما الهي انا عبد ذليل ان احسنت فالمن لك وان اسأت فبيدك عقوبتي جعلتني للبلاء غرضا وللفتنة نصبا لقد وقع علي بلاء لو سلطته على جبل لضعف عن حمله فكيف يحمله ضعفي الهي تقطعت اصابعي فاني لارفع الاكلة من الطعام الا بيدي جميعا فما يبلغان فمي الا على الجهد مني الهي تساقطت لهواتي ولحم رأسي فما بين اذني من سداد بل احداهما ترى من الاخرى وان دماغي ليسيل من فمي الهي تساقط شعر عيني كانما احرق بالنار وجهي وحدقتاي متدليتان على خدي وورم لساني حتى ملأ فمي فما ادخل فيه طعاما الا غصني وورمت شفتاي حتى غطت العليا انفي والسفلى ذقني وتقطعت امعائي في بطني واني لادخل الطعام فيخرج كما دخل ما احسه ولا ينفعني وذهبت قوة رجلي فكانهما قد يبستا ولا اطيق حملهما وذهب المال فصرت اسأل بكفي ويطعمني من كنت اعوله اللقمة الواحدة فيمن بها علي ويعيرني الهي هلك اولادي ولو بقي واحد منهم اعانني على بلائي ونفعني قد ملني اهلي وعقني ارحامي وتنكرت لي معارفي ورغب عني صديقي وقطعني اصحابي وجحدت حقوقي ونسيت صنائعي اصرخ فلا يصرخونني واعتذر فلا يعذرونني دعوت غلامي فلم يجبني وتضرعت لامتي فلم ترحمني وان قضاءك هو الذي اذلني وادناني واهانني واقامني وان سلطانك هو الذي اسقمني وانحل جسمي ولو ان ربي نزع الهيبة التي في صدري فاطلق لساني لاتكلم بملء فمي ولو كان ينبغي للعبد ان يحاج عن نفسه لرجوت ان يعافيني عند ذلك مما بي ولكنه القاني وتخلى عني فهو يراني ولا اراه ويسمعني ولا اسمعه ولا نظر الي فرحمني ولا دنا مني ولا ادناني فاتكلم ببراءتي واخاصم عن نفسي فلما قال ذلك ايوب واصحابه عنده اظلته غمامة حتى ظن اصحابه انه عذاب ثم نودي يا ايوب ان الله تعالى يقول لك ها انا قد دنوت منك فلم ازل منك قريبا فقم فادل بعذرك وتكلم ببراءتك وخاصم عن نفسك واشدد عليك ازارك وقم مقام جبار فانه لا ينبغي ان يخاصمني الا جبار مثلي ولا ينبغي ان يخاصمني الا من يجعل الزمام في فم الاسد والسخال في فم العنقاء واللجم في فم التنين ويكيل مكيالا من النور ويزن مثقالا من الريح ويصر صرة من الشمس ويرد امس لقد منتك نفسك امرا ما يبلغ بمثل قوتك ولو كنت اذ منتك نفسك ذلك ودعتك اليه تذكرت اي مرام رامت بك أأردت ان تكاثرني بضعفك ام اردت ان تخاصمني بعيك ام اردت ان تحاججني بخطئك اين كنت مني يوم خلقت الارض فوضعتها على اساسها هل علمت باي مقدار قدرتها ام كنت معي تمر باطرافها ام تعلم ما بعد زواياها ام على اي

صاحب هذه المعضدة فاخبرتها بخبره فقالت هو والله ولدي عثمان وهؤلاء اخواته ترك اهله وحشمه وخدمه وزهد في الدنيا وخرج سائحا على وجهه لا ندري اين ذهب فجزاك الله عن ولدي خيرا الهي ان كنت لا ترحم الا المجتهدين فمن للمقصرين وان كنت لا تقبل الا من المخلصين فمن للمسيئين وان كنت لا تقبل الا الطائعين فمن للعاصين وان كنت لا ترحم الا المحسنين فمن للخاطئين انت اكرم الاكرمين وارحم الراحمين (وعن ابي الاشهل السائح رحمه الله تعالى ونفعنا به) قال رايت غلاما بطريق مكة وهو قائم يصلي عند بعض الاميال قد انقطع عن القافلة فوقفت انظر اليه فاطال صلاته فلما سلم قلت له سلام عليك فقال وعليك السلام فقلت له انك قد انقطعت عن الركب الا لك رفيق يؤنسك حتى تلحقه فبكى وقال نعم فقلت واين هو فقال امامي وخلفي وعن يميني وعن شمالي فعلمت انه عارف فقلت له امعك زاد فقال نعم فقلت واين هو فقال في قلبي الاخلاص لربي فقلت له فهل لك في مرافقتي فقال الرفيق يشغل عن ذكر الله ولا

شيء وضعت اكنافها بطاعتك حمل الماء الارض ام بحكمتك كانت الارض على الماء غطاء أين كنت
مني يوم رفعت السماء سقفا في الهواء لا بمعاليق تمسكها ولا تحملها دعائم من تحتها هل يبلغ من حكمتك أن تجري
وتسير نجومها ام هل بامرك يختلف ليلها ونهارها اين كنت مني يوم سجرت البحار وانبعت الانهار
اقدرتك حبست امواج البحار على حدودها ام قدرتك فتحت الارحام حين بلغت مدتها أين أنت
مني يوم صببت الماء على التراب ونصبت شوامخ الجبال هل لك ان تطيق حملها ام كنت تدري كم مثقال
ما فيها اين الماء الذي انزلته من السماء هل تدرى كم بلدة أهلكتها وكم من قطرة احصيتها وقسمت
الارزاق ام قدرتك تثير السحاب وتنثر الماء هل تدرى ما اصوات الرعد ام من اى شيء لهب البرق
وهل رأيت عمق البحر ام هل تدري ما بعد الهواء ام هل تدري أين خزانة النهار بالليل واين طريق
النور وباى لغة تتكلم الاشجار أين خزانة الريح واين جبال البرد ام هل تدري من جعل العقول في
أجواف الرجال ومن شق الاسماع والابصار ومن ذلت الملائكة لملكه ومن قهر الجبارين بجبروته
وقسم ارزاق الدواب والعباد بحكمته ومن قسم للاسد ارزاقها وعرف الطير معاشها وعطفها على افراخها
ومن اعتق الوحوش من الخدمة وجعل مساكنها البرية لا تانس بالاصوات ولا تهاب السلاطين
أبحكمتك عطفت عليها أمهاتها حتى اخرجت لها طعاما من اجوافها وآثرتها بالعيش على نفوسها ام
بحكمتك يبصر العقاب الصيد البعيد واصحاف اماكن الفلا اين انت يوم خلقت البهموت مكانه في منقطع
التراب واللوتيا يحملان الجبال والقرى والعمران انيابهما كانها شجر الصنوبر الطوال ورؤسهما كانها
الجبال وعروق افخاذهما كانها عمد النحاس أأنت ملأت جلودهما لحما أم انت ملأت رؤوسهما دماغا هل
لك في خلقهما من شرك ام لك بالقوة التي غلبتهما يدان ام هل يبلغ من قوتك ان تضع يديك على رؤوسهما
ام تقعد على طريق فتحبسهما او تصدهما عن قوتهما أين انت يوم خلقت التنين ورزقه في البحر ومسكنه
في السماء وعيناه تتوقدان نارا ومنخراه يثوران دخانا اذناه مثل قوس السحاب يثور منهما لهب كانه
اعصار العجاج جوفه يحرق ونفسه يلتهب وزبده جمر كامثال الصخور وكأن ضرب اسنانه اصوات
الصواعق وكأن نظر عينيه لمع البرق تمر به الجيوش وهو متكىء لا يفزعه شيء ليس فيه مفصل زبر
الحديد عنده مثل التبن والنحاس عنده مثل الخيوط لا يفزع من النشاب ولا يخشى وقع الصخور على
جسده ويطير في الهواء كأنه عصفور فيهلك كل شيء يمر به هل أنت آخذه باحبولتك وواضع اللجام
في شدقه هل تحصى عمره ام هل تعرف اجله أم تعرف رزقه ام هل تدرى ماذا خرب من الارض وماذا
يخرب فيما بقي من عمره ام هل تطيق غضبه حين يغضب أم تأمره فيطيعك تبارك الله أحسن الخالقين
فقال ايوب عليه السلام قصرت عن هذا الامر الذي ورد على ليت الارض انشقت لى فذهبت ولم
أتكلم بشيء يسخط ربى حين اجتمع على البلاء إلهى قد جعلتنى لك مثل العدو وقد كنت تعرفنى وتعرف
نصحى وقد علمت ان كل الذى ذكرت صنع يديك وتدبير حكمتك واعظم من هذا لو شئت علمت أن
لا يعجزك شيء ولا تخفي عليك خافية ولا تغيب عنك غائبة من هذا الذي يظن ان يسر عنك سرا وأنت
تعلم ما يخطر على القلوب وقد علمت منك في بلائى هذا ما لم أكن اعلم وخفت ان يكون امرا اكثر مما
كنت اخاف انما كنت اسمع بصوتك فاما الآن فهو نظر العين انما تكلمت حين تكلمت لتعذرنى
وسكت حين سكت لترحمني كلمة زلت عن لسانى فلن أعود وقد وضعت يدى على فمي وعضضت على
لسانى وألصقت بالتراب خدى ودسست فيه وجهى لصغارى وسكت حين اسكتتنى خطيئتى فاغفر لى
ما قلت فلن أعود لشيء تكرهه عنى فقال الله تعالى يا أيوب نفذ فيك حكمى وسبقت رحمتى غضبي اذ

أحب احدا يشغلني عن
ذكر الله تعالى طرفة عين
فقلت من أين نا كل فقال
الذى غذانى فى ظلمة
الاحشاء صغيرا يتكفل
برزقى كبيرا فمتى احتجت
الى طعام حضر بين يدى
فقلت له هل من حاجة
فقال نعم اذا رأيتنى بعد هذا
اليوم فلا تكلمنى فقلت
بالله أسألك ياسيدى ان
تدعوا لى فقال حجبك الله
عن كل معصية وشغلك
بما يقربك اليه فقلت
ياسيدى فاين اللقاء بعد
ذلك اليوم فقال ما بقى لقاء
بعد هذا اليوم فان كنت
من اهل القرب فاطلبني
غدا في منازل المقربين ثم
غاب عن عينى فلم أره رضى
الله تعالى عنه ونفعنا به آمين
(وعن مالك بن دينار
رضي الله تعالى عنه) انه قال
كان لى جار مسرف على
نفسه لا يعرف يومه من
أمسه فاجتمعت الجيران
الي يشكونه فاحضرته
وقلت له ما هذا قد كثر
عصيانك فاما ان تتوب
واما ان تخرج من هذا المحل
فقال انا في ملكى لا أخرج
منه فقلت له نشكوك الى
السلطان فقال انا من
أصحاب السلطان فقلت
ندعو الله عليك فقال ربى
ارحم منكم ثم نهض من
عندى فلما كان الليل

أخطأت فقد غفرت لك ماقلت برحمتك ورددت عليك أهلك ومالك ومثلهم معهم لتكون لمن خلفك آية وتكون عبرة لأهل البلاء وعزاء للصابرين فاركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب فيه شفاء وقرب عن أصحابك قرباناً واستغفر لهم فانهم قد عصوني فيك فركض برجله فانفجرت له عين فدخل فيها فاغتسل فاذهب الله عنه ما كان فيه من البلاء ثم انه خرج وجلس فاقبلت إمرأته فقامت تلتمسه في مضجعه فلم تجده فقامت متكدرة كالوالهة فمرت به فقالت ياعبدالله هل لك علم بالرجل المبتلى الذى كان ههنا فقال لها وهل تعرفينه اذا رأيتيه فقالت نعم وكيف لا أعرفه فتبسم وقال ها أناهو فعرفته لما ضحك فاعتنقته (قال) ابن عباس والذي نفسي بيده مافارقته من عناقه حتى مر بهما كل ما كان لهما من المال والولد وذلك قوله تعالى وأيوب اذ نادى ربه انى مسنى الضر الآية * واختلف العلماء فى وقت ندائه ومدة بلائه والسبب الذى قال لاجله مسنى الضر (حدثنا) الامام ابو الحسين محمد بن على بن سهل املاء في شهر ربيع الاول سنة اربع وثمانين وثلثمائة اخبرنا ابو طالب عمر بن الربيع بن سليمان الخشاب بمصر اخبرنا يحيى بن ايوب العلاف اخبرنا سعيد بن ابى مريم اخبرنا نافع بن يزيد عن عقيل عن ابن شهاب عن انس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان نبي الله ايوب لبث فى بلائه ثماني عشرة سنة فرفضه القريب والبعيد الارجلين من إخوانه كانا يغدوان اليه ويروحان فقال احدهما لصاحبه والله لقد أذنب ايوب ذنبا ماأذنبه أحد من العالمين فقال له صاحبه وماذاك قال منذ ثماني عشرة سنة له في البلاء لم يرحمه الله ويكشف مابه فلما راحا الى ايوب لم يصبر الرجل حتى ذكر ذلك فقال ايوب ماأدري ماتقولان غير ان الله تعالى يعلم انى كنت أمر بالرجلين يتنازعان فيذكران الله تعالى فارجع الى بيتي فاكفر عنهما كراهة ان يذكر الله تعالى الافى حق قال وكان يخرج لحاجته فاذا قضى حاجته امسكت إمرأته بيده حتى يبلغ فلما كان ذات يوم أبطأ عليها وذلك ان الله تعالى اوحى الى ايوب فى مكانه ان اركض برجلك الآية فاستبطأته فذهبت لتنظر ماشأنه فاقبل عليها وقد أذهب الله تعالى عنه ما اصابه من البلاء وهو احسن ما كان فلما رأته قالت له هل رأيت نبي الله المبتلى فقال انى اناهو وكان له اندران اندر للقمح واندر للشعير فبعث الله تعالى سحابتين فلما كانت احداهما على اندر القمح أفرغت فيه الذهب حتى فاض وافرغت الاخرى فى اندر الشعير الورق حتى فاض (ويروى) ان الله تعالى امطر عليه جرادا من ذهب فجعل يحثو منه فى ثوبه فناداه يا أيوب ألم أغنك عما ترى قال بلى يارب ولكن لاغنى لى عن فضلك ورزقك ورحمتك ومن يشبع من نعمتك (وقال الحسن) كان ايوب عليه السلام مطروحا على كناسة فى مزبلة لبني اسرائيل سبع سنين واشهرا تختلف فيه الدواب وقال وهب لم يكن بايوب اكلة وانما كان يخرج منه مثل ثدي النساء ثم يتفقأ قال الحسن ولم يبق له مال ولا ولد ولا صديق ولا احد يقربه غير رحمة إمرأته صبرت معه تخدمه وتأتيه بطعام وتحمد الله معه اذا حمده وايوب على ما به لايفتر عن ذكر الله تعالى والثناء عليه والصبر على ما ابتلاه الله فصرخ عدو الله ابليس صرخة جمع بها جنوده من اقطار الارض جزعا من صبر ايوب فلما اجتمعوا عليه قالوا له ماحاجتك قال لهم أعياني هذا العبد سألت ربي أن يسلطني على ماله وولده فلم ادع له مالا ولا ولدا فلم يزده ذلك الا صبرا وثناء على الله ثم سلطت على جسده فتركته قرحة ملقى على كناسة لايقربه الا إمرأته وقد افتضحت من ربي فاستعنت بكم لتعينوني عليه فقالوا له أين مكرك ابن علمك الذي أهلكت به من مضى قال بطل ذلك كله فى ايوب فاشيروا علي قالوا انشير عليك بما أتيت به آدم حين أخرجته من الجنة من أين أتيته قال من قبل إمرأته قالوا فشأنك وايوب من قبل إمرأته فانه لايستطيع ان يعصيها وليس احد يقربه غيرها قال أصبتم فانطلق

حتى

رفعت يدى الى السماء فى وقت الاسحار واردت ان ادعو عليه فهتف بى هاتف يامالك لاتدع عليه فانه من أوليائنا قال مالك فقمت من ساعتي وطرقت عليه الباب فخرج وظن انى جئت اليه لاخرجه من محله فخرج وهو يبكى و يعتذر ويقول ياسيدى السمع والطاعة انا اخرج من المحل فقلت له لاباس عليك ماجئتك لهذا انما جئت اليك لاخبرك بما كان مني انى رفعت يدى واردت ان ادعوا عليك فهتف بى هاتف يامالك لاتدع عليه فانه من اوليائنا قال فبكى الرجل بكاء شديدا وتاب من وقته وساعته فاصبح الناس يزورونه ويتبركون به وكثر الازدحام عليه فخرج حاجا الى مكة فى العام القابل فبينما انا في المسجد الحرام وقت الظهيرة مستظل بحائط واذا بجماعة قد اجتمعوا الى جانب المسجد وبينهم رجل ملقى على التراب فتاملته فاذاهو صاحبي وهو يعالج سكرات الموت قال مالك فجلست عند رأسه ابكى ففتح عينيه فرآنى ثم قال يامالك أترى مولاي يعفوا عن تلك الذنوب والسيئات ويرحم

حتى اتى امرأته وهي تطلب الصدقة فتمثل لها فى صورة رجل فقال أين بعلك يا أمة الله فقالت هو ذاك يحك قروحه وتتردد الدواب فى جسده فلما سمع منها طمع ان تكون كلمة جزع فوسوس لها وذكرها ما كانت فيه من النعيم والمال وذكرها جمال ايوب وشبابه وما هو فيه اليوم من الضرر وان ذلك لا ينقطع عنه ابدا قال الحسن فصرخت فلما صرخت علم انها قد جزعت فاتاها بسخلة وقال لها ليذبح ايوب هذه لي ويبرأ قال فجاءت تصرخ وقالت يا أيوب الى متى يعذبك ربك ولا يرحمك أين المال أين الماشية أين الولد اين الصديق اين لونك الحسن قد تغير وصار مثل الرماد واين جسمك الحسن قد بلى وهو يتردد فيه الدود اذبح هذه السخلة واسترح فقال لها ايوب اتاك عدو الله فنفخ فيك فاجبتيه ويلك أرأيت ما تبكين عليه مما كنا فيه من المال والولد والصحة من انعم به علينا قالت الله قال فكم متعنا به قالت ثمانين سنة قال فمنذ كم ابتلانا الله بهذا البلاء قالت منذ سبع سنين قال ويلك والله ما عدلت ولا انصفت ربك الا صبرت في هذا البلاء الذى ابتلانا به ربنا ثمانين سنة كما كنا فى الرخاء والله لئن شفاني الله لاجلدنك مائة جلدة كما أمرتيني أن أذبح لغير الله تعالى وطعامك وشرابك الذى تاتيني به على حرام لا أذوق مما تاتيني به شيئا بعد ان قلت هذا فاعزبي عني لا اراك فطردها فذهبت فلما رأى أيوب امرأته وقد طردها وليس عنده طعام ولا شراب ولا صديق خر لله ساجدا وقال رب مسني الضر ثم رد الامر الى ربه وسلم فقال وانت ارحم الراحمين فقيل له ارفع رأسك فقد استجيب لك اركض برجلك الآية فركض برجله فنبعت عين ماء فاغتسل فلم يبق من دائه شيء ظاهر الا سقط اثره وأذهب الله منه كل ألم وداء وكل سقم وعاد اليه شبابه وجماله أحسن مما كان وافضل مما مضى ثم انه ضرب برجله فنبعت عين أخرى فشرب منها فلم يبق في جوفه داء الا خرج فقام صحيحا وكسي حلة قال فجعل يلتفت يمينا وشمالا فلا يرى شيئا مما كان له من أهل وولد ومال الا وقد ضاعفه الله تعالى فخرج حتى جلس على مكان مشرف ثم ان امرأته قالت أرأيت ان كان قد طردني الى من اكله أأدعه حتى يموت جوعا وعطشا ويضيع فتاكله السباع فوالله لارجعن اليه فرجعت فلم تر الكناسة ولا الحال التى كانت تعهدها وقد تغيرت الامور فجعلت تطوف حيث كانت الكناسة وتبكي وايوب ينظرها قال وهابت صاحب الحلة ان تاتيه فتسأله فارسل اليها أيوب فدعاها وقال لها ما تريدين يا أمة الله فبكت وقالت اريد ذلك المبتلى الذى كان منبوذا على هذه الكناسة لا أدرى أضاع أم ماذا فعل به فقال ايوب عليه السلام ما كان منك فبكت وقالت بعلى فهل رايته فقال وهل تعرفينه اذا رايته قالت وهل يخفي على ثم انها جعلت تنظر اليه وهي تهابه وقالت اما انه كان اشبه خلق الله بك اذا كان صحيحا قال فانا أيوب أمرتيني أن أذبح لابليس فانى أطعت الله وعصيت الشيطان فرد على ما ترين (وقال) كعب كان ايوب فى بلائه سبع سنين وقال وهب لبث في ذلك البلاء ثلاث سنين لم يزد يوما واحدا فلما غلب ايوب ابليس لعنه الله ولم يستطع له على شيء اعترض امرأته على هيئة ليست كهيئة بنى آدم فى العظم والجسم والجمال على مركب ليس من مراكب الناس له عظم وبهاء وجمال فقال لها أنت صاحبة ايوب المبتلى قالت نعم قال فهل تعرفيني قالت لا قال انا اله الارض وانا الذى صنعت بصاحبك ما صنعت وذلك انه عبد اله السماء وتركني واغضبني ولو سجد لي سجدة واحدة رددت عليكما ما كان لكما من مال وولد فانهم عندى ثم اراها اياهم في بطن الوادى الذي لقيها فيه (قال وهب) وقد سمعت انه قال لها وان صاحبك اكل طعاما لم يسم عليه لعوفي مما هو فيه من البلاء والله اعلم واراد عدو الله ان ياتيه من قبلها ورايت في بعض الكتب ان ابليس قال لها وان شئت اسجدى لى سجدة واحدة حتى ارد عليك الاولاد والمال واعافى زوجك فرجعت الى ايوب فاخبرته بما قال لها وما اراد فقال لقد اراد عدو الله ان يفتنك عن دينك ثم ان ايوب

هذه العبرات فقد فارقت اهلي ووطني وخرجت من ذلك المكان حياء منك وانت مخلوق فكيف اقف غدا بين يدي الخالق جل وعلا ثم تنفس وشهق شهقة فمات رحمة الله تعالى عليه آمين (وعن الجنيد رضى الله تعالى عنه) انه قال عزمت على الحج الى بيت الله الحرام في بعض الاعوام فركبت ناقتي ووجهتها نحو الكعبة شرفها الله تعالى وعظمها فلويت عنقها وردته نحو القسطنطينية فرددتها مرارا وهي تعود فقلت في نفسي لله في ذلك سر خفي فاطلقتها وقلت إلهي وسيدى ومولاي ليس لى حيلة ان كنت تريد ان تردني عن بيتك فالامر اليك قال فجعلت الناقة تسير سيرا جيدا حتى دخلت القسطنطينية فلما دخلت البلد رأيت الناس فى هرج ومرج فسالت عن الخبر فقال بعض الناس ان ابنة الملك قد ذهب عقلها وهم يلتمسون لها طبيبا يداويها فقلت في نفسى وعزة ربي لهذا صرفني عن بيته فى هذا العام قال الجنيد فقلت لهم قد حضر الطبيب فقالوا أنت تداويها فقلت لهم نعم ان شاء الله تعالى قال فاخذوا

اقسم ان عافاه الله ليضربنها مائة جلدة فقال عند ذلك مسني الضر من طمع ابليس في سجود حرمتي له ودعائه اياها واياي الى الكفر قالوا ثم ان الله تعالى رحم رحمة امرأة ايوب بصبرها معه على البلاء وخفف عنها واراد ان يبر يمين ايوب فامره ان يأخذ جماعة من الشجر مبلغ مائة قضيب خفافا لطافا فيضربها ضربة واحدة كما قال تعالى وخذ بيدك ضغثا فاضرب به ولا تحنث الآية وقد كانت امرأة ايوب تتكسب وتعمل للناس وتجيئه بقوته فلما طال عليها البلاء وسئمها الناس فلم يستعملها أحد التمست يوما من الايام ما تطعمه فما وجدت شيأ فجزت قرنا من رأسها فباعته برغيف وأتته به فقال لها اين قرنك فاخبرته فقال عند ذلك مسني الضر وقيل انما قال ذلك حين قصدت الدود قلبه ولسانه فخشي ان يفتر عن الذكر والفكر وقيل انما قال ذلك حين وقعت الدودة من فخذه فاخذها وردها الى موضعها وقال لها كلي فقد جعلني الله طعامك فعضته عضة زاد المه على جميع ما قاسي من عض الديدان وقال عبد الله بن عمر كان لايوب أخوان فاتياه فقاما من بعيد لا يقدران على الدنو منه من نتن ريحه فقال أحدهما لصاحبه لو كان الله علم في أيوب خيرا ما ابتلاه بما نرى قال فما سمع أيوب شيأ كان أشد عليه من تلك الكلمة وما جزع من شيء أصابه جزعه من تلك الكلمة فعند ذلك قال مسني الضر ثم قال اللهم ان كنت تعلم اني لم أبت ليلة شبعان قط وانا أعلم بمكان جائع فصدقني فصدقه وهما يسمعان ثم قال اللهم ان كنت تعلم أني لم أتخذ قميصا قط وانا اعلم بمكان عريان فصدقني فصدقه وهما يسمعان فخرا ساجدا لله وقيل معناه مسني الضر من شماتة الاعداء يدل عليه ما روى انه قيل له بعد ما عوفي ما كان أشد عليك في بلائك قال شماتة الاعداء وأنشد بعضهم في معناه

كل المصائب قد تمر على الفتى * فتهون غير شماتة الحساد
ان المصائب تنقضي أيامها * وشماتة الاعداء بالمرصاد

(وقال الجنيد) في هذه الآية عرفه فاقة السؤال ليمن عليه بكرم النوال وذلك قوله تعالى فكشفنا ما به من ضر وآتيناه اهله الآية (واختلف العلماء) في كيفية ذلك فقال قوم لما ابتلى الله ايوب في الدنيا مثل له أهله فاما الذين هلكوا فانهم لم يردوا عليه في الدنيا وانما وعد الله ايوب ان يؤتيه اياهم في الآخرة وقال وهب كان له سبع بنات وثلاث بنين وقال آخرون بل ردهم الله تعالى اليه باعيانهم وأعطاه أهله ومثلهم معهم وهذا قول ابن مسعود وابن عباس وقتادة وكعب قالوا احياهم الله تعالى وآتاه مثلهم وهذا القول أشبه بظاهر الآية (وذكر) ان عمر أيوب كان ثلاثا وتسعين سنة وانه اوصى عند موته الى ابنه حومل وان الله بعث بعده بشر ابن أيوب نبيا وسماه ذا الكفل وامره بالدعاء الى توحيده وانه كان مقيما بالشام طول عمره حتى مات وكان مبلغ عمره خمسا وتسعين سنة وان بشرا أوصى الى ابنه عبدان وان الله تعالى بعث بعده شعيبا عليه السلام والله اعلم

(مجلس في قصة ذي الكفل عليه السلام)

هذا المجلس يأتي بعد في آخر الكتاب بعد قصة اليسع وما كتب ههنا زيادة في المجلس المذكور (روى) الاعمش عن المنهال بن عمرو عن عبد الله بن الحرث ان نبيا من الانبياء قال من يكفل لي ان يقوم الليل ويصوم النهار ولا يغضب فقام شاب فقال انا فقال له اجلس ثم انه أعاد مثل قوله الاول فقام ذلك الشاب فقال انا فقال له اجلس ثم انه أعاد قوله ثالثا فقال الشاب انا فقال له تقوم الليل وتصوم النهار ولا تغضب قال نعم فمات ذلك النبي فجلس ذلك الشاب مكانه يقضي بين الناس فكان لا يغضب فجاءه الشيطان في صورة انسان ليغضبه وهو صائم يريد أن يفطر فضرب الباب ضربا شديدا فقال من هذا فقال رجل له حاجة فارسل اليه رجلا فقال لا ارضي بهذا الرجل فارسل معه آخر فقال لا ارضي فخرج اليه فاخذ بيده وانطلق معه حتى اذ كان في السوق خلاه فذهب فسمى ذا الكفل وقال بعضهم ذو الكفل بشر بن أيوب الصابر بعثه

يدي واتوا بي الي الملك واخبروه بما تلت فاشترط على شروطا فامتثلت واستعنت بالله ثم ادخلت مخدعا فسمعت خشخشة الحديد وقائلا يقول يا جنيد تجذبك الناقة الينا وأنت تجذ بها نحو الكعبة قال الجنيد فطاش عقلي من ذلك الكلام ثم دخلت فرأيت جارية لم ار الراؤن احسن منها وهي مقيدة بالحديد وسلسلة فقلت لها ما هذه الحالة فقالت يا طبيب القلوب صف لي صفة أنجو بها من الكروب قال الجنيد فقلت لها قولي لا إله إلا الله محمد رسول الله فرفعت صوتها بقول لا إله إلا الله محمد رسول الله فتساقطت الاغلال والسلاسل عنها فلما رأى ابوها ذلك قال ما أحسنك من طبيب اسالك بالله عليك ان تداويني بما داويت به ابنتي هذه قال الجنيد فقلت له قل لا إله إلا الله محمد رسول الله فقالها واسلم وحسن اسلامه ثم أتت أمها واسلمت واسلم كل من كان في البلد معهم قال الجنيد فعزمت على التوجه فقالت الجارية لا تعجل يا سيدي بالخروج فاني سألت الله ان يتوفاني وانت حاضر حتى تقف على غسلي وتصلي علي ثم

الله بعد أبيه رسولا الي ارض الروم فآمنوا به وصدقوه واتبعوه ثم ان الله تعالى امرهم بالجهاد فكفوا عن ذلك وضعفوا وقالوا يابشر انا قوم نحب الحياة ونكره الممات ومع ذلك نكره ان نعصى الله تعالى ورسوله فلو سألت الله ان يطيل اعمارنا ولا يميتنا الا اذا شئنا لنعبده ونجاهد اعداءه فقال لهم بشر لقد سألتموني عظيما وكلفتموني شططا ثم انه قام وصلى ودعا وقال الهي أمرتني بتبليغ الرسالة فبلغتها وامرتني أن اجاهد اعداءك وانت تعلم أني لا املك الا نفسي وان قومي قد سألوني في ذلك ما أنت أعلم به مني فلا تؤاخذني بجريرة غيري فانا أعوذ برضاك من سخطك وبعفوك من عقوبتك قال فاوحي الله تعالى اليه يابشر اني سمعت مقالة قومك واني قد أعطيتهم ما سألوني طولت اعمارهم فلا يموتون الا اذا شاؤا فكن كفيلا لهم مني بذلك فبلغهم بشر رسالة الله وأخبرهم بما أوحى الله اليه وتكفل لهم بذلك كما أمر الله تعالى فسمي ذا الكفل ثم انهم توالدوا وكثروا ونموا حتى ضاقت عليهم بلادهم وتنغصت معيشتهم وتأذوا بكثرتهم فسألوا بشرا أن يدعو الله أن يردهم الى آجالهم فاوحى الله تعالى الى بشر أما علم قومك أن اختياري لهم خير من اختيارهم لانفسهم ثم انهم ردوا الى أعمارهم فماتوا بآجالهم قال فلذلك كثرت الروم حتى يقال ان الدنيا دارهم خمسة أسداسها للروم وسموا روما لانهم نسبوا الى جدهم روم بن عيص بن اسحق بن ابراهيم عليه السلام قال وهب وكان بشر بن أيوب المسمي ذا الكفل مقيما بالشام حتى مات وكان عمره خمسا وتسعين سنة والله أعلم

(مجلس في ذكر قصة شعيب النبي عليه السلام)

قال الله تعالى والى مدين أخاهم شعيبا الآية اختلف العلماء في نسب شعيب فقال أهل التوراة هو شعيب بن صيفون بن عيفا بن ثابت بن مدين بن ابراهيم وقال محمد بن اسحق هو شعيب بن ميكائيل بن يشجر بن مدين بن ابراهيم واسمه بالسريانية يترون وأمه ميكيل ابنة لوط وكان شعيب عليه السلام أعمى فذلك قوله تعالى أخبارا عن قومه وانا لنراك فينا ضعيفا أي ضريرا وكان يقال له خطيب الانبياء لحسن مراجعته قومه وان الله تعالى بعثه نبيا الى أهل مدين وهم أصحاب الايكة والايكة الشجر الملتف (وقال قتادة) بعثه الله تعالى الى أمتين أهل مدين وأصحاب الايكة قالوا وكان قوم شعيب أهل كفر بالله وبخس للناس وتطفيف في المكاييل والموازين وكان الله قد وسع لهم في الرزق وبسط لهم في العيش استدراجا منه لهم فقال لهم شعيب ياقوم اعبدوا الله مالكم من اله غيره ولا تنقصوا المكيال والميزان الآية ونظيرها في الاعراف فأوفوا الكيل والميزان ولا تبخسوا الناس أشياءهم الآية وذلك انهم كانوا يجلسون على الطريق فيخبرون من قصد شعيبا ليؤمن به انه كذاب فلا يفتنك عن دينك وكانوا يتوعدون المؤمنين بالقتل ويخوفونهم (قال السدى) وأبو روق كانوا عشارين (قال) عبد الله بن زيد كانوا يقطعون الطريق (وقال) النبي صلى الله عليه وسلم رأيت ليلة أسري بي خشبة على الطريق لا يمر بها ثوب أحد الا شقته ولا شيء الا خرقته فقلت ما هذا يا جبريل فقال هذا مثل أقوام من أمتك يقعدون على الطريق فيقطعونه ثم تلا ولا تقعدوا بكل صراط توعدون الآية وكان من قول شعيب وجواب قومه اياه ما ذكره الله تعالى في سورة الاعراف وسورة هود وسورة الشعراء (قال المفسرون) وكان مما نهاهم عنه شعيب وعذبوا لاجله قطع الدنانير وذلك قوله تعالى قالوا ياشعيب أصلاتك تأمرك أن نترك ما يعبد آباؤنا الى قوله الحليم الرشيد أي السفيه الغاوي وهو على الضد كما يقال للحبشي أبو البيضاء وكقوله تعالى ذق انك أنت العزيز الكريم (قال ابن عباس) رضي الله عنهما كان شعيب كثير الصلاة فلما كثر فسادهم وقل صلاحهم دعا عليهم فقال ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وأنت خير الفاتحين فاجاب الله تعالى دعاءه فيهم فاهلكهم

تشهدت وخرت ميتة فغسلناها ودفناها رحمة الله تعالى عليها (وعن أبي بكر بن الفضيل رضي الله تعالى عنه) انه قال سألت بعض أصدقائي وكان أصله روميا عن سبب اسلامه فامتنع أن يحدثني فما زلت أقسم عليه حتى حدثني قال نزل بنا عساكر المسلمين فحاصرونا سنة من السنين فخرجنا اليهم وقاتلناهم فقتلوا منا جماعة وقتلنا منهم جماعة واسروا منا جماعة واسرنا منهم جماعة كما هي عادة العساكر في القتال فاسرت انا وحدي من المسلمين عشرة رجال وكان لي في الروم المنزلة فسلمت العشرة الى غلماني فقيدوهم وحملوهم على البغال حتى تركوهم في السجن عندي فبينما انا يوما من الايام جالس بقصري اذ جاءني بعض غلماني وقال ياسيدي ان احد الموكلين قد أخذ من احد المأسورين مالا وتركه يصلي قال فلما سمعت ذلك أحضرت الموكل بهم وقلت له اخبرني ما الذي اخذته من هذا الاسير حتى تركته يصلي فقال نعم ياسيدي انه في كل وقت صلاة يدفع الى دينارا ذهبا فقلت هل معه شيء من ذلك فقال لا ياسيدي

بالرجفة وهي الزلزلة عن الكلبي ويقال بالصيحة وبعذاب الظلة (قال) ابن عباس وغيره وهي ان الله تعالى فتح عليهم بابا من أبواب جهنم فارسل عليهم بردا وحرا شديدا فاخذ بانفاسهم فدخلوا فى أجواف البيوت فلم ينفعهم ظل ولا ماء فانضجهم الحر فخرجوا هربا الى البرية فبعث الله عليهم سحابة فاظلتهم ووجدوا لها بردا وجاءت ريح طيبة فنادى بعضهم بعضا فلما اجتمعوا تحت السحابة ألهبها الله عليهم نارا ورجفت الارض بهم فاحترقوا كما يحترق الجراد فى المقلى فصاروا رمادا وذلك قوله تعالى فاصبحوا فى دارهم جاثمين كان لم يغنوا فيها وقال تعالى فاخذهم عذاب يوم الظلة انه كان عذاب يوم عظيم (قال ابن عباس) بلغنى ان رجلا من أهل مدين يقال له عمرو بن جلهم لما رأى الظلة فيها العذاب اقشعر جلده وقال

يا قوم ان شعيبا مرسل فذروا * عنكم شميرا وعمران بن شداد
انى أرى غيمة يا قوم قد طلعت * تدعو بصوت على حنانة الوادى
فانه لن يرى فيها ضحاء غد * الا الرقيم يمشي بين أنجاد

وشمير وعمران كاهنان لهم والرقيم كاب لهم قال أبو عبيد الله البجلى أبو جاد وحطي وهوز وكلمن وسعفص وقرشت أسماء ملوكهم وكان ملكهم يوم الظلة فى زمن شعيب كلمن فقالت أخت كلمن تبكيه حين هلك

كلمن هدد ركني * هلكه وسط المحله
سيد القوم أتاه الـ ـحتف نارا وسط ظله
جعلت نارا عليهم * دارهم كالمضمحله

قال الله تعالى الذين كذبوا شعيبا كان لم يغنوا فيها الذين كذبوا شعيبا كانوا هم الخاسرين أى لهم الهلاك فى الدنيا والعذاب فى الآخرة

(مجلس في ذكر صفى الله ونجيه موسى بن عمران عليه السلام وهو يشتمل على أبواب)

(الباب الاول فى ذكر نسب موسى عليه السلام)

قال الله تعالى واذكر فى الكتاب موسى انه كان مخلصا وكان رسولا نبيا وهو موسى بن عمران بن يصهر ابن قاهث بن لاوى بن يعقوب عليه السلام قال أهل العلم باخبار الاولين وسير الماضين ولد ليعقوب لاوى وقد مضي من عمره تسع وثمانون سنة ثم ان لاوى نكح نابتة بنت ماوى بن يشجب فولدت له غرسون ومرزى ومردى وقاهث ثم ان قاهث بعد أن مضى له من عمره ست وأربعون سنة نكح فاهي بنت مبين بن تنويل بن الياس فولدت له يصهر بن قاهث فنكح يصهر بن قاهث سميت بنت يتادم بن بركيا بن يشمان بن ابراهيم فولدت له عمران وقد مضي له من عمره ستون سنة وكان عمر يصهر مائة وسبعا وأربعين سنة فنكح عمران بن يصهر نحيب بنت شمويل بن بركيا بن يشمان بن ابراهيم فولدت له هرون وموسي واختلف فى اسم أمهما فقال ابن اسحق نحيب وقيل ناجية وقيل يوخابيل وهو المشهور وكان عمر عمران مائة وسبعا وثلاثين سنة وولد له موسي عليه السلام وقد مضي من عمره سبعون سنة والله أعلم

(الباب الثانى فى ذكر مولد موسى عليه السلام)

(قال أهل التاريخ) لما مات الريان بن الوليد فرعون مصر الاول صاحب يوسف عليه السلام وهو الذى ولى يوسف خزائن أرضه وأسلم على يده فلما مات ملك بعده قابوس بن مصعب صاحب يوسف الثانى فدعاه يوسف الى الاسلام فأبى وكان جبارا وقبض الله يوسف فى ملكه وطال ملكه ثم هلك وقام بالملك

ولكنه اذا فرغ من صلاته يضرب الارض بيده فيظهر له ذلك الدينار قال فتعجبت من ذلك واحببت ان اعرف حقيقة هذا الرجل فلما كان من الغد أحضرت الموكل به ولبست ثيابه ووكلت نفسي بذلك فلما جاء وقت صلاة الصبح أومأ الى بانه يريد الصلاة ويدفع الى الدينار على عادته فاشرت اليه وقلت له ما آخذ الا دينارين فقال نعم فاطلقته يصلى فلما فرغ من صلاته ضرب الارض بيده ودفع الى الدينارين فازددت تعجبا من ذلك فلما جاء وقت صلاة الظهر أومأ الى كالمرة الاولى فقلت له ما آخذ الا خمسة دنانير قال نعم فلما فرغ من صلاته دفع الى الخمسة دنانير فلما جاء وقت صلاة العصر اشار الى كعادته فقلت له ما آخذ الا عشرة دنانير فقال نعم فلما فرغ من صلاته دفع الى العشرة دنانير فلما جاء وقت المغرب اشار الى فاشرت اليه لا آخذ الا خمسة عشر دينارا فقال نعم فلما فرغ دفع الى ذلك فلما جاء وقت العشاء الاخيرة أومأ الى فقلت له لا آخذ الا عشرين دينارا فقال نعم فصلى وأحسن صلاته ودفع الى العشرين

بعده أخوه أبو العباس بن الوليد بن مصعب بن الريان بن اراشه بن ثروان بن عمرو بن فاران بن عملاق بن لاوذ بن سام بن نوح عليه السلام وهو أغنى من قابوس وأكبر وأفجر وامتدت أيام ملكه وأقام بنو اسرائيل بعد وفاة يوسف عليه السلام وقد انتشروا وكثروا وهم تحت العمالقة وهم على بقايا من دينهم مما كان يوسف ويعقوب واسحق وابراهيم شرعوا فيه من الاسلام متمسكون به حتى كان فرعون موسى الذي بعثه الله اليه وقد ذكرنا اسمه ونسبه ولم يكن فيهم فرعون أعتى على الله ولا أعظم قولا ولا أقسى قلبا ولا أطول عمرا في ملكه ولا أسوأ ملكا لبني اسرائيل منه وكان يعذبهم ويستعبدهم وجعلهم خدما وخولا وصنفهم في أعماله فصنف يبنون وصنف يحرثون وصنف يتولون الأعمال القذرة ومن لم يكن اهلا للعمل فعليه الجزية كما قال الله تعالى يسومونكم سوء العذاب وقد استنكح فرعون منهم امرأة يقال لها آسية بنت مزاحم رضي الله عنها من خيار النساء المعدودات ويقال هي آسية بنت مزاحم بن عبيد ابن الريان بن الوليد فرعون يوسف الاول فاسلمت على يد موسى قال مقاتل لم يسلم من اهل مصر الا ثلاثة آسية وحزقيل ومريم بنت ناموسى التي دلت موسى على قبر يوسف عليه السلام قال فعمر فرعون فيهم وهم تحت يده عمرا طويلا يقال انه دار بمائة سنة يسومهم سوء العذاب فلما أراد الله ان يفرج عنهم بعث موسى عليه السلام وكان بدء ذلك على ما ذكره السدي عن رجاله ان فرعون رأى في منامه كان نارا قد اقبلت من بيت المقدس حتى اشتملت على بيوت مصر فاحرقتها واحرقت القبط وتركت بني اسرائيل فدعا فرعون الكهنة والسحرة والمعبرين والمنجمين فسألهم عن رؤياه فقالوا يولد في بني اسرائيل غلام يسلبك الملك ويغلبك على سلطانك ويخرجك وقومك من أرضك ويبدل دينك وقد اظلك زمانه الذي يوجد فيه فامر فرعون بقتل كل غلام يولد في بني اسرائيل فجمع القوابل من النساء من اهل مملكته وقال لهن لا يسقط على ايديكن غلام من بني اسرائيل الا قتلتنه ولا جارية الا تركتنها ووكل بهن وكلاء وكن يفعلن ذلك قال مجاهد لقد بلغني انه كان يامر بالقصب فيشق حتى يجعل امثال الشفار ثم يصف بعضه الى بعض ثم يؤتى بالحبالى من بني اسرائيل فيوقفن عليه فيجرح اقدامهن حتى ان المرأة منهن لتضع ولدها فيقع من بين رجليها فتظل تطؤه وتتقي به حد القصب عن رجليها لما بلغ من جهدها وكان يقتل الغلمان الذين في وقته ويقتل من يولد بعدهم ويعذب الحبالى حتى يضعن ما في بطونهن واسرع الموت في مشيخة بني اسرائيل فدخل رؤس القبط على فرعون وقالوا له ان الموت قد وقع في مشايخ بني اسرائيل وانت تذبح صغارهم وتميت كبارهم فيوشك ان يقع العمل علينا فامر فرعون بذبح الولدان سنة وتركهم سنة فولد هرون في السنة التي لا يذبح فيها احد فترك وولد موسى في السنة التي يذبحون فيها قال فولدت هرون امه علانية آمنة فلما كان في العام الذي امر فيه بقتل الولدان حملت بموسى فلما أرادت وضعه حزنت من شأنه واشتد غمها فاوحى الله تعالى اليها أن ارضعيه فاذا خفت عليه فالقيه في اليم الى قوله المرسلين فلما وضعته في خفية ارضعته ثم انها اتخذت لها تابوتا وجعلت مفتاح التابوت من داخل وجعلته فيه قال مقاتل وكان الذي صنع التابوت حزقيل مؤمن آل فرعون وقيل انه كان من بردي فاتخذت ام موسى التابوت وجعلت فيه قطنا محلوجا ووضعت فيه موسى وصرت رأسه ثم القته في النيل فلما فعلت ذلك وتوارى عنها اتاها الشيطان فوسوس اليها فقالت في نفسها ماذا صنعت بابني لو ذبح عندي ورأيته وكفنته كان أحب الي من ان القيه بيدي في البحر وادخله الى دواب البحر ثم عصمها الله تعالى وانطلق الماء بموسى يرفعه الموج مرة ويخفضه اخرى حتى ادخله بين الاشجار عند دار فرعون الى روضة هي مستقى جواري فرعون وكان بالقرب منها نهر كبير في دار فرعون في داخل بستانه فخرجت جواري فرعون يغتسلن ويستقين فوجدن التابوت فاخذنه وظنن ان فيه مالا فحملنه على حالته حتى أدخلنه الى آسية

دينار او قال اطلب ما شئت قال سيدي غني كريم لا يبخل على عباد الله قال فبت تلك الليلة متفكرا في امره متعجبا مما رأيته منه وقد داخلني منه هيبة وامر عظيم وعلمت انه من اولياء الله تعالى فلما اصبحت دعوته للحضور عندي ثم اكرمته وفككت قيوده والبسته ثوبا حسنا وعظمته وبجلته ثم قلت له يا سيدي هل لك في الاقامة عندنا في بلادنا وانت في أعز مكان واكرم محل ونكرمك غاية الاكرام أو الرجوع الى بلادك فاختار الرجوع الى بلاده فاحضرت له زادا وحملته بنفسي على بغل وانفذت معه من اصحابي وغلماني عشرة رجال واوصيتهم بايصاله الى بلاده معظما مكرما وان لا يعترضه عارض ولا يؤذيه أحد ويمتثلوا جميع ما يأمرهم به ويفعلوا جميع ما يختاره ثم احضرت دواة وقرطاسا وجعلت له علامة بيني وبينه وقلت له انه اذا وصل الى بلاده سالما يكتب تلك العلامة في القرطاس خوفا عليه في الطريق ثم ودعته وحملته بنفسي فقال لي توفاك الله على احب الاديان اليه فوالله يا ابن الفضيل ما استتم كلامه حتى وقع في قلبي حب الاسلام قال

فلما فتحته رأت فيه الغلام فالقى الله تعالى عليها محبة منه فرحمته آسية وحبته حبا شديدا فلما سمع الذباحون بامره اقبلوا على آسية بشفارهم ليذبحوا الصبي فقالت آسية للذباحين انصرفوا فان هذا لا يزيد في بني اسرائيل فانا آتي فرعون واستوهبه اياه فان وهبه لي كنتم قد احسنتم وان امركم بذبحه فلا ألومكم ثم انها اتت به فرعون وقالت قرة عين لي ولك لا تقتلوه عسى ان ينفعنا فقال فرعون قرة عين لك اما انا فلا حاجة لي فيه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي يحلف به لو أقر فرعون ان يكون له قرة عين كما أقرت لهداه الله تعالى به كما هدى به امرأته ولكن الله تعالى حرمه ذلك قال فاراد ان يذبحه وقال اني اخاف ان يكون هذا من بني اسرائيل وان يكون هذا الذي هلاكنا على يده وزوال ملكنا فلم تزل آسية تكلمه حتى وهبه لها فلما أمنت آسية أرادت ان تسميه باسم اقتضاه حاله فسمته موشي لانه وجد بين الماء والشجر وهو بلغة القبط مو الماء وشي الشجر فعرب فقيل موسى (اخبرنا) ابن فتحويه اخبرنا مخلد بن جعفر اخبرنا الحسن بن علويه اخبرنا اسمعيل بن عيسى اخبرنا ابن بشير اخبرني جويبر ومقاتل عن الضحاك عن ابن عباس قال ان بني اسرائيل لما كثروا بمصر استطالوا على الناس وعملوا بالمعاصي ووافق خيارهم اشرارهم ولم يامروا بالمعروف ولم ينهوا عن المنكر فسلط الله عليهم القبط فاستضعفوهم وساموهم سوء العذاب وذبحوا ابناءهم قال وقال ابو الياس قال وهب بلغني انه ذبح في طلب موسى سبعون الف ولد قال ابن اسحق عن ابن عباس ان ام موسى لما قاربت ولادتها وكانت قابلة من القوابل التي وكلهن فرعون بحبالى بني اسرائيل مصافية لام موسى فلما ضربها الطلق ارسلت اليها أم موسى فقالت نزل بي ما نزل فلينفعني حبك اياي قالت لها نعم فعالجت قبالتها فلما وقع موسى على الارض اضاء له نور بين عيني موسى فارتعش كل مفصل منها ودخل حب موسى في قلبها ثم قالت لها ياهذه ماجئت اليك حين دعوتيني الا في رأي قتل ولدك واخبار فرعون بذلك ولكن وجدت لابنك هذا حبا ماوجدت حب شيء مثله فاحتفظي بابنك فاني أراه هو عدونا فلما خرجت القابلة من عندها ابصرها بعض العيون فجاء الى بابها ليدخل على موسى فقالت أخته ياأماه هذا الحرس بالباب فطاش عقلها فلم تعقل ماتصنع به خوفا على موسى فلفت موسى في خرقة والقته في التنور وهو مسجور وكان ذلك الهاما من الله تعالى لها لما أراد الله بعبده موسى فدخلوا فاذا التنور مسجور وأم موسى لم يتغير لها لون ولم يظهر لها لبن فقالوا لها ما ادخل عليك هذه القابلة قالت هي مصافية لي فدخلت علي زائرة فخرجوا من عندها ورجع اليها عقلها فقالت أخت موسى اين الصبي قالت لا أدري فسمعت بكاء الصبي في التنور فانطلقت فوجدته قد جعل الله تعالى عليه النار بردا وسلاما فاحتملته (قال اسحق) ابن بشر عن جويبر ومقاتل عن الضحاك عن ابن عباس قال ثم ان ام موسى لما رأت الحاح فرعون في طلب الولدان خافت على ولدها فقذف الله في نفسها ان تتخذ له تابوتا ثم تقذفه في اليم وهو النيل فانطلقت الى رجل نجار من أهل مصر من قوم فرعون فاشترت منه تابوتا صغيرا فقال لها النجار ماتصنعين بهذا التابوت فقالت اخبأ فيه ابنا لي وكرهت ان تكذب قال ولم قالت اخشي كيد فرعون قال فلما اشترت التابوت وحملته وانطلقت انطلق النجار الى الذباحين ليخبرهم بامرها فلما هم بالكلام أمسك الله لسانه فلم ينطق فجعل يشير بيده فلم تدر الامناء مايقول فلما اعياهم امره قال كبيرهم اضربوه فضربوه واخرجوه فلما انتهي النجار الى موضعه رد الله عليه لسانه فتكلم فانطلق ايضا يريد الامناء فاتاهم ليخبرهم فاخذ الله تعالى بلسانه وبصره فلم يطق الكلام ولم يبصر شيأ فضربوه واخرجوه فوقع في واد يهوي فيه حيران فاشهد الله تعالى عليه ان رد له لسانه وبصره ان لا يدل عليه وان يكون معه يحفظه حيثما كان فعلم الله منه الصدق فرد عليه لسانه وبصره فخر لله ساجدا وعلم ان ذلك من الله تعالى فامن به وصدقه فانطلقت أم موسى به والقته في البحر وذلك بعد ما ارضعته ثلاثة اشهر وكان لفرعون يومئذ بنت ولم يكن له ولد غيرها وكانت من اكرم الناس عليه وكان

وكان مسيرة بلده من بلادنا خمسة ايام ذهابا وخمسة ايام ايابا فلما كان يوم السادس قدم على اصحابي وغلماني ومعهم القرطاس بخطه والعلامة التي كانت بيني وبينه فسألتهم عن سرعة مجيئهم فقالوا لما خرجنا من عندك وهومنا وصلنا الى بلاده في ساعة واحدة من غير تعب ولا نصب فلما رجعنا سرنا في الطريق خمسة أيام بالجهد والتعب والنصب فقلت عند سماع ذلك منهم أشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله وان دين الاسلام حق ثم خرجت من بلاد الروم الى بلاد الاسلام وصار امري الى ماترى والحمد لله وحده (حكى عن بعضهم عفا الله عنه) أنه قال كان في زمن خلافة معاوية بن أبي سفيان رضي الله تعالى عنهما امرأة علوية وكان لها ثلاث بنات فضاق الحال عليها واشتد بها الفقر فبكت بناتها يوما من الايام من الم الجوع فقالت المرأة لبناتها اصبرن حتى اطلب لكن شيأ من عند القاضي من بيت مال المسلمين قال فصبرت بناتها عند سماع ذلك منها الى الصباح ثم مضت الى دهن الى بيت القاضي فلما وصلت استأذنت في الدخول

لها كل يوم ثلاثة حاجات ترفعها اليه وكان بها برص شديد وكان فرعون قد جمع لها الاطباء من مصر
والسحرة فنظروا في امرها فقالوا ايها الملك انا لا نرى برأها الا من قبل البحر شيء يؤخذ منه شبه الانسان
فيؤخذ من ريقه ويلطخ به برصها فتبرأ من ذلك وذلك في يوم كذا وكذا من شهر كذا وكذا في ساعة
كذا وكذا حين تشرق الشمس فلما كان في يوم الاثنين غدا فرعون الى مجلس له كان على شفير النيل ومعه
امرأته آسية بنت مزاحم واقبلت بنت فرعون وجواريها حتى جلست على شاطىء النيل مع جواريها
يتلاعبن وينضحن الماء على وجوههن فبينماهن على ذلك اذا اقبل النيل بالتابوت تضرب به الامواج فقال فرعون
ان هذا الشيء في البحر قد تعلق بالشجر ائتوني به فابتدروه من كل جانب بالسفن حتى وضعوه بين يديه فعالجوا
فتح الباب فلم يقدروا عليه وعالجوا كسره فلم يقدروا فدنت منه آسية فرأت في جوف التابوت نوراً لم يره
غيرها للامر الذى أراد الله تعالى من اكرامها وهدايتها فعالجته ففتحت التابوت فاذا هي بصبي صغير في مهده
والنور بين عينيه وقد جعل الله رزقه في ابهامه يمص منها لبناً فالقي الله تعالى محبة موسى في قلبها وأحبه فرعون
وعطف عليه واقبلت بنت فرعون عليه فلما اخرجوه من التابوت عمدت بنت فرعن والى ما كان يسيل من
ريقه فلطخت به برصها فبرأت فقبلته وضمته الى صدرها فقالت الغواة من قوم فرعون ايها الملك انا نظن
ان المولود الذى تحذر منه من بني اسرائيل هو هذا رمي به في البحر أو اقتله فهم فرعون بقتله فاستوهبته منه
آسية فوهبه لها ثم انه قال سميه فقالت قد سميته موشي لانه وجد بين الماء والشجر قالوا ثم ان ام موسى قالت
لاخته وكانت تسمي مريم قصيه اى اتبعى اثره واطلبيه هل تسمعين له ذكرا أحي هو أم قد اهلكته دواب
البحر ونسيت وعد الله فبصرت به على جنب أي عن بعد وهم لا يشعرون انها اخته وكانت آسية قد ارسلت
الى من حولها من كل انثى بها لبن لتختار له ظئراً تربي به موسى فجعل كلما اخذته امرأة منهن لترضعه لم يقبل ثديها
حتى أشفقت آسية ان يمتنع من اللبن فيموت فاحزنها ذلك فامرت به فاخرج الي السوق لتجتمع عليه الناس
ترجوان تصيب له ظئراً يقبلها ويأخذ ثديها ويوضع منها فلم يقبل ثدي امرأة فذلك قوله عز وجل وحرمنا
عليه المراضع من قبل فقالت اخت موسي حين اعياهم امره وأعيا الظؤرة هل ادلكم على اهل بيت يكفلونه لكم
وهم له ناصحون فاخذوها وقالوا لها ما يدريك بنصحهم له ولعلك قد عرفت هذا الغلام فدلينا على أهله فقالت
ما اعرفهم وانما نصحهم له وشفقتهم عليه من أجل رغبتهم في ظؤرة الملك ورجاء منفعته فتركوها فانطلقت الى
أمها فاخبرتها بالخبر فاتت فلما وضعته على ثديها في حجرها نزل اللبن من ثديها حتى ملأ جنبيه فانطلق البشير
الى آسية يبشرها ان قد وجدنا لابنك ظئراً فارسلت اليها فاتى بها فلما رأت ما يصنع بها قالت لها امكثي عندى
ترضعي ابني هذا فاني لم احب شيأً مثل حبه قط فقالت لا استطيع ان ادع بيتي وولدي فيضيعوا فان طابت
نفسك ان تعطينيه فاذهب به الى بيتي وولدى فيكون معي ولا اولى له الا خيرا فعلت والا فاني غير تاركة بيتي
وولدي وتذكرت ام موسى ما كان الله وعدها فتعاسرت على امرأة فرعون وايقنت ان الله سبحانه وتعالى
منجز وعده فرجعت بابنها الى بيتها من وقتها * وقيل كانت غيبة موسي عن أمه ثلاثة أيام ثم رده الله اليها
وذلك قوله عز وجل فرددناه الى امه كى تقر عينها ولا تحزن فلما جاءت به امه الى بيتها كادت تقول هو ابني
فعصمها الله عز وجل فذلك قوله تعالى ان كادت لتبدى به لولا ان ربطنا على قلبها لتكون من المؤمنين وانبته
الله نباتا حسنا وحفظه فلما ترعرع قالت آسية لام موسي احب ان تريني ابني فوعدتها يوما تريها اياه فيه فقالت
آسية لخواصها وقهارمتها لا يبقى منكن واحدة الا استقبلت ابني بهدية وكرامة فاني باعثة باميتة تحصي
ما تصنع كل قهارمة منكن فلم تزل الهدايا والتحف تستقبله من وقت ان اخرج من بيت امه الى ان دخل على
امرأة فرعون فلما ان دخل عليها اكرمته وفرحت به واعجبها ما رأت من حسن اثرها عليه ثم قالت لها انطلقي

فدخلت * وسلمت على
القاضى فرد عليها السلام
ثم قال ما حاجتك ياشريفة
فقالت له ياسيدي ان لى
ثلاث بنات وقد تركتهن
بالجوع وجئت اليك لعلك
ان تتصدق علينا بشيء من
بيت مال المسلمين قال فلما
سمع القاضي كلامها قال
لها غدا أعطيك شيأً قال
فخرجت من عنده وجاءت
الى البنات وهن يبكين من
شدة الجوع فقالت لهن
يابناتى طيبن فلو بكن فقد
وعدنا القاضى بانه في غد
يتصدق علينا وان شاء الله
تعالى غدا ارجع اليه كما قال
وآتيكم بشيء من عنده قال
فبتن تلك الليلة مستبشرات
فلما اصبح الصباح ذهبت
والدتهن الى بيت القاضي
فوجدته جالسا على باب
داره فسلمت عليه فرد
عليها السلام ثم قالت له
ياسيدى كنت وعدتني
بالامس بشيء وقد جئتك
طامعة فى طلبه فلما سمع
كلامها شتمها ونهرها وقال
اذهبي عني فرجعت المرأة
محزونة باكية وجاءت الى
خرابة كانت مجاورة لبيتها
فدخلت اليها وبكت بكاء
شديدا وقالت الهى باى
وجه ارجع الى بناتى وباى
عين انظر اليهن وباى
لسان اجيبهن وطال
بكاؤها وزاد تضرعها
وانتحابها قال وكان بالبلد

به الى فرعون ليكرمه فلما دخلت به على فرعون اخذه ووضعه في حجره فتناول موسى لحية فرعون حتى جذبها ونتف منها بعض شعرات وكان فرعون طويل اللحية ويقال انه لطم وجهه (وفي بعض الروايات) انه كان يلعب بين يدي فرعون وبيده قضيب صغير فضرب به على راس فرعون فغضب غضبا شديدا وتطير منه وقال هذا عدوي المطلوب فارسل الى الذباحين ليذبحوه فبلغ ذلك امرأة فرعون فجاءت تسعي الى فرعون وقالت له ما بدا لك في هذا الصبي الذي قد وهبته لى فاخبرها بما فعل فقالت له انما هو صبي لا يعقل وانما صنع هذا من صباه وانا اجعل فيه بيني وبينك أمرا تعرف به الحق واضع له حليا من الذهب والياقوت واضع له جمرا فان أخذ الياقوت فهو يعقل فاذبحه وان اخذ الجمرة علمت انه صبي ثم انه وضعت له طستا فيه الذهب والياقوت وطستا آخر فيه الجمر فمد موسي يده على انه ياخذ الجوهر ليقبض عليه فحول جبريل عليه السلام يده الى الجمر فقبض على جمرة ووضعها في فيه فجاءت على لسانه فاحرقته وذلك الذي قال في قوله تعالي واحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي فقالت له آسية الا تري الى فعله وانه صبي لا يعقل فكف عن قتله وصرف الله عنه ذلك السوء فلم يزل عزيزا مكرما في بيت فرعون وحببه الله اليه والى الناس كلهم حتى كان يحبه كل من يراه (ويروى) انه سئل ابليس هل احببت احدا من العالمين قال لا الا موسى بن عمران عليه السلام فقيل له وكيف ذلك قال لان الله تعالى قال والقيت عليك محبة مني فلم املك ان احببته

(الباب الثالث في ذكر حلية موسى بن عمران وهرون عليهما السلام)

قال كعب الاحبار كان هرون بن عمران نبي الله رجلا فصيح اللسان بين الكلام اذا تكلم تكلم بتؤدة وعلم وكان أطول من موسي وكان على أنفه شامة وعلى طرف لسانه ايضا شامة سوداء وكان موسي بن عمران رجلا آدم اللون جعدا طويلا كانه من رجال ازدشنوأة وكان بلسان موسى عقدة وثقل وسرعة وعجلة وكان ايضا على طرف لسانه شامة سوداء

(الباب الرابع في قصة قتله القبطي وخروجه من مصر وورده مدين)

قال اهل التفسير لما بلغ موسى بن عمران اشده كان يركب مراكب فرعون ويلبس ما يلبس فرعون وكان يدعي موسي بن فرعون وامتنع به عن بني اسرائيل كثير من الظلم والسخر التى كانت فيهم ولا يعلم الناس ان ذلك الا من قبل الرضاعة قالوا فركب فرعون ذات يوم مركبا وليس عنده موسي فلما جاء موسى قيل له ان فرعون قد ركب فركب موسي في اثره وادركه المقيل بارض يقال لها منف فدخلها نصف النهار وقد اغلقت اسواقها وليس في طرقها احد وهي التي قال الله تعالى فيها ودخل المدينة على حين غفلة من أهلها فبينما هو يمشي في ناحية المدينة اذ هو برجلين يقتتلان احدهما من بني اسرائيل والآخر من آل فرعون كما قال الله تعالى فوجد فيها رجلين يقتتلان هذا من شيعته وهذا من عدوه الآية والذي من شيعته يقال له السامري والذي من عدوه رجل من القبط كان خباز الفرعون واسمه فاتون وكان قد اشترى حطبا للمطبخ فسخر السامري ليحمله فامتنع السامري فلما مر به موسي استغاثه السامري على القبطي فقال موسى للقبطي دعه فقال الخباز لموسي انما آخذه في عمل أبيك وأبى ان يخلى سبيله فغضب موسي فبطش به وخلص السامري من يده فنازعه القبطي فوكزه موسى فقتله وهو لا يريد قتله فذلك قوله تعالى فوكزه موسى فقضي عليه قال موسي هذا من عمل الشيطان انه عدو مضل مبين ثم قال رب انى ظلمت نفسي فاغفر لى فغفر له انه هو الغفور الرحيم (وقال وهب) اوحى الله الي موسي بن عمران وعزتى وجلالى لو كانت النفس التى قتلت اقرت لى طرفة عين انى اله خالق رازق لاذقتك طعم العذاب وانما عفوت عنك لانها لم تقر لى ساعة واحدة انى اله خالق رازق قالوا ولما قتل موسى القبطى لم يرهما الا الله تعالى والاسرائيلى فلما قتله اصبح في المدينة

نصراني يقال له سيدوك وكان ذا مال كثير وغلمان وكان قلبه رقيقا للاسلام فمضي مارا بتلك الخربة فسمع بكاء المرأة ونحيبها فطاش عقله وقال لبعض غلمانه ائتونى بهذه المرأة فذهب غلمانه اليها واحضروها بين يديه فنظر اليها ودموعها تجرى على خدها فقال ما يبكيك ايتها الشريفة فقالت ان لى ثلاث بنات وقد تركتهن بالجوع وقصت عليه قصتها فقال سيدوك لغلمانه أعطوها الف دينار وبدلة من القماش قال فاعطوها ذلك فاخذتهم المرأة ودعت له بالاسلام وذهبت الى بناتها فاشترت لهن بدينار من ألوان الطعام ودخلت اليهن فاكلن وشبعن ثم قالت اللهم ارزقه من نعمائك في الجنة ثم فصلت لبناتها من ألوان الثياب قال فلما كان الليل راي القاضي في منامه كان القيامة قد قامت ثم أخذ القاضي ومضى به الى الجنة وجيء به الى قصر عالى البناء وهو من ذهب احمر شرافيه من الدر الابيض يضيء بين كل شرافتين جارية من الحور العين اشرق من الشمس وابهى من القمر فلما رأوه صاحوا في وجهه

خائفا يترقب الاخبار فاتوا فرعون وقالوا له ان بني اسرائيل قد قتلوا رجلا من آل فرعون فخذ لنا بحقنا ولا ترخص لهم في ذلك فقال فرعون ائتوني بقاتله ومن يشهد عليه لانه لا يستقيم ان يقضي بغير بينة ولا يثبت ملك على الاخذ بالظلم فاطلبوا ذلك فبينما هم يطوفون لا يجدون بينة اذ مر موسى من الغد فرأى ذلك الاسرائيلي يقاتل فرعونيا فاستغاثه الاسرائيلي على قتال الفرعوني فصادف موسى وهو نادم على ما كان منه بالامس فكره الذي رآه فغضب موسى فمد يده وهو يريد ان يبطش بالفرعوني وقال للاسرائيلي انك لغوي مبين فقر الاسرائيلي من موسى وظن انه يبطش به من أجل انه اغلظ عليه في الكلام وكان غضبان فلما أقبل لنصره ومد يده ظن انه يريد قتله فقال له ياموسى أتريد أن تقتلني كما قتلت نفسا بالامس الآية وانما قال ذلك مخافة من موسى وظن ان يكون موسى اراده ولم يكن اراده وانما اراد الفرعوني فتنازعا فذهب الفرعوني فاخبرهم بما سمع من الاسرائيلي وذكر ان موسى هو الذى قتل الرجل بالامس وهو المثل السائر العدو العاقل احرى عليك من الصديق الاحمق وينشد في معناه

ان اللبيب اذا تزايد بغضه * أحرى عليك من الصديق الاحمق

قال فلما أخبر فرعون بذلك أرسل الذباحين وامرهم بقتل موسى وقال لهم اطلبوه فانه غلام لا يهتدي الى الطريق فطلب موسى في ثنيات الطريق وكان موسى يسلك الطريق الاعظم فجاء رجل من شيعته من أقصى المدينة يقال له حزقيل وكان على بقية من دين ابراهيم وكان اول من صدق بموسى وآمن به (وروي) عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال سباق الامم ثلاثة لم يكفروا بالله طرفة عين حزقيل مؤمن آل فرعون وحبيب النجار صاحب يس وعلى بن أبى طالب كرم الله وجهه بالجنة وهو افضلهم قال فجاء حزقيل مؤمن آل فرعون فاخبر موسى بما امر به فرعون من قتله واختصر طريقا قريبا حتى سبق الذباحين اليه فاخبره الخبر فذلك قوله تعالى وجاء رجل من اقصى المدينة يسعى قال ياموسى ان الملا يأتمرون بك ليقتلوك فاخرج انى لك من الناصحين فتحير موسى ولم يدر اين يذهب فجاءه ملك على فرس بيده عنزة فقال له اتبعني فاتبعه فهداه الطريق الى مدين (وروى) عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال خرج موسى من مصر الى مدين وبينهما مسيرة ثمان ليال ويقال نحو من الكوفة الى البصرة فلم يكن له طعام الا ورق الشجر فما وصل اليها الا وقد وقع خف قدمه وان خضرة البقول لترى من بطنه

(الباب الخامس في دخول موسى مدين وتزويج شعيب ابنته اياه)

قالت العلماء لما انتهى موسى الى ارض مدين في ثمان ليال نزل في اصل شجرة واذا تحتها بئر وهى التي قال الله تعالى ولما ورد ماء مدين وجد عليه امة من الناس يسقون ووجد من دونهم امراتين تذودان اى تحبسان اغنامهما فقال لهما ما خطبكما قالتا لا نسقى حتى يصدر الرعاء لانا امراتان ضعيفتان لا نقدر على مزاحمة الرعاء فاذا سقوا واشيهم سقينا اغنامنا من فضول حاجتهم وما يبقى من حياضهم وابونا شيخ كبير تعنيان شعيبا (وروى) حماد بن سلمة عن ابى حمزة عن ابن عباس قال اسم ابى امراة موسى الذي استأجره ثيرون صاحب مدين ابن اخى شعيب النبي عليه السلام واسم احدى الجاريتين ليا ويقال حنونا والاخرى صفورا وهى امراة موسى عليه السلام فلما قالتا ذلك لموسى رحمهما وكان هناك بئر على راسها صخرة عظيمة وكان النفر من الرجال يجتمعون اليها حتى يرفعوها عن راسها وحكى الاستاذ ابو سعيد عبد الملك بن ابى عثمان الواعظ ان تلك البئر غير التي تسقى منها الرعاء قال وقد حضرتها ورايتها قال فرفع موسى الصخرة عن راسها واخذ دلوا لهما وقال لهما قدما غنمكما فسقى لهما اغنامهما حتى ارواها فرجعتا الى ابيهما سريعا قبل الناس وتولى موسى الى الظل ظل الشجرة وقال رب انى لما انزلت الى من خير فقير قال ابن عباس لقد قال ذلك موسى ولو شاء

وقالوا يامحروم كنا لك كانما وكان لك هذا القصر وهذه الجنة بما فيها من النعيم المقيم والان صرنا لسيدوك النصراني ثم طردوا القاضي واخرجوه من الجنة وأروه مقامه في النار قال فانتبه القاضي فزعا مرعوبا وهو يقول ياويلتاه على ما فرط مني ثم خرج من وقته مسرعا حتى جاء الى بيت سيدوك النصراني وطرق عليه الباب فخرج له غلام من غلمان سيدوك النصراني وقال من بالباب فقال القاضي فرجع الغلام وأخبر مولاه ان القاضي بالباب فاذن له بالدخول فدخل فلما رآه سيدوك رحب به واجلسه وقال ما حاجتك في هذا الليل فقال له القاضي هل عملت من خير في هذه الليلة فقال سيدوك انى بت في هذه الليلة سكران فمن اين لى فعل الخير قال فلم يصدقه القاضي وقال الذي عملته في هذه الليلة ابيعه بألف دينار فقال سيدوك حرصا على هذه القضية اخبرني حتى ابيعك قال فاخبره القاضي بما رآه في منامه وما وقع من القاضي فلما سمع سيدوك النصراني هذه الرويا وثب قائما على قدميه واغتسل ولبس ثيابا جديدة وجلس بين يدى القاضي

السان او ينظر الى خضرة امعائه من شدة الجوع لنظرها وماسأل الله تعالى الا اكلة وقال ابو جعفر محمد الباقر لقد قالها وانه لمحتاج الى شق تمرة قالوا فلما رجعتا الى ابيهما قال لهما ما أعجلكما واسرع رواحكما الليلة قالتا وجدنا رجلا صالحا فرحمنا فسقى لنا أغنامنا فقال لاحدهما اذهبي فادعيه الى فجاءته احداهما وهي التي تزوجها موسى وهي تمشي على استحياء فقالت له ان ابي يدعوك ليجزيك أجر ما سقيت لنا فقام موسى فتقدمته وهو يليها أي يتبعها فهبت ريح فالصقت ثوب المرأة بردفها فكره موسى أن يري ذلك منها فقال لها موسى امشي خلفي ودليني على الطريق قال إذا أخطأت فارمي قدامي بحصاة حتى أنهج نهجا فانني يعقوب لا ننظر الي اعجاز النساء فنعتت له الطريق الى منزل ابيها ومشت خلفه حتى دخل على شعيب فسأل شعيب موسي عن حاله وقصته فاخبره الخبر فقال له لا تخف نجوت من القوم الظالمين فقالت احداهما وهي التي كانت الرسول الى موسي يا أبت استأجره ان خير من استأجرت القوي الامين (قال) النبي صلى الله عليه وسلم أصدق الناس فراسة امرأتان كلتاهما تفرستا في موسى فاصابتا احداهما امرأة فرعون حين قالت قرة عين لي ولك لا تقتلوه والاخرى بنت شعيب حيث قالت يا أبت استأجره ان خير من استأجرت القوى الامين وانما قالت القوي الامين لانه ازال الحجر العظيم الذي لا يرفعه الا اربعون رجلا فقال لها أبوها هبك انك عرفت قوته فما أعلمك بامانته فاخبرته بما أمرها موسى من استدبارها اياه في الطريق فازداد فيه شعيب رغبة فقال اني اريد أن أنكحك احدي ابنتي هاتين على أن تأجرني ثماني حجج الي قوله من الصالحين أي في حسن الصحبة معك والوفاء بشرطك فقال موسى ذلك بيني وبينك أيما الاجلين قضيت الآية (وروى) عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه سئل اي الاجلين قضى موسي قال اكملهما وأفضلهما وروي انه قال قضى ارفاهما وتزوج بصغراهما

(الباب السادس في ذكر نعت عصا موسى وبدء امرها)

اختلف العلماء في اسمها والمنافع التي كانت فيها وما ظهر من دلالة قدرة الله فيها قالوا ثم ان شعيبا امر ابنته ان تاتيه بعصا ليعطيها موسي فيستعين بها في رعايته فجاءته بعصا وكانت تلك العصا وديعة عنده دفعها اليه ملك على صورة رجل فردها عليها شعيب وامرها ان تاتيه بعصا اخرى فما زالت ترجع وتاتيه بها بعينها لانها كانت كلما ردتها الى مكانها وارادت ان تاخذ غيرها سقطت هي في يدها فما زالت كذلك حتى أخذها شعيب واعطاها موسى فلما أعطاه اياها ندم على ذلك لانها كانت وديعة عنده فقال له شعيب رد على العصا فابى ان يردها عليه فتنازعا الى ان شرطا على أنفسهما ان يرتضيا حكم اول رجل يدخل عليهما فاتاهما ملك يمشي فتحاكما اليه فقال ضعها على الارض فمن حملها فهي له فوضعها موسي على الارض فعالجها الشيخ فلم يطق حملها فاخذها موسى بيده فرفعها فلما رأي شعيب ذلك تركها له وفي رواية اخرى ان موسى لبث عند شعيب ماشاء الله ثم استاذنه في الانصراف فاذن له وقال له ادخل هذا البيت وخذ عصا من العصي تكون معك تدرأ بها السباع عنك وعن غنمك وكانت عصي الانبياء يومئذ عند شعيب فلما دخل موسى البيت وثبت اليه العصا فصارت في يده فخرج بها فقال له شعيب ردها وخذ غيرها وذلك ان شعيبا كان قد اخبر بامر العصا ولم يدر شعيب ان صاحبها هو موسى فردها موسي الى البيت فالقاها وذهب ليأخذ غيرها فوثبت حتى صارت في يده ففعل ذلك مرارا فقال له شعيب ألم اقل لك خذ غيرها فقال موسى قد رددتها مرات فكلما فعلت ذلك وثبت حتى تصير في يدي فعلم شعيب ان ذلك أمر يريده الله تعالى فقال له خذها (قالوا) وزوجه ابنته ورعى له موسي عشر سنين وولد لموسى أولاد من ابنة شعيب * قالوا ولما خرج موسي من مدين ووافى مصر كان شعيب يزوره في كل سنة فاذا أكل قام موسي على رأسه ثم يكسر له الخبز ويلقيه بين يديه ويقول له كل (وقال

وقال امدد يدك فاني اشهد ان لا اله إلا الله وحده لا شريك له واشهد ان محمدا رسول الله ارسله جاءنا بالهدى ودين الحق قال فخرج القاضي من عنده باكيا حزينا فانظر يااخي الي البخل كيف جعل القاضي من اهل النار لبخله وجعل النصراني من اهل الجنة بكرمه وختم له بالخير والاسلام ما اعجب هذا وما احسنه (وحكى عن ذي النون المصري رضي الله تعالى عنه) انه قال بينما انا امشي على شاطيء النيل اذ رأيت عقربا يمشي فاخذت حجرا واردت قتله فهرب مني مسرعا حتي وقع في البحر فخرجت اليه ضفدعة فوثب العقرب على ظهرها ثم عامت به حتي طلعت الى الجانب الآخر وانا انظر اليها فتعجبت من ذلك وتبعته فلما نزل العقرب عن ظهرها سار حتي اتى الى مكان فيه رجل نائم سكران وقد اتى اليه تنين عظيم يريد ان يلدغه فاسرع اليه ذلك العقرب ولدغ التنين فقتله فازددت تعجبا ثم حمدت الله سبحانه وتعالى وجئت الى ذلك الرجل فايقظته فقام من نومه فزعا مرعوبا فلما راى الثعبان ولى هاربا فقلت له لا تخف قد كفيت

مقاتل) بل كان جبريل هو الذي دفع العصا الى موسى وهو متوجه الى مدين بالليل (قال كعب) لما قدم مكة عبد الله بن عمرو بن العاص قلت سلوه عن ثلاث فان أخبركم فانه عالم سلوه عن شيء من الجنة وضعه الله للناس وعن أول ما وضع في الارض وعن أول شجرة غرست في الارض فسئل عنها فقال عبد الله أما الشيء الذي وضعه الله للناس في الارض من الجنة فهو هذا الركن الاسود وأما أول ما وضع للناس في الارض فبئر برهوت باليمن يردها أرواح الكفار وأما أول شجرة وضعها الله تعالى في الارض فالعوسجة التي اقتطع منها موسى عصاه فلما بلغ ذلك كعبا قال صدق الرجل فعلى هذا القول انما اقتطع موسى عصاه من تلك الشجرة فأظهر الله فيها قدرته ومعجزة موسى فيها وقال ابن عباس كتب صاحب الروم الى معاوية يسأله عن أربعة أشياء لم يركضوا في رحم فلما قرأ معاوية الكتاب قال أخزاه الله وما علمي ما ههنا فقيل له اكتب الى ابن عباس فاسأله عن ذلك فكتب اليه يسأله عنها فكتب اليه ابن عباس في الجواب أما الاربعة التي لم يركضوا في رحم فآدم وحواء والكبش الذي فدى به اسمعيل وعصا موسى حيث ألقاها فصارت ثعبانا * وقال أكثر العلماء كانت عصا موسى من آس الجنة وكان طولها عشرة أذرع على طول موسى حملها آدم من الجنة الى الارض فورثها الناس صاغرا عن كابر الى أن وصلت الى شعيب فاعطاها موسى واختلف العلماء في اسمها فقال سعيد بن جبير اسمها ماسا وقال مقاتل ابن سليمان اسمها نفعة وقال ابن حبان اسمها غياث وقال آخرون اسمها عليق

(الباب السابع في صفة المآرب التي كانت فيها لموسى)

قال أهل العلم باخبار الماضين كان لعصا موسى شعبتان ومحجن في أسفل الشعبتين وسنان حديد في أسفلها وكان موسى اذا دخل مفازة ليلا ولم يكن قمر تضيء شعبتاها كالشمعتين من نار تضيئان له مد البصر وكان اذا أعوزه الماء دلاها في البئر فتمتد على قدر قعر البئر ويصير في رأسها شبه الدلو فيستقي بها واذا احتاج الى الطعام ضرب الارض بها فيخرج ما يأكل يومه وكان اذا اشتهى فاكهة من الفواكه غرسها في الارض فتخرج أغصان تلك الشجرة التي اشتهى موسى فاكهتها وأثمرت له من ساعتها ويقال كانت عصا موسى من اللوز وكان اذا جاع ركزها في الارض فاورقت وأثمرت وأطعمت وكان يأكل منها اللوز وكان اذا قابل بها عدوه يظهر على شعبتيها تنينان يقاتلان وكان يضرب بها على الجبل الوعر الصعب المرتقى وعلى الحجر والشوك فتفرج له الطريق وكان اذا أراد عبور نهر من الانهار بلا سفينة ضرب بها عليه فانفلق وبدا له فيه طريق منفرج وكان يشرب من احدى شعبتيها العسل ومن الاخرى اللبن وكان اذا أعيا في طريقه ركبها فتحمله الى أي موضع شاء من غير ركض ولا تحريك وكانت تدله على الطريق وكانت تقاتل أعداءه عنه وكان اذا طلب منها الطيب فاح منها الطيب فيتطيب ويطيب ثوبه واذا كان في طريق فيه لصوص يخاف الناس جانبهم تكلمه العصا فتقول له خذ جانب كذا وكذا ولا تأخذ حيث كذا وكذا وكان يهش بها على غنمه ويدفع بها السباع عنها والحشرات والحيات واذا سافر وضعها على عاتقه وعلق عليها جهازه ومتاعه ومخلاته ومقلاعه وكساءه وطعامه وشرابه قال ابن حبان قال شعيب لموسى حين زوجه ابنته وسلم اليه أغنامه يرعاها اذهب بهذه الاغنام فاذا بلغت مفرق الطريق فخذ على يسارك ولا تأخذ على يمينك وان كان الكلأ بها أكثر فان هناك تنينا عظيما أخشى عليك وعلى الاغنام منه فذهب موسى بالاغنام حتى اذا بلغ مفرق الطريق أخذت الاغنام ذات اليمين فاجتهد موسى أن يصرفها ذات الشمال فلم تطعه فخلاها على ما تريده ثم نام موسى والاغنام ترعى واذا بالتنين قد جاء فقامت العصا فحاربته فقتلته وأتت فاستلقت الى جانب موسى وهي دامية فلما استيقظ موسى رأى العصا دامية

شره ثم قصصت عليه القصة فاطرق راسه ساعة ثم رفعها وقال يارب هكذا تفعل بمن عصاك فكيف بمن اطاعك ثم قال وعزتك وجلالك ماعصيتك بعد هذا اليوم ابدا ثم ولى تائبا الى الله تعالى رحمة الله تعالى عليه (وحكى عن ذي النون المصرى أيضا رضي الله تعالى عنه انه قال بينا انا طائف بالبيت الحرام سنة من السنين اذ نظرت الى شاب في الطواف من احسن الناس وجها وعليه مدرعة من الصوف وهو يضحك في طوافه ويقول يامولاي هذه حضرة من يفتخر بعزك ولا ياناس بسواك قال ذو النون فدنوت منه وسلمت عليه وقلت حبيبي ومن الذي تعني بهذا الكلام وانه يفتخر فقال ياعم انظر الى صاحب هؤلاء العبيد والغلمان فنظرت فاذا بشاب جميل وهو يمشي ويتبختر في مشيه واثوابه تجر على الارض فقلت له ياحبيبي ومن يكون هذا الشاب فقال ياعم هذا عبد لاميرمكة يفتخر بكونه عبد لامير مكة فكيف لاافتخر وانا عبد الملك المتعال الذي أمير مكة عبده والسلاطين واهل السموات والارض تحت قضائه

والتنين مقتولا فعلم موسى ان في تلك العصا قدرة وعرف أن لها شأنا فهذه مآرب موسى اذا كانت في يده * وأما اذا ألقاها فيرى انها كانت تنقلب حية كأعظم مايكون من الثعابين سوداء مدلهمة تدب على أربع قوائم فتصير شعبتاها فما وفيه اثنا عشر نابا وضرسا لهما صرير وصريف يخرج منها لهب النار ويصير محجنها عرفا لها كأمثال النار تلتهب وعيناها تلمعان كما يلمع البرق تهب منها رياح السموم فلا تصيب شيأ الا أحرقته تمر بالصخرة مثل الناقة الكوماء فتبتلعها حتى ان الصخور في جوفها لتتقعقع وتمر بالشجر فتقصمها بأنيابها وتحطمها وتبتلعها وجعلت تلمظ وتتبرم كأنها تطلب شيأ تأكله وكانت تكون في عظم الثعبان وفي خفة الجان ولين الحية وذلك موافق لنص القرآن حيث يقول الله تعالى في موضع فاذا هي ثعبان مبين وفي موضع آخر كأنها جان وفي موضع آخر فاذا هي حية تسعى

(الباب الثامن في ذكر خروج موسى عليه السلام من مدين وتكليم الله اياه في الطريق وارساله الى فرعون واستعانته باخيه هرون وكيفية ذهابهما الى فرعون لتبليغ الرسالة)

قال الله عز وجل فلما قضى موسى الاجل الآية قالت العلماء بسير الانبياء لما ورد موسى أرض مدين وأتى عليه من يوم وروده تسع سنين قال له شعيب انى وهبت لك كل بلقاء وأبلق من نتاج أغنامي التي تضعها في هذه السنة يعني السنة العاشرة أراد بذلك مبرة موسى وصلة ابنته صفورا امرأة موسى قال فاوحى الله الى موسى ان اضرب بعصاك الماء الذي في مستقى الاغنام ففعل موسى ذلك ثم سقى الاغنام من ذلك الماء فما أخطأت واحدة من تلك الاغنام الاوضعت حملها ما بين أبلق وبلقاء فعلم شعيب أن ذلك رزق ساقه الله تعالى الى موسى وأهله فوفى موسى بشرطه وسلم اليه الاغنام التي وهبها منه وقضى موسى أتم الاجلين وأوفاهما * فلما قضى موسى الاجل وسار باهله منفصلا من أرض مدين وكان في ايام الشتاء ومعه امرأته واغنامه وهي في شهرها لاتدرى أتضع ليلا او نهارا فانطلق في برية الشام عادلا عن المدائن والعمران مخافة الملوك الذين كانوا بالشام وكان أكبر همه يومئذ طلب اخيه هرون واخراجه من مصران استطاع اليه سبيلا فسار موسى في البرية غير عارف بطرقها فالجأه المسير الى جانب الطور الايمن الغربي في عشية شاتية شديدة البرد واظلم عليه الليل واخذت السماء ترعد وتبرق وتمطر واخذ امرأته الطلق فعمد موسى الى زنده فقدحه فلم يور فتحير وقام وقعد ولم يكن له عهد بمثل ذلك في الزند واخذ يتأمل ما قرب وما بعد متحيرا ضجرا ثم اخذ يتسمع طويلا هل يسمع حسا او حركة فبينما هو كذلك اذ آنس من جانب الطور نورا فحسبه نارا فقال لاهله امكثوا انى آنست نارا لعلي آتيكم منها بقبس او اجد على النار هدى يعني من يدلني على الطريق وكان قد ضل الطريق فلما أتاها رأى نورا عظيما ممتدا من عنان السماء الى شجرة عظيمة هناك واختلفوا في تلك الشجرة ما كانت فقيل العوسجة وقيل العناب فتحير موسى وارتعدت فرائصه حيث رأى نارا عظيمة ليس لها دخان وهي تلتهب وتشتعل من جوف شجرة خضراء لاتزداد النار الا عظما ولا تزداد الشجرة الا خضرة فلما دنا موسى منها استأخرت عنه فلما رأى ذلك رجع عنها وخاف ثم ذكر حاجته الى النار فرجع اليها ودنت منه فنودى من شاطىء الوادي الايمن في البقعة المباركة من الشجرة ان يا موسى فنظر فلم ير احدا فنودى انى انا الله رب العالمين فلما سمع ذلك علم انه ربه تعالى فناداه ربه ان ادن واقرب فلما اقرب وسمع النداء ورأى تلك الهيبة خفق قلبه وكل لسانه وضعفت بنيته وصار حيا كميت الا ان روح الحياة تتردد فيه من غير حراك وارسل الله اليه ملكا يشد ظهره ويقوي قلبه فلما ثاب اليه عقله نودي فاخلع نعليك انك بالوادي المقدس طوى وكان السبب في أمره بخلع نعليه ما أخبرنا حامد بن عبد الله الاصبهانى قال حدثنا يحيى السدي قال حدثنا احمد بن نجدة قال حدثنا الجمالى قال حدثنا عيسى بن يونس

عن

وقدره قال ذو النون فدنوت من ذلك الشاب المعجب بنفسه وقلت له ياهذا كم تتبختر وانت عبد لامير مكة وهذا الشاب متاخر وهو عبد مالك السموات والارض ويحك تاخر عنه فهو احق بالتقدم منك فطوبى لك لو كنت مثله قال فطاف الشاب صاحب المدرعة الصوف وطاف الشاب الآخر وذهب الى بيته وقد أثرت فيه الموعظة فاشترى نفسه من سيده امير مكة وتصدق بجميع ما معه وما ملكت يده ولبس مثل ما كان على الشاب صاحب المدرعة الصوف وأقبل يطوف بالبيت في اليوم الثاني قال ذو النون فلما رآني قال ياسيدي أما تعرفني فقلت من أنت يرحمك الله قال أنا الذي كنت بالامس افتخر بعبودية امير مكة فانا اليوم أفتخر بعبودية ملك السموات والارض ثم قال يا سيدي اترى مولاى يقبلني على ما كان مني من تلك الذنوب قال ذو النون فقلت نعم أبشر فانك اليوم حبيب رب العالمين أما علمت انه ملك يدعو المدبرين عنه فكيف بالمقبلين عليه فقال الشاب الآن طيبت قلبي بعدما

عن حميد عن عبد الله بن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله فاخلع نعليك قال كانتا من جلد حمار ميت وفي بعض الاخبار غير مدبوغ (وقال مجاهد وعكرمة) انما قال فاخلع نعليك كي تمس راحة قدميه الارض الطيبة فتناله بركتها لانها قدست مرتين وقال سعيد بن جبير انما قال له ذلك لان الحفوة من امارات التواضع والاحترام فقيل له طأ الارض حافيا كما تدخل الكعبة لتحصل من بركة الوادى وقال اهل الاشارة النعل عبارة عن المرأة وذلك تاويله فى المنام فقيل له فرغ قلبك من شغل اهلك ثم قال له تعالى تسكينا لقلبه واذهابا لدهشته وما تلك بيمينك ياموسى قال هي عصاي الآية فقال الله تعالى ألقها ياموسى فالقاها فاذا هي حية تسعى قد صارت شعبتاها فمها ومحجنها عرفها في ظهرها وهي تهتز لها انياب وهي كما شاء الله أن تكون فرأى موسى امرا فظيعا فولى موسى مدبرا ولم يعقب فناداه ربه تعالى ان ياموسى اقبل ولا تخف انك من الآمنين سنعيدها سيرتها الاولى اي نردها عصا كما كانت ويقال ان الحكمة فى امر الله تعالى اياه بالقاء العصا قبل ان يصل الى فرعون لكيلا يفزع منها موسى اذا رآها على تلك الحالة عند فرعون فلما اقبل موسى قال له خذها اذ كانت عصاك ولا تخف لأنه كان ادعى الملك فقال هي عصاى فنبه على ذلك وكان على موسى جبة من صوف فلف كمه على يده وهو لها هائب فنودي ان احسر يدك فحسر كمه عن يده ثم ادخل يده تحت لحييها فلما ادخل يده قبض فاذا هي عصاه فى يده و يده بين شعبتيها حيث كان يضعها ثم قال له ادخل يدك فى جيبك تخرج بيضاء من غير سوء آية أخرى وانما قال في جيبك لانه لم يكن الملبوس كم واسع فضاق عليه فادخل يده في جيبه ثم أخرجها فاذا هي نور تلتهب يكل عنه البصر ثم ردها فخرجت كما كانت على لون يده فقال الله تعالى فذانك برهانان من ربك الى فرعون وملئه الآية ثم قال له اذهب الى فرعون انه طغى فقال موسى رب انى قتلت منهم نفسا فاخاف ان يقتلون واخى هرون هو افصح مني لسانا الى قوله يكذبون فقال له ياموسي انى اوقفتك موقفا لا أجعل بعده لاحد عليك سلطانا دونى ولا ينبغى لمن بعدك ان يسمع كلامى وانت فى اقرب الاماكن منى وعلى موسي يومئذ مدرعة من صوف قد خللها بخلال وجبة من صوف وثياب من صوف وقلنسوة من صوف والله تعالى يكلمه ويهديه اليه ويقول له ياموسى انطلق برسالتى وانت بعيني وسمعي ومعك قوتى وبصرى بعثتك الى خلق ضعيف من خلقى بطر نعمتى وامن مكرى وعبدوني وغرته الدنيا حتى جحد حقي وانكر ربوبيتي وزعم انه لا يعرفنى وانى احلف بعزتى وجلالى لولا الحجة والقدرة اللتان جعلتهما بينى وبين خلقى لبطشت به بطشة جبار يغضب لغضبه السموات والارض والبحار والجبال والشجر والدواب فلو اذنت للسماء لحصبته وللارض لابتلعته وللجبال لدكدكته وللبحار لغرقته ولكن سقط من عينى وهان على وصغر عندي ووسعه حلمى وانا الغني عنه وعن جميع خلقي وحق ذلك لى وانا خالق الغنى والفقير لا غني الا من اغنيته ولا فقير الا من افقرته فابلغه رسالتى وادعه الي عبادتى وتوحيدى والاخلاص لى وحذره نقمتي وبأسي وذكره آياتى واعلمه انه لا يقوم لغضبي شيء وقل له فيما بين ذلك قولا لينا لعله يتذكر او يخشى ولا تجله فى خطابك اياه ولا يروعك ما ألبسته من لباس الدنيا فان ناصيته بيدى ولا يطرف ولا ينطق ولا يتنفس عن شيء الا بعلمى واخبره بانى من العفو والمغفرة اسرع منى الى الغضب والعقوبة وقل له اجب ربك فانه واسع المغفرة وقد امهلك في طول هذه المدة وفي كلها تدعي الربوبية دونه وتصد عن عبادته وفي كل ذلك يمطر عليك السماء وينبت لك الارض ويلبسك العافية حتى لم تهرم ولم تسقم ولم تفتقر ولم تغلب ولو شاء لعاجلك بالنقمة ولسلبك ما أعطاك ولكنه ذو حلم عظيم ثم امسك الكلام عن موسى سبعة أيام بلياليها ثم قيل له بعد سبع ليال اجب ربك ياموسي فيما كلمك فقال رب اشرح لى صدرى الى قوله تعالى

كان انصدع فجزاك الله عني خيرا قال ذو النون فلما كان اليوم الثالث طلبته فلم اجده فسألت عنه فقال لى رجل امض معى الى بيته فمضيت معه الى بيت الشاب فوجدته قدمات فتأسفت عليه أسفا شديدا وسألت عنه فقيل لي انه دخل بيته أمس ولزم محرابه وبكى على نفسه طول ليلته هذه فاصبح كما ترى قال ذو النون وعظناه فاصلحنا امره ولم يبق احد بمكة حتى حضر جنازته من الرجال والنساء والولدان بغير داع لهم وخرجوا يشيعون جنازته فلما دفناه وانصرفنا من عنده اخذنى البكاء والنحيب عليه فلما كان الليل رأيته فى المنام وهو فى احسن صورة وعليه ثياب من السندس والاستبرق فلما رآنى قام الى واعتنقنى وقال ياسيدي أما تعرفني قلت بلى مافعل الله بك قال غفرلي وتجاوز عنى وقال ياعبدي هذه جنتى وقد أبحتها لك فدونك ما شئت فانا اليوم في مقعد صدق عند مليك مقتدر اللهم انفعنا به وبعبادك الصالحين آمين (وحكى عنه ايضا رضي الله تعالى عنه) انه قال ركبت فى مركب سنة من السنين الى بيت

بصيرا فقال الله تعالى قد أوتيت سؤلك ياموسي فجاهد بنفسك واخيك وكان قد خطر في قلب موسى ان فرعون في باس عظيم وجند كثير وانا واخى وحيدان فريدان فقال الله تعالى لهما انكما جندان عظيمان من جندي وانا معكما اسمع وارى وابصر كانوا كون معكما فلا تستضعفان ولا تستقلان ولو شئت ان آتيه بجنود لا قبل له بها فعلت ولكن ليعلم ذلك الشقي الضعيف الذى قد أعجبته نفسه وجنوده ان الفئة القليلة ولا قليل معي تغلب الفئة الكثيرة باذني ولا يعجبنكما زينته ولا يهولنكما عدته فلو شئت ان أزينكما من زينة الدنيا وبهجتها ما يبهت فرعون وملأه اذا نظروا اليها ويعلم ان مقدرته تعجز عما آتيتكما فعلت فلا تأسفا عما أزويه عنكما من متاع الدنيا وزينتها فان ذلك دأبي في أوليائي وأصفيائي اذودهم عن نعيم الدنيا ولذاتها كما يذود الراعي الشفيق غنمه عن المراتع الرديئة لكي تستكملوا نصيبكم من كرامتي في الآجل واعلم انه لا يتزين احد من عبادي بزينة هي ابلغ من الزهد في الدنيا وهي زينة الابرار ويقال ان الله تعالى كلمه في تلك المدة مائة الف كلمة واربعة عشر الف كلمة يقول له مع كل كلمة قتلت نفسا بغير حق (وقيل) لموسى عليه السلام بم عرفت ان الله تعالى هو الذى كلمك فقال لان كلام المخلوق انما يسمع من جهة واحدة بحاسة واحدة وهي السمع واني كنت اسمع كلام الله تعالى من جميع الجهات بجوارحي كلها فعرفت انه كلام الله تعالى (قالوا) ولما صعد موسى الجبل لمناجاة الله تعالى صار الجبل عتيقا فلما نزل موسى عنه عاد الى حالته الاولى فلما رجع موسى شيعته الملائكة وكان قلب موسى مشغولا بولده واراد ان يختنه فامر الله تعالى ملكا فمد يده ولم تزل قدمه عن موضعها حتى جاء به الملك ملفوفا في خرقة وناوله الى موسى فاخذ حجرين نحك أحدهما بالآخر حتى حدده كالسكين من الحديد فختن به ابنه ثم ان الملك عالج المقطوع من الختون فتفل فيه فبرأ من ساعته باذن الله تعالى ثم ان الملك رده الى موضعه الذى جاء به منه ولم يزل اهل موسى مقيمين في ذلك المكان لا يدرون ما فعل موسى حتى مر بهم راع من اهل مدين فعرفهم فاحتملهم وردهم الى مدين فكانوا عند شعيب حتى بلغهم خبر موسى بعد ما فلق البحر وجاوزه ببني اسرائيل وأغرق الله فرعون فبعث بهم شعيب الى مصر لموسى قالوا وخرج موسى من فوره ذلك لما ابتعثه الله الى مصر لا علم له بالطريق وكان الله تعالى يهديه ويدله وليس معه زاد ولا سلاح ولا حمولة ولا صاحب له ولا شيء من الاشياء غير العصا ومدرعة صوف وقلنسوة صوف ونعلين وكان يظل صائما ويبيت قائما ويستعين بالصيد وبقول الارض حتى ورد مصر فلما قرب من مصر اوحى الله تعالى اليه لا تخف ولا تجزع ثم أوحى الله تعالى الى أخيه هرون يبشره بقدوم موسى ويخبره انه قد جعله وزيرا له ورسولا معه الى فرعون وأمره ان يمر يوم السبت غرة ذي الحجة متنكرا الى شاطىء النيل ليلتقي بموسى تلك الساعة قال فخرج هرون واقبل موسي فالتقيا على شاطىء النيل قبل طلوع الشمس واتفق انه كان يوم ورود الاسد الماء وكانت لفرعون أسد تحرسه في غيضة محيطة بالمدينة من حواليها وكانت ترد الماء غبا وكان فرعون إذ ذاك في مدينة حصينة عليها سبعون سورا وكان بين كل سورين بساتين وانهار ذات مزارع وارض واسعة في ربض لكل سور سبعون الف مقاتل ومن وراء تلك المدينة غيضة تولى فرعون غرسها بيده وعمل فيها وسقاها بالنيل واسكنها الاسد فتناسلت وتوالدت حتى كثرت ثم اتخذها جندا من جنوده تحرسه وجعل خلال تلك الغيضة طرقا تفضي بمن سلكها الى ابواب المدينة معلومة ليس لتلك الابواب طرق غيرها فمن أخطأها وقع في تلك الغيضة فتأكله الاسود وكانت الاسود اذا وردت النيل ظلت عليه يومها كله ثم تصدر مع الليل قال فلما التقى موسى بهرون وكان يوم ورودها فلما رأتهما الاسد مدت أعناقها ورؤوسها اليهما وشخصت بابصارها نحوهما وقذف الله في قلوبها الرعب فانطلقت نحو الغيضة مسرعة هاربة على

وجوهها

الله الحرام وكانت معي زوجتي وكانت حاملا فبينما نحن سائرون اذ كسرت بنا المركب فنجوت أنا وزوجتي على لوح من ألواح السفينة فبينما نحن على ذلك اللوح اذا بها قد ولدت غلاما فصاحت بي يا رجل ادركني فاني عطشانة فقلت أما ترين حالنا وما نحن فيه من الغرق ثم رفعت بصري الى السماء واذا برجل صالح في الهواء وبيده سلسلة من ذهب فيها ركوة من ياقوتة حمراء فيها ماء اشد بياضا من اللبن وابرد من الثلج واحلى من العسل فقال لي هاك اشرب فاخذتها منه وسقيت المرأة وشربت فاذا هي اطيب رائحة من المسك فقلت له من انت يرحمك الله فقال عبد من عباد الله تعالى فقلت له بم وصلت الى هذه المرتبة فقال تركت هواي لهواه فاسكنني في الهواء ثم غاب عن بصري فلم اره رضي الله تعالى عنه ونفعنا به آمين (وحكى عن بعضهم رضي الله تعالى عنه) انه قال كان عندنا رجل حداد كان يدخل يده في النار ويخرج بها الحديد المحمي ولم تمسه النار فقصده رجل لينظر صدق ذلك الامر فلما دخل البلد سأل

وجوهها يطأ بعضها بعضا حتى اندست في الغيضة وكان لها ساسة يسوسونها او دادة يدودونها أى يغرونها ويسلطونها على الناس فلما اصابها ما أصابها خاف ساستها من فرعون ولم يشعروا من أين أتوا ثم ان موسى وهرون انطلقا فى تلك الغيضة حتى وصلا الى باب المدينة الاعظم الذى هو أقرب أبوابها الى منزل فرعون وكان منه يدخل ويخرج وذلك ليلة الاثنين بعد هلال ذى الحجة بيوم فاقام عليه سبعة أيام فكلمهما واحد من الحراس وقال لهما هل تدريان لمن هذا الباب فقال موسى ان هذا الباب والارض كلها وما فيها لرب العالمين وأهلها عبيد له فسمع ذلك الرجل كلاما لم يسمع مثله قط ولم يظن ان أحدا من العالمين يفصح بمثله فلما سمع الرجل ما سمع أسرع الى كبرائه الذي فوقه وقال لهم سمعت اليوم قولا وعاينت عجبا من رجلين هما عندي أعظم واشنع وافظع مما أصابنا في الاسد وما كانا يقدران أن يقدما على ما قدما عليه الا بسحر عظيم واخبرهم بالقصة فلم يزل ذلك الخبر يتداول حتى انتهى الى فرعون قال السدى باسناده سار موسى باهله نحو مصر حتى أتاها ليلا فتضيف أمه وهي لا تعرفه فاتاها في ليلة كانوا يأكلون فيها الطفيشل فنزل في جانب الدار فجاء هرون فلما ابصر ضيفه سأل عنه أمه فاخبرته انه ضيف فدعاه فاكل معه فلما قعدا وتحدثا سأله هرون من أنت فقال أنا موسى فقام كل واحد منهما الى صاحبه فاعتنقه فلما تعارفا قال له موسى يا هرون انطلق معى الى فرعون فان الله تعالى قد أرسلنا اليه فقال له هرون سمعا وطاعة فقامت أمهما وصاحت وضجت وقالت أنشدكما الله ان لا تذهبا الى فرعون فيقتلكما فابيا عليها ومضيا لامر الله تعالى فانطلقا اليه ليلا فاتيا الباب والتمسا الدخول عليه ليلا فقرعا الباب ففزع فرعون وفزع البواب فقال فرعون من هذا الذى يضرب بابى فى هذه الساعة فاشرف عليهما البواب وكلمهما فقال له موسى انى أنا رسول رب العالمين ففزع البواب وأتى فرعون واخبره بما سمع وقال له ان ههنا انسانا مجنونا يزعم انه رسول رب العالمين وقال ابن اسحق خرج موسى لما بعثه الله تعالى حتى قدم مصر على باب فرعون هو وأخوه هرون يلتمسان الاذن عليه وهما يقولان انا رسول رب العالمين فمكثا فيما بلغنا سنتين يغدوان الى بابه ويروحان وفرعون لا يعلم بهما ولا يجترئ احد ان يخبره بشأنهما حتى دخل عليه بطال له يلعب معه ويضحكه فقال له أيها الملك ان على بابك رجلين يقولان قولا عجيبا يزعمان ان لهما إلها غيرك فقال فرعون أدخلوهما فادخل موسى ومعه هرون عليهما السلام

﴿ الباب التاسع فى ذكر دخول موسى وهرون على فرعون ﴾

قال الله تعالى فأتيا فرعون فقولا انا رسول رب العالمين وقال تعالى فقولا له قولا لينا لعله يتذكر او يخشى (وروى) عمرو بن عبيد عن الحسن البصرى في هذه الآية قال قال لهما اعذرا اليه لعله يتذكر او يخشى فقولا له ان لك ربا ومعادا وان بين يديك جنة ونارا لعله عند ذلك يتذكر او يخشى وعيدكما وهو عندى لا يتذكر ولا يخشى قال لكيلا يقول أهلكته قبل ان اعذر اليه قال فلما أذن فرعون لموسى وهرون دخلا عليه فلما وقفا عنده دعا موسى بدعاء وهو لا إله إلا الله الحليم الكريم لا إله إلا الله العلى العظيم سبحان رب السموات السبع والارضين السبع وما فيهن وما بينهن ورب العرش العظيم وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين اللهم انى أدرأ بك فى نحره وأعوذ بك من شره واستعين بك عليه فاكفنيه بما شئت قال فتحول ما فى قلب موسى من الخوف أمنا وكذلك كل من دعا بهذا الدعاء وهو خائف أمن الله خوفه ونفس كربته وهون عليه سكرات الموت ثم ان فرعون قال لموسى من أنت فقال أنا رسول رب العالمين فتأمله فرعون فعرفه فقال له ألم نربك فينا وليدا ولبثت فينا من عمرك سنين وفعلت فعلتك التى فعلت وأنت من الكافرين معنا على ديننا هذا الذى هو الآن تعيبه قال موسى فعلتها اذا وأنا من الضالين أى من

عن الحداد فدل عليه فلما نظر اليه وتأمله رآه يصنع كما وصف له فامهله الرجل حتى فرغ من صنعته فاتاه وسلم عليه فرد عليه السلام فقال له الرجل انى ضيفك فى هذه الليلة فقال له الحداد حبا وكرامة فمضى به الى منزله وتمشى معه وبات هو واياه فلم يزد على فرضه ونام الى الصبح فقال الرجل فى نفسه لعله استترمني فى هذه الليلة فبات عنده ثانى ليلة وهو على حاله لا يزيد على الفرض فقال له الرجل يا أخى انى سمعت ما اكرمك الله به ورأيته باديا عليك ثم نظرت الى اجتهادك فما رأيت عليك كثرة عمل ولم تزد على فرضك فمن أين لك هذه المرتبة فقال له الحداد يا أخى انه كان لى حديث عجيب وامر مطرب غريب وذلك انه كان لى جارة جميلة وكنت بها مولعا فراودتها عن نفسها مرارا عديدة فلم اقدر عليها لاعتصامها بالورع فجاءت سنة قحط وجدب وعدم الطعام وعم الجوع الانام فبينما أنا يوما من الايام جالس ببيتى واذا بقارع يقرع الباب فخرجت لانظر اليه فاذا بها واقفة بالباب فقالت

الخاطئين ولم أرد بذلك القتل ففررت منكم لما خفتكم فوهب لي ربي حكما وجعلني من المرسلين ثم اقبل موسى ينكر عليه ماذكره له من يده عليه فقال وتلك نعمة تمنها علي ان عبدت بني اسرائيل اي اتخذتهم عبيدا تنتزع ابناءهم من أيديهم فتسترق من شئت وتقتل من شئت أي انما صيرني اليك ذلك قال فرعون وما رب العالمين قال رب السموات والارض وما بينهما ان كنتم موقنين قال فرعون لمن حوله من ملئه ألا تستمعون انكارا لما قال موسى قال موسى ربكم ورب آبائكم الاولين قال فرعون ان رسولكم الذى أرسل اليكم لمجنون يعني ماهذا بكلام رجل صحيح العقل اذ يزعم ان لكم إلها غيري قال موسى رب المشرق والمغرب وما بينهما ان كنتم تعقلون ثم قال فرعون لموسى لئن اتخذت إلها غيري لأجعلنك من المسجونين قال أولو جئتك بشيء مبين تعرف به صدقي وكذبك وحقي وباطلك قال فرعون فأت به ان كنت من الصادقين فالقى موسى عصاه فاذا هي ثعبان مبين فاتحة فاها قد ملأت ما بين جانبي القصر واضعة لحيها الاسفل في الارض والاعلى على سور القصر حتي رأى بعض من كان خارجا من مدينة مصر رأسها ثم توجهت لنحو فرعون تأخذه فانفض منها الناس وذعر منها فرعون ووثب عن سريره واحدث حتي قام من بطنه في يومه ذلك أربعين مرة وكان فيما يزعمون لا يسعل ولا يتمخط ولا ينصدع رأسه ولا تصيبه آفة مما يصيب الناس وما كان يقوم الا في كل أربعين يوما مرة واحدة وكان اكثر ما يأكل الموز لانه لا يكون له ثفل فيحتاج الى القيام وكانت هذه الاشياء مما زين له ان قال ماقال لانه ليس له من الناس شبيه (قالوا) فلما قصدته الحية صاح ياموسى أنشدك بالله وحرمة الرضاع إلا ما أخذتها وأمسكتها عني وأنا اومن بك وأرسل معك بني اسرائيل فاخذها موسى فعادت عصا كما كانت ثم ان موسى نزع يده من جيبه فاخرجها فقال له فرعون هذه يدك فما فيها فادخلها موسي في جيبه ثم أخرجها ولها نور ساطع في السماء تكل عنه الابصار قد أضاء ما حولها ودخل ضوؤها البيوت ورؤى من الكوى ومن وراء الحجب فلم يستطع فرعون النظر اليها ثم ردها موسى الى جيبه ثم أخرجها فاذا هي على لونها الاول قالوا فهم فرعون بتصديقه فقام اليه هامان وجلس بين يديه ثم انه قال له بينما أنت إله تعبد إذ أنت تابع لعبد فقال فرعون لموسي أمهلني اليوم وغدا فاوحى الله لموسي ان قل لفرعون انك ان آمنت بالله وحده عمرتك في ملكك ورددتك شابا طريا فاستنظره فرعون فلما كان من الغد دخل اليه هامان فاخبره فرعون بما وعده موسى من ربه فقال له هامان والله مايعدل هذا عبادة هؤلاء لك يوما واحدا ونفخ في منخره ثم قال له هامان أنا أردك شابا فاتى بالوشم فخضبه به فهو أول من خضب بالسواد فلذلك كرهه صلى الله عليه وسلم ونهى عنه فلما دخل عليه موسى ورآه على تلك الحالة هاله ذلك فاوحى الله تعالي اليه لا يهولنك مارأيت فانه لن يلبث الا قليلا حتى يعود الى حالته الاولى (وفي بعض الروايات) ان موسى وهرون لما انصرفا من عند فرعون أصابهما مطر في الطريق فاتيا على عجوز من أقرباء أمهما وكان فرعون وجه الطلب في أثرهما فلما دخل عليهما الليل ناما في دارها وجاء الطلب الي الباب والعجوز منتبهة فلما أحست بهم خافت عليهما فخرجت العصا من جانب الباب والعجوز تنظر اليها فقتلت منهم سبعة أنفس ثم عادت ودخلت الدار فلما انتبه موسى وهرون أخبرتهما العجوز بقصة الطلب ونكاية العصا فيهم ثم ان العجوز آمنت بهما وصدقتهما

﴿ الباب العاشر في قصة موسى وهرون مع فرعون والسحرة وخروجهم يوم الزينة الى الفضاء للمغالبة ﴾

قالت العلماء باخبار الانبياء ان موسي وهرون عليهما السلام وضع فرعون أمرهما وما أتيا به من سلطان

ياأخي أصابني جوع شديد فهل لك ان تطعمني لله فقلت لها اما تعلمين ما أنا فيه من حبك وما أقاسيه من أجلك فما أطعمك الا ان مكنتيني من نفسك فقالت الموت ولا معصية الله تعالى ومضت الى منزلها فلما كان بعد يومين عادت الي وقالت لي كالمرة الاولى فاجبتها مثل جوابي الاول فدخلت وقعدت في البيت وقد اشرفت على الهلاك فلما جعلت الطعام بين يديها ذرفت عيناها بالدموع ثم قالت هذا لله فقلت لا إلا أن تمكنيني من نفسك فقامت ولم تأكل منه شيأ وخرجت من عندي الى منزلها فلما كان بعد يومين اذا بها تقرع الباب فخرجت اليها وهي واقفة بالباب وقد قطع الجوع صوتها وقصم ظهرها فقالت ياأخي اعيتني الحيل ولم اقدر على التوجه لاحد غيرك فهل لك ان تطعمني لله فقلت مالم تمكنيني من نفسك فاطرقت رأسها ساعة ثم دخلت وقعدت في البيت ولم يكن عندي طعام فقمت واضرمت النار وصنعت لها طعاما فلما تجهز الطعام ووضعته بين يديها تداركني لطف الله تعالى وقلت في نفسي

الله تعالى على السحر فقال للملأ حوله ان هذان لساحران عليمان لهما اذا تأمرون قالوا اقتلهما فقال العبد الصالح حزقيل مؤمن آل فرعون أتقتلون رجلا أن يقول ربي الله الى قوله تعالى سبيل الرشاد وقال الملأ من قوم فرعون أرجئه وأخاه وابعث فى المدائن حاشرين يأتوك بكل ساحر عليم وكانت لفرعون مدائن فيها سحرة معدة للامر إذا أحزنه (قال ابن عباس) قال فرعون لما رأى من سلطان الله تعالى في اليد والعصا ما رأى انا لا نغالب موسى الا بمن هو مثله فاخذ غلمانا من بنى اسرائيل فبعث بهم الى قرية يقال لها الفرقاء يعلمونهم السحر كما يعلمون الصبيان في الكتاب فعلموهم سحرا كثيرا ثم ان فرعون واعد موسى موعدا ثم بعث الى السحرة فجيء بهم ومعهم معلمهم فقال له ماذا صنعت فقال له معلمهم قد علمتهم سحرا عظيما كبيرا لا تطيقه سحرة الارض الا أن يكون أمرا من السماء فانهم لا طاقة لهم به ثم ان فرعون بعث الى الشرط فى مملكته فلم يتركوا فى مملكته ساحرا الا أتوا به واختلفوا فى عدة السحرة الذين جمعهم فرعون فقال مقاتل كانوا اثنين وسبعين ساحرا اثنان من القبط وهما رؤساء القوم وسبعون من بنى اسرائيل (وقال الكلبي) كانوا سبعين ساحرا غير رؤسهم وكان الذي يعلمهم السحر رجلين مجوسيين من أهل نينوى (وقال) كعب كانوا اثني عشر ألفا وقال السدى كانوا بضعة وثلاثين ألفا وقال عكرمة سبعين ألفا وقال محمد بن المنكدر ثمانين ألفا والجامع لهذه الاقاويل ما روى ان فرعون جمع السحرة وهم سبعون ألفا فاختار منهم سبعة آلاف ليس فيهم الا من هو ساحر ماهر ثم اختار منهم سبعمائة ثم اختار منهم سبعين من كبارهم وعلمائهم قال مقاتل وكان اسم رأس السحرة شمعون وقال ابن جريج يوحنا وقال عطاء كان رأس السحرة بأقصى مدائن الصعيد وكانا أخوين فلما جاءهما رسول فرعون قالا لامهما دلينا على قبر أبينا فدلتهما عليه فاتياه وصاحا باسمه فاجابهما فقالا له ان الملك وجه الينا رسولا لنقدم عليه لانه أتاه رجلان ليس معهما سلاح ولا رجال ولهما عز ومنعة وقد ضاق الملك ذرعا من عزهما ومنعتهما ومعهما عصا اذا ألقياها لا يقوم لها شيء حتى تبلع الحديد والخشب والحجارة فاجابهما ابوهما وقال انظرا اذا هما ناما فان اقدرتما ان تسلا العصا فسلاها فان الساحر لا يعمل سحره وهو نائم فان عملت العصا وهما نائمان فذلك أمر رب العالمين لا طاقة لكما به ولا للملك ولا لجميع اهل الدنيا ثم انهما أتياهما في خفية وهما نائمان ليأخذا العصا فقصدتهما العصا قالوا ثم انه واعد موسى غدوة يوم الزينة وكان يوم سوق لهم عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال كان يوم عاشوراء ووافق ذلك يوم السبت أول يوم من السنة وهو يوم النيروز وكان يوم عيد لهم تجتمع اليه الناس من جميع الآفاق وقال عبد الرحمن بن زيد ابن أسلم كان تجمعهم بالميقات بالاسكندرية ويقال بلغ ذنب الحية الجزيرة من وراء البحر يومئذ قالوا ثم ان السحرة قالت لفرعون أئن لنا لاجرا ان كنا نحن الغالبين قال فرعون نعم وانكم اذا لمن المقربين يعني في المنزلة فلما اجتمع السحرة والناس جاء موسى متكئا على عصاه ومعه اخوه هرون حتى أتيا الجمع وفرعون فى مجلسه مع اشراف قومه فقال موسى للسحرة حين جاءهم ويلكم لا تفتروا على الله كذبا فيسحتكم بعذاب وقد خاب من افترى فتناجى السحرة فيما بينهم فقال بعضهم لبعض ما هذا بقول ساحر فذلك قوله تعالى فتنازعوا أمرهم بينهم وأسروا النجوى فقالت السحرة لنأتينك اليوم بسحر لم تر مثله وقالوا بعزة فرعون انا لنحن الغالبون وكانوا قد جاؤا بالعصى والحبال يحملها ستون بعيرا فلما ابوا الا الاصرار على السحر قالوا لموسى اما ان تلقي واما ان نكون نحن الملقين قال لهم موسى بل ألقوا أنتم حبالكم وعصيكم فالقوا فاذا هي حيات كامثال الجبال قد ملأت الوادى يركب بعضها بعضا تسعى فذلك قوله تعالى يخيل اليه من سحرهم انها تسعى الى قوله تعالى خيفة موسى فقال موسى والله انها كانت لعصيا في أيديهم ولقد

ويحك يا هذا ان هذه إمرأة ناقصة عقل ودين تمتنع من طعام لا قدرة لها عليه وهي تتردد المرة بعد المرة من ألم الجوع وأنت لا تنتهى عن معصية الله تعالى ثم قلت اللهم انى تائب اليك مما كان مني انى لا أقربها في معصية أبدا فدخلت اليها وهي تأكل فقلت لها كلي ولا روع عليك فانه لله سبحانه وتعالى فلما سمعت ذلك رفعت رأسها الى السماء وقالت اللهم ان كان صادقا فحرم عليه النار في الدنيا والآخرة قال فتركتها انا كل وقت لا تزيل النار وكان ذلك في زمن الشتاء فوقعت جمرة على قدمي فلم تحرقني فدخلت اليها وانا فرح مسرور وقلت ابشرى فان الله تعالى اجاب دعاءك فرمت اللقمة من يدها وسجدت شكرا لله تعالى وقالت اللهم أريتني مرادي فيه فاقبض روحي هذه الساعة فقبض الله روحها وهى ساجدة رحمة الله تعالى عليها ونفعنا بها وهذا حديثي يا اخى والله سبحانه وتعالى اعلم بالصواب

(وحكى عن بعضهم عفا الله تعالى عنه) انه قال كان في بني اسرائيل رجل عابد في كهف في الجبل لا يراه

عادت حيات وماعصاى هذه فلما احدث نفسه بذلك أوحى الله اليه لاتخف انك أنت الاعلى وألق مافى يمينك تلقف ماصنعوا انما صنعوا كيد ساحر ولا يفلح الساحر حيث أتى ففرح موسى ثم انه ألقى عصاه من يده فاذا هي ثعبان مبين كأعظم مايكون من الثعابين اسود مدلهم يدب على اربع قوائم قصار غلاظ شداد وهو اعظم واطول من بختى عظيم وله ذنب يقوم عليه فيشرف فوق حيطان المدينة برأسه وعنقه وكاهله لايضرب بذنبه على شيء الاحطمه وقصمه ويكسر بقوامه الصخور الصم الصلاب ويطحن كل شيء ويصرم الحيطان والبيوت نفسه نار وله عينان تلتهبان نارا ومنخراه ينفخان سموما وعلى معرفته شعر كامثال الرماح وصارت الشعبتان له فما سعته اثنا عشر ذراعا وفيه انياب واضراس لها فحيج وكشيش وصريف وصرير فاستعرضت ماألقت السحرة من حبالهم وعصيهم وهي تخيل في أعين الناس وعين فرعون انها تسعى فجعلت تلقفها وتبلعها واحدا واحدا حتى لم ير في الوادى لاقليلا ولا كثيراً مما ألقوا وانهزم قوم فرعون هاربين منقلبين فتزاحموا وتضاغطوا ووطىء بعضهم بعضا حتى مات منهم يومئذ فى ذلك الزحام خمسة وعشرون ألفا وانهزم فرعون فيمن انهزم متخوفا مرعوبا ذاهبا عقله وقد استطلق عليه بطنه من يومه ذلك الى اربعمائة مرة فصار يحصل له ذلك اربعين مرة فى كل يوم وليلة على الدوام الى ان هلك فلما انهزم الناس وعاين السحرة ماعاينوا قالوا لبعضهم لوكان ساحرا ماغلبنا ولاخفى علينا امره ولو كان سحرا فاين حبالنا وعصينا فالقى السحرة سجدا قالوا آمنا برب العالمين رب موسى وهرون وكان فيهم اثنان وسبعون شيخا قد انحنت ظهورهم من الكبر وكانوا اعلماء ورؤساء وكان رؤس السحرة خمسة نفر سابور وغادور وحفظ وخطط ومصفا وهم الذين آمنوا حين رأوا ماراوا من سلطان الله تعالى فلما رأى فرعون ذلك اسف وقال لهم متجلدا آمنتم له قبل ان آذن لكم انه لكبيركم الذى علمكم السحر الى قوله تعالى اشد عذابا وابقى قالوا لن نؤثرك على ماجاءنا من البينات الآية فقطع أيديهم وارجلهم من خلاف وصلبهم في جذوع النخل وهو اول من فعل ذلك فاصبحوا سحرة كفرة وامسوا شهداء بررة ورجع فرعون مغلوبا مهزوما مكسورا ثم ابى الا الاقامة على الكفر والتمادى في الشر فتابع الله عليه الآية واخذه وقومه بالسنين الى ان اهلكهم ثم ان موسى عاد راجعا الى قومه والعصا على حالها حية تتبعه وتبصبص حوله وتلوذ به كما يلوذ الكلب الالوف بصاحبه والناس ينظرون اليها ويتعجبون منها وقد ملؤا رعبا فلم تزل العصا على هيئة الحية والناس يتحدثون وينظرون اليها ويتضاعفون ويتضاغطون حتى دخل موسى عليه السلام عسكره بني اسرائيل فاخذ برأسها فاذا هي عصا كما كانت اول مرة وشتت الله على فرعون امره ولم يجد الى موسى سبيلا واعتزل موسى مدينته ولحق بقومه وعسكره وكانوا مجتمعين الى ان صاروا ظافرين

﴿ الباب الثانى عشر فى قصة حزقيل مؤمن آل فرعون وامرأته ومقتله وأولاده رضي الله عنهم أجمعين ﴾

قالت الرواة كان حزقيل من اصحاب فرعون نجارا وهو الذى صنع لام موسى التابوت حين ولدته والقته فى البحر وقيل انه كان خازنا لفرعون قد خزن له مائة سنة وكان مؤمنا مخلصا يكتم ايمانه الى ان ظهر موسى على السحرة فظهر حزقيل امره فاخذ يومئذ وقتل مع السحرة صلبا وهو الذى ذكره الله فى القرآن فى قوله تعالى وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم ايمانه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم سباق الامم ثلاثة لم يكفروا بالله طرفة عين حبيب النجار مؤمن آل يس وحزقيل مؤمن آل فرعون وعلى مؤمن آل محمد صلى الله عليه وسلم وهو أفضلهم واما امرأة حزقيل فانها كانت ماشطة بنات فرعون

وكانت

احد من الناس ولا يرى احدا وعنده عين ماء كان يتوضأ منها ويشرب منها ويقتات من نبات الارض وكان يصوم النهار ويقوم الليل لايفتر عن العبادة وعليه انوار السعادة فسمع به موسى عليه السلام فقصده بالنهار فوجده مشغولا بالصلاة والاذكار ثم قصده بالليل فوجده مشغولا بمناجاة الجليل فسلم عليه موسى عليه السلام وقال له ياهذا ارفق بنفسك فان المولى كريم فقال يانبي الله أخاف أن أوخذ على غفلة فيقضى نحبي فاكون مقصرا بخدمة ربي فقال له موسى عليه السلام هل من حاجة الى مولاك ياهذا فقال نعم سله ان يعطيني رضاه ولا يشغلني باحد سواه حتى يقضى نحبي والقاه قال فلما صعد موسى عليه السلام الى مناجاة ربه واستغرق في لذة كلام خالقه نسى كلام العابد فقال الله عز وجل ياموسى ماقال لك عبدى العابد فقال موسى يارب انت اعلم بما قال فقال الله تعالى ياموسى اذهب اليه وقل له يتعبد ماشاء فى الليل والنهار فانه من اهل النار لما سبق له من الذنوب والاوزار فاتاه موسى عليه السلام واخبره بما قاله

وكانت مؤمنة من اماء الله الصالحات الا أنها كانت مع بنات فرعون تخدمهن وكان من قصتها ما أخبرنا به بالاسانيد عن سعيد بن جبير عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لما أسرى بى مررت برائحة طيبة فقلت لجبريل عليه السلام ماهذه الرائحة قال هذه رائحة ماشطة آل فرعون وأولادها كانت تمشط ذات يوم بنت فرعون فوقع المشط من يدها فقالت بسم الله فقالت بنت فرعون أبى قالت لا بل ربى ورب أبيك فقالت لها لاخبرن بذلك أبى فلما اخبرته دعاها و بولدها وقال لها من ربك فقالت ان ربى ور بك الله فامر بتنور من نحاس فاحمى وأمر بها و بولدها ان يلقوا فيه فقالت له ان لى اليك حاجة فقال وما هي قالت تجمع عظامى وعظام ولدى فتدفنها قال وذلك لك لما لك علينا من الحق ثم أمر باولادها فالقوا واحدا واحدا فى التنور حتى اذا كان آخر أولادها ولدا صبيا رضيعا فقال اصبرى يا أماه فانك على الحق فالقيت فى التنور مع ولدها فسئل ابن عباس فيمن تكلم في المهد فقال تكلم فى المهد اربعة عيسى بن مريم وشاهد يوسف وصاحب جريج وهذا الصبى

﴿ الباب الثانى عشر في ذكر آسية بنت مزاحم إمرأة فرعون ومقتلها رحمها الله تعالى ﴾

قال الله تعالى وضرب الله مثلا للذين آمنوا إمرأة فرعون يقال ان امرأة فرعون آسية كانت من بنى اسرائيل وكانت مؤمنة مخلصة وكانت تعبد الله سرا حتى انها كانت لتتعلل فى قضاء حاجتها فتبرز فتصلى يومها فى متبرزها خوفا من فرعون وكانت على تلك الحالة الى ان قتل فرعون امرأة حزقيل وكانت آسية متطلعة من كوة فى قصر فرعون تنظر الى الماشطة امرأة حزقيل كيف تعذب وتقتل فلما قتلت الماشطة عاينت آسية الملائكة وقد عرجت بروحها لما أراد الله تعالى من كرامتها وما أراد لها من الخير فزادت يقينا بالله وتصديقا فبينما هي كذلك اذ دخل عليها فرعون وجعل يخبرها بخبر الماشطة امرأة حزقيل وما صنع بها فقالت له آسية الويل لك يا فرعون ما أجرأك على الله تعالى فقال لها لعلك قد اعتراك الجنون الذى اعترى صاحبتك فقالت ما اعترانى جنون ولكنى آمنت بالله ربى ور بك رب العالمين فدعا فرعون أمها وقال لها ان ابنتك قد أخذها الجنون الذى أخذ الماشطة ثم انه أقسم لتذوقن الموت اولتكفر باله موسى فخلت بها أمها وسألتها موافقة فرعون فيما أراد فابت وقالت تريدين أن أكفر بالله فلا والله ما أفعل ذلك أبدا فامر بها فرعون فمدت بين اربعة اوتاد ثم مازالت تعذب حتى ماتت رحمها الله تعالى وذلك قوله تعالى وفرعون ذى الاوتاد عن ابن عباس قال أخذ فرعون امرأته آسية حين ابتدأ بها يعذبها لتدخل فى دينه فمر بها موسى وهو يعذبها فشكت اليه باصبعها فدعا الله موسى أن يخفف عنها من العذاب فبعد ذلك لم تجد للعذاب ألما الى ان ماتت فى عذاب فرعون فقالت وهي فى العذاب رب ابن لى عندك بيتا فى الجنة ونجنى الآية فأوحى الله اليها ان ارفعى رأسك فقعلت فرأت البيت فى الجنة من در فضحكت فقال فرعون انظروا الى الجنون الذى بها تضحك وهى في العذاب

﴿ الباب الثالث عشر في بناء الصرح ﴾

قال الله تعالى وقال فرعون يا هامان ابن لى صرحا الآية قالت العلماء كان الله تعالى قد أملى لفرعون فى كل باب من أبواب التملك والتسلط والثروة والتنعم والترفع والتمتع ما قد استخف به رعيته من أهل مملكته حتى استعبدهم فعبدوه وادعى الربوبية فقبلوه مع ما أوتى من العمر الطويل والقوة والمنعة والسعة والجنود والشوكة والعدة والمدد وكان قد بلغ من صحة جسمه واعتدال طبيعته وخلقته وقوة تركيبه وبنيته انه ربما لبث أربعين يوما وليلة لا يخرج منه شىء الامرة واحدة وهو مع ذلك يأكل ويشرب ولا يبزق ولا يتمخط ولا يتنحنح ولا يسعل ولا يأخذه وجع فى بطنه ولا ترمد عيناه ولا يمرض ولا تصيبه آفة في نفسه ولا كراهة قالوا وبلغ من املاء الله تعالى له انه كان يركب كل صعب وذلول من دوابه قال سعيد بن جبير ملك فرعون

مولاه وما سبق من ذنوبه وخطاياه فقال العابد مرحبا بقضائه وحكمه وكل شيء بيمين قدرته ثم بكى وقال ياموسي وعزته وجلاله ما برحت عن بابه ولو طردني ولا حلت عن جنابه ولو احرقني ومزقني ثم انشد يقول من الدوبيت

لو قطعني الغرام اربا اربا
ما ازددت الى لقائك الا حبا
مازلت به أسير وجد وضني
حتى يقضى على هواه نحبا

قال فلما صعد موسي عليه السلام الي المناجاة قال إلهي انت اعلم بما قال عبدك العابد فقال الله عزوجل ياموسي اذهب اليه وبشره انه من اهل الجنة وقد ادركته الرحمة والمنة وقل له تلقيت قضائي بالصبر والرضا ورضيت مني بأصعب الحكم والقضا فلو ملأت ذنوبك السموات والارض والفضا وملات جميع الاقطار لغفرتها لك وانا العزيز الغفار قال ففرح موسي عليه السلام واخبره بما قاله العزيز العلام فخر العابد ساجدا لله تعالى وحمدا له فما زال فى سجوده حتى قضى نحبه رضي الله تعالى عنه ونفعنا به وغفر لنا ولوالدينا آمين

اربعمائة سنة لايري مكروها ولوكان في تلك المدة أدرك جوع يوم اوحمي ليلة لما ادعي الربوبية وقدم على خطب عظيم وخطر جسيم فلم يمسه سوء ولا مكروه ولا تلقاه الا محبوب ومرغوب وكان له قصر من قصوره مشرف منيف على ألف درجة وسخر الله له دابة من دوابه يركبها فيصعد ذلك القصر عليها وكان يركبها صاعدا ونازلا مع ما أنعم الله تعالى به عليه استدراجا منه فلما عاين من أمر موسي ما عاين لم يزده ذلك الا عتوا واستكبارا وعلم من قومه الرعب والخوف فخاف عليهم ان يؤمنوا بموسى ويجعلوه مكانه فاحتال لنفسه وعزم على بناء صرح يقوى به سلطانه ويشيد اركانه فقال لوزيره ياهامان ابن لى صرحا لعلى أبلغ الاسباب أسباب السموات فاطلع الى إله موسي وانى لاظنه كاذبا فامر هامان ببنيانه فجمع له العمال والفعلة ولم يترك احدا يقدر عليه ممن يعمل البنيان الا جمعه لبنائه حتى اجتمع خمسون ألف بناء سوى الاتباع والاجراء ممن يطبخ الآجر والجص ويتخذ الخشب والابواب والمسامير فلم يزل يبني الصرح وييسر الله تعالى له أمره استدراجا له منه وأتاه الامر على مايريده الى ان فرغ منه فى سبع سنين فارتفع ارتفاعا لم يبلغه بنيان أحد من الخلق منذ خلق الله السموات والارض فشق ذلك على موسى فاوحى الله تعالى اليه ان دعه ومايريد فانى مستدرجه وآخذه بغتة وانى مبطل كل ما عمله في ساعة واحدة وكان ذلك الصرح اذا طلعت الشمس ضرب ظله نحو المغرب واذا غربت ضرب ظله نحو المشرق بحيث لا يعلمه الا الله تعالى فلما أتم بناءه بعث الله تعالى جبريل عليه السلام فضرب بجناحه الصرح ضربة فقطعه ثلاث قطع فوقعت قطعة منه فى البحر وقطعة في الهند وقطعة فى المغرب قال الضحاك بعث الله جبريل فضرب بجناحه الصرح فقذف به على عسكر فرعون فقتل منهم ألفى ألف رجل قالوا ولم يبق احد ممن عمل فيه الا أصابه موت اوحريق اوعاهة فامن نجار اوحداد او بناء الا يبست يده واما الذين كانوا يطبخون الآجر والجص فانهم احترقوا عن آخرهم واما القهارمة والعمال فماتوا وكان تدمير فرعون من أمر الله تعالى على ذلك كله ما بين طلوع الفجر الى طلوع الشمس فلما رأى فرعون ذلك من أمر الله تعالى علم ان حيلته لم تغن عنه شيأ فعزم على قتال موسي وقومه فامر أصحابه فنصبوا له الحرب ثم ان عسكر فرعون قالوا لموسى انك لساحر وانت عبد من عبيد فرعون أبقت منه وكفرت نعمته وتربيته ونسيت احسانه اليك ومنته عليك حيث ألقتك أمك في اليم قبحا لك وبغضا لك لما علمت ما أنت صائر اليه من سوء الحال فاستنقذك فرعون من الغرق واستدركك من الموت فآواك وكفلك ورباك واتخذك ولدا ثم فررت منه آبقا كافرا وجئته عدوا محاربا فلسنا بممتنعين عنك حتى نردك الى عبادته وخدمته اونذيقك الذل والهوان فلما رأى الله تعالى ذلك وقد علم انه لا يغني عنهم ما جاءهم به موسى لما سبق فيهم من مكر الله النافذ وحقت عليهم كلمة العذاب ابتلاهم الله بالعذاب وبالآيات

﴿ الباب الرابع عشر فى ذكر الآيات التى ابتلى الله بها فرعون وقومه حين دنا هلاكهم اظهارا لقدرته والزاما لحجته ﴾

قال الله تعالى ولقد آتينا موسي تسع آيات بينات قال المفسرون هى العصا واليد البيضاء والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم والطمس وفلق البحر فقال تعالى ولقد أخذنا آل فرعون بالسنين ونقص من الثمرات (قال قتادة) اما السنون فكانت بباديتهم ومواشيهم واما نقص الثمرات فكان في أمصارهم قال الله تعالى فارسلنا عليهم الطوفان الآية (واختلف المفسرون) في ذلك الطوفان ماهو (قال) ابن عباس كان أول الآيات الطوفان وهو الماء أرسل عليهم من السماء وقال مقاتل هو الماء طغى فوق حروثهم فأهلكها وقال الضحاك هو الغرق وقال مجاهد وعطاء هو الموت الذريع الجارف وروى

(وحكى عن الضحاك رضي الله تعالى عنه) انه قال خرجت ليلة جمعة بالكوفة اريد المسجد وكانت ليلة مقمرة فاذا بشاب حسن الثياب نظيف الاثواب فى بعض أرجاء المسجد ساجد لله تعالى وهو يجود بالبكاء فلم اشك انه ولي لله تعالى فدنوت منه لاسمع منه ما يقول فاذا هو يقول

عليك ياذا الجلال معتمدى
طوبى لعبد تكون مولاه
طوبى لمن بات خائفا وجلا
يشكو الى ذى الجلال بلواه
ومابه علة ولا سقم
اكثر من حبه لمولاه
اذا خلا في الظلام مبتهلا
أجابه الله ثم لباه

قال ولم يزل يكرر من قول عليك ياذا الجلال معتمدى وهو يبكى وانا ابكى شفقة عليه ثم ذكر كلاما معناه انه رأى نورا ساطعا وسمع قائلا يقول هذا الجواب

لبيك عبدى فانت في كنفي
وكل ما قلت قد سمعناه
صوتك تشتاقه ملائكتى
وذنبك الآن قد غفرناه

قال فقلت لعل هذه الرؤية والسماع المذكورين في حالة النوم او في غيبة فسلمت عليه فرد على السلام فقلت له بارك الله لك فى لبيك وبارك فيك من انت ترحمك الله فقال راشد بن

ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال وهب هو الطاعون بلغة أهل اليمن أرسل الله الطاعون على أبكار آل فرعون فافتضهن في ليلة فلم يبق منهن باقية وقال ابو قلابة الطوفان الجدري فهم اول من عذب به فبقي في الارض والجراد والقمل (واختلفوا) في القمل ما هو فقال سعيد ابن جبير عن ابن عباس القمل هو السوس الذي يخرج من الحنطة وروى عن أبي طلحة أنه الذباب وقال مجاهد والسدي وقتادة والكلبي وغيرهم الجراد الطيارة التي لها أجنحة والقمل الصغار التي لا أجنحة لها وروى معمر عن قتادة قال القمل أولاد الجراد وقال عبد الرحمن بن اسلم هو البراغيث وقال عطاء هو القمل دليله قراءة الحسن والقمل بفتح القاف وجزم الميم وقال ابو عبيدة هو الحنان وهو ضرب من القردان قال ابو العالية ارسل الله الحنان على دوابهم فاكلها حتى لم يبق منها شيء ولم يقدروا على المسير قال أميه بن ابى الصلت الثقفى

ارسل الذر والجراد عليهم وعذابا فاهلكتهم دبورا

(باب في صفة تنزيل هذه الآيات وتفصيلها وكيفيتها)

قال ابن عباس وسعيد بن جبير وقتادة ومحمد بن اسحق وغيرهم من أصحاب الاخبار دخل حديث بعضهم في حديث بعض لما آمنت السحرة وصلبهم عدو الله فرعون ورجع عدو الله مغلوبا مقهورا انصرف موسى وهرون الى عسكر بني اسرائيل فامر فرعون قومه ان يكلفوا بني اسرائيل ما لا يطيقون فكان الرجل من القبط يجيء الى الرجل من بني اسرائيل يقول له انطلق معي فاكنس حشي واعلف دوابي واستق لي وتجيء القبطية الى الكريمة من بني اسرائيل فتكلفها ما لا تطيق ولا يطعمونهم في كل ذلك خبزا فاذا انتصف النهار يقولون لهم اذهبوا فاكتسبوا لانفسكم ما تأكلون فشكوا ذلك الى موسى فقال لهم استعينوا بالله واصبروا ان الارض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين قالوا يا موسى اوذينا من قبل ان تأتينا ومن بعد ما جئتنا كنا نطعم اذا استعملونا من قبل ان تأتينا فلما جئتنا استعملونا ولم يطعمونا فقال موسى عسى ربكم ان يهلك عدوكم يعني فرعون والقبط ويستخلفكم في الارض يعني الشام ومصر فينظر كيف تعملون فلما أبى فرعون وقومه الا التمادي على الكفر والاقامة على المر والظلم دعا موسى ربه فقال يارب ان عبدك فرعون قد طغى في الارض وبغى وعتا وان قومه نقضوا عهدك واخلفوا وعدك رب خذهم بعقوبة تجعلها لهم نقمة ولقومي عظة ولمن بعدهم من الامم اعتبارا فتابع الله عليهم الآيات المفصلات بعضها في اثر بعض فاخذهم بالسنين ونقص من الثمرات ثم بعث الله عليهم الطوفان وهو الماء ارسل عليهم من السماء حتى كادوا يهلكون وبيوت بني اسرائيل وبيوت القبط مشتبكة مختلطة بعضها في بعض فامتلأت بيوت القبط حتى قاموا في الماء الى تراقيهم من جلس منهم غرق ولم يدخل بيوت بني اسرائيل من الماء قطرة واحدة وفاض الماء على وجه اراضيهم وركد فلم يقدروا على ان يحرثوا ولا يعملوا شيئا حتى جهدوا ودام ذلك عليهم سبعة ايام من السبت الى السبت فقالوا لموسى ادع لنا ربك يكشف عنا هذا العذاب فنؤمن بك ونرسل معك بنى اسرائيل فدعا موسى ربه فرفع عنهم الطوفان فلم يؤمنوا ولم يرسلوا معه بني اسرائيل وعادوا الى اشر ما كانوا عليه فانبت الله تعالى لهم في تلك السنة من الكلأ والزرع والثمرة ما لم ينبت قبل ذلك فاعشبت بلادهم واخصبت فقالوا هذا ما كنا نتمنى وما كان هذا الماء الا نعمة لنا وما يسرنا انا لم نمطر فاقاموا شهرا في عافية ثم بعث الله عليهم الجراد فاكل عامة زرعهم وثمارهم وأوراق أشجارهم وزهرها حتى انها كانت لتأكل الابواب والثياب والامتعة وسقوف البيوت والخشب والمسامير من الحديد حتى تساقطت دورهم وابتلى الجراد بالجوع فجعل لا يشبع وكان لا يدخل بيوت بنى اسرائيل ولا يصيبهم من ذلك شيء فعجوا وضجوا وقالوا

سليمان فعرفته لما كنت اسمع من امره وخبره أو كنت تمني لقاءه فلم أقدر على ذلك حتى يسره الله تعالى لي فقلت له هل لك ان تصحبني فقال هيهات وهل يانس بالمخلوقين من يتلذذ بمناجاة رب العالمين اما والله لو خرج على عصرنا هذا أحد من أصحاب النيات الصحيحة لقالوا هؤلاء أحزاب لا يؤمنون بيوم الحساب ثم غاب عن بصري فلم أره فاشتقت مرافقته ثم سألت الله تعالى ان يجمعني به قبل الموت فلما كان بعض الاعوام خرجت حاجا الى بيت الله الحرام فاذا به في ظل الكعبة واذا بنفر يقرؤن عليه سورة الانعام فلما نظر الى تبسم وقال هذا اطف العلماء او تواضح الاولياء ثم قام الى واعتنقني وسلم على وقال هل سألت الله تعالى ان يجمع بيننا قبل الموت قلت نعم فقال الحمد لله على ذلك ثم قلت له يرحمك الله اخبرني عما رأيت تلك الليلة وسمعت فشهق شهقة فظننت انه قد انفلق حجاب قلبه وخر مغشيا عليه ثم تفرق النفر الذين كانوا يقرؤن عليه فلما افاق قلت يا أخي ما هؤلاء النفر الذين كانوا يقرؤن عليك فقال هم نفر

يا موسى ادع لنا ربك بما عهد عندك لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك ولنرسلن معك بني اسرائيل فاعطوه عهد الله وميثاقه فسأل موسى ربه فكشف الله عنهم الجراد بعدما أقام عليهم سبعة أيام من السبت الى السبت ويقال ان موسى برز الى الفضاء فاشار الى المشرق بالعصا فذهب الجراد من حيث جاء كأن لم يكن

(فصل في بعض ما ورد من الاخبار الغريبة في الجراد)

أخبرني الحسن بن محمد باسناده عن جابر عن أنس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يدعو على الجراد يقول اللهم اقطع الجراد اللهم اقطع دابرهم اللهم اقتل كبارهم وأهلك صغارهم وأفسد بيضه وخذ بافواههم عن معايشنا وأرزاقنا انك أنت سميع الدعاء فقال رجل من القوم كيف ذلك يا رسول الله تدعو على جند من جنود الله بهلاكه وقطع دابره فقال انما الجراد نثرة حوت من البحر (قال ابن علاثة) وحدثني من رأى الحوت ينثره وباسناده عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في صدر الجراد مكتوب جند الله الاعظم * وباسناده عن جابر بن عبد الله قال عدم الجراد في سنة من سني عمر بن الخطاب رضي الله عنه فلم يخبر عنه بشيء فاغتم لذلك فارسل راكبا الى اليمن وراكبا الى الشام وراكبا الى العراق يسألون هل رأوا شيئا من الجراد أولا فاتاه الراكب الذي دخل اليمن بقبضة من الجراد فالقاه في يده فلما رآه كبر ثلاثا ثم قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول خلق الله ألف أمة منها ستمائة في البحر وأربعمائة في البر فاول شيء يهلك من هذه الامم الجراد فاذا هلك الجراد تتابع مثل النظام اذا قطع سلكه * وباسناده عن أبي امامة الباهلي يحدث عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ان مريم ابنة عمران سالت ربها أن يطعمها لحما لادم له فاطعمها الجراد فقالت اللهم أعشه بغير رضاع وتابع بينه بغير شياع فقلت يا أبا المفضل ما الشياع قال الصوت وباسناده عن عبد الله بن ضمرة السلولي قال لما أخرج الله تعالى ابليس من الجنة قال لاتخذن من عبادك نصيبا مفروضا قال الله تعالى وأنا متخذ من خلقي جندا هو الجراد فقال ابليس وأنا جندي النساء هن شبكتي التي لاتخطيء أبدا (أخبرنا) الحسين باسناده عن الاوزاعي كان يقول كان ببيروت رجل صالح يذكر انه رأى رجلا صالحا راكبا على جرادة قال وعليه خفان طويلان أظنهما أحمرين وهو يقول الدنيا باطل باطل مافيها ويقول بيده هكذا فحيثما أشار انساق الجراد الى ذلك الموضع فبلغنا ان ذلك الرجل ملك الجراد قال فاقام قوم فرعون شهرا في عافية ثم بعث الله عليهم القمل وذلك ان موسى أمر أن يمشي الى كثيب أعفر بقرية من قرى مصر تدعى عين شمس فمشى موسى الى ذلك الكثيب وكان مهيلا عظيما فضربه بعصاه فانهال عليهم القمل فتتبع ما بقى من حروثهم وأشجارهم ونباتهم فأكلها ولحس الارض كلها وكان يدخل بين ثوب أحدهم وبين جلده فيعضه وكان يأكل أحدهم الطعام فيمتلىء قملا حتى ان أحدهم ليبني الاسطوانة بالجص ويزلقها حتى لا يرتقى فوقها شيء ثم يرفع فوقها الطعام فاذا صعد اليه ليأكله وجده ملىء قملا فما أصيبوا ببلاء كان أشد عليهم من القمل وأخذ القمل أشعارهم وأبشارهم وأشفار عيونهم وحواجبهم ولزمت جلودهم كانها الجدري عليهم ومنعهم النوم والقرار ولم يستطيعوا لها حيلة وقال سعيد ابن جبير القمل السوس الذي يخرج من الحبوب فكان الرجل يخرج عشرة أقفزة الى الرحا فلا ترد منها ثلاثة أقفزة فلما رأوا ذلك شكوا الى موسى وصاحوا وقالوا يا أيها الساحر أي أيها العالم انا نتوب ولا نعود فادع لنا ربك بما عهد عندك يكشف عنا العذاب فدعا موسى ربه فكشف عنهم القمل فانتشروا في أقطار الارض واطراف البلاد بعدما أقام عليهم سبعة أيام من السبت الى السبت ثم نكثوا العهد وعادوا الى أخبث أعمالهم وقالوا ما كنا قط أحق ان نستيقن أن موسى ساحر لنا الا اليوم فيجعل

من الجن فهم يقرؤن علي القرآن ويحجون معي في كل عام ثم ودعني وقال جمع الله بيني وبينك في الجنة حيث لافرقة ولا تعب ولا نصب ثم غاب عن بصري فلم اره رضي الله تعالى عنه (وحكى عن عبد الله بن الاحنف رضي الله عنه) انه قال خرجت من مصر اريد الرملة لزيارة الشيخ الزيادي رضي الله تعالى عنه فرآني عيسى بن يونس المصري في الطريق فقال هل ادلك على خير لك فقلت نعم فقال عليك بصور فان فيه شيخا وشابا جالسين على حال المراقبة فلو نظرت اليهما نظرة لاغنتك باقي عمرك قال فسرت اليهما حتى دخلت عليهما وانا جائع عطشان وليس علي ما يسترني من الشمس فوجدتهما مستقبلين للقبلة فسلمت عليهما وكلمتهما فلم يكلماني فقلت اقسمت عليكما بالله العظيم الا ما كلمتماني فرفع الشيخ راسه وقال يا ابن الاحنف ما اقل سعيك حتى تفرغت الينا ثم اطرق راسه فقمت بين ايديهما حتى صليا الظهر والعصر فذهب عني الجوع والعطش والتعب فقلت للشاب عظني بشيء ياسيدي انتفع به فقال نحن اهل المصائب ليس لنا

الرمل دواب فعلى ماذا نؤمن ونرسل معك بني اسرائيل فقد اهلك زرعنا وحروثنا وأذهب اموالنا فما عسى أن يفعل اكثر مما فعل وعزة فرعون لا نصدق به أبدا ولا نتبعه فدعا عليهم موسى بعد ما أقاموا شهرا في عافية وقيل اربعين يوما فاوحى الله تعالى اليه وأمره ان يقوم على ضفة النيل فيغرز عصاه فيه ويشير بالعصا الى أدناه وأقصاه واعلاه وأسفله ففعل ذلك فتداعت له الضفادع بالنقيق من كل جانب حتى أعلم بعضها بعضا وأسمع أدناها أقصاها ثم انها خرجت من النيل مثل الليل الدامس سراعا تؤم نحو باب المدينة فدخلت عليهم في بيوتهم بغتة وامتلأت منه أفنيتهم وآنيتهم وأبنيتهم وكان أحدهم لا يكشف ثوبا ولا اناء ولا طعاما ولا شرابا الا وجد فيه الضفادع وكان الرجل يجلس الى ذقنه في الضفادع ويهم ان يتكلم فتثب الضفادع في فيه وكان احدهم ينام على فراشه وسريره فيستيقظ وقد ركبته الضفادع ذراعا بعضها فوق بعض وتصير عليه ركاما حتى لا يستطيع ان ينصرف الى شقه الايمن ولا الايسر وكان احدهم يفتح فاه لاكلته فتسبقه الضفدعة فيه وكانوا لا يعجنون شيئا من العجين الا انشدخت فيه ولا يطبخون قدرا الا امتلأت منه وكانت تثب في نيرانهم فتطفئها وفي طعامهم فتفسده فلقوا منها أذى شديدا (روى) عكرمة عن ابن عباس قال كانت الضفادع برية فلما أرسلها الله تعالى على فرعون سمعت وأطاعت فجعلت تقذف أنفسها في القدور وهي تفور وفي التنانير وهي مسجورة فأثابها الله تعالى بحسن طاعتها برد الماء قال فضجوا الى فرعون من ذلك وضاق عليهم أمرهم حتى كادوا يهلكون وصارت المدينة وطرقها مملوءة جيفا من كثرة ما يقتلونها باقدامهم وأروحت البقاع كلها منها فلما رأوا ذلك بكوا وشكوا الى موسى وقالوا اكشف عنا هذا البلاء فانا نتوب هذه المرة ولا نعود فاخذ عليهم عهودهم ومواثيقهم ثم ان موسى دعا ربه فكشف عنهم الضفادع وذلك فيما يروى ان موسى امر ان يهتف بعصاه ويميلها ففعل ذلك فانقشع ما كان منها حيا فلحق بالنيل وارسل الله على الميتة ريحا فنحتها عن مدينتهم بعد ما اقامت عليهم سبعة أيام من السبت الى السبت فاقاموا شهرا في عافية وقيل اربعين يوما ثم نقضوا العهد وعادوا الى كفرهم وتكذيبهم فدعا عليهم موسى فارسل الله عليهم الدم وذلك ان الله تعالى أمر موسى ان يذهب الى شاطئ البحر فيضربه بعصاه ففعل ذلك فسال عليهم النيل دما وصارت مياههم كلها دما وما يستقون من الانهار والآبار الا وجدوه دما احمر عبيطا فشكوا ذلك الى فرعون وقالوا انا قد ابتلينا بهذا الدم وليس لنا شراب غيره فقال لهم انه قد سحركم موسى فكان يجتمع الرجلان على الاناء الواحد القبطي والاسرائيلي فيكون مما يلي الاسرائيلي ماء ومما يلي القبطي دما عبيطا وكان القبطي والاسرائيلي يستقيان من ماء واحد فيخرج ماء القبطي دما وماء الاسرائيلي ماء عذبا وكانا يقومان الى الجرة التي فيها ماء فيخرج للاسرائيلي ماء وللقبطي دم حتى ان المرأة من آل فرعون تأتي الى المرأة من بني اسرائيل حين يجهدها العطش فتقول اسقيني من مائك فتسكب لها من جرتها او تصب لها من قربتها فتعود في الاناء دما حتى انها تقول لها اجعليه في فيك ثم مجيه في فيّ فتأخذ في فيها ماء فاذا مجته صار دما قالوا والنيل على ذلك يسقي الزرع والشجر فاذا ذهبوا ليستقوا من بين الزرع عاد الماء دما عبيطا وان فرعون اعتراه العطش في تلك الايام حتى انه اضطر الى مضغ الاشجار الرطبة فاذا مضغها صار ماؤها ملحا اجاجا ومرا زعاقا فمكثوا في ذلك سبعة ايام لا يأكلون ولا يشربون الا الدم (وقال زيد بن اسلم) كان الدم الذي سلط عليهم الرعاف فلما ضجروا من ذلك قالوا لموسى عليه السلام ادع لنا ربك يكشف عنا هذا الدم فنؤمن بك ونرسل معك بني اسرائيل فدعا موسى ربه فكشف عنهم ذلك وذلك ان موسى امر ان يضرب النيل بعصاه ضربة اخرى فضربه فتحول ماء صافيا كما كان فلم يؤمنوا ولم يفوا بما عاهدوا عليه وذلك قوله تعالى فارسلنا عليهم الطوفان الآيات قال نوف البكالي ابن امرأة كعب الاحبار مكث موسى في آل فرعون

لسان الحال ووقفت عندهما ثلاثة ايام بلياليها لم آكل ولم اشرب فلما كان عشية اليوم الرابع قلت في نفسي لابد من سؤالهما في موعظة أنتفع بها فرفع الشاب رأسه وقال عليك بصحبة من يذكرك الله تعالى بنظره ويعظك بلسان فعله لا بلسان قوله ثم التفت فلم أرهما فحزنت على فراقهما رضي الله تعالى عنهما ونفعنا بهما وببركاتهما آمين

(وحكى عن ذى النون المصري رضي الله تعالى عنه) أنه قال وصف لي رجل من السادة باليمن من الخائفين سما على المجتهدين وهو بصلاح الناس معروف وباللب والحكمة والخشوع موصوف قال فخرجت حاجا الى بيت الله الحرام وزيارة النبي عليه الصلاة والسلام فلما قضيت حجي قصدت زيارته لاسمع كلامه وأنتفع بموعظته وكان معي جماعة يطلبون كما أطلب من البركة والدعاء وكان في جملتهم شاب عليه سيما الصالحين ومنظر الخائفين مصفر اللون من غير سقم أعمش العينين من غير رمد يحب الخلوة ويأنس بالوحدة كأنه قريب عهد بمصيبة فقيل له ان يرفق بنفسه فلم يجب وانشد يقول شعرا

عشرين سنة بعد ماغلب السحرة يريهم الآيات الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم وقال أصحاب الاخبار لما يئس موسى من ايمان فرعون وقومه ورآهم لايزدادون الا الطغيان والكفر والتمادى والكبر دعا عليهم وأمن هرون عليهما السلام وهو ربنا انك آتيت فرعون وملأه زينة وأموالا فى الحياة الدنيا ربنا ليضلوا عن سبيلك ربنا اطمس على أموالهم واشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الاليم فاجاب الله دعاءهما كما قال الله تعالى قد اجيبت دعوتكما فاستقيما ولاتتبعان الآية قالوا وكان لفرعون وأصحابه من اثاث الدنيا وزهرتها وزينتها من الذهب والفضة واليواقيت وأنواع الحلى والجواهر مالايحصيه الا الله تعالى وكان اصل ذلك المال مما جمعه يوسف عليه السلام في زمانه أيام القحط فبقى ذلك في يد القبط فاوحى الله الى موسى عليه السلام انى مورث بنى اسرائيل مافي ايدى آل فرعون من العروض والحلى وجاعله لهم جهازا وعيادا الى الارض المقدسة فاجعل لذلك عيدا تعتكف عليه أنت وقومك تشكروني وتذكروني وتعظموني ذلك اليوم وتعبدونني فيه لما أريكم من الظفر ونجاة الاولياء وهلاك الاعداء واستعيروا لعيدكم من آل فرعون الحلي وانواع الزينة فانهم لايعنون عنكم للبلاء الحال بهم في ذلك الوقت ولما قذفت في قلوبهم لكم من الرعب ففعل موسى ذلك كما امره الله تعالى فامر فرعون بزينة اهله وولده وما كان في خزائنه من أنواع الحلى فاعيرت لبني اسرائيل لما اراد الله بذلك ان يفئ على موسى وقومه افضل اموال اعدائهم بغير قتال ولا ايجاف خيل ولا رجلا لطفا منه بهم وافضالا عليهم فلما دعا موسى عليهم مسخ الله الاموال التى بقيت فى أيديهم حجارة كلها حتى المنخل والدقيق (قال) محمد بن كعب القرظى سألنى عمر بن عبد العزيز عن التسع آيات التى اراها الله فرعون وقومه فقلت الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم والعصا واليد البيضاء والطمس وفلق البحر فقال عمر لايكون الفقه الا هكذا ثم انه دعا بخريطة فيها أشياء مما كان اصيب لعبد العزيز بن مروان اذ كان فيها بقايا اموال فرعون فاخرج البيضة مشقوقة نصفين وانها لحجر والجوزة مشقوقة وانها لحجر والحمصة والعدسة (وروى) محمد بن اسحق عن رجل من اهل الشام كان بمصر قال قد رأيت نخلة مصروعة وانها لحجر وقال لقد رأيت انسانا وماشككت انه انسان وانه لحجر وكان ذلك المسخ في ارقائهم دون احرارهم اذ العبيد من جملة أموالهم فلم يبق لهم مال الا مسخه الله تعالى ماخلا الذي بيد بني اسرائيل من الحلى والجواهر وانواع الزينة وقال ابن عباس اول الآيات العصا وآخرها الطمس قالوا وبلغنا ان الدنانير والدراهم صارت حجارة منقوشة كهيئتها صحاحا وانصافا وأثلاثا وجعل سكرهم حجارة

(الباب الخامس عشر فى قصة اسراء موسى عليه السلام ببني اسرائيل وخبر فلاق البحر لهم)

قال الله تعالى واوحينا الى موسى ان اسر بعبادي انكم متبعون قال العلماء باخبار الانبياء أوحى الله تعالى الى موسى حين اراد اظهاره على عدوه ان اجمع بني اسرائيل كل اهل اربعة بيوت فى بيت ثم اذبحوا أولاد الضأن واضربوا بدمائها على الابواب فانى مرسل على أعدائكم عذابا وانى سأرسل الملائكة فلا تدخل بيتا على بابه الدم وسآمرها ان تقتل أبكار آل فرعون من أنفسهم واموالهم فتسلمون انتم ويهلكون هم ثم اخبزوا فطيرا فانه اسرع لكم ثم اسر بعبادى حتى تنتهى بهم الى البحر فياتيك أمري فامر موسى بني اسرائيل ففعلت ذلك فقالت القبط لبني اسرائيل لم تجعلون هذا الدم على أبوابكم فقالوا ان الله تعالى لمرسل العذاب عليكم فنسلم وتهلكون فقالت لهم القبط فما يعرفكم ربكم الا بهذه العلامة فقالوا هكذا أمرنا نبينا فاصبحوا وقد طعن أبكار آل فرعون وماتوا كلهم في ليلة

أيها العاذلون فى الحب مهلا
حاش لي عن هواه انى اسلا
كيف أسلو وقد تزايد وجدى
وتبدلت بعد عزى ذلا
قيل تبلى فقلت تبلى عظامي في هواكم وحبكم ليس يبلى
حبكم قد سرى لوسط فؤادى
من قديم الزمان مذ كنت طفلا

قال ولم يزل الشاب فى جملتنا حتى انتهينا الى اليمن فسألنا عن منزل الشيخ فارشدنا اليه فطرقنا عليه الباب فخرج الينا كانه قد خرج من القبور فلما جلسنا بين يديه بدأ الشيخ الشاب بالسلام والكلام والمصافحة وأبدي له البشر والترحيب من دوننا فقال الشاب ياسيدى ان الله جعلكم أطباء للقلوب ولاوجاع الذنوب وان بى جرحا أغفل وداء تمكن واعضل فان قدرت ان تتلطف ببعض مراهمك فافعل وانشد يقول شعرا

ان داء الذنوب داء عظيم
كيف لى بالخلاص من داء ذنبي
هل طبيب مناصح لى فانى
اعجز الخلق والاطباء طبي
آه واخجلتي وطول حزني
من وقوفي اذا وصلت لربى
وانقطاع الجواب مني وهلا

واحدة وكانوا سبعين ألفا فاشتغلوا بدفنهم وبما نالهم من حزنهم على المصيبة وسرى موسى وقومه متوجهين الى البحر وهم ستمائة ألف وعشرون ألفا لا يعد فيهم ابن سبعين سنة لكبره ولا ابن عشرين سنة لصغره وهم المقاتلة سوى الذرية وكان موسى على الساقة وهرون على المقدمة فلما فرغ القبط من دفن أبكارهم وبلغهم خروج بني اسرائيل قال فرعون هذا عمل موسى وقومه قتلوا أبكارنا من أنفسنا ثم انهم خرجوا ولم يرضوا أن ساروا بانفسهم حتى ذهبوا باموالنا معهم فنادى فرعون في قومه كما قال الله تعالى فارسل فرعون في المدائن حاشرين ان هؤلاء لشرذمة قليلون وانهم لنا لغائظون وانا لجميع حاذرون ثم ان فرعون تبعهم في قومه وعلى مقدمته هامان في ألف ألف وسبعمائة ألف كل رجل على حصان وعلى رأسه بيضة وبيده حربة وقال ابن جريج ارسل فرعون في أثر موسى وقومه ألف ألف وخمسمائة ألف ملك مسور مع كل ملك ألف رجل ثم خرج فرعون خلفهم في الدهم وكان في عسكر فرعون مائة ألف حصان ادهم سوى سائر الالوان وذلك حين طلعت الشمس واشرقت كما قال الله تعالى فاتبعوهم مشرقين فلما تراءى الجمعان ورات بنو اسرائيل غبار عسكر فرعون قالوا ياموسى اين ماوعدتنا من النصر والظفر هذا البحر قدامنا ان دخلنا غرقنا وفرعون خلفنا ان ادركنا قتلنا ولقد اوذينا من قبل ان تاتينا ومن بعد ماجئتنا فقال موسى لقومه ياقوم استعينوا بالله واصبروا ان الارض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين وقال عسى ربكم ان يهلك عدوكم ويستخلفكم في الارض فينظر كيف تعملون

(فصل) قالوا ولما سار موسى ببني اسرائيل من مصر وارادوا ان يسيروا ضرب الله عليهم التيه فلم يدروا اين يذهبون فدعا موسى عليه السلام مشايخ بني اسرائيل فسالهم عن ذلك فقالوا له ان يوسف عليه السلام لما مات بمصر اخذ على اخوته عهدا ان لا يخرجوا من مصر حتى يخرجوه معهم فيضعوه في الارض المقدسة فلذلك نالنا هذا الامر فسالهم عن موضع قبره فلم يعلموه فقام موسى ينادي انشد الله كل من يعلم موضع قبر يوسف الا اخبرني ومن لا يعلم صمت اذناه عن قولي فكان يمر بين الرجلين ينادي فلا يسمعان قوله حتى سمعته عجوز منهم فقالت له ارايتك ان دللتك عليه اتعطيني ماسالتك فابى عليها وقال حتى استاذن ربي فامره ربه ان يعطيها اياها فاعطاها ذلك فقالت له اني اريد ان لا تنزل غرفة من الجنة الا نزلتها معك قال نعم قالت فاني عجوز كبيرة لا استطيع ان امشي فاحملني فحملها فلما دنت من النيل قالت له انه في جوف هذا الماء فادع الله ان يحسر عنه الماء فدعا الله تعالى فحسر عنه فقالت له احفر ههنا ففعل فاستخرجه وهو في صندوق من مرمر فحمله معه ودفنه في الارض المقدسة قال عروة ابن الزبير وقد كان الله تعالى امر موسى ان يسير ببني اسرائيل اذا طلع الفجر فدعا ربه ان يؤخر طلوعه حتى يفرغ من امر يوسف ففعل فمن ثم تحمل اليهود موتاهم من كل بلد الى الارض المقدسة من فعل نبيهم ذلك * اخبرني الحسن بن محمد باسناده عن ابن ابي موسى الاشعري عن ابيه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال نزل النبي صلى الله عليه وسلم باعرابي فاكرمه فقال له عليه السلام تعاهدنا فاتاه الاعرابي فقال له عليه السلام ماحاجتك قال له الاعرابي ناقة يارسول الله برحلها واعنز يحلبها اهلي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثانية ماحاجتك فقال مالي حاجة غيرها فقال عليه السلام ان عجوز ابني اسرائيل كانت احسن مسئلة من هذا وذكر الحديث الذي في قصة يوسف قال فلما انتهى موسى الى البحر هاجت الريح وعادت ترمي بموج كالجبال فقال له يوشع بن نون يا كليم الله اين امرت فقد غشينا فرعون والبحر امامنا فقال موسى ههنا فخاض يوشع بن نون الماء فجاز البحر ولم يوار حافر دابته الماء وقال الذي يكتم ايمانه وهو حزقيل مؤمن آل فرعون يا كليم الله اين امرت قال ههنا فكبح فرسه

وبلائي قد جل عن كل خطب فقال له الشيخ زل عما بدا لك فقال الشاب ياسيدي ماعلامة الخوف من الله تعالى فقال ان يؤنسك خوفه من كل خوف قال فخر الفتى مغشيا عليه فلما أفاق قال يرحمك الله متى يتيقن العبد خوفه من الله تعالى فقال اذا انزل العبد نفسه من الدنيا منزلة العليل فهو يحتمي من الطعام مخافة طول السقام ويصبر على غصص الدواء مخافة طول الضني قال فصاح الشاب صيحة وغشي عليه فلما أفاق قال ياسيدي ماعلامة المحب لله تعالى فقال الشيخ ان درجة المحبين رفيعة فقال الشاب احب ياسيدي ان تصفها لي فقال الشيخ ان الله سبحانه وتعالى شق لهم عن قلوبهم فابصروا بنور القلوب الى جلال عظمة المحبوب فصارت ارواحهم روحانية وقلوبهم نورانية وعقولهم سماوية تسرح بين صفوف الملائكة الكرام وتشاهد الامور باليقين والاعيان فعبدوه مبلغ استطاعتهم لا طمعا في جنته ولا خوفا من ناره قال فشهق شهقة فمات رحمة الله تعالى عليه فبكى الشيخ عليه بكاء شديدا وقال

بلجامه حتى طار الزبد من شدقه ثم اقتحم البحر فارتسب الماء فذهب القوم ليصنعوا مثل ذلك فلم يقدر وافجل موسى لا يدري كيف يصنع فاوحى الله اليه ان اضرب بعصاك البحر وكان الماء في ذلك الوقت في غاية الزيادة فضرب موسى البحر بعصاه فلم يطعه فاوحى الله تعالى اليه ان كنه فضربه ثانيا وقال انفلق يا اباخالد باذن الله تعالى فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم فلما انفلق البحر فاذا بالرجل الذي اقتحم فرسه البحر واقف على فرسه لم يبتل سرجه ولا لبده وظهر في البحر اثنا عشر طريقا لاثني عشر سبطا لكل سبط طريق وارسل الله تعالى الريح والشمس على قعر البحر حتى صار يبسا كما قال الله تعالى فاضرب لهم طريقا في البحر يبسا لا تخاف دركا ولا تخشى قال سعيد بن جبير ارسل معاوية الى ابن عباس يساله عن مكان لم تطلع فيه الشمس الامرة واحدة فارسل اليه انه المكان الذي انفلق عنه البحر لبني اسرائيل (اخبرنا) الحسن بن محمد باسناده عن عبد الله بن سلام ان موسى عليه السلام لما انتهى الى البحر قال يامن كان قبل كل شيء والمكون لكل شيء والكائن بعد كل شيء اجعل لنا فرجا ومخرجا فاوحى الله تعالى اليه ان اضرب بعصاك البحر فضرب بعصاه البحر فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم (وروى) الاعمش عن شقيق عن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا اعلمكم الكلمات التي تكلم بها موسى حين جاز البحر ببني اسرائيل فقلنا بلى يارسول الله قال قولوا اللهم لك الحمد واليك المشتكى وانت المستعان وعليك التكلان ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم قال عبد الله فما تركتهن منذ سمعتهن من رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا فخاض بنو اسرائيل البحر كل سبط في طريق وعلى جانبيه الماء كالجبل العظيم لا يرى بعضهم بعضا فخافوا وقال كل سبط قد قتل اخواننا فاوحى الله الى جبال الماء ان تشبكي فصار الماء شبكات كهيآت الطاقات فنظر بعضهم بعضا فاخذنا يجاوزون البحر وهم يرون بعضهم بعضا ويسمع بعضهم بعضا حتى عبروا البحر سالمين فذلك قوله تعالى واذ فرقنا بكم البحر أى فلقنا وميزنا لكم الماء يمينا وشمالا فانجيناكم واغرقنا آل فرعون وانتم تنظرون وذلك انه لما خرجت ساقة عسكر موسى من البحر وصلت مقدمة عسكر فرعون اليه فاراد موسى ان يدعو البحر ليرجع الى حالته الاولى فاوحى الله اليه ان اترك البحر رهوا اى ساكنا على حاله انهم جند مغرقون فلما وصل جند فرعون الى البحر راوه منفلقا فقال فرعون انظروا الى البحر كيف انفلق لهيبتي حتى ادرك اعدائي وعبيدي الذين ابقوا مني فاقتلهم فادخلوا البحر فهاب قومه ان يدخلوه ولم يكن في خيل فرعون انثى وانما كانت ذكورا كلها فجاء جبريل عليه السلام على فرس له انثى وديق مشتهية للفحل وعليه عمامة سوداء فتقدمهم وخاض البحر فظن اصحاب فرعون ان الفارس منهم فلما شمت الخيول ريحها اقتحمت البحر في اثرها حتى خاضوا كلهم وجاء ميكائيل على فرس خلف القوم يستحثهم ويقول لهم الحقوا باصحابكم فلما اراد فرعون ان يسلك طريق موسى نهاه وزيره هامان وقال له اني قد اتيت الى هذا الموضع مرارا ومالي عهد بهذا الطريق واني اخاف ولا آمن ان يكون مكرا من الرجل يكون فيه هلاكنا وهلاك اصحابنا فلم يطعه فرعون وذهب معاجلا على حصانه ليدخل البحر فامتنع الحصان فجاءه جبريل على رمكة بيضاء فصهلت فحمحم اليها حصان فرعون فخاض جبريل البحر فتبعها حصان فرعون فاقحمه البحر فلما توافوا في البحر وهم اولهم ان يخرج من البحر امر الله تعالى البحر ان ياخذهم فالتطم عليهم فغرقهم اجمعين وذلك بمرأى من بني اسرائيل فذلك قوله تعالى واغرقنا آل فرعون وانتم تنظرون يعني الى مصارعهم وانفرد جبريل عليه السلام بفرعون فلما ادرك فرعون الغرق قال آمنت انه لا اله الا الذى آمنت به بنو اسرائيل وانا من المسلمين فقال له جبريل الآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين ثم ان جبريل أراه

هكذا مصرع الخائفين رضي الله تعالى عنهم اجمعين (وحكى عن أبي القاسم الجنيد رضى الله تعالى عنه) انه قال كنت في مسجدلى واذا برجل قد دخل على وصلى ركعتين ثم امتد في ناحية من المسجد وأشار الى فلما جئته قال لى يا أبا القاسم قد آن لقاء الله تعالى فغسلني وكفني وصل على وادفني فاذا فرغت من امرى فسيدخل عليك شاب مصرى مغن فاذا حضر اليك فادفع له مرقعتي وعصاى وركوتي هذه قال الجنيد كيف يكون ذلك الى مغن قال يا جنيد انه بلغ رتبة القيام بخدمة الله تعالى واقيم في مقامى قال فلما قضى الرجل نحبه وفرغنا من مواراته في التراب دخل علينا شاب مصرى وسلم وقال أين الوديعة يا أبا القاسم فقلت له وكيف ذلك أخبرنا أيها الشاب بحالك فقال ياسيدى انى كنت في مشربة بنى فلان فهتف بى هاتف ان قم الى الجنيد واستلم ما عنده من الوديعة التي تركها لك فلان وهي كذا وكذا فانك قد جعلت مكانه من الابدال قال الجنيد فدفعت اليه تلك الوديعة فنزع ثيابه واغتسل ولبس المرقعة واخذ الركوة والعصا

فتياه

فتياه وترقيعه الذي فيه وقال انما هذا فتياك الذي افتيت ثم جعل يدس في فيه من حما البحر مخافة ان يعيد تلك الشهادة وفي الحديث ان جبريل عليه السلام قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما بغضت احدا من الخلق ما بغضت رجلين اما احدهما فمن الجن وهو ابليس عليه لعنة الله حين ابى ان يسجد لآدم والآخر من الانس وهو فرعون حين قال انا ربكم الاعلى ولو رأيتني يا محمد وانا آخذ من حما البحر وأدسه في فيه مخافة ان يقول كلمة التوحيد فيرحمه الله بها قالوا فلما سمعت بنو اسرائيل صوت التطام البحر قالوا ما هذه الضوضاء فقال لهم ان الله قد اهلك فرعون وكل من كان معه غرقا فقالوا لموسى ان فرعون لا يموت ألم تر انه كان يلبث كذا وكذا يوما لا يحتاج الى شيء مما يحتاج اليه الانسان فامر الله تعالى البحر فالقاه على نجوة من الارض وعليه درعه حتى نظر اليه بنو اسرائيل فذلك قوله تعالى فاليوم ننجيك ببدنك لتكون لمن خلفك آية فيقال انه لو لم يخرجه الله ببدنه لشك فيه بعض الناس فلما جاوز موسى ببني اسرائيل البحر اتوا على قوم يعكفون على اصنام لهم قالوا يا موسى اجعل لنا الها كما لهم آلهة قال انكم قوم تجهلون ان هؤلاء متبر ما هم فيه وباطل ما كانوا يعملون (اخبرني) الحسن بن محمد باسناده عن محمد بن قيس قال جاء يهودي الى علي بن أبي طالب كرم الله وجهه فقال يا أبا الحسن ما صبرتم بعد نبيكم خمسا وعشرين سنة حتى قتل بعضكم بعضا فقال بلى قد كان صبر وخير ولكنكم ما جفت اقدامكم من حما البحر حتى قلتم يا موسى اجعل لنا الها كما لهم آلهة فلما اغرق الله تعالى فرعون ومن معه ونجى موسى ومن معه بعث موسى جندين عظيمين من بني اسرائيل كل جند اثنا عشر ألفا الى مدائن فرعون وهي يومئذ خالية من أهلها قد اهلك الله عظماءهم ورؤساءهم وقادتهم ومقاتلتهم فلم يبق منهم الا النساء والصبيان والمرضى والهرمى فامر على الجندين يوشع بن نون وكالب بن يوقنا فدخلوا بلاد فرعون وغنموا ما كان فيها من أموالهم وكنوزهم فحملوا من ذلك ما استقلت به الحمول منها وما لم يطيقوا حمله باعوه من قوم آخرين فذلك قوله تعالى كم تركوا من جنات وعيون الى قوله تعالى كذلك وأورثناها قوما آخرين الى آخر القصة ثم ان يوشع بن نون استخلف على قوم فرعون رجلا منهم وعاد الى موسى بمن معه من المسلمين غانمين شاكرين

(الباب السادس عشر في قصة ذهاب موسى الى الجبل لميقات ربه وصفة ايتاء الله تعالى له الالواح وانزاله التوراة وما يتعلق بذلك)

قال الله تعالى وواعدنا موسى ثلاثين ليلة وأتممناها بعشر وقال في موضع آخر واذ واعدنا موسى اربعين ليلة قال العلماء بقصص النبيين وسير الماضين ان موسى كان وعد بني اسرائيل وهو بمصر اذا اخرجوا منها واهلك عدوهم ان يأتيهم بكتاب فيه ما يأتون وما يذرون فلما اهلك الله تعالى فرعون وقومه واستنقذ بني اسرائيل من أيديهم وأمنهم من عدوهم ولم يكن لهم كتاب ولا شريعة ينتهون اليها قالوا يا موسى ائتنا بالكتاب الذي وعدتنا به فسأل موسى ربه ذلك فامره الله ان يصوم ثلاثين يوما ثم يتطهر ويطهر ثيابه ويأتي طور سيناء ليكلمه ويعطيه ذلك الكتاب فصام ثلاثين يوما فلما صعد الجبل انكر خلوف فيه فتسوك بعود خرنوب (قال ابو العالية) اخذ من لحاء الشجر فمصه فقالت له الملائكة انا كنا نشم من فيك رائحة المسك فافسدتها بالسواك فاوحى الله تعالى اليه أن صم عشرة ايام أخر وقال له أما علمت ان خلوف فم الصائم اطيب عندي من رائحة المسك كانت فتنتهم في العشرة الايام التي زادها الله تعالى على موسى فذلك قوله تعالى وواعدنا موسى ثلاثين ليلة ذا القعدة وأتممناها بعشر يعني من ذي الحجة (اخبرني) الحسن بن محمد باسناده عن ابي هريرة ان جميع الشهور تنقص ما خلا ذا القعدة لقوله تعالى وواعدنا موسى ثلاثين ليلة وأتممناها بعشر أي من ذي الحجة فتم ميقات ربه اربعين ليلة فلما مضت اربعون ليلة تطهر موسى وطهر ثيابه لميقات ربه فلما

وتوجه نحو الشام فلم أره رضي الله تعالى عنه ونفعنا به آمين (وحكى عنه أيضا رضي الله تعالى عنه) أنه قال كان لي مسجد وكان بجانبه جار شرطي كنت أعرف منه أخذ أموال المسلمين فلما حضرته الوفاة اتوا به الي مسجدي لاصلي عليه فامتنعت من الصلاة عليه وقلت خذوه عني وصلوا عليه في أي مسجد كان بعيدا عن مسجدي فاخذوه ومضوا به من عندي فلما كان الليل رأيت الشرطي وعليه ثياب خضر وهو يتبختر في الجنة قال الجنيد فقلت له ألست الذي طردتك بالامس فقال نعم فقلت له أخبرني بحالك فقال لما كان من امري ما كان وطردتني وامتنعت من الصلاة علي دخل عندي رعب شديد فلما مضوا بي من عندك سمعت قائلا يقول لا تحزن فانك قادم على كريم فزال ما كان عندي من الخوف فلما وقفت بين يديه جعلت اعتمادي عليه فقال الله عز وجل يا عبدي ما قال الجنيد فقلت يا سيدي انت اعلم بمقالته فقال الله عز وجل وعزتي وجلالي ان كان قد طردك الجنيد فقد قبلتك فانا أقبل

أنى طور سيناء كلمه ربه وناجاه وقربه وادناه كما قال تعالى وقربناه نجيا (قال وهب) كان بين الله و بين موسى سبعون حجابا فرفعها الله كلها الا حجابا واحدا فتخلى موسى لكلام الله تعالى واشتاق الى رؤيته وطمع فيها فقال رب أرنى انظر اليك (قال السدى) لما كلم الله موسى غاص الخبيث ابليس في الارض حتى خرج من بين قدمى موسى فوسوس فى قلبه وقال ان مكلمك الشيطان فعند ذلك سأل الرؤية فقال الله تعالى لن ترانى وليس يطيق البشر النظر الى فى الدنيا من نظر الى مات فقال الهى سمعت كلامك فاشتقت للنظر اليك ولان انظر اليك ثم اموت أحب الى من أن أعيش ولا اراك فقال له انظر الى الجبل وهو أعظم جبل في مدين يقال له زبير وذلك ان الجبال لما علمت أن الله يريد ان يتجلى لجبل منها تعاظمت وتشامخت رجاء ان يتجلى الله لها وجعل زبير يتواضع من بينها فلما رأى الله تواضعه رفعه من بينهن وخصه الله بالتجلى قال الله تعالى فان استقر مكانه فسوف ترانى فتجلى الله تعالى للجبل (واختلف العلماء) في معرفة التجلى قال ابن عباس ظهر نوره للجبل وقال الضحاك اظهر الله تعالى من نور الحجب مثل منخر الثور وقال عبد الله بن سلام و كعب الاحبار ماتجلى من عظمة الله تعالى للجبل الا كسم الخياط حتى صار دكادكا وقال السدى ماتجلى الاقدر الخنصر يدل عليه ماروى ثابت عن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قرأ هذه الآية فقال هكذا ووضع الابهام على المفصل الاعلى من الخنصر فساخ الجبل يعني غار وقال الحسن أوحي الله تعالى الى الجبل وقال هل تطيق رؤيتى فغار الجبل وساخ فى الارض وموسى ينظر اليه حتى ذهب اجمع وقال ابو بكر بن عمر الوراق حكى عن سهل بن سعد الساعدي ان الله تعالى اظهر من بين سبعين الف حجاب نورا قدر درهم فجعل الجبل دكا قال ابو بكر فعذب اذ ذاك كل ماء وافاق كل مجنون و برىء كل مريض وزال الشوك عن الاشجار واخضرت الارض وازهرت وخمدت نار المجوس وخرت الاصنام لوجوهها رقال السدى ماتجلى للجبل الاقدر جناح بعوضة فصار الجبل دكا وقال ابن عباس ترابا وقال سفيان ساخ حتي وقع فى البحر قال عطية العوفى صار رملا هائلا وقال الكلبي جعله دكا أى مكسرا جبالا صغارا ✲ وبالاسناد عن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلي الله عليه وسلم في قوله تعالى فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا قال صار بعظمته ستة أجبل فوقعت ثلاثة فى المدينة أحد وورقان ورضوى ووقعت ثلاثة بمكة ثور وثبير وحراء وخر موسى صعقا قال ابن عباس مغشيا عليه وقال قتادة ميتا وقال الكلبي خر موسى صعقا يوم الخميس يوم عرفة واعطى التوراة يوم الجمعة يوم النحر قال الواقدى لما خر موسى صعقا قالت الملائكة مالابن عمران وسؤاله الرؤية (وفي بعض الكتب) ان ملائكة السموات والارض اتو موسى وهو مغشى عليه فجعلوا يلكزونه بارجلهم و يقولون يا ابن النساء الحيض اطمعت في رؤية رب العزة وقال وهب لما سأل موسي الرؤية أرسل الله تعالى الضباب والصواعق والظلمة والرعد والبرق فاحاطت بالجبل الذى عليه موسى وأمر الله تعالى ملائكة السموات ان يعرضوا على موسى اربعة فراسخ من كل ناحية فمرت به الملائكة ملائكة سماء الدنيا كثيرا مثل البقر تنبع أفواههم بالتسبيح والتقديس بصوت عظيم كصوت الرعد الشديد ثم أمر الله تعالى ملائكة السماء الثانية ان اهبطوا على موسى فهبطوا عليه مثل الاسود لهم لجب بالتسبيح والتقديس ففزع موسى مما رأى وسمع واقشعرت كل شعرة في جسده فقال ندمت على مسئلتى فهل ينجيني من مكانى الذي أنا فيه شيء ان خرجت احترقت وان قعدت مت فقال له خير الملائكة ورئيسهم ياموسى اصبر لما سئلت فقليل من كثير ما رأيت ثم هبطت ملائكة السماء الثالثة كأمثال النسور لهم قصف ورجف ولجب شديد وأفواههم تنبع بالتسبيح

المطرودين وأعفو عن المذنبين امضوا بعبدى الى الجنة برحمتي وانا أرحم الراحمين اللهم ارحمنا كما رحمته وارحم جميع المسلمين (وحكى عن أبي العباس الخضر عليه السلام) انه قال كنت بصنعاء اليمن فى مسجد عبد الرزاق الواعظ وكان من اكابر العلماء والاولياء اسمع منه مايقول فنظرت الى شاب منفرد بناحية من المسجد مختل بنفسه واضعا رأسه بين ركبتيه فاتيت اليه وحركته وقلت ياهذا لم لاتحضر مجلس عبد الرزاق وتسمع منه مايقول فقال قد سمعت من الله عز وجل فادهشني ذلك فقلت له ان كنت صادقا فمن انا فقال ان صحت الفراسة فانت الخضر عليك السلام ثم غاب عن بصري فلم أره نفعنا الله تعالى به آمين (وحكى عن عبد الله التسترى رضى الله تعالى عنه) انه قال غزا والدي سنة من السنين مع المجاهدين في سبيل الله تعالى فلما كان بين الصفين وقع المهر الذى كان تحته فمات فقال والدى يارب اعرنى اياه حتى ارجع من مجاهدتى الى قريتى فليس معي غيره قال فما تم كلامه حتى قام المهر في الحال حيا

والتقديس والتهليل كلجب الجيش العظيم ألوانهم كلهب النار ففزع موسى عليه السلام واشتد فزعه وأيس من الحياة فقال له رئيس الملائكة مكانك يا ابن عمران حتى ترى ما لا صبر لك عليه ثم هبطت عليه ملائكة السماء الرابعة لا يشبههم شيء من الذين مروا به ألوانهم كلهب النار وسائر خلقهم كالثلج الابيض أصواتهم عالية بالتسبيح والتقديس لا يقاربهم شيء من أصوات الذين مروا به ثم هبطت عليه ملائكة السماء الخامسة في سبعة ألوان فلم يستطع موسى أن يتبعهم طرفه ولم ير مثلهم ولم يسمع مثل أصواتهم فامتلأ جوف موسى فزعا واشتد خوفه وكثر بكاؤه ثم قال له خير الملائكة وكبيرهم يا ابن عمران مكانك حتى ترى بعض ما لا تصبر عليه ثم أمر الله ملائكة السماء السادسة أن اهبطوا على عبدي الذي أراد أن يراني فاعترضوا عليه فهبطوا وفي يد كل ملك منهم حربة طويلة تلتهب نارا أشد ضوءا من الشمس ولباسهم كلهب النار واذا سبحوا وقدسوا جاوبهم كل من كان قبلهم من ملائكة السموات كلهم يقولون بشدة أصواتهم سبوح قدوس رب العزة أبداً لا يموت وفي رأس كل ملك منهم أربعة أوجه فلما رآهم موسى رفع رأسه بصوته يسبح معهم ويبكي ويقول رب اذكرني ولا تنس عبدك لا أدري هل أتخلص مما أنا فيه أو لا ان خرجت احترقت وان مكثت احترقت فقال له رئيس الملائكة وكبيرهم أوشك يا ابن عمران أن يشتد خوفك وينخلع قلبك فاصبر للذي سألت ثم أمر الله تعالى أن يحمل عرشه ملائكة السماء السابعة قال الله تعالى أروه اياه فلما بدا نور العرش انصدع الجبل من عظمة رب العزة ورفعت ملائكة السموات أصواتهم جميعا يقولون سبحان الملك القدوس رب العزة أبدا لا يموت بشدة أصواتهم فارتج الجبل واندك وخر موسى صعقا على وجهه ليس معه روح فقلب الله الحجر الذي كان موسى عليه وجعله كهيئة القبة لئلا يحترق موسى وأرسل الله عليه روح الحياة برحمته فقام موسى يسبح الله ويقول آمنت بك ربي وصدقت بأنه لا يراك أحد فيحيا ومن نظر الى ملائكتك انخلع قلبه فما أعظمك وأعظم ملائكتك أنت رب الارباب واله الآلهة وملك الملوك لا يعدلك شيء ولا يقوم لك شيء تبت اليك لك الحمد لا شريك لك أنت رب العالمين (قال السدي) حف حول الجبل بالملائكة وحف حول الملائكة بالنار وحف حول النار بالملائكة وحف حول الملائكة بالنار ثم تجلى ربه للجبل (أخبرني) الحسن باسناده عن عروة بن رديم اللخمي قال كانت الجبال قبل أن يتجلى الله لموسى صماء ملساء فلما تجلى الله للجبل صار الطور دكا وتفطرت الجبال وصار فيها كهوف وسقوف قالوا ثم بعث الله تعالى جبريل عليه السلام الى جنة عدن فقطع منها شجرة فاتخذ منها تسعة ألواح طول كل لوح منها عشرة أذرع بذراع موسى وكذلك عرضه وكانت الشجرة التي اتخذ منها الالواح من زمرد أخضر ثم أمر جبريل أن يأتيه بتسعة أغصان من سدرة المنتهى فجاء بها فصارت جميعا نورا وصار النور قلما أطول مما بين السماء والارض وكتب التوراة لموسى بيده وموسى يسمع صرير القلم فكتب الله له في الالواح من كل شيء موعظة وتفصيلا وذلك يوم الجمعة وأشرقت الارض بالنور ثم أمر الله موسى ان يأخذها بقوة ويقربها قومه فوضعت الالواح على السماء فلم تطق حملها لثقل العهود والمواثيق التي فيها فقالت يارب كيف أطيق ان احمل كتابك الثقيل المبارك وهل خلقت خلقا يطيق حمل ذلك فبعث الله تعالى جبريل عليه السلام وأمره أن يحمل الالواح فيبلغها موسى فلم يطق حملها فقال يارب من يطيق حمل هذه الالواح بما فيها من النور والبيان والعهود وهل خلقت خلقا يطيق حملها فأمده الله بملائكة يحملونها بعدد كل حرف من التوراة فحملوها حتى بلغوها موسى وعرضوا الالواح على الجبل فانصدع لها الجبل وخشع وقال يارب من يطيق حمل هذه الالواح بما فيها وضرب الله مثلا في القرآن فقال تعالى لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله وتلك الامثال نضربها للناس لعلهم

باذن الله تعالى لي ففرا والدي عليه فلما رجع قال يا ولدي خذ السرج عن المهر فقلت يا والدي انه عرقان حتى يستريح فقال يا ولدي انه عارية فلما أخذت السرج عنه وقع المهر في الحال ميتا وهذا من بعض كراماته رضي الله تعالى عنه (وحكي عن بعض الصالحين نفعنا الله تعالى بهم) انه قال كان عندنا رجل نباش كان يسرق الاكفان من القبور فماتت امرأة من المتعبدات فصلى عليها كثير من الناس وصلى النباش معهم وخرجوا الى قبرها والنباش معهم ليعرف قبرها فلما جن الليل أتى النباش الى قبرها ونزل اليها فأنطقها الله عز وجل وقالت سبحان الله رجل مغفور له يأخذ كفن امرأة مغفور لها فقال النباش ان الله غفر لك فكيف غفر لي فقالت ان الله غفر لي ولمن صلى علي قال فخرج النباش من عندها وتاب الى الله تعالى وحسنت توبته ببركتها ولزم العبادة حتى مات رحمة الله تعالى عليه وعلينا وعلى أموات المسلمين آمين (وحكي عن عبد الواحد بن زيد رضي الله تعالى عنه) انه قال بينما نحن جلوس ذات يوم في مجالسنا

يتفكرون كما نزل التوراة على الجبل فلم يطق حملها قال فلما وضعوها على الجبل بين يدى موسي وذلك عند صلاة العصر فقبض موسي على الالواح فلم يطق حملها فلم يزل يدعو حتي هون الله عليه حملها فحملها فذلك قوله ياموسي انى اصطفيتك الآية وقوله تعالى وكتبنا له فى الالواح الآية

(فصل فى نسخة العشر الكلمات التى كتبها الله تعالى لموسي نبيه وصفيه فى الالواح وهي معظم التوراة وعليها مدار كل شريعة)

وهى بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب من الله الملك الجبار العزيز القهار لعبده ورسوله موسي بن عمران أن سبحنى وقدسنى لا إله إلا أنا فاعبدنى ولا تشرك بى شيئا واشكر لي ولوالديك الى المصير أحييك حياة طيبة ولا تقتل النفس التى حرم الله عليك فاضيق عليك السماء باقطارها والارض برحبها ولا تحلف باسمى كاذبا فانى لا أطهر ولا أزكى من لا يعظم إسمى ولا تشهد بما لا يعى سمعك ولا تنظر عينك ولا يقف عليه قلبك فانى أوقف أهل الشهادات على شهاداتهم يوم القيامة واسألهم عنها ولا تحسد الناس على ما آتيتهم من فضلى ورزقى فان الحاسد عدو نعمتى ساخط لقسمتي ولا تزن ولا تسرق فاحجب عنك وجهى وأغلق دون دعوتك أبواب السموات ولا تذبح لغيرى فانه لا يصعد الى من قربان الارض إلا ما ذكر عليه اسمى ولا تفجرن بحليلة جارك فانه أكبر مقتا عندى واحبب للناس ماتحب لنفسك واكره لهم ماتكره لنفسك فهذه نسخة العشر الكلمات وقد اعطاها الله جميعها لمحمد صلى الله عليه وسلم فى ثمان عشرة آية وهى قوله تعالي فى سورة بنى اسرائيل وقضي ربك ان لا تعبدوا الا اياه الى قوله ذلك مما اوحى اليك ربك من الحكمة ثم جمعها فى ثلاث آيات من سورة الانعام وهى قوله تعالى قل تعالوا اتل ماحرم ربكم عليكم الى قوله تعالى ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون (اخبرنا) ابو عمر محمد الفريابى باسناده عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما اعطى موسى الالواح نظر فيها فقال يارب لقد اكرمتنى بكرامة لم تكرم بها احدا من العالمين قبلى قال ياموسى انى اصطفيتك على الناس برسالاتى وبكلامى فخذ ما آتيتك وكن من الشاكرين اى بقوة وجد ومحافظة وتموت على حب محمد عليه السلام قال موسى يارب ومن محمد قال احمد الذى اثبت اسمه على عرشي قبل ان اخلق السموات والارض بالفي عام وانه نبي وصفي وخيرتى من خلقي وهو احب الى من جميع خلقى وجميع ملائكتى فقال موسى يارب ان كان محمد احب اليك من جميع خلقك فهل خلقت امة اكرم عليك من امتى قال الله تعالى ان فضل امة محمد عليه السلام على سائر الامم كفضلى على جميع الخلق قال يارب ليتني اراه واراهم قال يا موسي انك لن تراهم ولو اردت ان تسمع كلامهم اسمعتك قال يا رب فانى اريد ان اسمع كلامهم قال الله تعالى يا امة محمد فاجبنا كلنا من اصلاب آبائنا وارحام امهاتنا لبيك اللهم لبيك ان الحمد والنعمة لك والملك لاشريك لك فقال الله تعالى يا امة محمد ان رحمتي سبقت غضبي وعفوى سبق عقابى قد اعطيتكم من قبل ان تسألونى وقد اجبتكم من قبل ان تدعونى وقد غفرت لكم من قبل ان تعصونى من جاء يوم القيامه بشهادة ان لا اله الا الله وان محمدا عبدي ورسولى دخل الجنة ولو كانت ذنوبه اكثر من زبد البحر وهذا قوله تعالى وما كنت بجانب الغربى اذ قضينا الى موسي الامر وما كنت من الشاهدين وقوله تعالي وما كنت بجانب الطور اذ نادينا (اخبرنا) أبو عبدالله محمد بن أحمد بن على بن نصير المكى قال أخبرنا أبو العباس محمد بن اسحق السراج قال حدثنا قتيبة بن سعيد قال حدثنا سعيد بن عبدالرحمن المعافرى عن أبيه ان كعب الاحبار رأي حبرا من اليهود يبكى فقال له مايبكيك فقال ذكرت بعض الامر فقال كعب الاحبار أنشدك الله لئن أخبرتك عما

اذ قد تهيأنا للخروج للغزو فى سبيل الله تعالى وقد امرت اصحابى ان يجهزوا فقرأ رجل منهم فى مجلسنا ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة فقلت نعم فقال غلام يا عبد الواحد اشهد انى بعته نفسى ومالى بان لى الجنة فقلت له ياغلام ان حد السيف اشد من ذلك وانت صغير السن يخاف عليك ان لا تصبر وتعجز عن ذلك فقال الغلام ياعبد الواحد ابايع الله تعالى بالجنة ثم اعجز اشهد الله انى بعته نفسي ومالي فى سبيله قال عبد الواحد فتعجبنا من ذلك وقلنا صبي يعقل ونحن لا نعقل فخرج من عندنا وتصدق بجميع ماله في سبيل الله الا فرسه وسلاحه ونفقته فلما كان يوم الخروج كان اول من طلع علينا هو فقال السلام عليك ياعبد الواحد فقلت وعليك السلام يا حبيبي ربح البيع ثم سرنا وهو معنا يصوم النهار ويقوم الليل ويخدمنا ويخدم دوابنا ويحرسنا اذا نمنا حتى انتهينا الى بلاد الروم فبينا نحن جلوس اذا به قد اقبل وهو ينادي واشوقاه الى العيناء المرضية فقال اصحابى لعل هذا الغلام وسوس

أبكاك لتصدقني قال ثم قال أنشدك الله هل تجد في كتاب الله المنزل على موسى عليه الصلاة والسلام ان موسى نظر في التوراة فقال انى أجد أمة هم خير الامم أخرجت للناس يامرون بالمعروف و ينهون عن المنكر و يؤمنون بالكتاب الاول والآخر و يقاتلون اهل الضلالة حتى يقاتلوا الاعور الدجال فقال موسى رب اجعلهم امتى قال هم أمة محمد ياموسى قال له الحبر نعم قال كعب أنشدك الله تعالى هل تجد فى كتاب الله المنزل على موسى ان موسى نظر في التوراة فقال انى اجد امة هم الحامدون رعاة الشمس هم المحكمون اذا ارادوا امرا قال انفعله ان شاء الله تعالى فقال موسى فاجعلهم أمتى فقال هم أمة محمد ياموسى قال له الحبر نعم قال كعب أنشدك الله هل تجد فى كتاب الله المنزل ان موسى نظر فى التوراة فقال يارب انى أجد أمة ياكلون كفاراتهم وصدقاتهم وكان الاولون يحرقون صدقاتهم بالنار غير ان موسى كان يجمع صدقات بنى اسرائيل فلا يجد عبدا مملوكا ولا أمة الا اشتراه من تلك الصدقة وما فضل يحفر له حفرة عميقة القعر والقاه ثم دفنه كي لا يرجعوا فيه وهم المسبحون المستجيبون المستجاب لهم وهم الشافعون والمشفعون قال موسى يارب اجعلهم أمتى قال هي أمة محمد ياموسى قال الحبر نعم قال كعب أنشدك الله هل تجد فى كتاب الله المنزل ان موسى نظر فى التوراة فقال انى أجد امة اذا أشرف أحدهم على شرف كبر الله تعالى واذا هبط الى واد حمد الله تعالى الصعيد لهم طهور والارض لهم مسجد حيثما كانوا يتطهرون من الجنابة طهورهم بالصعيد كطهورهم بالماء حيث لا يجدون الماء غرا محجلين من آثار الوضوء فاجعلهم أمتى قال هي أمة محمد ياموسى قال الحبر نعم قال كعب أنشدك الله هل تجد في التوراة أن موسى نظر فيها فقال يارب انى أجد أمة اذا هم أحدهم بحسنة ولم يعملها كتبت له حسنة واذا عملها كتبت له عشرا الى سبعمائة ضعف واذا هم بسيئة ولم يعملها لم تكتب عليه واذا عملها كتبت عليه سيئة مثلها فاجعلهم يارب أمتى قال هم أمة محمد ياموسى قال الحبر نعم قال كعب أنشدك الله هل تجد فى كتاب الله المنزل أن موسى نظر فى التوراة فقال يارب انى أجد أمة مرحومة اصفياء يرثون الكتاب فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات فلا أجد أحدا منهم الا مرحوما فاجعلهم أمتى قال هم أمة أحمد ياموسى فقال الحبر نعم قال كعب أنشدك الله هل تجد في كتاب الله المنزل أن موسى نظر فى التوراة فقال يارب انى أجد أمة مصاحفهم في صدورهم يلبسون الوان ثياب اهل الجنة يصطفون فى صلاتهم صفوفا كصفوف الملائكة أصواتهم في مساجدهم كدوى النحل لا يدخل النار منهم أحد ومنهم من لا يري الحساب الامثل مايري الحرمن وراء الشجر فاجعلهم أمتى قال هم أمة محمد ياموسى قال الحبر نعم قال فلما عجب موسى من الخير الذى أعطاه الله لامة محمد صلى الله عليه وسلم وعليهم أجمعين قال موسى ياليتنى من اصحاب محمد فاوحي الله تعالى اليه بثلاث آيات يرضيه بهن فقال تعالى ياموسى انى اصطفيتك على الناس برسالاتى وبكلامى فخذ ما آتيتك وكن من الشاكرين الى قوله تعالى دار الفاسقين وقوله تعالى ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق وبه يعدلون قال فرضى موسى كل الرضا (وقال ابن عباس) لما صار موسى الى طور سيناء الى الميقات قال له ربه ماتبتغى قال جئت أبتغى الهدى قال وجدته ياموسى قال موسى يارب اى عبادك احب اليك قال الذى يذكرنى ولا ينسانى قال فاى عبادك أقضى قال الذى يقضى بالحق ولا يتبع الهوى قال اى عبادك اعلم قال الذى يبتغى علم الناس الى علمه فيسمع الكلمة تهديه الى هدى اوترده عن ردى (وقال عبدالله بن مسعود) لما قرب الله تعالى موسى الى طور سيناء رأى عبدا في ظل العرش جالسا قال يارب من هذا قال عبد لا يحسد الناس على ما آتاهم الله من فضله بر بوالديه لا يمشى بالنميمة قال موسى يارب اغفر لى ماجرى من ذنبي وماغير ومابين ذلك وما أنت أعلم به منى أعوذ بك من وسوسة نفسى وأعوذ بك من سوء عملى قال قد كفيت ذلك ياموسى قال موسى يارب اى الاعمال

واختلط عقله قال عبد الواحد فقلت له ياحبيبي وما هذه العيناء المرضية فقال الغلام ياسيدى انى غفوت قليلا فرايت فى منامي كانه قد اتانى آت فقال لى اذهب الى العيناء المرضية ثم اخذ بيدي وهجم بى على روضة فيها ماء غير آسن واذا على شاطيء ذلك النهر جوار عليهن من الحلى والحلل مالا اقدر ان اصفه فلما رايتني استبشرن بى وقلن هذا زوج العيناء المرضية فقلت السلام عليكن افيكن العيناء المرضية فقلن نحن خدمها واماؤها امض امامك فمضيت امامي فاذا بنهر من لبن لم يتغير طعمه فى روضة فيها من كل زينة وجوار حين رأيتهن فتنت بحسنهن وجمالهن فلما رأينني استبشرن وقلن هذا زوج العيناء المرضية فقلت السلام عليكن افيكن العيناء المرضية فقلن وعليك السلام ياولى الله نحن خدمها واماؤها امض أمامك فمضيت امامى فوصلت الى خيمة من درة بيضاء وعلى باب تلك الخيمة جارية عليها من الحلى والحلل مالا أقدر ان اصفه فلما رأتنى استبشرت بى ونادت من فى الخيمة أيتها العيناء المرضية هذا

أحب اليك ان أعمل به قال تذكرني ولا تنساني قال أي عبادك خير عملا قال من لا يكذب لسانه ولا يفجر قلبه ولا يزني فرجه مؤمن في خلق حسن قال فاي عبادك شر عملا قال فاجر في خلق سيئ جيفة بالليل بطال بالنهار قال فلما رجع موسى الى قومه وقد آتاهم بالتوراة ابوا أن يقبلوها و يعملوا بما فيها من الاثقال والاغلال التي كانت عليهم فيها وكانت شريعة ثقيلة فامر الله جبريل فقلع جبلا على قدر عسكرهم وكان فرسخا في فرسخ فرفعه فوق رؤسهم مثل الظلة مقدار قامة الرجل وقال ابو صالح عن ابن عباس امر الله تعالى جبلا من جبال فلسطين فانقلع من أصله حتى قام على رؤسهم مثل الظلة فذلك قوله تعالى واذ اخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور وقوله تعالى واذ نتقنا الجبل فوقهم كأنه ظلة (وقال عطاء) عن ابن عباس رفع الله تعالى فوق رؤسهم الطور وبعث نارا من قبل وجوههم وأتاهم البحر ملحا من خلفهم وقيل لهم خذوا ما آتيناكم بقوة واسمعوا فان قبلتموه وفعلتم ما أمرتكم به والا رضختكم بهذا الجبل وأغرقتكم في هذا البحر وأحرقتكم بهذه النار فلما رأوا ان لا مهرب لهم منها قبلوا ذلك وسجدوا على شق وجوههم يلاحظون الجبل وهم سجود فصارت سنة في اليهود لا يسجدون الا على أنصاف وجوههم فلما زال الجبل قالوا يا موسى سمعنا وأطعنا ولولا الجبل ما أطعناك وروي قتادة عن الحسن قال مكث موسى بعد ما تغشاه نور رب العالمين وانصرف الى قومه أربعين ليلة لا يراه أحد الا مات حتى انه اتخذ لنفسه برنسا وعليه برقع لا يبدي وجهه لاحد مخافة ان يموت (وأخبرني) أبو عبد الله الحسين بن محمد بن الحسين الثقفي قال حدثنا محمد بن أبي شيبة قال حدثنا أبو عبد الله محمد بن عبد الله القزويني قال حدثنا محمد بن مرزوق النضري قال حدثنا هاني بن يحيي السلمي قال حدثنا الحسن بن ابي سهل عن جعفر عن قتادة عن يحيي بن وثاب عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما كلم الله موسى كان يبصر بعد ذلك دبيب النملة في الليلة المظلمة على الصفا من مسيرة عشرة فراسخ (وأخبرنا) أبو عبد الله الثقفي قال حدثنا عبد الله بن شيبة قال حدثنا ابو حامد المستملي قال حدثنا اسحق قال حدثنا خالد بن خراش قال حدثنا عبد الله بن زيد بن أسلم عن أبيه ان موسى كان اذا غضب اشتعلت قلنسوته نارا لشدته

﴿ باب في ذكر قصة بني اسرائيل وهرون مع السامري حين اتخذ لهم العجل ﴾

قال أهل السير واصحاب التواريخ لما أهلك الله فرعون وقومه قال موسى اني ذاهب الى الجبل لميقات ربي وآتيكم بكتاب فيه بيان ما تأتون وما تذرون وواعدهم ثلاثين ليلة واستخلف عليهم أخاه هرون فجاء جبريل عليه السلام على فرس يقال له فرس الحياة وهي بلقاء أنثي لا تصيب شيا الا حيي فلما رآه السامري على تلك الفرس عرفه وقال ان لهذه الفرس لشأنا عظيما وأخذ قبضة من تراب حافر فرس جبريل هذا قول السدي (وقال الكلبي) انما اتخذ السامري من تراب حافر فرس جبريل العجل حين عبروا البحر و بعث الله تعالى جبريل على فرس بلقاء خطوتها مد البصر عليها تركب الانبياء كلهم وخاض البحر وشمت خيولهم قوم فرعون ريحها فخاضت في اثرها قالوا وانما عرف السامري جبريل دون بني اسرائيل لان فرعون حين امر بذبح اولاد بني اسرائيل جعلت المرأة اذا ولدت الغلام انطلقت به سرا في جوف الليل الى صحراء أو واد أو غار في جبل فاخفته فيقيض الله ملكا من الملائكة يطعمه و يسقيه حتى يختلط بالناس وكان الذي ربي السامري جبريل عليه السلام فجعل يمص من أحد ابهاميه سمنا ومن الآخر عسلا فمن ثم عرفه ومن ذلك الوقت اذا جاع الطفل مص ابهامه فيروى من المص لانه جعل له فيه رزق و يقال ان جبريل عليه السلام وكل بالسامري وعلا لبونا تسقيه اللبن بالغداة والعشي

حتى

بملك قد قدم قال فدنوت من تلك الخيمة ودخلت اليها فاذا هي قاعدة على سرير من ذهب احمر مكلل بالدر والياقوت والجوهر فلما رأيتها افتتنت بها فقالت مرحبا بك يا ولي الله قد دنا لك القدوم علينا قال فتقدمت لاعانقها فقالت مهلا فانه لم يؤذن لك ان تعانقني لان فيك روح الحياة ولكن انت تفطر الليلة عندنا ان شاء الله تعالى فانتبهت من منامي وليس لي صبر يا عبد الواحد عنها قال عبد الواحد فما فرغ من كلامه حتي اقبلت علينا سرية من العدو فحمل الغلام فيهم فعددنا تسعة رجال قتلهم وهو العاشر فجئت اليه وهو يتشحط في دمه وهو يضحك حتى فارق الدنيا رحمة الله تعالى عليه قال عبد الواحد فحزنت عليه وانشدت

يا من يعانق دنيا لا بقاء لها
يمسي و يصبح مغرورا وغرارا
هلا تركت لذى الدنيا معانقة
حتى تعانق في الفردوس ابكارا
ان كنت تبغي جنان الخلد تسكنها
فينبغي لك ان لا تامن النارا

﴿ وحكى عن عبد الواحد رضي الله تعالى عنه ﴾ انه

حتى كبر واختلط بالناس فلذلك عرفه دون سائر بنى اسرائيل لانه هو الذي رباه (١) وكان ابو عمرو السكندرى يقال دابة موسي وفرعون دابة موسى أز أهل بهشت وفرعون أز اهل دوزخ ودابة السامرى وجبريل دابة جبريل أز أهل بهشت والسامرى أز أهل دوزخ بود وقال قتادة والسدي كان عظيم من عظماء بني اسرائيل من قبيلة يقال لها سامرة ولكن عدو الله نافق وقال سعيد بن جبير كان السامرى من أهل كرمان وقال غيرهما كان رجلا صائغا من أهل باجرمى واسمه منجا وقال ابن عباس اسمه موسي ظفر وكان رجلا منافقا قد اظهر الاسلام وكان من قوم يعبدون البقر فدخل فى قلبه حب البقر فلما ذهب موسي لميقات ربه وكان قد وعد قومه ثلاثين ليلة واتمها الله بعشر حتى صارت اربعين فعد بنو اسرائيل ثلاثين ليلة فلما لم يرجع اليهم افتتنوا وقالوا ان موسي اخلفنا الوعد فاغتنمها السامري حتى فعل مافعل وقال قوم انهم عدوا الليل يوما والنهار يوما وكان موسى قد وعدهم اربعين ليلة فلما مضت عشرون يوما افتتنوا فاتاهم السامري وقال لهم ان موسى قد احتبس عنكم فينبغي لكم ان تتخذوا الها فان موسى ليس براجع اليكم وقد تم الميقات فينبغى لكم ان تتخذوا الها وانما طمع فيهم السامرى لانهم يوم عبر موسى البحر مروا على قوم من العمالقة وهم يعكفون على اصنام لهم فقالوا ياموسى اجعل لنا الها كما لهم آلهة الاية فاغتنمها السامري فلما كان ذلك اليوم وخرج موسى ومضي من خروجه عشرون يوما وكانوا قد استعاروا حليا كثيرا من آل فرعون حين أرادوا الخروج من مصر بعلة العيد واهلك الله فرعون وقومه وبقى ذلك الحلى بايدي بنى اسرائيل فلما خرج موسي قال هرون لبنى اسرائيل ان حلى القبط الذى استعرتموه منهم غنيمة ولا يحل لكم فاجمعوه جميعا واحفروا له حفرة وادفنوه فيها حتى يرجع موسى فيرى فيه رأيه ففعلوا ذلك فجاء السامري بالقبضة التي اخذها من تحت حافر فرس جبريل عليه السلام فقال لهرون يانبي الله هل أقذفها فيه فظن هرون انه من الحلى يريد به مايريد أصحابه فقال له اقذف فقذفها فى الحفرة على الحلى فصارت عجلا جسدا له خوار (وقال ابن عباس) اوقد هرون نارا وامرهم ان يقذفوها فيه فقذف السامري تلك القبضة فيها فقال كن عجلا جسدا له خوار وكان البلاء والفتنة حين صار كذلك وذلك ان السامري قال لهرون أألقى مافي يدى وهو يظن انه من تلك الحلى فقال نعم ويقال ان الذي قال لبني اسرائيل ان الغنيمة لاتحل لكم هو السامري فصدقوه وجمعوها ودفعوها اليه فصاغ منها عجلا في ثلاثة ايام ثم القى فيه القبضة فحيا وخار خورة ثم لم يعد وقال السدي كان يخور ويمشى فلما أخرج السامري العجل وكان من ذهب مرصع بالجوهر كاحسن مايكون وقال هذا الهكم واله موسى فنسى أى أخطأ الطريق فتركه ههنا وخرج يطلبه فلذلك أبطأ عليكم واخلف الموعد وفى بعض الروايات ان السامرى لما صاغ العجل وقذف القبضة فيه أشعر العجل وعدا وخار فصار له لحم ودم وروي ان ابليس خار في وسطه ويقال ان السامري جعل مؤخر العجل الى حائط وحفر فى الجانب الآخر في الارض واجلس فيه انسانا فوضع فمه في دبره فخار وتكلم بما تكلم به وقال هذا الهكم واله موسى فلبس السامرى على أوغاد بنى اسرائيل وجهالهم حتى اضلهم وقال لهم ان موسي قد اخطأ ربه فاتاكم ربه أراد ان يريكم انه قادر على ان يدعوكم الى نفسه بنفسه وانه لم يبعث موسي لحاجة منه اليه وانه قد أظهر اليكم العجل ليكلمكم من وسطه كما كلم موسي من الشجرة قال على بن ابى طالب رضي الله عنه انما سمي العجل لانهم تعجلوه قبل رجوع موسي اليهم (وقال الحسن البصرى) اسم عجل بنى اسرائيل الذى عبدوه بهموت قالوا فلما رأوا العجل وسمعوا قول السامرى افتتنوا به غير اثنى عشر الفا وكان مع هرون ستمائة الف فعكفوا عليه

(١) قوله وكان ابو عمرو الخ عبارة فارسية معناها دابة موسى وجبريل عليهما السلام من أهل الجنة ودابة فرعون والسامرى من أهل جهنم اه

قال أصابتني علة فى ساقى سنة من السنين فكنت اتحامل عليها للصلاة فقمت عليها من الليل فاجهدني وجعي منها فجلست ثم لففت ازارى في محرابي ووضعت راسي عليه ونمت فبينما انا نائم اذا أنا بجارية تفوق الدنيا حسنا وهي تخطر بين جوار مزينات حتى وقفت على راسي والجوارى من خلفها ثم قالت لبعضهن ارفعنه ولا توقظنه فاقبلن نحوي واحتملنني وانا انظر اليهن فى منامى ثم قالت للجواري اللاتى معها افرشن له ومهدنه ووسدنه قال عبد الواحد ففرشن تحتي سبع فرش لم أر لهن في الدنيا مثلا ووضعن تحتي مرافق خضرا حسانا ثم قالت للاتى حملنني اجعلنه على الفراش رويدا قال فجعلت على الفراش وصرت انظر اليهن متعجبا مما تأمر به من شأنى ثم قالت أين العلة فاشرت اليها فوضعت يدها عليها وقالت قم شفاك الله الى صلاتك غير مضرور فاستيقظت من منامي كانى والله قد نشطت من عقال فما شكوت بعد ذلك اليوم بهذه العلة أبدا ولا ذهبت عن قلبي حلاوة منطقها وحسن قولها قم الى صلاتك

يعبدونه من دون الله وأحبوه حبا ما أحبوا مثله شيأ قط فقال لهم هرون يابنى اسرائيل انما فتنتم به وان
ربكم الرحمن فاتبعونى وأطيعوا أمرى قالوا لن نبرح عليه عاكفين حتى يرجع الينا موسى فاقام هرون فيمن
معه من المسلمين واقام من يعبد العجل على عبادته وتخوف هرون ان سار بمن معه من المسلمين الى المفتونين
الضالين ان يقول له موسى فرقت بين بني اسرائيل وكان له هائبا مطيعا وقال قتادة في هذه القصة قد كره
الصالحون الفرقة قبلكم (اخبرنى) الحسن باسناده عن راشد بن سعيد قال لما واعد الله موسى اربعين يوما
قال الله تعالى ياموسى ان قومك قد افتتنوا من بعدك قال يارب كيف يفتتنون وقد نجيتهم من فرعون ومن
البحر وانعمت عليهم قال انهم اتخذوا العجل الها من دونى وهو عجل ذو جسد له خوار قال يارب من نفخ فيه
الروح قال انا قال انت وعزتك فتنتهم ان هي الا فتنتك الآية فقال الله تعالى ياموسى يارأس النبيين ياابا الاحكام
انى رأيت في قلوبهم فيسرته لهم فلما رجع موسي من الميقات الى قومه وقرب منهم سمع اللغط حول العجل
وكانوا يزفون ويرقصون حوله ولم يخبر موسي اصحابه السبعين بما أخبره ربه من حديث العجل فقالوا
هذا قتال فى المحلة فقال موسى لهم لا ولكنه صوت الفتنة افتتن القوم بعدنا بعبادة غير الله فذلك قوله تعالى
ولما رجع موسى الى قومه غضبان أسفا فلما رآهم حول العجل ومايصنعون به القى الالواح من يده فتكسرت
فصعد عامة الكلام الذي كان فيها الا سدسها ثم اعيدت له في لوحين (عن ابن عباس) قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم ليس المعاين كالخبر قال الله تعالى لموسي ان القوم قد فتنوا فلم يلق الالواح فلما عاين ألقى الالواح
فكسرها (عن تميم الدارى) قال قلت يارسول الله مررت بمدينة صفتها كيت وكيت قريبا من ساحل
البحر فقال عليه الصلاة والسلام تلك انطاكية اما ان في غار من غيرانها رضاضا من الواح موسي ومامن سحابة
شرقية ولا غربية تمر بها الا القت عليها من بركاتها ولن تذهب الايام والليالى حتى يسكنها رجل من أهل
بيتى يملؤها عدلا وقسطا كما ملئت جورا وظلما قالوا فلما راي موسى ماصنع قومه من بعده عبادة العجل
أخذ بشعر رأس أخيه هرون بيمينه ولحيته بشماله وكان هرون قد اعتزلهم في اثنى عشر الفا لم
يعبدوا العجل فقال لهرون مامنعك اذا رأيتهم ضلوا ان لا تتبعن افعصيت أمري هلا قتلتهم اذا علمت
انى لو كنت فيهم لقاتلتهم على كفرهم فقال هرون ياابن أم الآية قال المفسرون كان هرون اخا موسى
لابيه وأمه ولكنه أراد بقوله ياابن أم ترقيقه واستعطافه عليه لا تأخذ بلحيتي ولا برأسي اى بذوائبي انى
خشيت ان قاتلتهم ان يصيروا احزابا يقتلوا بعضهم بعضا فتقول فرقت بين بني اسرائيل ولم ترقب قولى اى
ولم تحفظ وصيتي حين قلت لك اخلفني في قومي واصلح ولا تتبع سبيل المفسدين ثم أن موسى اقبل على
السامرى وقال له ماخطبك ياسامرى أى ما أمرك وشأنك فقال السامرى بصرت بما لم يبصروا به
فقبضت قبضة من اثر الرسول يعنى أخذت ترابا من اثر فرس جبريل فنبذتها وطرحتها في العجل وكذلك
سولت لى نفسى اي زينت لى قالوا فلما علم بنو اسرائيل انهم اخطؤا وضلوا في عبادتهم العجل ندموا على
ذلك واستغفروا الله تعالى كما قال تعالى ولما سقط في ايديهم ورأوا أنهم قد ضلوا قالوا لئن لم يرحمنا ربنا
ويغفر لنا لنكونن من الخاسرين فقال لهم موسى ياقوم انكم ظلمتم أنفسكم باتخاذكم العجل قالوا له
فاى شيء نصنعه وما الحيلة قال توبوا الى بارئكم أى ارجعوا الى خالقكم قالوا فكيف نتوب قال فاقتلوا
أنفسكم أي ليقتل البريء المجرم ذلكم يعني القتل خير لكم عند بارئكم قال ابن عباس أبى الله أن يقبل
توبة بنى اسرائيل الا بالحال الذي كرهوا أن يقاتلوهم حين عبدوا العجل وقال قتادة جعل الله توبة
عبدة العجل القتل لانهم ارتدوا وكفروا والكفر مبيح الدم فلما أمرهم موسي بالقتل استسلموا
لأمره وقالوا نصبر لأمر الله فجلسوا فى الافنية محتبين وأظلت عليهم القوم بالسيوف والخناجر فكان

الرجل

خير مضرور وهذا من مناقبهم عفا الله تعالى عنهم ونفعنا ببركاتهم (وحكى عنه أيضا رضي الله تعالى عنه) انه قال سألت الله تعالي ليلة من الليالى ان يريني رفيقي فى الجنة فقيل لى ياعبد الواحد رفيقك في الجنة ميمونة السوداء فقلت واين هي فقيل لى في بني فلان بالكوفة فخرجت الى زيارتها فلما وصلت الكوفة سألت عنها فقيل الى هي امرأة عجوز مجنونه ترعي غنيمات فقلت اريد ان اراها فقالوا اخرج الى البساتين فانك تراها فخرجت فاذا هي قائمة تصلى وبين يديها عكازة وعليها جبة من صوف مكتوب عليها لا تباع ولا تشري ورأيت الغنم مع الذئاب ترعى فلا الذئاب تأكل الغنم ولا الغنم تخاف من الذئاب فلما رأتني أوجزت فى صلاتها ثم قالت ارجع ياابن زيد ليس الموعد هنا فقلت لها يرحمك الله فمن اعلمك باسمي فقالت ياعبد الواحد أما علمت ان الارواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف فقلت لها عظيني فقالت واعجبا لواعظ يوعظ ثم قالت مامن عبد اعطي شيأ فابتغي اليه ثانيا الا سلبه الله حب

الرجل يرى أخاه وابنه وأباه وقريبه وجاره فلم يمكنه الا امضاء أمر الله تعالى فقالوا ياموسى كيف نصنع فارسل الله ضبابة وسحابة سوداء حتى لا يبصر بعضهم بعضا وقيل لهم من حل حبوته أو مد طرفه الى قاتله أو اتقاه بيد أو رجل فهو ملعون مردودة توبته فكانوا يقتلونهم الى المساء فلما كثر فيهم القتل وبلغ عدة القتلى سبعين ألفا دعا موسى وهرون ربهما وجزعا وتضرعا وقالا يارب هلكت بنو اسرائيل البقية الباقية فكشف الله السحابة عنهم وأمرهم أن يرفعوا السلاح ويكفوا القتل عنهم فلما انكشفت السحابة عن القتلى اشتد ذلك على موسى فاوحى الله تعالى اليه أما يرضيك أن أدخل القاتل والمقتول الجنة فكان من قتل منهم شهيداً ومن بقى منهم مكفراذنبه فذلك قوله تعالى فتاب عليكم انه هو التواب الرحيم وقالوا أمر الله تعالى موسى أن يبرد العجل بالمبرد ويحرقه ثم يذروه في النيل فمن شرب ماءه من عبدة العجل اصفر لون وجهه واسودت شفتاه وقيل نبت على شاربه الذهب فكان علما لجرمه فاخذ موسى العجل فذبحه ثم برده بالمبرد ثم أحرقه وجمع رماده وأمر السامرى بالبول عليه استخفافا به وتصغيراً له ثم ذراه فى الماء فذلك قوله تعالى وانظر الى الهك الذي ظلت عليه عاكفا الآية قالوا ثم ان موسى أمرهم بالشرب من ذلك الماء فشربوا منه فاصفرت وجوه الذين عبدوه واسودت شفاههم فاقروا بحب العجل وعبادته وقالوا ياموسى انا قد ندمنا على ماصنعنا وتبنا الى الله فلو أمرنا أن نقتل نفوسنا لتقبل توبتنا قتلناها فقيل لهم فاقتلوا أنفسكم ثم ان موسى هم بقتل السامرى فاوحى الله تعالى اليه لا تقتله فانه سخى فلمنه موسى وقال له فاذهب فان لك فى الحياة أن تقول لا مساس وان لك موعدا لن تخلفه أى بعذابك فى القيامة ثم أمر موسى بنى اسرائيل أن لا يخالطوه ولا يقربوه فصار السامرى وحشيا لا يألف أحدا ولا يؤلف ولا يدنو من الناس ولا يمس أحدا منهم فمن مسه قرض ذلك الموضع بالمقراض وكان كذلك حتى هلك قال قتادة ان بقاياهم الى اليوم يقولون ذلك أى لا مساس وفي بعض الكتب أنه ان مس أحدا من غيرهم أو واحدا منهم حم كلاهما فى الوقت قالوا ثم ان الله تعالى أمر موسى أن يأتيه في ناس من خيار بنى اسرائيل ليعتذروا اليه من عبادة قومهم العجل فاختار موسى سبعين رجلا لينطلقوا معه الى الجبل كما أمر الله تعالى وأمره أن يكونوا شيوخا فلم يصب الا ستين شيخا فاوحى الله تعالى اليه أن يختار من الشباب عشرة فاختارهم فاصبحوا شيوخا (وروى) انه اختار من كل سبط ستة نفر فصاروا اثنين وسبعين رجلا فقال انما أمرت بسبعين رجلا فليتخلف منكم رجلان فتشاحوا على ذلك فقال موسى ان لمن قعد مثل أجر من خرج فقعد يوشع بن نون وكالب بن يوقنا فأمر موسى السبعين أن يصوموا ويتطهروا ويطهروا أثوابهم ثم خرج بهم الى الطور لميقات ربه وذلك قوله تعالى واختار موسى قومه سبعين رجلا لميقاتنا الآية وكان لا يأتيه الا باذن منه فلما دنا موسى الى الجبل وقع عليه عمود الغمام حتى تغشى الجبل كله ودنا موسى ودخل فيه وقال للقوم ادنوا وكان موسى اذا كلمه الله وقع على وجهه نور ساطع لا يستطيع احد من بنى اسرائيل ان ينظر اليه فضرب دونه الحجاب ودنا القوم حتى دخلوا في الغمام وخروا سجدا وسمعوا الله تعالى وهو سبحانه وتعالى يكلم موسى ويأمره وينهاه واسمعهم الله تعالى اننى أنا الله لا اله الا أنا ذو بكة أخرجتكم من أرض مصر فاعبدونى ولا تعبدوا غيري فلما فرغ موسى من الكلام وانكشف الغمام أقبل اليهم فقالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فأخذتهم الصاعقة وهي نار جاءت من السماء فاحرقتهم جميعا قال وهب بل أرسل الله عليهم جندا من السماء فلما سمعوا حسها ماتوا يوما وليلة فذلك قوله تعالى واذ قلتم ياموسي لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فأخذتكم الصاعقة وأنتم تنظرون فلما ماتوا قال موسي رب لو شئت أهلكتهم من قبل واياى أتهلكنا بما فعل السفهاء منا يارب كيف أرجع الى

الخلوة معه وبدله بعد القرب وحشة ثم انشدت تقول

يا واعظا قام لاحتساب
يزجر قوما عن الذنوب
تنهى وانت السقيم حقا
هذا من المنكر العجيب
لو كنت اصلحت قبل هذا
عيبك أو تبت من قريب
تنهى عن الغي والتمادي
وانت فى الغي كالمريب

قال عبد الواحد فدهشت عند سماع ذلك وقلت لها ياميمونة انى ارى هذه الاغنام مع الذئاب ترعى فلا الغنم تخاف من الذئاب ولا الذئاب تأكل الغنم فقالت اليك عنى يا بطال فانى اصلحت ما بيني وبين سيدي فاصلح ما بين الذئاب وغنمي قال فمضيت من عندها وقلت من اطاع الله اطاعه كل شيء نفعنا الله تعالى بهم وغفرلنا ببركاتهم واسرارهم ومددهم آمين (وحكى عنه ايضا رضي الله تعالى عنه) انه قال اشتريت غلاما للخدمة فلما كان الليل طلبته فلم اجده ورايت الابواب مغلقة على حالها فلما اصبحت اذا به قد اعطانى درهما مكتوبا عليه سورة الاخلاص بقلم القدرة الربانية فقلت له يا غلام من اين لك هذا فقال يا سيدي لك عندي فى كل يوم مثل هذا بشرط انك لا تطلبني فى الليل

بني اسرائيل وقد أهلكت خيارهم ولم يزل موسي يناشد ربه حتي أحياهم الله لاجميعا رجلا بعد رجل ينظر بعضهم بعضا كيف يحيون فذلك قوله تعالى ثم بعثنا كم من بعد موتكم الآية (أخبرني) الحسن باسناده عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا راح منا الى الجمعة سبعون كانوا كالسبعين الذين وفدوا مع موسي الى ربهم وأفضل

(باب في قصة قارون حين عصي ربه واستكبر وأورثه ماله الطغيان والبطر حتى أهلكه الله تعالى)

قال الله تعالى ان قارون كان من قوم موسى فبغي عليهم الآية قالت العلماء باخبار القدماء قارون كان ابن عم موسى لانه قارون بن يصهر بن قاهت بن لاوى بن يعقوب وموسى هوابن عمران بن قاهث هذا قول أكثر العلماء (وقال) ابن اسحق تزوج يصهر بن قاهث سمين بنت ماويب بن بركيا ابن يقشان بن ابراهيم فولدت له عمران بن يصهر وقارون بن يصهر فنكح عمران نحيب بنت شمو يل ابن بركيا بن يقشان فولدت هارون وموسي ابني عمران فموسى على قول ابن اسحق ابن أخي قارون وقارون عمه لابيه وأمه وعلى قول الآخرين ابن عمه وعليه أصحاب التواريخ وكان قارون أعلم بني اسرائيل بعد موسى وهرون وافضلهم واجملهم قال قتادة كان يسمى المنور لحسن صورته ولم يكن في بني اسرائيل اقرأ للتوراة منه ولكن عدو الله نافق كما نافق السامرى فبغى على قومه كما قال تعالى فبغى عليهم واختلفوا في معني هذا البغى قال ابن عباس رضي الله عنهما كان فرعون قد ملك قارون على بني اسرائيل حين كانوا بمصر (واخبرني) الحسين باسناده عن المسيب بن شريك ان قارون كان من قوم موسي فبغي عليهم قال كان عاملا لفرعون على بني اسرائيل وكان يبغي عليهم و يظلمهم وقال عطاء الخرساني وشهر بن حوشب زاد عليهم في الثياب شبرا وروى شيبان عن قتادة قال بغي عليهم بالكبر والبذخ و بكثرة ماله وكان اغنى اهل زمانه واثراهم كما قال الله تعالى وآتيناه من الكنوز ما ان مفاتحه لتنوء الآية أى لتثقل وتميل بهم اذا حملوها لثقلها واختلاف المفسرون في عدد العصبة في هذا الموضع فقال مجاهد ما بين العشرة الى الخمسة عشر وعن قتادة ما بين العشرة الى الاربعين وعن عكرمة منهم من يقول اربعون ومنهم من يقول سبعون وعن الضحاك ما بين الثلاثة الى العشرة وقيل هم ستون (وروى) جرير عن خيثمة قال وجدت في الانجيل ان مفاتيح خزائن قارون وقر ستين بغلا غرا محجلة ما يزيد منها مفتاح على اصبع لكل مفتاح منها كنز ويقال ان قارون كان اينما ذهب يحمل معه مفاتيح كنوزه وكانت من حديد فلما ثقلت عليه جعلها من خشب فثقلت عليه فجعلها من جلود البقر على طول الاصابع فكانت تحمل معه اذا ركب على اربعين بغلا واختلفوا في سبب جمع تلك الأموال فقيل كان عنده علم الكيمياء قال سعيد بن المسيب كان موسي يعلم الكيمياء فعلم يوشع بن نون ثلث ذلك العلم وعلم كالب بن يوقنا مثله وعلم قارون مثله فخدعهما قارون حتى اضاف علمهما الى علمه وفى الخبر ان الله تعالى علم موسي الكيمياء فعلم موسي اخته فعلمته قارون فكان ذلك سبب أمواله فذلك قوله تعالى انما أوتيته على علم عندى أو بالتصرف في التجارات والزراعات وسائر انواع المكاسب والمطالب وقيل في سبب جمعه تلك الاموال ما اخبرنا الثقفى باسناده عن أبى الحوارى قال سمعت ابا سليمان الداراني كان يقول تبدي ابليس لقارون وكان قارون قد أقام على جبل اربعين سنة يتعبد حتى اذا غلب جميع بنى اسرائيل في العبادة بعث اليه ابليس شياطينه فلم يقدروا عليه فتقدم هو اليه وجعل يتعبد مع قارون وجعل ابليس يقهره بالعبادة و يفوقه فخضع له قارون وقال له ابليس ياقارون قد رضينا بهذا الذى نحن فيه لا نشهد لبني اسرائيل جماعة ولا نعود لهم مريضا ولا نشهد جنازة قال فاحدره من الجبل الى البيعة فكانوا

فقلت له نعم فكان يغيب كل ليلة و يأتى بعد صلاة الصبح بذلك الدرهم المكتوب قال فمكث على ذلك مدة من الزمان فبينما انا جالس ببيتى اذ جاءنى بعض اصحابى وقال يا ابن زيد اما غلامك هذا فانه نباش القبور قال فغمني ما سمعته منهم وقلت لهم امسكوا فانى احفظه في هذه الليلة فلما صلينا العشاء قام ليخرج والابواب مغلقة فاشار بيده فانفتح له كل باب اشار اليه واذا نظر اليه فتبعته ومضيت خلفه حتى بلغ ارضا فلاة فنزع ثيابه ولبس مسحا وصلى الى الفجر فلما فرغ من صلاته رفع رأسه نحو السماء وقال ياسيدي الكبير هات اجرة سيدي الصغير فوقع عليه من السماء درهم فاخذه فتحيرت في امره ودهشت من حاله فقمت وتوضأت وصليت واستغفرت الله تعالى مما كان مني ونويت عتقه ثم طلبته فلم اجده فانصرفت حزينا متحيرا وما كنت اعرف تلك الارض فبينما انا متحير اذا بفارس قد اقبل على فرس اشهب فقال ياعبد الواحد ما سبب جلوسك ههنا فاخبرته بقصتي فقال لا تعترض اتدرى كم بينك و بين بلدك فقلت الله اعلم

يؤتون بالطعام فقال له ابليس ياقارون قد رضينا ان نكون هكذا كلا على بني اسرائيل فقال له قارون فاي رأى عندك قال نكتسب يوما ونتعبد يوما فنتصدق ونعطى قال فلما كسب يوما وتعبد ايوما جلس ابليس وتركه ففتحت على قرون ابواب الدنيا فبلغ ماله اخبرنا ابن فتحويه باسناده عن المسيب بن شريك قال ان مفاتحه لتنوء بالعصبة وكانت اربعمائة الف في اربعين خزانة فصار في الثروة وكثرة المال بحيث يضرب به الامثال انشدني ابو العباس سهل بن محمد المروزي عن بعضهم

وعدتني وعدك حتى اذا * أطمعتني فى كنز قارون
جئت من الليل بغسالة * تغسل ماقلت بصابون

فبغي قارون وطغي وتجبر حين استغنى واثرى حتى هلك فصار عبرة للغابرين وعظة للباقين وكان اول طغيانه وعصيانه انه تكبر واستطال على الناس بكثرة الاموال وكان يخرج فى زينته وهيئته ويختال كما قال تعالى فخرج على قومه فى زينته الآية قال مجاهد خرج على براذين بيض عليها سروج الارجوان وعليها المعصفرات وقال عبدالرحمن بن زيد بن أسلم خرج في سبعين الفا عليهم المعصفرات قال وكان ذلك اول يوم ظهرت المعصفرات فى الارض * فيما كان أبى يذكر لى عن مقاتل انه خرج على بغلة شهباء عليها سرج من الذهب عليه الارجوان ومعه الف فارس عليهم وعلى دوابهم الارجوان ومعه ستمائة جارية بيض عليهن الحلي والثياب الحمر على البغال الشهب نتمنى أهل الخسارة والجهالة مثل الذى أوتيه فقالوا ياليت لنا مثل ما أوتى قارون انه لذو حظ عظيم فانكر عليهم أهل العلم بالله وقالوا لهم اتقوا الله واعملوا بما أمركم الله به وانتهوا عما نهاكم عنه فان ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحا وما يلقاها الا الصابرون عن لذات الدنيا وشهوتها قال الله تعالى وما يلقاها الا الذين صبروا أي لا يوفق لهذه الكلمة الا الصابرون على طاعة الله وعن زينة الحياة الدنيا (قالوا) ثم ان الله أوحى الى نبيه موسى عليه السلام ان يأمر قومه ان يعلقوا في ارديتهم خيوطا اربعة في كل طرف خيط اخضر لونه كلون السماء فقال موسى يارب لم أمرت بنى اسرائيل تعليق هذه الخيوط الخضر فى أرديتهم فقال الله تعالى ان بنى اسرائيل في غفلة وقد اردت ان اجعل لهم علما فى ثيابهم ليذكرونى بها اذا نظروا اليه ويذكرون انه السماء ويعلمون انى منزل منها كلامى فقال موسى يارب افلا تأمرهم ان يجعلوا ارديتهم كلها خضرا فان بني اسرائيل تحقر هذه الخيوط قال له ياموسى ان الصغير من امري ليس بصغير وان لم يطيعونى في الامر الصغير لم يطيعونى في الامر الكبير قال فدعى موسى بنى اسرائيل ثم قال لهم ان الله امركم ان تعلقوا فى ارديتكم خيوطا خضرا كلون السماء لتذكروا ربكم اذا رأيتموها ففعلت بنو اسرائيل ما امرهم به واستكبر قارون فلم يطعه وقال مايفعل هذه الارباب بعبيدهم لكى يتميزوا عن غيرهم فكان ايضا من بغيه وعصيانه (قالوا) فلما قطع موسي ببني اسرائيل البحر جعلت الحبارة وهي رياسة المذبحة وبيت القربان لهرون فكانت بنو اسرائيل يأتون بهديهم فيدفعونه الى هرون فيضعه على المذبح فتنزل نار من السماء فتأكله فوجد قارون في نفسه من ذلك فاتى موسى وقال ياموسي لك الرياسة والرسالة ولهرون الحبارة ولست انا في شيء من ذلك وانا أقرأ للتوراة منكما ولاصبر لى على هذا فقال موسى والله ماجعلتها أنا فى هرون بل الله جعلها له فقال له قارون والله لا اصدقك في ذلك حتى تريني بيانه قال فجمع موسى رؤساء بني اسرائيل وقال هاتوا عصيكم فمن أصبحت عصاه خضراء فهو احق بالحبارة فجمعوا العصى وجاؤا بها وكتب كل واحد اسمه على عصاه فحزمها موسى والقاها فى القبة التى كان يعبد الله فيها وجعلوا يحرسون عصيهم حتى اصبحوا فاصبحت عصا هرون قد اهتزت ولها ورق اخضر وكانت من شجر اللوز فقال موسي ياقارون ترى هذا من فعلى فقال قارون والله ماهذا باعجب مما تصنع السحرة وذهب قارون مغاضبا واعتزل موسى باتباعه وجعل

فقال سيدتين للفارس المجد المسرع فدهشت من ذلك فقال لاتبرح من هذا المكان حتى يأتيك غلامك قال عبدالواحد فمكثت يومى الى ان جن الليل فما افقت الا وقد اقبل ومعه سفرة عليها من كل الطعام فقال لى ياسيدي كل ولا تعد لمثلها فاكلنا فلما فرغنا قال ياسيدى الكبيرهات اجرة سيدي الصغير واذا بدرهمين سقط في حجره فاعطانيهما ثم قام فصلى الى الفجر ثم أخذ بيدى وخطا بى خطوات يسيرة فاذا بى على باب داري فقال ياسيدى أنت نويت عتقي فقلت نعم انت حر لوجه الله تعالى قال وكان خلف باب الدار حجر عظيم كنا نغلق به الباب فقال ياسيدي خذ هذا عني وانت مأجور ان شاء الله تعالى واذا بالحجر صار ذهبا فدهشت من ذلك واسرعت نحو اصحابى لاقص عليهم مارأيت فطرق الغلام الباب فخرجت اليه ابنتى الصغيرة وقالت ياعبد السوء اين والدى انت قتلته من أجل نبشك القبور ثم لطمته على عينه لطمة ففقأتها فلما رجعت الى المنزل وجدت الغلام على تلك الحالة فعلمت ان ذلك فعل ابنتي

موسى يدار يه للقرابة التي بينهما وهو يؤذيه في كل وقت ولا يزيد كل يوم الا عتوا وتجبرا ومخالفة ومعاداة لموسى حتى انه بنى دارا وجعل بابها من الذهب الاحمر وضرب على جدرانها صفائح الذهب وكان الملا من بني اسرائيل يغدون عليه ويروحون فيطعمهم الطعام ويحدثونه ويضاحكونه قال ابن عباس ثم ان الله انزل الزكاة على موسى فلما اوجب الله الزكاة عليهم اتى قارون موسى فصالحه عن كل الف دينار دينار واحد وعن كل الف درهم درهم واحد وعن كل الف شاة شاة واحدة وعن كل شي شي ثم رجع قارون الى بيته وحسبه فوجده كثيرا فلم تسمح نفسه بذلك فجمع بني اسرائيل وقال لهم ياقوم ان موسى قد امركم بكل شيء فاطعتموه وهو الآن يريد ان يأخذ اموالكم فقالوا له انت كبيرنا وسيدنا فمرنا بما شئت فقال آمركم ان تجيؤا بفلانة البغي فتجعل لها جعلا على ان تقذف موسى بنفسها فاذا فعلت ذلك خرجت عليه بنو اسرائيل فرفضوه فاسترحنا منه فاتوا بها فجعل لها قارون الف درهم وقيل الف دينار وقيل طستا من ذهب وقيل حكمها وقال لها انا أمونك واخلطك بنسائي على ان تقذفي موسى بنفسك غدا اذا حضر بنو اسرائيل فلما كان من الغد جمع قارون بني اسرائيل ثم اتى موسى فقال ان بني اسرائيل اجتمعوا ينتظرون خروجك لتأمرهم وتنهاهم وتبين لهم اعلام دينهم واحكام شرعهم فخرج اليهم موسى وهم في براح من الارض فقام فيهم خطيبا ووعظهم وقال فيما قال يا بني اسرائيل من سرق قطعنا يده ومن افترى جلدناه ثمانين جلدة ومن زنى وليس له امرأة جلدناه مائة جلدة وان كان له امرأة رجمناه حتى يموت فقال له قارون وان كنت أنت قال وان كنت انا قال ان بني اسرائيل يزعمون انك فجرت بفلانة قال انا قال نعم قال ادعوها فان قالت فهو كما قالت فدعوها فلما جاءت قال لها موسى يا فلانة انا فعلت بك ما يقول هؤلاء وعظم عليها وسألها بالذي فلق البحر لموسى وبني اسرائيل وانزل التوراة على موسي الا صدقت فلما ناشدها تداركها الله بالتوفيق وقالت في نفسها الان احدث اليوم توبة أفضل من ان أوذي رسول الله فقالت لا بل كذبوا ولكن جعل لي قارون جعلا على ان اقذفك بنفسي فلما تكلمت بهذا الكلام سقط في يده قارون ونكس رأسه وسكت الملأ وعرف انه قد وقع في مهلكة فخر موسى ساجدا لله يبكي ويقول يارب ان عدوك هذا قد اذاني وأراد فضيحتي وسبني اللهم ان كنت رسولك فاغضب لي وسلطني عليه فاوحى الله تعالى اليه ان ارفع رأسك وأمر الارض بما شئت تطعك فقال موسى يا بني اسرائيل ان الله تعالي قد بعثني الي قارون كما بعثني الي فرعون فمن كان معه فليلبث مكانه ومن كان معي فليعتزل عنه فاعتزلوا عن قارون ولم يبق معه الا رجلان ثم قال موسى ياارض خذيهم فاخذتهم الى كعابهم ثم قال ياارض خذيهم فاخذتهم الى ركبهم ثم قال ياأرض خذيهم فاخذتهم الى جنوبهم ثم قال ياأرض خذيهم فاخذتهم الى أحقابهم ثم قال ياأرض خذيهم فاخذتهم الى أعناقهم وقارون وصاحباه في كل ذلك يتضرعون الى موسى ويناشده قارون بالله والرحم حتى روى في بعض الاخبار أنه ناشده سبعين مرة وموسى في جميع ذلك لا يلتفت اليه لشدة غضبه عليه ثم قال ياأرض خذيهم فانطبقت الارض عليهم وأوحى الله الى موسى ياموسى ما أفظك استغاثوا بك سبعين مرة فلم تغثهم ولم ترحمهم أما وعزتي وجلالي لو اياي دعوا لوجدوني قريبا مجيبا قال قتادة ذكر لنا ان الله تعالى يخسف بهم في كل يوم قامة وأنه يجلجل بهم فيها لا يبلغون قعرها الى يوم القيامة (أخبرنا) محمد بن عبد الله بن حمدون بقراءتي عليه قال احمد بن محمد بن الحسين أخبرنا محمد بن يحي وعبد الرحمن بن بشير واحمد بن يونس قالوا أخبرنا عبد الرزاق أخبرنا معمر ابن راشد عن همام بن منبه قال أخبرنا أبو هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بينما رجل يتبختر في برديه وينظر في عطفيه وقد اعجبته نفسه اذ خسف الله به الارض فهو يتجلجل فيها الى يوم القيامة * قالوا فلما خسف الله بقارون وصاحبيه الارض أصبحت بنو اسرائيل يتناجون فيما بينهم ان موسى انما

الصغيرة فقطعت يدها ثم أخذت في الاعتذار اليه فاخذ الغلام عينه بيده ووضعها مكانها ورمق بها الى السماء فاذا هي أحسن ما كانت ثم أخذ يد ابنتي وتفل عليها فاذا هي كما كانت فلما رأيت ذلك منه قلت هذا نباش النور لا نباش القبور ثم ذهب الغلام عن بيتي فحزنت على فراقه ولم أدر أين ذهب رضي الله تعالى عنه

(وحكى عنه رضي الله تعالى عنه) انه قال ركبت في مركب سنة من السنين ومعي جماعة من التجار فثارت علينا ريح شديدة حتى طرحتنا الى جزيرة من جزائر البحر فاذا رجل فيها يعبد صنما فلما رأيناه قلنا له يارجل ماذا تعبد فاوما الى الصنم فقلت له ان الهك هذا مصنوع وما هو باله يعبد فقال الرجل وما تعبدون انتم قلنا نعبد الها في السماء عرشه وفي الارض بطشه وفي الاحياء والاموات قضاؤه وقدرته تقدست اسماؤه وجلت عظمته وكبرياؤه فقال ومن اعلمكم بهذا قلنا وجه الينا رسولا كريما أخبرنا بذلك فقال وما فعل بالرسول قلنا لما ادى الرسالة قبضه الملك اليه واختار له ما لديه قال وهل ترك الرسول عندكم

دعا على قارون ليستبد بداره وامواله وكنوزه فدعا الله موسى حتى خسف الله بداره وامواله الارض واوحى الله تعالى اليه انى لا اعيد الارض لاحد بعدك ابدا فذلك قوله تعالى فخسفنا به وبداره الارض فما كان له من فئة ينصرونه من دون الله وما كان من المنتصرين فلما حلت نقمة الله بقارون حمد الله تعالى المؤمنون الذين وعظوه وانذروه بأس الله كما اخبر الله تعالى اذ قال له قومه لا تفرح ان الله لا يحب الفرحين اى لا تبطر ولا تأشر وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة الآية وندم الذين كانوا يتمنون مكانه بالامس وماله وحاله كما قال الله واصبح الذين تمنوا مكانه بالامس يقولون ويكأن الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر فنجى الله نبيه موسى صلوات الله على سيدنا محمد وعليه وسلامه والمؤمنين من كل بلاء ومحنة واهلك اعداءهم فرعون وهامان وقارون كما قال تعالى وقارون وفرعون وهامان ولقد جاءهم موسى بالبينات فاستكبروا في الارض الآيات

(باب فى قصة موسى حين لقي الخضر وما جرى بينهما من العجائب
الى ان بلغ من امرهما ما بلغ)

قال الله تعالى واذ قال موسى لفتاه لا ابرح حتى ابلغ مجمع البحرين او امضى حقبا قال الاستاذ الامام اختلف العلماء فى السبب الذى قصده موسى لأجله الخضر فروى الحسن بن عمارة عن الحكم بن عيينة عن سعيد بن جبير قال جلست عند ابن عباس وعنده نفر من اهل الكتاب فقال بعضهم يا ابن عباس ان نوفا ابن امراة كعب يزعم عن كعب ان موسى عليه السلام الذي طلب العلم انما هو موسى بن ميشا قال ابن عباس كذب نوف حدثني ابى بن كعب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان موسى نبي بنى اسرائيل سال ربه فقال يارب ان كان فى عبادك احد هو اعلم مني فدلنى عليه فقال الله عز وجل نعم فى عبادي من هو اعلم منك ثم نعت له مكان الخضر عليه السلام واذن له فى لقائه وروى هرون بن عنترة عن ابيه عن ابن عباس قال سال موسى ربه فقال يارب اى عبادك احب اليك فقال الذي يذكرني ولا ينسانى قال فاى عبادك اقضى قال الذي يقضي بالحق ولا يتبع الهوى قال يارب اى عبادك اعلم قال الذي يبتغي علم الناس الى علمه عسى ان يصيب كلمة تهديه الى هدى او ترده عن ردي قال فهل فى الارض احد اعلم مني قال نعم قال يارب من هو قال الخضر قال فاين اطلبه قال على الساحل عند الصخرة التي ينفلت عندها الحوت وجعل الحوت علما له ودليلا وقال اذا احيا هذا الحوت فان صاحبك هناك وكان قد تزود سمكا مملحا وروى عطية العوفى عن ابن عباس قال لما ظهر موسى وقومه على مصر واستقرت بهم الدار انزل الله عليهم المن والسلوى فخطب موسى قومه فذكرهم ما آتاهم الله من الخير والنعمة اذ نجاهم من آل فرعون واهلك عدوهم واستخلفهم فى الارض قال وكلم الله نبيكم تكليما واصطفاه لنفسه وألقى عليه محبة منه وآتاكم من كل ما سالتموه فنبيكم افضل اهل الارض وانتم تقرؤن التوراة فلم يترك نعمة انعمها الله عليهم الا ذكرها وعرفهم اياها فقال له رجل منهم من بني اسرائيل قد عرفنا الذي تقول فهل على وجه الارض احد اعلم منك يا نبي الله قال لا قال فعتب الله عليه حيث لم يرد العلم اليه فبعث اليه جبريل عليه السلام فقال له يا موسى ما يدريك اين اضع علمى بل ان لي عبدا بمجمع البحرين اعلم منك فسال موسى ربه ان يريه اياه فاوحى الله اليه ان ائت البحر فانك تجد على شاطىء البحر حوتا فخذه وادفعه الى فتاك ثم الزم شاطىء البحر فاذا نسيت الحوت وهلك منك فثم تجد العبد الصالح قال فخرج موسى وفتاه يقصدان مجمع البحرين للقاء الخضر عليه السلام ومعهما حوت مالح فذلك قوله تعالى واذ قال موسى يعني ابن عمران لفتاه اى لصاحبه يوشع بن نون ابن افرائيم

من علامة الملك قلنا نعم ترك عندنا كتابا يسمى قرآنا فقال ائتونى بكتاب الملك فانه ينبغى ان تكون كتب الملوك حسانا قال فاتيناه بالمصحف الشريف فقرأنا عليه سورة فلم يزل يبكى حتى ختمنا السورة ثم قال ينبغى لصاحب هذا الكلام ان لا يعصى ثم اسلم وحسن اسلامه فعلمناه شرائع الاسلام وسورة من القرآن فلما كان بعض الليالي صلينا العشاء واخذنا مضاجعنا فقال يا قوم هذا الاله الذي دللتمونى عليه اذا جن عليه الليل ينام كما تنامون فقلنا لا يا عبد الله هو حى قيوم لا تأخذه سنة ولا نوم فقال بئس العبيد أنتم تنامون ومولاكم لا ينام قال فاعجبنا كلامه فلما أصبحنا قلت لاصحابى هذا قريب عهد بالاسلام فاجمعوا له دراهم ينفقها فجمعنا له ذلك فلما رآها قال ما هذ قلنا دراهم تنفقها قال لا اله الا الله دللتمونى على طريق اسلكها ولم تسلكوها انى كنت أعبد صنما من دونه ولم يضيعني وانا لا أعرفه فكيف يضيعني الآن وانا اعرفه فتعجبنا من كلامه قال عبد الواحد فلما كان بعد ثلاثة أيام قيل لى انه فى سكرات قال فاتيت اليه وقلت له هل

ابن يوسف عليه السلام لا ابرح اى لا ازال اسير حتى ابلغ مجمع البحرين يعني بحر فارس والروم مما يلي المشرق قال قتادة وقال ابى بن كعب هو افريقية وقال محمد بن كعب طنجة او امضى حقبا دهرا او زمانا طويلا فذهبا ومعهما الخبز والسمك المملوح وسارا حتى انتهيا الى الصخرة عند مجمع البحرين ليلا قال معقل بن زياد وهى الصخرة التى دون نهر الزيت قال وعندها عين تسمى ماء الحياة ولا يصيب ذلك الماء شيئا الا عاد حيا فلما اصاب السمكة روح الماء وبرده اضطربت فى المكتل وعاشت ودخلت البحر فذلك قوله تعالى فلما بلغا يعنى موسي وفتاه مجمع بينهما يعنى البحرين نسيا حوتهما وانما كان الحوت مع يوشع وهو الذى نسيه يدل عليه قوله تعالى انى نسيت الحوت ولكنه صرف النسيان اليهما والمراد به احدهما كما قال تعالى يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان وانما يخرجان من المالح دون العذب فاتخذ الحوت سبيله فى البحر سربا اى مذهبا ومسلكا واختلفوا فى كيفية ذلك فروى ابى بن كعب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال انجاب الماء عن مسلك الحوت فصار كوة لم يلتئم فدخل موسي الكوة على اثر الحوت فاذا هو بالخضر عليه السلام وقال ابن عباس راى اثر جناحيه فى الطين حين يقع فى الماء وجعل الحوت لا يمس شيئا من البحر الا يبس حتي يصير صخرة وروى ابن عباس عن ابى ابن كعب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لما انتهيا الي الصخرة وضعا رؤسهما فناما فاضطرب الحوت فى المكتل فخرج منه وسقط فى البحر هاربا فاتخذ سبيله فى البحر سربا فامسك الله تعالى عن الحوت جرية الماء فصار عليه مثل الطاق فلما استيقظ موسي عليه السلام نسي صاحبه ان يخبره بالحوت فانطلقا بقية يومهما وليلتهما حتى اذا كان من الغد قال موسي لفتاه آتنا غداءنا الآية وقال قتادة رد الله الى الحوت روحه فسرب حتى افضي الى البحر ثم سلكه جعل لا يسلك منه موضعا الا صار ماء جامدا طريقا يابسا وقال الكلبي توضأ يوشع بن نون من عين الحياة فانتضح على الحوت المملح من ذلك الماء وهو فى المكتل فعاش ووثب فى الماء فجعل يضرب بذنبه الماء فلا يضرب بذنبه شيئا من الماء وهو ذاهب الا يبس قال الحكماء كان لموسي عليه السلام خمسة اسفار الاول سفر الهرب وهو قوله تعالى ففررت منكم لما خفتكم الآية والثانى سفر الطور وهو قوله تعالى فلما اتاها نودى ان بورك من فى النار ومن حولها الآية وقوله تعالى فلما اتاها نودى من شاطىء الوادى الايمن الآية والثالث سفر الطلب وذلك عند خروجه من مصر قال الله تعالي واوحينا الي موسي ان اسر بعبادى والرابع سفر الحرب وهو قوله تعالى اخبارا عن قول قومه فاذهب انت وربك فقاتلا الآية والخامس سفر النصب وهو قوله تعالى لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا وذلك انه لما القي على موسى الجوع بعد ما جاوز الصخرة ليتذكر الحوت ويرجع الى موضع مطلبه فقال له فتاه وتذكر أرأيت اذ أوينا الى الصخرة فانى نسيت الحوت اى تركته وفقدته وقيل فيه اضمار تقديره فانى نسيت ان اذكر امر الحوت وما أنسانيه الا الشيطان ان أذكره واتخذ سبيله في البحر عجبا قال عبد الرحمن بن زيد أي شيء أعجب من حوت كان دهرا من الدهور يؤكل منه ثم صار حيا حتي حشر في البحر قال وكان شق حوت وقال وهب بن منبه ظهر في الماء من اثر جرى الحوت اخدود شبه نهر من حيث دخل الى حيث انتهى فرجع موسى حتى انتهى الى مجمع البحرين واذا هو بالخضر فذلك قوله تعالى قال ذلك ما كنا نبغ أي نطلب فارتدا فارجعا على آثارهما الذي جاآ منه قصصا أي يقصان الاثر فوجدا عبدا من عبادنا يعني الخضر عليه السلام

﴿فصل في ذكر جمل من أخبار الخضر عليه السلام واحواله﴾

واسمه بليا بن ملكان بن فالغ بن عابر بن شالخ بن ارفخشذ بن سام بن نوح وانما لقب بالخضر كما أخبرنا به أبو سعيد محمد بن عبد الله بن حمدون بقراءتى عليه قال أخبرنا أبو حامد احمد بن محمد بن الحسين الشرقى

قال

من حاجة فقال نعم فقضيت حوائجه وقعدت عند رأسه فغلبني النوم فنمت فرأيت روضة خضراء وفيها قبة عظيمة وفى القبة سرير وعلى ذلك السرير جارية حسناء لم أر أحسن منها وهي تقول بالله لاما عجلتم به فقد اشتد شوقى اليه فاستيقظت من منامى فوجدت الرجل قد فارق الدنيا رحمة الله تعالى عليه فغسلته وكفنته وصلينا عليه ودفناه فلما نمت رأيته فى المنام فى تلك القبة على السرير والجارية بجانبه وهما يقرآن هذه الآية لمثل هذا فليعمل العاملون رضى الله تعالى عنهم اجمعين ونفعنا بهم آمين (وحكى عن ذى النون المصري رضى الله تعالى عنه) أنه قال بينما أنا أسير فى نواحى الشام اذ وقعت على روضة خضراء وفيها شاب يصلى تحت شجرة تفاح فتقدمت اليه وسلمت عليه فلم يرد على السلام فسلمت عليه ثانيا فاوجز فى صلاته وكتب باصبعه فى الارض هذا الشعر

منع اللسان من الكلام لانه
كهف البلاء وجالب الآفات
فاذا نطقت فكن لربك ذاكرا
لا تنسه واحمده فى الحالات

قال حدثنا محمد بن يحيي وعبد الرحمن بن بشر وأحمد بن يوسف قالوا أنبأنا عبد الرزاق انبأنا عبد الله بن حامد الوراق قال انبأنا مكى بن عبدان قال انبأنا ابو الازهر قال حدثنا عبد الرزاق قال انبأنا معمر عن همام بن منبه عن ابى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انما سمي الخضر لانه جلس على فروة بيضاء فاذا هي تهتز تحته خضراء واخبرنا ابو نصر محمد بن على بن الفضل الخزاعي قال انبأنا ابو بكر محمد بن الحسن القصار قال انبأنا أحمد بن يوسف السلمي قال انبأنا محمد بن يوسف الفريابى قال ذكر سفيان عن منصور عن مجاهد قال انما سمي الخضر لانه اذا صلى اخضر حوله

﴿ فصل في بدء امر الخضر عليه السلام ﴾

يروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما اسري به الى السماء بينما هو على البراق وجبريل عليه السلام يمر به اذ وجد رائحة طيبة فقال ياجبريل ماهذه الرائحة الطيبة قال انه كان ملك فى الزمان الاول له سيرة حسنة فى اهل مملكته وكان له ابن ولم يكن له ولد غيره قال اصحاب الاخبار وكان ابوه ملكا عظيما فسلمه الى المؤدب يؤدبه وكان يختلف اليه وكان بين منزله ومؤدبه رجل عابد كان يمر به فاعجبه حاله فالفه وكان يجلس عنده والمعلم يظن انه فى المنزل وابوه يظن انه عند المعلم حتي شب ونشأ واخذ من العابد شمائله وعبادته فقالوا لابيه ليس لك ولد غيره يرث ملكك فلو زوجته لعله ان يرزق اولادا فعرض عليه ابوه التزويج فابى ثم عاوده فعرض عليه فرضى فزوجه جارية من بنات الملوك فزفت اليه فلما بقيت عنده قال لها انى مخبرك بامر ان انت سمعتيه صرف الله عنك شر الدنيا وعذاب الآخرة وان افشيت سري عذبك الله في الدنيا والآخرة قالت وماذاك قال انى رجل مسلم لست على دين ابى وليست النساء من حاجتي فان رضيتي ان تقيمى معي على ذلك وتتابعيني على ديني فذاك اليك وان انت ابيت لحقت باهلك فقالت المرأة بل اقيم معك فلما أتت عليها مدة قالوا لابيه ما نظن ابنك الا عاقرا لا يولد له ولد فسأله ابوه فقال ماذلك بيدي وانما ذلك بيد الله يؤتيه من يشاء فدعا المرأة وسالها فردت عليه مثل مارد عليه الخضر فمكث أبوه زمانا ثم دعا ابنه اليه فقال له أحب ان تطلق امرأتك هذه واز وجك امرأة غيرها ولودا ربما ترزق منها ولدا فكره ذلك الخضر والح عليه أبوه حتي فرق بينهما وزوجه امرأة غيرها ولودا ثيبا فعرض عليها الخضر مقالته الاولى فرضيت وقالت اقيم معك فلبثا زمانا ثم ان اباه استبطا الولد منه فدعاه وقال له ليس يولد لك فقال ليس ذلك بيدى ولكنه بيد الله ثم انه دعا امرأته وقال لها أنت امرأة شابة ولود وقد كنت ولدت عند غيرابني ولست تلدين عند ابنى فقالت ما مسني منذ صحبته وكذلك المرأة الاولى فدعاها وسألها فقالت مثل ذلك فدعا ابنه وعيره وعنفه ففزع من أبيه ولم يامن على نفسه منه فخرج من عنده فهام على وجهه ولم يدر أحد من خلق الله تعالى ابن توجه فندم أبوه على مافعل فارسل فى طلبه مائة رجل من طرق شتى مختلفة فانطلقوا فى طلبه فادركه منهم عشرة في جزيرة من جزائر البحر فقال لهم انى أقول لكم شيأ واحدا فاكتموه عني فان كتمتموه صرف الله عنكم شر الدنيا وعذاب الآخرة وان ابيتم ذلك وافشيتم سري عذبكم الله في الدنيا والآخرة قالوا له قل ماشئت قال هل بعث ابى فى طلبي أحدا غيركم قالوا نعم فقال لهم اذا فاكتموا امري ولا تخبروا ابى انكم رأيتموني وقولوا مثل قول نظرائكم الذين أرسلهم فى طلبي فلم يروني لانكم وأخبرتموه بي اوذهبتم بي اليه قتلني وصرتم انتم المأخوذين بدمي قال فخلوا عنه وانصرفوا فلما دخلوا على ابيه قال تسعة منهم قد وجدناه وقال لنا كيت وكيت فخلينا عنه وقال العاشر مالنا به علم ومالى به خبر والتسعة قالوا بلى قد ظفرنا به وان شئت أتيناك به فقال لهم ارجعوا فى طلبه وأتونى به وان الخضر خاف ان يظفروا به فانحاز من ذلك الموضع الى موضع آخر فاتوا اليه فلم يجدوه فرجعوا وقالوا لم نره فقتلهم ابوه قال وان اباه دعا بالمرأة الثيب وقال لها

قال ذو النون فبكيت بكاء شديدا ثم كتبت باصبعي في الارض

ومامن كاتب الا سيبلى
ويبقى الدهر ماكتبت يداه
فلا تكتب بخطك غير شيء
يسرك في القيامة ان تراه

قال فصاح الشاب صيحة فمات رحمه الله تعالى فقمت لاغسله فاذا بقائل يقول خل عنه فان الله تعالى وعده ان لا يتولى امره الا الملائكة قال ذو النون رضى الله تعالى عنه فملت الى شجرة فركعت عندها ركعات ثم اتيت الموضع الذى مات فيه الشاب فلم اجد له اثرا ولا وقعت له على خبر رضى الله تعالى عنه ونفعنا به وببركته آمين

(وعن مالك بن دينار رضي الله تعالى عنه) انه قال كنت ماشيا في ازقة البصرة يوما من الايام فرايت جارية من جواري الملوك راكبة ومعها خدم وغلمان فاتيت اليها وقلت ايتها الجارية ايبيعك مولاك فقالت الجارية ولو باعنى مولاى كان مثلك يشترينى فقلت نعم وخيرا منك قال فضحكت وامرت بى ان احمل معها الى بيت مولاها فحملت معها فلما دخلت الى مولاها اخبرته بذلك فضحك وامر ان ادخل فدخلت اليه وسلمت عليه

أنت صنعت هذا بابنى حتى هرب فنتلها وسمعت المرأة الاولى بذلك فهربت مخافة القتل وقال الماشر الذى أنكر رؤيا الخضر ما يؤمنني أن يقتلني كما قتل النممة فهرب حتى أتى قرية فاذا المرأة الهاربة أيضا فى تلك القرية فكانت تحتطب فقالت يوما بسم الله فسمعها الرجل الهارب فقال لها من أنت فاخبرته خبرها فقال ياهذه انا الماشر خرجت خوف القتل فهل لك ان أتزوجك ونعبد الله حتى نموت فقالت نعم ثم انهما انطلقا حتى أتيا قرية فيها بعض من الفراعنة فاتخذا بيتا من قصب ومكثا فيه ورزقا فيه ثلاثة أولاد فقال لها الرجل اذا انا مت فادفنيني فى هذا البيت وكذلك كل من مات منكم فانى لا أحب أن تكون قبورنا مع هؤلاء فاذا كان آخرنا موتا يوصى ان يهدم عليه البيت فمات الرجل فدفنته امرأته ثم انه بلغ فرعون زمانهم انهم يوحدون الله و يعبدونه فجيء بالمرأة الى حضرته فامرها ان ترجع عن دينها فابت فامر بقدر من نحاس فملئت ماء وغلي غليانا شديدا وأمر بالمرأة وولدها فلما أحضروا قال لها ارجعى عن دينك والا القيتك أنت واولادك فى هذا القدر فابت عليه فامر بولدها الاكبر فالقى فيه فتفسخ فيه وكذلك الثانى وكان فى حجرها ابن رضيع فارادوا القاءه فرقت المرأة ونازعتهم في شانه فتكلم الغلام الرضيع وقال لها اصبرى فانا جميعا في الجنة فلما أرادوا ان يلقوها فى القدر قالت لهم لى اليكم حاجة يسيرة قالوا وما هي قالت اذا رميتمونى فى القدر فادفنوها بما فيها من عظامنا فى بيتنا واهدموه علينا ففعلوا ذلك فلما اسرى برسول الله صلى الله عليه وسلم وجد رائحة طيبة فقال ماهذه يا جبريل فاخبره بقصتهم وقال هذه رائحتهم و يروى ان جبريل عليه السلام قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان قوما من أهل تلك المدينة ركبوا البحر في تجارتهم فضربتهم الامواج فتكسرت بهم سفينتهم فانفلت منهم رجلان على لوح من الواحها فضربتهم الامواج حتى أسندتهما الى جزيرة من جزائر البحر فخرجا يجولان في الجزيرة فاذا هما بالخضر عليه السلام وعليه ثياب بيض وهو قائم يصلى فجلسا حتى فرغ من صلاته فالتفت اليهما وقال لهما من انتما قالا نحن من مدينة كذا وكذا خرجنا فى هذا البحر لطلب التجارة فانكسرت بنا هذه السفينة ودفعنا الى هذه الجزيرة فقال اختارا ان شئتما ان تقيما فى هذا الموضع تعبدان الله تعالى وتاتيكما ارزاقكما وان شئتما ارددكما الى منازلكما قالا بل تردنا الى منازلنا فقال لهما على أن تعطيانى عهد الله وميثاقه على انكما لا تخبران بشىء مما تريانه فاعطياه العهد والميثاق على الكتمان فنظر فاذا سحائب فدعاهن وسالهن فقالت كل واحدة منهن ار يد بلد كذا وكذا فدعا التى تريد بلادهما فقال لها احملى هذين حتى تضعيهما على سطوحيهما فسقطت السحابة وانشقت لهما ثم رفعتهما ومضت حتى وضعتهما على سطوحيهما فعزم أحدهما على الكتمان ونزل الى منزله وعزم الآخر على اذاعته فنزل من سطحه وخرج من بابه وانطلق الى باب المدينة ونادى النصيحة فادخل على الملك فقال له ما نصيحتك فقال رأيت ابنك فى موضع كذا وكذا وصنع بى كذا وكذا فقال له من يعلم ذلك قال فلان كان رفيقي فبعث اليه وساله عما قال فقال أما ركوب البحر فقد ركبنا جميعا وقد انكسرت بنا السفينة وصرنا على لوح من الواحها فلم تزل الامواج تضرب بنا حتى صرنا الى الساحل فخرجنا من البحر فلم نزل نعيش من الشجر ونبات الارض والثمر ترفعنا ارض وتضعنا أخري حتي انتهينا الى منازلنا فقال له الغادر ابعث معى رسلك حتى أدفعه اليك وتعلم ان هذا قد كذب فامر بالرجل الكاتم فحبس وتوعده بالصلب ان وفي صاحبه بما قال وأوعد الغادر بالصلب ان هو كذب ولم يات به فبعث معه رسلا فركبوا البحر حتى انتهوا الى الجزيرة فطلبوا الخضر فلم يجدوا شيئا فرجعوا بالرجل الى الملك وقالوا هذا اكذب خلق الله ما رأينا مما قال شيئا فصلبه وخلى عن الآخر ثم ان اهل تلك المدينة لم يزالوا يعملون المعاصي حتي غضب الله عليهم قال جبريل عليه السلام فبعثنى الله تعالى اليهم فادخلت جناحى تحتها واقلعتها فرفعتها حتي سمع

فلما رآنى قال ما حاجتك قلت بعنى جاريتك فقال مولاها اتطيق اداء ثمنها فقلت نعم قيمتها عندى نواتان من وسختان قال فضحك وقال كيف يكون ثمنها عندك هذا القدر فقلت لكثرة عيوبها فقال وما عيوبها فقلت ان لم تتعطر ذفرت وان لم تستك بخرت وان لم تتمشط وتدهن قملت وان عمرت هرمت ذات حيض وبول واقذار وحزن وغم واكدار ولعلها لا تودك الا لنفسها ولا تحبك الا لتنعمها لا تفى بعهدك ولا تصدق في ودك ولا تخلف عليها احدا بعدك الا رانه مثلك وانا اجد بدون ما سالت من الثمن في جاريتك هذه جارية خلقت من سلاسل الكافور ومن المسك والعنبر والنور لو مزج بريقها الاجاج لطاب ولو دعي بكلامها ميت لاجاب ولو بدا معصمها للشمس لاظلمت وكسفت ولو بدا جبينها فى الظلمات لانارت واشرقت ولو واجهت الآفاق بحليها وحللها لتعطرت وتزخرفت نشات بين رياض المسك والزعفران وقضبان الياقوت والمرجان وقصرت في خيام النعيم وغذيت بماء

اهل سماء الدنيا نباح الكلاب وصياح الديوك ثم أمرني فقلبتها فجاءت تهوي بمن فيها حتى انتهت الى وجه الارض فبقي بيت الرجل الكاتم والمرأة الكاتمة من جانب سالمين ثم انطبقت الارض بمن فيها فلم ينج منهم غيرهما فجعلا يدوران في حدود المدينة فلا يلاقي كل واحد منهما غير صاحبه فلما ان كثر ذلك قال الرجل ايتها المرأة قد رأيت ما أصاب القوم وانه لم يفلت غيري وغيرك فبأي شيء نجونا فاخبريني وانا أخبرك فعاهد كل واحد منهما صاحبه على الكتمان فتصادقا فاذا قصتهما واحدة وانما نجاهما الكتمان فقال لها هل لك ان تزوجيني نفسك ونخرج الى مدينة من هذه المدائن فاكتسب عليك وتكتسبين علي حتى يقضي من امرنا ما يشاء ففعلت فذهبا الى مدينة فرعون وصارت ماشطة لهم فحظيت عندهم فبينما هي ذات يوم قاعدة تسرح رأس بنت الملك اذ سقط المشط من يدها فقالت بسم الله تعس من كفر بالله ففزعت الجارية من ذلك وقالت لها من الله قالت ربي فقالت لها وان لك لربا غير أبي فقالت نعم هو ربي ورب ابيك ورب كل شيء فهبطت الجارية ودخلت على أبيها وقالت تعلم ان فلانة تقول قولا عجيبا تقول كذا وكذا فارسل اليها فحضرت فقال لها ما هذا الذي بلغني عنك فقالت هو ما بلغك قال فهل أحد يقول بقولك قالت نعم بعلي وصبيتي فبعث اليهم وامتحنهم فاذا هم يقولون قولا واحدا فقال لهم انا لا نقركم على ما انتم عليه حتى ترجعوا الى ديننا فقالوا له اصنع ما أنت صانع فامر بقدر من نحاس عظيمة فملئت ماء ثم أشعل تحتها حتى اضطرب الماء ثم دعا بالصبية فعرض عليهم واحدا واحدا ليكفروا فابوا ان يكفروا فاخذهم وطرحهم في القدر ثم انه دعا بالزوج وعرض عليه الكفر فابى فالقاه في القدر ثم دعا بالمرأة وقال لها ان لك علينا حقا فان انت رجعت الى ديننا والا القيناك في القدر فقالت له اصنع ما انت صانع ثم انها قالت له ان لي اليك حاجة قال وما هي قالت اذا صنعت ما أنت صانع فمر ببيتنا ان يحفر فيه حفرة ثم تامر بالقدر فتحمل بما فيها ثم يأتون بها منزلنا فيسكب ما في القدر في الحفرة ثم يعاد علينا التراب ثم يهدم علينا البيت ففعل ذلك فهذه الرائحة رائحة المسك تسطع من بينهم الى يوم القيامة فهذه قصة الخضر مع أبيه وبدء امره وكان في زمن افريدون الملك ابن اثفيان على قول عامة أهل الكتب الاولى وقيل انه كان على مقدمة ذي القرنين الاكبر الذي كان في زمن ابراهيم عليه السلام وهو الذي قضى ببئر السبع وهي بئر كان احتفرها ابراهيم عليه السلام لماشيته في صحراء الاردن وان قوما من اهل الاردن ادعوا الارض التي احتفرها فيها ابراهيم عليه السلام فحاكمهم ابراهيم عليه السلام الى ذي القرنين الذي كان الخضر على مقدمته أيام مسيره في البلاد وانه بلغ مع ذي القرنين نهر الحياة وشرب من مائه وهو لا يعلم به ولا يعلم ذو القرنين ومن معه فخلد وهو في الحياة الى الآن وقيل ان ذا القرنين الذي كان على عهد ابراهيم عليه السلام وكان الخضر عليه السلام على مقدمته هو افريدون الملك وزعم بعضهم ان الخضر من ولد من كان آمن بابراهيم خليل الرحمن واتبعه على دينه وهاجر معه من ارض بابل (وروي) محمد بن اسحق بن يسار عن وهب بن منبه ان الخضر هو أرميا بن خلفيا وكان من سبط هرون بن عمران وهو الذي بعثه الله نبيا في أيام ناشئة بن أموص ملك بني اسرائيل والقول الاول أشبه بالحق واولى بالعدل والصدق لان ناشئة بن اموص كان في عصر كرفشت بن كراشت في أيام بختنصر وبين افريدون وكرفشت من الدهور والازمان ما لا يجهله ذو علم بايام الناس واخبارهم * وقد صح الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في حديث أبي بن كعب ان صاحب موسى ابن عمران الذي امر بطلبه وبالاقتباس منه هو الخضر عليه السلام ورسول الله صلى الله عليه وسلم أعلم الخلق بالامور الماضية والباقية وموسى بن عمران الثاني في عصر منوشهر الملك وكان منوشهر الملك ملكا بعد جده افريدون فدل هذا على خطا من قال انه ارميا بن خلفيا لان ارميا كان في أيام بختنصر وبين عهد موسى

القسيم لا تخلف عهدها ولا تبدل ودها فانها حينئذ احق برفع الثمن من جاريتك هذه فقال الملك يا اخي فاين التي وصفت قلت الموجودة الثمن القريبة الخطب في كل زمن فقال ما قيمتها يرحمك الله قلت اليسير المبذول لنيل الخطير المأمول وهو ان تتفرغ ساعة في ليلك فتصلي ركعتين تخلصهما لربك وان تدع طعامك فتؤثر جائعك وان ترفع عن الطريق حجرا وقذرا وان تقطع ايامك بقلة البلغة وان ترفع همك عن دار الغرور والغفلة فتعيش في الدنيا بعز القناعة وتأتي الى الموقف آمنا غدا وتنزل في الجنة دار النعيم في جوار المولى الكريم مخلدا فقال الملك يا جارية اسمعت ما قال شيخنا هذا فقالت نعم قال اصدق ام كذب فقالت بل صدق ونصح فقال مولاها فانت حرة لوجه الله تعالى وضيعة كذا وكذا صدقة عليك وانتم ايها الجواري والخدم أحرار لوجه الله تعالى وضيعة كذا وكذا صدقة لكم وهذه الدار وما فيها صدقة وجميع مالي في سبيل الله ثم مد يده الى ستر خشن كان على بعض أبوابه فاجتذبه وخلع جميع ما كان

ويختصر من المدة مالا يخفى على أهل العلم اللهم الا ان يكون الامر كما قال من قال انه كان على مقدمة ذى القرنين صاحب ابراهيم عليه السلام فشرب من ماء عين الحياة فخلد ولم يبعث في أيام ابراهيم ومن بعده الى ايام ناشئة بن اموص فبعث حينئذ نبيا والله اعلم والصحيح انه نبي معمر محجوب عن الابصار (وروى) محمد بن المتوكل عن ضمرة بن عبيد الله بن سوار قال الخضر من ولد فارس والياس من بني اسرائيل يلتقيان فى كل عام في الموسم واخبرنى محمد بن القاسم أخبرنا أبو بكر محمد بن القاسم قال اخبرنا ابو بكر احمد بن محمد بن يعقوب قال اخبرنا يزيد بن سمعان بن حبان الواسطى اخبرنا على بن المنذر عن سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار قال ان الخضر والياس لا يزالان حيين في الارض مادام القرآن فيها فاذا رفع القرآن ماتا واخبرنى ابو عمرو العمرانى اخبرنا ابو احمد محمد بن على الرازي اخبرنا ابراهيم بن اسحق الانماطى اخبرنا ابو همام الوليد بن شجاع السلمى اخبرنا عمر بن عبد الواحد السلمى عن ابن ثوبان عن بعض اهل العلم عن انس بن مالك قال خرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم واذا بصوت يجيء من شعب فقال يا انس انطلق فابصر ماهذا الصوت قال فانطلقت فاذا رجل يصلى و يقول اللهم اجعلنى من امة محمد المرحومة المغفور لها المستجاب لها المتاب عليها فاتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعلمته بذلك فقال لى انطلق فقل له ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرئك السلام و يقول لك من انت فاتيته فاعلمته بما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لى اقرىء رسول الله صلى الله عليه وسلم منى السلام وقل له اخوك الخضر يقول لك ادع الله ان يجعلنى من امتك المرحومة المغفور لها المستجاب لها المتاب عليها (رجعنا الى حديث موسى وفتاه) قالوا فانتهى موسى وفتاه الى الخضر وهو قائم يصلى على طنفسة خضراء على وجه الماء وهو متشح بثوب اخضر فسلم عليه موسى فقال الخضر وانى بارضك السلام فقال انا موسى فقال موسى بني اسرائيل قال نعم قال ياموسي لقد كان في بني اسرائيل شغل قال موسي ان ربى ارسلني اليك لاتبعك واتعلم من علمك ثم جلسا يتحدثان فجاءت خطافة وحملت بمنقارها من الماء فقال الخضر ياموسي خطر ببالك انك اعلم اهل الارض ماعلمك وعلمي وعلم جميع الاولين والاخرين فى جنب علم الله تعالى الا أقل من الماء الذى حملته الخطافة بمنقارها فذلك قوله تعالى فوجدا عبدا من عبادنا آتيناه رحمة من عندنا أى نبوة وحكمة وعلمناه من لدنا علما (وقال ابن عباس) كان الخضر يعلم علم الغيب فقال له موسى هل اتبعك على ان تعلمني مما علمت رشدا قال انك لن تستطيع معى صبرا لانى اعلم علم الباطن علما علمنيه الله تعالى وكيف تصبر على مالم تحط به خبرا يعنى على مالم تعلمه قال موسي ستجدنى ان شاء الله صابرا ولا أعصي لك أمرا قال فان اتبعتني فلا تسألني عن شىء علمته مما تنكره حتى احدث لك منه ذكرا وأبين لك شأنه فانطلقا يسيران يلتمسان سفينة يركبان فيها فمرت بهما سفينة جديدة وثيقة فركباها فقال اصحاب السفينة هؤلاء لصوص وامروهم بالخروج منها فقال صاحب السفينة ماهؤلاء بلصوص ولكني أرى وجوههم وجوه الانبياء وقال ابى بن كعب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انطلقا يمشيان على ساحل البحر اذ مرت بهم سفينة فكلموهم ان يحملوهم فعرفوا الخضر فحملوهم بغير نول فلما دخلوا في البحر اخذ الخضر عليه السلام فاسا فخرق لوحا من السفينة حتى دخلها الماء فحشاها موسي بثوبه وقال له اخرقتها لتغرق اهلها وقد حملونا واحسنوا الينا فخرقت سفينتهم ماهذا جزاؤهم منا لقد جئت شيأ امرا أى عجبا منكرا قال الخضر الم أقل انك لن تستطيع معي صبرا قال موسى لا تؤاخذنى بما نسيت ولا ترهقنى من أمرى عسرا يعنى لاتكلفني ولا تضيق على امرى (قال ابن عباس) لما خرق الخضر السفينة تنحى موسي ناحية وقال في نفسه ما كنت أصنع بمصاحبة هذا الرجل كنت فى بنى اسرائيل اتلوا عليهم كتاب الله غدوة وعشية وآمرهم فيطيعونى فقال له الخضر ياموسى اتريد ان اخبرك

عليه من الحرير والديباج فلما رأت الجارية مافعل مولاها قالت لاعيش لى بعدك يامولاي ثم رمت كسوتها ولبست مثل مولاها وخرجت معه فودعهم مالك ودعالهما واخذ طريقه فتعبدا حتى جاء الموت ولقيهما على حال العبادة عفا الله عنهما ونفعنا الله بهما آمين

﴿ وحكى عن جعفر بن سليمان رضي الله تعالى عنه ﴾ انه قال مررت انا ومالك بن دينار بالبصرة فبينما نحن ندور بها اذ مررنا بقصر واذا بشاب جالس مارأيت أحسن منه وجها وهو يامر ببناء القصر ويقول افعلوا كذا واصنعوا كذا قال مالك اما ترى ياجعفر الى هذا الشاب وحسن وجهه وحرصه على بناء هذا القصر مااشوقني الى ان اسأل ربى ان يخلصه فيجعله من شباب الجنة ثم قال ياجعفر ادخل بنا اليه قال فدخلنا اليه وسلمنا عليه فرد علينا السلام وكان لم يعرف مالك ابن دينار فلما عرفه قام اليه وقال هل من حاجة يامولاي فقال مالك كم نويت ان تنفق على هذا القصر قال مائة الف درهم فقال مالك الا تعطيني هذا المال فاصرفه لمستحقه

بما حدثت به نفسك قال نعم قال قلت كذا وكذا قال صدقت فانطلقا يمشيان حتى أتيا أيلة فاذا هما بغلمان عشرة فيهم غلام هو اظرفهم واضوؤهم وجها قال ابن عباس كان غلاما لم يبلغ الحلم وقال الضحاك كان غلاما يعمل الفساد فتأذى منه ابواه وقال الكلبي كان الغلام يسرق المتاع بالليل فاذا أصبح لجأ الى ابويه فيحلفان دونه شفقة عليه و يقولان لقد بات عندنا واختلفوا في اسمه فقال الضحاك كان اسمه حسنود وقيل الحسين وقال وهب بن منبه كان اسم ابيه ملاس واسم أمه رحمة قال فاخذه الخضر عليه السلام فقتله واختلفوا في كيفية قتله قال سعيد بن جبير أخذه فاضجعه ثم ذبحه بالسكين وقال الكلبي صرعه ثم نزع رأسه وقال قوم رفسه برجله فقتله وقال آخرون ضرب رأسه بالجدار حتى قتله وفي رواية اخرى أدخل أصبعه في سرة الصبي فاقتلعها فمات فلما قتله قال موسى اقتلت نفسا زكية يعني طاهرة لم تذنب ولم تستوجب القتل بغير نفس لقد جئت شيأ نكرا أي منكرا قال قتادة المنكر أشد وأعظم من الامر قال فغضب الخضر واقتلع كتف الصبي الايسر وقشر اللحم عنه فاذا في عظم كتفه مكتوب كافر لا يؤمن بالله أبدا * ويدل على صحة هذا القول ما أخبرنا به عبد الله بن حامد اخبرنا احمد بن عبيد الله اخبرنا محمد بن عبد الله بن سليمان اخبرنا يحيي أخبرنا قيس عن أبي اسحق عن سعيد بن جبير عن ابن عباس عن أبي بن كعب قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول كان الغلام الذي قتله الخضر طبع كافرا فقال الخضر لموسى ألم أقل لك انك لن تستطيع معي صبرا قال ان سألتك عن شيء بعدها فلا تصاحبني قد بلغت من لدني عذرا أي في فراقي (أخبرنا) عبد الواحد بن حامد الوزان أخبرنا مكي بن عبدان اخبرنا عبد الرحمن بن بشر أخبرنا حجاج بن محمد أخبرنا حمزة الزيات عن أبي اسحق عن سعيد بن جبير عن ابن عباس عن أبي ابن كعب قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا ذكر أحدا بدعائه بدأ بنفسه فقال ذات يوم رحمة الله علينا وعلى اخي موسى لو لبث مع صاحبه لابصر العجب العجاب ولكنه قال ان سألتك عن شيء بعدها فلا تصاحبني قد بلغت من لدني عذرا فانطلقا يمشيان حتى أتيا أهل قرية واختلفوا في القرية قال ابن عباس هي انطاكية وقال محمد بن سيرين وهي أبعد ارض الله من السماء وقيل هي قرية من قرى الروم يقال لها ناصرة واليها ينسب النصارى قالوا فوافياها قبل غروب الشمس فاستطعما أهلها واستضافاهم فابوا ان يضيفوهما قالوا كانوا أهل قرية لئاما وقال قتادة في هذه الآيات شر القرى لا تضيف الضيف ولا تعرف لابن السبيل حقه قالوا فلم يجدوا تلك الليلة في تلك القرية قرى ولا ماء ولا مأوى وكانت ليلة باردة فالتجؤا الى حائط على شارع الطريق يريد ان ينقض أي يكاد ينهدم ويسقط ولم يكن يمر به أهل القرية ولا غيرهم من الناس الا على خوف منه وكان قد بناه رجل صالح وفي بعض الاخبار ان سمك ذلك الحائط كان ثلاثين ذراعا بذراع تلك القرن وكان طوله على وجه الارض خمسمائة ذراع وعرضه خمسون ذراعا فاقامه الخضر أي سواه وقال ابن عباس هدمه وبناه وقال سعيد بن جبير مسح الجدار وسواه بيده ومنكبيه فاستقام فقال له موسى لو شئت لاتخذت عليه أجرا يكون لنا قوتا وبلغة على سفرنا اذا استطعمناهم فلم يضيفونا فقال له الخضر هذا فراق بيني وبينك سانبئك بتأويل ما لم تستطع عليه صبرا ثم اخذ يفسر له فقال أما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر الآية قال كعب وغيره كانت لعشرة اخوة زمنى لم يكن لهم معيشة غيرها ورثوها من أبيهم خمسة منهم يعملون في السفينة في البحر وخمسة لا يطيقون العمل فاما العمال منهم فاحدهم كان مجذوما والثاني أعور والثالث اعرج والرابع آدر والخامس محموم لا تنقطع عنه الحمى الدهر كله وهو أصغرهم والخمسة الذي لا يطيقون العمل اعمى واصم واخرس ومقعد ومجنون وكان البحر الذي كانوا يعملون فيه ما بين فارس الى بحر الروم (ويروى) عن عكرمة قال قلت لابن عباس في قوله أما السفينة كانت لمساكين كانوا مساكين والسفينة تساوي الف دينار فقال ان المسافر مسكين وان كان معه

واضمن لك على الله تعالى قصرا خيرا لك من قصرك هذا بولدانه وخدمه مكللا بالدر والياقوت مرصعا بالجوهر ترابه الزعفران ملاطه المسك أفسح من قصرك هذا لا يخرب ولا تمسه يدان ولا بناه بان قال له الجليل كن فكان فقال له الشاب ياسيدي فامهلني الليلة الى غد فقال نعم قال جعفر فبات مالك متفكرا في الشاب فلما كان وقت السحر دعا الله تعالى فاكثر من دعائه فلما اصبحنا غدونا اليه فاذا بالشاب جالس فلما عاين مالك بن دينار قال ما تقول بالامس فقال نفعل قال نعم فاحضر المال لوقته واحضر دواة وقرطاسا فكتب مالك بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما ضمنه مالك ابن دينار لفلان بن فلان اني ضمنت لك على الله قصرا بدل قصرك بصفته كما وصف والزيادة على الله تعالى واشتريت لك بهذا المال قصرا في الجنة أفسح من قصرك في ظل ظليل بقرب العزيز الجليل ثم طوى الكتاب ودفعه الى الشاب وحملنا المال من عنده فما امسى مالك حتى لم يبق معه مقدار قوت يوم واحد وما أتى على الشاب اربعون يوما حتى وجد

الف دينار ولهذا قيل ان المسافر وماله على قلة الا ماوقي الله تعالى فاردت ان اعيبها قطعا لطمع الطامعين فيها ودفعا لشرهم وكان وراءهم ملك ياخذ كل سفينة غصبا ووراءهم اي امامهم قال الله تعالى من ورائهم جهنم ومن ورائهم برزخ الي يوم يبعثون اي امامهم وقيل خلفهم لانه كان رجوعهم في طريقهم عليه ولم يكونوا يعلمون خبره فاعلم الله تعالى الخضر خبره وكان ياخذ كل سفينة صالحة غصبا وكذلك كان يقرؤها ابن عباس فخرقتها وعبتها كيلا يتعرض لها ذلك الملك واختلفوا في اسم ذلك الملك فقال اكثر العلماء اسمه جلندى وكان كافرا وقال ابن اسحق كان اسمه منواه بن جلندى الاردني وقال شعيب الجبائي كان اسمه هدد بن بدد وقيل كان لهذا الملك ثلثمائة وستون قصرا في كل قصر امرأة قال فلما جاوزوا الملك سد الخضر خرق السفينة ورمها واما الغلام فكان ابواه مؤمنين فخشينا اى فعلمنا ان يرهقهما يغشاهما طغيانا وكفرا وفيها الكهما وقيل خشي ان يدرك فيدعو ابويه الى الكفر فيجيباه ويدخلا معه في دينه لفرط محبتهما له وقيل خشي على الغلام ان يعمل عمل الفساق فيتفا فلان ابواه فيدخلان النار فاردنا ان يبدلهما ربهما خيرا منه زكاة وصلاحا واقرب رحما (قال ابن عباس) يعني واصلا للرحم و برا بوالديه فابدلهما الله جارية مؤمنة ادركت يونس بن متى وتزوجها نبي من الانبياء فولدت له نبيا فهدى الله على يديه امة من الامم (واخبرنا) عبدالله بن حامد قال اخبرنا حامد بن احمد قال اخبرنا ابو محمد عبدالله بن يحي ابن الحرث اخبرنا عبدالوهاب بن فليح اخبرنا ميمون بن عبدالله القداح عن جعفر بن محمد الصادق عن ابيه فى هذه الآية قال ابدلهما جارية فولدت سبعين نبيا وقال ابن جريج ابدلهما بغلام مسلم وكان المقتول كافر وقال قتادة فى هذه الآية قد فرح به ابواه حين ولد وحزنا عليه حين قتل ولو بقى كان فيه هلاكهما فرضا المؤمن بقضاء الله تعالى فيما يكره خير له من رضاه فيما يحبه * وأما الجدار فكان لغلامين يتيمين في المدينة واسمهما اصرم وصريم وكان تحته كنز لهما واختلفوا في ذلك الكنز ماهو فقال ابن عباس وسعيد بن جبير كان صحفا مدفونة تحته فيها علم وقال الحسن وجعفر بن محمد كان لوحا من ذهب مكتوب فيه بسم الله الرحمن الرحيم عجبا لمن يؤمن بالقدر كيف يحزن وعجبا لمن يوقن بالرزق كيف يتعب وعجبا لمن يوقن بالموت كيف يفرح وعجبا لمن يؤمن بالحساب كيف يجمع وعجبا لمن يعرف الدنيا وتقلبها كيف يطمئن اليها لا إله إلا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال آخرون كان ذلك الكنز مالا يدل عليه. أخبرنا أبو بكر الحمشادى المزكى أخبرنا أبو الحسن احمد بن قيدوس الطرائفي أخبرنا عثمان بن سعيد أخبرنا صفوان بن صالح الدمشقي أخبرنا يزيد بن مسلم الصنعانى عن يزيد بن يزيد عن مكحول عن أبي الدرداء قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى وكان تحته كنز لهما قال كان ذهبا وفضة وكان أبوهما اسمه كاشح وكان صالحا تقيا أمينا فحفظا لصلاح أبيهما ولم يذكر منهما صلاح وكان بينهما وبين الأب الذي حفظا به سبعة آباء (أخبرنا) عبدالله بن حامد بن محمد قال أخبرنا بشر بن موسى أخبرنا الحميدي أخبرنا سفيان أخبرنا محمد بن سوقة عن محمد بن المنكدر قال ان الله عز وجل ليحفظ بالرجل الصالح ولده وولد ولده وبقعته التي هو فيها والدويرات التي حوله فما يزالون في حفظ الله وستره وعن سعيد بن المسيب أنه كان اذا رأى ابنه قال يابنى لأزيدن في صلاتى من أجلك املى أحفظ فيك ويتلو هذه الآية (أخبرنا) يحي بن اسمعيل بن سلمة قال كانت لي أخت أسن مني فاختلطت وذهب عقلها فتوحشت وكانت في غرفة فى أقصى سطوحنا فلبثت كذلك بضع عشرة سنة وكانت مع ذهاب عقلها تحرص على الصلاة والطهور فبينما أنا نائم ذات ليلة اذا أنا بباب بيتي يدق نصف الليل فقلت من هذا فقالت بجة فقلت أختى قالت أختك فقلت لبيك فقمت ففتحت الباب فدخلت ولا عهد لها في البيت أكثر من

مالك كتابا موضوعا فى محرابه عند ما فرغ من صلاة الغداة فاخذه مالك فاذا في ظهره مكتوب بلا مداد هذه براءة من الله العزيز الحكيم لمالك بن دينار قد وفينا الشاب القصر الذي ضمنته له و زيادة على ذلك بسبعين ضعفا قال فتعجبت من ذلك وذهبت أنا وجعفر الى منزل الشاب فاذا الباب مسدود والبكاء فى الدار فقلت ما فعل بالشاب فقيل مات بالامس فاحضرنا الغاسل وقلنا انت غسلته فقال نعم فقال مالك حدثنا كيف صنعت فقال الغاسل ياسيدي انه احضرنى قبل موته وقال اذا غسلتني وكفنتنى اجعل هذا الكتاب بين كفني وبدنى ففعلت ذلك ودفنته معه قال فاخرج مالك الكتاب فقرأه الغاسل وقال له ياسيدي والله انه هذا الكتاب بعينه قال فكثر البكاء والنحيب ثم قام شاب آخر وقال يامالك خذ منى مائتى ألف درهم واضمن لي مثل ماضمنت للشاب المتوفي فقال مالك هيهات كان ما كان وفات مافات والله يحكم ما يريد فكان مالك كلما ذكر الشاب بكى وقال هنيأ له ودعا له بالرحمة رحمنا الله بهم

عشرين سنة فقلت يا أختي خيراً فقالت خيراً يا أخي بت الليلة فأتاني آت في منامي فقال لي السلام عليك يا محة فقلت وعليك السلام فقال لي ان الله قد حفظ أباك اسمعيل بن سلمة بن كهيل بسلمة جدك وحفظك بابيك اسمعيل فان شئت دعوت الله لك فيذهب ما بك وان شئت صبرت ولك الجنة فان أبا بكر وعمر رضى الله عنهما قد تشفعا لك الى الله تعالى لحب أبيك وجدك اياهما فقلت ان كان ولا بد من اختياري أحدهما فالصبر على ما أنا فيه والجنة وان الله لواسع الفضل لخلقه لا يتعاظمه شيء في حكمه ولو شاء لجمعهما لي قالت فقيل لي قد جمعهما الله لك ورضى عن أبيك وجدك بحبهما أبا بكر وعمر قانزلي فان الله أذهب ما كان بك (ويحكى) عن بعض العلوية انه دخل على هرون الرشيد وقدم بقتله فلما دخل عليه أكرمه وخلى سبيله فقيل له بما دعوت حتى نجاك الله قال قلت يا من حفظ الكنز على الصبيين لصلاح أبيهما احفظني منه لصلاح آبائي فاادرك ان يبلغا أشدهما ويستخرجا كنزهما المدفون تحت الجدار وما فعلته عن أمري وانما فعلته بامر الله تعالى ذلك تأويل ما لم تسطع عليه صبرا ويقال لما عاب موسى على الخضر خرق السفينة وقتله الغلام واقامته الجدار محتسبا مجانا قال له يا موسى أتلومني على خرق السفينة مخافة غرق أهلها ونسيت نفسك حين ألقتك أمك وأنت صغير في اليم ضعيف فحفظك الله وتلومني على قتل الغلام الكافر بلا أمر ونسيت نفسك حين قتلت القبطي بنيرامر وتلومني على ترك أخذ الاجرة في إقامة الجدار ونسيت نفسك حين سقيت غنم شعيب محتسبا لاجل الملك الجبار (قال بعض أهل الاخبار) هذا ما كان من قصة موسى وفتاه وقصدهما الخضر حيث كانوا في التيه فلما فارق موسى الخضر رجع الى قومه وهم في التيه (وروى) عن على بن ابى طالب وغيره ان موسى لما اراد فراق الخضر قال له الخضر استودعتك الله ثم قال له موسى أوصني فقال له الخضر لا تكن مشاء في غير حاجة واياك واللجاجة ولا تضحك من غير عجب ولا تعير الخاطئين بخطاياهم وابك على خطيئتك ولا تؤخر عمل اليوم الى غد (وروى) أبو أمامة الباهلى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ألا أحدثكم عن الخضر قالوا بلى يا رسول الله قال بينما الخضر يمشي في سوق من أسواق بني اسرائيل اذ لقيه مكاتب فقال له تصدق على بارك الله لك فقال آمنت بالله وما يقضي الله من أمر سيكون ما معي من شيء أعطيكه فقال له الرجل تصدق على بارك الله عليك فاني أرى الخير في وجهك فرجوت الخير من قبلك فقال له الخضر آمنت بالله وما يقضي الله من امر سيكون ما معى شيء أعطيكه فقال له السائل أسألك بالله لما تصدقت على فقال له الخضر آمنت بالله ما يقضى الله من أمر سيكون ما معي شيء أعطيكه الا أن تأخذ بيدي وتدخلني في السوق فتبيعني قال الرجل وهل يكون مثل هذا قال الحق أقول انك سألتني بعظيم سألتني بوجه ربي وقد أجبتك فخذ بيدي وأدخلني السوق فبعني فاخذ بيد الخضر فادخله السوق فباعه بار بعمائة درهم فلبث عند المبتاع أياما لا يستعمله في شيء فقال له الخضر استعملني فقال له انك شيخ كبير وأكره أن أشق عليك قال لا يشق على ذلك قال فقم فانقل هذه الحجارة من ههنا الى ههنا وكانت الحجارة لا ينقلها الا ستة نفر في يوم تام فقام ونقلها في ساعة واحدة وأمده الله تعالى على نقلها بملك من الملائكة فتعجب الرجل منه وقال أحسنت ثم عرض للرجل سفر فقال للخضر اني أراك أمينا صالحا ناصحا فاخلفني في أهلي قال نعم ان شاء الله تعالى فاستعملني في شيء قال أكره أن أشق عليك قال لا يشق ذلك على قال اضرب لي لبنا أريده لقصر لى ووصفه له ثم خرج لسفره فلما قضي حاجته ورجع من سفره اذ هو بالخضر عليه السلام قد شيد بنيانه على ما أراد فازداد منه تعجبا وقال له من أنت قال أنا المملوك الذى كنت اشتريتني فقال له سألتك بوجه الله أن تخبرني من أنت فقال الخضر ان هذا القسم هو الذى أوقعني في العبودية أما انا فسأخبرك انا الخضر

أجمعين (وحكى عن محمد ابن السماك رضى الله عنه) انه قال كان محمد بن سليمان ابن موسى الهاشمي من انعم بني امية عيشا واكرمهم بالاعطاء نفسا وكان منهمكا في شهوات نفسه من اصناف اللذات في المأكل والمشرب والملبس والطيب والجوارى والغلمان ليس له فكرة ولا همة الا في الذى هو فيه من ذلك وكان شابا جميلا وجهه كاستدارة القمر وكانت نعمة الله سابغة عليه فكان يستغل كل حول نحو ثلثمائة الف وثلاثة آلاف دينار ذهبا يصرف كل ذلك فيما هو فيه من عيشه ولذته وكان له مستشرف عال يقعد فيه يشرف على الناس وله ابواب مشرعة الى بساتينه وقد ضرب قبة من عاج مطلية بالفضة والذهب وهو على سريره عليه غلالة من قصب وعلى رأسه عمامة مكللة باللآلىء ومعه في تلك القبة ندماؤه وجلساؤه وقد اوقف على رأسه الخدم والغلمان في مجلس خارج القبة بحيث يراهم فاذا اشتهى سماع القيان نظر نحو الستارة واذا اراد سكوتهم اوما بيده نحو الستارة فهذا كان دابه الى ان يذهب الليل فتخرج الندماء ويخلو مع من شاء

سألني سائل بوجه ربي ان اعطيه ولم يكن معي شيء اعطيه فامكنته من نفسي حتى باعني وبلغني ان من سئل بوجه الله ورد سائله وهو يقدر على قضاء حاجته وقف يوم القيامة بين يدي ربه وليس على وجهه لحم ولا جلد الا العظم يتقعقع قال فبكى ذلك الرجل وانكب عليه يقبله ويقول له بأبي انت وامي شققت عليك ولم اعرفك فاحكم علي في مالي واهلي وان احببت ان اخلي سبيلك فعلت قال نعم بل احب ان تخلي سبيلي اعبد ربي وكان الرجل كافرا فاسلم على يديه واعطاه اربعمائة دينار وخلى سبيله فاوحى الله اليه قد نجيتك من الرق واسلم الكافر على يديك واعطاك مكان كل درهم دينارا ثم لم ان لا يخسر احد في معاملتي فهذا آخر قصة الخضر وموسى وفتاه والله اعلم

(باب في ذكر قصة عاميل قتيل بني اسرائيل وقصة البقرة)

قال الله تعالى واذ قال موسى لقومه ان الله يامركم ان تذبحوا بقرة قال المفسرون وجد قتيل في بني اسرائيل اسمه عاميل لم يدر من قتله واختلفوا في قاتله وسبب قتله فقال عطاء والسدي كان في بني اسرائيل رجل كثير المال وله ابن عم مسكين ولا وارث له غيره فلما طالت عليه حياته قتله ليرثه وقال بعضهم كان تحت عاميل ابنة عم له ما لها في بني اسرائيل مثل في الحسن والجمال فقتله ابن عم لها لينكحها فلما قتله حمله من قرية الى قرية اخرى فالقاه هناك وقال عكرمة كان لبني اسرائيل مسجد له اثنا عشر بابا لكل سبط منهم باب فوجد قتيل على باب سبط جر الى باب سبط آخر فاختصم فيه السبطان وقال ابن سيرين قتله القاتل ثم احتمله ووضعه على باب رجل منهم ثم اصبح يطلب ثاره ودمه ويدعيه عليه وقيل القاه بين القريتين فاختصم اهلهما وجاء اولياؤه الى موسى واتوه بناس وادعوا عليهم القتل وسالوه القصاص فسالهم موسى عن ذلك فجحدوا ولم يكن لهم بينة فاشتبه امر القتيل على موسى ووقع بينهم قتال واختلاف وذلك قبل نزول القسامة في التوراة فسالوا موسى ان يدعوا الله ليبين لهم امر ذلك القتيل فسال موسى ربه فامرهم بذبح البقرة فقال لهم موسى ان الله يامركم ان تذبحوا بقرة قالوا اتتخذنا هزوا اجئناك لنسالك عن القتيل فتامرنا بذبح بقرة وانما قالوا ذلك لتباعد الامرين في الظاهر ولم يدروا وجه الحكمة فيه فقال موسى اعوذ بالله ان اكون من الجاهلين اي من المستهزئين بالمؤمنين فلما علم القوم ان ذبح البقرة امر من الله تعالى قد لزمهم سالوه الوصف فقالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي ولو انهم عمدوا الى ادنى بقرة فذبحوها لاجزأت عنهم لكنهم شددوا الامر على انفسهم فشدد الله عليهم وانما كان تشديدهم تقديرا من الله وحكمة وكان السبب فيه على ما ذكره السدي وغيره ان رجلا في بني اسرائيل كان بارا بابيه وبلغ من بره ان رجلا اتاه بلؤلؤة فابتاعها بخمسين الفا وكان فيها فضل وربح فقال البائع اعطني ثمن اللؤلؤة فقال ان ابي نائم ومفتاح الصندوق تحت راسه فامهلني حتى يستيقظ واعطيك الثمن فقال ايقظ اباك واعطني المال فقال ما كنت لافعل ولكن ازيدك عشرة آلاف وانظرني حتى ينتبه ابي فقال الرجل انا احط عنك عشرة آلاف ان ايقظت اباك وعجلت النقد فقال انا ازيدك عشرين الفا ان انتظرت انتباهه فقال قبلت فقعد ولم يوقظ اباه فلما استيقظ ابوه اخبره بذلك فدعا له وجزاه خيرا وقال له احسنت يا بني وهذه البقرة لك بما صنعت وكانت بقية بقر كانت لهم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذه القصة انظروا ما صنع الله به لاجل البر (وقال ابن عباس ووهب وغيرهما من اهل الكتب) كان في بني اسرائيل رجل صالح وله ابن طفل وكان له عجلة فاتى بالعجلة الى غيضة وقال اللهم اني استودعتك هذه العجلة لابني حتى يكبر ثم مات الرجل وشبت العجلة في الغيضة حتى صارت عوانا وكانت تهرب من كل من رآها فلما كبر الابن وكان بارا بوالدته وكان يقسم الليل ثلاثة اثلاث يصلي ثلثا وينام ثلثا ويجلس

فاذا اصبح اشتغل بالنظر الى اللاعبين بالشطرنج وغيره لا يذكر بين يديه موت ولا سقم ولا مرض ولا حزن ولا غم ولا هم الا ذكر الفرح والسرور والنوادر المضحكة وينثر كل يوم من انواع الطيب والشمامات وما يكون في اوانه حتى مضت له سبعة وعشرون سنة فبينما هو ذات ليلة من الليالي في قبته وقد مضى نصف الليل اذ سمع نغمة من صوت شجي بخلاف ما يسمع من مطربانه فاخذت بقلبه وصار ولها عما كان فيه فاوما الى جلسائه ان امسكوا ثم اخرج راسه من بعض طاقات القصر الى جهة الخلاء يسمع الذي وقع بقلبه فاذا النغمة ربما سمعها وربما خفيت عليه فصاح بغلمانه ان اطلبوا صاحب هذه النغمة وكان يومئذ قد عمل فيه الشراب فخرج الغلمان يطوفون فاذا هم بشاب نحيف الجسم مصفر اللون قد لصق بطنه بظهره وعليه طمران لا يتوارى بغيرهما حافي القدمين ذابل الشفتين قائم في المسجد يناجي ربه عز وجل قال فاخرجوه من المسجد وانطلقوا به حتى ادخلوه

عند راس امه ثلثا فاذا اصبح انطلق فاحتطب على ظهره فياتى به السوق فيبيعه بما شاء الله ثم يتصدق بثلثه و يا كل ثلثه و يعطى والدته ثلثه قالت له امه يوما يا بنى ان اباك ورثك عجلة وذهب بها الى غيضة كذا وكذا واستودعها الله تعالى فانطلق اليها واعزم عليها باله ابراهيم واسمعيل واسحق ان يردها عليك وعلامتها انك اذا نظرت اليها يخيل لك ان شعاع الشمس يخرج من جلدها وكانت اسمها المذهبة لحسن خلقها وصفاء لونها وصفرتها فاتى الغيضة فرآها وهي ترعى فصاح بها الفتى وقال لها اعزم عليك باله ابراهيم واسمعيل واسحق و يعقوب ان تردى على فاقبلت تسعى حتى قامت بين يديه فقبض على عنقها وقادها فتكلمت البقرة باذن الله تعالى وقالت ايها الفتى البار بوالدته اركبنى فان ذلك اهون لك فقال ان امى لم تامرنى بذلك ولكنها قالت خذ بعنقها فقالت البقرة واله بنى اسرائيل لو ركبتنى ما كنت تقدر على ابداً فانطلق فانك لو اشرت الى الجبل ان ينقلع من اصله و ينطلق لفعل لبرك بوالدتك فانطلق الفتى بها فاستقبله عدو الله ابليس فى صورة راع فقال له ايها الفتى انى راع من رعاة البقر اشتقت الى اهلى فاخذت ثوراً من ثيرانى وحملت عليه زادى ومتاعى حتى اذا بلغت شطر هذه الطريق ذهبت لاقضى حاجتى فعدا وسط الجبل وما قدرت عليه وانى لاخشى على نفسي الهلكة فان رايت ان تحملني على بقرتك هذه وتنجينى من الموت واعطيك بقرتين مثل بقرتك فلم يفعل الفتي وقال اذهب فتوكل على الله فلو علم الله منك اليقين لبلغك بلا زاد ولا راحلة فقال له ابليس لعنه الله ان شئت فبعنيها بحكمك وان شئت فاحملنى عليها وأعطيك عشرة امثالها فقال له الفتى ان امى لم تامرنى بهذا فبينما الفتى كذلك اذ طار طائر من بين يدى البقرة فنفرت البقرة هاربة فى الفلاة وغاب الراعى فدعاها الفتى وقال بسم اله ابراهيم فرجعت اليه البقرة وقالت أيها الفتى البار بوالدته ألم تر الى الطائر الذي طار فانه ابليس عدو الله اختلسنى أما انه لو ركبنى لما قدرت على أبداً فلما دعوت باله ابراهيم جاءنى ملك انتزعنى من يد ابليس وردنى اليك لبرك بامك وطاعتك لها فجاء بها الفتى الى أمه فقالت له انك فقير لا مال لك و يشق عليك الاحتطاب بالنهار والقيام بالليل فانطلق فبع هذه البقرة وخذ ثمنها فقال بكم أبيعها فقالت بثلاثة دنانير ولا تبعها بغير رضاى ومشورتى وكان ثمن البقرة فى ذلك الوقت ثلاثة دنانير فانطلق بها الى السوق فبعث الله الى الفتى ملكا ليرى خلقه قدرته وليختبر الفتى كيف بره بوالدته وكان الله به خبيراً فقال له الملك بكم تبيع هذه البقرة فقال بثلاثة دنانير وأشترط عليك رضا والدتى فقال له الملك أنا أعطيك ستة دنانير ولا تستأمر امك فقال له الفتى لو أعطيتنى وزنها ذهبا لم آخذه الا برضا أمى فردها الى أمه واخبرها بالثمن فقالت ارجع فبعها بستة دنانير على رضاى فانطلق الفتي بالبقرة الى السوق الملك فاتى فقال له استأمرت والدتك فقال الفتى نعم أمرتني أن لا أنقصها عن ستة دنانير على أن أستأمرها فقال له الملك انى أعطيك اثنى عشر دينارا على أن لا تستأمرها فابى الفتى ورجع الى أمه فاخبرها بذلك فقالت ان ذلك الرجل الذي يأتيك هو ملك من الملائكة يأتيك في صورة آدمى ليختبرك فاذا أتاك فقل له أتامرنى أن أبيع هذه البقرة أم لا ففعل الفتى ذلك فقال له الملك اذهب الى أمك وقل لها امسكى هذه البقرة فان موسى بن عمران يشتريها منك لقتيل يقتل فى بنى اسرائيل ولا تبيعيها الا بملء مسكها دنانير فامسكا البقرة وقدر الله على بنى اسرائيل ذبح تلك البقرة بعينها مكافأة له على بره بوالدته فضلا منه ورحمة فذلك قوله تعالى قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي وما صفتها قال موسى انه يعني الله يقول انها بقرة لا فارض ولا بكر أى لا كبيرة ولا صغيرة عوان بين ذلك انصف بين السنين فافعلوا ما تؤمرون من ذبح البقرة ولا تكثروا السؤال قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما لونها قال انه يقول انها بقرة صفراء فاقع لونها تسر الناظرين اليها وتعجبهم من حسنها وصفائها لأن العين تسر وتولع بالنظر الى

بين يديه فنظر اليه وقال من هذا فقالوا صاحب النغمة التي سمعتها فقال اين اصبتموه قالوا في المسجد قائما يصلي و يقرا فقال ايها الشاب ما كنت تقرا قال كلام الله تعالى قال فاسمعني تلك النغمة فقال اعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم ان الابرار لفي نعيم على الارائك ينظرون تعرف فى وجوههم نضرة النعيم يسقون من رحيق مختوم ختامه مسك وفي ذلك فليتنافس المتنافسون ومزاجه من تسنيم عينا يشرب بها المقربون ثم قال ايها المغرور انها خلاف مجالسك ومستشرفك انها ارائك مفروشة بطائنها من استبرق على رفرف خضر وعبقرى حسان شرف ولى الله تعالى منها على جنتين فيهما عينان تجريان فيهما من كل فاكهة زوجان لا مقطوعة ولا ممنوعة فى عيشة راضية في جنة عالية لا تسمع فيها لاغية فيها عين جارية فيها سرر مرفوعة واكواب موضوعة ونمارق مصفوفة وزرابى مبثوثة في ظلال وعيون وفاكهة مما يتخيرون ولحم طير مما يشتهون اكلها دائم وظلها تلك عقبى الذين اتقوا

الشيء الحسن وقال علي بن ابي طالب من لبس نعلا صفراء قل همه لأن الله تعالى يقول صفراء فاقع لونها تسر الناظرين قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ماهي أسائبة أم عاملة ان البقر تشابه علينا وانا ان شاء الله لمهتدون الى وصفها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وايم الله لولم يستثنوا لما قبلت منهم الى آخر الابد قال انه يقول انها بقرة لاذلول مذللة بالعمل تثير الارض تقلبها للزراعة ولا تسقي الحرث مسلمة بريئة من العيوب لاشية فيها قال عطاء لاعيب فيها وقال قتادة لابياض فيها أصلا وقال محمد بن كعب لالون فيها يخالف معظم لونها قال فلما قال لهم موسى هذا قالوا الآن جئت بالحق أى بالوصف التام البين فطلبوها فلم يجدوها بكمال وصفها الا عند الفتى البار بامه فاشتروها منه بملء مسكها ذهبا وقال السدى اشتروها بوزنها عشر مرات ذهبا فذبحوها وما كادوا يفعلون من غلو ثمنها وقال القرطبي وما كادوا يذبحونها باجتماع أوصافها وذلك قوله تعالى واذ قتلتم نفسا يعني عاميل وهذه الآية اول القصة فادارأتم فيها أى فاختلفتم فيها والله مخرج أى مظهر ما كنتم تكتمون أى تخفون فقلنا اضربوه يعني القتيل ببعضها أى ببعض البقرة واختلفوا في هذا البعض ماهو قال ابن عباس ضربوه بالعظم الذي يلي الغضروف وهو المقتل وقال الضحاك بلسانها قال حسين بن الفضل وهذا أولى الاقاويل لان المراد من احياء القتيل كلامه واللسان آلته وقال سعيد ابن جبير بعجب ذنبها قال غياث وهو أولى التأويلات بالصواب لان عجب الذنب أساس البدن الذي ركب عليه الخلق وهو أول ما يخلق الله وآخر ما يبلى وقال مجاهد بذنبها وقال عكرمة والكلبي بفخذها الايمن وقال السدي بالبضعة التي بين كتفيها وقيل باذنيها ففعلوا ذلك فقام القتيل حيا باذن الله تعالى واوداجه تشخب دما وقال قتلني فلان ثم سقط ومات مكانه قال الله تعالى كذلك يحيي الله الموتى كما أحيا عاميل بعد موته ويريكم آياته دلائل قدرته وشواهد حكمته لعلكم تعقلون قالوا فلما كان من أمر عاميل ما كان أوحي الله تعالى الى موسى أن يتوجه الى الارض المقدسة ببني اسرائيل لينظر الى كل قتيل يوجد بين قريتين أو محلتين فيأخذ أقرب القريتين اليه ويلزمهم الدية فان علموا قاتله سلموه الى أهله وان لم يعلموا تخيروا خمسين رجلا من شيوخهم وصلحائهم ثم ليأخذوا بقرة حولية ويذبحوها ببطن واد يسميه لهم ثم لتضع الخمسون رجلا أيديهم عليها ثم ليحلفوا بالله العظيم رب السموات والارض إله بني اسرائيل واسحق ويعقوب واسمعيل انا ماقتلناه ولا علمنا له قاتلا فاذا حلفوا برؤا من دمه وأدوا ديته الى أوليائه فلم يزل موسى يقضي بالقسامة بينهم الى ان مات وكذا بنو اسرائيل حتى جاء الاسلام فقضي رسول الله صلى الله عليه وسلم بالقسامة والله أعلم

(باب في ذكر بناء بيت المقدس والقربان والتابوت والسكينة وصفة النار التي كانت تأكل القربان وما أمر به موسى عليه السلام من ذلك)

قال الله تعالى الذين قالوا ان الله عهد الينا ان لا نؤمن لرسول حتى يأتينا بقربان تأكله النار الآية (أنبأنا) محمد بن حمدويه باسناده عن وهب بن منبه قال اوحى الله الى موسى ان يتخذ مسجداً لجماعتهم وبيت قدس للتوراة والتابوت والسكينة وقبابا للقربان وان يجعل لذلك المسجد سرادقات باطنها وظاهرها من الجلود الملبسة عليها وان تكون تلك الجلود من جلود ذبائح القربان وحبالها التي تمدها من اصواف تلك الذبائح وعهد اليه ان لا يغزل تلك الحبال حائض ولا يدبغ تلك الجلود جنب وامره ان ينصب تلك السرادقات على عمد من نحاس طول كل عمود منها اربعون ذراعا ويجعل فيها اثني عشر قسما مسرجا فاذا انقضى وصار اثني عشر جزأ جعل على كل جزء بما فيه من العمد سبطا من أسباط بني اسرائيل وامره ان يجعل سعة تلك السرادقات ستمائة ذراع في ستمائة ذراع وان ينصب

وعقبى الكافرين النار نار واى نار ان المجرمين في عذاب جهنم خالدون لايفتر عنهم وهم فيه مبلسون في ضلال وسعر يوم يسحبون في النار على وجوههم ذوقوا مس سقر يود المجرم لو يفتدي من عذاب يومئذ ببنيه وصاحبته واخيه وفصيلته التي تؤويه ومن في الارض جميعا ثم ينجيه كلا انها لظى نزاعة للشوى تدعو من ادبر وتولى وجمع فاوعى في جهد جهيد وعذاب شديد ومقت من رب العالمين وماهم منها بمخرجين قال فقام الهاشمي من مجلسه وعانق الشاب وبكى على نفسه وقال لجلسائه انصرفوا عني وخرج الى صحن داره وقعد على حصير مع الشاب ينوح على شبابه ويندب نفسه هذا والشاب يعظه الى ان اصبح وقد عاهد الله تعالى ان لايعود الى معصية ابدا فلما اصبح اظهر توبته وامر بالفضة والذهب والجواهر وانواع الملابس فباعها كلها وتصدق بها وقطع الاجور عن نفسه ورد الضياع المقتطعة وباع ضياعه وعبيده وجواريه واعتق من اختار العتق وتصدق بجميع ماله كله ولبس الصوف الخشن واكل الشعير بعد التنعم

فيه سبع قباب ستة منها مشتبكة بقضبان الذهب والفضة كل واحدة منهن منصوبة على عمود من
فضة طوله اربعون ذراعا وعليها اربعة دسوت من ثياب محلات الباطن الاول سندس اخضر
والثاني ارجوان احمر والثالث ديباج والرابع من جلود القربان وقاية لهما من المطر والغبار وحبالهما
التي تمد بها من صوف القربان وان يجعل سمتها اربعين ذراعا وان ينصب في جوفها موائد من فضة
مربعة يوضع عليها القربان سعة كل مائدة منها اربعة اذرع في اربعة اذرع كل مائدة منها على
اربع قوائم من فضه كل قائمة ثلاثة اذرع لاينال الرجل منها الا قائما وامره ان ينصب بيت المقدس
على عمود من ذهب طوله سبعون ذراعا بضمه على سبيكة من ذهب احمر طولها تسعون ذراعا مرصع
بانواع الجواهر وان يجعل اسفله مشتبكا بقضبان الذهب والفضة وان يجعل حبالها التي تمدها من
اصواف القربان وان يجعله مصبوغا بالوان من احمر واصفر واخضر وان يلبسه سبعة من الجلال محلاة
الباطن الاول منها سندس اخضر والثاني ارجوان احمر والثالث من الديباج الاصفر والرابع من
الحرير الاصفر وكذلك اثواب نحوها وسائرها من الديباج والوشي والظاهر له غاشية من جلود القربان
وقاية من الاذى والندى وامره ان يجعل سمته سبعين ذراعا وان يفرش القباب بالقز الاحمر وامره
ان ينصب فيه تابوتا من ذهب كتابوت الميثاق مرصع بالوان الجوهر واليواقيت الاحمر والاشهب
والزمرد الاخضر وقوائمه من ذهب وان يجعل سمته سبعة اذرع في اربعة اذرع وعلوه قامة موسى
وان يجعل له اربعة ابواب باب تدخل منه الملائكة وباب يدخل منه موسى وباب يدخل منه
هرون وباب يدخل منه اولاد هرون وهم سدنة ذلك البيت وخزان التابوت وامر الله نبيه موسى
عليه السلام ان ياخذ من كل محتلم فيها من بني اسرائيل مثقالا من ذهب فينفقه على هذا البيت وان
يجعل باقي ذلك المال الذي لايحتاج اليه من الحلي والحلل التي ورثها الله بني اسرائيل وموسى واصحابه من
فرعون وقومه دفينا في ارض بيت المقدس ففعل ذلك فبلغ عدد بني اسرائيل ستمائة الف وسبعة
خمسين رجلا فاخذ منهم ذلك المال واوحى الله اليه اني منزل عليكم من السماء نارا لادخان لها ولا تحرق
شيئا ولا تطفأ ابداً لتاكل القرابين المتقبلة وتسرج القناديل التي في بيت المقدس وهي من ذهب معلقة
بسلاسل من الذهب منظومة من اليواقيت واللآلئ وانواع الجواهر وامره ان يضع في وسط البيت
صخرة عظيمة من الرخام وينقر فيها نقرة لتكون كانونا لتلك النار التي تنزل من السماء فدعا موسى اخاه
هرون وقال له ان الله قد اصطفاني بنار تنزل من السماء تاكل قرابين المتقبلة وتسرج منها القناديل
واوصاني بها واني قد اصطفيتك بها واوصيتك بها فدعا هرون ابنيه وقال لهما ان الله تعالى قد اصطفى
موسى بامره واوصاه به وانه قد اصطفاني له واوصاني به واني قد اصطفيتكما له واوصيتكما به وكان
اولاد هرون هم الذين يلون سدنة هذا البيت وامر القربان والنيران فشربوا ذات ليلة حتى ثملوا ثم
دخلوا البيت واسرجوا القناديل من هذه النار التي في الدنيا فغضب الله عليهم وسلط عليهم تلك النار فاحرقتهما
وموسى وهرون يدفعان عنهما النار فلم يغنيا عنهما من امر الله شيئا فاوحى الله تعالى الى موسى هكذا افعل
بمن عصاني ممن يعرفني فكيف افعل بمن لايعرفني من اعدائي وهذا آخر القصة والله اعلم

(باب في ذكر مسير بني اسرائيل الى الشام حين جاوزوا البحر وصفة حرب
الجبارين وقصة التيه وما يتعلق بذلك)

قال الله تعالى واذ قال موسى لقومه ياقوم اذكروا نعمة الله عليكم اذ جعل فيكم انبياء وجعلكم ملوكا
الآيات اختلفت عبارات المفسرين في الارض المقدسة ماهي فقال مجاهد هي الطور وما حوله وقال

بافخر المآكل والمشرب
ولزم المسجد والعبادة فكان
يحيي الليل ويصوم النهار
حتى كان يزوره الصالحون
والابرار ويقولون له
ارفق بنفسك فان المولى
كريم يشكر اليسير ويعفو
عن الكثير فيقول يا قوم
دعوني فان اعرف بنفسي
ان جرمي عظيم عصيت
مولاي بالليل والنهار
ويبكي ويكثر البكاء ثم
خرج حاجا على قدميه
حافيا ماعليه غير خيشة
ومامعه غير ركوة وجراب
حتى قدم مكة وقضى
حجه فاقام بها الى ان
توفي الى رحمة الله تعالى
وكان يدخل الحجر بالليل
ويبكي على نفسه ويقول
ياسيدي ذهبت شهواتي
وبقيت تبعاتي فاويل لي
يوم القاك والويل ثم الويل
لي من صحيفتي اذا نشرت
مملوءة من فضائحي
وخطاياي ثم انشد يقول
شعرا

عصيتك جاهلا يااذا المعالي
ففرج ماترى من سوء حالي
الى من يرجع المملوك الا
الى مولاه يا ولي الموالي
فانك اهل مغفرة وعفو
وتواب ومفضال النوال

(وحكي عن عبدالله بن
مهران رضي الله تعالى عنه
انه قال) حج الرشيد
هرون رحمه الله تعالى سنة

مقاتل هي ايليا و بيت المقدس وقال عبد الله بن عمر الحرم محرم بمقداره من السموات والارض والبيت المقدس مقدس بمقداره من السموات والارض وقال عكرمة والسدي هي اريحاء وقال الكلبي هي دمشق وفلسطين و بعض الاردن وقال الضحاك هي الرملة والاردن وفلسطين وقال قتادة هي الشام كله

(فصل في فضل الشام واهله) قال زيد بن ثابت بينما نحن جلوس عند النبي صلى الله عليه وسلم نؤلف القرآن من الرقاع اذ قال طوبى لاهل الشام قيل يارسول الله ولم ذلك قال ان ملائكة الرحمن باسطة اجنحتها عليهم عن عبد الله بن حوالة قال كنا عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال والله لا يزال هذا الامر فيكم حتى يفتح الله لكم ارض فارس والروم وارض حمير وحتى تكونوا اجناداً ثلاثة جند بالشام وجند بالعراق وجند باليمن فقلت يارسول الله اختر لي ان ادركني ذلك فقال اختر لك الشام فانها صفوة الله تعالى من بلاده واليها يجتبي صفوته من عباده يا اهل الاسلام عليكم بالشام فان صفوة الله من الارض الشام وان الله تعالى قد تكفل لي بالشام واهله وقال عبد الله بن مسعود حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قسم الله الخير عشرة اجزاء فجعل منه تسعة اجزاء في الشام و واحداً في العراق وقسم الله الشر عشرة اجزاء فجعل منه تسعة في العراق و واحدا بالشام و دخل الشام عشرة آلاف عين رأت النبي صلى الله عليه وسلم ونزل حمص تسعمائة من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فيهم سبعون بدريا وقال الكلبي صعد ابراهيم عليه السلام جبل لبنان وقيل له انظر فما ادركه بصرك فهو مقدس وهو ميراث لذريتك من بعدك فذلك قوله تعالى ياقوم ادخلوا الارض المقدسة التي كتب الله لكم يعني كتب الله في اللوح المحفوظ انها لكم مساكن وقال ابن اسحق وهبها الله لكم مساكن وقال السدي أمركم ان تدخلوها

(ذكر قصة بلعام بن بعوراء)

قال الله تعالى واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها الآية واختلفوا فيه فقال اكثر المفسرين هو بلعام بن باعوراء بن باعر بن ايد بن مارث بن لوط وكان من الكنعانيين من مدينة بلقاء وهي مدينة الجبارين وسميت بلقاء لان ملكها رجل يقال له بالق بن صافوراء وكانت قصة بلعام على ما ذكره ابن عباس وابن اسحق والسدي والكلبي وغيرهم ان موسى عليه السلام لما قصد حرب الجبارين ونزل ارض بني كنعان من أرض الشام أتى قوم بلعام الى بلعام وكان عنده اسم الله الاعظم فقالوا له ان موسى رجل حديد ومعه جنود كثيرة وانه قد جاء ليخرجنا من بلادنا و يقتلنا و يحلها بني اسرائيل وانا قومك و بنو عمك و جيرانك وليس لنا منزل وانت رجل مجاب الدعوة فاقدم الينا واشر علينا في هذا الرجل العدو والذي قد ارهقنا فادع الله ان يرد عنا موسى وقومه فقال لهم بلعام و يلكم هذا نبي الله ومعه الملائكة والمؤمنون كيف أدعوا عليهم وانا أعلم من الله ما اعلم واني ان فعلت ذلك ذهبت دنياي وآخرتي فلم يزالوا به حتى قال لهم اصبروا حتى استأمر ربي وكان لا يدعوا حتى ينظر ما يؤمر به في المنام فتأمر في الدعاء عليهم في المنام فقيل له لا تدع عليهم فقال لقومه اني قد آمرت ربي في الدعاء عليهم فنهيت عن ذلك فراجعوه فقال حتى أؤامر ثانيا فآمر فلم يجب فقال قد آمرت فلم يجب لي شيأ فقالوا لو كره ربك ان تدعوا عليهم لنهاك كما فعل في المرة الاولى فلم يزالوا يرفقون به و يناشدونه و يتضرعون اليه حتى فتنوه فافتتن فقالوا لبعضهم أهدوا اليه فيقال انهم اهدوا اليه هدية فقبلها و يقال ان بلعام ابن باعوراء لما أبى ان يدعو على موسى وقومه اجتمع آراء قومه على أن يحملوا شيأ الى امرأته وقالوا انها فقيرة وانه يصغي الى رأيها فانطلق عشرة من عظمائهم وحمل كل واحد منهم صحيفة من ذهب مملوأة ورقا فاهدوها

ها

من السنين فاتى الكوفة فاقام بها أياما ثم ضرب بالرحيل فخرج الناس يودعونه وخرج بهلول المجنون رضي الله تعالى عنه فيمن خرج فجلس بالكناسة والصبيان يؤذونه و يولعون به حتى اذا أقبلت هوادج هرون الرشيد كف الصبيان عن الولوع به فلما جاء هرون نادى باعلى صوته يا أمير المؤمنين فكشف هرون السجاف بيده وقال لبيك يابهلول لبيك يابهلول فقال يا أمير المؤمنين حدثنا ايمن ابن نائل عن قدامة بن عبد الله العامري أنه قال رأيت النبي صلى الله عليه وسلم بمنى على جمل وتحته رحل رث فما طرد ولا ضرب وكان متواضعا في سفره فتواضع في سفرك هذا يا أمير المؤمنين خيرا من تكبرك وتجبرك قال فبكى هرون الرشيد حتى تساقطت دموعه على الارض ثم قال زدنا يابهلول فانشد

فهب ذا أن ملكت الارض طرا
ودان لك العباد فكان ماذا
أليس تري مقيلك جوف قبر
ويحثو التراب عليك هذا

* قال فبكى هرون ثم قال أحسنت يابهلول

لها فاقبلت على صاحبها والحت عليه حتى قالت له ارجع الى ربك فاسأله ان يؤذن لك فى مؤازرتهم والدعاء على عدوهم فلم تزل به حتى استجاب فلم يجب اليه بشى فقالت له انه قد خيرك في الدعاء عليهم فلو لم يأذن لك لنهاك قالوا فركب اتانه متوجها الى جبل يطلعه على عسكر بني اسرائيل يقال له حسان وكانت مراكب العباد الاولين الاتن فسار عليها غير بعيد حتى ربضت به فنزل عنها وضربها حتى ازلقها فقامت فركبها فلم تسر به كثيرا حتى ربضت به فضربها حتى اذا أزلقها أذن الله تعالى لها في الكلام حجة عليه فقالت له ويحك يا بلعام اين تذهب الا ترى ان الملائكة امامي تردني عن وجهي هذا اتذهب الى نبي الله والمؤمنين تدعو عليهم فلما سمع ذلك خر ساجدا فلم يزل باكيا متضرعا حتى غابت عنه الملائكة ثم رفع راسه فجاءه الشيطان وقال له امض لوجهك فان ربك يستجيب لك ولو لم يرد ذلك لما برحت عنك الملائكة ولما خلوا سبيلك فركب اتانه وخلى الله سبيلها فانطلقت به حتى اشرفت على جبل حسان فجعل لا يدعوا عليهم بشيء من الشر الا صرف الله به لسانه الى قومه ولا يدعوا لقومه بخير الا صرف الله به لسانه الى بني اسرائيل فقال له قومه اتدري ما تصنع يا بلعام انما تدعو لهم وتدعو علينا فقال هذا أمر لا املك منه شيأ قد غلب الله عليه فاندلع لسانه فوقع على صدره فعلم ما حل به فقال لقومه قد ذهبت مني الدنيا والاخرة ولم يبق الا المكر والحيلة فسآمر لكم واحتال جملوا النساء وزينوهن واعطوهن السلع ثم ارسلوهن الى المعسكر يبعن فيه و يشترين وأمروهن ان لا تمنع امرأة نفسها من رجل ارادها فانهم لو زنى رجل منهم كفيتموه ففعلوا ذلك فلما دخلت النساء المعسكر مرت امرأة من الكنعانيين اسمها كبشا بنت صور برجل من عظماء بني اسرائيل يقال له زمري بن سلوم من سبط شمعون بن يعقوب ابن اسحق بن ابراهيم فقام اليها واخذ بيدها حين اعجبه حسنها وجمالها ثم وقف على موسى وقال اني ساظنك أن تقول هذه حرام عليك فقال اجل هي حرام عليك لا تقربها قال والله لا اطيعك فى هذا ثم انه دخل بها قبته فواقعها فارسل الله الطاعون على بني اسرائيل فى الوقت وكان فنحاص بن عيزار بن هرون صاحب موسى رجلا قد اعطى بسطة في الخلق وقوة فى البطش وكان غائبا حين صنع زمرى بن سلوم ما صنع فجاء والطاعون يجوس فى بنى اسرائيل فاخبر الخبر فاخذ حربته وكانت حديدا كلها ثم دخل عليهما القبة وهما متضاجعان فانتظمهما في حربته ثم خرج بهما رافعهما بيديه الى السماء والحربة قد أخذها بذراعه واعتمد بمرفقه على خاصرته واسند الحربة الى لحيته وكان بكر العيزار وجعل يقول اللهم هكذا نفعل بمن يعصيك فرفع الطاعون عنهم فحسب من هلك من بنى اسرائيل من الطاعون فيما بين ان اصاب زمرى المرأة الى ان قتله فنحاص فوجدوه قد اهلك الله منهم سبعين الف نفس فى ساعة واحدة فمن هنالك يعطى بنو اسرائيل لبنيه من كل ذبيحة ذبحوها الخاصرة والذراع واللحى لاعتماده بالحربة على خاصرته واخذه اياها بذراعه واسناده اياها الى لحيته والبكر من كل أموالهم لانه كان بكر العيزار بن هرون ففي بلعام انزل الله تعالى واتل عليهم نبأ الذى آتيناه آياتنا الآية (وقال مقاتل) ان ملك البلقاء قال لبلعام ادع الله على موسى والا قتلتك فقال انه من أهل ديني ولا ادعو عليهم فجيء بخشبة ليصلبه فلما رأى ذلك خرج على اتان له ليدعو عليه فلما عاين عسكرهم قامت به الاتان ووقفت فضربها فقالت له لم تضربني وانا مأمورة فلا تظلمني وهذه نار امامي قد منعتني ان أمشي فرجع فاخبر الملك فقال له لتدعون عليه والا صلبتك فدعا على موسى بالاسم الاعظم أن لا يدخل المدينة فاستجيب له ووقع موسى و بنو اسرائيل فى التيه بدعائه فقال موسى يارب باى ذنب وقعنا فى التيه قال بدعاء بلعام فقال موسى يارب كما سمعت دعاءه علي فاسمع دعائي عليه ان تنزع منه الاسم الاعظم والايمان فسلخه الله مما كان عليه ونزعت منه المعرفة فخرجت كحمامة بيضاء وانزل الله تعالى هذه الآية (وقال آخرون) هو نبي من بني اسرائيل يقال له بلعام أوتي النبوة فرشاه قومه على ان يسكت ففعل وتركهم

غيره فقال نعم يا أمير المؤمنين رجل اتاه الله مالا وجمالا فانفق من ماله وعف في جماله كتبه الله تعالى في ديوان الابرار فقال أحسنت يا بهلول سر مع الجائزة فقال اردد الجائزة على من أخذتها منه فلا حاجة لي بها فقال يا بهلول ان كان عليك دين قضيناه فقال يا أمير المؤمنين لا يقضى دين بدين اردد الحق الى اهله واقض دين نفسك بنفسك قال يا بهلول اذكر الينا حاجة فيجري عليك ما يكفيك فرفع البهلول رأسه الى السماء ثم قال يا امير المؤمنين انا وانت من عيال الله فمحال ان يذكرك وينساني فاسبل هرون السجاف ومضى فلما قضى حجه واتى أوان الحج ثانيا خرج هرون الرشيد حاجا وحلف ان لا يحج الا ماشيا الى مكة ففرش له من جوف العراق الى اليمن لبود من فراء فاستند يوما الى ميل وكان قد تعب من المشي فبينما هو كذلك اذا بسعدون المجنون قد عارضه في الطريق وأنشد يقول

هب الدنيا تواتيكا
أليس الموت يأتيكا
فما تصنع بهذا الدنيا
وظل الميل يكفيكا
الا يا طالب الدنيا

على ماهم عليه (وقال) عبدالله بن عمر وزيد بن أسلم وأبو روق أنزلت هذه الآية في أمية بن أبى الصلت الثقفي كانت قصته انه كان في ابتداء أمره قد قرأ الكتب السالفة وعلم ان الله تعالى مرسل رسولا فى ذلك الوقت ورجا ان يكون هو ذلك الرسول فلما ارسل محمد صلى الله عليه وسلم حسده وكان قصد بعض الملوك فلما رجع مر بقتلى بدر فسأل عنهم فقيل له قتلهم محمد فقال لو كان نبيا ماقتل اقرباءه فلما مات أمية أتت اخته فارعة رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألها عن وفاة اخيها فقالت بينما هو راقد اذ اتاه رجلان فكشطا سقف البيت ونزلا فقعد احدهما عند رجليه والآخر عند رأسه فقال الذى عند رجليه للذى عند رأسه اوعي قال وعى قال ازكا قالت ازكا قالت فسألته عن ذلك فقال خير أريد بى ثم قطرت عينه ثم غشي عليه فلما افاق قال

كل عيش وان تطاول دهرا * صائر أمره الي ان يزولا
ليتني كنت قبل ماقد بدالى * فى قلال الجبال أرعى الوعولا
ان يوم الحساب يوم عظيم * شاب فيه الصغير يوما ثقيلا

ثم قال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم ماأطيبه من شعر سألتك بالله ان تنشدى شعر اخيك فانشدته

لك الحمد والنعماء والفضل ربنا * فلا شىء اعلى منك جدا وامجد
مليك على عرش السماء مهيمن * لعزته تعنو الوجوه وتسجد

وهي قصيدة طويلة وانشدته حتى أتت على آخرها ثم انها انشدته قصيدته التى يقول فيها

عند ذى العرش يعرضون عليه * يعلم الجهر والكلام الخفيا
يوم نأتيه وهو رب رحيم * انه كان وعده مأتيا
يوم نأتيه مثل ماقال فردا * لم يذر فيه راشدا وغويا
أسعيد سعادة انا ارجو * أم مهان بما كسبت شقيا
رب ان تعف فالمعافات ظني * أو تعاقب فلم تعاقب بريا
ان أؤاخذ بما اجترمت فانى * سوف ألقى من العذاب فريا

فقال صلى الله عليه وسلم آمن شعره وكفر قلبه فانزل الله تعالى فيه واتل عليهم نبأ الذى آتيناه آياتنا الآية وقال سعيد بن المسيب نزلت في أبى عامر بن النعمان بن صيفى الراهب الذي سماه النبي صلى الله عليه وسلم الفاسق وكان قد ترهب في الجاهلية ولبس المسوح فقدم المدينة فقال للنبى صلى الله عليه وسلم ماهذا الذى جئت به قال جئت بالحنيفية دين ابراهيم قال فانا عليها فقال النبي صلى الله عليه وسلم لست عليها ولكنك ادخلت فيها ماليس منها فقال ابو عامر أمات الله الكاذب منا في مناظرته طريدا فريدا وحيدا فخرج الى الشام وارسل الى المنافقين اعدوا القوة والسلاح وابنوا لي مسجدا فانى ذاهب الى قيصر وآتى بجند لنخرج محمدا واصحابه من المدينة فذلك قوله تعالى وارصادا لمن حارب الله ورسوله من قبل يعني انتظار المجيئة فمات فى الشام طريدا وحيدا فريدا ومنهم من قال انها نزلت في البسوس وكان رجلا قد اعطى ثلاث دعوات مستجابات وكان له امرأة وله منها ولد فقالت له اجعل لى منها واحدة فقال لك منها دعوة فما تريدين قالت ادع الله ان يجعلني اجمل امرأة في بني اسرائيل فدعا فجعلت أجمل امرأة فى بني اسرائيل فلما علمت ان ليس فيهم مثلها رغبت عنه فغضب الرجل فدعا عليها فصارت كلبة نباحة فذهبت فيها دعوتان فجاء بنوها فقالوا ليس لنا على هذا قرار ولا صبر صارت أمنا كلبة نباحة وان الناس يعيروننا بها فادع الله ان يردها الى الحال التى كانت عليها فدعا الله فصارت كما كانت فذهبت فيها الثلاث دعوات كلها

{ باب

دع الدنيا الشانيكا
كما اضحكك الدهر
وكذاك الدهر يبكيك
قال فشهق هرون الرشيد شهقة واغشى عليه حتى فاتته ثلاث صلوات فلما افاق طلب سعدون فلم يجده رحمة الله تعالى عليهم اجمعين ونفعنا بهم وببركاتهم آمين (وحكى عن نبى الله سليمان بن داود عليهما السلام انه قال) بينما انا جالس على سرير ملكى شاكرا لله على ما أولانى من النعم اذ أوحى الى أن اخرج الى ساحل البحر الفلانى تر عجبا من خلق الله تعالى قال سليمان عليه السلام فخرجت ومعى من الانس والجن والوحوش والطيور وما أشبه ذلك فلما وصلت الي الساحل نظرت يمينا وشمالا فلم أر شيأ فقلت لعفريت من الجن غص فى هذا البحر وائتني بما تجده فيه فغاص العفريت ورجع بعد ساعة قال يانبي الله غصت مسيرة كذا وكذا فلم اصل الى قاعه ولا نظرت فيه شيأ فقال سليمان عليه السلام لعفريت آخر غص فى هذا البحر وائتني بما تجده فغاص العفريت ورجع بعد ساعتين وقال مثل ماقاله الاول فتعجب سليمان عليه السلام من

*(باب في ذكر النقباء الذين اختارهم موسى ليكونوا كفلاء على قومهم حين بعثه اياهم الى ارض كنعان جواسيس له ولقومه

قال الله تعالى ولقد اخذنا ميثاق بني اسرائيل وبعثنا منهم اثني عشر نقيبا الآية وذلك ان الله تعالى وعد موسى ان يورثه وقومه لارض المقدسة وهى الشام وكان يسكنها الكنعانيون الجبارون وهم العمالقة من ولد عملاق بن لاوذ بن سام بن نوح ووعده الله ان يهلكهم ويجعل أرض الشام مساكن بني اسرائيل فلما استقرت بني اسرائيل الدار بمصر أمرهم الله بالمسير الى اريحاء من أرض الشام وهي الارض المقدسة فقال ياموسى انى قد كتبتها لكم دارا وقرارا فاخرج اليها وجاهد من فيها من العدو فانى ناصركم عليهم فخذ من قومك اثني عشر رجلا من كل سبط نقيبا يكون كفيلا على قومه بالوفاء بما أمروا به فاختار موسى من كل سبط نقيبا وأمره عليهم وهذه اسماؤهم من سبط روبيل شموع بن ذكور ومن سبط شمعون شوقط بن حورى ومن سبط يهوذا كالب بن يوفنا ومن سبط جادجا ذبن يوسف ومن سبط ريالون حدي بن سورى ومن سبط اشير شايون بن ملكيك ومن سبط يقالي حي بن وقسى ومن سبط دان حمل بن وكيل بن حمل ومن سبط لاوى خولا بن مليكا ومن سبط يوسف افرائيم ومن سبط افرائيم يوشع بن نون وهما سبطان لموسي ومن سبط ميشاحي بن موسى ومن سبط بنيامين ناظم بن زقون ثم انه سار ببنى اسرائيل قاصدا اريحاء فبعث موسى اليها هؤلاء النقباء يتجسسون الاخبار له ويعلمون حالها وحال اهلها فلقيهم رجل من الجبارين يقال له عوج بن عنق

(فصل في ذكر جمل من اخبار عوج بن عنق واحواله)

قال ابن عمر كان طول عوج ثلاثة وعشرين ألف ذراع وثلثمائة وثلاثة وثلاثين ذراعا بالذراع الاول وكان عوج يحتجز السحاب ويشرب منه الماء ويتناول الحوت من قرار البحر فيشويه بعين الشمس يرفعه اليها ثم يأكله (ويروى) انه اتى نوحا فى أيام الطوفان فقال له احملنى معك في سفينتك فقال له اذهب ياعدو الله فانى لم أومر بك فطبق الماء الارض من سهل ومن جبل وماجاوز ركبتيه وعاش ثلاثة آلاف سنة حتى اهلكه الله على يد موسي وكان لموسى عسكر فرسخ في فرسخ فجاء عوج ونظر اليهم ثم جاء الى الجبل وقور منه صخرة على قدر العسكر ثم حملها ليطبقها عليهم فبعث الله عليه الهدهد ومعه الطيور فجعلت تنقر بمناقيرها حتى قورت الصخرة وانثقبت فوقعت في عنق عوج بن عنق فطوقته وصرعته فاقبل موسى وطوله عشرة اذرع وطول عصاه عشرة اذرع وقفز الى فوق عشرة اذرع فما اصاب منه الا كعبه وهو مصروع في الارض فقتله قالوا فاقبل جماعة كثيرة ومعهم الخناجر فجهدوا حتى حزوا رأسه فلما قتل وقع على نيل مصر فجسره سنة قالوا وكانت امه عنق هي احدى بنات آدم من صلبه ويقال انها كانت أول من بغى على وجه الارض وكان كل اصبع من أصابعها طوله ثلاثة أذرع في عرض ذراعين في كل اصبع ظفران حادان مثل المنجلين وكان موضع مقعدها خربة من الارض ولما بلغت بعث الله اليها أسودا كالفيلة وذئابا ونمورا كالابل ونسورا كالحمر وسلطهم عليها فقتلوها وا كلوها (قالوا) فلما القيهم عوج يعني أصحاب موسى وكان على رأسه حزمة حطب اخذ الاثنا عشر نقيبا وجعلهم فى حزمته وانطلق بهم الى امرأته وقال لها انظرى الى هؤلاء الذين يزعمون انهم يريدون قتالنا وطرحهم بين يديها وقال لاطحننهم برجلى فقالت له امرأته لاتفعل بل خل عنهم حتي يخبروا قومهم بما رأوا ففعل ذلك وخلى سبيلهم فجعلوا يتعرفون احوالهم وكان لا يحمل عنقود عنبهم الا خمسة نفر بينهم في خشبة ويدخل في قشرة الرمانة اذا نزع حبها خمسة أنفس أو أربعة فلما خرجت النقباء قال بعضهم لبعض ياقوم انكم ان اخبرتم بنى اسرائيل خبر القوم فشلوا وارتدوا عن نبي الله ولكن اكتموا شأنهم واخبروا موسى وهرون فيريان رأيهم فيهم فاخذ بعضهم على بعض الميثاق

ذلك فقال العفريت يانبي الله غصته مثل ماغاصه الاول مرتين فلم اجد شيأ فقال سليمان عليه السلام لآصف بن برخيا وزيره اغض في هذا البحر وائتني بما فيه قال فغاص آصف في البحر ساعة واتاه بقبة عظيمة من الكافور الابيض لها اربعة أبواب باب من الدر وباب من الياقوت وباب من الجوهر وباب من الزبرجد الاخضر والابواب كلها مفتحة ولم يدخل فيها قطرة من الماء وهي في مكان عميق فوضعها بين يدي سليمان عليه السلام فنظر فيها فاذا في وسطها شاب جميل حسن الشباب نظيف الاثواب قائم يصلى فدخل سليمان اليه وسلم عليه وقال ما انزلك الى قاع هذا البحر فقال يانبي الله احدثك بقصتي قال نعم فقال كان لى اب مقعد ووالدة عمياء فقمت فى خدمتهما سبعين سنة فلما حضرت وفاة والدتى قالت عند موتها اللهم اطل حياة ولدي في طاعتك ولما توفي والدى قال عند موته اللهم استخدم ولدى فى مكان لا يكون للشيطان عليه سبيل فاجاب الله دعاءهما فخرجت يوما من الايام اريد النزهة فجئت

بذلك ثم انهم انصرفوا الى موسى وجاؤا بالحبة من عنبهم وقشرة من قشور رمانهم واخبروه بما رأوا ثم ان النقباء نكثوا العهد وجعل كل واحد منهم ينهى سبطه وقومه عن قتالهم واخبروهم بما رأوا من حالهم الا رجلين منهم وفيا به قالا وهما يوشع بن نون بن افرائيم فتى موسى وكالب بن يوفنا ختن موسى على أخته مريم بنت عمران فلما سمع القوم ذلك من الجواسيس رفعوا أصواتهم بالبكاء وقالوا ياليتنا متنا فى ارض مصر أو ليتنا نموت فى هذه البرية ولا يدخلنا الله ارضه فتكون نساؤنا وأولادنا وأموالنا غنيمة لهم وجعل الرجل منهم يقول لاصحابه تعالوا نجعل علينا رئيسا وننصرف الى مصر فذلك قوله تعالى اخبارا عنهم قالوا ياموسى ان فيها قوما جبارين الآية قال قتادة كان لهم اجسام وخلق عجيب ليس لغيرهم مثله وانا لن ندخلها حتى يخرجوا منها فان يخرجوا منها فانا داخلون قال موسى ادخلوا الارض المقدسة التى كتب الله لكم فان الله سيفتحها عليكم وان الذى انجاكم من آل فرعون وفلق لكم البحر هو الذي ينصركم و يظفركم عليهم فلم يقبلوا قوله ولم يفعلوا وردوا عليه امره وهموا بالانصراف الى مصر فخرج يوشع بن نون وكالب بن يوفنا الى القوم وهما اللذان اخبر الله عنهما بالتوفيق والعصمة في قوله تعالى قال رجلان من الذين يخافون أنعم الله عليهما بالتوفيق والعصمة ادخلوا عليهم الباب يعنى باب مدينة الجبارين فاذا دخلتموه فانكم غالبون لان الله منجز وعده فانا رأيناهم وخبرناهم فكانت جسومهم عظيمة قوية وقلوبهم ضعيفة فلا تخشوهم وعلى الله فتوكلوا ان كنتم مؤمنين فاراد بنو اسرائيل ان يرجموهما بالحجارة وعصوهما وقالوا ياموسى انا لن ندخلها أبدا ماداموا فيها فاذهب أنت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لاصحابه يوم الحديبية حين صد عن البيت انى ذاهب بالهدى فناحره عند البيت فاستشار أصحابه في ذلك فقال المقداد بن الاسود الكندى اما والله لا نقول لك كما قال قوم موسى لموسى فاذهب انت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون ولكنا نقول انا معك مقاتلون والله لنقاتلن عن يمينك وشمالك و بين يديك ولو خضت بحرا لخضناه ولو تسنمت جبلا لعلوناه ولو ذهبت بنا الى برك الغماد يعنى مدينة بالحبشة لتبعناك فلما سمع ذلك أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم تابعوه على ذلك فشرق لذلك وجه النبي صلى الله عليه وسلم قال ابن عباس لان اكون صاحب هذا المشهد أحب الى من الدنيا ومافيها (قالوا) فلما فعلت بنو اسرائيل مافعلت من معصيتهم نبيهم ومخالفتهم أمر ربهم سوى يوشع وكالب غضب موسى فدعا عليهم وقال رب انى لا املك الا نفسي وأخى فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين أى العاصين وكانت عجلة عجلها موسى فظهر الغمام على باب قبة موسى واوحى الله تعالى الى موسى الى متى يعصينى هذا الشعب والى متى لا يصدقون بهذه الآيات لاهلكنهم جميعا ولاجعلن لك شعبا أقوى واكثر منهم فقال موسى الهى لو أنك قتلت هذا الشعب كلهم كرجل واحد لقالت الامم الذين سمعوا ذلك انما قتل هذا الشعب من أجل انه لم يستطع أن يدخلهم الارض المقدسة فقتلهم في البرية وانك طويل صبرك كثيرة نعمك وانت تغفر الذنوب وتحفظ الآباء على الابناء وأبناء الابناء فاغفر لهم ولا توبقهم فقال الله تعالى لموسى انى قد غفرت لهم بكلمتك ولكن بعد ماسميتهم فاسقين ودعوت عليهم حلفت بعزتى لاحرمن عليهم دخول الارض المقدسة غير عبدى يوشع بن نون وكالب ولاتيهنهم في هذه البرية أربعين سنة مكان كل يوم من الايام التى تجسسوا فيها سنة وكانت أربعين يوما ولالقين جيفهم فى هذه القفار واما بنوهم الذين لم يعصونى ولم يعملوا الخير ولا الشر فانهم يدخلون الارض المقدسة فذلك قوله تعالى فانها محرمة عليهم اربعين سنة يتيهون في الارض متحيرين فلا تأس على القوم الفاسقين فلبثوا أربعين سنة في ستة فراسخ وكانوا ستمائة الف مقاتل وكانوا كل يوم يسيرون جادين حتى اذا هم أمسوا فاذا هم بالموضع الذى منه

الى ساحل هذا البحر فنظرت الى هذه القبة موضوعة على ساحل البحر فدخلتها لانظر مافيها فاحتملها ملك من الملائكة وانزلها فى قاع هذا البحر كما ترى يانبي الله فقال سليمان فى أى زمان كان قال في زمان ابراهيم عليه السلام فحسب سليمان عليه السلام التاريخ فوجده الفى سنة وأربعمائة سنة وهو شاب لم يشب فتعجب سليمان عليه السلام من ذلك وقال له فاطعامك وشرابك فى هذا البحر فقال يانبي الله يأتيني طائر أخضر كل يوم فى منقاره شيء أصفر مثل رأس الانسان فآكله فاجد فيه طعم كل نعيم فى دار الدنيا فيذهب عنى الجوع والعطش والحر والبرد والنوم والوحشة فقال سليمان اتحب ان تكون معنا او ترجع الى موضعك فقال ردنى الى موضعى يانبي الله فقال سليمان رده يا آصف الى مكانه فرده الى مكانه فقال سليمان انظروا كيف استجاب الله تعالى دعاء والديه فاحذروا عقوق والديكم يرحمكم الله ثم مضى سليمان عليه السلام متعجبا من ذلك والله اعلم (وحكى عن الشيخ عبد العزيز الديريني رضى الله تعالى

ارتحلوا وسئموا الموضع الذى هم فيه فارتحلوا ومات اولئك النقباء العشرة الذين أفشوا الخبر وكل من دخل التيه ممن جاوز عشرين سنة مات في تلك المدة غير يوشع بن نون وكالب بن يوفنا ولم يدخل احد أريحاء ممن قال انا لن ندخلها أبدا فلما هلكوا وانقضت أربعون سنة ونشأت النواشئ من ذراريهم ساروا الى حرب الجبارين وفتح الله لهم

﴿ باب في ذكر النعمة التى انعم الله بها على بني اسرائيل فى التيه وخصهم بذلك ورفع عنهم الهلاك كرامة لنبيه وصفيه موسى عليه السلام ﴾

قال الله تعالى يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم الآية كقوله تعالى وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها والعدلا يقع على الواحد التى أنعمت عليكم اي على أجدادكم واسلافكم وذلك ان الله تعالى فلق لهم البحر وانجاهم من آل فرعون واهلك عدوهم واورثهم ارضهم وديارهم واموالهم وانزل عليهم التوراة فيها بيان كل شيء يحتاجون اليه واعطاهم ما أعطاهم في التيه وذلك انهم قالوا لموسى أهلكتنا واخرجتنا من العمران والبنيان الى مفازة لاظل فيها ولا كن فانزل الله تعالى عليهم غمامة بيضاء رقيقة ليست بغمام المطر بل ارق واطيب وابرد منه فاظلتهم وكانت تسير بسيرهم اذا ساروا وتدور عليهم من فوقهم اذا نزلوا وذلك قوله تعالى وظللنا عليكم الغمام يعني فى التيه تقيكم حر الشمس ومنها انه جعل لهم عمودا من نور يضيء لهم بالليل اذا لم يكن ضوء للقمر فقالوا هذا الظل والنور قد حصل فاين الطعام فانزل الله عليهم المن واختلفوا فيه فقال مجاهد هو شيء كالصمغ يقع على الاشجار وطعمه كالشهد وقال الضحاك هو البر يختبز وقال وهب هو الخبز الرقاق وقال السدى كان عسلا يقع على الشجر من الليل فيا كلون منه وقال عكرمة هو شيء أنزله الله عليهم مثل الرب الغليظ وقال الزجاجى المن ما يمن الله به مما لا تعب فيه ولا نصب وقال النبي صلى الله عليه وسلم الكماة من المن وماؤها شفاء للعين قالوا وكان الله ينزل هذا المن كل ليلة يقع على الاشجار مثل الثلج لكل انسان منهم صاع كل ليلة فقالوا يا موسى قتلنا هذا المن بحلاوته فادع الله ربك أن يطعمنا اللحم فدعا موسى فانزل الله عليهم السلوى واختلفوا فيه فقال ابن عباس واكثر الناس هو طائر يشبه السماني وقال أبو العالية ومقاتل هو طير أحمر بعثه الله عليهم فامطر به السماء فى عرض ميل قدر رمح فى السماء بعضها على بعض وكانت السماء تمطر عليهم ذلك وقيل انه كان طيرا مثل فراخ الحمام طيبا سمينا قد تمعط ريشه وزغبه وكانت الريح تاتى به اليهم فيصبحون وهو فى معسكرهم وقيل انه كان ياتيهم فيترسل اليهم فياخذونه بايديهم وقال عكرمة هو طير يكون بالهند اكبر من العصفور وقال المؤرج هو العسل بلغة كنانة قال شاعرهم

وقاسمها بالله جهدا لانتم ٭ ألذ من السلوى اذ ما نشورها

فكان الله ينزل عليهم المن والسلوي وكان أحدهم ياخذ ما يكفيه يومه وليلته فاذا كان يوم الجمعة أخذ كل واحد ما يكفيه ليومين لانه لم يكن ينزل عليهم يوم السبت فذلك قوله تعالى وانزلنا عليكم المن والسلوي كلوا اي قلنا لهم كلوا من طيبات حلال مارزقناكم ولا تدخروا لغد فخبؤا لغد فداد وفسد ما ادخروا وقطع الله عنهم ذلك قال الله تعالى وماظلمونا أى أضرونا بالمعصية ومخالفة الامر ولكن كانوا انفسهم يظلمون باستصحابهم الغذاء وقطع عنهم مادة الرزق الذى كان ينزل عليهم بلا مؤنة ولا مشقة فى الدنيا ولا حساب ولا تبعة فى العقبى (أخبرنا) شعيب بن محمد قال اخبرنا مكى بن عبدان قال اخبرنا أحمد بن الازهر قال حدثنا روح بن عبادة قال حدثنا عون بن عبدالله عن جلاس بن عمرو عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لولا بنو اسرائيل لم يخنز اللحم ولم يخبث الطعام ولولا حواء لم

عنه انه قال كنت سائحا فى جماعة من اصحابى فانتهينا الى قبر فى بعض البرارى كنت اعرف صاحبه وكان من اولياء الله فجلست عند قبره ابكى فسالني بعض أصحابى عن ذلك فقلت اتفق لى مع صاحب هذا القبر حكاية عجيبة وذلك انه عرض لى حاجة فى بعض البلاد فسافرت لها فادركتني الصلاة فعدلت عن الطريق الى المسجد الذي كان يصلي فيه فصليت خلفه فاذا هو يلحن فى قراءته فتشوش بالى من ذلك وقلت فى نفسى سرا اقيم عند هذا الفقير اعلمه واترك حاجتى فهذا اولى فلما سلمنا من الصلاة التفت الى وقال يا عبدالعزيز الحق حاجتك التي جئت بطلبها وماعليك من اللحن والتعليم فعجبت من مكاشفته على وخرجت فى الحال مسرعا الى حاجتى كما اشار فلما دخلت البلد وجدت صاحبي الذى عند حاجتي يريد السفر ورجله في الركاب كما قال فلما رآني ترجل وترحب بى وقضى حاجتي وسافرت فازددت تعجبا من ذلك فما لبث الا مدة يسيرة وتوفي الى رحمة الله تعالى وهذا قبره رضي الله عنه آمين (وحكى عن الشيخ ابى بكر الشبلى رضى الله تعالى عنه) انه قال

نحن اثني زوجها ومنها انهم عطشوا في التيه فقالوا ياموسي من اين نشرب فاستقي لهم موسي فاوحى الله اليه أن اضرب بعصاك الحجر واختلف العلماء فيه فقال وهب كان موسى يقرع لهم أقرب حجر في أرض الحجارة فينفجر منه عيون لكل سبط منهم عين وكانوا اثني عشر سبطا ثم تسيل كل عين في جدول السبط الذي أمر بسببهم فقالوا ان فقد موسى عصاه متنا عطشا فاوحى الله تعالى اليه لا تقرعن الحجارة بالعصا ولكن كلمها تطعك لعلهم يعتبرون وكان يفعل ذلك فقالوا كيف بنا اذا مضينا الى الرمل والى الارض التي ليس فيها حجارة فامر موسى ان يحمل معه حجرا فحيثما نزل القاه وقال آخرون كان حجرا مخصوصا بعينه والدليل عليه قوله تعالى الحجر فادخل الالف واللام للتعريف والتخصيص كقوله رأيت الرجل ثم اختلفوا في ذلك الحجر ماهو فقال ابن عباس كان حجرا خفيفا مربعا مثل رأس الرجل امر ان يحمله فحمله فكان يضعه فى مخلاته فاذا احتاجوا الى الماء أخرجه وضرب به بعصاه فيتفجر عيونا كما ذكرنا فسقاهم قال قال ابو روق كان الحجر من الكذان وكان فيه اثنتا عشرة عينا أى حفرة ينبع من كل حفرة عين ماء عذب فيأخذونه فاذا فرغوا واراد موسى حمله ضرب به بعصاه فيذهب الماء وكان كل يوم يسقي ستمائة الف من جميع الاجناس وقال سعيد بن جبير هو الحجر الذى وضع موسي عليه ثوبه ليغتسل ففر الحجر بثوبه الماء وقف الحجر أتاه جبريل عليه السلام فقال ياموسي ان الله يقول لك ارفع هذا الحجر فلى فيه قدرة ولك فيه معجزة وهو الذي ذكره الله تعالى فى قوله ياايها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين اذوا موسي فبرأه الله مما قالوا الآية وهو ما أخبرنا به الحسن بن أحمد الخلدى باسناده عن أبى هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال كانت بنو اسرائيل يغتسلون عراة ينظر بعضهم الى سوأة بعض وكان موسى يغتسل وحده فقالوا والله ما يمنع موسى ان يغتسل معنا الا انه آدر قال فذهب مرة يغتسل فوضع ثوبه على حجر ففر الحجر بثوبه فجمح فى أثره موسي يقول ثوبي ياحجر ثوبي ياحجر حتي نظر بنو اسرائيل الى سوأة موسي فقالوا والله ما بموسى من باس قال فقام الحجر بعد ما نظر اليه بنو اسرائيل فاخذ ثوبه وطفق بالحجر ضربا فقال أبو هريرة والله ان اثر ضرب موسي بالحجر ستة اوسبعة قال عبد العزيز الكتانى كان موسى ضرب الحجر اثنتى عشرة ضربة فكان يظهر فى كل موضع ضربة مثل ثدى المرأة ثم يتفجر بالانهار المطردة فذلك قوله تعالى فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا (ومنها) انهم قالوا لموسي في التيه من اين لنا اللباس فخلد الله تعالى ثيابهم التى عليهم حتى لا تزيد على الايام ومرور الاعوام الاجدة وظرافة ولا تخلق ولا تبلى وتنموا على صبيانهم كما تنموا فمكثوا على ذلك زمانا طويلا والله اعلم

﴿باب فتح أريحاء ونزول بنى اسرائيل الشام﴾

اختلف العلماء فيمن تولى حرب الجبارين وفيمن كان على يده الفتح فقال قوم انما فتح اريحاء موسى ويوشع وكان يوشع على مقدمته فساره موسى اليهم بمن بقى من بنى اسرائيل فى التيه ولم يمت في التيه فدخلها بهم يوشع وقتل الجبارين الذين كانوا بها فدخلها موسي ببني اسرائيل فقام فيها ماشاء الله ان يقيم ثم قبضه الله تعالى ولم يعلم احد قبره من الناس وهذا أولى الاقاويل بالصدق واقربها الى الحق لاجماع العلماء باخبار الانبياء ان عوج بن عنق قتله موسي وقال آخرون ماقاتل الجبارين الا يوشع بن نون ولم يسر اليهم الا بعد موت موسى وهلاك من كان ابى المسير اليها وقالوا مات موسى وهرون عليهما السلام فى التيه

﴿ قصة وفاة هرون عليه السلام ﴾

قال السدى أوحى الله تعالى الى موسى عليه الصلاة والسلام انى متوف هرون فأت به جبل كذا وكذا فانطلق موسى وهرون نحو ذلك الجبل واذا هما بشجرة لم ير مثلها و بيت مبني وفيه سرير عليه فرش واذا

خرجت يوما على أصحابى وكانوا نيفا وار بعين رجلا فقلت لهم ياقوم ان الله تعالى قد تكفل بارزاق العباد فقال عز من قائل ومن يتق الله يجعل له مخرجا و يرزقه من حيث لا يحتسب فتوكلوا على الله واعتمدوا ثم تركتهم ومضيت فقاموا ثلاثة ايام لم يفتح عليهم بشي فلما كان اليوم الرابع دخلت عليهم وقلت لهم ياقوم ان الله تعالى قد اباح التسبب للعباد فقال هو الذى جعل لكم الارض ذلولا فامشوا فى مناكبها وكلوا من رزقه فانظروا الى احدكم فيه فليخرج عسى ان يأتيهم بشي من القوت قال فاختاروا رجلا كبيرا منهم فخرج ومشي في شوارع بغداد فلم يفتح الله عليه بشي فاخذه الجوع واعياه العطش فجلس عند دكان طبيب نصرانى عليه من الناس جمع كثير وهو يصف لكل منهم دواءه فنظر النصرانى الى الفقير وقال مالك وما عليك فكره الفقير ان يشكوا الجوع الى نصرانى ثم مد يده اليه ليجسها فلما جسها النصرانى قال انا أعرف علتك هذه وعندى دواؤها ثم التفت الى غلامه وقال له امض الي السوق وائتني برطل خبز ورطل شوى ورطل حلوى فمضي الغلام الى

فيه ريح طيبة فلما نظر هرون الى ذلك أعجبه وقال ياموسى انى أحب ان انام على هذا السرير فقال نم عليه فقال انى أخاف أن ياتى رب هذا البيت فيغضب على قال له موسى لاتخف أنا اكفيك رب هذا البيت فنم فقال ياموسى نم معى فان جاء رب هذا البيت غضب علينا جميعا فنام موسى وأخذ هرون الموت فلما وجد حسه قال ياموسى خدعتني فلما قبض رفع ذلك البيت وذهبت تلك الشجرة ورفع السرير الى السماء فلما رجع موسى الى بني اسرائيل وليس معه هرون قالوا اقتل موسى هرون وحسده لحبنا اياه فقال موسى ويحكم ان هرون اخي ووزيري فكيف أقتله فلما أكثروا عليه قام وصلى ركعتين ثم دعا الله تعالى فنزل السرير حتى نظروا اليه بين السماء والارض فصدقوه وقال عمرو بن ميمون مات موسى وهرون فى التيه ومات هرون قبل موسى وكانا خرجا فى التيه الى بعض الكهوف فمات هرون ودفنه وانصرف الى بني اسرائيل فقالوا أين هارون قال مات قالوا كذبت ولكنك قتلته لحبنا اياه وكان محببا في بنى اسرائيل فتضرع موسى الى ربه وشكا الى ربه مالقى من بني اسرائيل فاوحى الله اليه ان انطلق بهم الى قبره فانى باعثه حتى يخبرهم انه مات موتا ولم تقتله فانطلق بهم الى قبر هرون فناداه ياهرون فخرج من قبره ينفض التراب عن رأسه فقال له انا قتلتك قال لا والله ولكنى مت فعاد وانصرفوا والله اعلم

﴿ ذكر وفاة موسى عليه السلام ﴾

قال ابن اسحق كان موسى قد كره الموت واستعظمه فلما كرهه أراد الله ان يحبب اليه الموت ويكره اليه الحياة وكان يوشع بن نون يغدو اليه ويروح فيقول له موسى يانبى الله ما أحدث الله اليك فيقول له يوشع يانبي الله ألم أصحبك كذا وكذا سنة فهل كنت أسألك عن شيء مما أحدث الله اليك حتى تكون انت الذى تبتدئ به وتذكره ولا يذكر له شيأ فلما رأى موسى ذلك كره الحياة وأحب الموت قال الاستاذ باسناده حدثنى عبد الصمد بن معقل قال سمعت وهبا يقول وذكر من كرامة موسى عليه السلام انه ضاق بنى اسرائيل ذرعا لما كثروا عليه فبعث الله اليه الف نبي يكونون أعوانا له فلما مال الناس اليهم وجد موسى في نفسه غيرة فاماتهم الله لكرامته في يوم واحد واختلفوا فى صفة موت موسى عليه السلام حدثنا أبو سعيد محمد بن عبد الله بن حمدون باسناده عن ابى هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال جاء ملك الموت الى موسى فقال له أجب ربك فلطم موسى عين ملك الموت ففقأها قال فرجع ملك الموت الى الله عز وجل فقال يارب انك أرسلتنى الى عبد لا يريد الموت وفقأ عيني فرد الله عليه عينه وقال ارجع الى عبدى وقل له الحياة تريد فان كنت تريد الحياة فضع يدك على متن ثور فما وارت يدك من شعره فانك تعيش بعدد كل شعرة من ذلك سنة قال ثم ماذا قال ثم تموت قال فالآن من قريب قال يارب فادنني من الارض المقدسة رمية حجر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو كنت عنده لاريتكم قبره الى جانب الطريق عند الكثيب الاحمر قال سمعت أبا سعيد بن حمدن يقول سمعت أباحامد الشرقى يقول سمعت محمد بن يحيى يقول قد صح هذا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يعني قصة ملك الموت وموسى عليه السلام لا يردها الا كل مبتدع ضال (وفي حديث آخر) ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان ملك الموت كان يأتى الناس عيانا حتى أتى موسى ليقبضه فلطمه ففقأ عينه فجاء ملك الموت بعد ذلك خفية (قال السدي) في خبر ذكره عن ابى مالك وابى صالح عن ابن عباس وعن مرة الهمدانى وعن ابن مسعود وعن ناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قالوا بينما موسى عليه السلام يمشي وفتاه يوشع بن نون اذ أقبلت ريح سوداء فلما نظر اليها يوشع ظن انها الساعة فقال ياقوم أظن انها الساعة وانى ملتزم بموسى نبي الله فانسل من تحت القميص وترك القميص في يدى يوشع فلما جاء يوشع بالقميص أخذته بنو اسرائيل وقالوا قتلت نبي

السوق واتاه بذلك فقال خذ هذا دواء علتك فقال الفقير للنصرانى ان كنت صادقا في حكمتك فهذه العلة بار بعين رجلا مثلى فقال النصرانى لغلامه امض الى السوق مسرعا وأتني باربعين رطلا من ذلك فمضى الغلام الي السوق واتى بذلك جميعه على حمال فقال النصرانى اذهب بذلك الى اصحابك فذهب الفقير والحمال معه وتبعهما النصرانى من بعيد ليختبر صدق ذلك الفقير فلما دخل الفقير الى اصحابه بالدويرة وقف النصرانى خلف طاقة ينظر اليهم فوضع الفقير ذلك بينهم ثم نادوا للشيخ أبى بكر الشبلى فحضر وسالهم عن ذلك فاخبره الفقير بقصته مع ذلك النصرانى فقال لهم الشبلى اترضون ان تاكلوا طعام نصرانى بغير مكافاة فقالوا وما مكافاته قال ان تدعوا له بالاسلام قبل ان تاكلوا طعامه قال فدعوا له بالاسلام وهو يسمع فلما راى النصرانى امساكهم عن الطعام مع حاجتهم له ترك الطاقة وقطع الزنار ودخل اليهم وقال ياشبلى امدد يدك فانى أشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا رسول الله وحسن اسلامه وصار من جملة أصحاب الشبلى رضي الله تعالى

الله فقال والله ما قتلته ولكنه انسل مني فلم يصدقوه وارادوا قتله فقال لهم اذلم تصدقوني فاخروني ثلاثة أيام فدعا الله فاتى كل رجل ممن كان يحرسه آت في المنام وأخبره ان يوشع لم يقتل موسي وانا قد رفعناه الينا فتركوه قال وهب بن منبه خرج موسى ليقضي حاجة فمر برهط من الملائكة فمرفهم فاقبل اليهم حتى وقف عليهم فاذاهم يحفرون قبرا لم ير شيئا قط أحسن منه ولم ير مثله قط في الخضرة والنضرة والبهجة فقال لهم ياملائكة الله لمن تحفرون هذا القبر فقالوا نحفره لعبد صالح كريم على ربه فقال موسى ان هذا العبد لمن الله بمنزلة عظيمة ما رأيت كاليوم أحسن منه مضجعا فقالت الملائكة ياصفي الله أتحب ان يكون لك قال وددت ذلك قالوا فانزل واضطجع فيه وتوجه الي ربك ثم تنفس أسهل نفس تتنفسه فاضطجع فيه ثم توجه الي ربه ثم تنفس فقبض الله روحه ثم سوت الملائكة عليه التراب قيل انه اتاه ملك الموت بتفاحة من الجنة فشمها فقبض الله روحه (ويروي) ان يوشع بن نون رآه بعد موته في المنام فقال له كيف وجدت الموت يانبي الله قال كشاة تسلخ وهي في الحياة (ويروي) ان موسي لما مات قالت الملائكة بعضهم لبعض مات صفي الله موسي بن عمران فمن الذي يطمع في البقاء وكان عمر موسي مائة وعشرين سنة عشرون منها في ملك افريدون ومائة سنة في ملك منوجهر (قال الاستاذ رجعنا الى قصة حرب اريحاء وخبر الفتح) قال فلما انقضت أربعون سنة ومات موسي بعث الله يوشع بن نون نبيا فاخبرهم انه نبي الله وان الله قد امره بقتال الجبارين فصدقوه وبايعوه فتوجه ببني اسرائيل الي أريحاء ومعه تابوت الميثاق فأحاط بمدينة اريحاء ستة اشهر فلما كان في الشهر السابع نفخوا في القرون وصاحوا صيحة واحدة فسقط سور المدينة فدخلوها وقاتلوا الجبارين وهزموهم وهجموا عليهم يقتلونهم فكانت العصابة من بني اسرائيل يجتمعون على عنق الرجل يضربونها لا يقطعونها وكان القتال يوم الجمعة فبقي منهم بقية وكادت الشمس ان تغرب وتدخل ليلة السبت فخشي يوشع ان يعجزوه فقال اللهم اردد الشمس على وانه قال للشمس انك في طاعة الله وانا في طاعة الله فسأل الشمس ان تقف والقمر ان يقيم حتى ينتقم من اعداء الله قبل غروب الشمس فردت له الشمس وزيدت في النهار ساعة واحدة حتى قتلهم اجمعين (اخبرنا) احمد بن عبد الله بن حامد الاصفهاني باسناده عن عروة بن عبد الله قال دخلت على فاطمة بنت علي رضوان الله عليهما فرأيت في عنقها خرزا ورأيت في يدها مسكتين غليظتين وهي عجوز كبيرة فقلت لها ما هذا فقالت انه يكره للمرأة ان تتشبه بالرجل ثم حدثتني ان اسماء بنت عميس الخثعمية حدثتها ان علي بن ابي طالب رضي الله عنه كان مع نبي الله وقد اوحى الله اليه فجلله بثوبه ولم يزل كذلك حتى ادبرت الشمس تقول غابت او ارادت ان تغيب ثم ان نبي الله سري عنه فقال اصليت ياعلي قال لا فقال النبي صلى الله عليه وسلم اللهم اردد عليه الشمس فرجعت حتى بلغت نصف المسجد * قال ثم ارسل ملوك الارامنة وكانوا خمسة فأرسل بعضهم الى بعض فجمعوا كلمتهم على يوشع وقومه فهزمت بنو اسرائيل الملوك حتى اهبطوهم الى ثنية حوران ورماهم الله باحجار البرد فكان من قتله البرد أكثر ممن قتله بنو اسرائيل بالسيف وهرب الملوك الخمسة واختفوا في غار فامر بهم يوشع فاخرجهم وصلبهم ثم انزلهم فطرحهم في ذلك الغار وتتبع ملوك الشام فاستباح منهم احدا وثلاثين ملكا حتى غلب على جميع ارض الشام وصار الشام كله لبني اسرائيل وفرق عماله في نواحيها ثم جمع الغنائم فلم تنزل النار فاوحى الله تعالى الى يوشع ان فيها غلولا فامرهم ان يبايعوه فبايعوه فالتصقت يد رجل بيده فقال له هلم ما عندك فأتاه برأس ثور من ذهب مكلل بالدر والياقوت والجوهر كان قد غله فجعله في القربان وجعل الرجل معه فجاءت النار فاكلت الرجل والقربان عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم غزا نبي من الانبياء فقال للقوم لا يتبعني رجل كان قد ملك بضع امرأة وهو يريد ان يبني بها ولا آخر قد بنى له بيتا ولم يرفع سقفه ولا

عنهم اجمعين ونفعنا بهم آمين (وحكى عن بعضهم رضى الله تعالى عنهم ونفعنا بهم) قال رأيت عند قبر النبي صلى الله عليه وسلم تسعة من الاولياء أصحاب الخطوة فتبعتهم فالتفت الى احدهم وقال اين تريد فقلت لهم انا اسير معكم اين تسيرون لحبي فيكم فقال احدهم انك لاتقدر على المسير الى الموضع الذي نقصده فانه لا يصل اليه الا من بلغ عمره اربعين سنة فقال الآخر دعه لعل الله يرزقه قال فسرت معهم والارض تطوي من تحتنا طيا والحب يقول للعشاق هنيا فلم نزل نسير حتى انتهينا الى مدينة مبنية بالذهب والفضة واشجارها متعانقة وانهارها دائمة وفواكهها فائقة قال فدخلناها واكلنا من ثمرها ثم أخذت معى ثلاث تفاحات فلم يمنعوني من اخذها فسألتهم عند الانصراف عن هذه المدينة فقالوا هذه مدينة الاولياء فاذا أراد الاولياء النزهة ظهرت لهم تلك المدينة اينما كانوا فما دخل فيها احد قبل الاربعين غيرك قال فلما رجعنا ودخلنا مكة أعطيت الدامغاني تفاحة فقذفها فلامني أصحابي وقالوا ردد

آخر قداشترى غنما اوخلفات وهو ينتظراولادها قال فدنامن القوم صلاة العصر اوقريبا من ذلك فقال للشمس انت مامورة وانا مامور اللهم احبسها على ساعة فحبست له ساعة حتى فتح الله عليه قال ثم وضعت الغنيمة فجاءت النار فلم تأكلها فقال ان فيكم غلولا فليبايعني من كل قبيلة منكم رجلا فبايعوه فلتصقت يد رجل بيده فقال فيكم الغلول أنتم غللتم قال فاخرجوا مثل رأس البقرة من ذهب فالقوه فى الغنيمة وهى بالصعيد فجاءت النار فاكلتها قال النبي صلى الله عليه وسلم لم تحل الغنائم لاحد قبلنا وذلك ان الله تعالى رأى عجزنا وضعفنا فوهبها لنا قالوا ثم امرهم الله ان يدخلوا أريحاء متواضعين مستغفرين خافضين رؤسهم وذلك قوله تعالى واذ قلنا ادخلوا هذه القرية فكلوا منها حيث شئتم رغدا وادخلوا الباب سجدا وقولوا حطة وكان لهم سبعة ابواب سجدا أى منحنين متواضعين وقولوا حطة اي حط عنا خطايانا قال وهب انهم اذنبوا ذنبا فكان توبتهم اذا أذنبوا دخول اريحاء فلما فصلوا من التيه احب الله ان يستنقذهم من الخطيئة قال ابن عباس حطة قول لا اله الا الله سميت بذلك لانها تحط الذنوب نغفر لكم خطاياكم وسنزيد المحسنين احسانا فبدل الذين ظلموا قولا غير الذى قيل لهم وذلك انهم دخلوا مزحفين على استاههم وقالوا هطا سمقاثا يعنى حنطة حمراء استخفافا بأمر الله تعالى فأنزلنا على الذين ظلموا رجزا من السماء اى عذابا من السماء بما كانوا يفسقون وذلك ان الله تعالى ارسل عليهم طاعونا وظلمة فهلك منهم سبعون ألفا فى ساعة واحدة ثم رفعه الله عنهم ورحمهم قالوا فلما استقرت بنو اسرائيل بالشام وصفت لهم توفي الله نبيه يوشع ودفن فى جبل افرائيم وكان عمره مائة وعشرين سنة وتدبيره امر بنى اسرائيل بعد موت موسى سبعا وعشرين سنة

﴿مجلس في ذكر الانبياء والملوك الذين قاموا بامور بني اسرائيل بعد يوشع وقصة كالب عليه السلام﴾

قالت العلماء باخبار الماضين وأمور الامم السالفين لما حضرت الوفاة يوشع بن نون استخلف على بني اسرائيل كالب بن يوفنا ختن موسي عليه السلام وهو أحد الرجلين اللذين انعم الله عليهما قال الله تعالى قال رجلان من الذين يخافون أنعم الله عليهما فاحسن الخلافة حتى قبضه الله عزوجل واستخلف على بني اسرائيل ابنه يوساقوس وكان فيما ذكر يشبه يوسف عليه السلام في الحسن والجمال والبهاء وكانوا يفتتنون به وكانوا من شغفهم به يأتونه وينظرون اليه ويقولون له ايها العبد الصالح جئنا لنسلم عليك وهو يستحي ان يردهم فلما أكثروا خاف الفتنة فسال الله ان يغير صورته مع سلامة حواسه وجوارحه فاصابه الجدرى فصار مجدورا املوجا فلبث فيهم مائة واربعين سنة ثم قبضه الله اليه والله اعلم

﴿ ذكر خبر حزقيل عليه السلام ﴾

قالت العلماء باخبار الانبياء عليهم السلام لما قبض الله كالب وابنه بعث الله تعالى الى حزقيل الى بنى اسرائيل نبيا وهو حزقيل بن بورى ويلقب بابن العجوز وانما لقب بابن العجوز لان امه سالت الله تعالى الولد وهي عجوز وقد كبرت وعقمت عن الولد فوهبه الله تعالى لها وهو الذى احيا الله تعالى به القوم الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت فاحياهم الله تعالى بعد موتهم بدعوته فى قوله تعالى ألم تر الى الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت الآية (قال) أكثر المفسرين كانت قرية يقال لها داوردان قرية قبل واسط وقع بها الطاعون فخرج منها طائفة هاربين من الطاعون وبقيت طائفة فهلك أكثر من بقى فى القرية وسلم الذين خرجوا فلما ارتفع الطاعون رجعوا سالمين فقال الذين بقوا ان اصحابنا كانوا احزم منا لو صنعنا كما صنعوا لبقينا ولئن وقع بها الطاعون ثانية لنخرجن الى الارض التى لا وباء فيها فوقع الطاعون من قابل فهرب عامة أهلها وخرجوا حتى نزلوا واديا أفيح فلما نزلوا المكان الذى يبتغون فيه النجاة والحياة اذاهم بملك من اسفل الوادى وآخر من اعلاه يناديهم كل واحد منهما ان

ما اعطيت الى مكانه فكنت كلما جعت اكلت من تلك التفاحة وهي لاتتغير فرجعت الى اهلى وقد بقى منها تفاحة واحدة غير التى ادخرتها لنفسي فما نقتنى أختى وقالت اين الذي اتحفتنا به من سفرك فقلت لها وما الذى اتحفكم به وانا بعيد عن الدنيا وعن الراحة فقير الحال فقالت أختى فاين التفاحة فقلت واى تفاحة فقالت يا مسكين والله لقد أدخلوني تلك المدينة وانا بنت عشرين سنة واما انت فلم تزها الا بعد ان طردوك وانا والله جذبت اليها جذبة وخطوت اليها خطوة قال فتعجبت من كلامها وقلت يا أختى ان البدل الكبير منهم قال لى لم يدخلها احد قبل الاربعين غيرك قالت نعم يا أخى من المريدين واما المرادون فيدخلونها ولا يرضون بها ومتى شئت اريتكها فقلت قد شئت فقالت يا مدينة احضري فوالله لقد رأيت تلك المدينة بعينها وهي تتدلى عليها وتدفع اليها فمدت يدها وقالت ان تفاحك قال فتساقط على من التفاح شيء كثير فضحكت وقالت من عنده هذا الملك

موتوا فماتوا جميعا (عن) محمد بن زكريا قال سمعت الاصمعي يقول لما وقع الطاعون بالبصرة خرج رجل من أهلها منها على حمار له ومعه ولده وخلفه عبد حبشي يسوق الحمار فطفق العبد يرتجز ويقول

لن يسبق الله على حمار * ولا على ذي منعة خطار * قد يصبح الله امام الساري

فرجع الرجل لما سمع من قوله بعياله (وروي) عبد الرحمن بن عوف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال اذا سمعتم بالوباء في بلدة فلا تقدموا عليه واذا وقع وانتم بها فلا تخرجوا فرارا منه وقال الضحاك ومقاتل والكلبي انما فر هؤلاء من الجهاد وذلك ان ملكا من ملوك بني اسرائيل أمرهم ان يخرجوا الى قتال عدوهم فخرجوا فعسكروا ثم جبنوا وكرهوا الموت واعتلوا وقالوا لملكهم ان في الارض التي نأتيها الوباء فلا نأتيها حتى ينقطع الوباء عنها فارسل الله عليهم الموت فلما رأوا ان الموت قد كثر فيهم خرجوا من ديارهم فرارا من الموت فلما رأى الملك ذلك قال اللهم رب يعقوب واله موسى قد ترى معصية عبادك فارهم آية في انفسهم حتى يعلموا انهم لا يستطيعون الفرار من حكمك وقضائك فلما خرجوا قال الله لهم موتوا فماتوا جميعا وماتت دوابهم كموت رجل واحد فما اتى عليهم ثلاثة ايام حتى انفجروا وأروحوا وأروحت اجسادهم فخرج اليهم الناس فعجزوا عن دفنهم لكثرتهم فحظروا عليهم حظيرة دون السباع وتركوهم فيها واختلفوا في مبلغ عددهم فقال عطاء الخرساني كانوا ثلاثة آلاف وقال ابن عباس ووهب كانوا اربعة آلاف وقال مقاتل والكلبي ثمانية آلاف وقال ابو روق عشرة آلاف وقال أبو مالك ثلاثين الفا وقال السدي بضعا وثلاثين ألفا وقال ابن جريج أربعين ألفا وقال عطاء بن ابي رباح سبعين ألفا قال فاتى على ذلك مدة وقد بليت أجسادهم وعريت عظامهم وتقطعت اوصالهم فمر عليهم حزقيل النبي عليه الصلاة والسلام فوقف متفكرا متعجبا فاوحى الله تعالى اليه يا حزقيل تريد أن أريك كيف أحيي الموتى قال نعم يارب فاحياهم الله جميعا هذا قول السدي وجماعة من المفسرين وقال مقاتل والكلبي بل كانوا قوم حزقيل فلما اصابهم ذلك بكى حزقيل وقال يارب كنت في قوم يعبدونك ويذكرونك فبقيت وحيدا لا قوم لي فلو شئت أحييت هؤلاء فيعمرون بلادك ويعبدونك قال الله تعالى أو تحب ان افعل ذلك قال نعم يارب قال الله تعالى قد جعلت حياتهم اليك فقال لهم حزقيل احيوا باذن الله تعالى فعاشوا وقال وهب أصابهم بلاء وشدة من الزمان فشكوا ما أصابهم وقالوا ياليتنا قد متنا واسترحنا مما نحن فيه فاوحى الله الى حزقيل ان قومك قد ضجروا من البلاء وزعموا انهم ودوا لو ماتوا استراحوا وأي راحة لهم في الموت ايظنون أني لا أقدر أن أبعثهم بعد الموت فانطلق الى جبانة كذا فان فيها اقواما ماتوا فاتاهم فاوحى الله تعالى اليه يا حزقيل قم فنادهم وكانت اجسادهم وعظامهم قد تفرقت ومزقتها الطير والسباع فنادى حزقيل ايتها العظام ان الله يامرك ان تعودي وتكتسي اللحم فاكتست جميعا اللحم وبعد اللحم جلودا ودما وعصبا وعروقا وكانت اجسادا فنادى ايتها الارواح ان الله تعالى يامرك ان تعودي الى أجسادك فقاموا جميعا وعليهم ثيابهم التي ماتوا فيها وكبروا تكبيرة واحدة (وروى) منصور بن المعتمر عن مجاهد انهم قالوا حين احيوا سبحانك اللهم ربنا وبحمدك لا اله الا انت فرجعوا الى قومهم وتناسلوا بعدما أحياهم الله وعاشوا دهرا يعرفون أنهم كانوا موتى بسحنة الموت على وجوههم لا يلبسون ثوبا الا عاد دسما مثل الكفن حتى ماتوا لآجالهم التي كتب الله لهم * قال ابن عباس فانه ليوجد في ذلك السبط من اليهود تلك الريح قال قتادة مقتهم الله على فرارهم من الموت وتقصيرهم في الجهاد فاماتهم الله عقوبة لهم ثم بعثهم لبقية آجالهم ليوفوها ولو كانت آجال القوم قد جاءت ما بعثوا بعد موتهم فلما أحياهم الله تعالى امرهم بالجهاد وقال وقاتلوا في سبيل الله واعلموا أن الله سميع عليم

يحتاج الى تفاحتك قال فاستحقرت نفسي والله عند ذلك وما كنت اعرف ان اختي من اكابر الاولياء رضي الله عنهم ونفعنا بهم في الدارين وامدنا من مددهم وانفاسهم الطاهرة آمين (وحكى عن الشيخ ابي الربيع المالقي عفا الله عنه) انه قال سمعت بامرأة من المتعبدات الصالحات في بعض القرى اشتهر امرها وكان من دأبنا ان لا نزور امرأة فدعت الحاجة الى زيارتها الاطلاع على كرامتها فنزلنا القرية التي هي بها فذكروا لنا ان عندها شاة تحلب لبنا وعسلا فاشترينا قدحا جديدا لم يوضع فيه شيء ثم مضينا اليها وسلمنا عليها وقلنا لها نريد هذه البركة التي ذكرت لنا عنك من هذه الشاة فقالت حبا وكرامة ثم احضرت لنا الشاة فحلبناها في ذلك القدح ثم شربنا فوجدناه لبنا وعسلا كما وصف فلما رأينا ذلك سألنا المرأة عن قصة هذه الشاة فقالت نعم اخبركم بها وذلك انه كان لنا شويهة ونحن قوم فقراء ولم يكن عندنا غيرها فقال لي زوجي وكان رجلا صالحا امضي بنا حتى نذبح هذه الشاة في هذا اليوم وهو

﴿ باب في قصة الياس عليه السلام ﴾

قال الله تعالى وان الياس لمن المرسلين الى آخر القصة قال ابن اسحاق والعلماء من اصحاب الاخبار لما قبض الله تعالى حزقيل عليه السلام عظمت الاحداث في بني اسرائيل وظهر فيهم الفساد ونسوا عهد الله اليهم في التوراة حتى نصبوا الاوثان وعبدوها من دون الله عز وجل فبعث الله تعالى اليهم الياس نبيا وهو الياس ابن يس بن فنحاص بن عيزار بن هرون بن عمران وانما كانت الانبياء بعد موسى يبعثون اليهم بتجديد ما نسوا وضيعوا من احكام التوراة وبنو اسرائيل يومئذ متفرقون في ارض الشام وفيهم ملوك كثيرة وكان سبب ذلك ان يوشع بن نون لما فتح ارض الشام وملكها بوأها بني اسرائيل وقسمها بينهم فاخذ سبط منهم بعلبك ونواحيها وهم سبط الياس فبعث الله تعالى اليهم نبيا وعليهم يومئذ ملك يقال له لاجب قد ضل واضل قومه وجبرهم على عبادة الاصنام وكان هو وقومه يعبدون صنما يقال له بعل وكان طوله عشرين ذراعا وكان له أربعة وجوه وقال ابن اسحق قد سمعت بعض أهل العلم يقولون ما كان البعل الا امرأة كانوا يعبدونها من دون الله تعالى فذلك قوله تعالى اذ قال لقومه ألا تتقون أتدعون بعلا وتذرون أحسن الخالقين قال فجعل الياس يدعوهم الى الله تعالى ولا يطيعونه ولا يجيبونه الى ذلك الا ما كان من أمر لاجب الملك الذى كان ببعلبك فانه آمن به وصدقه وكان لياس يقوم امره ويسدده ويرشده وكان للاجب امرأة يقال لها اربيل وكان يستخلفها على رعيته اذا غاب عنهم في غزاة او غيرها فكانت تبرز بين الناس كما يبرز زوجها وتركب كما يركب وتجلس كما يجلس في مجالس القضاء وتقضي بين الناس وكانت قتالة للانبياء وكان لها كاتب رجل مؤمن حكيم يكتم ايمانه وكان قد خلص من بين يديها ثلثمائة نبي كانت تريد قتل كل واحد منهم اذا بعث سوى الذين قتلتهم وكانت في نفسها غير محصنة ولم يكن على وجه الارض أفحش منها وهي مع ذلك قد تزوجت سبعة ملوك من ملوك بني اسرائيل وقتلتهم كلهم بالاغتيال وكانت معمرة ويقال انها ولدت سبعين ولدا قال وكان للاجب هذا جار من بني اسرائيل رجل صالح يقال له مزدكى وكانت له جنينة يعيش منها ويقبل على عمارتها ويزينها وكانت الجنينة الى جانب قصر الملك وامرأته وكانا يشرفان على تلك الجنينة يتنزهان فيها ويأكلان ويشربان ويقيلان فيها حينا وكان لاجب مع ذلك يحسن جوار صاحبها مزدكى وامرأته اربيل تحسده على ذلك لاجل تلك الجنينة وتحتال على غصبها لما سمعت الناس يذكرون الجنينة من حسنها ويقولون ما احرى ان تكون هذه الجنينة لاهل هذا القصر ويتعجبون من امر الملك وامرأته كيف لم يغصباها فلم تزل امرأة الملك تحتال على العبد الصالح مزدكى في ان تقتله وتأخذ جنينته والملك ينهاها عن ذلك فلا تجد اليه سبيلا ثم انه اتفق خروج الملك الى سفر بعيد فلما طالت غيبته اغتنمت امرأته اربيل ان تتم لها الحيلة على العبد الصالح مزدكى في ان تقتله وتأخذ جنينته وهو غافل عما تريد به مقبل على عبادة ربه واصلاح معيشته فجمعت اربيل جمعا من الناس وامرتهم ان يشهدوا على مزدكى بالزور انه يسب لاجب الملك فاجابوها الى ما سألتهم من الشهادة بالزور وكان حكمهم في ذلك الزمان على من يسب الملك القتل ان قامت البينة فأحضرت مزدكى وقالت له بلغنا عنك انك شتمت الملك وعبته فانكر مزدكى ذلك فقامت البينة فشهدوا بالزور عليه بحضرة الناس فامرت بقتله فقتل واخذت جنينته غصبا فغضب الله عليهم بقتل العبد الصالح فلما قدم الملك من السفر اخبرته الخبر فقال لها ما أصبت خيرا ولا وفقت ولا ارانا نفلح بعدها ابدا وانا كنا عن جنينته لاغنياء وقد كنا نتنزه فيها وقد جاورنا وتحرم بنا منذ زمان طويل فاحسنا جواره وكففنا عنه الاذى لوجوب حقه علينا فقبحت بنا الجوار وما حملك على اجترائك عليه الا سفهك وسوء رأيك وقلة تفكرك في العواقب فقالت انما غضبت لك وحكمت بحكمك

نفسها وزوجها ولكن اطلقت اذا ظاهر العموم مع ارادة التخصيص عن تستر او تحريضا للمريدين على تطييب قلوبهم اذ بطيب القلوب يحصل كل طيب محبوب من الانوار والاسرار ولذة العيش بمنادمة الملك الغفار والمعنى في ذلك لما طابت قلوبنا طاب ما عندنا فطيبوا قلوبكم يطب ما عندكم رضي الله تعالى عنها آمين ﴿ وحكى عن بعض اصحاب السرى السقطي رضى الله تعالى عنه ﴾ انه قال كان للسرى السقطى تلميذة وكانت امرأة صالحة وكان لها ولد عند المعلم فبعثه المعلم يوما الى الدجلة فنزل الصبي في الماء فغرق فخاف المعلم على نفسه وأتى الى السرى السقطى فاخبره بذلك فاغتم وقال قوموا بنا الى أمه وكان معهم الجنيد فتكلم السرى السقطى مع أم الصبي في علم الصبر وعلم الرضا فقالت المرأة يا أستاذى وأى شيء تريد بذلك فقال لها السرى ان ولدك قد غرق فقالت ان الله عز وجل لم يفعل ذلك ثم قالت قوموا بنا فقاموا معها حتى انتهوا الى النهر فقالت المرأة

فقال لها ما كان يسع حلمك وعظيم خطرك العفو عن رجل واحد فتحفظين جواره فقالت قد كان ما كان
فبعث الله تعالى الياس عليه السلام الى لاجب وقومه وامره ان يخبرهم ان الله تعالى قد غضب عليه لوليه حين
قتلوه بين اظهرهم ظلما وقد آلى على نفسه انهما ان لم يتوبا من صنعهما ويردا الجنينة على ورثة مزدكى والا يهلكهما
يعني لاجب وامرأته في جوف الجنينة أشر ما يكونون يسفك دمهما ثم يدعهما جيفتين ملقاتين فيها حتى
تتعرى عظامهما عن لحومهما ولا يتمتعان بها الا قليلا قال فجاء الياس وأخبر الملك بما اوحى الله اليه في امره
وامر امرأته والجنينة فلما سمع الملك ذلك اشتد غضبه ثم قال له يا الياس والله ما أرى ما تدعونا اليه الا
باطلا والله ما ارى فلانا وفلانا وسمى ملوكا منهم عبدوا الاوثان الا على مثل ما نحن عليه يأكلون ويشربون
ويتمتعون مملكين ما ينقص من دنياهم ولا من أمرهم الذي تزعم انه باطل شيء وما نرى لكم علينا من فضل
قال ثم هم بتعذيب الياس وقتله قال فلما سمع الياس ذلك وأحس بالشر رفضه وخرج عنه فلحق بشواهق
الجبال وعاد الملك الى عبادة بعل فارتقى الياس الى اصعب جبل واشمخه فدخل مغارا فيقال انه بقي فيه سبع
سنين شريدا وحيدا فريدا خائفا يأوي الى الشعاب والكهوف ويأكل من نبات الارض وثمار الشجر وهم في
طلبه وقد وضعوا عليه العيون يتوقعون اخباره ويجتهدون في اخذه والله تعالى يستره ويحفظه ويدفع عنه
البلاء فلما تم له سبع سنين أذن الله تعالى في اظهاره عليهم وشفاء غيظه منهم فامرض الله تعالى ابن الملك لاجب
وكان احب اولاده اليه واعزهم عليه وأشبههم به فأدنف حتى يئس منه فدعا صنمه بعلا وكانوا قد فتنوا ببعل
فعظموه حتى انهم سموا مدينتهم به فقالوا لها بعلبك وجعلوا له اربعمائة سادن فوكلوهم به وجعلوهم امناءه وجعل
الشيطان يدخل في جوف الصنم فيكلمهم بانواع الكلام والاربعمائة يصغون بآذانهم الى ما يقول الشيطان
ويوسوس لهم شريعة من الضلال فيكتبونها للناس ويعملون بها ويسمونهم الانبياء فلما اشتد مرض ابن
الملك طلب الملك ان يشفعوا له الى بعل ويطلبوا منه لابنه الشفاء والعافية فدعوه له فلم يجبهم ومنع الله تعالى
بقدرته الشيطان عن صنمهم فلم يمكنه الولوج في جوفه ولا الكلام وهم مجتهدون في التضرع اليه والمريض
لا يزداد بذلك الا الما وجهدا فلما طال عليهم ذلك قالوا للاجب ايها الملك ان في ناحية الشام آلهة اخرى وهي في
العظم مثل الهك فابعث اليها الانبياء يشفعون لك اليها فلعلها ان تشفع لك الى بعل فانه غضبان عليك ولولا
غضبه عليك لكان قد اجابك وشفى مرض ابنك فقال لاجب لاي شيء غضب علي وانا اطيعه واطلب رضاه
ولم اسخطه ساعة قط قالوا من اجل انك لم تقتل الياس وفرطت فيه حتى نجا سالما وهو كافر بالهك يعبد غيره
فذلك الذي اغضبه عليك قال لاجب وكيف لي ان اقتله في يومي هذا وانا مشغول عن طلبه بوجع ابني وليس
لالياس مطلب ولا يعرف له موضع فيقصد فلو عوفي ابني تفرغت لطلبه ولم يكن لي هم ولا شغل غيره حتى آخذه
واقتله وأريح الهي منه وارضيه قال ثم انه بعث الاربعمائة نبي ليشفعوا الى الآلهة التي بالشام ويسألوها ان
تشفع الى صنم الملك ليشفي ابنه فانطلقوا الى الاصنام وكلموها فمنع الله عز وجل الشيطان الولوج في الاصنام
ولم تكلمهم فرجعوا الى الملك وأخبروه بذلك فقال الملك وكيف لي ان اقتل الياس في هذا اليوم قال فخرج
الاربعمائة حتى اذا كانوا بحيال الجبل الذي فيه الياس اوحى الله اليه ان يهبط من الجبل ويعارضهم ويستوقفهم
ويكلمهم وقال له لا تخف فاني ساصرف عنك شرهم وألقي الرعب في قلوبهم فنزل الياس من الجبل فلما لقيهم
استوقفهم فلما وقفوا قال لهم ان الله ارسلني اليكم والى من وراءكم فاسمعوا ايها القوم رسالة ربكم لتبلغوها
صاحبكم ارجعوا اليه وقولوا له ان الله تعالى يقول لك ألست تعلم يا لاجب انني انا الله لا اله الا أنا اله بني اسرائيل
الذي خلقهم ورزقهم واحياهم واماتهم فلا يحملنك جهلك وقلة عقلك على ان تشرك بي وتطلب الشفاء لابنك
من غيري ممن لا يملكون لانفسهم شيئا الا ما شئت واني آليت باسمي لاغيظنك في ابنك ولاميتنه من فوره

يوم العيد فقلت له لا تفعل
ذلك فان الله تعالى قد
رخص لنا في الترك والله
يعلم حاجتنا اليها فبينما نحن
كذلك اذ استضافنا
ضيف في ذلك اليوم ولم
يكن عندنا ما نقري به هذا
الضيف فاحتجنا لذبحها
فقلت له يا رجل هذا
ضيف وقد امرنا باكرامه
فخذ تلك الشاة واذبحها
فقال نخاف ان تبكي عليها
صغارنا فقلت له خذها
واخرج بها من البيت
واذبحها وراء الجدار
فاخذها ومضى فلما أراق
دمها فرفرت من أعلى
الجدار ونزلت الينا
فحسبت انها قد انفلتت
منه فخرجت لانظرها
فاذا هو يسلخ فيها فقلت
له يا رجل رأيت عجبا
وذكرت له قصة هذه الشاة
التي نزلت من أعلى الجدار
فقال الرجل لعل الله تعالى
بدلنا خيرا منها فكان
كذلك فكانت تلك الشاة
تحلب لبنا وهذه تحلب
لبنا وعسلا وهذا كله
ببركة اكرام الضيف قال
فتعجبنا من ذلك ثم قالت
يا أولادي ان شويهتنا هذه
ترعى في قلوب المريدين
فاذا طابت قلوبهم طاب
لبنها واذا تغيرت قلوبهم
تغير لبنها فطيبوا قلوبكم
(قلت) وقد عنت بذلك

هذا حتى تعلم ان احدا لا يملك له شيأ دونى فلما قال لهم ذلك رجعوا وقد ملئوا منه رعبا فلما ساروا الى الملك ووصلوا اليه قالوا له ما قال لهم الياس واخبروه بان الياس انحط عليهم من الجبل وهو رجل نحيف طويل وقد قشف وقحل وتمعط شعره ويبس جلده وعليه جبة من شعر وعباءة قد خللها على صدره بخلال فاستوقفنا فلما وقفنا صار معنا فقذف له فى قلوبنا الرعب والهيبة وتقطعت السنتنا ونحن فى هذا العدد الكثير وهو واحد فلم نقدر ان نكلمه ونراجعه وملأ أعيننا منه حتى رجعنا اليك ثم انهم قصوا عليه كلام الياس فقال لاجب لا ننتفع بالحياة مادام الياس حيا ما الذى منعكم ان تبطشوا به حين لقيتموه وتوثقوه وتأتونى به وانتم تعلمون انه طلبتى وعدوى قالوا له قد اخبرناك بالذى منعنا عنه ومن كلامه والبطش به فقال لاجب اذا ما نطيق الياس الا بالمكر والخديعة فقيض له خمسين رجلا من قومه من ذوى القوة والباس وعهد اليهم عهده وأمرهم بالاحتيال عليه وان يطمعوه بانهم قد آمنوا به هم ومن وراءهم ليطمئن اليهم ويغتر بهم ويمكنهم من نفسه فيأتون به ملكهم فانطلقوا حتى ارتقوا ذلك الجبل الذى فيه الياس عليه السلام ثم انهم تفرقوا فيه وهم ينادون باعلى أصواتهم ويقولون يانبي الله ابرز لنا واشرف علينا بنفسك فانا قد آمنا بك وصدقناك وملكنا لاجب وكذلك جميع قومنا مقرون بذلك ويقرؤن عليك السلام ويقولون قد بلغتنا رسالتك وعرفنا ما قلت وآمنا بك واجبناك الى ما دعوتنا اليه فهلم الينا فانت نبينا ورسول ربنا فاقم بين اظهرنا واحكم بيننا فانا ننقاد الى ما امرتنا وننتهى عما نهيتنا وليس يسعك ان تتخلف عنا بعد ايماننا بك وطاعتنا لك فتداركنا وارجع الينا كل هذا كان مكرا منهم وخديعة فلما سمع الياس مقالتهم وقع فى قلبه ايمانهم وخاف الله واشفق من سخطه ان هو لم يظهر لهم ولم يجبهم بعد الذى سمع منهم فلما صمم على البروز اليهم رجع الى نفسه وقال لو انى دعوت الله تعالى فسألته ان يعلمنى ما فى نفوسهم ويطلعنى على حقيقة امرهم وكان ذلك الهاما من الله تعالى وتوفيقا له فقال اللهم ان كانوا صادقين فيما يقولون فائذن لى فى البروز اليهم وان كانوا كاذبين فاكفنيهم وارمهم بنار تحرقهم جميعا فما استتم قوله حتى حصبوا بالنار من فوقهم فاحترقوا اجمعون قال وبلغ لاجب وقومه الخبر فلم يرتدع عن ضمير السوء واحتال ثانيا فى امر الياس فقيض لهم فئة اخرى مثل عدد اولئك واقوى منهم وأمكن فى الحيلة والرأي فاقبلوا حتى وافوا ذلك الجبل وارتقوه متفرقين وجعلوا ينادون يانبي الله انا نعوذ بالله وبك من غضب الله وسطوته انا لسنا كالذين اتوك قبلنا اولئك فرقة نافقوا وخالفوا فصاروا اليك ليمكروا بك من غير رأينا ولو علمنا بهم لقتلناهم والآن قد كفاك الله امرهم وأهلكهم بسوء نياتهم وانتقم لنا ولك منهم فلما سمع الياس مقالتهم دعا الله بدعوته الاولى فامطر عليهم نارا فاحترقوا جميعا عن آخرهم كل ذلك وابن الملك فى البلاء الشديد من وجعه كما وعده الله تعالى على لسان نبيه الياس لا يقضى عليه فيموت ولا يخفف عنه من عذابه فلما سمع الملك بهلاك اصحابه ثانيا ازداد غيظا الى غيظه واراد ان يخرج فى طلب الياس بنفسه الا انه شغله عن ذلك مرض ابنه فوجه نحو الياس الكاتب المؤمن الذى هو كاتب امرأته رجاء أن يأنس اليه فينزل معه واظهر للكاتب انه لا يريد بالياس سوأ ولا مكروها وانما اظهر له ذلك لما اطلع عليه من ايمانه وكان الملك مع اطلاعه على ايمانه مغضيا عنه لما هو عليه من الكفاية والامانة والحكمة وسداد الرأى والبصارة بالامور فلما وجهه نحوه ارسل معه فئة من اصحابه وعهد اليهم دون الكاتب ان يوثقوا الياس ويأتوه به ان اراد التخلف عنهم وان جاء معهم آنسا بالكاتب وانما بمكانته لم يوحشوه ولم يروعوه ثم انه اظهر للكاتب الانابة فقال له انه قد آن لى ان اتوب واتعظ فقد اصابتنا بلايا من حريق اصحابنا والبلاء الذى فيه ابني وقد عرفت ان ذلك بدعوة الياس ولست آمن ان يدعو على وعلى جميع قومي فنهلك بدعوته فكن رسولنا اليه واخبره انا قد تبنا وأنبنا وانه لا يصلحنا فى توبتنا وما نريده من رضا ربنا وخلع اصنامنا الا ان يكون الياس بين اظهرنا يامرنا وينهانا

أين غرق ولدى فقال المعلم ههنا فصاحت به ابني محمد فاجابها من النهر لبيك يا أماه فنزلت وأخذت بيده ومضت الى منزلها فالتفتت المصرى الي الجنيد وقال أى شيء هذا فقال الجنيد أقول ان هذه المرأة مراعية لله عز وجل عليها وهذا حكم من كان مراعيا لله عز وجل عليه فلهذا لا تحدث حادثة حتى تعلم بها فلما كان دأبها ذلك لم تكن حادثة الا علمتها فانكرت ذلك وقالت ان ربي لم يفعل ذلك وهذا من صدقها مع مولاها رضى الله تعالى عنها ونفعنا بها فى الدنيا والآخرة وأمدنا من مصدرها آمين

﴿وحكى عن مالك بن دينار عفا الله عنه انه قال﴾ خرجت حاجا الى بيت الله الحرام سنة من السنين فبينما انا في الطريق واذا بشاب يمشي بلا زاد ولا راحلة فسلمت عليه فرد على السلام فقلت أيها الشاب ومن أين أنت قال من عنده فقلت والى أين قال اليه فقلت وأين الزاد والراحلة فقال عليه فقلت له ان الطرق لا تقطع الا بالمأكل والمشرب فهل معك شيء قال نعم قد تزودت عند خروجي من

ويخبرنا بما يرضي ربنا قال ثم انه امر قومه ان يعتزلوا الاصنام وقل له اخبر الياس بانا قد خلعنا آلهتنا التي كنا نعبد وقد اهملنا امرها حتي ينزل الينا فيكون هو الذي يحرقها ويهلكها وكان ذلك كله مكرا من الملك قال فانطلق الكاتب والفئة معه حتى علوا الجبل الذى فيه الياس فناداه الكاتب فعرف الياس صوته فتاقت نفسه اليه وانس به وكان مشتاقا الى لقائه فأوحي الله تعالى الى الياس عليه السلام ان ابرز الى اخيك الصالح فالقه وجدد منه العهد فبرز اليه وصافحه وسلم عليه وقال له ما الخبر فقال له المؤمن انه قد بعثني اليك هذا الجبار الطاغي وقومه وقص عليه ما قاله وقال انى لخائف ان رجعت اليه ولست معي ان يقتلني فامرني بما شئت ان افعله وانتهي اليه ان شئت انقطعت اليك وكنت معك وتركته وان شئت جاهدته معك وان شئت ارسلتني اليه بما تحب فابلغه رسالتك وان شئت دعوت ربك يجعل لنا من امرنا فرجا ومخرجا فاوحى الله تعالى الى الياس ان كل ما جاءك منهم مكر وكذب ليظفروا بك وان لاجب ان اخبرته رسله انك قد لقيت هذا الرجل ولم يات بك اليه فانه يتهمه ويعرف انه قد داهن فى امرك ولم يامن ان يقتله فانطلق معه فان انطلاقك معه عذره وبراءته عند لاجب وانى ساشغله عنكما واضاعف على ابنه البلاء حتى لا يكون له هم غيره ثم اميته على شر حال فاذا مات هو فارجع انت ولا تقم عنده قال فانطلق الياس معهم حتى قدموا على لاجب فلما دخلوا عليه شدد الله على ابنه الوجع واخذ الموت يكظمه فشغل الله بذلك لاجب واصحابه عن الياس ورجع الياس سالما الى مكانه فلما مات ابن لاجب وفرغوا من امره وقل جزعه انتبه لالياس وسأل عنه الكاتب المؤمن الذى جاء به فقال له ليس لى به علم وذلك انه قد شغلني عنه موت ابنك والجزع عليه ولم اكن احسبك الا قد استوثقت منه فاطرق عنه لاجب وتركه لما كان به من الحزن على ابنه فلما طال الامر على الياس من المكث في الجبل والمقام به واشتاق الى العمران والناس فنزل من الجبل وانطلق حتي نزل بامرأة من بني اسرائيل وهي ام يونس بن متى ذي النون فاستخفى عندها ستة اشهر ويونس ابنها يومئذ مولود رضيع وكانت ام يونس تخدمه بنفسها وتواسيه بذات يدها ولا تدخر عنه كرامة تقدر عليها قال ثم ان الياس عليه السلام سئم ضيق البيوت بعد قعوده في الجبال ودوحها فاحب اللحوق بالجبال فعاد الى مكانه في الجبال فجزعت ام يونس لفراقه وأوحشها فقده ثم لم يلبث الا قليلا حتي مات ابنها يونس حين فطمته فعظمت مصيبتها به فخرجت فى طلب الياس فلم تزل ترقى الجبال وتطوف فيها حتي عثرت عليه ووجدته فسلمت عليه وقالت له انى فجعت بعدك بموت ابني وعظمت به مصيبتي واشتد لفقده بلائى وليس لي ولد غيره فارحمني وادع ربك تعالى ان يحيى لى ابنى ويجبر مصيبتى فانى قد تركته مسجى لم ادفنه وقد اخفيت مكانه فقال لها الياس عليه السلام ليس هذا مما امرت به وانما انا عبد مأمور أعمل بما امرني ربى به ولم يامرنى بهذا فجزعت المرأة وتضرعت فعطف الله قلب الياس عليها فقال لها ومتى مات ابنك فقالت منذ سبعة ايام فانطلق الياس عليه السلام معها وسار سبعة ايام حتى اتى الي منزلها فوجد ابنها يونس ميتا منذ أربعة عشر يوما فتوضأ الياس وصلى ودعا فاحيا الله يونس بن متى فلما عاش وجلس وثب الياس وانصرف وتركه وعاد الى موضعه قال فلما طال عصيان قومه ضاق الياس بذلك ذرعا واجهده البلاء فاوحى الله اليه بعد سبع سنين وهو خائف مذعور مجهود يا الياس ما هذا الحزن والجزع الذى انت فيه الست امبني على وحيي وحجتي فى ارضي وصفوتي من خلقي فاسألني اعطك فانى ذو الرحمة الواسعة والفضل العظيم قال الياس عليه السلام تميتني وتلحقني بآبائى فانى قد مللت بني اسرائيل وملوني وابغضتهم فيك وابغضوني فاوحى الله اليه يا الياس ما هذا اليوم الذى اعرى منك الارض واهلها وانما قوامها وصلاحها بك واشباهك ولكن سلني اعطك قال الياس فان لم تمتني يا الهي فاعطني ثاري من بني اسرائيل فأوحى الله تعالي اليه فأي شيء تريد ان اعطيك يا الياس قال تمكنني من خزائن السماء سبع سنين فلا تنشيء عليهم سحابة الا بدعوتي ولا

بلدى بخمسة أحرف فقلت وماهي فقال قوله تعالى كهيعص فقلت وما معني كهيعص فقال أما قوله كاف فهو الكافى واما الهاء فهو الهادى واما الياء فهو الذى يأوى واما العين فهو العالم واما الصاد فهو الصادق فمن صحب كافيا وهاديا ومؤويا وعالما وصادقا فلا يضيع ولا يخشى ولا يحتاج الى الزاد والراحلة قال مالك فلما سمعت منه هذا الكلام نزعت قميصى لألبسه فابى ان يقبله وقال ياشيخ العرى خير من ثياب الدني حلالها حساب وحرامها عقاب فكان اذا جن الليل يرفع وجهه نحو السماء ويقول يامن لا تنفعه الطاعات ولا تضره المعاصى هب لى ما لا ينفعك واغفرلى ما لا يضرك فلما احرم الناس والبوا قلت له لم لا تلبي فقال ياشيخ اخاف ان اقول لبيك فيقول لا لبيك ولا سعديك لا اسمع كلامك ولا انظر اليك ثم مضى وغاب عن بصرى فرايته الا بمنى وهو يبكى ويقول ان الحبيب الذى يرضيه سفك دمي

دمي حلال له في الحل والحرم

والله لو علمت روحى لمن عشقت

تقطر عليهم سبع سنين قطرة الا بشفاعتي فانهم لا يذلهم الا ذلك قال الله تعالى يا الياس انا ارحم بعبادي من ذلك وان كانوا ظالمين قال فست سنين قال انا ارحم بخلقي من ذلك وان كانوا ظالمين قال فخمس سنين قال انا ارحم بخلقي من ذلك وان كانوا ظالمين قال فاربع سنين قال انا ارحم بخلقي من ذلك وان كانوا ظالمين ولكنني اعطيك ثارك منهم ثلاث سنين اجعل خزائن المطر بيدك ولا انشر عليهم سحابة الا بدعوتك ولا انزل عليهم قطرة الا بشفاعتك قال الياس فبأي شيء اعيش قال اسخر لك جيشا من الطير تنقل اليك طعامك وشرابك من الريف والارض التي لم تقحط قال الياس قد رضيت فامسك الله المطر عنهم ثلاث سنين حتى هلكت المواشي والدواب والهوام والشجر وجهد الناس جهدا شديدا والياس على حاله مختف من قومه بموضع يساق له فيه الرزق ويأتيه حيثما كان وقد عرفه بذلك قومه فكانوا اذا وجدوا ريح الخبز في بيت قالوا لقد دخل الياس هذا المكان فيطلبونه ويلقى منهم اهل ذلك المكان شرا قال ابن عباس اصاب بني اسرائيل القحط ثلاث سنين متواليات فمر الياس بعجوز فقال لها هل عندك طعام فقالت نعم شيء من دقيق وزيت قليل فجاءته بشيء من الدقيق والزيت فدعا فيهما بالبركة ومسهما فبارك الله في ذلك حتى ملأت جرابها دقيقا وملأت خوابيها زيتا فلما رأى بنوا اسرائيل ذلك عندها قالوا لها من اين لك هذا قالت مر بي رجل من حاله كذا وكذا ووصفته بصفته فعرفوه وقالوا هذا ذلك الياس ثم انهم طلبوه فوجدوه فهرب منهم الى الجبال والله اعلم

﴿ قصة اليسع عليه السلام ﴾

ثم ان الياس اتى الى بيت امرأة من بني اسرائيل لها ابن يسمى اليسع بن أخطوب وكان به ضر فآوته واخفت امره فدعا له فعوفي من الضر الذي كان به واتبع اليسع الياس وآمن به وصدقه ولزمه فكان يذهب معه حيثما ذهب وكان الياس قد اسن وكبر وكان اليسع غلاما شابا ثم ان الله تعالى اوحى الى الياس عليه السلام انك قد اهلكت كثيراً من الخلق ممن لم يعصوني سوى بني اسرائيل من البهائم والدواب والهوام والشجر والنبات بحبس المطر عن بني اسرائيل فيزعمون والله اعلم ان الياس قال رب دعني اكون الذي ادعو لهم وآتيهم بالفرج مما هم فيه من البلاء الذي اصابهم لعلهم يرجعون عما هم عليه من عبادة غيرك فقيل له نعم فجاء الياس الى بني اسرائيل وقال لهم ويلكم انكم قد هلكتم جوعا وجهدا وقد هلكت البهائم والدواب والطير والشجر والنبات بحبس المطر عنكم بخطاياكم وانكم على باطل وغرور فان كنتم تحبون ان تعلموا ان اصنامكم التي تدعونها من دون الله لا تغني عنكم شيئا فاخرجوا باصنامكم هذه فان استجابت لكم فذلك كما تقولون وان هي لم تفعل علمتم انكم على باطل وغرور فنزعتم عنها ودعوت الله تعالى ان يفرج عنكم ما انتم فيه من البلاء قالوا انصفت فخرجوا ومعهم اوثانهم فدعوها فلم تستجب لهم ولم تفرج عنهم ما كانوا فيه من البلاء فقالوا يا الياس انا قد هلكنا فادع الله لنا فدعا الله الياس ومعه اليسع عليهما السلام بالفرج مما هم فيه وان يسقوا فخرجت سحابة مثل الترس على ظهر البحر وهم ينظرون اليها فاقبلت نحوهم وطبقت عليهم الافق ثم ارسل الله عليهم المطر فاغاثهم واحييت بلادهم قال فشكوا الى الياس هدم الجدران وعدم البذر وقالوا ليست لنا حبوب فاوحى الله تعالى اليه ان يامرهم بان يبذروا الملح في الارض ففعلوا فانبت الله لهم منه الحمص وامرهم ان يبذروا الرمل فانبت الله لهم منه الدخن فلما كشف الله تعالى عنهم الضر نقضوا العهد ولم ينزعوا عن كفرهم ولم يقلعوا عن ضلالاتهم واقاموا على اخبث ما كانوا عليه فلما رأى الياس ذلك دعا ربه ان يريحه منهم فقيل له انتظر يوم كذا وكذا فاخرج الى موضع كذا وكذا فاذا جاءك شيء فاركبه ولا تهبه فخرج الياس ومعه اليسع بن اخطوب حتى اذا كانا بالموضع الذي أمر بالخروج اليه أقبل فرس من نار حتى وقف بين يديه فوثب عليه الياس فانطلق به

قامت على راسها بهجبه عن القدم

يا لائمي لا تلمني في هواه
فلو عاينت منه الذى
عاينت لم تطوف بالبيت
قوم لو بجارحة
لله طافوا لاغناهم عن
الحرم ضحى الحبيب
بنفسي يوم عيدهم
والناس ضحوا بمثل الشاة
والغنم
للناس حج ولا حج الى
سكني تهدى الاضاحي
واهدى مهجتي ودمي

ثم قال اللهم ان الناس ذبحوا وتقربوا اليك بضحاياهم وهديهم وليس لي شيء اتقرب به اليك سوى نفسي فتقبلها مني ثم شهق شهقة فخر ميتا رحمة الله تعالى عليه واذا بقائل يقول هذا حبيب الله هذا قتيل الله قتل بسيف الله قال فجهزته وواريته بالتراب ثم بت تلك الليلة متفكرا في امره فرايته في المنام وعليه ثياب من السندس والاستبرق فقلت له ما فعل الله بك فقال فعل بي كما فعل بالشهداء يوم بدر فهم قتلوا بسيف الكفار وانا قتلت بعشق الملك العزيز الجبار قال فتعجبت منه رضى الله تعالى عنه (وحكي عن البهلول رضى الله عنه انه قال) بينما انا في يوم من الايام مار في شوارع

الفرس فناداه اليسع يا الياس ما تأمرني به فقذف اليه كساءه من الجو الاعلى فكان ذلك علامة على استخلافه اياه على بني اسرائيل وذهب الياس فكان ذلك آخر العهد به ورفع الله الياس من بين اظهرهم وقطع عنه لذة المطعم والمشرب وكساه الريش وكان انسيا ملكيا سماويا ارضيا وسلط الله تعالى على لاجب الملك وامرأته وقومه عدوا لهم فقصدهم من حيث لا يشعرون به حتى رهقهم فقتل لاجب الملك وامرأته في بستان مزدكى فلم تزل جيفتاهما ملقاتين في تلك الجنينة حتى بليت لحومهما ورمت عظامهما ونبأ الله تعالى بفضله اليسع عليه السلام وبعثه نبيا ورسولا الى بني اسرائيل واوحى الله تعالى اليه وايده بمثل ما ايد به عبده الياس فآمنت به بنو اسرائيل وكانوا يعظمونه و ينتهون الى رأيه وامره وحكم الله تعالى فيهم قائم الى ان فارقهم اليسع (اخبرنا) ابو عبد الله الحسن بن محمد الحافظ عن عبد العزيز بن ابي داود قال ان الخضر والياس عليهما السلام يصومان شهر رمضان ببيت المقدس و يوفيان الموسم في كل عام (وأخبرني) ابن فنجويه عن رجل من اهل عسقلان انه كان يمشي بالاردن عند نصف النهار فرأى رجلا فقال يا عبد الله من انت فقال انا الياس قال فوقعت علي رعدة شديدة فقلت له ادع الله لي ان يرفع عني ما اجد حتى افهم حديثك واعقل عنك قال فدعا لي بثمان دعوات وهن يا بر يا رحيم يا حنان يا منان يا حي يا قيوم ودعوتين بالسريانية لم افهمهما وقيل هما باهيا شراهيا فرفع الله عني ما كنت اجد ووضع كفه بين كتفي فوجدت بردها بين يدي فقلت ايوحى اليك اليوم فقال منذ بعث محمد صلى الله عليه وسلم رسولا فانه لا يوحى الي قال فقلت له فكم من الانبياء اليوم احياء قال اربعة اثنان في الارض واثنان في السماء اما اللذان في السماء فعيسى وادريس عليهما السلام واما اللذان في الارض فالياس والخضر عليهما السلام قلت كم الابدال قال ستون رجلا خمسون منهم من لدن عريش مصر الى شاطئ الفرات ورجلان بالمصيصة ورجل بعسقلان وسبعة في سائر البلدان كلما اذهب الله واحدا منهم جاء بآخر مكانه وبهم يدفع الله عن الناس البلاء وبهم يمطرون قلت فالخضر اين يكون قال في جزائر البحر فقلت هل تلقاه قال نعم قلت اين قال بالموسم قلت فما يكون حديثكما قال يأخذ من شعري وآخذ من شعره قال وكان ذلك حين جرى بين مروان بن الحكم وبين اهل الشام القتال قلت فما تقول في مروان بن الحكم قال رجل جبار عات على الله تعالى والقاتل والمقتول الشاهد في النار قلت فاني قد شهدت ولم اطعن برمح ولا رميت بسهم ولم اضرب بسيف وانا استغفر الله من ذلك المقام ان اعود الى مثله ابدا قال احسنت فهكذا فكن قال فبينما انا واياه قاعدان اذ وضع بين يديه رغيفان اشد بياضا من الثلج فأكلت انا وهو رغيفا وبعض الآخر ثم رفعت رأسي وقد رفع باقي الرغيف الآخر فما رأيت احدا وضعه ولا رأيت احدا رفعه قال وله ناقة ترعى في وادي الاردن فرفع رأسه اليها فلما دعاها جاءت وبركت بين يديه فركبها فقلت له اني اريد ان اصحبك قال انك لا تقدر على صحبتي قال فقلت له اني خلو لا زوجة لي ولا عيال قال تزوج واياك والنساء الاربع الناشزة والمختلعة والملاعنة والبرزة وتزوج ما بدا لك من النساء قال فقلت اني احب ان القاك قال فاذا رأيتني فقد لقيتني اني اعتكف في بيت المقدس في شهر رمضان ثم حالت بيني وبينه شجرة فوالله ما ادري كيف ذهب وهذا اخر القصة

﴿ مجلس في قصة ذي الكفل عليه السلام ﴾

قال الله تعالى واسمعيل وادريس وذا الكفل كل من الصابرين قال مجاهد لما كبر اليسع قال لو أني استخلفت رجلا على الناس يعمل عليهم في حياتي حتى انظر كيف يعمل فجمع الناس ثم قال من يتكفل لي بثلاث استخلفه يصوم النهار ويقوم الليل ولا يغضب فقام اليه رجل شاب تزدريه العيون فقال انا فرده ذلك اليوم وقال مثلها في اليوم الثاني فسكت الناس فقام ذلك الرجل وقال انا اعمل ذلك فاستخلفه

قال

البصرة فاذا بصبيان يلعبون باللوز والجوز واذا بصبي ينظر اليهم وهو يبكي فقلت في نفسي هذا الصبي يبكي تحسرا على ما في أيدي هؤلاء الصبيان ولا شيء معه فتقدمت اليه وقلت له يا ولدي ما يبكيك أشتري لك من ذلك ما تلعب به مع الصبيان قال فرفع الصبي رأسه وقال يا قليل العقل ما للعب خلقنا فقلت له يا ولدي فلما ذا خلقنا فقال للعلم والعبادة فقلت له من أين لك هذا بارك الله فيك فقال من قوله تعالى افحسبتم انما خلقناكم عبثا وانكم الينا لا ترجعون قال البهلول فتعجبت من كلام الصبي على صغر سنه وقلت له يا ولدي أراك حكيما فعظني فانشد يقول شعرا

أري الدنيا تجهز بانطلاق مشمرة على قدم وساق
فلا الدنيا بباقية لحي ولا حي على الدنيا بباق
كأن الموت والحدثان فيها الى نفس الفتى فرسا سباق
فيا مغرور بالدنيا رويدا ومنها خذ لنفسك بالوثاق

قال ثم رمق بطرفه الى السماء وأشار اليه بكفه ودموعه تجري على خده وخر مغشيا عليه فرفعت رأسه الى حجري ومسحت التراب عن وجهه فلما افاق

قال فلما رأى ابليس ذلك جعل يقول للشياطين عليكم بفلان فاعياهم فقال دعونى واياه فاتاه فى صورة شيخ كبير فقير حين اخذ مضجعه للقائلة وكان لا ينام بالليل والنهار الا تلك النومة فدق ابليس الباب فقال من هذا فقال شيخ كبير مظلوم ففتح الباب فجعل يقص عليه القصة و يقول ان بينى و بين قومى خصومة وانهم ظلمونى وفعلوا وفعلوا وجعل يطول عليه حتى حضر وقت الرواح وذهبت القائلة فقال له اذا رحت فانى آخذ لك بحقك فانطلق وراح الى مجلسه فلما جلس جعل ينظر ايرى الشيخ فلم يره وقام يتتبعه فلما كان الغد جعل يقضى بين الناس و ينتظره فلم يره فلما رجع الى القائلة وأخذ مضجعه اتاه فدق الباب فقال من هذا فقال انا الشيخ المظلوم ففتح له وقال الم أقل لك اذا قعدت فائتنى فقال انهم أخبث قوم اذا عرفوا انك قاعد يقولون نحن نعطيك حقك واذا قمت جحدونى قال فانطلق فاذا رحت فائتني وفاتته القائلة فراح واقبل وجعل ينظره فلا يراه فشق عليه النعاس فقال لبعض اهله لا تدعن احدا يقرب هذا الباب حتي اقوم فانه قد شق على عدم النوم فلما كانت تلك الساعة جاء فلم يأذن له احد فلما اعياه نظر فاذا كوة فى البيت فتسور منها فاذا هو فى البيت واذا به يدق الباب من داخل فاستيقظ الرجل وقال يا فلان الم آمرك ان لا تأذن لاحد على فقال اما من قبلى فما اتى فانظر من قبل من اتى فقام الى الباب فاذا هو مغلق كما اغلقه واذا الشيخ معه فى البيت فقال له اتنام والخصوم بباب فعرفه فقال له يا عدو الله ما الجأك الى هذه الفعال فقال له انك اعييتنى في كل شيء اردت بك ففعلت معك ماتري لاغضبك فعصمك الله مني فسمى ذا الكفل لانه تكفل بامر توفى به (اخبرنا) ابن فنجويه قال حدثنا عمر بن المفضل عن أبي هاشم (اخبرنا) ابن المفضل قال اخبرنا الاعمش عن عبدالله بن عبيدالله الداري عن سعيد عن ابن عمر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يحدث حديثا لو لم اسمعه الا مرة او مرتين لم احدث به سمعته منه اكثر من سبع مرات يقول كان فى بني اسرائيل رجل يقال له ذو الكفل لا ينزع عن ذنب عمله فاتبع امرأة فاعطاها ستين دينارا على ان تعطيه نفسها فلما قعد منها مقعد الرجل من المرأة ارتعدت و بكت فقال لها ما يبكيك فقالت من هذا العمل فانى ما فعلته قط فقال لها اكرهتك قالت لا ولكن حملتني عليه الحاجة فقال لها اذهبي فهي لك ثم انه قال والله لا اعصى الله بعدها قط ابدا فمات من ليلته فقيل مات ذو الكفل فوجدوا على باب داره مكتوبا ان الله تعالى قد غفر لذي الكفل * وقال ابو موسي الاشعرى ان ذا الكفل لم يكن نبيا وانما كان عبدا صالحا تكفل بعمل رجل صالح وكان يصلى لله تعالى فى كل يوم مائة صلاة فاحسن الله عليه الثناء وقيل هو الياس وقيل هو زكريا والله اعلم بالصواب

﴿ مجلس فى قصة عيلى وشمويل وهو اسمعيل بالعبرانية وقصة التابوت
وخبر طالوت وجالوت وهذه قصة كبيرة تشتمل على ابواب كثيرة ﴾

قال الله تعالى ألم تر الى الملأ من بنى اسرائيل الآية

﴿ فصل فى سياق الآية ومقدمة القصة ﴾ قال وهب بن منبه لما نبأ الله تعالى اليسع بعد الياس عليهما السلام واستخلفه على بني اسرائيل وكان فيهم ماشاء الله ان يكون ثم قبضه الله تعالى اليه وخلف فيهم الخلوف تعظمت فيهم الخطايا وكان عندهم التابوت يتوارثونه كابرا عن كابر فيه السكينة و بقية مما ترك آل موسى وآل هرون وكانوا لا يلقاهم عدو فيقدموا التابوت و يزحفون به معهم الا هزم الله تعالى ذلك العدو وكان الله تعالي قد بارك لهم فى ارزاقهم فكان احدهم فيما يذكرون يجمع التراب على صخرة ثم يبذر فيه الحب فيخرج الله له ما يأكل منه هو وعياله ويكون لاحدهم الزيتونة فيعصر منها ما يأكل هو وعياله سنة فلما كثرت احداثهم وعظمت ذنوبهم وتركوا ما عهد الله اليهم سلط الله عليهم العمالقة وهم قوم كانوا يسكنون

قلت له ياولدي ما نزل بك وأنت صبي صغير ولم يكن عليك ذنب فقال اليك عني يابهلول فانى رأيت امى توقد النار في صغار الحطب قبل الكبار فقلت لها لم لا توقدين النار في الكبار فقط فقالت ياولدى لا توقد الكبار الا بالصغار وانى أخشي أن اكون من صغار حطب جهنم قال البهلول فغشي على ساعة وانصرف الغلام من بين يدي فلما افقت نظرت الى الصبيان فلم أر الصبي بينهم فسألتهم من يكون ذلك الصبي فقالوا أوما تعرفه فقلت لا فقالوا هذا من اولاد الحسين بن على ابن ابى طالب رضوان الله تعالى عليهم اجمعين ونفعنا بهم وبانفاسهم الطاهرة ﴿ وحكى عن حبيب العجمى رضى الله تعالى عنه ﴾ انه قال كان لى زوجة سيئة الخلق كنت اخشاها لسوء خلقها فقالت لى يوما من الايام اذا لم يفتح عليك فلا تدخل الينا ولا ترنا وجهك قال فخرجت من عندها الى الجبانة مهموما مغموما فصرت أصلى الى العشاء ثم أتيت الى البيت خجلا من توبيخها مشغول القلب من شرها فلما دخلت البيت قامت على وقالت أين اجرتك التى

غزة وعسقلان وساحل البحر مابين مصر وفلسطين وكان جالوت الملك فيهم فظهروا على بنى اسرائيل وغلبوهم على كثير من أراضيهم وسبوا كثيراً من ذراريهم وأسروا من ابناء ملوكهم اربعمائة واربعين غلاما وضربوا عليهم الجزية واخذوا توراتهم وبقوا على اضطراب من أمرهم واختلاف من حالهم يتمادون احيانا فى غيهم وضلالتهم فسلط الله تعالى عليهم من ينتقم له منهم ليرجعوا الى التوبة احيانا ويكفيهم الله شر من بنى عليهم حتى بعث الله فيهم طالوت ملكا ورد عليهم توراتهم فانتظم أمرهم واستوثق ملكهم وكان مدة مابين وفاة يوشع بن نون الى آل أمر بني اسرائيل في بعضها الى السآمة منهم وفى بعضها الى غيرهم ممن يقهرهم ويتملك عليهم الى ان ثبت الملك فيهم ورجعت النبوة اليهم بشمويل النبي عليه السلام اربعمائة سنة وستين سنة وكان آخر من ملكهم في هذه المدة رجل يقال له ايلاف وكان يدبر أمرهم في ملكه شيخ كبير يقال له عيلى الكاهن كان حبرهم وصاحب قربانهم وكانوا ينتهون الى رأيه فلما مضى من وقت قيامه بامرهم مدة بعث الله شمويل نبيا

﴿ القول في بدء أمر شمويل وصفة نبوته صلى الله على نبينا وعليه وسلم ﴾

قال وهب بن منبه كان لابى شمويل امرأتان احداهما عجوز عاقر لم تلد له ولداً وهى أم شمويل والاخرى قد ولدت له عشرة اولاد قال وكان لبنى اسرائيل عيد من اعيادهم اقاموا فيه شرائطه وقربوا القرابين فحضر ابو شمويل وامرأتاه واولاده العشرة ذلك العيد فلما قربوا قربانهم أخذ كل واحد منهم نصيبا وكان لام الاولاد عشرة انصباء وللعجوز نصيب واحد فعمل الشيطان بينهما مايعمل بين الضرائر من الحسد والبغى فقالت ام الاولاد للعجوز الحمد لله الذى كثرنى بولدى وقلك فوجمت العجوز وجوما شديداً فلما كان عند السحر عمدت الى متعبدها فقالت اللهم بعلمك وسمعك كانت مقالة صاحبتي واستطالتها على بنعمك التى انعمتها عليها وانت ابتدأتها بالنعمة والاحسان فارحم ضعفى وارزقنى ولداً تقيا رضيا واجعله لك ذخرا في مسجد من مساجدك يعبدك ولا يكفرك ويطيعك ولا يجحدك فاذا رحمت ضعفى ومسكنتى وأجبت دعوتى فاجعل لى علامة أعرف بها قبول دعائى فلما أصبحت حاضت وكانت قبل ذلك قد يئست من الحيض فجعله الله علامة لما سألته فالم بها زوجها فحملت وكتمت امرها ولقى بنو اسرائيل فى ذلك الوقت من عدوهم بلاء وشدة ولم يكن لهم نبي يدبر امرهم فكانوا يسألون الله تعالى ان يبعث لهم نبيا يشير عليهم ويجاهدون عدوهم معه وكان سبط النبوة قد هلك ولم يبق منه الا تلك المرأة الحبلى فلما علموا بحملها تعجبوا من امرها وقالوا ما حملك هذه الا نبي لان اليائسات لا يحملن الا بالانبياء كسارة امرأة ابراهيم عليه السلام حملت باسحق وايشاع امرأة زكريا حملت بيحيي عليه السلام فاخذوها وحبسوها فى بيت رهبة ان تلد جارية فتبدلها بغلام لما ترى من رغبة بني اسرائيل في ولدها فجعلت المرأة تدعو الله تعالى ان يرزقها ولداً ذكراً فولدت غلاما وسمته شمويل تقول سمع الله دعائى فلما شب الغلام أسلمته ليتعلم التوراة فكفله عيلى وتبناه فلما بلغ الغلام الوقت الذى يبعثه الله فيه نبيا أتاه جبريل عليه السلام وهو نائم الي جانب الشيخ عيلى الكاهن وكان لا يأمن عليه احدا فدعاه جبريل بلحن الشيخ ياشمويل فقام الغلام فزعا مرعوبا الى الشيخ وقال يا أبتاه أدعوتني فكره الشيخ ان يقول لا فيفزع الغلام فقال يا بنى ارجع فنم فرجع الغلام فنام ثم دعاه جبريل ثانيا فانتبه الغلام وقال أدعوتني يا أبتاه فقال الشيخ ماشأنك قال اما دعوتني قال لا فقال شمويل فانى سمعت صوتا في البيت وليس فيه غيرنا فقال له الشيخ ارجع فتوضأ وصل فانك ان دعيت باسمك فاجب وقل لبيك انا طوعك فامرنى بما شئت افعل ماتامرنى به ففعل ذلك الغلام فنودي ثالثة فقال لبيك انا طوعك فامرنى بامرك افعل ماتامرنى به فظهر له جبريل عليه السلام فقال له اذهب الى قومك فبلغهم رسالة ربك فان الله سبحانه عزوجل قد بعثك فيهم نبيا وان الله قد ذرأك يوم ذرأك للنبوة ورحم وحدة أمك ذلك اليوم الذي تاهت

اتيت بها فقلت لها ان الذي ستاجرني كريم واستحييت ان استعجله فى الاجرة قال فسكتت عني فمكثت على ذلك الحال اياما وانا اذهب الى الجبانة واصلى الى الليل وارجع فلما طال عليها الحال قامت على وقالت اطلب أجرتك منه أو اجر نفسك لغيره فصبر على ذلك ووعدتها بان افعل ذلك ثم خرجت الى عادتى فلما جاء الليل رجعت الى منزلى خائفا منها فلما وصلت البيت رأيت دخانا ومائدة منصوبة وزوجتى فرحة مسرورة فتعجبت من ذلك فلما دخلت البيت اتت زوجتى وقالت ان الذى استأجرك بعث الينا ماتبعث الكرماء الى الفقرا وقال رسوله الذي جاء بهذا قولى لحبيب يجد في العمل فان مستاجره لا يؤخر الاجرة بخلا ولا عدما فيفقر عينا ويطيب نفسا ثم ذهبت الي بيت آخر في لدار وأحضرت منه كيسا مملوأة دنانير ذهب أحمر قال حبيب فبكيت عند ذلك وقلت لها أتدرين من بعث الينا ذلك فقالت الذى استاجرك قلت لها والله هذه الاجرة من كريم بيده خزائن السموات

عليها ضرتها فيه فلا احد اليوم اشد منها عضدا ولا ملاذا فانطلق الى عيلي فقل له انك كنت خليفة الله على عباده ودينه فقمت زمانا بارحا كما بكتابه محافظا على حدوده فلما امتدت مدتك ودق عظمك وذهبت قوتك وفنى عمرك وقرب أجلك وصرت افقر ما يكون الى الله تعالى ولم تزل فقيرا اليه عطلت الحدود وجرت بين الخصوم وعملت بالرشا والمصانعات واضعفت حكم الحق حتى عز الباطل واهله وذل الحق وحزبه وظهر المنكر وخفي المعروف وفشا الكذب وقل الصدق وما كان الله عاهدك على هذا ولا عليه استخلفك فبئسما اختتمت به عملك والله لا يحب الخائنين بلغه هذه الرسالة وتم بعد دبالخلافة فلما بلغه شمويل هذه الرسالة فزع وجزع وكان السبب فيما عاتب الله عبده عيلي ووبخه عليه انه كان له ابنان شابان فاحدثا شيئا في القربان لم يكن فيه وذلك انه كان مسواط القربان الذي كانوا يسوطونه به كلابين فما أخرجا كان للكاهن الذي كان يسوطه فجعل ابناه كلاليب فاوحي الله الى شمويل ان انطلق الى عيلي فقل له منعك حب الولد ان تزجر ابنيك ان يحدثا في قرباني وان يعصياني فلانزعن الكهانة منك ومن ولديك ولاهلكنك واياهما فاخبر شمويل عيلي ففزع فزعا شديدا وسار اليهم عدوهم ومن حولهم فامر عيلي ابنيه ان يخرجا بالناس فيقاتلا ذلك العدو فخرجا واخرجا معهما التابوت فلما تاهبوا للقتال جعل عيلي يتوقع ماذا صنع القوم فجاءه رجل وهو قاعد على كرسيه فاخبره بان الناس قد انهزموا وان ابنيك قد قتلا قال فما فعل بالتابوت قال ذهب به العدو قال فشهق ووقع على قفاه من كرسيه فمات فلما بلغ ملكهم ايلاف الخبران التابوت قد سلب وان عيلي قد مات فمات كمدا فلما مات الامير والوزير واخذ التابوت مرج امر بني اسرائيل واختل واجترأ عليهم عدوهم فقالوا لشمويل ابعث لنا ملكا نقاتل في سبيل الله وذلك بعد ما دبر شمويل امرهم عشر سنين فلما نالهم الذل والهوان والقتل والسبي من عدوهم بشؤم معصيتهم سألوا نبيهم شمويل ان يبعث لهم ملكا يقاتلون معه في سبيل الله وانما كان قوام أمر بني اسرائيل بالاجتماع على الملك واطاعة الملك للانبياء وكان الملك هو الذي يسير بالجيوش ويقاتل العدو وكان النبي منهم هو الذي يقيم له امره ويشير عليه ويرشده ويأتيه بالخبر من عند الله تعالى (قال وهب بن منبه) بعث الله شمويل نبيا فلبثوا اربعين سنة في احسن حال ثم كان من امر جالوت والعمالقة ما كان فسألوا شمويل عليه السلام ان يبعث لهم ملكا فذلك قوله تعالى ألم تر الى الملأ من بني اسرائيل من بعد موسى اذ قالوا لنبي لهم ابعث لنا ملكا نقاتل في سبيل الله يعني شمويل وهو بالعبرانية اسمعيل بن بالي بن علقمة بن ماجد بن عموصا بن النهر بن ضون بن علقمة صاحب عموصا بن عزريا وقال مجاهد هو شمويل بن هلفاقا ولم ينسبه اكثر من ذلك وقال مقاتل هو من آل هرون عليه السلام فقال لهم نبيهم هل عسيتم ان كتب عليكم القتال ان لا تقاتلوا فاجابوا بما قص الله في كتابه قالوا وما لنا ان لا نقاتل في سبيل الله وقد أخرجنا من ديارنا الآية فلما اخذ شمويل عليهم الميثاق على الطاعة والجماعة والجهاد سأل الله تعالى ان يبعث لهم ملكا

﴿ ذكر قصة الملك طالوت واتيان التابوت وحرب جالوت وما يتعلق به ﴾

قال الله تعالى وقال لهم نبيهم ان الله قد بعث لكم طالوت ملكا الآية قال المفسرون ان شمويل لما قالوا له ابعث لنا ملكا نقاتل في سبيل الله سأل الله تعالى ان يبعث لهم ملكا فاتى بعصا وقرن فيه دهن القدس وقيل له ان صاحبكم الذي يكون ملكا طوله طول هذه العصا وانظر الى القرن الذي فيه الدهن فاذا دخل عليك رجل فنش الدهن الذي في القرن فهو ملك بني اسرائيل فادهن به رأسه وملكه عليهم ثم انهم قاسوا انفسهم بالعصا فلم يكونوا امثالها وكان طالوت بطولها واسمه بالسريانية شادل وبالعبرانية شاول بن قيس بن افيل بن صارو بن نحورت بن افيح بن انيس بن بنيامين بن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم الخليل عليه

والارض قال فلما سمعت ذلك تغير لونها وارتعدت وتابت الى الله تعالى مما كان منها وقسمت ان لا تعود الى ذلك أبدا رحمة الله تعالى عليها ونفعنا بهم اجمعين ﴿ وحكى عن عطاء بن الازرق رضي الله تعالى عنه انه قال ﴾ دفعت الى زوجتي درهمين لاشتري بهما دقيقا ولم يكن عندنا شيء نقتات به في ذلك اليوم فخرجت الى السوق لشراء الدقيق فرأيت مملوكا في السوق يبكي فقلت له ما يبكيك فقال ياسيدي ان مولاي دفع لي درهمين لاشتري له بهما شيئا فسقطا من يدي واخاف ان ارجع له خائبا فيضربني قال عطاء فحزنت عليه ودفعت له الدرهمين فاخذهما ومضى الى حاجته ثم توجهت الى المسجد فصرت اصلي الى وقت المغرب وانتظرت شيئا فلم يفتح علي بشيء فخرجت من المسجد عند الغروب وجلست في السوق على دكان صديق لي وكان نجارا فلما رأى الجراب معي قال خذ هذه النجارة في جرابك لتحمي بها التنور قال فاخذت منه شيئا من النشارة في الجراب وذهبت الى البيت خائفا من شرها فطرحت الجراب في البيت

السلام وكان رجلا دباغا يعمل الادم (قال وهب بن منبه) كان يدبغ الجلود وعكرمة والسدى يقولان كان سقاء يستقي على حمار له من النيل فضل حماره فخرج في طلبه قال وهب بن منبه بل ضاعت حمر لابي طالوت فارسله وغلاما له يطلبانها فمر ببيت شمويل عليه السلام فقال الغلام لطالوت لو دخلنا على هذا النبي فسألناه في أمر الحمر ليرشدنا ويدعو الله فيها بخير فقال له نعم فدخلا عليه فبينما هما عنده يذكران له خبر الحمر اذ نش الدهن في القرن فقام شمويل وقاس طالوت بالعصا فكانت على طوله فقال له شمويل قرب رأسك الى فدهنه بدهن القدس ثم انه قال له انت ملك بني اسرائيل وقد امرني ربي ان املكك عليهم فقال طالوت انا فقال نعم قال اوما علمت ان سبطي أدنى اسباط بني اسرائيل قال بلى قال أوما علمت ان بيتي ادنى بيت في بني اسرائيل قال بلى قال فبأي آية قال بآية انك ترجع وقد وجد ابوك الحمر فكان كذلك ثم ان شمويل قال لبني اسرائيل ان الله قد بعث لكم طالوت ملكا قال مجاهد أميرا على الجيش فقالوا انى يكون له الملك علينا ونحن احق بالملك منه ولم يؤت سعة من المال وانما قالوا ذلك لانه كان في بني اسرائيل سبطان سبط نبوة وسبط مملكة وكان سبط النبوة سبط لاوي بن يعقوب ومنهم موسى وهرون وسبط المملكة سبط يهوذا بن يعقوب ومنهم داود وسليمان عليهما السلام ولم يكن طالوت من سبط النبوة ولا من سبط المملكة وانما كان من سبط بنيامين بن يعقوب وكانوا عملوا ذنبا عظيما كانوا ينكحون النساء على ظهر الطريق نهارا فغضب الله عليهم ونزع النبوة والملك منهم فلما قال لهم ان الله قد بعث لكم طالوت ملكا أنكروا ذلك لانه كان من ذلك السبط فقالوا انى يكون له الملك علينا ونحن احق بالملك منه ومع ذلك انه فقير لم يؤت سعة من المال فقال لهم شمويل ان الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة في العلم بالحرب والجسم يعني بالطول في قومه والقوة وانما سمي طالوت لطوله ولذلك كان يفوق الناس برأسه ومنكبيه وقال ابن كيسان بالجمال وكان طالوت اجمل رجل في بني اسرائيل واعلمهم والله يؤتي ملكه من يشاء والله واسع عليم قالوا فما آية ذلك قال لهم نبيهم ان آية ملكه ان يأتيكم التابوت الآية

﴿قصة التابوت وصفته وابتداء امره الى انتهائه﴾

قال اهل التفسير واصحاب الاخبار ان الله تعالى أهبط تابوتا على آدم عليه السلام من الجنة حين اهبط الى الارض فيه صور الانبياء من اولاده وفيه بيوت بعدد الرسل منهم وآخر البيوت بيت محمد صلى الله عليه وسلم من ياقوتة حمراء واذا هو قائم يصلي وعن يمينه الكهل المطيع مكتوب على جبينه هذا اول من يتبعه من امته أبو بكر الصديق رضي الله عنه وعن يساره الفاروق وعلى جبهته مكتوب قرن من حديد لا تأخذه في الله لومة لائم ومن ورائه ذو النورين آخذ بحجزته مكتوب على جبهته بار من البررة ومن بين يديه على بن ابى طالب كرم الله وجهه شاهر سيفه على عاتقه ومكتوب على جبهته هذا اخوه وابن عمه المؤيد بالنصر من عند الله وحوله عمومته والخلفاء والنقباء والكبكبة الخضراء انصار الله وانصار رسوله نور حوافر دوابهم يوم القيامة مثل نور الشمس في دار الدنيا وكان التابوت نحوا من ثلاثة اذرع في ذراعين وكان من عود الشمشاذ الذي يتخذ منه الامشاط مموه بالذهب وكان عند آدم عليه السلام الى ان مات ثم عند شيث الى ان مات ثم توارثه اولاد آدم الى ان بلغ الى ابراهيم عليه السلام فلما مات كان عند اسمعيل لانه أكبر ولده فلما مات اسمعيل كان عند ولده قيدار فنازعه فيه ولد اسحق وقالوا له ان النبوة صرفت عنكم وليس لكم الا هذا النور الواحد يعني نور محمد صلى الله عليه وسلم فاعطنا التابوت فكان يمتنع عليهم و يقول انه وصية ابى ولا اعطيه لاحد من العالمين قال فذهب ذات يوم ليفتح ذلك التابوت فعسر عليه فتحه فناداه مناد من السماء مهلا يا قيدار فليس لك الى فتح هذا التابوت سبيل انه وصية نبي ولا يفتحه الا نبي فادفعه الى ابن عمك يعقوب

ورجعت مسرعا الى صلاة العشاء ثم جلست في المسجد حتى مضى نصف الليل خوفا منها ثم جئت الى البيت ونظرت من وراء الحائط فوجدتها تخبز خبزا ذا رائحة مفرحة فتعجبت من ذلك وقلت من أين أتاهم هذا الدقيق ثم دخلت وانا متعجب ثم قلت اين لكم هذا الخبز فقالوا من الدقيق الذى فى الجراب ثم قالت لي زوجتي من هذا اليوم لا تشترلنا الا منه لانه دقيق طيب قال فحمدت الله تعالى على لطفه بعباده وكرمه وفضله (وحكى عن شقيق البلخى رضى الله عنه أنه قال خرجت حاجا الى بيت الله الحرام سنة تسع وأربعين ومائة فنزلت القادسية فبينما انا أنظر الى الى الناس وزينتهم وكثرتهم اذ نظرت الى فتى من احسن الناس وجها وهو متوشح بثوب من صوف من فوق ثيابه مشتمل بشملة وفى رجليه نعلان من خوص قد جلس منفردا عن الناس فقلت في نفسي هذا الفتى من الصوفية يريد أن يكون كلا على الناس في طريقهم والله لامضين اليه وامتحننه واوبخه فدنوت منه فلما رآنى قال ياشقيق

اسرائيل الله فحمل قيذار التابوت على عنقه وخرج يريد ارض كنعان وكان بها يعقوب عليه السلام قال فلما قرب قيذار صر التابوت صرة سمعها يعقوب عليه السلام فقال لبنيه اقسم بالله لقد جاءكم قيذار بالتابوت فقوموا نحوه فقام يعقوب وأولاده جميعا فلما نظر يعقوب الى قيذار سعى اليه باكيا وقال يا قيذار مالي ارى لونك متغيرا وقوتك ضعيفة أأرهقك عدو أم أتيت بمعصية بعد ابيك اسمعيل قال ما ارهقني عدو ولا اتيت معصية ولكن انتقل ظهري نور محمد صلى الله عليه وسلم فلذلك تغير لوني وضعف ركني قال يعقوب افي بنات اسحق قال لا ولكن في العربية الجرهمية وهي الغامرية فقال يعقوب بخ بخ شرفا لمحمد صلى الله عليه وسلم لم يكن الله ليخرجه الا في العربيات الطاهرات يا قيذار وانا مبشرك ببشارة قال وما هي قال اعلم ان الغامرية قد ولدت لك البارحة غلاما قال قيذار وما علمك يا ابن عمي وانت بارض الشام وهي بارض الحرم قال يعقوب قد علمت ذلك لاني رأيت ابواب السماء قد فتحت ورأيت نورا كالقمر الممدود بين السماء والارض ورأيت الملائكة ينزلون من السماء بالبركات والرحمة فعلمت ان ذلك من اجل محمد صلى الله عليه وسلم ثم ان قيذار دفع التابوت الى ابن عمه يعقوب ورجع الى اهله فوجدها قد ولدت غلاما فسماه حملا وفيه نور محمد صلى الله عليه وسلم قالوا وكان التابوت في بني اسرائيل الى ان وصل الى موسى وكان موسى يضع فيه التوراة ومتاعا من متاعه وكان عنده الى ان مات ثم تداولته أنبياء بني اسرائيل الى وقت شمويل عليه السلام فوصل الى شمويل وقد تكامل امر التابوت بما فيه وكان فيه مما ذكر الله في كتابه فيه سكينة من ربكم (واختلفوا في السكينة) ما هي فقال علي ابن ابي طالب كرم الله وجهه السكينة ريح خجوج هفافة لها رأسان ووجهها كوجه الانسان وقال مجاهد لها رأس كرأس الهرة وذنب كذنب الهرة وجناحان وقال محمد بن اسحق عن وهب بن منبه عن بعض علماء بني اسرائيل في السكينة رأس هرة كانت اذا صرخت في التابوت صرخة ايقنوا بالنصر وجاءهم الفتح (وروى) السدى عن ابي مالك عن ابن عباس قال هي طشت من ذهب الجنة يغسل فيه قلوب الانبياء (وروى) بكار بن عبد الرحمن عن وهب بن منبه هي روح من الله تكلمهم اذا اختلفوا في شيء فتخبرهم ببيان ما يريدون وبقية مما ترك آل موسى وآل هرون (قال المفسرون) فيه عصا موسى ورضاض الالواح وذلك ان موسى لما القى الالواح تكسرت فرفع بعضها وجمع ما بقي فجعله في التابوت وكان فيه ايضا لوحان من التوراة وقفيز من المن الذى كان ينزل على بني اسرائيل ونعلا موسى وعمامة هرون وعصاه قالوا وكان التابوت عند بني اسرائيل اذا اختلفوا في شيء تكلم وحكم بينهم واذا حضروا القتال اقاموه بين ايديهم يستفتحون به على عدوهم فلما عصوا وافسدوا سلط الله عليهم العمالقة فغلبوهم على التابوت وسلبوهم اياه وذلك في ايام عيلى الكاهن الذى ربى شمويل وقد مضت القصة فيه وكان جالوت يوم سبى قومه التابوت صغيرا فلما ذهب التابوت اختل أمر بني اسرائيل الي ان بعث الله طالوت ملكا فسألوه الآية على ملكه فقال لهم شمويل ان آية ملكه ان يأتيكم التابوت (وكانت قصة) ذلك التابوت ان القوم الذين سبوا التابوت أتوا به قرية من قرى فلسطين يقال لها اردن وجعلوه في بيت صنم لهم ووضعوه تحت الصنم الاعظم فاصبحوا من الغد واذا الصنم تحته فاخذوه وجعلوه فوقه وسمروا قدمي الصنم على التابوت فاصبحوا من الغد وقد قطعت يد الصنم ورجلاه واصبح ملقى تحت التابوت فاصبحت الاصنام كلها منكسة فاخرجوه من بيت الاصنام ووضعوه في ناحية من مدينتهم فاخذ اهل تلك الناحية وجع في اعناقهم حتى هلك اكثرهم فقال بعضهم لبعض أليس قد علمتم ان اله بني اسرائيل لا يقوم له شيء فاخرجوه من مدينتكم قال فاخرجوه الى قرية اخرى فبعث الله على أهل تلك القرية فأرا فبيت الرجل صحيحا فيقرضه الفار فيصبح ميتا وقد اكلت ما في جوفه فاخرجوه منها الى الصحراء ودفنوه في مجري لهم فكان كل من تبرز هناك اخذه الباسور والقولنج فاخرجوه ووضعوه في بيت

ان الله تعالى قال في كتابه العزيز يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن ان بعض الظن اثم ثم تركني ومضى فقلت في نفسي ان هذا لامر عظيم قد تكلم على ما في نفسي ونطق باسمي ما هذا الا عبد صالح والله لالحقنه واستحله مما كان مني فاسرعت نحوه فلم الحقه وغاب عن عيني فلما نزلنا واقصة اذا به قائم يصلي واعضاؤه تضطرب ودموعه تجري فقلت هذا صاحبي فمضيت اليه وصبرت حتى فرغ من صلاته واقبلت نحوه فلما رآني مقبلا قلت يا شقيق أقرأ قوله تعالى واني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى ثم تركني ومضى فقلت ان هذا الفتى لمن الابدال قد تكلم على ما في سري مرتين فلما نزلنا الى منى اذا بالفتى واقف على البئر وبيده ركوة يريد أن يستقي بها فسقطت الركوة من يده في البئر وأنا أنظر اليه فرمق طرفه الى السماء وقال

انت ربي اذا ظمئت من الماء
وقوتي اذا اعدمت الطعاما

ثم قال اللهم مالي سواها فلا تعدمني اياها قال شقيق فوالله لقد رايت البئر قد ارتفع ماؤها فمد الفتى يده

فمكث فيهم عشر سنين وسبعة اشهر لا يدنو احد منه الا احترق واصابهم في المدينة الآفات والعاهات وفي مواشيهم الموت وفي نسائهم الطاعون فتحيروا وكانت عندهم امرأة من نساء بني اسرائيل من اولاد الانبياء فقالت انكم لا تزالون ترون ما تكرهون مادام هذا التابوت فيكم فاخرجوه عنكم فاتوا بعجلة باشارة تلك المرأة فحملوا عليها التابوت ثم علقوها على ثورين وضربوا جنوبهما فاقبل الثوران يسيران ووكل الله بهما اربعة من الملائكة يسوقونهما فلم يمر التابوت بارض الا كانت مقدسة فاقبلا حتى وقفا على ارض فيها حصاد لبني اسرائيل فكسر برنهما وقطع حبالهما ووضع التابوت فيها ورجع الثوران الى ارضهما فلم تدر بنو اسرائيل الا والتابوت عندهم فكبروا وحمدوا الله تعالى واجتمعوا على طالوت فذلك قوله تعالى تحمله الملائكة اى تسوقه الملائكة (وقال ابن عباس) جاءت الملائكة بالتابوت تحمله بين السماء والارض وهم ينظرون اليه حتى وضعته في دار طالوت فاقروا بملكه قال الله تعالى ان في ذلك لآية لكم ان كنتم مؤمنين قال ابن عباس ان التابوت وعصا موسى في بحيرة طبرية وانهما يخرجان قبل القيامة والله اعلم

﴿باب في قصة شمويل حين اوحي الله اليه أن يأمر طالوت بالمسير الى قتال جالوت مع بني اسرائيل وصفة نهر الابتلاء﴾

قال الله تعالى فلما فصل طالوت بالجنود قال ان الله مبتليكم بنهر الآية قال فلما اوحي الله الى شمويل عليه السلام ان يأمر طالوت بالمسير الى جالوت من بيت المقدس بالجنود لم يتخلف عنه الا كبير لهرمه او مريض لمرضه او ضرير لضره أو معذور لعذره وذلك انهم لما رأوا التابوت قالوا قد اتانا التابوت وهو نصر لا شك فيه فسارعوا الى الجهاد فقال طالوت لا حاجة لي فيما ارى لا يخرج معي رجل بنى بناء لم يفرغ منه ولا صاحب تجارة مشتغل بها ولا رجل عليه دين ولا رجل تزوج بامرأة ولم يدخل بها ولا يتبعني الا الشاب النشط الفارغ فاجتمع ثمانون ألفا على شرطه فخرج بهم وكان في حر شديد فشكوا قلة المياه بينهم وبين عدوهم وقالوا ان المياه لا تحملنا فادع الله تعالى ان يجري لنا نهرا فقال لهم طالوت بامر شمويل عليه السلام ان الله مبتليكم بنهر مختبركم ليرى طاعتكم وهو اعلم بكم وهو نهر بين الاردن وبين فلسطين عذب يقال له ادمي فمن شرب منه فليس مني أي من اهل ديني وطاعتي ومن لم يطعمه لم يشرب به فانه مني ثم استثنى فقال الا من اغترف غرفة بيده وهو ملء الكف ومن فتح الغين أراد المرة الواحدة فشربوا منه الا قليلا منهم (قال السدي) كانوا أربعة آلاف وقال غيره كانوا ثلاثمائة وبضعة عشر رجلا وهو الصحيح يدل عليه حديث البراء بن عازب قال قال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر انتم اليوم على عدة اصحاب طالوت حين عبروا النهر وما جاوز معه الا مؤمن قال وكانوا يومئذ ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلا فمن اغترف غرفة بيده كما امر الله تعالى قوي قلبه وصح ورجع ايمانه وعبر النهر سالما وكفته تلك الغرفة الواحدة لشربه وحمله ودوابه والذين شربوا وخالفوا امر الله تعالى اسودت شفاههم وغلبهم العطش فلم يرووا وبقوا على شاطيء النهر وجبنوا عن لقاء العدو ولم يشهدوا الفتح فلما جاوز النهر مع طالوت القليل الذين ثبتوا معه قالوا يعني الذين شربوا وخالفوا امر الله تعالى لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده وانصرفوا عن طالوت ولم يشهدوا قتال جالوت وقال الذين يظنون اى يعلمون ويوقنون انهم ملاقوا الله وهم القليل الذين ثبتوا مع طالوت اوكم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله الآية ومروا قاصدين الجهاد

﴿باب في ذكر امر داود عليه السلام وخبر جالوت وصفة قتله﴾

قال الله تعالى ولما برزوا لجالوت وجنوده قالوا ربنا الى قوله تعالى وقتل داود جالوت قال المفسرون والمخبرون بالفاظ مختلفة ومعان متفقة عبر النهر مع طالوت فيمن عبر ايشا أبو داود ومعه ثلاثة عشر ابنا له وكان داود

واخذ الركوة وملاها وتوضأ وصلى اربع ركعات ومال الى كثيب رمل فصار يقبض بيده من ذلك الرمل ويطرحه في الركوة ويحركه ويشرب به قال شقيق فاقبلت نحوه وسلمت عليه فرد علي السلام فقلت يا اخي اطعمني من فضل ما انعم الله عليك فقال يا شقيق لم تزل نعمة الله علينا ظاهرة وباطنة فاحسن ظنك بربك ثم ناولني الركوة فشربت منها فاذا هو سويق وسكر فوالله ما شربت الذ منه ولا اطيب رائحة فشبعت ورويت واقمت اياما لم اشته طعاما ولا شرابا ثم مضى فلم اره حتى دخلنا مكة فرايته ليلة من الليالي وهو في جنب قبة الشراب وهو قائم يصلي بخشوع وانين وبكاء ولم يزل كذلك حتى ذهب الليل فلما راى الفجر جلس في مصلاه يسبح الله تعالى ثم قام يصلي صلاة الصبح فلما سلم من الصلاة طاف سبعا ثم خرج فتبعته فاذا له حاشية وموال وهو على خلاف ما رايته في الطريق ودار به الناس من حوله وهم يسلمون عليه فقلت لبعض من كان بالقرب منه من هذا الفتى فقال

اصغرهم واحقرهم فاتى ذات يوم اباه فقال يا ابتاه ماقذفت بمقلاعي هذه شيأ الا اصبته وصرعته فقال ابشر يا بني
فان الله قد جعل رزقك في قذافتك يعني في مقلاعك ثم اتاه يوما آخر فقال يا أبتاه لقد دخلت بين الجبال
فرأيت أسدا رابضا فركبته وقبضت باذنيه فلم يهمني فقبضت على فكيه فقطرتهما برأسه وعنقه الى ابته
بيدي من غير سكين ولا ضرب بحديد وتراه هناك مقتولا فقال له ابوه ابشر يا بني فان هذا خير اعطاكه الله
ثم اتاه يوما آخر وقال يا أبتاه اني لامشي بين الجبال فاسبح فما يبقى جبل الا سبح معي قال ابشر يا بني فان هذا
خير أعطاكه الله وسيكون لك شان عظيم قال فلما وصلت غزاة بني اسرائيل مع طالوت الى عسكر جالوت
ارسل جالوت الى طالوت ان ابرز الي او ابرز الي من يقاتلني فان قتلني فلكم ملكي وان قتلته فلي ملككم فشق
ذلك على طالوت فنادى في عسكره من قتل جالوت زوجته ابنتي وناصفته مملكتي فهاب الناس قتال جالوت
فلم يجبه احد فسال طالوت نبيهم شمويل عليه السلام فدعا الله تعالى في ذلك فاتى بقرن فيه دهن القدس
وشبه تنور من حديد وقيل له ان الذي يقتل جالوت هو الذي يوضع هذا القرن على رأسه فيغلي الدهن حتى
يدهن منه رأسه ولا يسيل على وجهه بل يكون على رأسه كهيئة الاكليل ويدخل في هذا التنور فيملؤه ولا
يتقلقل فيه فدعا طالوت اشداء بني اسرائيل واقوياءهم فجربهم فلم يوافقه منهم احد فاوحى الله الى
شمويل عليه السلام ان في ولد ايشا من يقتل جالوت واني اريد ان اجعله خليفة في الارض من بعدك اعلمه
فصل الخطاب وهو راعي الغنم فقل لايشا يعرض عليك بنيه واحدا واحدا فدعا ايشا وقال له اعرض
على بنيك فاخرج له اثني عشر ولدا أمثال السواري وفيهم رجل بارع فجعل يعرضهم على القرن والتنور فلا
يرى شيأ ويقول لذلك الجسم ارجع فيردده على التنور فاوحى الله تعالى اليه انا لا نأخذ الرجال على صورهم
ولكنا نأخذهم على صلاح هممهم وقلوبهم فقال لايشا هل بقي لك ولد غيرهم قال لا قال شمويل رب قد
زعم أنه ليس له ولد غيرهم فقال كذب فقال شمويل يا ايشا ان ربي كذبك قال صدق الله يا نبي الله ان لي ابنا
صغيرا يقال له داود واستحييت ان يراه الناس لقصر قامته وحقارته وخلفته في الغنم يرعاها وهو في شعب كذا
وكذا وكان داود عليه السلام قصيرا اسقيما مصفرا أزرق العينين فدعاه طالوت ويقال خرج اليه فوجدا
وادي قد حال بالماء بينه وبين الزريبة التي كان يتروح اليها فوجده يحمل الغنم شاتين شاتين يعبر بهما السيل
ولا يخوض بهما الماء فلما رآه شمويل قال هذا هو لا شك فيه هذا يرحم البهائم فهو ارحم بالناس فدعاه فوضع
القرن على رأسه ففاض وأجلسه في التنور فملأه فلما رأى طالوت ذلك قال له هل لك ان تقتل جالوت وازوجك
ابنتي واجري حكمك في مملكتي قال نعم قال فهل لقيت من نفسك شيأ تتقوى به على قتله قال نعم انا راعي الغنم
فيجيء الاسد والنمر والذئب ليأخذ شيأ فاقوم اليه واقبضه وأفتح لحييه عنها واخرقهما الي قفاه فلما سمع
طالوت منه ذلك رده الى عسكره فمر داود عليه السلام في الطريق بحجر فناداه يا داود احملني فاني حجر هرون
الذي قتل به ملك كذا وكذا فوضعه في مخلاته ثم مر بحجر آخر فناداه يا داود احملني فاني حجر موسى عليه
السلام الذي قتل به ملك كذا وكذا فحمله في مخلاته ثم مر بحجر آخر فقال احملني فاني حجرك الذي تقتل به
جالوت وقد خبأني الله لك فوضعه في مخلاته فلما تصافوا للقتال برز جالوت وسال المبارزة فانتدب له داود
وكان طالوت أعطاه فرسا ودرعا وسلاحا فركب الفرس ولبس السلاح وصار قليلا فوجد في نفسه زهوا
فانصرف وعاد سريعا الى الملك فقال من حوله جبن الغلام فجاء حتى وقف على الملك فقال له ما شأنك
فقال له داود ان الله تعالى ان لم ينصرني فما يغني عني هذا السلاح شيأ فدعني اقاتل كما اريد فقال له طالوت
افعل ما تريد فاخذ داود عليه السلام مخلاته فتقلدها واخذ المقلاع ومضى نحو جالوت وكان جالوت من
اشد الناس واقواهم وكان يهزم الجيوش وحده وكان له بيضة وزنها ثلثمائة رطل حديد وكان له فرس ابلق مثله

هو موسى بن جعفر بن
محمد بن علي بن الحسين
ابن علي بن ابي طالب
رضي الله تعالى عنهم
ونفعنا بهم في الدنيا
والآخرة آمين (وحكي
عن ابي عبدالله الجوهري
رضي الله تعالى عنه) انه
قال كنت سنة من السنين
في عرفات فلما جن الليل
نمت فرايت ملكين نزلا
من السماء فقال احدهما
لصاحبه كم وقف على هذا
الجبل في هذه السنة من
الحجاج قال ستمائة الف
نفس فلم يقبل الله تعالى
منهم غير ستة انفس
فهممت ان الطم وجهي
وانوح على نفسي فقال له
ما فعل الله بباقي الجمع قال
نظر الله اليهم حتى لا يخيب
سعيهم فوهب لكل واحد
من الستة مائة الف فغفر
الله بستة انفس لستمائة
الف نفس وذلك فضل
الله يؤتيه من يشاء والله
ذو الفضل العظيم قال عبد
الله فحمدت الله تعالى
وزال ما كان عندي
(وحكي عن الشيخ ابي
الفوارس شاه بن
الشجاع الكرماني عفا
الله عنه) أنه قال خرجت
يوما للصيد والنزهة
وكنت يومئذ ملك كرمان
فامعنت نظري في صيد
رأيته وسرت في طلبه حتى
وقعت في برية مقفرة

في الشدة والقوه وعظم الخلق فلما برز جالوت الى داود التي الله تعالى في قلبه الرعب فقال له انت تبرز الى قال نعم وكان جالوت راكبا على فرس ابلق وعليه السلاح التام فقال له يابنى تاتيني بالحجر بالمقلاع كما يؤتى الكلب بالحجر قال نعم انت اشر من الكلب قال لاجرم لأقسمن لحمك بين سباع الارض وطير السماء فقال داود بسم الله يقسم الله لحمك بين السباع وطير السماء واخذ حجرا منها وقال بسم الله اله ابراهيم ووضعه فى مقلاعه واخذ حجرا ثانيا وقال بسم الله اله اسحق ووضعه فى مقلاعه ثم اخرج ثالثا وقال بسم الله اله يعقوب ووضعه فى مقلاعه قال فصارت الاحجار الثلاث كلها حجرا واحدا وادار المقلاع ورمى به فسخر الله له الريح حتى اصاب الحجر انف البيضة فخالط دماغه وخرج من قفاه وقتل من ورائه ثلاثين رجلا ويقال انه من بعدما خرج من قفاه تكسر وتفتت باذن الله تعالى حتى عم جميع جنود جالوت فلم يبق منهم احد الا وقد اصابته منه قطعة ومثل ذلك صار كرامة للنبي صلى الله عليه وسلم يوم بدر حين حثا الحثوة من التراب فانهزم الجيش وخر جالوت قتيلا واسرع داود عليه السلام فحز رأسه وانتزع من يده خاتمه واقبل برأسه يجره حتى القاه بين يدى طالوت ففرح المسلمون فرحا شديدا وانصرفوا الى مدينتهم سالمين غانمين بحمد الله رب العالمين

﴿ذكر بقية قصة طالوت وما كان منه الى داود عليه السلام بعد قتل جالوت﴾

قالوا لما قتل داود جالوت ذكر الناس داود وعظم في انفسهم فجاء داود الى طالوت وقال له انجز الى ما وعدتني واعطني امرأتي فقال له طالوت اتريد ابنة الملك بغير صداق عجل صداق ابنتي شانك بها فقال داود لطالوت ماشرطت على صداقا وليس لى شيء فتحكم في الصداق عاتريد وافرضني مهرها وعلى الاداء والوفاء لك به فقال طالوت اصدقها نصيبك من الملك فقال له بنو اسرائيل لا تظلمه وانجزله ما وعدته فلما رأى طالوت ميل بنى اسرائيل الى داود احسن ثناءه عليه وقال لا حاجة لابنتي فى المال ولا اكلفك مالا تطيق انت رجل جرئ وفى جبالنا اعداء من المشركين فانطلق فجاهدهم فاذا قتلت منهم مائتى رجل وجئتنى برؤسهم زوجتك ابنتي فاتاهم داود عليه السلام وجعل كلما قتل منهم رجلا احتز رأسه ونظمه فى خيط حتى نظم رؤسهم ثم جاء بهم الى طالوت واقامهم بين يديه وقال له ادفع الى امرأتي فزوجه امرأته واجرى خاتمه فى مملكته فمال الناس الى داود عليه السلام واحبه بنو اسرائيل واكثروا من ذكره فوجد طالوت من ذلك فى نفسه فاراد قتله (قال وهب ابن منبه) كانت الانبياء والملوك يومئذ يتوكؤن على العصى ويغرزون فى اطراف العصي ازجة من حديد وكان داود عليه السلام جالسا فى ناحية البيت فدخل طالوت فرماه بالعصا بغتة ليقتله بها صبرا فلما احس داود بذلك حاد عن رميته وامال نفسه من غير ان يبرح من مكانه فارتكزت المكازة في الجدار فقال له داود اردت قتلى قال له طالوت لا بل اردت ان اقف على ثباتك عند الطعان وربط جاشك للاقران فقال له داود عليه السلام افلقيته على ماقدرته في قال نعم ولكنك لملك فزعت قال معاذ الله ان اخاف الا الله ولا الجأ الا اليه ولا يدفع الشر الا هو ثم ان داود انتزعها من الجدار وهزها هزة منكرة وقال له اثبت لى كما ثبت لك فايقن طالوت بالهلاك فقال له انشدك بالله وبحرمة المصاهرة التى بيني وبينك وما كان هذا القول من داود عن قصد قتل طالوت ولكن كان مقال تخويف وتحذير فقال داود لطالوت ان الله قد كتب فى التوراة جزاء السيئة سيئة مثلها واحدة والبادى اظلم قال طالوت افلا تقول قول هابيل لئن بسطت الى يدك لتقتلنى ما انا بباسط يدى اليك لاقتلك انى اخاف الله رب العالمين فقال داود قد عفوت عنك لوجه الله تعالى فلبث طالوت زمانا يريد قتل داود عليه السلام فعزم على ان ياتيه ويقتله في داره فاخبرت بذلك بنت طالوت زوجة داود اخبرها رجل يقال له ذو العينين فقالت لداود انك لمقتول الليلة

ولم يكن عنــدى من عسكرى أحد فبينما أنا كذلك اذا بشاب جميل الخلقة راكب على سبع وحوله سباع كثيرة فلما رأتني السباع ابتدرت الى فزجرها الشاب فتاخرت عني فسلم على وقال ياشاه ماهذه الغفلة عن الله تعالى اشتغلت بدنياك عن أخراك وبلذتك عن خدمة لمولاك انما أعطاك الدنيا فتستعين بها على خدمته جعلتها ذريعة الي الاشتغال عنه فلما سمعت ذلك منه طاش عقلى ودهشت فى نفسي فبينما هو يحدثني اذ خرجت عجوز بيدها كوز فيه ماء فتناوله الشاب منها وشرب ودفع الباقى الى فشربته فما رأيت ألذ من ذلك ولا أحلى منه ثم غابت العجوز عن عيني فتعجبت من ذلك وقلت للشاب من أين هذه العجوز فقال ياشاه هذه الدنيا وقد وكلها الله تعالى على تخدمني فكلما احتجت الي شيء حضرت لى به حين يخطر ببالى ثم قال ياشاه أما بلغك ان الله تعالى لما خلق الدنيا قال لها يادنيا من خدمني فاخدميه ومن خدمك فاستخدميه قال شاه

قال ومن يقتلني قالت ابى قال وهل اجرمت جرما قالت حدثني من لا يكذب ولا عليك باس ان تغيب الليلة حتى تنظر مصداق ذلك فقال لئن كان اراد ذلك لا استطيع خروجا ولكن ائتيني بزق من خمر فاتته به فوضعه فى مضجعه على السرير وسجاه ودخل تحت السرير قال فدخل طالوت نصف الليل واراد ان يقتل داود فلم يجده فقال لابنته اين بعلك فقالت هو نائم على السرير فضربه بالسيف فسال الخمر فلما وجد ريح الخمر قال رحم الله داود ما كان اكثر شربه للخمر وخرج فلما اصبح علم انه لم يفعل شيأ فقال ان رجلا طلبت منه ما طلبت لخليق ان لا يدعني حتى يدرك ثاره منى ثم انه استتر بحجابه وحراسه واغلق دونه الابواب قال فاتى داود ذات ليلة وقد هدأت العيون واعمى الله عنه الحجاب وفتح الله له الابواب فدخل عليه وهو نائم على فراشه فوضع سهما عند رأسه وسهما عند رجليه وسهما عن يمينه وسهما عن شماله ثم خرج فلما استيقظ طالوت وجد السهام فعرفها فقال رحم الله داود هو خير مني ظفرت به فقصدت قتله وظفر بى فكف عني لو شاء لوضع هذا السهم فى حلقى وما انا بالذى آمنه فلما كانت الليلة القابلة اتاه داود ثانيا واعمى الله عنه اعين الحجاب فدخل وهو نائم على فراشه فاخذ ابريق طالوت الذى كان يتوضأ منه وكوزه الذى كان يشرب به وقطع شعرات من لحيته وشيأ من هدب ثيابه ثم خرج وهرب وتوارى فلما اصبح طالوت ورأى ذلك سلط على داود العيون وشدد فى طلبه فلم يقدر عليه ثم ان طالوت ركب ذات يوم فوجد داود عليه السلام يمشي في البرية فقال طالوت في نفسه اليوم اقتل داود وانا راكب وهو ماش وكان داود اذا فزع لم يدرك فركض طالوت في اثره واشتد داود فى الجرى فدخل غارا فاوحى الله الى العنكبوت فنسجت عليه بيتا فلما انتهى طالوت الى الغار ونظر الى بناء العنكبوت قال لو كان ههنا لخرق بيت العنكبوت فتركه ومضى فلما مضى خرج داود من الغار وانطلق الى الجبل مع المتعبدين فجعل يتعبد فيه فطعن العلماء والعباد على طالوت فى شأن داود فجعل طالوت لا ينهاه احد عن قتل داود الا قتله فجعل يقتل العلماء فلم يكن يقدر في بني اسرائيل على عالم ويطيق قتله الا قتله ولم يكن يحارب جيشا الا هزمه حتى اتى بامرأة تعلم الاسم الاعظم فامر خبازه بقتلها فرحمها الخباز وقال لعلنا نحتاج الى عالم فتركها ووضع الله في قلب طالوت التوبة فندم على ما فعل واقبل على البكاء حتى رحمه الناس وكان كل ليلة يخرج الى القبور فيبكي وينادى أنشد الله عبدا يعلم لى توبة الا أخبرني بها فلما اكثر عليهم بكاؤه ناداه مناد من القبور يا طالوت أما رضيت انك قتلتنا أحياء حتى تؤذينا امواتا فازداد حزنا وبكاء فرحمه الخباز وقال له مالك أيها الملك فقال هل تعلم لى في الارض عالما اسأله هل لى من توبة فقال له الخباز ايها الملك هل تدرى ما مثلك قال لا قال ما مثلك الا كمثل ملك نزل قرية عشاء فصاح الديك فتطير منه فقال لا تتركوا فى هذه القرية ديكا الا ذبحتموه فلما اراد ان ينام قال لاصحابه اذا صاح الديك فايقظونا حتى ندلج فقيل له وهل تركت ديكا يسمع صوته وانت هل تركت عالما فى الارض فازداد حزنا وبكاء فلما رأى الخباز ذلك قال أرأيت ان دللتك على عالم لعلك تقتله قال لا فتوثق منه الخباز بالايمان فأخبره ان المرأة العالمة عنده فقال له انطلق بنا اليها أسألها هل لى من توبة وكانت تعلم الاسم الاعظم وكان انما يعلم هذا الاسم أهل بيت لها فنيت رجالهم وعلمت نساؤهم فلما بلغ طالوت الباب قال له الخباز انها ان رأتك فزعت منك ثم جعله خلفه ودخل عليها الخباز فقال ألست اعظم الناس عليك منة انجيتك من القتل وأويتك عندى قالت بلى قال لى اليك حاجة هذا طالوت يسأل هل له من توبة فلما سمعت بذكره غشي عليها من الفرق فلما افاقت قال لها انه لا يريد قتلك ولكن يسألك هل من توبة قالت لا والله ماله من توبة ولكن هل تعلمون قبر شمويل عليه السلام قالوا نعم قالت فانطلقوا بنا الى قبره فلما وصلوا اليه صلت عنده ركعتين ثم انها نادت يا صاحب القبر فخرج شمويل عليه السلام من القبر ينفض التراب عن رأسه

فلما رأيت ذلك وسمعته منه تركت الدنيا وتنزهت عن الملك وتبت الى الله من وقتى واشتغلت بخدمة مولاى وخالقى ولله الحمد على ذلك اللهم انا نسألك التوبة والتوفيق آمين

﴿ وحكى عن بعض الاكراد ممن كان يقطع الطريق وينهب الاموال أنه قال ﴾ بينما انا وأصحابى قد خرجنا لقطع الطريق وأخذ أسباب الناس اذ انتهينا الى مكان فيه ثلاث نخلات فواحدة منها ليس عليها ثمر والنخلتان عليهما الثمر فنظرت فاذا بعصفور يحمل رطبا من النخلة المثمرة الى النخلة التى ليس عليها ثمر ففعل ذلك عشر مرات فتعجبت منه ثم خطر بنفسي ان أنظر ذلك فقمت وصعدت على النخلة فنظرت فاذا بحية عمياء فاتحة فاها والعصفور يضع ذلك الثمر فى فيها فلما رأيت ذلك بكيت وقلت هذه حية أمر نبينا بقتلها فلما أعماها الله تعالى سخر لها عصفورا يقوم لها بالقوت وانا عبد من عباده اقامني لقطع الطريق وخيانة السبيل ثم قلت اللهم انى تائب اليك مما كان منى ولا اعود ابدا

فلما نظر الى الثلاثة المرأة والخباز والملك فقال لهم اقامت القيامة قالوا لا ولكن هذا طالوت يسألك هل له من توبة فقال له شمويل مافعلت ياطالوت بعدي قال لم أدع شيأ من الشر الا فعلته وقد جئت اطلب التوبة قال كم لك من ولد قال عشرة رجال قال ماأعلم لك من توبة الا ان تتخلى من ملكك وتخرج أنت وولدك تجاهد في سبيل الله ثم تقدم ولدك حتى يقتلوا بين يديك ثم انك تقاتل حتى تقتل آخرهم ثم رجع شمويل عليه السلام الى القبر فسقط ميتا ورجع طالوت أحزن مايكون وخاف ان لا يتابعه ولده فبكى حتى ذهبت اشفار عينيه ونحل جسمه فدخل عليه اولاده فقال لهم ارأيتم لو دفعت الى النار أكنتم تنقذونني قالوا نعم ننقذك بما قدرنا عليه قال فانها النار ان لم تفعلوا ما أقول لكم قالوا فاعرض علينا مقالتك فذكر لهم القصة فقالوا وانك لمقتول بعدنا قال نعم قالوا لا خير لنا في الحياة بعدك قد طابت انفسنا بالذي سألت فتجهز باولاده الى الغزو وكانوا عشرة فقاتلوا بين يديه حتى قتلوا ثم شد بعدهم فقاتل حتى قتل فجاء قاتله الى داود يبشره بقوله له قد قتلت عدوك فقال داود ما كنت بالذي تحيا بعده فضرب عنقه

﴿ مجلس في خلافة داود عليه السلام ومايتعلق بها ﴾

قال الله تعالى ياداود انا جعلناك خليفة في الارض الآية قالت العلماء باخبار الانبياء لما استشهد طالوت أتى بنو اسرائيل الى داود فاعطوه خزانة طالوت وملكوه على انفسهم وذلك بعد قتل داود جالوت بسبع سنين ولم تجتمع بنو اسرائيل على ملك واحد بعد يوشع بن نون الا على داود عليه السلام فذلك قوله عز وجل وقتل داود جالوت وآتاه الله الملك والحكمة الآية

﴿ باب في ذكر نسبه ﴾

هو داود بن ايشا بن عوفيد بن يوعز بن سلمون بن نحشون بن عمينوذب بن رم بن حصرون بن بارص ابن يهوذ بن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم خليل الرحمن صلوات الله عليهم أجمعين

﴿ باب في ذكر صفته وحليته ﴾

أخبرني الحسن بن محمد الدينوري باسناده عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم زرقة العينين يمن وكان داود عليه السلام أزرق العينين أحمر الوجه دقيق الساقين سبط الشعر ابيض الجسم طويل اللحية فيها جعودة حسن الصوت واخلق طاهر القلب نقيه

﴿ باب في ذكر ماخص الله تعالى به نبيه داود عليه السلام من الفضل والكرامة حين أعطاه الله النبوة والملك ﴾

(فمنها) انه أنزل عليه الزبور بالعبرانية مائة وخمسون سورة في خمسين منها ذكر مايكون من بختنصر وأهل بابل وفي خمسين منها ذكر ما يلقون من الروم من أهل أبرون وفي خمسين منها موعظة وحكمة ولم يكن فيها حلال ولا حرام فذلك قوله تعالى وآتينا داود زبورا (ومنها) الصوت الطيب والنغمة الطيبة اللذيذة والترجيع والالحان ولم يعط الله احدا من خلقه مثل صوته وكان يقرأ الزبور بسبعين لحنا بحيث يعرق المحموم ويفيق المغمي عليه وكان اذا قرأ الزبور برز الى البرية فيقوم وتقوم معه علماء بني اسرائيل خلفه وتقوم الناس خلف العلماء وتقوم الجن خلف الناس وتقوم الشياطين خلف الجن وتدنو الوحوش والسباع ويؤخذ باعناقها وتظله الطيور مصغية ويركد الماء الجاري ويسكن الريح وماصنعت المزامير والبرابط والصنوج الا على صوته وذلك ان ابليس لعنه الله حسده واشتد عليه فقال لعفاريته ألا ترون مادهاكم فقالوا له مرنا بما شئت فقال انه لا يصرف الناس عن داود الا ما يضاده ويحاده في مثل حاله فهيؤا المزامير والعيدان والاوتار والملاهي على اجناس أصوات داود فسمعها سفهاء الناس فالوا اليها فاغتروا بها

ثم كسرت سيفي ووضعت التراب على راسي وناديت الاقالة الاقالة فسمعت قائلا يقول قد اقلناك فاتيت رفاقي فلما راوني قالوا ما بالك بهذه الحالة فقلت لهم انى كنت مهجورا وصولحت ثم قصصت عليه مارايت فلما سمعوا ذلك قالوا ونحن نصالح كما صولحت فرموا اسلحتهم جميعا وتابوا الى الله تعالى ثم أحرمنا وقصدنا مكة شرفها الله تعالى فمشينا ثلاثة ايام حتى انتهينا الى قرية فيها امراة عجوز عمياء وكانت من الصالحات فخرجت الينا وقالت افيكم فلان الكردي فقلنا نعم فاخرجت ثيابا وقالت ان ولدي مات عن قريب وخلف هذه الثياب فجاءني النبي صلى الله عليه وسلم في المنام وقال لي اعط هذه الثياب لفلان الكردي هو واصحابه قال فاخذنا الثياب وسرنا من عندها حتى دخلنا مكة والحمد لله على ذلك

(وحكي عن الامام أبي القاسم الجنيد رضي الله تعالى عنه انه قال ﴾ كنت جالسا ببغداد انتظر جنازة لاصلي عليها وأهل بغداد في طرقاتهم جلوس ينتظرون

ويقال ان داود عليه السلام كان اذا قرأ الزبور بعد ما قارف الذنب لا يقف له الماء ولا تصغي له الوحوش ولا البهائم ولا الطيور كما كانت قبلها ونقصت نغمته فقال الهي ما هذا فاوحى الله تعالى اليه ذلك أنس الطاعة وهذه وحشة المعصية يا داود ان الخطيئة هي التي غيرت صوتك وحالك فقال الهي أوليس قد غفرتها لي قال بلى ولكن ارتفعت الحالة التي بيني وبينك من الود والقرب فلن تدركها أبدا (أخبرنا) أبو سعيد بن احمد بن حمدون عن وهب بن منبه قال هذا ما حدثنا ابو هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال خفف الله على داود القرآن فكان يامر بدوابه ان تسرج فكان يقرأ القرآن قبل ان تسرج دابته وكان لا يا كل الا من عمل يده قال الاستاذ الامام أراد بالقرآن الزبور * وبالاسناد اخبرنا ابو بكر الجوزقي عن ابي موسى الاشعري قال قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد أعطيت مزمارا من مزامير آل داود فقلت اما والله يا رسول الله لو علمت أنك تسمع لحبرته لك تحبيرا (واخبرنا ابو بكر) قال أخبرنا ابو العباس بالاسناد عن البراء بن عازب قال سمع النبي صلى الله عليه وسلم صوت ابي موسى فقال كان صوت هذا من صوت آل داود (ومنها) تسخير الجبال والطير له يسبحن معه اذا سبح كما قال الله تعالى ولقد آتينا داود منا فضلا يا جبال أوبي معه والطير وألنا له الحديد وقوله تعالى انا سخرنا الجبال معه يسبحن بالعشي والاشراق ويقال ان داود عليه السلام كان اذا تخال الجبال فسبح الله تعالى جعلت الجبال تجاوبه بالتسبيح نحو ما يسبح ثم قال في نفسه ليلة من الليالي لاعبدن الله تعالى عبادة لم يعبده أحد بمثلها فصعد الجبل فلما كان في جوف الليل داخلته وحشة فاوحى الله تعالى الى الجبال ان آنسي داود فاصطكت الجبال بالتسبيح والتقديس والتهليل فقال داود في نفسه كيف يسمع صوتي مع هذه الاصوات فهبط عليه جبريل عليه السلام واخذ بعضده حتى انتهى به الى البحر فوكزه برجله فانفجر له البحر فانتهى به الى الارض فوكزها برجله فانفجرت له الارض فانتهي به الى الحوت فوكزه برجله فانتهى به الى الصخرة فوكز الصخرة برجله فانفلقت فخرج منها دودة تنش فقال له جبريل ان ربك يسمع نشيش هذه الدودة في هذا الموضع (قوله تعالى يسبحن بالعشي والاشراق) قال المفسرون يعني صلاة الضحى وصلاة الاوابين بين العشاءين قال ابن عباس وكان داود يفهم تسبيح الحجر والشجر والمدر (ومنها) أنه أكرمه الله تعالى بالحكمة وفصل الخطاب فالحكمة هي الاصابة في الامور وأما فصل الخطاب فاختلفوا فيه فقال ابن عباس بيان الكلام وقال ابن مسعود والحسن المعني علم الحكم والنظر في القضاء كان لا يتتعتع في القضاء بين الناس وقال علي ابن أبي طالب كرم الله وجهه هو البينة على من ادعي واليمين على من أنكر (أخبرنا) أبو عبد الله قال سمعت زيادا يقول فصل الخطاب الذى أعطي داود عليه السلام ما أخبرنا أبو حفص عن الاعمش عن أبي صالح عن كعب الاحبار في قوله وفصل الخطاب قال الشهود والايمان عن الشعبي قال سمعت زيادا يقول فصل الخطاب الذى أعطي داود أما بعد قال الاستاذ الامام رحمه الله تعالى وهو أول من قالها (ومنها) السلسلة التي أعطاها الله تعالى له ليعرف المحق من المبطل في المحاكمة اليه (وهو ما روى) الضحاك عن ابن عباس قال ان الله تعالى أعطى داود سلسلة موصولة بالمجرة والفلك ورأسها عند محراب داود عليه السلام حيث يتحاكم الناس اليه وكانت قوتها قوة الحديد ولونها لون النار وحلقها مستديرة مفصلة بالجوهر ومدسرة بقضبان اللؤلؤ الرطب فلا يحدث في الهواء حادث الا صلصلت السلسلة فيعلم داود ذلك الحادث ولا يمسها ذو عاهة الا برأ وكان علامة دخول قومه في الدين أن يمسوها بأيديهم ثم يمسحون بأكفهم على صدورهم وكانوا يتحاكمون اليها فمن اعتدى على صاحبه وأنكر ماله من حق أتى السلسلة فمن كان صادقا محقا مد يده الى السلسلة فينالها ومن كان كاذبا ظالما لم ينلها فكانت

ما انتظره فاذا بفقير عليه آثار الدلال ولا نسك يسأل الناس فقلت في سري لو عمل هذا عملا يصون به نفسه عن السؤال كان خيرا له فلما انصرفت الى منزلي وكان على شيء من الورد في الليل من الذكر والصلاة والبكاء وغير ذلك فثقل على جميعه وسهرت سهرا شديدا ثم غلبني النوم فنمت فرأيت في نومي ذلك الفقير وقد جاؤا به في خوان ممدود وقالوا لي كل لحمه فقد اغتبته وكشفوا لي عن الخوان فقلت انا ما أغتبته انما قلت في نفسي شيأ فقيل لي ما انت ممن يرضي منهم بمثل هذا اذهب اليه فاستحله مما كان منك قال الجنيد فاصبحت ولم أزل مترددا عليه حتى رأيته في موضع ظاهر البلد وهو يلتقط من الماء ما يتساقط من اوراق البقل فاتيت اليه وسلمت عليه فرد على السلام ثم قال لا تعد الى مثلها يا أبا القاسم فقلت استغفر الله العظيم فقال اذهب غفر الله لي ولك ثم ولي فلم أره رضى الله تعالى عنه ورضي عنا بهم اجمعين آمين (وحكي عن الجنيد ايضا رضى الله تعالى

فيهم الى أن ظهر فيهم المكر والخديعة قال بلغنا أن بعض ملوكهم أودع رجلا جوهرة ثمينة فلما جاء يستردها أنكرها فتحاكما الى السلسلة فعلم الرجل الذى كان عنده الجوهرة أن يده لاتنال السلسلة فعمد الى عكازة له فنقرها ثم ضمنها الجوهرة واعتمد عليها حتى حضرمعه غريمه عند السلسلة فقال صاحب الجوهرة ان لي عندك وديعة فقال خصمه ماأعرف لك وديعة فان كنت صادقا فتناول السلسلة فتناولها بيده ثم قيل للمنكر قم أنت أيضا فتناولها فقال لصاحب الجوهرة الزم أنت عكازتى هذه فاحفظها حتى أتناول السلسلة فاخذها وقام الرجل وقال اللهم ان كنت تعلم أن هذه الوديعة التى يدعيها قد وصلت اليه فقرب منى السلسلة فمد يده فتناولها فتعجب القوم وتفكروا فيها فاصبحوا وقد رفع الله تلك السلسلة وكان عمر ابن الخطاب رضي الله عنه اذا اشتبه عليه الامر بين الخصمين اللذين يتحاكمان اليه يقول ماأحوجكما الى سلسلة بنى اسرائيل كانت تاخذ بعنق الظالم فتجره الى الحق جرا (ومنها) القوة في العبادة وشدة الاجتهاد كما قال الله تعالى واذكر عبدنا داود ذا الايد يعنى القوة فى العبادة انه أواب أى تواب مسبح مطيع وكان يصوم يوما و يفطر يوما يصوم النهار و يقوم الليل ومامرت به ساعة من الليل الا وفيها من آل داود قائم يصلى ولا يوم من الايام الا وفيه منهم صائم (ومنها) قوة المملكة كما قال الله تعالى وشددنا ملكه أى قويناه وقرأ الحسن وشددنا ملكه بالتشديد (وقال ابن عباس) كان أشد ملوك الارض سلطانا وكان يحرس محرابه كل ليلة ثلاثة وثلاثون الف رجل وقال السدي كان يحرسه كل ليلة أربعة آلاف رجل (أخبرنا) عبدالله بن حامد عن عكرمة عن ابن عباس أن رجلا من بنى اسرائيل تعدي على رجل من عظمائهم فاجتمعا على داود عليه السلام فقال المتعدى ان هذا قد غصبني بقرتى فسال داود الرجل عن ذلك فجحد وسال الآخر البينة فلم يكن له بينة فقال لهما داود قوما حتي أنظر في أمركما فقاما من عنده فاوحي الله تعالى اليه فى منامه أن يقتل الرجل الذى تعدي فقال هذه رؤيا ولست أعجل حتى أتبين فاوحى الله تعالى اليه مرة أخرى أن يقتله فقال هذه رؤيا فاوحى الله تعالى اليه مرة ثالثة أن يقتله فارسل داود الى الرجل فقال له ان الله تعالى قد أوحى الى أن أقتلك فقال له الرجل تقتلني بغير ذنب ولا بينة فقال داود نعم والله لانفذن أمر الله فيك فلما عرف الرجل انه قاتله قال لاتعجل حتى أخبرك انى والله ما أخذت بهذا الذنب ولكنى كنت اغتلت والد هذا فقتلته فامر به داود فقتل فاشتدت هيبة بنى اسرائيل عند ذلك لداود واشتد له ملكه فذلك قوله تعالى وشددنا ملكه ويقال كان داود اذا جلس للحكم كان على يمينه الف رجل من الانبياء وعلى يساره الف رجل من الاجناد (ومنها) شدة البطش فيروي انه مافر ولا انحاز من عدوله قط (ومنها) الانة الحديد له وكان سبب ذلك ماروى في الاخبار ان داود عليه السلام لما ملك بنى اسرائيل كان من عادته أن يخرج الى الناس متنكرا فاذا رأى رجلا لا يعرفه تقدم اليه فيسأله عن داود فيقول له ماتقول فى داود واليكم هذا أي الرجل هو فيثنى عليه ويقول خيرا فبينما هو كذلك يوما من الايام اذ قيض الله له ملكا في صورة الآدميين فلمارآه تقدم اليه داود على عادته فسأله فقال له الملك نعم الرجل هو لولا خصلة فيه فراع داود ذلك فقال ماهي ياعبدالله قال ان داود ياكل و يطعم عياله من بيت المال قال فتنبه لذلك وسال الله تعالى أن يسبب له سببا يستغني به عن بيت المال فينفق منه و يطعم عياله فالان له الحديد فصار فى يده مثل الشمع والعجين والطين المبلول وكان يصرفه بيده كيف يشاء من غير ادخال نار ولا ضرب بحديد وعلمه الله تعالي صنعة الدروع فكان يتخذ الدروع وهو أول من عملها وكانت قبل ذلك صفائح فيقال انه كان يبيع كل درع منها باربعة آلاف درهم فياكل ويطعم عياله و يتصدق منها على الفقراء والمساكين

فذلك

عنه انه قال) دخلت الكوفة فى بعض اسفاري فرأيت دارا كانت لبعض الرؤساء عليها اثر النعيم وعلى بابها عبيد وغلمان بعض اروقتها جارية تغنى وتنشد هذه الابيات

الايادارلا يدخلك حزن
ولا يعبث بساكنك الزمان

فنعم الدار انت لكل ضيف
اذا ماالضيف اعوزه المكان

قال الجنيد ثمررت بعد ذلك بعدة يسيرة فاذا بذلك الباب مسدود والجمع مبدوود وقد ظهر عليها كابة الذل والهوان وعلى ذلك الباب مكتوب هذان البيتان

ذهبت محاسنها وبان شجونها
والدهر لايبقى مكانا سالما

فاستبدلت من انسها بتوحش
بعد السرور بها عزاء دائما

قال الجنيد فسألت عن خبرها فقيل مات صاحبها وصار امرها الى ماترى قال الجنيد فقرعت الباب الذي كان لايقدر احدان يصل اليه فكلمتني جارية بكلام ضعيف فقلت لها ياجارية اين بهجة ذلك المكان وانواره واين

فذلك قوله تعالى وعلمناه صنعة لبوس لكم وقوله تعالى وألنا له الحديد أن اعمل سابغات أى دروعا كوامل واسعات وقدر في السرد أى لا تجعل المسامير دقاقا فتملق ولا غلاظا فتكسر الحلق فكان يفعل ذلك حتى اعتد من ذلك مالا (وروي) ان لقمان الحكيم راى داود عليه السلام وهو يعمل درعا فتعجب من ذلك ولم يدر ماهو فاراد ان يساله فسكت حتي فرغ داود من نسج الدرع فقام فلبسه وقال نعم القميص هذا للرجل المحارب فعلم لقمان مايراد به فقال الصمت حكمة وقليل فاعله

﴿ باب في قصة داود عليه السلام حين ابتلى بالخطيئة وما يتصل بذلك ﴾

قال الله تعالى وهل اتاك نبا الخصم اذ تسوروا المحراب اذ دخلوا على داود ففزع منهم الآيات اختلف العلماء باخبار الانبياء في سبب امتحان الله تعالى نبيه داود عليه السلام بما امتحنه الله به من الخطيئة فقال قوم كان سبب ذلك انه تمني يوما من الايام على ربه تعالى منزلة آبائه ابراهيم واسحق ويعقوب وساله أن يمتحنه بمثل الذي كان يمتحنهم ويعطيه من الفضل مثل الذى اعطاهم (فروي) السدي والكلبي ومقاتل عن أشياخهم دخل حديث بعضهم في بعض قالوا كان داود عليه السلام قد قسم الدهر ثلاثة ايام يوما يقضي فيه بين الناس ويوما يخلو فيه بنسائه ويوما للعبادة ربه وقراءة الكتب وكان يجد فيما يقرأ من الكتب فضل ابراهيم واسحق ويعقوب عليهم السلام فيقول يارب أرى الخير قد ذهب به آبائي الذين كانوا قبلي فاوحي الله تعالى اليه انهم ابتلوا ببلايا لم يبتل بها احد فصبروا عليها ابتلى ابراهيم عليه السلام بنار النمرود وذبح ولده وابتلى اسحق بالذبح وابتلى يعقوب بالحزن وذهاب بصره على يوسف وانك لم تبتل بشيء من ذلك فقال داود عليه السلام يارب فابتلني كما ابتليتهم واعطني كما أعطيتهم فاوحى الله تعالى اليه انك مبتلى في شهر كذا في يوم كذا فاحترس على الصبر فلما كان في اليوم الذى وعده الله دخل داود محرابه واغلق بابه وجعل يصلي ويقرأ الزبور فبينما هو كذلك اذ جاءه الشيطان وتمثل له في صورة حمامة من ذهب فيها من كل لون حسن فوقعت بين يديه فمد يده ليأخذها (وفي بعض الروايات) ليدفعها الى ابن له صغير فلما أهوى اليها طارت غير بعيد من غير أن تؤيسه من نفسها فامتد اليها ليأخذها فتنحت فتبعها فطارت فوقعت في كوة فذهب ليأخذها فطارت من الكوة فنظر داود اين تقع فيبعث اليها من يصيدها فنظر الى امرأة في بستان على شط بركة تغتسل هذا قول الكلبي وقال السدي رآها تغتسل على سطح لها فرآها امرأة من احسن النساء خلقا فعجب داود من حسنها وحانت منها التفاتة فابصرت ظل داود عليه السلام فنشرت شعرها فغطى بدنها كله فزاد بذلك اعجابا بها فسأل عنها فقيل له هي سابغ بنت شائع امرأة أوريا بن حنان وزوجها في غزاة البلقاء مع ايوب بن صوريا ابن اخت داود فكتب داود الى ابن اخته ايوب صاحب بعث البلقاء ان ابعث أورياء الى موضع كذا وكذا وقدمه على التابوت وكان المقدم على التابوت لا يحل له ان يرجع الي ورائه حتي يفتح الله على يديه أو يستشهد فبعث به ففتح له فكتب الى داود بذلك فكتب اليه داود أيضا ان ابعثه الى غزوة كذا وكان رئيسها أشد منه بأسا فبعثه فقتل في المرة الثانية فلما انقضت عدتها تزوجها داود فهي أم سليمان عليه السلام وقال آخرون انما سبب امتحانه ان نفسه حدثته ان يطيق قطع يوم بغير مقارفة سيئة وعن الحسن اخبرنا شعيب بن محمد قال ان داود عليه السلام جزأ الدهر اربعة اجزاء يوما لنسائه ويوما لعبادة ربه ويوما لقضاء حوائج المسلمين ويوما لبني اسرائيل يذاكرهم ويذاكرونه يسألهم ويسألونه فلما كان يوم بني اسرائيل ذكروا فقالوا هل يأتي على الانسان يوم لا يصيب فيه ذنبا فاضمر داود في نفسه انه سيطيق ذلك فلما كان يوم عبادة ربه غلق ابوابه وامر ان لا يدخل عليه أحد وانكب على التوراة فبينما هو يقرأ اذ هو بحمامة من ذهب فيها كل شيء حسن قد وقعت بين يديه فاهوي

شوسه واقداره واين قصاده وزواره فبكت الجارية بكاء شديدا وقالت ياشيخ كانوا فيه على سبيل العارية ثم نقلتهم الاقدار الى دار القرار وهكذا حالة الدنيا ترحل من سكن اليها وتسيء من أحسن اليها قالت فقلت لها ياجارية مررت في بعض الاعوام على هذا القصر فسمعت فيه جارية تغنى بصوت شجى فمن تلك الجارية قال فبكت وقالت هو انا ولم يبق احد من أهل هذا الدار غيري فالويل لمن عرفته الدنيا فقلت لها ياجارية كيف يقر بك القرار في هذا الموضع الخراب فقالت ياشيخ ما أعظم جفاك اما علمت أن هذا منزل الاحباب كيف افارقه ثم جعلت تقول هذه الابيات

قالوا اتفنى وقوفا في منازلهم
ونفس مثلك لا يفني تحملها
فقلت والقلب قد ضجت اضالعه
والروح تنزع والاشواق تبذلها
منازل الحب في قلبي معظمة
وان خلا من نعيم الوصل منزلها
فكيف اتركها والقلب يتبعها
حبا بمن كان قبل الموت

اليها ليأخذها فطارت فوقعت غير بعيد من غيران تؤيسه من نفسها فمازال يتبعها حتى أشرف على امرأة
تغتسل فاعجبه خلقها وحسنها فلما رأت ظله في الارض جللت جسدها بشعرها فزاده ذلك اعجابا بها
وكان قد بعث زوجها في بعض جيوشه فكتب اليه ان سر الى مكان كذا وكذا مكانا اذا وصل اليه قتل
ولم يرجع ففعل فاصيب فخطبها داود فتزوجها وقال بعضهم في سبب ذلك كما أخبرنا قتادة عن الحسن بن
محمد ان داود عليه السلام قال لبني اسرائيل حين ملك والله لاعدلن فيكم ولم يستثن فابتلي (وقال ابو بكر)
بن محمد بن عمر الوراق كان سبب ذلك ان داود عليه السلام كان كثير العبادة فاعجب بعمله فقال هل في
الارض أحد يعمل عملي فاتاه جبريل عليه السلام فقال ان الله تعالى يقول أعجبت بعبادتك والعجب يأكل
العبادة فان اعجبت ثانيا وكلتك الى نفسك فقال داود يارب كلني الى نفسي سنة فقال انها لكثير قال فشهرا
قال فانه لكثير قال فاسبوعا فقال انه لكثير قال فيوما قال انه لكثير قال فساعة قال فشانك بها قال فوكل
الحراس ولبس الصوف ودخل المحراب ووضع الزبور بين يديه فبينما هو في نسكه وعبادته اذ وقع الطائر
بين يديه وكان امر المرأة ما كان قالوا فلما دخل داود بامرأة أورياء لم يلبث الا يسيرا حتى بعث الله تعالى
ملكين في صورة رجلين فطلبا ان يدخلا عليه فوجداه في يوم عبادته فمنعهما الحراس ان يدخلا عليه
فتسورا المحراب وهو يصلي فما شعر الا وهما بين يديه جالسان فذلك قوله تعالى وهل أتاك نبأ الخصم اذ
تسوروا المحراب اذ دخلوا على داود ففزع منهم حين هجما عليه في محرابه بغير اذنه قالوا لا تخف خصمان بغى
بعضنا على بعض فاحكم بيننا بالحق ولا تشطط أي ولا تجر ولا تفرط واهدنا الى سواء الصراط ارشدنا
الى وسط الطريق المستقيم ان هذا أخي له تسع وتسعون نعجة ولي نعجة واحدة وهذا من أحسن التعريض
حيث كنى بالنعاج عن النساء والعرب تفعل ذلك كثيرا توري عن النساء وتكنى عنها بالغاب كالظباء والنعاج
والبقر وهو كثير فشا في اشعارهم فقال اكفلنيها وعزني في الخطاب قال الضحاك أعطنيها وتحول لي
عنها واجعلها كفلي أي نصيبي وعزني في الخطاب قال الضحاك يقول ان تكلم كان أفصح مني وان حارب
كان ابطش مني فقال داود لقد ظلمك بسؤال نعجتك الى نعاجه (قال السدي) باسناده ان احدهما
لما قال ان هذا اخي له تسع وتسعون نعجة قال داود للآخر ماتقول قال ان لي تسعا وتسعين نعجة ولاخي نعجة
واحدة فاريد أن آخذها منه وا كمل نعاجي مائة قال وهو كاره قال نعم قال اذا لا ندعك وان رمت ذلك
ضربنا منك هذا وهذا يعني طرف الانف وأصل الجبهة فقال الرجل ياداود انت أحق بضرب هذا مني
حيث كان لك تسع وتسعون امرأة ولم يكن لاورياء الا امرأة واحدة فلم تعرضه للقتال حتى قتل وتزوجت
امرأته فهذا وجه الآية الا ان داود حكم قبل أن يسمع كلام الخصم الآخر قالوا ثم ان داود نظر فلم ير أحدا
فعرف ما قد وقع فيه فذلك قوله تعالى وظن داود أنما فتناه أي ابتليناه وقال سعيد بن جبير انما كانت فتنة
داود بالنظر قال الاستاذ رحمه الله تعالى ولم يتعمد داود عليه السلام النظر الى المرأة ولكنه أعاد النظر
اليها فصارت عليه وبالا كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تتبع النظرة فان لك الاولى وعليك الاخيرة
فهذه أقاويل السلف الصالحين من أهل التفسير في قصة داود عليه السلام (وقد روى) الحرث
الاعور عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال من حدث بحديث داود عليه السلام على ما يرويه
القصاص معتقدا صحته جلدته حدين لعظم ما ارتكب وجليل ما احتقب يعني ما اكتسب من الوزر
والاثم برمي من قد رفع الله محله وأرسله من خلقه رحمة للعالمين وحجة للمجتهدين (وقال القائلون)
بتنزيه المرسلين في هذه القصة ان ذنبه انما كان تمنى أن تكون له امرأة أورياء حلالا وحدث نفسه
بذلك فاتفق له غزوة فارسل أورياء فقدمه أمام الحرب فاستشهد فلما بلغه قتله لم يجزع عليه ولم يتوجع له كما

قال الجنيد فتركتها
ومضيت وازداد قلبي
تولها ووقع شعرها في قلبي
موقعا وانما اعجبني قولها
لانها ذكرت صفة المحب
والمحبوب وصدقت في
الوصف الذي ذكرته
وصبرت على منازل
الاحباب وملازمتها على
ماهي فيه من شظف الحال
وتجدد احزان الفراق
سبحان من قهر العباد
بكاس الموت (وحكى عن
ابراهيم الخواص رضي الله
تعالى عنه انه قال) خرجت
سنة من السنين الى بيت
الله الحرام وزيارة النبي
صلى الله عليه وسلم فبينما انا
امشي اذ عارضني عارض
في طريقي يقتضي الخلوة
والخروج عن الطريق
الجادة فاخذت طريقا
غير الطريق التي كنت
ماشيا فيها فصرت امشي
ثلاثة ايام بلياليها ماخطر
على ذكر طعام ولا شراب
ولا حاجة مطلقا حتى
انتهيت الى برية
خضراء فيها من كل
الثمرات والرياحين و
رأيت في وسطها بحيرة
فلما رأيتها قلت هذه جنة
وصرت متعجبا فبينما انا
كذلك اذا بنفر قد اقبلوا
على سيماهم سيما الآدميين
وعليهم المرقعات الحسان

كان يجزع على غيره من جنده اذا هلك ووافق قتله مراده ثم تزوج امرأته فعاتبه الله على ذلك لان ذنوب الانبياء وان صغرت فهى عظيمة عند الله وقال بعضهم كان ذنب داود ان أورياء كان قد خطب تلك المرأة ووطن نفسه عليها فلما غاب فى غزاته خطبها داود فتزوجت منه لجلالته فاغتم لذلك أورياء غما شديدا فعاتبه الله على ذلك حيث لم يترك هذه الواحدة لخاطبها الاول وقد كان عنده تسع وتسعون امرأة ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم لا يبع أحدكم على بيع أخيه ولا يخطب على خطبة أخيه ومما يصدق ما ذكرناه ما قيل عن المفسرين المتقدمين مما أخبرناه به عقيل بن محمد الفقيه المعافرى عن ذكريا عن أنس بن مالك قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان داود عليه السلام حين نظر الى المرأة قطع على بني اسرائيل بعثا وأوصى صاحب البعث اذا حضر العدو فقدم فلانا بين يدى التابوت وكان التابوت فى ذلك الزمان يستنصر به ومن قدم بين يديه لم يرجع حتى يقتل أو ينهزم الجيش عنه فقتل زوج المرأة ونزل الملكان يقصا عليه قصته ففطن داود وسجد فمكث أربعين ليلة ساجدا يبكي حتى نبت الزرع من دموعه حول رأسه وأكلت الارض جبينه وهو يقول فى سجوده زل داود زلة هى أبعد مما بين المشرق والمغرب رب ان لم ترحم ضعف داود وتغفر له ذنبه جعلت ذنبه حديثا فى الخلائق من بعده فجاء جبريل عليه السلام بعد أربعين ليله فقال يا داود ان الله تعالى قد غفر لك الهم الذى هممت به فقال داود قد علمت ان الله قادر على ان يغفر الهم الذى هممت به وقد عرفت ان الله عدل لا يحيف فكيف بفلان يعني أورياء اذا جاء يوم القيامة فقال يارب دمى الذي عند داود فقال جبريل ما سألت ربك عن ذلك ولئن شئت لافعلن قال نعم فرجع جبريل عليه السلام وسجد داود فمكث ماشاء الله ثم نزل فقال قد سألت الله يا داود عن الذي أرسلتني فيه فقال الله تعالى قل لداود ان الله يجمعكما يوم القيامة فيقول له هب لي دمك الذي عند داود فيقول هو لك يارب فاقول ان لك فى الجنة ما شئت وما اشتهيت عوضا عن دمك * أخبرنا ابن فتحو به باسناده عن كعب الاحبار وعن وهب بن منبه قالوا جميعا ان داود عليه السلام لما دخل عليه الملكان وقضى على نفسه تحولا فى صورتهما فعرجا وهما يقولان قضي الرجل على نفسه وعلم داود أنما فتناه فخر ساجدا اربعين يوما لا يرفع رأسه الا لحاجة لابد منها أو صلاة مكتوبة ثم يعود فيسجد تمام أربعين يوما لا يأكل ولا يشرب وهو يبكي حتى نبت العشب حول رأسه وهو ينادي ربه تعالى و يسأله التوبة وكان يقول في سجوده سبحان الملك الاعظم الذي يبتلى الخلائق بما يشاء سبحان خالق النور سبحان الحائل بين القلوب الهى خليت بيني وبين عدوى ابليس فلم أقم لفتنته اذ نزل بى قدمى سبحان خالق النور الهى تبكى الثكلى على ولدها اذا فقدته و يبكى داود على خطيئته سبحان خالق النور يغسل الثوب فيذهب درنه ووسخه والخطيئة لازمة لى لا تذهب عنى سبحان خالق النور الهي لم أتعظ بما وعظت به غيرى سبحان خالق النور الهى أمرتنى ان أكون لليتيم كالاب الرحيم وللارملة كالزوج العطوف فنسيت عهدك سبحان خالق النور الهى خلقتنى وفى سابق علمك كان ما انا صائر اليه سبحان خالق النور الهى الويل لداود اذا كشف عنه الغطاء فيقال هذا داود الخاطيء سبحان خالق النور الهى بأي عين أنظر اليك يوم القيامه وانما ينظر الظالمون من طرف خفى سبحان خالق النور الهي باى قدم أقوم أمامك يوم يزل اقدام الخاطئين يوم القيامة من سوء الحساب سبحان خالق النور الهى مضت النجوم وكنت أعرفها باسمائها تؤنسني فتركتني والخطيئة لازمة لى سبحان خالق النور الهى امطرت السماء ولم تمطر حولى واعشبت الارض ولم تعشب حولى بخطيئتي سبحان خالق النور الهى انا الذي لا اطيق حر شمسك فكيف أطيق حر نارك سبحان خالق النور الهى انا الذى لا أطيق صوت رعدك فكيف اطيق صوت جهنم سبحان خالق النور الهى

فاتوا الى وسلموا على فقلت وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته ثم وقع فى خاطرى سؤالهم عن كونهم من الجن أم من الانس وان البقعة بقعة غريبة فقال قائل منهم قد جرت بيننا مسئلة واختلفنا فيها ونحن نفر من الجن قد سمعنا كلام الله من نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ليلة من الليالى فسلبتنا نغمة كلامه جميع الدنيا وقد قيض الله لنا هذه البحيرة في هذه البرية قال ابراهيم فقلت كم بيني وبين اصحابى وهل حضر هذا الموضع غيرى فقالوا ان هذا الموضع لم يحضر اليه آدمي قبلك غير شاب من أصحابك وتوفي هنا وهذا قبره ثم اشاروا الى شفير تلك البحيره فرأيت قبرا حوله رياحين وروضة خضراء لم أر أحسن منها ثم قالوا اتدرى كم بينك وبين اصحابك فقلت الله اعلم فقالوا مسيرة سنة قال ابراهيم فتعجبت من ذلك فقلت اخبرونى عن الشاب صاحب هذا القبر فقال قائل منهم بينما نحن قعود على شفير هذه البحيرة نتذاكر المحبة ونتحاور فيها اذا نحن بشخص قد اقبل الينا وسلم علينا فرددنا عليه السلام وقلنا

كنت تستر الخاطئين بخطاياهم وأنت شاهد حيث كانوا سبحان خالق النور الهى رق القلب وجمدت العينان من مخافة الحريق على جسدى سبحان خالق النور الهى الطير تسبح لك وانا العبد الخاطىء الضعيف الذى لم ارع وصيتك سبحان خالق النور الهي الويل لداود من الذنب العظيم الذى اصاب ولا علم له بذلك سبحان خالق النور الهي انا المستغيث وأنت المغيث فما يدعوا المسيء الا المغيث سبحان خالق النور الهى اسألك بابى ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب ان تعطيني سؤلى سبحان خالق النور اللهم برحمتك اغفرلى ذنوبى ولا تباعدني من رحمتك لهوانى فانك ارحم الراحمين سبحان خالق النور الهي انى اعوذ بك من دعوة لا تستجاب وصلاة لا تقبل وذنب لا يغفر وعذاب لا يفتر سبحان خالق النور الهى انى اعوذ بك وبنور وجهك الكريم من ذنوبى التى أوبقتنى سبحان خالق النور الهى فررت اليك من ذنوبى واعترفت بخطيئتى فلا تجعلنى من القانطين ولا تخزني يوم يبعثون سبحان خالق النور الهى فرغ الحنين وفرغت الدموع وتناثر الدود من ركبتى وخطيئتي الزم لى من جلدي سبحان خالق النور قالوا فاتاه النداء اجائع انت فتطعم أوظمآن انت فتسقى اومظلوم انت فتنصر ولم يجبه فى ذكر خطيئته بشيء فصاح صيحة فهاج منها ماحوله ثم نادى يارب الذنب الذى أصبته فنودي ياداود ارفع راسك فقد غفرت لك فلم يرفع راسه حتى أتاه جبريل عليه السلام فرفعه قال وهب بن منبه ان داود عليه السلام اتاه نداء اني قد غفرت لك فقال يارب كيف وانت لا تظلم احدا فقال اذهب الى قبر أوريا فناده وانا أسمعه نداءك فتحلل منه قال فانطلق داود عليه السلام حتى أتى قبره وقد لبس المسوح فجلس عند قبره ثم ناداه ياأوريا فقال لبيك من هذا الذي قطع علي لذتى وايقظنى قال انا داود قال ماجاء بك يانبي الله قال جئت أتحلل مما كان مني اليك قال وما كان منك الى قال عرضتك للقتل قال عرضتني للجنة وانت فى حل فاوحي الله تعالى الي داود عليه السلام ألم تعلم أنى حكم عدل لا أقضى الا بالحق الا أعلمته انك تزوجت امرأته قال فانطلق داود اليه فناداه ياأورياه فاجابه فقال من هذا الذي قطع على لذتى قال انا داود قال يانبي الله ماحاجتك أليس قد عفوت عنك قال نعم لكن أنا مافعلت بك ذلك الا لمكان امرأتك وانى قد تزوجتها قال فسكت أورياه ولم يجبه فدعاه فلم يجبه فقام عند قبره وحثا التراب على رأسه ثم نادى الويل ثم الويل لداود سبحان خالق النور الويل لداود ثم الويل الطويل لداود سبحان خالق النور الويل لداود ثم الويل الطويل له اذا نصبت الموازين القسط ليوم القيامة سبحان خالق النور الويل لداود ثم الويل الدائم له حين يؤخذ برقبته ثم يدفع الى المظلوم سبحان خالق النور الويل لداود ثم الويل الطويل له حين يسحب على وجهه مع الخاطئين الى النار سبحان خالق النور الويل لداود ثم الويل الطويل له حين تقربه الزبانية مع الظالمين الى النار سبحان خالق النور قال فاتاه النداء من السماء ياداود قد غفرت لك ذنبك ورحمتك ورثيت لطول مكانك واستجبت دعاءك وأقلت عثرتك قال يارب كيف لى ان تعفو عني وصاحبي لم يعف عنى قال ياداود وان يعف أو لم يعف فانا أعطيه يوم القيامه مالم ترعيناه ولم تسمع أذناه فاقول له قد رضيت عبدى فيقول يارب من أين هذا ولم يبلغه عملي فاقول هذا عوض من أجل عبدي داود فاستوهبك منه فيهبك لى فقال داود يارب الآن قد عرفت انك قد غفرت لى فذلك قوله عزوجل فاستغفر ربه وخر راكعا وأناب فغفرنا له ذلك وان له عندنا لزلفي وحسن مآب وروى أبو معشر عن محمد بن كعب ومحمد بن قيس قالا فى قوله تعالى وان له عندنا لزلفي وحسن مآب ان أول من يشرب الكاس يوم القيامة داود عليه السلام (أخبرنا) أبو الحسين محمد بن محمد بن علي اخبرنا ابو بكر بن احمد بن معقل أخبرنا عمر بن محمد الشرقى قال النضر الكبي قال حدثنا أبو سعيد عبد الله المزنى قال حدثنا محمد بن المنكدر عن

له من اين اقبل الشاب فقال من مدينة سابور فقلنا له متي خرجت منها فقال منذ سبعة ايام فقلنا له وما الذى ازعجك منها واخرجك من وطنك فقال سمعت قوله تعالى وانيبوا الى ربكم واسلموا له من قبل ان يأتيكم العذاب ثم لا تنصرون فقلنا له مامعني الانابة وما معنى التسليم وما معنى العذاب فقال الانابة ان يرجع بك منك اليه ولم يذكر التسليم فى الاصل ولعله اراد ان العبد يسلم نفسه لله تعالى ويعلم انه اولى به ثم قال والعذاب وصاح صيحة عظيمة ومات رحمة الله عليه فواريناه بالتراب وهذا قبره رضي الله تعالى عنه قال ابراهيم فتعجبت مما وصفوه لي فدنوت الى قبره فوجدت عنده باقة نرجس كانها رحا عظيمة ومكتوب على ورقة منها هذا حبيب الله قتيل الغيرة وعلى ورقة اخرى صفة الانابة قال ابراهيم فقرأت لهم ماهو مكتوب على النرجس وفسرته لهم فوقع بهم الطرب فلما افاقوا قالوا قد وجدنا جواب مسئلتنا فوقع النوم على فما انتبهت الا قريبا من اصحابي بمسجد

محمد بن عبد الرحمن بن عوف حدثني أبو سعيد الخدري قال أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يارسول الله انى رأيت الليلة فى منامي كانى تحت شجرة والشجرة تقرأ سورة ص فلما بلغت الشجرة الي السجدة سجدت فسمعتها تقول فى سجودها اللهم اكتب لى بها أجرا واحطط عني بها وزرا وارزقني بها شكرا وتقبلها مني كما تقبلتها من عبدك داود عليه السلام فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أفسجدت انت ياأبا سعيد قال قلت لا يارسول الله فقال انت أحق بالسجدة من الشجرة ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بلغ السجدة فسجد ثم قال مثل قول الشجرة (قال وهب بن منبه) ان داود عليه السلام لما تاب الله عليه بكى على خطيئته ثلاثين سنة لاترقا له دمعة ليلا ولا نهارا وكان اصاب الخطيئة وهو ابن سبعين سنة وقسم الدهر بعد الخطيئة على أربعة أقسام يعني اربعة ايام فجعل يوما للقضاء بين الناس ويوما لنسائه ويوما يسبح فى الفيافى والجبال والقفار والسواحل ويوما يخلو فى داره وفيها أربعة آلاف محراب فيجتمع اليه الرهبان فينوح بعضهم على بعض ويساعدنه على ذلك فاذا كان يوم سياحته يخرج الى الفيافى فيرفع صوته كالمزامير ويبكى فيبكى معه الشجر والمدر والطير والوحش حتي يسيل من دموعه مثل الانهار ثم يجىء الى الجبال فيرفع صوته كالمزامير فيبكى وتبكى معه الجبال والحجارة والدواب والطير حتى تسيل الاودية من بكائهم ثم يجيء الي الساحل فيرفع صوته كالمزامير فيبكى وتبكى معه الحيتان ودواب البحر والطير والماء والسباع فاذا أمسي رجع فاذا كان يوم نوحه على نفسه نادى مناديه ان اليوم يوم نوح داود على نفسه فليحضر من يساعده قال فيدخل الدار التي فيها المحاريب فيبسط له ثلاث فرش من مسوح حشوها الليف ليجلس عليها وتجىء الرهبان اربعة آلاف راهب عليهم البرانس وعليهم المسوح وفى أيديهم العصى ثم يجلسون فى تلك المحاريب ثم يرفع صوته بالبكاء والنوح فيرفع الرهبان معه اصواتهم فلايزال يبكى حتى يغرق الفرش من دموعه ويقع داود فيها مثل الفرخ يضطرب فاجىء ابنه سليمان عليه السلام فيحمله فيأخذ داود من تلك الدموع بكفه ثم يمسح بها وجهه ويقول يارب اغفرلى ماترى فلو عدل بكاء داود ودموعه ببكاء أهل الارض ودموعهم لعدلها (أخبرنا) ابن فتحويه عن عثمان ابن أبى عاتكة انه قال كان من دعاء داود عليه السلام سبحانك الهى اذا ذكرت خطيئتى ضاقت على الارض برحبها واذا ذكرت رحمتك ارتدت الى روحى الاهى أتيت أطباء عبادك ليداونى فكلهم عليك دلونى وقال صلى الله عليه وسلم خد الدمع في وجه داود مثل خد الماء في الارض أخبرنا ابن فتحويه عن الحسن بن عبد الله القرشي قال لما اصاب داود الخطيئة فزع الى العبادة فاتى راهبا في قلة جبل فناداه بصوت عال فلم يجبه فلما اكثر عليه الصوت قال الراهب من هذا الذي ينادينى قال انا داود نبي الله قال صاحب القصور الحسنة الحصينة والخيول المسومة والنساء والشهوات لئن نلت الجنة بهذا لانت انت قال داود فمن انت قال انا راهب راغب منز ومترقب قال فمن انيسك ومن جليسك قال اصعد تراه ان كنت تريد ذلك قال فتخلل داود الجبل ورقى الى القلة فاذا هو بميت مسجى فقال له هذا انيسك هذا جليسك قال نعم قال وما هذا قال تلك قصته مكتوبة فى لوح من نحاس عند رأسه فقرأ داود الكتاب فاذا فيه انا فلان بن فلان ملك الملوك عشت الف عام وبنيت الف قصر والف مدينة وهزمت الف عسكر وتزوجت الف امرأة وافتضضت الف بكر فبينما انا فى ملكى اذ اتانى ملك الموت فاخذنى واخرجني مما كنت فيه فهذا التراب فراشي والدود جيرانى قال فخر داود عليه السلام مغشيا عليه ✻ وعن نافع عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كان الناس يعودون داود عليه السلام فيظنون انه مريض ومابه الا الحياء والخوف من الله تعالى (قال وهب بن منبه) لما تاب الله على داود كان يبدأ اذا دعا

عائشة رضى الله تعالى عنها فوجدت فى وطائى باقة نرجس فمكثت معى سنة كاملة لم تتغير فلما كان بعد مدة يسيرة فقدتها فتأسفت عليها اسفا شديدا ورجعت باكيا حزينا ﴿ وحكى عن بعضهم رضى الله تعالى عنه انه قال ﴾ رأيت فى منامى كان اهل القبور قد خرجوا من قبورهم الى ظاهر المقبرة فاذاهم يلتقطون شيأ لاادرى ماهو فتعجب من ذلك ورأيت رجلا منهم جالسا منفردا وحده لم يلتقط معهم فدنوت منه فسلمت عليه وسألته ما الذى يلتقطه هؤلاء فقال يلتقطون مايهدى المسلمون من القراءة والصدقة والدعاء فقلت له لم لاتلتقط معهم فقال انى غني عن ذلك فقلت له باى شىء انت غني فقال بختمة يقرؤها ولدى يهديها الى في كل يوم وليلة فقلت واين هو فقال شاب يبيع الزلابية فى السوق الفلانى قال فلما استيقظت من نومى ذهبت الى السوق فاذا بشاب جالس يبيع الزلابية ويحرك شفتيه فاتيت اليه وقلت له باي شىء تحرك شفتيك فقال

فيستغفر للخاطئين قبل نفسه فيقول اللهم اغفر للخاطئين فعساك ان تغفرلداود معهم (وعن قتادة) عن الحسن قال كان داود بعد الخطيئة لا يجالس الا الخاطئين ثم يقول تعالوا الى داود الخاطىء ولا يشرب شرابا الا وهو ممزوج بدموع عينيه وكان يجعل خبز الشعير اليابس في قصعته ولا يزال يبكي حتى يبتل بدموعه وكان يذر عليه الملح والرماد فيأكل ويقول هذا أكل الخاطئين قال وكان داود عليه السلام قبل الخطيئة يقوم نصف الليل ويصوم نصف الدهر فلما كان من خطيئته ما كان صام الدهر كله وقام الليل كله (وقال وهب) ان داود عليه السلام لما تاب الله عليه قال يارب اغفرت لي قال نعم قال فكيف لي ان لا انسى خطيئتي فاستغفرمنها لي وللخاطئين الى يوم القيامه قال فوشم الله خطيئته في يده اليمنى فما رفع بها طعاما ولا شرابا الا بكي اذا رآها وما قام خطيبا في الناس الا بسط راحته فاستقبل الناس ليروا وسم الخطيئة (واخبرنا) عبدالله بن حامد عن ثابت قال كان داود عليه السلام اذا ذكر عقاب الله تعالي تخلعت اوصاله ولا يشدها الا الانين فاذا ذكر رحمة الله تعالى تراجعت (وعن ابى عبدالله البجلى) قال مارفع داود بعد الخطيئة رأسه الى السماء قط حتى مات صلى الله على نبينا محمد وعليه وسلم تسليما كثيرا الى يوم الدين

﴿ باب في ذكر خروج ابن داود على ابيه وما كان من امرهما ﴾

قال وهب وغيره من اهل الكتب ان داود عليه السلام لم يزل قائما بالملك بعد طالوت الى ان كان من أمره وامر امرأة أوريا ما كان فلما واقع الخطيئة واشتغل بالتوبة منها استخفت به بنو اسرائيل واستضعفوه واجتمع اهل الزيغ من بني اسرائيل وذهبوا الى ابن لداود من ابنة طالوت يقال له شالون وقيل ايشا وقالوا له قد كبر ابوك واشتغل بخطيئته وتوبته وضاعت حقوق الناس وضعف امر الملك فلم يزالوا به حتي بايعوه وخلعوا داود وعدلوا عنه ودعاهذا الابن الى نفسه فلمارأي ذلك داود خرج من بين اظهرهم مع ابن اخ له يقال له نواب وتوغل في الجبال فاشار قومه على ابنه ان يقتل اباه فلما بلغ ذلك داود أرسل اليه رفيقه وقال له قل له هل سمعت بابن قتل أباه فقال له الابن وهل سمعت انت بنبي اذنب فلم تقبل توبته فقال له الرسول ان كان الله تعالى قد اذن لك في هلاكه فلا تباشره انت فانه لا يحمل في الاخرة حد دونه منك فقبل منه ذلك فكف عن قتل أبيه داود وبقي ابنه ملكا سنتين فلما تاب الله على داود صارت الناس تأتيه فحارب ابنه فهزمه ووجه في طلبه قائدا من قواده وأوصاه ان يتوقي حتفه ويتلطف في اسره فطلبه القائد وهو منهزم فاضطره الى شجرة فرابض بها وكان الغلام ذا جمة فتعلق غصن من أغصانها بشعره فحبسه ولحقه القائد فقتله مخالفا لامر داود عليه السلام فحزن عليه داود حزنا شديدا وتنكر للقائد وكان له بأس شديد في ملاقاة العدو فكره داود ان يقتله فتركه لاجل مجاهدة العدو فلما حضر داود الموت اوصي ولده سليمان عليهما السلام بقتل القائد فقتله حين فرغ من دفن أبيه وكانت مدة داود من يوم خرج من ملكه وانقطع عنه الوحي الي ان قبل الله توبته ورد عليه ملكه ورجع الى قومه سنتين

﴿باب في قصة اصحاب السبت﴾

قال الله تعالى واسألهم عن القرية التي كانت حاضرة البحر اذ يعدون في السبت الآية (قال) ابن عباس ووهب بن منبه ان قوما من بنى اسرائيل سكنوا قرية على شاطيء البحر بين مصر ومدين يقال لها ايلة حرم الله عليهم صيد الحيتان وسائر العمل يوم السبت وامرهم ان يتفرغوا لعبادته ذلك اليوم وذلك في زمن داود عليه السلام فكان اذا دخل يوم السبت لم يبق حوت في البحر الا اجتمع هناك ويخرجن من الماء خراطيمهن حتى لا يرى الماء من كثرتهن حتى اذا مضي السبت تفرقن ولزمن مقر

بينهم

ختمة اقرأها واهدي ثوابها الى والدي في قبره قال فمكثت بعد ذلك مدة من الزمان فرأيت في بعض الليالي كما رأيته أولا وهو ان اهل القبور يلتقطون واذا بالرجل يلتقط معهم كما يلتقطون فاستيقظت متعجبا وذهبت الى السوق لانظر ما فعل بالشاب فوجدته قد مات رحمة الله تعالى عليه فسألت الله تعالى ان يريني مقامات اهل المقابر فرأيت في نومي كأن القيامة قد قامت والقبور قد انشقت فاذا منهم النائم على السندس ومنهم النائم على الحرير والديباج ومنهم النائم على الريحان ومنهم النائم على السرير ومنهم الضاحك ومنهم الباكي فقلت يارب لو شئت ساويت بينهم في في الكرامة الواحدة فنادي مناد من اهل القبور ياهذا اعلم ان هي منازل الاعمال ومحطات الرجال (فاما) اصحاب السندس فهم اهل الخلق الحسن (واما) اصحاب الحرير والديباج فهم الشهداء (واما) اصحاب الريحان فهم الصادقون (واما) اصحاب الضحك فهم اصحاب التوبه (واما) اصحاب البكاء فهم المذنبون

البحر لا يرى منهم الا القليل فذلك قوله تعالى اذ تأتيهم حيتانهم يوم سبتهم شرعا ويوم لا يسبتون لا تأتيهم كذلك نبلوهم الآية (سمعت ابا القاسم) قال سمعت ابي يقول سئل الحسن بن الفضيل هل تجد في كتاب الله الحلال لا يأتيك الا قوتا والحرام يأتيك جزافا قال نعم في قصة داود عليه السلام وأهل ايلة اذ تأتيهم حيتانهم يوم سبتهم شرعا ويوم لا يسبتون لا تأتيهم قال فعمد رجال منهم فحفروا الحياض حول البحر وشرعوا اليها من الانهار فاذا كانت عشية الجمعة فتحوا تلك الانهار فيقبل الموج بالحيتان الى الحياض فلا تطيق الخروج منها لبعد عمقها وقلة الماء فاذا كان يوم الاحد اخذوها وقيل انهم كانوا ينصبون الحبال والشخوص يوم الجمعة ويخرجونها يوم الاحد قال وكانت الحيتان تأتيهم يوم السبت كثيرا وفي غير يوم السبت لا يأتيهم حوت واحد فاخذ رجل منهم حوتا وربط في ذنبه خيطا ثم ربطه الى خشبة في الساحل ثم تركه في الماء الى يوم الاحد فاخذه فشواه فوجد جاره ريح الحوت فقال له يا فلان انى اجد في بيتك ريح الحوت فانكره فاطلع الجار في تنوره فاذا هو في بيته فقال له انى ارى الله سيعذبك فلما رأى العذاب لم يأخذه اخذ في السبت الآخر حوتين فلما رأوا العذاب لا ينزل عليهم اخذوا وملحوا وأكلوا وباعوا فاثروا وكثرت اموالهم ولم تنزل عليهم عقوبة فقست قلوبهم وتجبروا وتجرؤا على الذنب وقالوا ما نرى السبت الا قد احل لنا وانما حرم ذلك على آبائنا لانهم قتلوا أنبياءهم فلما فعلوا ذلك صار اهل تلك القرية وكانوا نحوا من سبعين الفا ثلاثة أصناف صنف أمسك ونهى وصنف أمسك ولم ينه وصنف انتهكوا الحرمة فكان الذين نهوا اثنا عشر الفا فلما ابى المجرمون قبول النصيحة قال الناهون والمسكون والله لنخرجن من القرية ولا نساكنكم في قرية واحدة ثم قسموا القرية بينهم بجدار ومكثوا على ذلك سنين فلعنهم الله على لسان داود عليه السلام وغضب عليهم لاصرارهم على المعصية فخرج الناهون ذات يوم من بابهم والمجرمون لم يفتحوا بابهم ولا خرج منهم أحد فلما أبطؤا تسوروا عليهم الحائط فاذاهم جميعهم قد مسخوا قردة فذلك قوله تعالى فلما نسوا ما ذكروا به أنجينا الذين ينهون عن السوء وأخذنا الذين ظلموا بعذاب بئيس أى شديد بما كانوا يفسقون فلما عتوا عما نهوا عنه قلنا لهم كونوا قردة خاسئين أي صاغرين نظيره قوله تعالى لعن الذين كفروا من بني اسرائيل على لسان داود يعني عصاة أهل ايلة وعيسى بن مريم يعني كفار أصحاب المائدة ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون قالوا فلما دخلوا عليهم ورأوا أنهم قد مسخوا عرفت القردة انسباءهم من الانس ولم تعرف الانس انسباءهم من القردة فجعل القرد يأتي نسيبه من الانس فيشم ثيابه ويبكي فيقول له الرجل ألم ننهكم فيقول القرد برأسه نعم قال قتادة صارت الشباب قردة والشيوخ خنازير فما نجا الا الذين نهوا وهلك سائرهم ثم خرج الممسوخون من المدينة وهاموا على وجوههم متحيرين ومكثوا كذلك ثلاثة أيام ثم هلكوا وكذلك لم يبق قوم مسخوا أكثر من ثلاثة أيام ولم يتوالدوا ولم يتناسلوا ثم بعث الله عليهم ريحا ومطرا فقذفهم في البحر فاذا كان يوم القيامة أعادهم الله تعالى الى صورهم البشرية فيدخلهم النار (وروى) أبو النصر عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أهلك الله قوما ولا قرنا ولا أمة بعذاب من السماء بعد ما أنزل الله التوراة على وجه الارض غير أهل القرية التى كانت حاضرة البحر الذين مسخوا قردة ألم تسمع قول الله تعالى ولقد آتينا موسى الكتاب من بعد ما أهلكنا القرون الاولى الآية

﴿ باب في قصة داود وسليمان عليهما السلام في الحرث ﴾

قال الله تعالي وداود وسليمان اذ يحكمان في الحرث اذ نفشت فيه غنم القوم وكنا لحكمهم شاهدين

قال فاستيقظت من نومي مفكرا فيهم رحمة الله تعالى عليهم اجمعين ورحمنا والمسلمين آمين بجاه سيد المرسلين (وحكى عن صالح المرى رضي الله تعالى عنه انه قال (أقبلت ليلة جمعة الى الجامع فمررت على مقبرة فجلست عند قبر هناك فغلبني النوم فنمت فرأيت في منامى كان اهل القبور قد خرجوا من قبورهم وقعدوا حلقا يتحدثون واذا بشاب عليه ثياب دنسة جالس بجانب القبر مهموما مغموما فريدا بنفسه ثم لم يلبثوا الا ساعة حتى اقبلت الملائكة بايديهم اطباق من نور مغطاة بمناديل من نور فاخذ كل واحد منهم طبقا من تلك الاطباق ودخل في قبره الا هذا الشاب فتعلقت به وقلت له يا عبد الله مالي اراك حزينا وما هذه الاطباق فقال هذه صدقات الاحياء ودعاؤهم لموتاهم تأتيهم كل ليلة جمعة ويومها ثم بكى بكاء شديدا وذكر ان له والدة قد اشتغلت عنه بالدنيا وتزوجت وتركته وقد تخلف له الحزن والبكاء والتحيب اذ ليس له من يتذكره قال صالح فسألته عن منزل والدته اين هو فوصف لي الموضع فلما

(قال ابن عباس وقتادة) كان الحرث زرعا وقال ابن مسعود وشريح كان الحرث كرما قد تدلت عناقيده اذ نفشت فيه غنم القوم رعته ليلا فافسدته والنفش بالليل والهمل بالنهار وهما جميعا الرعي بلا راع وكنا لحكمهم شاهدين لا يخفى علينا منه شيء. قال ابن عباس وقتادة أن رجلين دخلا على داود أحدهما صاحب غنم والآخر صاحب حرث فقال صاحب الزرع ان هذا انفلتت غنمه ليلا فوقعت في حرثي فلم تبق منه شيأ قال له داود اذهب فان الغنم لك فاعطاه رقاب الغنم بالحرث فمرا على سليمان فقال لهما كيف قضى بينكما فاخبراه فقال سليمان لو وليت أمركما لقضيت بغير هذا فاخبرا بذلك داود فدعاه فقال له كيف كنت تصنع في القضاء بينهما قال كنت أدفع الغنم الى صاحب الحرث سنة فيكون له نسلها وصوفها ومنافعها ويبذر صاحب الغنم لاهل الحرث مثل حرثهم فاذا كان العام المقبل وصار الحرث كهيئته يوم أكل فيدفع الى أهله و يأخذ صاحب الغنم غنمه (وقال) ابن مسعود وشريح أن راعيا نزل ذات ليلة بجنب كرم فدخلت الاغنام الكرم وهو لا يشعر فأكلت القضبان وأفسدت الكرم فسار صاحب الكرم من الغد الى داود فقضى بالاغنام لصاحب الكرم لانه لم يكن بين ثمن الاغنام وثمن الكرم تفاوت قال فمرا بسليمان وهو ابن احدي عشرة سنة فقال لهما ماقضى بينكما داود فقصا عليه القصة فقال سليمان غير هذا أرفق بالفريقين فعاد الى داود فاخبراه بذلك فدعا سليمان وقال بحق النبوة والابوة الا ما أخبرتني بالذي هو أرفق بالفريقين فقال سليمان تسلم الاغنام الى صاحب الكرم لينتفع بنسلها وصوفها ومنافعها و يعمل الراعي في اصلاح الكرم الي أن يعود كهيئته ثم يسلمه صاحبه وترد الاغنام الى صاحبها فقال داود القضاء ماقضيت وحكم بذلك فذلك قوله تعالى ففهمناها سليمان وكلا آتينا حكما وعلما قال الحسن كان الحكم ماقضي به سليمان ولم يعنف الله داود في حكمه قال الاستاذ وهذا يدل على ان كل مجتهد نصيب

﴿باب في قصة استخلاف داود ابنه سليمان عليهما السلام وذكر بدء امر الخاتم﴾

قال ابو هريرة رضي الله عنه انزل الله تعالى كتابا من السماء على داود عليه السلام مختوما بخاتم من ذهب فيه ثلاث عشرة مسئلة فاوحى الله تعالي اليه ان سل عنها ابنك سليمان فان هو اخرجها فهو الخليفة من بعدك قال فدعا داود عليه السلام سبعين قسا وسبعين حبرا واجلس سليمان بين ايديهم وقال يابني ان الله تعالى انزل على كتابا من السماء فيه مسائل وامرني ان اسألك عنها فان اخرجتها فانت الخليفة من بعدى فقال سليمان ليسأل نبي الله عما بداله وما توفيقي الا بالله قال داود يابني ما اقرب الاشياء وما ابعدها وما آنس الاشياء وما اوحشها وما احسن الاشياء وما اقبحها وما اقل الاشياء وما اكثرها وما القائمان وما الساعيان وما المشتركان وما المتباغضان وما الامر الذى اذا ركبه الرجل حمد آخره وما الامر الذى اذا ركبه الرجل ذم آخره فقال سليمان عليه السلام اما اقرب الاشياء فالآخرة واما ابعد الاشياء فما فاتك من الدنيا وما انس الاشياء فجسد فيه روح واما اوحش الاشياء فجسد لاروح فيه وما احسن الاشياء فالايمان بعد الكفر وأما اقبح الاشياء فالكفر بعد الايمان وما اقل الاشياء فاليقين واما اكثر الاشياء فالشك واما القائمان فالسماء والارض واما الساعيان فالشمس والقمر واما المشتركان فالليل والنهار واما المتباغضان فالموت والحياة واما الامر الذي اذا ركبه الرجل حمد آخره فالحلم عند الغضب واما الامر الذى اذا ركبه الرجل ذم آخره فالحدة عند الغضب قال ففكوا الخاتم فاذا جواب المسائل سواء على ما نزل من السماء فقال القسيسون والرهبان لا نرضي حتى نسأله عن مسئلة فان اخرجها فهو الخليفة من بعدك فقال سليمان عليه السلام

اصبحت ذهبت الي بيت والدة الشاب وطرقت عليها الباب فكلمتني من خلف الستر فقصصت عليها القصة فلما سمعت ذلك بكت بكاء شديدا ثم قالت ياصالح خذ هذه الالف درهم فتصدق بها على ولدى وقرة عيني وانالم انسه بقية عمري ان شاء الله تعالى قال صالح فتصدقت عليه بتلك الدراهم فلما كانت الجمعة الاخرى اقبلت ار يد المسجد على العادة فاتيت المقبرة واسندت ظهرى الى القبر فنمت فاذا بالناس قد خرجوا من قبورهم واذا بالشاب عليه ثياب بيض وهو فرح مسرور فاقبل نحوى حتى دنامني وقال جزاك الله عني خيرا ياصالح قد وصلت الهدية قال صالح فقلت له أتتم تعرفون يوم الجمعة فقال نعم وان الطيور يعرفون يوم الجمعة و يقولون ليوم الجمعة سلام سلام اللهم ارحمنا برحمتك واغفر لنا وللمسلمين (وحكى عن ذى النون المصرى رضي الله تعالى عنه) انه بينما انا سائر في واد من الاودية اذ مررت على واد كثير الاشجار والنبات من خضرته وانهاره وكثرة عشبه وازهاره

سلوني وما توفيقي الا بالله فقالوا له ما الشيء الذي اذا صلح صلح كل شيء من الانسان واذا فسد فسد كل شيء من الانسان فقال هو القلب فقام داود فصعد المنبر فحمد الله تعالى واثنى عليه ثم قال ان الله تعالى يامرني ان استخلف عليكم سليمان قال فضجت بنو اسرائيل وقالوا غلام حدث يستخلف علينا وفينا من هو افضل منه واعلم فبلغ ذلك داود عليه السلام فدعا رؤساء اسباط بني اسرائيل وقال لهم انه قد بلغني مقالتكم فاروني عصيكم فاى عصا اثمرت فان صاحبها ولي هذا الامر بعدي قالوا قد رضينا فجاؤا بعصيهم فقال لهم داود ليكتب كل رجل منكم اسمه على عصاه فكتبوا ثم جاء سليمان بعصاه فكتب عليها اسمه ثم ادخلت بيتا واغلق عليها الباب وسد بالاقفال وحرسه رؤس اسباط بني اسرائيل فلما اصبح صلى بهم الغداة ثم اقبل ففتح الباب فاخرج عصيهم كما هي واما عصا سليمان فقد اورقت واثمرت قالوا فسلموا الامر في ذلك لداود عليه السلام فلما رأي ذلك داود حمد الله وحمل سليمان خلفه ثم سار به في بني اسرائيل فقال ان هذا خليفتي عليكم من بعدي (قال وهب بن منبه) لما استخلف داود ابنه سليمان عليهما السلام وعظه فقال يابني اياك والهزل فان نفعه قليل ويهيج العداوة بين الاخوان واياك والغضب فان الغضب يستخف بصاحبه وعليك بتقوى الله وطاعته فانهما يغلبان كل شيء واياك وكثرة الغيرة على اهلك من غير شيء فان ذلك يورث سوء الظن بالناس وان كانوا برآء اقطع طمعك عن الناس فان ذلك هو الغني واياك والطمع فانه الفقر الحاضر واياك ومايعتذر منه من القول والفعل وعود نفسك ولسانك الصدق والزم الاحسان فان استطعت ان يكون يومك خيرا من امسك فافعل وصل صلاة مودع ولا تجالس السفهاء وتردد على عالم ولا تماره في الدين واذا غضبت فالصق نفسك بالارض وتحول من مكانك وارج رحمة الله فانها وسعت كل شيء (قالوا) ثم ان سليمان بعد ان استخلف أخفى امره وتزوج بامرأة واستتر عن الناس واقبل على العلم والعبادة ثم ان امرأته قالت له ذات يوم بابي انت وامي ما أكمل خصالك واطيب رائحتك ولا اعلم لك خصلة اكرهها الا انك في مؤنة ابي فلو دخلت السوق فتعرضت لرزق الله لرجوت ان لا يخيبك الله فقال سليمان انى ما عملت عملا قط ولا أحسنه ثم انه دخل السوق صبيحة يومه ذلك فلم يقدر على شيء فرجع فاخبرها فقالت غدا يكون ان شاء الله فلما كان اليوم الثاني مضي حتى انتهى الى ساحل البحر فاذا هو بصياد فقال له هل لك ان اعينك وتعطيني شيأ قال نعم قال فاعانه فلما فرغ اعطاه الصياد سمكتين فاخذهما وحمد الله تعالى ثم انه شق بطن احداهما فاذا هو بخاتم في بطنها فاخذه وصره في ثوبه وحمد الله عزوجل واخذ السمكتين وجاء بهما الى منزله ففرحت امرأته بذلك فاخرج الخاتم ولبسه في اصبعه فعكفت عليه الطير والريح ووقع عليه بهاء الملك ثم حمل يالث ابوها ان مات فلما مات حمل المرأة واباها الى اصطخر والله اعلم

﴿ باب في ذكر وفاة داود عليه السلام ﴾

(قال الشيخ ابو يزيد) سمعت الشيخ ابا عمرو الفارابي يروى ان داود عليه السلام كانت له وصيفة تغلق الابواب كل ليلة وتأتيه بالمفاتيح ثم تنام ويقبل داود على ورده في العبادة فاغلقت ذات ليلة الابواب وجاءت بالمفاتيح ثم ذهبت لتنام فرأت رجلا قائما في وسط الدار فقالت له ما أدخلك هذه الدار فان صاحبها رجل غيور فخذ حذرك فقال لها انا الذى أدخل الدور على الملوك بغير اذنهم قال فلما سمع داود ذلك وكان في المحراب واقفا يصلى فزع واضطرب وقال لها علي به فاتاه فقال داود ما أدخلك هذه الدار في هذا الوقت بغير اذن فقال له انا الذى ادخل الدور على الملوك بغير اذن فقال له

فسمعت صوتا اهطل مدامعي وهيج بلبالي فتبعت الصوت حتى اوقفني بباب مغارة فاذا فيها رجل من أهل التعبد والاجتهاد فسمعته يقول سبحان من اوصل الفهوم الى عقول ذوي البصائر فهي لاتعتمد الا عليه سبحان من اورد حياض المودة نفوس اهل المحبة فهي لاتحن الا اليه ثم امسك فقلت السلام عليك ياحليف الاحزان وقرين الاشجان فقال عليك السلام ياذا النون ما الذى أوصلك الى من افرده خوف المسئلة عن الانام فاشتغل بمحاسبة نفسه عن التلفظ بالكلام قال ذوالنون فقلت له اوصلتني اليك الرغبة في الصفح والاعتذار والتماس المواهب من قلوب المقربين الابرار فقال الرجل بلغني ان لله سبحانه وتعالى عبادا قدح في قلوبهم زند الشغف ونار الاسف فارواحهم لشدة فرحها تسرح في رياض الملكوت وتنظر الى دخولها في حجب الجبروت قال ذو النون فقلت له ياسيدى صفهم لي فقال أولئك هم قوم آدوا الى كهف رحمته وشربوا من كؤس شرب

اذافانت ملك الموت قال ثم قال اجئت داعيا ام ناعيا فقال بل ناعيا فقال داود عليه السلام فهلا ارسلت الى قبل ذلك وآذنتنى لاستعد للموت فقال كم ارسلت اليك فلم تنتبه قال ومن كانت رسلك التى ارسلت الى فقال ياداود اين ابوك ايشا واين امك اين اخوك واين جارك اين قهارمتك اين فلان وفلان فقال ماتوا كلهم فقال اما علمت انهم رسلى اليك وان النبوه تبلغك (قال) الاستاذ رضي الله عنه وفي هذا المعني قال ابو بكر الصديق رضي الله عنه لايزال المرء يبتغي اخاه حتى يكونه وقد يرجوا الرجاء فيحول الموت دونه وقد نظمه بعض الشعراء فقال

واذا حملت الى القبور جنازة * فاعلم بانك بعدها محمول
واذا وليت أمور قوم مدة * فاعلم بانك عنهم معزول

وقال اهل التاريخ كان عمر داود عليه السلام مائة سنة وكانت مدة ملكه اربعين سنة وقد مضى فى قصة آدم وماوهب لداود من عمره عليهما السلام

(مجلس فى قصة سليمان عليه السلام ومايتعلق به)

قال الله تعالى وورث سليمان داود يعني نبوته وحكمته وعلمه وملكه دون سائر اولاده وكان لداود عليه السلام تسعة عشر ابنا (وقال مقاتل) كان سليمان عليه السلام اعظم ملكا من ابيه داود واقضى منه وكان داود عليه السلام أشد تعبدا من ابنه سليمان وكان سليمان حين آتاه الله الملك والحكمة ابن ثلاث عشرة سنة وكان ملكه ما بين الشام الى اصطخر وقيل انه ملك الارض كلها (وروى) مجاهد عن ابن عباس قال ملك الارض اربعة مؤمنان وكافران فاما المؤمنان فسليمان عليه السلام وذو القرنين واما الكافران فالنمروذ بن كنعان وبختنصر

(باب فى صفة حليته عليه السلام)

(قال وهب بن منبه وكعب الاحبار) كان سليمان ابيض جسيما وضيئا جميلا كثير الشعر يلبس من الثياب البياض وكان خاشعا متواضعا يخالط المساكين ويجالسهم ويقول مسكين جالس مسكينا وكان ابوه فى ايام ملكه يشاوره في كثير من امور مع صغر سنه ووفور عقله وعلمه صلى الله على نبينا وعليه وسلم

﴿باب في ماخص الله به نبيه سليمان عليه السلام حين ملكه من انواع المناقب والمواهب وغير ذلك﴾

قال الله تعالى ولقد آتينا داود وسليمان علما وقالا الحمد لله الذى فضلنا على كثير من عباده المؤمنين وقال الله تعالي اخبارا عنه رب اغفرلى وهبلى ملكا لاينبغى لاحد من بعدى انك انت الوهاب فاجاب الله دعاءه وأكرمه بخصائص لم يكرم بها احدا من خلقه قبله ولابعده فمنها تسخير الله له الريح كما قال عز وجل فسخرنا له الريح تجري بامره رخاء حيث أصاب اي أراد بلغة حمير (قال) محمد بن اسحق وغيره من اصحاب الاخبار كان سليمان عليه السلام رجلا غزاء لايكاد يقعد عن الغزو وكان لايسمع بملك فى ناحية من الارض الااتاه حتي يذله ويقهره وكان اذا أراد الغزو أمر بعسكره فيضرب له خشب ثم ينصب له على الخشب سرير ثم يحمل عليه الناس والدواب وآلة الحرب كلها حتى اذا حمل معه مايريد امر العاصف من الريح فدخلت تحت تلك الخشب فحملتها حتى اذا اقلتها أمر الرخاء فمرت به شهرا في غدوته وشهرا فى روحته الى حيث اراد كما قال تعالى ولسليمان الريح غدوها شهر ورواحها شهر وقال ابن اسحق ذكرلى ان رجل نزل منزلا من ناحية الدجلة فوجد فيه كتابا مكتوبا كتبه بعض اصحاب سليمان أما من الجن أومن الانس نحن نزلناه وما بنيناه ومبنيا

وجدناه

محبته وخلوا بمنادمة انسه ثم انشد يقول
قدكان لى دمع فافنيته
وكان لى جفن فادميته
وكان لى جسم فابليته
وكان لى قلب فاضنيته
وكان لى ياسيدى ناظر
أري به الخلق فاعميته
عبدك اضحي سيدي موثقا
لوشئت قبل الموت اطلقته
ثم قال مخاطبا لله تعالى
سيدى بهم فالحقني
ولما وفقتهم وفقني
قال ذو النون فقلت سيدى أوصنى بوصية انتفع بها فقال عليك بتقوي الله في السر والعلانية فان من احبه الله شوقه الى لقائه فان له يوما يتجلى فيه على أوليائه ثم غاب عن بصري فلم اره نفعنا الله تعالى بهم وبعلومهم ومدنا من مددهم آمين (وحكى عن الواسطى رضي الله تعالى عنه) انه قال بينما انا سائر فى البادية اذ رأيت اعرابيا جالسا منفردا بنفسه فدنوت منه وسلمت عليه فرد على السلام فاردت ان اكلمه فقال اشتغل بذكر الله تعالى فان ذكره شفاء القلوب ثم قال كيف يفتر ابن آدم عن خدمة خالقه ورازقه وكيف يشتغل عن ذكره والموت فى اثره وكيف يستعين بغيره وهو ناظر اليه ثم بكى فبكيت

وجدناه غدونا من اصطخر فقلناه ونحن رائحون ان شاء الله تعالى فبائتون الشام قال وكان فيما بلغنى تمر بعسكره الريح الرخاء تهوى به الى حيث اراد وانها لتمر بالمزرعة فلاتحركها واخبرنا الحسن بن محمد بن فنجويه باسناده عن وهب بن منبه عن أبيه قال ان سليمان عليه السلام ركب الريح يوما فمرت بحراث فنظر اليها الحراث وقال لقد أوتى آل داود ملكا عظيما فحملت الريح كلامه والقته في اذن سليمان عليه السلام فنزل حتى اتى الحراث وقال له انى سمعت قولك وانما نزلت اليك لئلا تتمنى مالا تقدر عليه ان تسبيحة واحدة يقبلها الله منك خير مما أوتى آل داود فقال له الحراث أذهب الله همك كما أذهبت همى (وقال مقاتل) نسجت الشياطين لسليمان عليه السلام بساطا فرسخا فى فرسخ ذهبا فى ابريسم وكان يوضع له منبر من الذهب فى وسط البساط فيقعد عليه وحوله ثلاثة آلاف كرسى من الذهب والفضة فيقعد الانبياء على كراسى الذهب والعلماء على كراسي الفضة وحولهم الناس وحول الناس الجن والشياطين وتظلهم الطير باجنحتها لئلا تقع عليهم الشمس وترفع ريح الصبا البساط مسيرة شهر من الصباح الى الرواح ومسيرة شهر من الرواح الى الصباح (اخبرنا) ابن فنجويه باسناده عن محمد ابن كعب القرظى قال بلغني ان عسكر سليمان عليه السلام كان مائة فرسخ خمسة وعشرون منها للانس وخمسة وعشرون منها للجن وخمسة وعشرون منها للوحوش وخمسة وعشرون منها للطيور وكان له الف بيت من القوارير على الخشب فيها ثلثمائة سرير وسبعمائة امرأة فيأمر الريح العاصفة فتحمله ويأمر الرخاء فتسير به فأوحي الله تعالى اليه وهو سائر بين السماء والارض انى قد زدت في ملكك انه لا يتكلم احد من الخلائق بشيء الا جاءت به الريح اليك فاخبرتك به (ومنها) تعليم الله له كلام الطير حتى النمل كما قال الله تعالى يا أيها الناس علمنا منطق الطير الآية (قال ابن فنجويه) باسناده عن كعب الاحبار قال صاح ورشان عند سليمان فقال اتدرون ما يقول قالوا لا فقال انه يقول لدوا للموت وابنوا للخراب وصاحت فاختة عند سليمان فقال أتدرون ما تقول قالوا لا قال انها تقول ليت ذا الخلق لم يخلقوا وصاح طاوس فقال أتدرون ما يقول قالوا لا قال انه يقول كما تدين تدان وصاح هدهد فقال أتدرون ما يقول قالوا لا قال انه يقول من لا يرحم لا يرحم وصاح صرد فقال أتدرون ما يقول قالوا لا قال انه يقول استغفروا الله يامذنبون فمن ثم نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قتله قال وصاح الطيطوى فقال أتدرون ما يقول قالوا لا قال انه يقول كل حى ميت وكل جديد بال قال وصاح خطاف فقال أتدرون ما يقول قالوا لا قال انه يقول قدموا خيراً تجدوه فمن ثم نهي رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قتله وهدرت حمامة فقال أتدرون ما تقول قالوا لا قال انها تقول سبحان ربى الاعلى ملء سمائه وملء أرضه وصاح قمرى فقال أتدرون ما يقول قالوا لا قال انه يقول سبحان الحى الذى لا يموت ابدا وصاح غراب فقال أتدرون ما يقول قالوا لا قال فانه يلعن العشارين والحدأة تقول كل شيء هالك الا وجهه والقطا تقول من سكت سلم والعنقاء تقول ويل لمن الدنيا همه والبازي يقول سبحان ربى الاعلى وبحمده والضفدع يقول سبحان ربى القدوس والعصفور يقول سبحان المذكور بكل مكان (وأخبرنا ابن ميمون) باسناده عن مكحول قال صاح دراج عند سليمان عليه السلام فقال أتدرون ما يقول قالوا لا قال فانه يقول الرحمن على العرش استوى وباسناده عن صالح المرى عن الحسن قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الديك اذا صاح اذكروا الله ياغافلون (وروى) عن جعفر بن محمد الصادق عن أبيه عن جده عن الحسين بن على عليهم السلام انه قال اذا صاح النسر يقول يا ابن آدم عش ما شئت فان آخرك الموت واذا صاح العقاب قال فى البعد عن الناس انس واذا صاح القنبر قال اللهم

معه شفقة عليه ثم قلت له ياحبيبي مالى اراك وحيد فقال ما انا بوحيد والله معي وما انا بفريد فالواحد يؤنسني ثم قام ومضي مسرعا وقال سيدى ان اكثر خلقك مشغول عنك بغيرك وانت عوض عن جميع مافات مني ياصاحب كل غريب ويامؤنس كل فريد وجعل يمشي وانا خلفه فالتفت الى وقال ارجع عافاك الله الى من هو خير لك مني ولا تشغلني عمن هو خير لى منك ثم غاب عن بصري فلم اره رضي الله تعالى عنه ونفعنا به وبمدنا من مدده فى الدين والدنيا والآخرة آمين (وحكى عن ذي النون المصرى ايضا رضي الله تعالي عنه) انه قال بينما أنا فى الطواف اذ لمع نور ملحق بعنان السماء فتعجبت من ذلك النور فاتممت طوافى وأسندت ظهري الي الكعبة متفكرا فى ذلك النور فسمعت صوتا شجيا بنغمة ذى خشية فتبعت الصوت حتى أوقفني بجارية متعلقة باستار الكعبة وهي تبكى وتنشد وتقول

انت تدرى ياحبيبي
من حبيبي انت تدرى
ونحول الجسم والدمـ

العن مبغضى آل محمد واذا صاح الخطاف قرأ الحمد لله رب العالمين و يمد الضالين كما يمدها القارىء (وقال فرقد السنجى) مر سليمان ببلبل فوق شجرة وهو يحرك رأسه و يميل ذنبه فقال لاصحابه اتدرون مايقول هذا البلبل قالوا الله ورسوله أعلم قال انه يقول أكلت نصف تمرة فعلى الدنيا العفاء (وأخبرنا) ابوعبدالله بن حامد باسناده عن ابن مسعود عن ابيه قال كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم في سفرة فمررنا بشجرة فيها فرخا حمامة فأخذناهما فجاءت الحمامة وشكت الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم من فجع هذه الحمامة بفرخيها فقلنا نحن فقال ردوهما الى موضعهما (وروي) أن قنبرة باضت فى طريق سليمان عليه السلام فقال الذكر للانثي ألم أنهك ان تبيضي فى طريق سليمان الملك لو ركب إلينا لحطم بيضنا فقالت الانثي ويحك ان نبي الله ارحم بنا من ذلك فسمع سليمان قولهما فبعث إليهما جنيا حين أراد ان يركب وقال اجعل بيضهما تحت رجليك واياك أن تصيبه بشيء فلما مر سليمان في موكبه وجاوزهما قالت الانثى ألم اقل لك ان نبي الله ارحم بنا من ذلك فقال الذكر للانثي عندى للملك هدية قالت وماعندك قال عندى جرادة ادخرتها لولدى فقالت الانثى عندى تمرة ادخرتها لولدى قال فأخذا التمرة والجرادة ثم طارا حتى وقفا بين يدى سليمان وهو على سريره في مجلسه فوضعاهما بين يديه وسجدا له فدعا لهما ومسح بيده على رؤسهما فيروى ان هذه القشرة التي على رأس القنبر من مسح سليمان عليه السلام اياهما * قال ومر سليمان بموكبه على نملة فقالت النملة سبحان الله العظيم ما أعظم ما أوتى آل داود فتبسم سليمان من قولها وفسر قولها لجنوده ثم قال ألا انبئكم بخبر هو أعجب من هذه النملة قالوا بلى قال تقول اتقوا الله فى السر والعلانية والقصد فى الغنى والفقر والعدل فى الغضب والرضا (وروى) ان سليمان عليه السلام خرج يوما يستسقى ومعه الانس والجن فمر بنملة عرجاء ناشرة جناحيها رافعة يديها وهي تقول اللهم انا خلق من خلقك لاغنى لنا عن رزقك فلا تؤاخذنا بذنوب بني آدم واسقنا فقال سليمان لمن معه ارجعوا فقد سقيتم بدعوة غيركم (وحكى) (وحكى) ان نملة دبت على سليمان فحملها ورمى بها فوقعت النملة فقالت ماهذه الصولة وماهذا البطش اماعلمت انى امة من انت عبده فغشى على سليمان فلما افاق قال ائتونى بها فاتوه بها فسألها فقالت له جلدى رقيق و بدنى ضعيف واخذتني ورميتني فقال لها سليمان اجعليني فى حل فانى لم اقصد ذلك فقالت بشرط ان لاتنظر الى الدنيا بعين الشهوة ولاتستغرق في شهواتك وضحكك ولا يستعين احد بجاهك الا بذلته له قال قدفعلت ذلك قالت فانت في حل (ومنها قصد وادي النمل) قال الله تعالى وحشر لسليمان جنوده من الجن والانس والطير فهم يوزعون أى يحبس اولهم على آخرهم حتي اذا اتوا على وادى النمل الآيه قال الشعبي وكعب وغيرهما من اهل الكتب ان سليمان عليه السلام كان اذا ركب حمل اهله وحشمه وخدمه وكتابه في مركبه الذي هيء له وقداتخذ فيه مطابخ ومخابز يحمل فيها تنانير الحديد وقدورا عظاما يسع كل قدر عشرة من الجزر وقد اتخذ ميادين الدواب امامه فيطبخ الطباخون و يخبز الخبازون وتجرى الدواب بين يديه بين السماء والارض والريح تهوى بهم فساروا من اصطخر الى اليمن وتوغل فى البادية فسلك على مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم فقال سليمان هذه دار هجرة نبي يبعث في آخر الزمان طوبى لمن آمن به واتبعه ثم أتى ارض الحرم فرأى حول البيت اصناما تعبد من دون الله فجاوز البيت فلما جاوز سليمان بكى البيت فاوحى الله تعالى الى البيت مايبكيك فقال يارب هذا نبى من انبيائك وقوم من اوليائك مروا على فلم يهبطوا بى ولم يصلوا عندى ولم يذكروك بحضرتى وهذه الاصنام تعبد حولى من دونك قال فاوحي الله تعالى اليه لاتبك فانى سوف

اماؤك

م يوحان بسرى

قدكتمت الحب حتى
ضاق بالكتمان صدرى

قال ذوالنون فلما رأيتها وسمعت ذلك بكيت فقالت الهي وسيدى ومولاى بحبك الا ما غفرت لى فقلت لها ياجارية اما تتقين الله فى مثل هذا المقام تتكلمين بمثل هذا الكلام وتقولين بحبك لى من اين عرفت انه يحبك فقالت اليك عني ذا النون اما علمت ان الله سبحانه وتعالى اقواما يحبهم و يحبونه فهواحبهم قبل ان يحبوه اما سمعت قوله تعالى فى كتابه العزيز فسوف يأتى الله بقوم يحبهم و يحبونه فسبقت محبته لهم قبل محبتهم له قال ذوالنون فقلت ياجارية من اين عرفت انى ذو النون ولم ترينى قبل ذلك اليوم فقالت اليك عنى يابطال جالت القلوب في ميدان الاسرار فعرفنى بك العزيز الغفار قال ذو النون فقلت لها ياجارية مالى أراك ضعيفة البدن نحيلة الجسم ومابك سقم فانشدت تقول

محب الله فى الدنيا عليل
تطاول سقمه فدواه داه
كذا من كان للبارى محبا
يهيم بذكره حتي يراه

ثم قالت ياذا النون انظر

املؤك وجوها سجدالى وانزل فيك قرآناجديدا وابعث منك في آخرالزمان نبيا هواحب الانبياء الى واجعل فيك عبادامن خلقي يعبدونني وافرض على عبادى فريضة يزفون بها اليك زفا مثل زفيف النسور الى اوكارها ويحنون اليك حنين الناقة الي ولدها والحمامة الي بيضها واطهرك من الاوثان وعبدة الشيطان ثم امرالله سليمان عليه السلام ان ينزل عليه و يصلي فيه و يقرب عنده قربانا ففعل ذلك قال فذبح عند الكعبة خمسة آلاف ناقة وخمسة آلاف ثور وعشرين الف شاة وقال لمن حضرمن اشراف قومه ان هذا المكان يخرج منه نبى عربى و يعطى النصر على جميع من نواه و يكون السيف على رقبة من خالفه وتبلغ هيبته مسيرة شهر القريب والبعيد عنده سواء لا تأخذه فى الله لومة لائم فطوبى لمن ادركه وصدقه قالوا فكم بيننا و بين خروجه يانبى الله قال قريب من الف عام (قال) ثم ان سليمان مضى حتى اتى على وادي السدير واد من الطائف فاتى على وادي النمل فقامت نملة تمشي وكانت عرجاء تتكاوس وكانت مثل الذئب العظيم وقال الشعبي كانت ذات جناحين واختلفوا في اسمها فاخبرنى ابن ميمونة باسناده عن الضحاك قال كان اسم نملة سليمان طاخية وقيل خرمى فنادت لمارأت سليمان في موكبه يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون وكان لا يتكلم خلق الاحملته الريح والقته في مسامع سليمان قال مقاتل فسمع سليمان كلامها من ثلاثة اميال فتبسم ضاحكا من قولها وقال رب اوزعني ان اشكر نعمتك التي انعمت على وعلى والدى الآية وفي بعض الاخبار ان سليمان لما سمع قولها نزل عليها وقال ائتونى بها فاتوه بها فقال لها حذرت النمل هل سمعتم انى ظالم اما علمتم انى نبى عدل فلم قلت لا يحطمنكم سليمان وجنوده قالت النملة يانبى الله اما سمعت قولى وهم لا يشعرون مع انى ما اردت حطم النفوس وانما اردت حطم القلوب خشيت ان يتمنين مااعطيت فيفتتن و يشتغلن بالنظر اليك عن التسبيح فقال لها عظيني فقالت له النملة هل علمت لم سمى ابوك داود قال لا قالت لانه داوى جراحة قلبه ثم قالت وهل تدري لم سميت سليمان قال لا قالت لانك سليم ركنت الى ما أوتيت بسلامة صدرك وحق لك ان تلحق بابيك داود ثم قالت اتدري لم سخر الله تعالى لك الريح قال لا قالت ليخبرك ان الدنيا كلها ريح فتبسم ضاحكا من قولها متعجبا وقال رب أوزعني ان اشكر نعمتك التي أنعمت على وعلى والدي الآية (اخبرنى) ابن ميمونة باسناده عن ابن عباس قال نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قتل اربعة من الدواب الهدهد والصرد والنحلة والنملة (ومنها قصة العنقاء فى اثبات القضاء والقدر) اخبرنا ابو محمد بن عبد الله بن حامد باسناده عن محمد بن جعفر الصادق قال عاتب سليمان الطير في بعض عتابه فقال لها انك تاتين كذا و تفعلين كذا فقالت والله رب السماء والثرى انا لنحرص على الهدي ولكن قضاء الله يأتى الى منتهى علمه وقدره قال صدقت لا حيلة فى القضاء فقالت العنقاء لست أومن بهذا فقال لها سليمان الا اخبرك باعجب العجب قالت بلى قال انه ولد الليلة غلام بالمغرب وجارية بالمشرق هذا ولده ملك كبير وهذه ابنة ملك والجارية والولد يجتمعان فى امنع المواضع بقدرة الله تعالى وأهولها على سفاح فى جزيرة فى وسط البحر فقالت العنقاء يانبي الله أوقد ولد هذان الولدان المذكوران قال نعم الليلة قالت فهل اخبرت بهما من هما وما اسمهما واسم ابيهما قال بلى اسمها كذا وكذا واسم ابيهما كذا وكذا فقالت العنقاء يانبي الله انا ابطل القدر وافرق بينهما فقال لها سليمان انك لا تقدرين على ذلك قالت بلى فاشهد سليمان عليها الطير وكفلتها البومة فمرت العنقاء وكانت في كبر الجمل عظما ووجهها وجه انسان ويداها يدا انسان وثدياها ثدي امرأة واصبعها كذلك فحلقت فى الهواء حتى اشرفت على الدنيا فابصرت كل دار ومافيها وكل انسان وابصرت الجارية وهي في مهدها وقد اجلسوها فاختلست الجارية من المهد وطارت بها حتى انتهت الى جبل شاهق في السماء فى جوف البحر وسط جزيرة وفي الجزيرة شجرة عالية

من خلفك فالتفت خلفى فلم أر أحدا فرددت وجهى نحوها فلم ارها ولم ادراين ذهبت فتأسفت على فراقها وتوسلت الى الله تعالي بها فرأيت ببركتها الاجابة والقبول وحصول الخير نفعنا الله بها (وحكى عن بعضهم رضي الله تعالى عنه انه قال) امسك الغيث عن بغداد سنة من السنين حتى كاد اهلها ان يهلكوا فاغتسلوا وتطهروا وخرجوا الى الصحراء يسألون الله تعالى ان يسقيهم غيثا فلم يسقوا وكان ذلك في ايام خلافة هرون الرشيد رحمة الله تعالي عليه فبينماهم يلوذون و يتوسلون الى الله تعالى واذا برجل من اهل الخير والصلاح والعبادة قد أقبل من ظاهر البرية أشعث اغبر لا يلتفت اليه ومعه ثلاث بنات عذارى كانهن الاقمار فوقف ببناته فى الطريق فمر عليه الناس وسلموا عليه فرد عليهم السلام وقال ياقوم مابالكم مجتمعين فقالوا له ياشيخ خرجنا الى الصحراء ندعوا الله تعالي ان يسقينا غيثه فلم يسقنا فقال لهم الشيخ هل هو غائب عنكم من المدينة حتى خرجتم

لا ينالها طائر الا بجهد طيرانه ولها أغصان عظيمة تزيد على الف غصن كل غصن كاعظم ما يكون من شجر الارض كثيرة الورق فاتخذت لها وكرا في وسط الشجرة عجيبا واسماه مضيا وطيا وأرضعتها وحضنت الجارية تحت جناحها وصارت تأتيها بانواع الطعام والشراب وتحفظها من البرد والحر وتؤنسها بالليل ولا تخبر أحدا بشأنها كي يتم امرها وهي تغدو الى سليمان وتروح الى وكرها فعلم سليمان بذلك ولم يبده لها فبلغ الغلام مبلغ الرجال وصار ملكا من ملوك الدنيا وكان يلهو بالصيد ويحبه ويطلبه فصار لا يقر ليلا ولا نهارا وكان أبوه ملكا عظيما فلما رأى الملك ولده لاهيا بالصيد لم يزجره عنه حتى نال منه منالا طويلا وأمرا عظيما فقال يوما لاصحابه كل صيد البر وفلواته ومفازاته قد نلت منه فلو ركبت البحر فانال من صيده فانه كثير الصيد وكثير العجائب فقال له المشيرون من وزرائه نعم ما رأيت وهوا كثر شيء من خلق الله صيدا وعجائب فامر الغلمان بتجهيز ما يحتاجون اليه وهيأ السفن وجعل يأخذ من كل شيء يملكه وأخذ من الوزراء والندماء والمشيرين والغلمان والجوارى والطباخين والخبازين والدواب والبزاة والصقور وكلاب الماء وجميع ما يحتاجون مما يريده ويشتهيه من الملاهي وركب السفن ومر في البحر كذلك يتصيد ويتلذذ بالفرح ولا يعرف شيء غير ذلك حتى سار مسيرة شهر فارسل الله تعالى على سفينته ريحا خفيفة فضربتها وساقتها حتى قربت من جزيرة العنقاء والجارية وهي مسيرة خمسين سنة في منتهي خمسين ليلة كل ليلة مسيرة سنة ثم ركدت سفينته باذن الله تعالى واصبح الغلام فرأى سفينته راكدة فاخرج رأسه من ناحية ونظر فاذا هو بجبل شاهق في وسط جزيرة في البحر في لون الزعفران طويلة لا يدرى اين منتهاها ولا عرضها واذا هو بشجرة خضراء في رأس الجبل ملتفة كثيرة الاغصان والاوراق ورقها في عرض اذن الفيلة تفوح بريح الاقحوان ليس لها ثمرة بيضاء الساق فقال لاصحابه اني أرى عجبا ارى جبلا شاهقا في وسط جزيرة لم أر مثله ولا مثل طوله ولا عرضه وارى شجرة فيها كل حسن قد اعجبني منظرها ثم انه حرك سفينته وجاء بها الى الجزيرة التي فيها الجبل وأرساها عندها وقال لاصحابه أقيموا ههنا حتى امضي وابصر هذه الجزيرة وهذا الجبل الذى في وسطها هل عمارة او أثر آدمي في تلك الجزيره وآتيكم بخبرها ثم انه نزل من السفينة هو ورفقته وداروا في الجزيرة فلم يروا فيها أثر عمارة ولا عبر بها آدمي قبله ثم انه صعد الى رأس الجبل فرأى أصل الشجرة وكانت الجارية قد نظرت الى السفينة وهي جارية فلم تعرف ماهي لانها اخذت صغيرة ولم تدر ما السفن فبقيت متعجبة وليس عندها احد تسأله عن ذلك فبينما هي متفكرة في أمر السفينة اذ احس حديث الآدميين فاخرجت رأسها من الوكر فنظرت يمينا وشمالا فلم تر أحدا فنظرت في أصل الشجرة فاذا بالغلام ورفقته فتعجبت منهم لما رأت من حسنهم وجمالهم وكيف وصلوا الى ذلك الموضع وان الغلام لما بلغ اصل الشجرة نظر يمينا وشمالا وبقي متعجبا من عظم تلك الشجرة ورفعها في السماء وصار ينظر الى أغصانها وكانت الجارية قد اخرجت رأسها لتنظر الى السفينة فحانت منه التفاتة الي أصل الشجرة فوقعت عينها في عين الغلام فرأى الغلام صورتها ورأى عجبا من عظم جمالها وكثرة شعرها وذوائبها فقال لها الغلام بلسان فصيح اجنية انت أم انسية قالت لا والله انا من خيار الانس فمن انت فافهمها لغته فقالت لا ادرى ما تقول وما انت الا اني أرى وجهك كوجهي وكلامك ككلامي واني لا أعرف شيأ غير العنقاء وهي امي التي ربتني وحضنتني وهي تأتيني كل ليلة وتسميني بنتها فقال لها الغلام واين العنقاء فقالت هي في نوبتها فقال الغلام وما نوبتها قالت تغدو كل يوم الى ملكها سليمان فتسلم عليه وتقيم عنده الى الليل ثم تجيئني وتحدثني بكل ما يحكم به سليمان وانه لملك عظيم على ما تصفه لي امي العنقاء عن ملكه وانها تخبرني انه احسن الناس وجها وانتم خلقا مني قال فارتعد الغلام ثم قال عرفته وهو الذي قتل أبي وسبي

ان الصحراء تسألونه اليس هو في كل مكان موجودا وبساط اجابته لجميع خلقه ممدودا اما سمعتم قوله تعالى وهو اينما كنتم والله بما تعملون بصير قال فبلغ هرون كلامه فقال هذا كلام رجل بينه وبين مولاه سر يره ثم قال ائتوني به فلما احضر بين يديه وسلم بعضهم على بعض صافحه هرون واجلسه بجانبه ثم قال له ياشيخ ادع الله تعالى ان يسقينا غيثه عسى ان يكون لك عند الله جاه قال فتبسم الشيخ وقال ياهرون اتريد ان اسأل لك الهي ومولاي فقال نعم توبوا بنا الى الله تعالى قال فنودي بالتوبة فتابوا الى الله تعالى ثم تقدم الشيخ وصلى ركعتين خفيفتين فلما سلم اخذ بنانه عن يمينه وعن شماله وبسط يده الى خالقه وأسبل دمعه على خده وجعل يدعو بدعوات لم يسمع احسن منها قال فما استتم دعاءه حتى تجللت السماء بالسحاب وأرعدت بالبرق وأمطرت كافواه القرب قال ففرح الرشيد بذلك واجتمع اليه خواص رعيته وأهل مملكته يهنئونه ويبشرونه بذلك فقال هرون علي بالرجل

دولته وانى لمن طلقائه وممن يؤدى اليه الخراج وقد سخر الله له الطير والرياح ثم بكى الغلام ساعة فقالت الجارية ما يبكيك قال وجدتك في مثل هذا الموضع الذي لا انس فيه ولا أحد ان مثلك في الدنيا عدد الشجر والمدر وكلهم فى مقاصير الذهب والفضة والعيش الهنىء والرغد واللذة الحسنة مع الارواج يتعانقون و يتنعمون ويتوالدون الاولاد مثل خلقك وخلقي أرايت ان هاجت الريح فازعجتك من وكرك من عنمك ان تقعى في البحر وان وقعت فى البحر فمن ذا الذى يخرجك قال ففزعت الجارية من قوله قالت وكيف لى أن يكون معي انسي مثلك يحدثني بمثل حديثك و يحفظني مما ذكرت فقال لها الغلام اولا تعلمين ان الله اتخذ سليمان نبيا وسخر له الريح والطير هو الذى رحمك وساقنى اليك لأكون لك الفا وصاحبا وانيسا وانى لمن اولاد الملوك فقالت له الجارية وكيف تصيرلى وأصير لك وان العنقاء هذه تروح وتجيء وتحضني الي صدرها بين جناحيها فقال لها الغلام تكثرين جزعك ووحشتك و بكاءك على العنقاء ليلتك هذه فاذا جاءت اليك وقالت لك ما تحبين وما تريدين وما شأنك فاخبريها بوحدتك فى نهارك ثم انظري ما يكون من ردها عليك فاخبريني بذلك ففعلت وان العنقاء رجعت اليها فوجدتها باكية حزينة فقالت لها يا بنية مالك فقالت الوحدة والوحشة قتلتني وانى لمنزعجة على نفسي من ذلك فقالت لها يا بنية لا تخافي ولا تحزني فانى استأمر سليمان عليه السلام أن آتيه يوما و يوما لا آتيه فيكون ذلك أنسالك فلما اصبحت اخبرت الغلام بجوابها فقال لهـا أوتصبرين على ذلك لا ولكنى ساحر من دوابى هذه فرسا وأبقر بطنه واخرج مافيه واطيبه بطيب معي وادخل انا في جوفه والقى على رأس سفينتى هذه فاذا جاءتك العنقاء تقولين لها أرى عجبا أرى خلقة ملقاة على كوثل هذه السفينة فلو اختطفتيها وحملتيها الى لكانت معى فى وكري فانظر اليها وآنس بها كان احب الى من تراب كونك عندى نهارا وان مساءك عن أخبار سليمان وأخبار المسلمين فلما رجعت العنقاء وجدتها على حالتها وكان سليمان قد شغل عنها فلم تصل اليه في استئذانها اياه فى المقام يوما والغدو يوما فقالت لها يا بنية ان نبي الله قد اشتغل على اليوم بالحكم بين الآدميين فلم أصل اليه قالت لها انى لأريد ان تتخلفي عنه نهارا لمكان اخبار سليمان واخبار المسلمين وانى أرى عجبا فى البحر أرى شيأ مرتفعا فما هو قالت لها العنقاء هذه سفينة قوم سيارة راكبين في البحر قالت فما الذي اراه ملقى على رأس هذه السفينة قالت دابة ميتة ألقوها قالت فاحتمليها الى لاستأنس بها وانظر اليها فانقضت العنقاء فاختطفت الفرس وكان الغـلام فى بطنها فحملتها الي عشها فقالت الجارية يا أماه ما احسنه وضحكت ففرحت العنقاء بذلك وقالت يا بني لو علمت لكنت اتيتك بمثل هذه منذ حين ثم انها طارت الى نوبتها عند سليمان فخرج الغلام من بطن الفرس فلاعبها ولامسها وافتضها واحبلها من ساعتها وفرح كل واحد منهما لصاحبه واستأنس به وكان سليمان عليه السلام قد جاءه خبر اجتماعهما من قبل الريح وان العنقاء راحت وكان مجلس سليمان يومئذ مجلس الطير وحكمهم فجلس سليمان عليه السلام للطير فى مرتبته ودعا بعرفاء الطير وامرها ان لا تدعوا طيرا الا حشرته اليه فحشرت اليـه جميع الطيور ثم امر عرفاء الجن ان يحشروا قبائل الجن من سكان البحار وسكان الجزائر والهواء والمغارات والفـلوات والامصار فحشروا اليه وامر الشياطين فاحضرت كذلك وكذلك الانس كهيأتهم ثم كل دابة تدب على وجه الارض فاشتد الخوف وقالوا في انفسهم نشهد بالله ان نبي الله قد اهمه عظيم فاول سهم قد خرج فى تقديم الطير سهم الحدأة وكانت الطير لا تتقدم الا بالسهام وكذلك الجن والشياطين فتقدمت الحداة تدعى على زوجها وكان قد جحدها ولدها فقالت يا نبي الله انه سفدنى حتى اذا احتضنت بيضي وأخرجت ولدى جحدنيه فقال سليمان للذكر ما تقول فقال يا نبي الله انها لا تمتنع من الطير وهى تحوم البرارى فلا

الصالح فطلبوه فوجدوه ساجدا فى الصحراء فى الماء والطين لله رب العالمين فقالوا للبنات مابال أبيكن لم يرفع رأسه فقالت انه من عادته اذا سجد لله عز وجل لا يرفع رأسه الا بعد ثلاثة ايام قال فاخبروا الرشيد بذلك فبكى وقال اللهم انى اسألك وأتوسل اليك بحرمة الصالحين عندك ان تهبنا لهم وان تفيض علينا من بركاتهم فى الدارين وجميع المسلمين يا ارحم الراحمين (وحكى عن مالك بن دينار عفا الله عنه انه قال) امسك الغيث عنا سنة من السنين فخرجنا الى الصحراء نسأل الله تعالى ان يسقينا غيثه حتى خرج معنا أكابرنا واصاغرنا واولاد المكاتب فلم نزل ندعوا ونتضرع الى الله تعالى وهم يؤمنون على دعائنا ولم يزدد النهار الا صحوا ولا الشمس الا حرا فمل الناس ومضوا الى حوائجهم حتى صرت انا و رفيقى فى الصحراء فجلسنا بمسجد خرب هناك فبينما نحن جلوس اذ أقبل علينا غلام أسود عليه خرقتان قديمتان تساوى قيمتهما درهمين فدخل المسجد وصلي ركعتين فلما سلم قال الهى وسيدى ومولاى

أدرى هل هو مني أو من غيري قال فامر سليمان بولدها فجيء به فوجد الشبه واحدا فالحقه بالذكر ثم قال لها لا تمكنيه من الفساد حتى تشهدى عليه بذلك الطير بالصراخ فانه لا يجحد بعدها الى يوم القيامة فهى اذا سفدها ذكرها صاحت وقالت ياطيور سفدني اشهدوا معاشر الطيور اشهدوا ثم خرج سهم العنقاء فتقدمت اليه فقال لها سليمان ما قولك في القدر فقالت يا نبي الله لى من القوة والاستطاعة ما ادفع الشر وافعل الخير فقال لها سليمان فاين الشرط الذي كان بيني و بينك زعمت انك تفرقين بقوتك واستطاعتك بين الجارية والغلام فقالت قد فعلت قال سليمان الله اكبر فائتني بها الساعة والخلق شهود لاعلم صدق قولك ثم أمر عريف الطيران يكون معها لا يفارقها حتى تأتى بها فطارت العنقاء حتى قربت من الجارية وكانت الجارية اذا قربت منها العنقاء تسمع حفيف اجنحتها فيبادر الغلام و يدخل جوف الفرس فلما رأتها البنت قالت لها كالفزعة ان لك شأنا اذ رجعت من ساعتك قالت لها اى امرى ان لى شانا هذا سليمان قد امر باحضارك الساعة لامر كان بيني و بينه في أمرك وانى لأرجو انصرتي اليوم فيك قالت لها كيف تحمليني قالت على ظهري قالت وهل استقر على ظهرك وانى أرى اهوال البحر فلا آمن أن انزل فاسقط واهلك قالت في منقارى قالت فكيف اصير في منقارك قالت لها وكيف اصنع ولا بدلى من أحضارك عند سليمان وهذا عريف الطير معى وقد دعا بكفيلتى البومة فقالت لها ادخلى في جوف هذا الفرس ثم ترفعينه على ظهرك او في منقارك فلا ارى شيئا ولا اسقط ولا افزع من شيء قالت اصبت قال فدخلت جوف الفرس واجتمعت مع الغلام وحملت العنقاء الفرس في منقارها وطارت حتى وضعت الفرس بين يدى سليمان عليه السلام فقالت يا نبي الله هى الآن في جوف الفرس فاين الغلام فتبسم سليمان طويلا ثم قال لها أتؤمنين بقضاء الله وقدره وانه لا حيلة لاحد في دفع قضائه وقدره وعلمه السابق الكائن على خير وشر فقالت أؤمن بالله وأقول ان المشيئة مشيئة العباد والقوة فمن شاء فليفعل خيرا أو شرا قال سليمان كذبت ما جعل الله من المشيئة للعباد شيئا ولكن من شاء الله ان يكون سعيدا كان سعيدا ومن شاء أن يكون كافرا كان كافرا ولا يقدر أحد ان يدفع قضاء الله وقدره بحيلة لا يفعل ولا يعلمون ان الغلام الذى قد ولد بالمغرب مع الجارية التي ولدت بالمشرق قد اجتمعا الآن في مكان واحد على سفاح وقد حملت الجارية من الغلام بولد فقالت العنقاء لا تقل يا نبي الله هذا فان الجارية معى في جوف هذا الفرس فقال سليمان الله اكبر اين البومة المتكفلة بالعنقاء قالت ها أنا يا نبي الله قال سليمان انت على مثل قول العنقاء قالت نعم فقال سليمان قدر الله السابق قبل الخلق اخرجهما على قضائه ومشيئته قال فامر البومة ففتحت جوف الفرس واخرجتهما جميعا من جوف الفرس فاما العنقاء ففزعت وذهبت وطارت في السماء فاخذت نحو المغرب واختفت في بحر من بحاره وآمنت بالقدر وحلفت لا تنظر في وجه طير أبدا استحياء منه وأما البومة فانها الزمت الآجام والجبال وقالت أما بالنهار فلا خروج لى ولا سبيل الى المعاش فهى اذا خرجت نهارا و بختها الطير واجتمعت عليها وقالت يا قدرية فهى تخضع لهذا وهذا ما كان من شان العنقاء والبومة في القضاء والقدر والله أعلم بالغيب

(ومنها) تخصيص الله تعالى سليمان عليه السلام بالخيل الجياد العراب التى أخرجها الله من البحر في قول أكثر أهل الاثر قال الله تعالى اذ عرض عليه بالعشي الصافنات الجياد والصافنات الخيل القائمات على ثلاث قوائم وقد اقامت الاخرى على طرف الحافر من يد أو رجل والجياد السراع قال الحسن بلغني انها كانت خيلا خرجت من البحر لها أجنحة وقال الكلبي غزا سليمان أهل نصيبين فاصاب منهم ألف فرس وقال مقاتل ورث سليمان من أبيه داود ألف فرس وكان ابوه أصابها من العمالقة قالوا فصلى سليمان صلاة الظهر وقعد على كرسيه فعرض عليه منها تسعمائة فاشتغل بحسنها وكثرتها والاعجاب بها حتى غابت

الشمس

لم رددت عبادك وفقراءك وعيالك افرغ ما عندك أم نفدت خزائنك ثم قال بحبك لي الا ما سقيتهم الغيث قال مالك فوالله ما فرغ من دعائه حتى تجللت السماء بالسحاب وأرعدت بالبرق واسبلت مطرا كافواه القرب قال مالك فقلت والله ان هذا لعظيم الجاه عند الله تعالى ثم قام وخرج من المسجد فتبعناه ونحن نخوض في الماء للركب فما زال يمشي ونحن نتبعه من بعيد حتى دخل بيت رجل نخاس كنا نعرفه فلما دخل البيت انصرفنا الى بيوتنا وقد اشتغلت بحبه فلما اصبح الصبح جئت الى النخاس لشراء الغلام فلما رآني سلم علي وقال ما تريد يا مالك فقلت أريد غلاما عندك فقال النخاس وأى غلام هو فان عندى مائة غلام قال مالك فتحيرت في نفسي حيرة شديدة اذ لم اكن أعرف للغلام اسما فقلت اعرض على الغلمان فعرض على ثمانين غلاما واحدا بعد واحد فلم أر فيهم ذلك الغلام ثم التفت خلفي فرأيت موضعا خربا فمضيت الى ذلك الموضع فاذا بالغلام قائم يصلي فلما نظرت اليه قلت هو هذا ورب الكعبة

الشمس وفاتته صلاة العصر ولم يعلم احد بذلك هيبة له فاغتم لذلك وقال ردوها على فردوها فعقر بها وعقرها بالسيف وقربها الى الله تعالى وبقى منها مائة فرس فما في ايدى الناس من الخيل العراب فهى من نسل تلك المائة (وقال كعب) كانت الافراس أربعة عشر فامر بضرب اعناقها وسوقها بالسيف وقتلها فسلب الله ملكه اربعة عشر يوما لانه ظلم الخيل بقتلها قال الحسن فلما عقر الخيل لاجل الله ابدله الله تعالى مكانها خيرا منها واسرع وهى الريح تجرى بامره رخاء كيف يشاء غدوها شهر ورواحها شهر وكان يغدوا من ايلياء فيقيل فى اصطخر ثم يروح منها فيبيت ببابل (ويروى) ان سليمان سار من ارض العراق غاديا فقال بمدينة مرو وصلى العصر بمدينة بلخ تحمله الريح وتظله الطير بخيله وجنوده ثم سار من مدينة بلخ متخللا بلاد الترك ثم جاوزها الى ارض الصين ثم عطف بيمينه على مطالع الشمس على ساحل البحر حتى اتى ارض الهند ثم خرج منها الى مكران وكرمان ثم جاوزها حتى اتى ارض فارس فنزلها اياما ثم غدا منها فقال بكسكر ثم رجع الى الشام وكان مستقره بمدينة تدمر وكان قد امر الشياطين قبل خروجه من الشام الى العراق ان يبنوا له تدمر فبنوها بالصفائح والرخام الابيض والاصفر وفى ذلك يقول الشاعر

واذكر سليمان اذ قال المليك له * قم فى البرية فاحددها عن الفند
وجيش الجيش انى قد ابحت لهم * بناءا تدمر بالاحجار والعمد

قال ووجدت هذه الابيات منقورة فى صخرة بارض كسكر أنشاها بعض اصحاب سليمان ابن داود عليهما السلام

ونحن ولاحول سوى حول ربنا * نروح الى الاوطان من ارض تدمر
اذا نحن رحنا كان امر رواحنا * مسيرة شهر والغدو لآخر
اناس سروا والله طوع نفوسهم * لنصرة دين للنبى المطهر
لهم فى معالى الدين فضل ورأفة * وان نسبوا يوما فمن خير معشر
متى ركبوا الريح المطيعة اسرعت * مبادرة عن شهرها لم تقصر
تظلهم طير صفوفا عليهم * متى رفرفت من فوقهم لم تفتر

﴿رجعنا الى القصه﴾ وقال قوم من العلماء فى قوله تعالى فطفق مسحا بالسوق والاعناق حبسها فى سبيل الله وكوى سوقها بميسم الصدقة وقال الزهرى مسح سوقها واعناقها من الغبار قال وهى رواية الواقدى عن ابن عباس قال قال على بن ابى طالب كرم الله وجهه ثم ان الله امر الملائكة الموكلين بالشمس حتى ردوها على سليمان وصلى العصر فى وقتها (حدثنا) أبو عبد الله عقيل الانصارى باسناده عن على بن ابى طالب رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما اراد الله تعالى ان يخلق الخيل قال للريح الجنوب انى خالق منك خلقا فاجعله عزا لاوليائى ومذلة لاعدائى وجمالا لاهل طاعتى فقالت الريح الهى وسيدى ومولاى انى مطيعة فقبض منها قبضة فخلق فرسا وقال له خلقتك عربيا وجعلت الخير معقودا بناصيتك والغنائم مجموعة على ظهرك وعطفت عليك صاحبك وجعلتك تطير بلا جناح فانت للطلب وانت للهرب وسأجعل على ظهرك رجالا يسبحونى ويحمدوننى ويكبروننى فتسبحنى اذا سبحوا وتهللنى اذا هللوا وتكبرنى اذا كبروا وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مامن تسبيحة وتحميدة وتمجيدة وتكبيرة يكبرها صاحبها فتسمعها الا تجيبه بمثلها قال فلما سمعت الملائكة صفتها ونظروا خلقتها قالوا ربنا نحن ملائكتك نسبحك ونحمدك فماذا لنا فخلق الله لهم خيلا بلقا اعناقها كاعناق البخت فلما ارسل الله الفرس الى الارض واستوت قدماه

فقال النخاس وماتصنع بهذا الغلام يامالك وهو غلام مشؤم مكار قال مالك وماشؤمه ومكره فقال النخاس خذه وارحني منه قال مالك فاخذته بعشرين دينارا فقال النخاس يامالك هذا الثمن كثير فى هذا العبد فقال مالك والله انه قليل فى ثمنه وانى راغب فيه ثم اخذت بيده فقلت له ما اسمك ياغلام فقال ميمون قال فلما مضينا من عند النخاس قال الغلام يامولاى ماتصنع بى فقلت له للخدمة فقال والله لم أخدم أحدا من المخلوقين وانما خدمتى لله رب العالمين فما حملك على شراء الغلام المشؤم قال مالك حملنى على ذلك مارأيته منك بالامس في المسجد الخرب الذي بالصحراء قال مالك فتغير وجه الغلام عند سماع ذلك فلما اقبلنا الي مسجد كان قريبا من المنزل قال يامولاي تاذن لى ان أصلى في هذا المسجد ركعتين فقلت نعم فدخل وصلى ركعتين وجلست على باب المسجد أنتظره فلما فرغ من صلاته قال الهى وسيدى ومولاي كانت المعاملة بيني وبينك سرا والآن قد علم بها المخلوقون فاقبضني اليك الساعة ثم شهق شهقة

عليها صهل فقيل له بوركت من دابة اذ بصهيلك اذل الله المشركين واذل بك اعناقهم وملا بك اذانهم وارعب بك قلوبهم فلما عرض الله تعالى على آدم من كل شيء قال له اختر من خلقى ماشئت فاختار الفرس فقيل له اخترت عزك وعز ولدك خالدا ماخلدوا و باقيا مابقوا بركتى عليك وعليهم ماخلقت خلقا احب الى منك ومنهم (ومنها) قوله تعالى وأسلنا له عين القطر أذ بناله عين النحاس أسيلت ثلاثة ايام كما يسيل الماء وكانت بارض اليمن وانما ينتفع الناس اليوم بما اخرجه الله لسليمان عليه السلام (ومنها) تسخير الله تعالى له الجن والانس و طير والوحوش والشياطين يعملون له مايشاء كما قال الله تعالى ومن الجن من يعمل بين يديه باذن ربه ومن يزغ منهم عن امرنا نذقه من عذاب السعير وذلك ان الله تعالى وكل بهم ملكا بيده سوط من نار فمن زاغ عن امر سليمان ضربه ضربة احرقته فمما عملت له الشياطين بامره واحدثوه له الحمامات والطواحين والقوارير والصابون واشياء كثيرة واحتفروا له نهر الملك والقواتر به بين خانقين وقصر شيرين ومما عملوا له الغياصة كما قال الله تعالى ومن الشياطين من يغوصون له الآية وقال تعالى والشياطين كل بناء وغواص وكانوا يغوصون فى البحار و يستخرجون انواع اللآليء والدر والمرجان وسائر الجواهر البحرية وكانوا يستخرجون له اليواقيت والزمرذ وانواع الجواهر الثمينة من المعادن وهم اول من فعل ذلك

﴿ حديث القبة ﴾

قال وهب بن منبه بينما سليمان عليه السلام على ساحل البحر والريح من تحته والانس عن يمينه والجن عن شماله والطير تظله اذ نظر الى عظم امواج البحر فدعته نفسه ان يعلم مافى قعر البحر فامر الريح فسكنت من تحته ثم قعد على كرسى ملكه ثم دعا رأس الغواصين فقال له اخترلى من اصحابك مائة رجل فاختار له مائة رجل فقال له اخترلى من المائة ثلاثين فاختار له ثلاثين فقال اخترلى من الثلاثين عشرة فاختار له عشرة فقال اخترلى من العشرة ثلاثة فاختار له ثلاثة فقال لواحد منهم غص حتى تنظر الى قعر البحر وتاتينى بالخبر فقال سمعا وطاعة لك يانبي الله فغاص البحر وابعد ثم خرج فقال له سليمان ما الذى رأيت قال يانبي الله مارأيت الا امواجا وحيتانا غيرانى رأيت ملكا عظيما فقال لى اين تريد فقلت له ان نبي الله سليمان ارسلنى انظر له قعر هذا البحر فقال ارجع اليه فاقرأ عليه منى السلام وقل له ان قوما ركبوا هذا البحر منذ اربعين عاما فغاب عليهم مركبهم فخرجوا يصلحونه فسقط من احدهم قدوم فهو يتجلجل فى البحر ولم يبلغ قعره بعد فرجع اليه واخبره بالخبر فعجب نبي الله سليمان عليه السلام من ذلك وهاعما كان قصد قال فبينما هو على شاطىء البحر اذ رأى قبة من زجاج تضربها الامواج فى لجة البحر فارضها وقال للغواصين غوصوا فى اثرها فغاصوا فاخرجوها فلما وضعت القبة على ساحل البحر انفتح لها بابان بمصراعين وخرج من القبة شاب عليه ثياب ابيض من اللبن وكاد رأسه تقطر ماء فجاء حتى وقف بين يدى سليمان فقال له سليمان يافتى من الجن انت ام من الانس قال بل من الانس قال فتعجب سليمان منه ومن زيه ثم قال له مابلغ بك ماأرى فقال يانبي الله كانت لى والدة وكنت من ابر الناس بها اطعمها واسقيها بيدى ولا اترك شيأ من صنائع البر الا صنعته بها فلما حضرتها الوفاة سألتها ان تدعوالى فرفعت رأسها الى السماء وقالت يارب قد عرفت برولدى فارزقه العبادة فى موضع لا يكون لابليس وجنوده عليه سبيل ثم ماتت فدفنتها فخرجت يوما الى ساحل البحر فاذا أنا بهذه القبة فدعتني نفسى ان ادخلها فلما دخلتها انطبقت على ابوبها وتزاخرت الامواج وكان هذا آخر عهدى يانبي الله فقال له سليمان فمن اين مطعمك ومشربك فقال يانبي الله اذا كان الليل جاءنى طائر ابيض فى

فمات رحمة الله تعالى عليه قال مالك فدخلت اليه فوجدته يضحك فى موته فتأسفت عليه فبينما أنا كذلك اذا بشابين جميلين كانهما الاقمار قد دخلا من باب المسجد فلما على وقالا عظم الله أجرنا وأجرك في ميمون ثم أعطانى أحدهما كفنا جديدا يفوح منه رائحة المسك قال مالك فغسلناه وكفناه وصلينا عليه ودفناه رحمة الله تعالى عليه وعلى جميع المسلمين (وحكى عن بعضهم رضي الله تعالى عنه انه قال) حججت سنة من السنين الى بيت الله الحرام وزيارة النبي عليه الصلاة والسلام وكانت سنة كثيرة الحر فلما كانت ذات ليلة غفوت قليلا فلما استيقظت اذا بى قد انقطعت عن الركب وصرت وحدي في البرية ولم ادر كيف أصنع فبينما أنا كذلك اذ لاح لى شخص امامي فاسرعت نحوه فاذا هو غلام لانبات بعارضيه كانه القمر المنير أوالشمس الضاحية وهو يمشى و يتبختر كانه فى صحن داره فتقدمت اليه وسلمت عليه فقال وعليك السلام يا براهيم فتعجبت منه ثم قلت سبحان الله

منقاره شيء ابيض فيدفعه الى فاً كله فهو بقيتي من الطعام والشراب فقال له سليمان ومن اين تعرف الليل والنهار وانت فى ظلمة هذا البحر قال يانبي الله فى القبة خيطان خيط ابيض وخيط اسود فاذا رأيت الخيط الابيض زائدا علمت انه النهار واذا رأيت الخيط الاسود زائدا علمت انه الليل فقال له سليمان هل لك فى صحبتنا رغبة قال يانبي الله ان تشأ تاذن لى ان اعود الى قبتي فاذن له فانطلق ودخلها وانطبق عليه بابها وتزاخرت به الامواج فكان آخر العهد به (ومنها) قوله تعالى يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل وجفان كالجواب يقال انها الحياض كانت تسع الجفنة الواحدة طعام الف رجل فيجتمعون عليها يا كلون بين يديه وقدور راسيات ثابتات لا تزول يسع القدر الواحد عشرة جزر

﴿قصة مدينة سليمان عليه السلام التى كان يسافر بها فى الهواء﴾

(ومما) عملوا له مدينة من قوارير عشرة آلاف ذراع فى عشرة آلاف ذراع فيها الف سقف مابين كل سقفين عشرة اذرع فى كل سقف جميع ما يحتاج اليه من المساكن والقباب والمرافق اسفلها اغلاظ من الحديد واعلاها ارق من الماء يري من داخلها ماوراء خارجها من صفائه ونقائه والشمس بالنهار والقمر بالليل وعلى السقف الاعلى قبة يضاء عليها علم ابيض يستضيء به فى الليل الداجي العسكر كله يتلألأ شعاعه مد البصر وبها من الاركان الف ركن على مناكب الشياطين تحت كل ركن منها عشرة من الشياطين تسع سليمان وجنوده وحشمه واولياءه علوا وسفلا تحملها الريح الى حيث يشاء وكانت تلك المدينة له مستقرا يا كل ويشرب وينام ويتمتع بها وفى اسفلها مرابط واصطبلات وأوارى وأواخى لخيله ودوابه (ومما) عملوا له كرسي ملكه

﴿صفة كرسي سليمان عليه السلام﴾

قال الله تعالى والقينا على كرسيه جسدا ثم أناب يروى ان نبي الله سليمان عليه السلام امر الشياطين باتخاذ كرسي يقعد عليه للقضاء وامر ان يعمل بديعا مهولا بحيث لو رآه مبطل اوشاهد زور ارتدع وبهت قال فعملوا له كرسيا من انياب الفيلة وفصصوه بالياقوت واللؤلؤ والزبرجد وانواع الجواهر وحفوه باربع نخلات من الذهب شماريخها الياقوت الاحمر والزمرد الاخضر على رأس نخلتين منها طاوسان من ذهب وعلى رأس الاخيرتين نسران من ذهب بعضها مقابل بعض وجعلوا من جانب الكرسي أسدين من ذهب على رأس كل واحد منهما عمود من الزمرد الاخضر وقد عقدوا على النخلات اشجار الكرم من الذهب الاحمر واتخذوا عناقيدها من الياقوت الاحمر بحيث يظل عريش الكروم والنخل الكرسي قالوا وكان سليمان ان اراد صعوده وضع قدميه على الدرجة السفلى فيستدير الكرسي ورجله فيها ويدور دوران الرحى المسرعة وتنشر تلك النسور والطواويس أجنحتها ويبسط الاسدان ايديهما ويضربان الارض بأذنابهما وكذلك يفعل فى كل درجة يصعدها سليمان فاذا استوى باعلاه اخذ النسران اللذان على النخلتين المسك والعنبر يفتتانها عليه ثم تتناول حمامة من ذهب قائمة على عمود من جوهر من أعمدة الكرسي التوراة فتفتحها لسليمان فيقرؤها على الناس ويدعوهم الى فصل القضاء قال وتجلس عظماء بني اسرائيل على كراسي الذهب والفضة المفصصة بالجواهر وهي الف كرسي على يمينه وتجيء عظماء الجن فيجلسون على كراسي الفضة عن يساره وهي الف كرسي حافين به جميعا ثم تظلهم الطير وتتقدم الناس اليه للقضاء فاذا دعا بالبينات وتقدمت الشهود لاقامة الشهادات دار الكرسي بجميع مافيه وماحوله دوران الرحا المسرعة قال معاوية لوهب بن منبه ما الذى كان يدير ذلك الكرسي قال بابلان

من أين عرفتني ولم ترني قبل ذلك اليوم فقال ماجهلت منذ عرفت ولا قطعت منذ وصلت قال ابراهيم فقلت له ما الذى أوصلك الى هذه البرية فى مثل هذه السنة الكثيرة الحر قال يا ابراهيم ما أنست بسواه ولا رافقت أحدا غيره وأنى منقطع بالكلية مقر له بالربوبية قال ابراهيم فقلت من اين المأكول والمشروب فقال تكفل بي المحبوب قال ابراهيم فقلت له يا غلام أما تخاف من بعد السفر وطول المشقة فانشد يقول شعرا

من ذا يخوفني بالبر أقطعه * الى الحبيب وقد قدمت إيمانا
الحب اقلقني والشوق أزعجني
فلا يخاف محب الله انسانا
فان اجوع فذكر الله يشبعني
ولا أكون بحمد الله عطشانا
وان ضعفت فوجدي فيه يحملني
الى الحجاز ومن اقصى خراسانا

قال ابراهيم فتعجبت من كلامه على صغر سنه ثم قلت له بالله عليك يا غلام ماعمرك فقال اثنتا عشرة سنة فقلت والله لقد

من ذهب وذلك الكرسي مما عمله له صخر الجني قالوا فاذا دار الكرسي بسط الاسدان ايديهما و يضربان الارض باذنابهما و ينشر النسران والطاوسان اجنحتهما فتفزع منه الشهود و يداخلهم من ذلك رعب شديد فلا يشهدون الا بالحق فهذا شأن كرسي سليمان عليه السلام وعجائب ما كان فيه فلما توفي سليمان عليه السلام بعث بختنصر فاخذ ذلك الكرسي وحمله الى انطاكية فاراد ان يصعد عليه ولم يكن له علم بالصعود عليه ولا بأحواله فلما وضع قدميه على الدرجة السفلى رفع الاسد يده اليمنى فضرب ساقه ضربة شديدة دقها ورماه فحمل بختنصر فلم يزل يعرج و يتوجع منها حتى مات و بقي الكرسي بانطاكية حتى غزاهم ملك من الملوك يسمى كداش بن سداد فهزم خليفة بختنصر و رد الكرسي الى بيت المقدس فلم يستطع أحد من الملوك الجلوس عليه ولا الاستمتاع به فوضع تحت الصخرة فغاب ولم يعرف خبره ولا يدرى أين هو والله أعلم (ومنها) بيت المقدس

﴿ صفة بنيانه و بدء أمره ﴾

قال الله تعالى سبحان الذي اسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى الآية وقال تعالى ونجيناه ولوطا الى الارض التي باركنا فيها للعالمين قيل بالمياه والاشجار والثمار وقيل ان كل ماء عذب يخرج من تحت اصل الصخرة التي ببيت المقدس يهبط من السماء اليها ثم يتفرق في الارض وذلك قوله تعالى باركنا فيها للعالمين وروى خالد بن معدان عن عبادة بن الصامت قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم صخرة بيت المقدس على نخلة من نخيل الجنة وتلك النخلة على نهر من انهار الجنة على ذلك النهر آسية بنت مزاحم ومريم ابنة عمران رضي الله عنهما ينظمان حلى أهل الجنة الى يوم القيامة * وأما بدء بناء بيت المقدس وصفة بنائه على ما ذكره اهل البصيرة بالسير هو ان الله تعالى بارك في نسل ابراهيم حتى جعلهم في الكثرة غاية لا يحصون فلما كان زمان داود عليه السلام لبث فيهم مدة مديدة بارض فلسطين وهم يزدادون كل يوم كثرة فاعجب داود بكثرتهم وأراد أن يعلم عدد بني اسرائيل كم هم فامر بعدهم و بعث بذلك عرفاء ونقباء وأمرهم ان يرفعوا اليه ما يبلغ من عددهم فكانوا يعدون زمانا من الدهر حتى عجزوا فبعث الله جبريل عليه السلام واوحى اليه يا داود قد علمت اني وعدت اباك ابراهيم يوم امرته بذبح ولده فصبر وائتمر امري بان ابارك له في ذريته حتى يصيروا بعدد نجوم السماء واجعلهم بحيث لا يحصي عددهم فاردت أن تعلم عددهم انه لا يحصي عددهم غيري وانا قد اقسمت لابتلينهم ببلية يقل منها عددهم و يذهب عنك اعجابك بهم وكثرتهم فاختاروا اما ان ابتليكم بالجوع والقحط ثلاث سنين أو أسلط عليكم عدوكم ثلاثة اشهر أو الموت ثلاثة ايام فجمع داود بني اسرائيل واخبرهم بما اوحى الله تعالى اليه وخيرهم فيه فقالوا انت اعلم بما هو ايسر لنا وانت نبينا فانظر لنا غير ان الجوع لا صبر لنا عليه وتسليط العدو أمر فاضح فان كان ولا بد فالموت لانه بيده لا بيد غيره فامرهم داود ان يتجهزوا للموت فاغتسلوا وتحنطوا ولبسوا الاكفان و برزوا الى صعيد بيت المقدس قبل بناء المسجد بالذراري والاهلين وامرهم ان يضجوا الى الله تعالى و يتضرعوا اليه لعله يرحمهم فارسل الله اليهم الطاعون فاهلك منهم في يوم وليلة الوفا كثيرة لا يدري عددهم ولم يفرغوا من دفنهم الا بعد موتهم بشهر فلما اصبحوا في اليوم الثاني خر داود عليه السلام ساجدا لله تعالى يبتهل الى الله تعالى و يقول يارب انا آكل الخل الحامض و بنو اسرائيل يضرسون يعني اذنبت و بنو اسرائيل يعاقبون فما كان من شيء فقني انزله واعف عن بني اسرائيل فاستجاب الله دعاءه وكشف عنهم الطاعون ورفع عنهم الموت فرأى داود عليه السلام الملائكة سالين سيوفهم فغمدوها وارتقوا في سلم من ذهب في صخرة بيت المقدس الى السماء فقال داود لبني اسرائيل ان الله تعالى قد من عليكم ورحمكم

فجددوا

أدهشني ما سمعت منك فتبسم وقال الحمد لله الذي أولانا من نعمه وفضلنا على كثير من عباده فتعجبت من حسن وجهه وحلاوة منطقه وقلت سبحان الخالق المصور فاطرق رأسه ساعة ونظر الى وقال يا ابراهيم ان المنقطع من قطعه الحبيب والمواصل من أخذ من أخذ من الطاعة بنصيب فهل أنت منقطع عن الحجاج يا ابراهيم قلت له نعم سألتك بالله ان تدعوا لى ان ألحق من سبقني من أصحابي قال فنظر الى السماء وحرك شفتيه فاخذتني سنة من النوم فما استيقظت الا وانا في وسط الحجاج ورفيقي يقول لي أحذر أن تقع من على الراحلة ولم أدر أين ذهب الغلام فسألت الله أن يجمعني به قبل الموت فلما دخلنا مكة اذا بالغلام متعلق باستار الكعبة وهو يبكي و ينشد و يقول شعرا

تعلقت بالاستار والقبر زرته
وانت بما في القلب والسر أعلم
أتيت اليه ماشيا غير راكب
واني على صغر محب متيم
هو يك طفلا حيث لا أعرف الهوى
فلا تعذلوني انني متعلم

فجددوا له شكرا قالوا فكيف تأمرنا قال آمركم ان تتخذوا في هذا الصعيد الذي رحمكم الله فيه مسجدا لا يزال فيه منكم ومن بعدكم ذاكرا لله تعالى فاخذ داود في بنائه فلما أرادوا ان يبتدؤا بالبناء جاء رجل صالح فقير يختبرهم ليعلم كيف اخلاصهم في بنائهم فقال لبني اسرائيل ان لي فيه موضعا أنا محتاج اليه ولا يحل لكم ان تحجبوني عن حقي فقالوا ياهذا مامن أحد من بني اسرائيل الا وله في هذا الصعيد حق مثل حقك فلا تكن ابخل الناس ولا تضايقنا فيه فقال انا أعرف حقي وانتم لا تعرفون حقكم فقالوا له اما ترضي وتطيب نفسك والا اخذناه منك كرها فقال لهم اتجدون هذا في حكم الله وحكم داود قال فرفع خبره الى داود عليه السلام فقال ارضوه فقالوا بكم نأخذه منه يانبي الله قال خذوه بمائة شاة فقال الرجل زدني يانبي الله قال داود خذوه بمائة بقرة قال زدني قال بمائة بعير قال زدني يانبي الله فانما نشتريه لله تعالى والله كريم لا يبخل فقال داود حيث قلت هذا فاحتكم اعطك قال تشتريه بحائط مثله زيتونا ونخلا وعنبا قال نعم فقال الرجل انت تشتريه لله تعالى فلا تبخل قال سل ماشئت قال انت اكرم على الله مني ولكن ابن لي حوله جدارا مشرفا ثم املؤه ذهبا وان شئت ورقا قال داود هذا هين فالتفت الرجل الى بني اسرائيل وقال لهم هذا هو التائب الخالص ثم قال لداود يانبي الله لان يغفر الله لي ذنبا واحدا أحب الي من كل شيء وهبت لي ولكني كنت اختبركم فجدوا في بناء بيت المقدس وكان ذلك فيما قيل لاحدى عشرة سنة مضت من ملك داود وكان داود ينقل الحجارة على ظهره وكذلك اخيار بني اسرائيل حتى رفعوه قامة وعجزوا فاوحى الله تعالى اليه ان هذا بيت مقدس وانك رجل سفاك الدماء ولست ببانيه ولكن ابن لك املكه بعدك اسمه سليمان اسلمه من سفك الدماء واقضي اتمامه على يديه ويكون صيته وذكره واجره لك باقيا فصلوا فيه زمانا الى ان توفي داود عليه السلام واستخلف سليمان فامره الله تعالى باتمام بيت المقدس فجمع سليمان الجن والانس والشياطين وقسم عليهم الاعمال وخص كل طائفة بعمل يصلح لها وارسل الجن والشياطين في تحصيل عمل الرخام والبلور الابيض الصافي من معادنه وامر ببناء المدينة بالرخام والصفائح وجعلها اثنى عشر ربضا لكل ربض منها سبط من الاسباط وكانوا اثنى عشر سبطا فلما فرغ من بناء المدينة ابتدأ في بناء المسجد فوجه الشياطين فرقا فريق منهم يستخرجون الذهب والفضة والياقوت من معادنه وفريق يغوصون في البحر ويستخرجون انواع الدر وفريق يقطعون انواع الرخام وفريق يغوصون على الجواهر وفريق يأتون بالمسك والعنبر وانواع الطيب من اماكنها فاتى بشيء من ذلك لا يحصيه الا الله تعالى ثم انه احضر الصناع وامرهم بنحت تلك الحجارة وتنضيدها الواحا واصلاح تلك الجواهر ونقشها فكانوا يعالجونها فتصوت صوتا شديدا لصلابتها فكره سليمان تلك الاصوات فدعا الجن وقال لهم هل عندكم حيلة في نحت هذه الجواهر من غير تصويت فقالوا يانبي الله ليس في الجن اكثر تجاربا ولا اكثر علما من صخر العفريت فارسل اليه من يأتيك به فطبع سليمان بخاتمه طابعا وكان يطبع للشياطين بالنحاس ولسائر الجن بالحديد وكان اذا طبع بخاتمه لمع ذلك كالبرق الخاطف فكان لا يراه احد من جن ولا شيطان الا انقاد اليه باذن الله تعالى فارسل الطابع مع عشرة من الجن فاتوه به وهو في بعض جزائر البحر فاروه الطابع فلما نظر اليه كاد ان يصعق خوفا فاقبل مسرعا مع الرسل حتى دخل على سليمان فسأل سليمان رسله عما احدث العفريت في طريقه فقالوا يانبي الله انه كان يضحك في بعض الاحايين من الناس فقال له سليمان مارضيت بتمردك علي وترك المجيء الى طاعتي حتى صرت تسخر من الناس فقال يانبي الله اني لست اسخر منهم غير ان ضحكي كان تعجبا مما كنت اسمع وارى في طريقي فقال له سليمان وماذاك قال مررت على شط نهر فوجدت رجلا ومعه بغلة يريدان

وان كان قد حانت الهي منيتي
لعلي بوصل منك أحظي وأغنم

قال ابراهيم ثم ارخى عينيه وخر ساجدا فاتيت اليه وحركته فاذا هو قد مات رحمة الله تعالى عليه فتاسفت لذلك ومضيت الى رجل لآخذ له منه كفنا واستعنت برفيقي حتى يساعدني على تجهيزه فاتينا اليه فلم نجده فتعجبت من ذلك وسالت عنه من الحجاج فلم يخبرني به احد فعرفت انه مستتر عن أعين الناس وما رآه احد غيري فرجعت الى مكاني ولم افتر عن ذكره فلما جن الليل نمت فرأيته في المنام وهو في موكب عظيم وعليه نور ساطع وعليه من الحلي والحلل مايعجز عن وصفه الواصفون قال ابراهيم فقلت له ألست صاحبي بالامس فقال نعم فقلت له والله لقد طلبتك لاغسلك وأكفنك فلم أجدك فقال ياابراهيم ان الذي اخرجني وبحبه شوقني وعن أهلي غربني هو الذي كفني وما ا وجني قال ابراهيم فقلت له مافعل الله بك بعد ذلك قال أوقفني بين يديه وقال ما بغيتك قلت انت ربي فقال الله عزوجل

يسقيها وجرة بريدان يستقى بها في البغلة وملأ الجرة ثم اراد ان يقضى حاجته فشد البغلة باذن الجرة فنفرت البغلة وكسرت الجرة فضحكت من حمق الرجل حيث توهم ان الجرة تحبس البغلة ومررت ايضا برجل آخر وهو جالس عند اسكاف يستعمله في اصلاح خف له فسمعته يشترط عليه ان يصلحه بحيث يبقى معه اربع سنين ونسي نزول ملك الموت اليه من قبله فضحكت من قلة عقله وجهله ومررت بعجوز تتكهن وتخبر الناس بما لا يعلمون من امور السماء وقد كنت عهدت رجلا دفن في موضع فراشها ذهبا كثيرا في الدهور الخالية فرأيتها تموت جوعا وتحت رأسها ذهب كثير وهي لا تعلم بمكانه ثم تخبر الناس بامر السماء فضحكت منها ومررت برجل في بعض المدن وقد كان به داء فيما قبل فاكل البصل فبرأ من دائه فصار يطب الناس وكان لا يأتيه احد يساله عن علة الا امره باكل البصل وانه لا اضر شيء حتى ان ضرره يصل الى الدماغ فضحكت منه ومررت في بعض الاسواق فرأيت الثوم وهو افضل الادوية يكال كيلا ورأيت الفلفل وهو من السموم القاتلة يوزن وزنا فضحكت ومررت بناس قد جلسوا يبتهلون الى الله ويسألونه الرحمة والمغفرة فمل منهم قوم فقاموا وجاء آخرون فجلسوا فرايت الرحمة قد نزلت عليهم واخطأت الذين كانوا من قبل وغشيت الذين جاؤا فضحكت تعجبا للقضاء والقدر فقال له سليمان هل علمت من كثرة تجاربك وجولانك في البحار شيأ ينحت لى هذه الجواهر فتلين ويسهل نحتها واثقبها بلا صوت قال نعم يانبى الله اعرف حجرا ابيض كاللبن يقال له السامور غير انى لا اعرف معدنه الذى هو فيه وليس في الطير شيء احيل ولا اهدي من العقاب فامر بفراخه ان تجعل في صندوق من تلك الجواهر فانه يأتى بذلك الحجر فيضرب به الصندوق حتى يثقبه ليصل الى اولاده قال فامر سليمان بفرخ العقاب أن تضم فيه صندوق من حجر منها يوما وليلة فحجب عن افراخه فمر مسرعا وجاء بالحجر بعد يوم وليلة فثقب به الصندوق حتى وصل الى افراخه فوجه سليمان مع العقاب نفرا من الجن حتى اتوه منه بقدر ما علم ان فيه الكفاية واستعمل ذلك في ادوات الصناع فسهل عليهم نحتها من غير صوت وهو حجر يستعمل في نقش الخواتم وثقب الجواهر الى اليوم وهو ثمين عزيز قالوا فبنى سليمان المسجد بالرخام الابيض والاصفر والاخضر وعمده من المها الصافي وسقفه بالواح الجواهر الثمينة وفصص سقفه وحيطانه باللآلىء واليواقيت وانواع الجواهر وبسط ارضه بالواح الفيروزج فلم يكن يوجد يومئذ في الارض بيت ابهى ولا انور من ذلك المسجد وكان يضيء في الليل كالقمر في ليلة البدر فلما فرغ منه جمع اليه احبار بنى اسرائيل واعلمهم انه بناه الله تعالى وكل شيء منه خالص لله تعالى واتخذ ذلك اليوم الذي فرغ منه عيدا لم يتخذ في الارض قط اعظم عيد من ذلك اليوم ولا أطعمة اكثر منه فذبح فيه من الجزر الف جزور ومن البقر خمسة وعشرين الفا معلوفة ومن الغنم اربعمائة ألف شاة * قالوا ومن عجائب ما اتخذه سليمان ببيت المقدس انه بنى بيتا وطين حائطه بالجص وصقله فكان اذا دخله البار استبان خياله في ذلك الحائط ابيض واذا دخله الفاجر استبان خياله في ذلك الحائط اسود فارتدع من ذلك كثير من الناس عن الفجور والخيانة ونصب في زاوية من زوايا المسجد عصا ابنوس فكان من مسها من اولاد الانبياء لم يضره منها شيء ومن مسها من غيرهم احترقت يده فلما فرغ سليمان من بناء بيت المقدس قرب قربانا على الصخرة ثم قال اللهم انت وهبت لي هذا الملك منا منك على وجعلتني خليفتك على ارضك واكرمتني به من قبل ان اكون شيأ فلك الحمد اللهم انى اسألك لمن دخل هذا المسجد خصالا ان لا يدخله احد يصلى فيه ركعتين مخلصا فيهما الا خرج من ذنوبه كيوم ولدته امه ولا يدخله مذنب الا تبت عليه ولا خائف الا امنته ولا سقيم الا شفيته ولا مجدب الا أخصبته واغنيته واذا اجبت دعوتى واعطيتني طلبتى فاجعل علامته ان تتقبل قربانى قال فنزلت نار من السماء فسدت ما بين

الخائفين

أنت عبدى حقا ولا أحجب عنك كل ماتريد فقلت سيدى أريدان تشفعني في القرن الذى مت فيه فقال الله عز وجل قد شفعتك فيه قال ابراهيم ثم صافحني فاستيقظت من منامى فرحا مسرورا فلما اصبحت قضيت ما كان على من فرائض الحج ولم يفترقلبي عن ذكر السلام وسرت في جملة الحاج والناس يقولون يا ابراهيم أزعجت الناس من طيب رائحتك قال ولم تزل رائحة الطيب تفوح من يد ابراهيم حتى مات (وحكى عن ابراهيم الخواص رحمه الله تعالى) انه قال كنت سائرا في طريق مكة على الوحدة فملت عن الطريق فمكثت أمشي يومى وليلتى حتي أدركني المساء فاغتممت لذلك غما شديدا لاجل الوضوء وفقد الماء وكانت ليلة مقمرة فسمعت صوتا ضعيفا وهو يقول لى يا أبا اسحق فدنوت منه فاذا هو شاب حسن الشباب نظيف الاثواب فسلمت عليه فرد على السلام فوجدته منطرحا على الارض وليس فيه حركة وعند رأسه رياحين مختلفة الالوان فتعجبت من ذلك وقلت له ما الذي اتى

الخافقين ثم امتد منها عنق فاحتمل القربان وصعد به الى السماء وكان بيت المقدس على ما بناه سليمان عليه السلام الى ان غزا بختنصر بني اسرائيل فخرب بيت المقدس والتي فيها الجيف وكبسه بالتراب ونقل جميع ما فيه من الذهب والفضة والجواهر والآنية الى ارض بابل وكان بيت المقدس خرابا الى ان بناه المسلمون في زمن عمر بن الخطاب رضي الله عنه بامره والله اعلم

﴿باب في قصة بلقيس ملكة سبا والهدهد وما يتصل به﴾

قال الله تعالى وتفقد الطير فقال مالي لا ارى الهدهد ام كان من الغائبين الآية قالت العلماء باخبار القدماء ان نبي الله سليمان بن داود عليهما السلام لما فرغ من بناء بيت المقدس عزم على الخروج الى ارض الحرم فتجهز للمسير واصطحب معه من الناس والجن والشياطين والطيور والوحوش ما بلغ عسكره مائة فرسخ وامر الريح الرخاء فحملتهم فلما اتوا الحرم اقام به ماشاء الله ان يقيم وقرب القرابين وقضى المناسك وبشر اهله بخروج نبينا محمد صلى الله عليه وسلم واخبرهم انه سيد الانبياء وخاتم النبيين وان ذلك مثبت في زبورهم ثم احب ان يسير الى ارض اليمن فخرج من مكة صباحا وسار نحو اليمن يؤم نجم سهيل فوافى صنعاء وقت الزوال وذلك مسيرة شهر فرأى ارضا بيضاء حسنة تزهو بخضرتها فاحب النزول بها ليصلي ويتغدى فطلبوا الماء فلم يجدوه وكان الهدهد دليله على الماء وكان يري الماء من تحت الارض كما يري احدكم كاسه بيده فينقر الارض فيعرف موضع الماء وعمقه ثم تجيء الشياطين فيسلخونه كما يسلخ الاهاب يستخرجون الماء قال سعيد بن جبير لما ذكر ابن عباس هذا الحديث قال له نافع بن الازرق كيف يبصر الماء من تحت الارض ولا يبصر الفخ اذا غطى له بقدر اصبع من تراب قال ويحك اذا جاء القدر عمي البصر وروى قتادة عن انس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انهاكم عن قتل الهدهد فانه كان دليل سليمان على الماء فطلب سليمان الهدهد فلم يجده فتوعده ثم ان الهدهد لما جاء قال وجئتك من سبأ بنبأ يقين اني وجدت امرأة تملكهم الآية وذلك انه لما نزل سليمان قال الهدهد في نفسه ان سليمان قد اشتغل بالنزول فارتفع الى نحو السماء ونظر الى طول الدنيا وعرضها ونظر يمينا وشمالا فرأى بستان بلقيس فمال الى الخضرة فوقع فيها فاذا هو بهدهد اليمن فهبط عليه وكان اسم هدهد سليمان يعفور واسم هدهد اليمن عفير فقال عفير ليعفور من اين اقبلت والى اين تريد قال اقبلت من الشام مع صاحبي سليمان بن داود عليه السلام فقال له الهدهد ومن سليمان بن داود قال ملك الجن والانس والشياطين والوحوش والرياح فمن اين انت قال انا من هذه البلاد قال ومن ملكها قال امرأة قال فما اسمها قال يقال لها بلقيس وان لصاحبكم سليمان ملكا عظيما ولكن ليس ملك بلقيس دونه فانها ملكة اليمن كله وتحت يدها اثنا عشر الف قيل مع كل قيل مائة الف مقاتل والقيل هو القائد بلغة اهل اليمن فهل انت منطلق معي حتى تنظر الى ملكها قال فاني اخاف ان يتفقدني سليمان في وقت الصلاة اذا احتاج الى الماء فقال له الهدهد اليماني ان صاحبك ليسره ان تاتيه بخبر هذه الملكة فانطلق معه حتي اتى بلقيس ونظر ملكها وما رجع الى سليمان الا وقت العصر قال فلما نزل سليمان ودخل عليه وقت صلاة العصر طلب الهدهد وذلك انه نزل على غير ماء فسال الانس عن الماء فقالوا لا نعلم ههنا ماء فسال الجن والشياطين فقالوا لا نعلم فتفقد عند ذلك الهدهد فلم يجده فتوعده (قال ابن عباس) في بعض الروايات عنه وقعت قطعة من الشمس على رأس سليمان فنظر فاذا موضع الهدهد خال فدعا عريف الطير وهو النسر فساله عن الهدهد فقال اصلح الله الملك ما ادرى اين هو وما ارسلته الى موضع فغضب عند ذلك سليمان وقال لاعذبنه عذابا شديدا او لاذبحنه واختلف العلماء في العذاب الشديد ما هو فقال اكثر

بك الى هذه البرية وهي مقفرة فقال يا ابا اسحق قد دنت وفاتي وقد سألت الله أن يحضر عندي وليا من أوليائه فرديت يحضر وفاتك ابراهيم الخواص وها أنا منتظرك فقلت له يا اخي ما الذى حبسك ههنا فقال يا أخي كنت عند أهلي في عزة وسرور فخطر على السفر واشتهيت الغربة فخرجت من مدينة شمشاط أريد الحج فوقعت في هذه البقعة منذ شهرين وقد حضرت الوفاة قال ابراهيم فقلت ألك والدان فقال نعم ولي اخت صالحة فقلت له هل اشتقت لهم وخطر ببالك بهم فقال لا الا اليوم فاني احببت ان أشم منهم رائحة أو أجدد بهم عهدا قال ابراهيم فاجتمعت اليه وحوش كثيرة واتوا بهذه الرياحين فبكيت وبكوا معي وصرت متحيرا في امره متفكرا في حاله ووقع حب الشاب في قلبي وانجذب اليه سري فبينما أنا كذلك اذ أقبلت حية عظيمة وفي فمها باقة نرجس لم أر أحسن منها ولا أذكى من رائحتها فوضعتها عند رأسه وقالت بلسان فصيح يا ابراهيم اعدل عن ولي الله تعالى فان الله تعالى

المفسرين كان عذابه ان ينتف ريشه وذنبه و يدعه ممعطا ثم يلقيه في بيت النمل فتلدغه وقال الضحاك لانتفنه ولاشدن رجليه ولاشمسنه وقال مقاتل لاطلينه بالقطران ولاشمسنه وقيل لاودعنه القفص وقيل لافرقن بينه و بين الفه وقيل لامنعنه من خدمتي اوليأتيني بسلطان مبين اي حجة واضحة (وروي) عكرمة عن ابن عباس قال كل سلطان في القرآن حجة قال ثم دعا العقاب سيد الطيور فقال له علي بالهدهد الساعة فرفع العقاب نفسه دون السماء حتي التصق بالهواء فنظر الي الدنيا كالقصعة بين يدي احدكم فنظر يمينا وشمالا فاذاهو بالهدهد مقبلا من نحو اليمن فانقض العقاب نحوه يريده فلما رأى الهدهد ان العقاب يريده بسوء ناشده الله وقال بحق الذي قواك وأقدرك علي الا رحمتني ولا تتعرض لي بسوء قال فولى العقاب عنه وقال له ويلك ثكلتك امك ان نبي الله سليمان قد حلف ان يعذبك اويذبحك ثم طارا متوجهين نحو سليمان فلما انتهيا الى المعسكر تلقاهم النسر والطير كله وقالوا له اين غبت في يومك هذا فلقد توعدك نبي الله سليمان واخبروه بما قال فقال الهدهد وما استثنى نبي الله قالوا بلى انه قال اوليأتيني بسلطان مبين فطار الهدهد والعقاب حتي اتيا سليمان وكان قاعدا على كرسيه فقال العقاب قد اتيتك به يانبي الله فلما قرب الهدهد منه رفع رأسه وارخى ذنبه وجناحيه يجرهما على الارض تواضعا لسليمان فمد سليمان يده الى رأسه فجذبها وقال اين كنت لاعذبنك عذابا شديدا فقال له الهدهد يانبي الله اذكر وقوفك بين يدي الله فلما سمع ذلك سليمان ارتعد وعفا عنه (اخبرني الحسين) بن محمد الثقفي باسناده عن عكرمة قال انما صرف سليمان عن ذبح الهدهد بره بوالديه ثم سأله ما الذي ابطأك عني قال الهدهد ما اخبرالله به احطت بمالم تحط به اى علمت مالم تعلم به وجئتك من سبأ بنبأ يقين اني وجدت امرأة تملكهم واوتيت من كل شيء واسمها بلقيس بنت البشرخ وهو الهدهاذ وقيل هي بلمعة بنت شراحيل بن ذي جدن بن البشرخ بن الحرث بن قيس بن صنعاء بن سبا بن يشجب بن يعرب بن قحطان وكان ابو بلقيس الذي يسمى البشرخ و يلقب بالهدهاذ ملكا عظيم الشأن وكان ملك ارض اليمن كلها وكان يقول لملوك الاطراف ليس احد منكم كفؤا لي وابى ان يتزوج منهم فزوجوه بامرأة من الجن يقال لها ريحانة بنت الشكر وكانت الانس اذ ذاك ترى الجن وتخالطهم فولدت له بلمعة وهي بلقيس ولم يكن له ولد غيرها وتصديق هذا ما أخبر به ابن ميمونة باسناده عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال كان احد ابوى بلقيس جنيا فلما مات ابو بلقيس ولم يخلف ولدا غيرها طمعت في الملك وطلبت من قومها ان يبايعوها فاطاعها قوم وعصاها آخرون فاختاروا عليها رجلا فملكوه عليهم وافترقوا فرقتين كل فرقة منهم استولت على طرف من ارض اليمن ثم ان هذا الرجل الذي ملكوه اساء السيرة في اهل مملكته حتى كان يمد يده الى حرم رعيته يفجر بهن فاراد اصحابه خلعه فلم يقدروا عليه فلما رأت بلقيس ذلك ادركتها الغيرة فارسلت اليه وعرضت نفسها عليه فاجابها الملك الى ذلك وقال ما منعني ان ابتدئك بالخطبة الا اليأس منك فقالت لا ارغب عنك فانك كفؤ كريم فاجمع رجالي وقومي واخطبني منهم فجمعهم وخطبها منهم فقالوا لا نراها تفعل هذا فقال انما هي التي ابتدأتني واني احب ان تسمعوا قولها فتشهدوا عليها فلما جاؤها وذكروا لها ذلك قالت نعم اني احببت الولد ولم احبه منذ كنت ارغب عن هذا والساعة قد رضيت له فزوجوها منه فلما زفت اليه خرجت في اناس كثير من خدمها وحشمها حتى غصت منازله ودوره بهم فلما جاءته سقته الخمر حتي سكر ثم حزت رأسه وانصرفت من الليل الى منزلها فلما اصبح الناس ورأوا الملك قتيلا ورأسه منصوب على باب داره علموا ان تلك المناكحة كانت مكرا وخديعة منها فاجتمعوا اليها وقالوا لها انت احق بهذا الملك من غيرك فقالت لولا العار والنار ما قتلته ولكن رأيته قد عم فساده فاخذتني الحمية ففعلت به مافعلت فملكوها واستتب امرها في المملكة وروي ابن ميمونة

ينير على أوليائه قال ابراهيم فلحقني من ذلك حال وصحت صيحة عظيمة وغشي علي فلما أفقت وجدت الشاب قد فارق الدنيا رحمه الله تعالى عليه فقلت انا لله وانا اليه راجعون ماهذه الا محنة عظيمة كيف أصنع في تجهيزه قال فارسل الله علي النوم فنمت فما افقت الا بعد ليلة وقد طلعت على الشمس فنظرت لموضع الشاب فلم اجد له أثرا فتعجبت من ذلك وسرت حتي دخلت مكة فلما قضيت حجي توجهت الى بلد الشاب فاستقبلني نساء عليهن مرقعات وفي أولهن امرأة عليها مرقعة وثوب من شعر و بيدها ركوة وهي لا تفتر عن ذكر الله تعالى فتاملتها فما رايت أشبه بالشاب منها فقالت يا أبا أسحق اني في انتظارك لتحدثني عن اخي وقرة عيني ثم بكت وارتفع بكاؤها فبكيت معها ثم وصفت لها الشاب وما كان عنده من الرياحين فلما بلغت قوله احببت ان أشم منهم رائحة أو أجدد بهم عهدا قالت اخته قد بلغ الشم ثم سقطت الى الارض ميتة فاحتوشها أهلها وقالوا جزاك الله خيرا

باسناده عن الحسن بن علي عن ابي بكر قال ذكرت بلقيس عند رسول الله صلي الله عليه وسلم فقال لا يفلح قوما ولوا امرهم امرأة قالوا فلما ملكت بلقيس اتخذت قصرا وعرشا

﴿ صفة القصر الذي بنته بلقيس ﴾

قال الشعبي روي ان بلقيس لما ملكت أمرت ببناء قصر فحمل اليها خمسمائة اسطوانة من رخام طول كل اسطوانة خمسون ذراعا فامرت بها فنصبت على تل قريب من مدينة صنعاء وجعلت بين كل اسطوانتين عشرة اذرع ثم جعلت فيها سقفا منظومة بالواح الرخام والحم بعضها الى بعض بالرصاص حتى صارت كانها لوح واحد ثم بنت فوق ذلك قصرا مربعا من آجر وجص في كل زاوية من زواياه قبة من ذهب مشرفة في الهواء وفيما بين ذلك مجالس حيطانها من ذهب وفضة مرصعة بالوان الجواهر المربعة وجعلت فيه اى في باب ذلك القصر مما يلي المدينه برخام من الرخام الابيض والاخضر والاحمر وفي جوانبه حجر لحجابها ونوابها وحراسها وخدمها وحشمها على قدر مراتبهم

﴿ صفة عرشها ﴾

كان مقدمه من ذهب مفصص باليواقيت الحمر والزمرذ الاخضر ومؤخره من فضة مكلل بالوان الجواهر وله اربع قوائم قائمة من ياقوت احمر وقائمة من ياقوت اخضر وقائمة من زمرذ اخضر وقائمة من در اصفر وصفائح السرير من الذهب وعليه سبعون بيتا وعلى كل بيت باب مغلق وكان طوله ثمانين ذراعا في ثمانين ذراعا في الهواء فذلك قوله عز وجل وأوتيت من كل شيء أى مما تحتاج اليه في الملك من الآلة والعدة ولها عرش عظيم أى سرير ضخم حسن وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله وذلك انها قالت لوزرائها ما كان يعبدوا آبائي الماضون قالوا كانوا يعبدون اله السماء قالت واين هو قالوا هو في السماء وعلمه في الارض قالت فكيف اعبده وانا لا اراه ولست اعرف شيأ اشد من نور الشمس فهي اولى ماينبغى لنا عبادته فعبدت الشمس من دون الله تعالى وحملت قومها على عبادتها وكانوا يسجدون لها اذا طلعت واذا غربت (قال) فلما قال ذلك الهدهد لسليمان قال له سليمان سننظر اصدقت أم كنت من الكاذبين ثم ان الهدهد دلهم على الماء فاحتفروا الركايا وهي الآبار التي لم تطو ببطن كل واد فروي الناس والدواب وكانوا قد عطشوا ثم كتب سليمان كتابا من عبدالله سليمان بن داود الى بلقيس ملكة سبأ بسم الله الرحمن الرحيم السلام على من اتبع الهدى أما بعد أن لا تعلوا علي واتوني مسلمين قال ابن جريج وغيره ولم يزد سليمان على ماقص الله تعالى في كتابه شيأ وكان ابلغ الناس في كتابه واقله املاء وكذلك الانبياء عليهم الصلاة والسلام كانوا يكتبون جملا ولا يطيلون كتابا ولا يكثرون قالوا فلما كتب الكتاب طبعه بالمسك وختمه بخاتمه وقال للهدهد اذهب بكتابي هذا فالقه اليهم ثم تول عنهم وكن قريبا منهم فانظر ماذا يرجعون اى يردون من الجواب فاخذ الهدهد الكتاب واتى به الى بلقيس وكانت بارض يقال لها مأرب من صنعاء على ثلاثة ايام فوفاها في قصرها وقد غلقت الابواب وأخذت المفاتيح فوضعتها تحت رأسها ومضت الى فراشها فاتاها الهدهد وهى نائمة مستلقية على ظهرها فالقى الكتاب على نحرها هذا قول قتادة وقال مقاتل حمل الهدهد بمنقاره وطار حتى وقف على رأس المرأة فرفرف ساعة والناس ينظرون حتي رفعت المرأة رأسها فالقى الكتاب في حجرها وقال وهب ابن منبه كانت لها كوة يعني طاقة مستقبلة للشمس تقع الشمس فيها حين تطلع فاذا نظرت اليها سجدت لها فجاء الهدهد الى تلك الكوة فسدها بجناحيه فارتفعت الشمس ولم تعلم فاستبطأت الشمس فقامت تنظرها فرمي الصحيفة في وجهها قالوا فاخذت بلقيس الكتاب وكانت قارئة كاتبة عربية من قوم

يا أبا اسحق لقد ارحتها مما كانت فيه قال ابراهيم فلم يبق احد فى مدينة شمشاط حتي حضر جنازتها فلما دفنت اقمت عند قبرها الى الليل فلما نمت رأيتها فى روضه خضراء والشاب بجانبها وهما يقرآن هذه الآية لمثل هذا فليعمل العاملون (وحكى عن الشيخ ابى بكر الشبلى رضى الله تعالى عنه) انه قال مررت بمجنون في بعض الايام والصبيان يرجمونه بالحجارة وقد ادموا وجهه وشجوا رأسه فزجرتهم عنه وهم يقولون دعنا نقتله فانه كافر فقلت وما الذى تبين لكم من كفره فقالوا يزعم انه يرى ربه ويخاطبه قال الشبلى فمنعتهم عنه وتقدمت اليه فوجدته يحدث نفسه ويضحك ويقول اجميل منك ان تسلط على هؤلاء الصبيان حق فقال ما الذى يقولون عنى فقلت له يقولون انك ترى ربك وتخاطبه قال فصاح صيحة وغشى عليه فلما افاق قال ياشبلى وحق من تيمني بحبه وهيمني بقربه لو احتجب عنى طرفة عين لتقطعت من الم البين قال الشبلى فعرفت انه من الخواص أرباب

تبع بن شراحيل الحميري فلما رأت الخاتم ارتعدت وخضعت لان ملك سليمان كان في خاتمه وعرفت ان الذي ارسل هذا الكتاب هو أعظم ملكا منها وقالت ان ملكا تكون رسله الطير لملك عظيم فقرأت الكتاب وتأخر الهدهد غير بعيد ثم انها جاءت حتى قعدت على سرير ملكها وجمعت الملأ من قومها وهم اثنا عشر الف قيل تحت يد كل قيل منهم مائة الف مقاتل وكانت تكلمهم من وراء الحجاب فاذا حزبها أمر اسفرت عن وجهها فلما جاؤا واخذوا مجالسهم قالت لهم بلقيس اني القى الي كتاب كريم أي شريف لشرف صاحبه وقال الضحاك سمته كريما لانه كان مختوما يدل عليه ما اخبرني به ابو حامد الوراق باسناده عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال كرم الكتاب ختمه وقيل سمته كريما لانه مصدر ببسم الله الرحمن الرحيم فذلك قوله تعالى انه من سليمان وانه بسم الله الرحمن الرحيم أن لا تعلوا على واتوني مسلمين ثم قالت يا أيها الملأ افتوني في امري وأشيروا على فيما عرض لي ما كنت قاطعة امرا حتى تشهدون أي تحضرون فقالوا مجيبين لها نحن أولو قوة وأولو باس شديد عند الحرب والامر اليك فانظري ماذا تأمرين تجدينا لامرك طائعين فقالت لهم بلقيس حين عرضوا انفسهم للحرب ان الملوك اذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة أي أهانوا اشرافها وكبراءها لكي يستقيم لهم الامر فصدق الله قولها فقال وكذلك يفعلون انشدني ابو القاسم الجنيد في هذا المعنى قال انشدني ابي في معناه

ان الملوك بلاء حيثما حلوا * فلا يكن لك في أكنافهم ظل
ماذا تأمل من قوم اذا غضبوا * جاروا عليك وان ارضيتهم ملوا
وان مدحتهم خالوك تخدعهم * واستثقلوك كما يستثقل الكل
فاستغن بالله عن أبوابهم كرما * ان الوقوف على ابوابهم ذل

قال الله تعالى مخبرا عنها واني مرسلة اليهم بهدية وذلك ان بلقيس كانت امرأة لبيبة عاقلة قد ساست الملأ من قومها وجربت الامر وساسته اني مرسلة اليهم الى سليمان وقومه بهدية اصانعه عن ملكي واختبره بها أملك أم نبي فان يك ملكا قبل الهدية وانصرف وان يك نبيا لم يقبل الهدية ولم يرض منا الا ان نتبعه على دينه ثم انها اهدت اليه وصفاء ووصائف قال ابن عباس ألبستهم لباسا واحدا حتى لا يكون يعرف الذكر من الانثى وقال مجاهد البست الغلمان لباس الجواري والبست الجواري لباس الغلمان واختلفوا في عددهم فقال الكلبي عشرة جوار وعشرة غلمان وقال مقاتل مائة وصيف ومائة وصيفة وقال مجاهد مائتا غلام ومائتا جارية وقال وهب خمسمائة غلام وخمسمائة جارية وارسلت اليه ايضا بصفائح الذهب واختلفوا في كيفيتها وعددها (اخبرني) ابن ميمونة أيضا باسناده عن ثابت البناني في قوله تعالى واني مرسلة اليهم بهدية قال اهدت له صفائح الذهب في أوعية الديباج فلما بلغ ذلك سليمان امر الجن فموهوا له الاجر بالذهب ثم امر به فالقى في الطريق في كل مكان فلما جاؤا رأوه ملقى في الطريق في كل مكان قالوا قد جئنا نحمل شيئا نراه ههنا ملقى لا يلتفت اليه فصغر في أعينهم ما جاؤا به وقيل كانت اربع لبنات من ذهب (وقال وهب) ابن منبه وغيره من أهل الكتب عمدت بلقيس الى خمسمائة جارية وخمسمائة غلام فالبست الجواري لباس الغلمان الاقبية والمناطق والبست الغلمان لباس الجواري وجعلت في سواعدهم اساور من ذهب وفي أعناقهم اطواقا من ذهب وفي آذانهم اقراطا وشنوفا مرصعات بانواع الجواهر وحملت الجواري على خمسمائة فرس والغلمان على خمسمائة برذون على كل فرس سرج من ذهب مرصع بالجواهر غواشيها من الديباج الملون وبعثت اليه أيضا خمسمائة لبنة من ذهب وخمسمائة

لبنة

الاخلاص ثم قالت يا سيدي فما علامة المحبة فقال يا شبلي لو قطرت منها قطرة في البحار لصارت سعيرا ولو وضعت منها ذرة على الجبال لصارت هباء منثورا فكيف بقلوب كثرها الغرام قلقا وزفيرا وزادها الهيام حرقا وتحيرا ثم جعل يقول شعرا

كشف الحبيب لمن دعاه ستورا
وسقاه كاسا فاغتدا مخمورا
واعاده حر اللهيب ولم يرد
الا الحبيب فنال منه حبورا
يا فوز من كان الحبيب نديمه
وغدا اليه من الجميع مشيرا
فاذا رأيت محبه في سكره
خلع العذار رأيته معذورا
من ذا يطيق الصبر عن محبوبه
حاشا المحب يكون عنه صبورا

(وحكى عن ذي النون المصري رضي الله تعالى عنه) انه قال مررت يوما في بعض الاسواق فرأيت جنازة محمولة على أربعة رجال وليس معها أحد فقلت والله لامضين مع هؤلاء واكون خامسهم لانال الاجر فمضيت معهم لما أتوا الى الجبانة فقالت لهم ياقوم ابن ولي هذه

لبنة من فضة وتاجا مكللا بالدر والياقوت المرتفع وارسلت اليه ايضا بالمسك والعنبر والعود والانجوج وعمدت الى حقة فجعلت فيها درة ثمينة غير مثقوبة وجزع خرزة مثقوبة معوجة الثقب ودعت رجلا من أشراف قومها يقال له المنذر بن عمرو وضمت اليه رجالا من قومها اصحاب رأى وعقل وكتبت معهم كتابا بنسخة الهدية وقالت فى الكتاب ان كنت نبيا فميز بين الوصائف والوصفاء واخبر بما فى الحقة قبل ان تفتحها وانقب الدرة ثقبا مستويا وادخل خيطا في الخرزة ثم امرت بلقيس الغلمان فقالت لهم اذا كلمكم سليمان فكلموه بكلام فيه تأنيث وتخنيث يشبه كلام النساء وامرت الجوارى ان يكلموه بكلام فيه غلظة يشبه كلام الرجال ثم انها قالت الرسول انظر الى الرجل اذا دخلت عليه فان نظر اليك نظر غضب فاعلم انه ملك فلا يهولنك منظره فانا اعز منه وان رايته رجلا بشاشا لطيفا فاعلم انه نبي مرسل فتفهم كلامه ورد الجواب فانطلق الرسل بالهدايا فلما رأى الهدهد ذلك أقبل مسرعا الى سليمان واخبره بالخبر كله فامر سليمان الجن ان يصنعوا له لبنا من الذهب والفضة ففعلوا ذلك ثم امرهم ان يبسطوا له من موضعه الذى هو فيه الى تسع فراسخ ميدانا واحدا بلبنات الذهب والفضة وان يجعلوا حول الميدان حيطانا مشرفة من الذهب والفضة ففعلوا ذلك فقال لهم اى الدواب احسن مما رأيتم في البر والبحر فقالوا يانبي الله انا رأينا فى بحر كذا دواب مختلفة ألوانها لها اجنحة واعراف ونواص فقال سليمان على بها الساعة فاتوه بها فقال شدوها عن يمين الميدان وعن يساره على لبنات الذهب والفضة والقوا لها علوفة فيها ثم قال للجن على بأولادكم فاجتمع خلق كثير فاقامهم عن يمين الميدان وعن يساره ثم قعد سليمان فى مجلسه على سريره ووضع أربعة آلاف كرسى عن يمينه ومثلها عن يساره وامر الشياطين أن يصطفوا صفوفا فراسخ وامر الانس فاصطفوا فراسخ وأمر الوحوش والسباع والهوام والطيور فاصطفوا فراسخ عن يمينه وعن يساره فلما اقبل القوم ودنوا من الميدان ونظروا الى ملك سليمان ورأوا الدواب التى لم تر أعينهم مثلها تروث على لبن الذهب والفضة تقاصرت اليهم انفسهم ورموا بما معهم من الهدايا (وفي بعض الروايات) أن سليمان عليه السلام لما امر بفرش الميدان بلبنات الذهب والفضة وامرهم ان يتركوا في طريقهم على قدر اللبنات التى معهم فلما رأت الرسل موضع اللبنات خاليا وكل الارض مفروشة خافوا ان يتهموهم بذلك فطرحوا امامهم فى ذلك المكان قال فلما جاءوا الى الميدان ورأوا الشياطين نظروا الى منظر عجيب ففزعوا منهم فقيل لهم جوزوا فلا خوف عليكم قال فكانوا يمرون على كردوس كردوس من الجن والانس والطير والسباع والوحوش حتى وقفوا بين يدى سليمان عليه السلام فنظر اليهم سليمان نظرا حسنا بوجه طلق وقال ماوراءكم فاخبره رئيس القوم بما جاءوا به وأعطوه كتاب الملكة فلما نظر اليه وقرأه قال لهم اين الحقة فاتى بها وحركها فجاءه جبريل عليه السلام فاخبره بما في الحقة فقال ان فيها درة ثمينة بلا ثقب وخرزة مثقوبة معوجة الثقب فقال له الرسول صدقت فانقب الدرة وادخل الخيط فى الخرزة فقال سليمان عليه السلام من لى بثقبها فسأل الانس فلم يكن عندهم علم ذلك ثم سأل الجن فلم يكن عندهم علم ذلك ثم سال الشياطين فقالوا له ارسل الى الارضة فارسل اليها فلما اتت اخذت شعرة فى فيها ومرت في الخرزة حتى خرجت من الجانب الآخر فقال لها سليمان سلى حاجتك قالت أن تصير رزقى فى الشجر قال لك ذلك ثم قال من لهذه الخرزة يسلكها بالخيط فقالت دودة بيضاء انا لها يانبي الله فاخذت الدودة خيطا فى فيها ودخلت الثقب فخرجت من الجانب الآخر فقال لها سليمان ماحاجتك فقالت ان تصير رزقى فى الفواكه قال لها لك ذلك ثم انه ميز بين الجوارى والغلمان بان امرهم ان يغسلوا وجوههم وايديهم فكانت الجارية تاخذ الماء من الآنية باحدى يديها ثم

الجنازة حتى يصلى عليها فقالوا ياشيخ كلنا فى الاجر سواء ليس فينا احد يعرفه قال ذوالنون فتعجبت من ذلك عجبا شديدا ثم تقدمت وصليت عليه وانزلناه فى لحده وواريناه بالتراب فلما هموا بالانصراف قلت لهم ماشأن هذا الميت اخبرونى بحاله فقالوا لانعلم غير ان امرأة اكترتنا لنحمله وهى لاحقة بنا فبينما نحن فى الحديث اذ اقبلت امرأة علينا عليها سيما الخير والصلاح وهى باكية العين حزينة القلب فلما وقفت على القبر كشفت وجهها ونشرت شعرها ورفعت يديها الى السماء وهى تتضرع وتبكى ساعة وتدعو ساعة ثم سقطت الى الارض مغشيا عليها ثم أفاقت بعد ذلك وهى تضحك قال ذو النون فقلت لها اخبرينى بخبر هذا الشاب المتوفى وكيف الضحك بعد البكاء فقالت من انت يرحمك الله فقلت لها ذوالنون فقالت والله لولا انك من اعيان الصالحين ما اخبرتك بخبره ثم قالت يااخى ان هذا الشاب ولدى وقرة عينى وكان تائها بشبابه لابسا ثياب اعجابه لم يترك سيئة الا ارتكبها ولا معصية

تجعله في اليد الاخرى ثم تضرب به الوجه والغلام يأخذه من الاناء بيديه و يضرب به وجهه وكانت الجارية تصب على باطن ساعدها والغلام على ظهر الساعد وكانت الجارية تصب الماء صبا وكان الغلام يحدر الماء على ساعده حدرا فميز بينهم بذلك ثم رد سليمان الهدية كلها وقال أتمدونن بمال فما آتاني الله خير مما آتاكم بل انتم بهديتكم تفرحون لانكم اهل المفاخرة والمكاثرة في الدنيا ولا تعرفون غير ذلك وليست الدنيا من حاجتي لان الله تعالى قد مكنني منها واعطاني مالم يعط احد من العالمين فيها ومع ذلك فالله سبحانه وتعالى أكرمني بالنبوة والحكمة ثم قال للمنذر بن عمرو ارجع اليهم بالهدية فلنأتينهم بجنود لاقبل لهم بها ولنخرجنهم منها اذلة وهم صاغرون ان لم يأتوني مسلمين قالوا فلما رجعت رسل بلقيس اليها من عند سليمان واخبروها قالت والله ما هذا بملك وما لنا به من طاقة فبعثت الى سليمان انى قادمة عليك بملوك قومي حتى انظر ما امرك وما تدعو اليه من دينك ثم ان بلقيس امرت بعرشها فجعل في سبعة ابيات بعضها داخل بعض في آخر قصر من قصورها ثم اغلقت دونه الابواب ووكلت به حراسا يحفظونه ثم انها قالت لمن خلفت على سلطانها احتفظ بما قبلك وسرير ملكي فلا تخلص اليه احدا ولا يراه حتى آتيك ثم انها امرت مناديا ينادي في اهل مملكتها ليؤذنهم بالرحيل ثم شخصت الى سليمان في اثني عشر الف قيل من ملوك اليمن تحت يد كل قيل مائة الف مقاتل قال ابن عباس وكان سليمان عليه السلام رجلا مهيبا لا يبتدأ بشيء حتى يكون هو الذى يسال عنه فخرج يوما فجلس على سرير ملكه فرأى رهجا قريبا منه فقال ما هذا قالوا بلقيس يارسول الله قال اوقد نزلت منا بهذا المكان قالوا نعم قال ابن عباس وكان ما بين الكوفة والحيرة قدر فرسخ فاقبل سليمان على جنوده وقال ايكم يأتيني بعرشها قبل ان يأتوني مسلمين أي طائعين خاضعين واختلف العلماء في السبب الذى لاجله امر سليمان باحضار العرش فقال أكثرهم لان سليمان علم انها اذا أسلمت حرم عليه مالها فاراد ان يأخذ سريرها قبل أن يحرم عليه أخذه باسلامها (وقال قتادة) لانه اعجبه صفته لما وصفه الهدهد فاراد ان يراه قبل ان يراها وقيل ليريها قدرة الله تعالى وعظم سلطانه في معجزة يأتي بها في عرشها قال عفريت من الجن وهو المارد القوى أنا آتيك به قبل ان تقوم من مقامك أى مجلسك الذي تقضى فيه قال ابن عباس كان له غداة كل يوم مجلس يقضي فيه الى نصف النهار * واختلفوا في اسمه فقال وهب انه كودى وقال شعيب انه كوذان وانى عليه لقوى أي قوى على حمله أمين على ما فيه من الجواهر فقال سليمان أريد أسرع من هذا فقال الذى عنده علم من الكتاب الآية واختلفوا فيه فقال بعضهم هو جبريل عليه السلام وقال آخرون ملك من الملائكة أيد الله به نبيه عليه السلام وقال آخرون بل كان رجلا من بني آدم ثم اختلفوا فيه فقال أكثر المفسرين هو آصف بن برخيا بن شمعيا بن ملكيا وكان صديقا يعلم اسم الله الاعظم الذى اذا دعى به اجاب واذا سئل به أعطى (أخبرنا) ابن ميمونة باسناده عن ابن عباس قال ان آصف قال لسليمان حين صلى ودعا الله تعالى مد عينيك حتى ينتهى طرفك قال فمد سليمان عينيه فنظر نحو اليمين فبعث الله الملائكة فحملوا السرير من تحت الارض يخدون الارض خدا حتى انخرقت الارض بالسرير فنبع بين يدى سليمان واختلف العلماء في الدعاء الذى دعا به آصف بن برخيا عند الاتيان بالعرش (فروي) عن عائشة رضي الله عنها وعن ابيها ان الاسم الاعظم الذى دعا به آصف بن برخيا ياحى ياقيوم وروي عن الزهرى قال دعا الذى عنده علم من الكتاب يا الهنا واله كل شيء الها واحدا لا اله الا أنت ائتني بعرشها وقال مجاهد ياذا الجلال والاكرام (حدثنا) ابن ميمونة باسناده عن زيد بن اسلم مولى عمر بن الخطاب رضي الله عنه

سعى اليها وطلبها قد بارز مولاه بالمعاصى والآثام فحصل له ألم عظيم منذ ثلاثة ايام فلما كان في معاناة الموت قال لي يا أماه سألتك بالله الا ما فعلت وصيتي اذا انا مت فلا تعلمي بموتي أحدا فانهم لا يترحمون على لسوء فعلي وكثرة ذنوبي ثم بكى وانشد يقول شعرا

لي ذنوب شغلتني
عن صيامي وصلاتي
تركت جسمي عليلا
مات من قبل وفاتي
ليتني تبت لربي
من جميع السيئات
أنا عبد لالهي
مغضب في الخلوات
بحت جهرا بذنوبي
وعيوني قائلات
قد توالت سيئاتي
وتلاشت حسناتي

قالت ثم بكى بكاء شديدا وقال آه مما فرطت في جنب الله آه على قلبي ما أقساه ثم قال بالله عليك يا أماه اذا أنا مت فضعي خدي على التراب وضعي قدمك على وجهي وقولي هذا جزاء من عصى مولاه وترك أمره واتبع هواه فاذا دفنتيني فقفي على قبري وارفعي يديك الى السماء وقولي اللهم اني رضيت عنه فارض عنه ففعلت ما امرني به وجميع ما اوصاني عليه ياذا النون

قال الذى عنده علم من الكتاب رجل صالح وكان فى جزيرة من جزائر البحر فخرج ذلك اليوم ينظر من مساكن الارض وهل يعبد الله او لايعبد فوجد سليمان فدعا باسم من اسماء الله تعالى فاذا هو بالعرش قد حمل فاتى به سليمان عليه السلام من قبل ان يرتد اليه طرفه * و باسناده عن مجاهد قال حدثنا سهل بن حرب قال زعم ابن ابى بردة ان اسم الذى عنده علم من الكتاب اسطوم وقال قتادة اسمه مليخا وقال محمد بن المنكدر انما هو سليمان آتاه الله علما وفقها قال له عالم من بني اسرائيل انا آتيك به قبل ان يرتد اليك طرفك فقال سليمان هات قال انت النبي ابن النبي وليس احد عند الله أوجه منك فان دعوت الله وطلبت منه كان عندك قال صدقت ففعل ذلك فجيء بالعرش في الوقت فلما رأي سليمان العرش مستقرا عنده محمولا اليه من مأرب الى الشام في قدر ارتداد الطرف وهو مدة يسيرة قال هذا من فضل ربى ليبلونى أأشكر أم أكفر ومن شكر فانما يشكر لنفسه أى لم ينفع بذلك الا نفسه حيث استوجب شكره لتمام النعمة ودوامها لان الشكر قيد النعمة الموجودة وصيد النعمة المفقودة ومن كفر فان ربى غني عن شكره كريم الافضال عمن يكفر نعمته فقال سليمان عليه السلام نكروا لها عرشها أى زيدوا فيه وانقصوا منه واجعلوا أعلاه أسفله وأسفله أعلاه ننظر أتهتدي الى عرشها فتعرفه أم تكون من الجاهلين الذين لايهتدون اليه أراد أن يختبر عقلها وانما حمل سليمان على ذلك ماذكره وهب بن منبه ومحمد بن كعب وغيرهما من اهل العلم ان الشياطين خافت ان يتزوجها سليمان و يستولدها فتفشي اليه اسرار الجن فلا ينفكون من تسخير سليمان وذريته من بعده فارادوا أن يزهدوه فيها فاساؤا الثناء عليها وقالوا له ان في عقلها شيأ وان رجليها كحافر حمار فاراد سليمان أن يختبر عقلها بتنكير عرشها وينظر الى قدميها ببناء الصرح فلما جاءت بلقيس قيل لها اهكذا عرشك قالت كانه هو فشبهته به وكانت قد تركته خلفها في بيت خلف سبعة ابواب مغلقة والمفاتيح معها فلم تقر بذلك ولم تنكر فعلم سليمان كمال عقلها (قال الحسين) بن الفضل شبهوا عليها فشبهت عليهم واجابتهم على حسب سؤالهم ولو قالوا لها هذا عرشك لقالت نعم فقال سليمان وأوتينا العلم بابتلائها ومجيئها طائعة من قبلها أى من قبل مجيئها وكنا مسلمين طائعين خاضعين لله تعالى هذا قول مجاهد وغيره وقال بعضهم هو من قول بلقيس لما رأت عرشها عند سليمان قالت قد عرفت هذا وأوتينا العلم صحة نبوة سليمان عليه السلام بالآيات المتقدمة من قبلها اى من قبل هذه الآية وكنا مسلمين أى منقادين لك مطيعين لامرك من قبل ان جئناك فلما وافت سليمان عليه السلام قيل لها ادخلي الصرح وذلك ان سليمان لما اقبلت بلقيس تريده امر الشياطين فبنوا له صرحا أى قصرا من زجاج كانه الماء بياضا واجروا من تحته الماء والقي فيه السمك ثم وضع سريره فى صدره وجلس عليه وعكفت عليه الطير والجن والانس وانما امر ببناء الصرح لان الشياطين قال بعضهم لبعض قد سخر الله لسليمان ماسخر و بلقيس ملكة سبأ ينكحها فتلد غلاما فلا ننفك من العبودية والسخرة ابدا فارادوا ان يكرهوه فيها فقالوا ان رجلها رجل حمار وانها شعراء الساقين لان امها كانت جنية فاراد سليمان ان يعلم حقيقة ذلك و ينظر قدميها وساقيها فامر ببناء الصرح (وقال وهب ابن منبه) انما بنى الصرح ليختبر عقلها وفهمها يعاييها بذلك كما فعلت بتوجيهها اليه الوصائف والوصفاء ليميز بين الذكر والانثى فلما جاءت بلقيس قيل لها ادخلى الصرح فلما رأته حسبته لجة وهي معظم الماء فكشفت عن ساقيها لتخوضه الى سليمان فنظر سليمان عليه السلام فاذا هي احسن الناس ساقا وقدما الا انها كانت شعراء الساقين فلما رأى سليمان ذلك صرف بصره عنها وناداها انه صرح ممرد من قوارير وليس بماء فلما جلست قالت له ياسليمان انى

ولما رفعت طرفي الى السماء سمعت صوتا بلسان فصيح وهو يقول انصرف ياأماه قد قدمت على كريم فوجدته راضيا عني غير غضبان فلما سمعت ذلك ضحكت واستبشرت وهذا حديثي ياأخى فانظر الى كرم الله تعالى ولطفه بعباده المذنبين والله تعالى أعلم (وحكى عن مالك بن دينار رضي الله تعالى عنه) أنه قال رأيت بالبصرة قوما يحملون جنازة وليس معهم احد يشيع الجنازة فسألت عن ذلك فقيل هذا رجل كان من كبار المذنبين والعصاة المسرفين قال مالك فسرت معهم حتى صلينا عليه وانزلناه فى لحده وانصرف عنه من كان معه ثم ملت الى ظل عند قبره فنمت فرأيت ملكين قد نزلا من السماء فشقا قبره ونزل احدهما اليه وقال لصاحبه اكتبه من اهل النار فما فيه جارحة سلمت من المعاصى والاوزار فقال له صاحبه ياأخى لاتعجل عليه واختبر عينيه فقال قد اختبرتهما فوجدتهما مملوءتين بالنظر الى محارم الله تعالى قال فاختبر سمعه قال اختبرته فوجدته مملوأ بسماع الفواحش والمنكرات قال فاختبر

اريد أن أسألك عن شيء قال سلي قالت أسألك عن ماء ليس من الارض ولا من السماء وكان سليمان اذا جاءه شيء لا يعلمه سأل عنه الانس فان كان عندهم علم ذلك والا سأل الجن فان علموا والا سأل الشياطين فسأل الشياطين عن ذلك فقالوا ما اهون ذلك أؤمر بالخيل ان تجرى ثم املأ الآنية من عرقها فقال لها سليمان عرق الخيل فقالت صدقت ثم قالت اخبرني عن كون ربك فوثب سليمان عن سريره وخر ساجدا وصعق فقامت وتفرقت جنوده فجاءه جبريل عليه السلام وقال له يا سليمان يقول لك ربك ماشأنك قال يا جبريل ربي اعلم بما قالت قال فان الله يأمرك ان تعود الى سريرك فترسل اليها والى من حضرها من جنودك وجنودها فتسألها وتسألهم عما سألتك عنه ففعل ذلك سليمان فلما دخلوا عليه واستقروا قال لها عماذا سألتيني قالت عن ماء ليس من أرض ولا من سماء فاجبت قال وعن أي شيء سألتيني أيضا قالت ما سألتك عن شيء الا هذا فسأل الجنود فقالوا مثل قولها وانساهم الله تعالى ذلك وكفى الله سليمان الجواب ثم ان سليمان دعاها الى الاسلام وكانت قد رأت حال الهدهد والهدية والرسل والعرش والصرح فاجابت وقالت رب انى ظلمت نفسي بالكفر واسلمت مع سليمان لله رب العالمين (واختلف العلماء) في امرها بعد الاسلام فقال اكثرهم لما اسلمت بلقيس أراد سليمان ان يتزوجها فلما هم بذلك كره لما رأى من شدة كثرة شعر ساقها وقال ما اقبح هذا فسأل الانس عما يذهب ذلك فقالوا الموسي فقالت المرأة ما مسني حديد قط فكره سليمان الموسي وقال انها تقطع ساقها فسأل الجن فقالوا لا ندري ثم سأل الشياطين فتنكروا عليه وقالوا لا ندرى فلما الح عليهم قالوا نحن نحتال لك عليه حتي يكون كالفضة البيضاء فاتخذوا لها النورة والحمام (قال ابن عباس) انه أول يوم رؤيت فيه النورة فاستنكحها سليمان عليه السلام (اخبرنى) ابن ميمونة بسنده عن أبي موسي يبلغ به النبي صلى الله عليه وسلم قال أول من اتخذ الحمامات سليمان عليه السلام فلما التصق ظهره بالجدار قال أواه من عذاب الله تعالى قالوا فلما تزوجها سليمان أحبها حبا شديدا واقرها على ملكها وأمر الجن فبنوا لها بارض اليمن ثلاثة حصون لم ير الناس مثلها ارتفاعا وحسنا وهي سلحين وغمدان وبنيون ثم ان سليمان كان يزورها في كل شهر مرة بعد ان ردها الى ملكها ويقيم عندها ثلاثة ايام ثم يبكر من الشام الى اليمن ومن اليمن الى الشام (وروى) محمد بن اسحق عن بعض أهل العلم عن وهب بن منبه قال سليمان لبلقيس لما أسلمت وفرغ من أمرها اختارى رجلا من قومك حتى أزوجك اياه قالت ومثلى ينكح الرجال يا نبي الله وقد كان لي في ملكى وقومى من السلطان ما كان قال نعم انه لا يكون في الاسلام الا ذاك ولا ينبغى لك ان تحرمى ما أحل الله لك قالت زوجنى ان كان ولا بد من تبع الاكبر ملك همدان فزوجه اياها ثم ردها الى اليمن وسلط زوجها ذا تبع على اليمن ودعا سليمان زوبعة أمير جن اليمن فقال له اعمل لذى تبع ما استعملك فيه قال فصنع لذى تبع المصانع باليمن ثم لم يزل بها ملكا يعمل فيها ما أراد حتى مات سليمان عليه السلام قال فلما حال الحول و بلغ الجن موت سليمان أقبل رجل منهم فسلك تهامة حتى اذا كان في جوف اليمن صرخ بأعلى صوته يا معشر الجن ان سليمان نبي الله قد مات فارفعوا أيديكم قال فعمدت الشياطين الى حجرين عظيمين فكتبوا فيهما كتابا بالمسند يعني خط الحميرية نحن بنينا سلحين وانيين وبنينا صرواح ومرواح وفنقون وهندة وهنيدة ودلوم وهذه الحصون كانت باليمن عملتها الشياطين لذي تبع ولولا صارخ بتهامة لما رفعوا أيديهم فانطلقوا وتفرقوا وانقضى ملك ذي تبع وملك بلقيس مع ملك سليمان عليه السلام والله اعلم

لسانه فقال اختبرته فوجدته مملوأ بالخوض وارتكاب المحرمات قال فاختبر يديه فقال اختبرتهما فوجدتهما مملوأتين بتناول الحرام وما لا يحل من اللذات والشهوات قال فاختبر رجليه فقال اختبرتهما فوجدتهما في سعى النجاسات والامور المذمومات فقال الآخر أخي لا تعجل عليه ودعني انزل اليه فنزل الملك الثاني اليه ومكث عنده ساعة وقال يا اخى قد اختبرت قلبه فوجدته مملوأ بالايمان فاكتبه سعيدا مرحوما ففضل الله عظيم ورحمته وسعت كل شيء قال مالك فانتبهت من منامى متعجبا مما رأيت فسمعت قائلا يقول هذا الكلام

لما رأوه مبعدا عن طاعتى
حكموا بانى لا جود برحمتى
حلمى أجل ولن يضيق على الورى
من ذا يحد اوامرى ومشيئتى

قال مالك رحمه الله ما حصلت هذه السعادة لهذا الرجل الا بعناية سابقة وما تحصل هذه لكل عاص فلا يغتر الانسان بهذه فالعاصون كلهم في خطر المشيئة بل الطائعون لا يدرون بماذا

﴿ باب في ذكر غزوة سليمان عليه السلام أبا زوجته الجرادة وخبر الشيطان الذي أخذ خاتمه من يده وسبب زوال ملكه ﴾

قال الله تعالى والقينا على كرسيه جسدا ثم اناب وروي محمد بن اسحق عن بعض العلماء ان سليمان أخبران في جزيرة من جزائر البحر رجلا يقال له صيدون ملك عظيم الشأن لم يكن للناس اليه سبيل لمكانه في البحر وكان الله قد آتى سليمان في ملكه سلطانا لا يمتنع عليه شيء في بر ولا بحر فخرج الى تلك المدينة فحملته الريح على ظهرها حتي نزل عليها بجنوده من الجن والانس فقتل ملكها وسبي ما فيها فاصاب فيما أصاب بنتا لذلك الملك يقال لها جرادة لم ير مثلها حسنا وجمالا فاصطفاها لنفسه ودعاها الى الاسلام فاسلمت على يده في الظاهر على خفية منه وقلة ثقة فاحبها حبا شديدا لم يحبه أحدا من نسائه وكانت منزلتها عنده منزلة عظيمة وكانت على منزلتها عنده لا يذهب حزنها ولم يرقأ دمعها فشق ذلك على سليمان فقال لها ويحك ما هذا الحزن الذي لا يذهب والدمع الذي لا يرقأ فقالت اني اذكر أبي وأذكر ملكه وسلطانه وما كان فيه فيحزنني ذلك فقال لها سليمان قد ابدلك الله ملكا هو اعظم من ملكه وسلطانا هو أعظم من سلطانه وهداك الله الى الاسلام وهو خير لك من ذلك كله قالت ان ذلك كذلك ولكني اذا ذكرته أصابني ما ترى من الحزن فلو انك امرت الشياطين يصورون لي صورته في داري التي انا فيها أراه بكرة وعشية لرجوت ان يذهب ذلك حزني ويسليني عن بعض ما أجد في نفسي فامر سليمان الشياطين ان يمثلوا لها صورة أبيها في دارها حتى تنكروا منه شيئا فمثلوه لها حتى نظرت الى أبيها بعينه الا انه لا روح فيه فعمدت اليه حين صنعوه فأزرته وقمصته وعممته وردته بمثل ثيابه التي كان يلبسها ثم انها كانت اذا خرج سليمان من دارها تغدوا اليه في ولائدها فتسجد له ويسجدون له معها كما كانت تصنع معه في ملكه وتروح اليه كل عشية تفعل معه مثل ذلك وسليمان لا يعلم بشيء من ذلك أربعين صباحا فبلغ ذلك آصف بن برخيا وكان صديقا وكان لا يرد عن باب سليمان أى ساعة أراد دخول بيته دخل حاضرا أم غائبا فاتاه فقال يا نبي الله كبر سني ودق عظمي ونفد عمري وقد حان الذهاب مني وقد أحببت أن أقوم مقاما قبل الموت أذكر فيه من مضي من أنبياء الله تعالى وأثني عليهم بعلمي فيهم وأعلم الناس بعض ما يجهلون من كثير من أمورهم فقال افعل فجمع له سليمان الناس فقام فيهم خطيبا فذكر من مضي من أنبياء الله تعالى وأثني على كل نبي بما فيه وذكر ما فضلهم الله به حتي انتهى الى سليمان فقال له ما كان أحكمك في صغرك وأورعك في صغرك وأفضلك في صغرك وأحكم أمرك في صغرك وأبعدك من كل ما يكره في صغرك ثم انصرف فوجد سليمان في نفسه من ذلك حتى امتلأ غيظا فلما دخل سليمان داره أرسل اليه فلما أتاه قال له يا آصف ذكرت من مضي من أنبياء الله تعالى فأثنيت عليهم خيرا في كل أزمانهم وعلى كل حال من أمورهم فلما ذكرتني أثنيت على بخير في صغري وسكت عما سوى ذلك من أمري في كبري فما الذى أحدثت في آخر عمري فقال له أن غير الله يعبد في دارك أربعين صباحا في هوى امرأة فقال سليمان في داري قال نعم في دارك فقال انا لله وانا اليه راجعون لقد علمت أنك ما قلت الا عن شيء بلغك ثم ان سليمان رجع الى داره فكسر ذلك الصنم وعاقب تلك المرأة وولائدها ثم انه أمر بثياب الطهر فأتى بها وهي ثياب لا يغزلها الا الابكار ولا تمسها امرأة ذات دم فلبسها ثم خرج الى فلاة من الارض وحده وأمر برماد ففرش ثم أقبل تائبا الى الله تعالى حتي جلس على ذلك الرماد وتمعك فيه بثيابه تذللا لله تعالى وتضرعا اليه يبكى ويدعو ويستغفر مما كان في داره ويقول فيما يقول رب ما كان ينبغي لآل داود ان يعبدوا غيرك وان يقروا في دورهم وأهاليهم عبادة غيرك فلم يزل كذا يومه حتى أمسى

يختم لهم فنسأل الله تعالى حسن الخاتمة والعفو والمغفرة بمعونته ورحمته وعفوه وفضله وكرمه واحسانه وجوده ومنه آمين (وحكى عن دينار رضي الله تعالى عنه) انه قال سألني بعض اصحابي عن سبب توبتي فقلت له كنت منهمكا على شرب الخمر فاشتريت جارية جميلة فاستولدتها فولدت لى بنتا نفيسة ذات حسن وجمال فاحببتها وشغفت بها فلما كبرت وترعرعت ألفتني وألفتها فكنت اذا وضعت آنية السكر تجاذبني عليه وتهريقه على الارض فلما بلغ عمرها سنتين ماتت فاكمدني الحزن عليها فلما كان ليلة النصف من شهر شعبان وكانت ليلة جمعة بت مملوأ بالخمر فلما نمت رايت كان اهل القبور قد قاموا من قبورهم وحشروا الى الله عز وجل وكأني قد حشرت معهم فبينما انا كذلك اذ سمعت صوتا من خلفي فالتفت نحوه فاذا بثعبان كانه نخلة سحوق قد لحقني وفتح فاه ليلقمني ففررت منه مسرعا فزعا مرعوبا واذا بشيخ نقي الثياب عليه رائحة طيبة وهو جالس في طريقي فسلمت عليه فرد على

ثم رجع الى داره وكانت له وليدة يقال لها امينة كان اذا دخل مذهبه أو أراد قضاء حاجة أو أراد اصابة امرأة من نسائه وضع خاتمه عندها حتى يتطهر وكان لا يمس خاتمه الا وهو متطهر لان خاتمه كان من ياقوتة خضراء أتاه بها جبريل عليه السلام مكتوب عليه لا اله الا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان ملكه في خاتمه فوضعه يوما من الايام عندها كما كان يضعه عند دخول مذهبه فاتاها الشيطان صاحب البحر على صورة سليمان وكان اسمه صخرا فظنته سليمان لانها لم تنكر منه شيأ فقال يا أمينة خاتمي فناولته اياه فجعله في يده ثم خرج حتى جلس على سرير سليمان فعكفت عليه الطير والجن والانس والشياطين فخرج سليمان فاتى لى أمينة وقد تغير من حاله ونفسه ما كان معهودا منه عند كل من رآه فقال يا أمينة خاتمي فقالت ومن أنت قال سليمان بن داود فقالت كذبت لست سليمان فقد جاء سليمان وأخذ خاتمه وهاهو جالس على سرير ملكه فعرف أن الخطيئة قد أدركته فخرج سليمان وجعل يقف على الدار من دور بني اسرائيل فيقول أنا سليمان بن داود فيحثون عليه التراب ويسبونه ويقولون انظروا الى هذا المجنون وأي شيء يزعم يقول انه سليمان فلما رأى سليمان ذلك خرج متوجها الى البحر فكان ينقل الحيتان لاصحاب البحر من البحر الى السوق فيعطونه كل يوم سمكتين فاذا أمسى باع احدى السمكتين بأرغفة وشوى الاخرى فيأكلها فمكث كذلك أربعين صباحا عدة ما كان ذلك الوثن يعبد في داره فانكر آصف بن برخيا وعلماء بني اسرائيل حكم عدو الله الشيطان في تلك الاربعين يوما فقال آصف يا معشر بني اسرائيل هل رأيتم من اختلاف حكم سليمان ما رأيت قالوا نعم فقال امهلوني حتى ادخل على نسائه فأسألهن هل أنكرن منه في خاصة أمره ما أنكرناه من عامة أمر الناس وعلانيته فدخل على نسائه فقال لهن ويحكن هل أنكرتن من أمر سليمان بن داود ما انكرنا فقلنا أشد ما يدع امرأة منا في دمها ولا يغتسل من جنابة فقال آصف انا لله وانا اليه راجعون ان هذا لهو البلاء المبين ثم انه خرج الى بني اسرائيل فقال ما في الخاصة أعظم مما في العامة فلما مضت أربعون صباحا طار الشيطان عن مجلسه ثم مر في البحر فقذف الخاتم فيه فابتلعته سمكة فاصطادها بعض الصيادين وقد عمل له سليمان صدر يومه ذلك حتى اذا كان العشاء أعطاه السمكتين وكان من جملتهما السمكة التي ابتلعت الخاتم فحمل سليمان سمكتيه فباع التي ليس في بطنها الخاتم بالارغفة ثم عمد الى السمكة الاخرى فشقها ليشويها فوجد خاتمه في جوفها فأخذه فجعله في يده ووقع ساجدا فعكفت عليه الطير والجن والانس والشياطين وأقبل على الناس وعلم ان الذي دخل عليه لما أحدث في داره من عبادة الوثن فرجع الى ملكه وأظهر التوبة من ذنبه ثم أمر الشياطين وقال ائتوني بصخر المارد فطلبته الشياطين حتى أتت به فنحت له صخرة فادخله فيها ثم سد عليه باخرى ثم أوثقها بالحديد والرصاص ثم أمر به فقذف في البحر فهذا حديث وهب بن منبه ﴿وقال السدي﴾ في سبب ذلك كان لسليمان مائة امرأة وكانت امرأة منهن يقال لها جرادة وهي آثر نسائه وآمنهن عنده وكان اذا أراد أن يأتي حاجته أو دخل مذهبه نزع الخاتم ولم يأتمن عليه أحدا من الناس غيرها فجاءته يوما من الايام وقالت له ان أخي بينه وبين فلان خصومة وأنا أحب أن تقضي له اذا جاءك فقال نعم ولم يفعل فابتلي بقوله فاعطاها خاتمه ودخل المخدع فخرج الشيطان في صورته فقال لها هات الخاتم فاعطته فجاء حتى جلس على مجلس سليمان وخرج سليمان بعده فسألها ان تعطيه خاتمه فقالت له ألم تأخذه قال لا فخرج من مكانه تائها ومكث الشيطان يحكم بين الناس أربعين يوما فانكر الناس حكمه واجتمع قراء بني اسرائيل وعلماؤهم فجاؤا حتى دخلوا على نسائه فذكروا لهن

ماانكروا

السلام فقلت له اجرني واغثني من هذا الثعبان فقال الشيخ اني ضعيف وهذا اقوى مني ولكن اسرع في الهرب فلعل الله تعالى يسخر لك من ينجيك منه ففررت هاربا حتى صعدت على شرف من شرائف القيامة واشرفت على طبقات النيران والثعبان في طلبي فكدت ان اسقط في النار من فزعي منه فصاح صائح من النار ياعزيز ارجع لست من اهلها فاطمأن قلبي لذلك ورجعت الى الشيخ فقلت له ياشيخ استغثت بك واستجرت فيك فأبيت أن تجيرني من هذا الثعبان فلم تجيرني قال فبكى وقال يامالك ما بلغك اني ضعيف سر الى هذا الجبل فان فيه ودائع المسلمين عسى ان يكون لك فيها وديعة تنصرك وتجيرك من عدوك وهو اقوى مني قال مالك فسرت الى الجبل فاذا هو جبل عظيم وفيه كوات مخرمة وستور معلقة على كل كوة ستر من الذهب الاحمر مرصع باليواقيت والدر واللؤلؤ والجوهر واذا بملك ينادي ارفعوا الستور واشرفوا كلكم فلعل ان يكون لهذا البائس فيكم وديعة تجيره من عدوه قال مالك فرفعت

ما أنكروا فقلن ونحن قد أنكرنا هذا فان كان سليمان قد ذهب عقله وأساء أحكامه فليس لنا صبر على ذلك وبكى النساء عند ذلك قال فاقبلوا يمشون حتى أتوه وأحدقوا به وأخذوا مجالسهم ثم انهم نشروا التوراة فقرؤها فلما قرؤا التوراة طار من بين أيديهم حتى ذهب الى البحر فوقع الخاتم منه فى البحر فابتلعه الحوت قال وأقبل سليمان على حالته التى كان فيها حتى انتهى الى صياد من الصيادين وهو جائع وقد اشتد جوعه فاستطعمهم من صيدهم وقال انى سليمان بن داود فقام اليه بعضهم فضربه بعصاه فشجه فسال دمه وهو على شاطىء البحر فلام الصيادون صاحبهم الذي ضربه وقالوا له بئسما صنعت حيث ضربته فقال انه زعم أنه سليمان بن داود فاعطوه سمكتين مما ضرب عندهم فلم يشغله ما كان فيه من ألم الضرب حتى قام الى شاطىء البحر فشق بطنهما وجعل يغسلهما فوجد خاتمه فى بطن احداهما فاخذه ولبسه فرد الله عليه ملكه وبهاءه وجاءت الطير حتى حامت عليه فعرفه القوم فجاؤا يعتذرون اليه مما صنعوا فقال ما أؤاخذكم على عدوانكم ولا ألومكم على ما كان منكم هذا ما كان لابد منه ثم جاء حتى أتى ملكه وأمر أن يأتوا بالشيطان الذى أخذ خاتمه فاتى به فجعله فى صندوق من حديد ثم أطبقه وأقفل عليه بقفل وختمه بخاتمه ثم أمر به فالقى فى البحر وهو فيه كذلك الى الساعة (وفي بعض الروايات) أن سليمان عليه السلام لما افتتن سقط الخاتم من يده وكان فيه ملكه فاخذه سليمان وأعاده عليه فسقط من يده فلما رآه سليمان لا يثبت في يده أيقن بالفتنة فقال آصف لسليمان انك مفتون بذنبك والخاتم لا يتماسك أربعة عشر يوما ففر الى الله تائبا من ذنبك وأنا أقوم مقامك وأسير فى عملك واهل بيوتك بسيرك الى ان يتوب الله عليك ويردك الى ملكك ففر سليمان هاربا الى ربه واخذ آصف الخاتم فوضعه في يده فثبت وان الجسد الذى قال الله تعالى والقينا على كرسيه جسدا ثم اناب هو آصف كاتب سليمان وكان عنده علم من الكتاب فأقام آصف في ملك سليمان وعالمه يسير بسيرته ويعمل بعمله اربعة عشر يوما الي أن رجع سليمان الى منزله تائبا الي الله تعالى ورد الله عليه ملكه فأقام آصف من مجلسه وجلس سليمان على كرسيه وأعاد الخاتم فى يده فثبت (وقيل) سبب ذلك ما أخبرنا شعيب بن محمد العجلى باسناده عن سعيد بن المسيب أن سليمان بن داود احتجب عن الناس ثلاثة أيام فأوحى الله اليه أن ياسليمان احتجبت عن عبادي ثلاثة أيام فلم تنظر في أمورهم ولم تنصف مظلوما من ظالم وذكر حديث الخاتم وأخذ الشيطان اياه كما رويناه وقال فى آخره قال على كرم الله وجهه ذكرت ذلك للحسن فقال ما كان الله تعالى ليسلط على نسائه ونعوذ بالله أن يسلط الشيطان على نساء أنبيائه بالمباشرة وكيف يعتقد ذلك أحد وقد نزه الله تعالى انبياءه عن مثل هذا القبيح وهذا القول اصح الاقوال واليق بانبياء الله تعالى واقرب الى التقوى (وقال) بعض المفسرين كان سبب فتنة سليمان انه امر ان لا يتزوج امرأة الا من بني اسرائيل فتزوج امرأة من غيرهم فعوقب على ذلك (وقيل) ان سليمان عليه السلام لما اصاب بنت الملك صيدون اعجب بها وعرض عليها الاسلام فامتنعت فخوفها سليمان فقالت له اذا كرهتني على الاسلام اقتلت نفسي فخاف سليمان ان تقتل نفسها فتزوجها مشركة فكانت تعبد صنما لها من ياقوتة اربعين صباحا فى خفية من سليمان الى ان اسلمت فعوقب سليمان بزوال ملكه اربعين يوما (وقال الشعبي) فى سبب زوال ذلك ولد لسليمان ابن فاجتمعت الشياطين فقال بعضهم لبعض ان عاش له ولد لم ننفك مما نحن فيه من البلاء والسخرة فسبيلنا ان نقتل ولده او نخبله فعلم سليمان ذلك فامر السحاب ان تأخذ ابنه وامر الريح فحملته وغدا ابنه فى السحاب فارا من مضرة الشياطين فعاتبه الله لتخوفه من الشياطين ومات الولد فلقي على كرسيه وهو الجسد الذى قصه الله علينا بقوله والقينا على كرسيه

الستور واشرفت اطفال على بوجوه كالاقمار فصاح بعضهم على بعض أشرفوا كلكم فقد قرب منه الثعبان وهو متحير فى امره قال مالك فاشرفوا كلهم على فنظرت فاذا ابنتي فيهم فلما رأتني بكت وقالت هذا ابى والله ثم اشارت بيدها الي الثعبان فولى هاربا ومدت يدها الى فتعلقت بها فجذبتني وادخلتني مكانا هي فيه يكل عنه الوصف فحمدت الله تعالى على ذلك فقرات ابنتي قوله تعالى الم يأن للذين آمنوا ان تخشع قلوبهم لذكر الله قال مالك فبكيت عند ذلك وقلت لها انتم تعرفون القرآن فقالت نعم فقلت لها اخبرني عن هذا الثعبان الذى اراد ان يهلكني فقالت ياولدى هذا عملك السوء قويته على نفسك حتى كاد ان يلقيك في النار ولولا انك لم تكن من اهلها لوقعت فيها فقلت لها ومن هذا الشيخ الضعيف الذى استغثت به فلم يغثني فقالت هذا عملك الصالح اضعفته حتى لم يكن له قدرة على ان يدفع عنك شيأ فقلت لها وما تصنعون ههنا فقالت نحن مقيمون ههنا حتى تقوم الساعة ننتظر قدومكم علينا فنشفع لكم قال مالك فانتبهت من منامى فلما

جسدا ثم اناب والله تعالى اعلم

(باب في ذكر وفاة سليمان عليه السلام)

قال الله تعالى فلما قضينا عليه الموت الآية قال اهل التاريخ لبث سليمان في ملكه بعد ان رده الله تعالى عليه تعمل له الجن والشياطين مايشاء من محاريب وتماثيل وجفان كالجواب وقدور راسيات وغير ذلك و يعذب من الشياطين من يشاء يطلق من يشاء و يأمرهم بحمل الحجارة الثقيلة و نقلها الي حيث احب قال فتزيا لهم ابليس وهم دائبون في العمل فقال كيف انتم قالوا مالنا طاقة لما نحن فيه فقال ابليس تذهبون تحملون الحجارة وترجعون فراغا لا تحملون شيأ قالوا نعم قال فانتم في راحة قال فابلغت الريح ذلك سليمان فامرهم ان يحملوا ذاهبين وراجعين فجاءهم ابليس فقال كيف انتم فشكوا اليه واخبروه انهم يحملون ذاهبين وراجعين فقال لهم ابليس اتنامون بالليل قالوا نعم قال فانتم في راحة قال فابلغت الريح ذلك سليمان فامرهم ان يعملوا بالليل والنهار فتزيا لهم ابليس فشكوا اليه انهم يعملون بالليل والنهار وانهم دائبون في العمل فقال كيف انتم قالوا لا طاقة لنا فيما نحن فيه فقال لهم ابليس وما يشاء فله ة نوا نعم قال فتوقعوا الفرج وقد بلغ الامر منتهاه فلم يلبثوا الا قليلا وقد مات سليمان عليه السلام (قال) ابن عباس وغيره كان سليمان عليه السلام يحتجب في بيت المقدس السنة والسنتين والشهر والشهرين واقل من ذلك واكثر يدخل فيه بطعامه وشرابه فدخله في المرة التي مات فيها وكان بدء امره في ذلك انه لم يكن يوما يصبح فيه الا نبتت له ببيت المقدس شجرة فيسألها سليمان ما اسمك فتقول الشجرة اسمي كذا وكذا فيقول لاي شيء انت فتقول لكذا وكذا فيأمر بها فتقطع فان كانت تنبت لغرس كتب عليها غرسها في مكان كذا وكذا وان كانت لدواء كتب عليها لكذا وكذا فبينما هو يصلي يوما اذ رأى شجرة نابتة بين يديه فقال لها ما اسمك قالت الخرنوبا قال ولاي شيء نبتك قالت لخراب هذا المسجد فقال سليمان بن داود ما كان الله تعالى ليخربه وأنا حي أنت التي على وجهك هلاكي وخراب بيت المقدس فنزعها وغرسها في حائط له ثم قال اللهم غم على الجن موتي حتى تعلم الانس أن الجن لا يعلمون الغيب وكانت الجن تخبر الانس انهم يعلمون من الغيب أشياء وانهم يعلمون ما يكون في غد ثم ان سليمان دخل المحراب فقام يصلي متكئا على عصاه فمات ثم بقي على تلك الحالة ولم يعلم بذلك من الشياطين أحد وهم مع ذلك يعملون و يخافون أن يخرج فيعاقبهم (وقال) عبد الرحمن بن زيد قال سليمان لملك الموت اذا أمرت بي فاعلمني قال فاتاه فقال يا سليمان قد امرت بك وقد بقي لك سويعة فدعا الشياطين فبنوا الاصرحا من قوارير ليس له باب فقام يصلي واتكأ على عصاه فدخل عليه ملك الموت فقبض روحه وهو متكئ على عصاه (وفي رواية أخرى) ان سليمان عليه السلام قال ذات يوم لاصحابه ان الله تعالى آتاني من الملك ما ترون وما مر علي يوم في ملكي صاف من الكدر وقد احببت ان يكون لي يوم واحد يصفو لي الي الليل ولا اغتم فيه ولكن ذلك اليوم غدا فلما كان من الغد دخل قصرا له وأمر باغلاق ابوابه ومنع الناس من الدخول عليه ومنع من رفع الاخبار اليه لئلا يسمع شيا يسوؤه ثم أخذ العصا بيده و وضعها فوق خصره واتكأ عليها ينظر الى ممالكه اذ نظر شابا حسن الوجه عليه ثياب بيض قد خرج عليه من جانب القصر فقال له السلام عليك يا سليمان فقال وعليك السلام فكيف دخلت على هذا القصر بغير اذني وقد منعت من دخوله أما منعك البواب والحجاب أما هبتني حين دخلت قصري بغير اذني فقال أنا الذي لا يحجبني حاجب ولا يدفعني البواب ولا أخاف الملوك ولا أقبل منهم الرشا وما كنت لادخل هذا القصر بغير اذن فقال له سليمان

اصبحت كسرت اواني الخمر وتبت الى الله تعالى فكان هذا سبب توبتي والحمد لله على ذلك والله اعلم (وحكى عن بعضهم رضي الله سبحانه وتعالى عنه) انه قال بينما انا في الطواف وكانت ليلة مظلمة اذ سمعت صوت حنين ينطق بحال حزين وهو يقول يا كريم لطفك القديم فان قلبي على العهد مقيم قال فتطاير قلبي لسماع ذلك حتى اشرفت على الموت فقصدت نحوه فاذا هي امرأة فقلت السلام عليك يا أمة الله فقالت وعليك السلام يا عبد الله فقلت لها اسألك بالله العظيم ما العهد القديم الذي قلبك عليه مقيم فقالت يا هذا لولا انك اقسمت علي بالجبار ما اطلعتك على الاسرار انظر الي هذا الصبي الذي بين يدي فنظرت فاذا بصبي يغط في نومه ووجهه كالقمر فقالت خرجت من بلدي وانا حاملة به لاحج هذا البيت فركبت البحر في سفينة وسرنا فبينما نحن كذلك اذ خرجت علينا ريح فكسرت المركب وغرق ركابها فنجوت على لوح فبينما أنا على تلك الحالة اذ اخذني الطلق فوضعت هذا الصبي

فمن اذن لك في دخوله فقال له ربي قال فارتعد سليمان وعلم انه ملك الموت فقال له انت ملك الموت قال نعم قال فيم جئت قال لاقبض روحك قال ياملك الموت هذا يوم اردت ان يصفو لي ولا اسمع فيه مايغمني فقال ياسليمان انك اردت يوما يصفو لك فيه عيشك حتى لا يغمك فيه شيء وذلك يوم لم يخلق في الدنيا فارض بقضاء ربك فانه لامرد له قال فاقبض كما امرت فقبض ملك الموت روحه وهو متكئ على عصاه قالوا وكانت الشياطين تجتمع حوله وحول محرابه ومصلاه اينما كان وكان للمحراب بابان باب بين يديه وباب خلفه فقال بعض الشياطين لصاحبه ان كنت جليدا فادخل من الباب الذي بين يديه واخرج من الباب الذي خلفه فدخل ذلك البعض ولم يكن شيطان ينظر الى سليمان في المحراب الا احترق فمر ذلك الشيطان فلم يسمع صوته ثم رجع فلم يسمع فوقف بالبيت فلم يحترق فنظر الى سليمان وقد سقط ميتا فخرج فاخبر الناس ان سليمان قد مات ففتحوا عليه فاخرجوه ووجدوا منساته وهي العصا بلغة الحبشة قد أكلتها الارضة فلم يعلموا منذ كم مات فوضعوا الارضة على العصا فاكلت منها يوما وليلة ثم حسبوا على ذلك النحو فوجدوه قد مات منذ سنة وكانوا يعملون بين يديه وينظرون اليه ويحسبون انه حي ولا ينكرون احتباسه عن الخروج الى الناس لطول صلاته قبل ذلك (وفي رواية ابن مسعود) فمكثوا يدابون له بعد موته حولا كاملا فايقن الناس ان الجن كانوا يكذبون في ادعائهم علم الغيب فلو انهم علموا الغيب لعلموا موت سليمان ولم يلبثوا في العناء والعذاب سنة يعملون له ثم ان الشياطين قالوا للارضة لو كنت تاكلين الطعام لاتيناك باطيب الطعام ولو كنت تشربين الماء لسقيناك اعذب الشراب ولكنا ننقل اليك الماء والطين شكرا لك فالذي يكون في جوف الخشب فهو مما تاتيها به الشياطين والشياطين تسكن اليها فذلك قوله تعالى فلما قضينا عليه الموت مادلهم على موته الادابة الارض تاكل منساته الآية (قال اهل التاريخ) كان عمر سليمان عليه السلام ثلاثا وخمسين سنة ومدة ملكه منها اربعون سنة وذلك انه ملك وهو ابن ثلاث عشرة سنة وابتدأ في بناء بيت المقدس لاربع سنين مضين من ملكه * ثم ملك من بعد سليمان ابن له يقال له رحبعم وكان قد استخلفه فنبأه الله وكان نبيا ولم يكن رسولا ثم قبض وكان ملكه سبع عشرة سنة * ثم ملكهم بعده ابنه آفيا بن رحبعم وكان ملكه ثلاثا وستين سنة * ثم ملك بعده ابنه أسا بن آفيا وكان رجلا صالحا وكان أعرج مترية عرق النسا فطمع فيه الملوك لضعفه وافترقت ملوك بني اسرائيل فغزاهم ملك من ملوك الهند يقال له روح الهند في جمع كثير وقبيلة كبيرة فبعث الله عليهم الملائكة فهزمتهم فقصدوا البحر حتى اذا ركبوا جميعا بعث الله عليهم الرياح والامواج فضربت سفنهم بعضها في بعض فتكسرت وغرق روح الهند ومن كان معه واضطربت الامواج حتى القت اثقالهم وأموالهم وسلبهم الى محلة بني اسرائيل ونودوا أن خذوا ماغنمكم الله تعالى وكونوا له من الشاكرين ثم لم تزل تغزوهم الملوك ملك بعد ملك من ملوك العراق وغيرهم فيهلكهم الله تعالى الى ان ظهر فيهم الظلم والفساد وفشت فيهم المعاصي وعبد بعض ملوك بني اسرائيل الاصنام من دون الله تعالى فغضب الله عليهم بكفرهم ومعصيتهم وسلط عليهم بختنصر

(مجلس في قصة بختنصر ومايتصل به وخبر شعياء وارمياء ودنيال وعزير عليهم وعلى جميع الانبياء الصلاة والسلام)

قال الله تعالى وقضينا الى بني اسرائيل في الكتاب الى قوله عز وجل وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا

(قصة شعياء عليه السلام)

قال محمد بن اسحق وغيره من اهل السير والاخبار كان مما انزل الله تعالى على موسى خبر بني اسرائيل

فبينما هو في حجري اذا رجل ملاح من رجال السفينة قد وصل الي وحصل معي على ذلك اللوح فقال والله مازلت اهواك وانا في السفينة وقد حصلت معك الآن فمكنيني من نفسك والا رميتك في البحر فقلت ياهذا ويحك اما كان لك فيما رأيت تذكرة وعبرة فقال لي قد رايت ذلك مرارا عديدة ونجوت وانا لا ابالي ثم الح علي فخفت منه وقلت له مهلا حتى ينام هذا الصبي فاخذه من حجري ورمي به في البحر فلما رايت جراءته وما فعل بالصبي طار قلبي وزاد كربي فرفعت طرفي الى السماء وقلت يامن يحول بين المرء وقلبه حل بيني وبين هذا الفاسق فوعزته وجلاله ما فرغت من الكلام الا ودابة عظيمة من دواب البحر خرجت رأسها واختطفته من على اللوح وغاصت به في الماء فحمدت الله تعالى على ذلك وصرت وحدي على ذاك اللوح فزاد شوقي الى ولدي وقرة عيني وبكيت على فقده بكاء شديدا وانشدت شعرا

قرة العين حبيبي ولدي
ضاع مني لتنائي جلدي
ان يكن جسمي غريقا فلقد

من احداثهم وماهم فاعلون يده كما قال الله تعالى وقضينا الى بنى اسرائيل في الكتاب لتفسدن فى الارض مرتين ولتعلن علوا كبيرا الي قوله حصيرا فكانت بنواسرائيل يركبون الاحداث والذنوب وكان الله تعالى يتجاوز عنهم تعطفا عليهم واحسانا اليهم وكان اول مانزل بهم بسبب ذنوبهم من تلك الوقائع كما اخبر الله تعالى على لسان موسى عليه السلام ان ملكا منهم كان يدعي صديقة وكان الله تعالى اذا ملك ملكا من الملوك بعث له نبيا يسدده و يرشده و يكون واسطة فيما بينه و بين الله تعالى فيما يحدث من امورهم ولا ينزل عليهم كتابا وانما يامرهم ان يامروهم باحكام التوراة والنهى عن المعاصى والمنكرات والدعاء الى ماتركوا من الطاعات فلما ملك ذلك الملك بعث الله تعالى شعياء بن امضياء وذلك قبل مبعث زكريا و يحيى وعيسى وشعياء هو الذي بشر بيت المقدس حين شكا اليه الخراب فقال ابشر فانه ياتيك راكب الحمار ومن بعده صاحب البعير ثم ملك ذلك الملك بني اسرائيل و بيت المقدس زمانا فلما انقضى ملكه فيهم عظمت فيهم الاحداث الرديئة وشعياء معه فبعث الله عليهم سنجاريب ملك بابل فنزل هو وجنوده في ستمائة الف راية فاقبل سائرا حتى نزل حول بيت المقدس والملك مريض فى ساقه قرحة شديدة فجاء اليه شعياء فقال ياملك بنى اسرائيل ان سنجاريب ملك بابل قد نزل هو وجنوده فى ستمائة الف راية واقبل سائرا حتى نزل بيت المقدس وقدهابهم الناس وتفرقوا عنهم فكبرذلك على الملك وقال يانبي الله هل اتاك وحى من الله فيما حدث فتخبرنا به كيف يفعل الله بنا و بعدونا سنجاريب وجنوده فقال النبي لم يات وحى فبينماهم كذلك اذ أوحى الله تعالى الي شعياء عليه السلام ان ائت ملك بني اسرائيل فامره ان يوصى بوصيته و يستخلف على مملكته من يشاء من اهل بيته وعترته فاتى شعياء صديقة فقال ان ربك قد اوحي الي ان آمرك ان توصي بوصيتك وتستخلف من شئت على ملكك من اهل بيتك فانك ميت فلما قال ذلك شعياء لصديقة أقبل على الله تعالي وصلى ودعا وبكى وقال فى دعائه وهو يبكى و يتضرع الى الله تعالى بقلب مخلص وظن صادق اللهم رب الارباب واله الآلهة القدوس المقدس يارحمن يارحيم يارؤف يامن لا تاخذه سنة ولا نوم اذكرني بنيتي وفعلي وحسن قضائي في بني اسرائيل وذلك كله كان منك وأنت أعلم به مني سرى وعلانيتي لك ثم ان الله استجاب دعاءه ورحمه وكان عبدا صالحا فاوحي الله تعالي الى شعياء وأمره ان يخبر صديقة الملك ان ربه قد استجاب له ورحمه وقبل منه وقد أخر اجله خمس عشرة سنة وانجاه الله من عدوه سنجاريب ملك بابل وجنوده فاتى شعياء اليه واخبره بذلك فلما قال له ذلك ذهب عنه الوجع وانقطع عنه الهزال وخر ساجدا لله تعالى وقال يالهى واله آبائي لك سجدت و سبحت وكبرت وعظمت أنت الذى تعطى الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء عالم الغيب والشهادة أنت الاول والآخر والظاهر والباطن وأنت ترحم وتستجيب دعوة المضطرين أنت الذى أجبت دعوتى ورحمت تضرعى فلما رفع رأسه أوحى الله تعالى الى شعياء أن قل للملك صديقة أن يامر عبدا من عبيده فياتيه بماء التين فيجعله على قرحته فيشفى ففعل ذلك فبرأ فقال الملك لشعياء سل ربك أن يجعل لنا علما بما هو صانع بعدونا هذا فقال الله لشعياء قل له انى كفيتك عدوك هذا وأنجيتك منه وانهم سيصبحون موتى كلهم الا سنجاريب وخمسة نفر من كبرائه وكتابه فلما أصبحوا جاءهم صارخ يصرخ على باب المدينة ياملك بنى اسرائيل قد كفاك الله عدوك فاخرج فان سنجاريب ومن معه قد هلكوا فلما خرج الملك التمس سنجاريب فلم يوجد في الموتى فبعث الملك فى طلبه فادركه الطلب هو ومن معه فى خمسة نفر من كبرائه فى مغارة أحدهم بختنصر فجعلوهم في الجوامع ثم أتوابهم ملك بني اسرائيل فلما رآهم خرساجدا لله تعالى من

حين

ظلت اشكوا باحتراق الكبد

يا الهى قد ترى ما حل بى
فافرغ الصبر على يدى
فاجمع الشمل وكن لي راحما
فرجائي فيك اقوى عددى

قالت ثم بقيت يومى الى الليل وحيدة فريدة فلما اصبح الله بالصباح اذانا بقلع بلوح فى البحر فمازالت الامواج تقذفه والرياح تسوقه حتى وصل الى فاذا هو بسفينة عظيمة فاخذوني من على ذلك اللوح ووضعونى بينهم فنظرت فاذا بولدى هذا بينهم فتراميت عليه وقلت لهم ياقوم من أين لكم هذا الصبى فقالوا بينما نحن سائرون اذ جثت السفينة بنا فنظرنا فاذا بدابة كانها المدينة العظيمة وهذا الصبي على ظهرها يمص ابهاميه ثم حدثتهم بقصتى وشكرت ربى على ما نالنى وعاهدته ان لا ابرح عن بيته ولا ولا الهو عن خدمته وما سالته بعد ذلك شيأ الا اعطي اياه قال فمددت يدي اليها بنفقة فلم تقبلها وقالت اليك عني احدثك بافضاله وكرمه ونواله وآخذ الرفد من يد غيره فلم اقدر عليها ان تاخذ شيئا فتركتها وانصرفت عنها رحمها الله ونفعنا بها والمسلمين آمين

حين طلعت الشمس الى العصر ثم قال ياسنجاريب كيف ترى فعل ربنا بكم ألم يقتلكم بحوله وقوته ونحن وأنتم غافلون فقال له سنجاريب قد أتاني خبر ربكم ونصرته اياكم من قبل أن أخرج من بلادي فلم أطع مرشدا ولم يلقني في الشقوة الاقلة عقلي فلو سمعت وعقلت ماغزوتكم ولكن الشقوة غلبت علي وعلى من معي قال فقال صديقة الحمد لله رب العالمين الذي كفانا كم بما شاء ان ربنا لم يبقك ومن معك لكرامتك عليه ولكن انما أبقاك ومن معك لتزدادوا شقاوة في الدنيا وعذابا فى الآخرة ولتخبروا من وراءكم بما رأيتم من فعل ربنا بكم وبمن معكم ولدمك ومن معك اهون عند الله من دم قرادة لو قتلت * ثم ان ملك بني اسرائيل امر امير جيشه فقذف فى رقابهم الجوامع وطاف بهم سبعين يوما حول بيت المقدس وايلياء وكان يطعمهم كل يوم رغيفين من شعير لكل رجل منهم فقال سنجاريب لملك بني اسرائيل القتل خير مما تفعل بنا فافعل ما اردت فامر بهم الملك الى سجن القتل فاوحى الله الى شعياء ان قل للملك يرسل سنجاريب ومن معه لينذروا من وراءهم وليكرموا وليحملوا حتى يبلغوا بلادهم فبلغ شعياء الملك ذلك ففعل فخرج سنجاريب ومن معه لينذروا من وراءهم حتى قدموا بابل فلما قدموا جمع سنجاريب الناس فأخبرهم كيف فعل الله بجنوده فقال له كهانه وسحرته ياملك قد كنا نقص عليك خبرهم وخبر نبيهم ووحى الله اليه فلم تطعنا وهي امة لا يستطيعها احد وكان في امر سنجاريب مما خوفوا به ثم كفاهم الله اياه تذكرة وعبرة ثم لبث سنجاريب بعد ذلك سبع سنين ثم مات واستخلف من بعده بختنصر وكان ابن ابنه وكان بختنصر يعمل كما يعمل جده ويقضي بقضائه فلبث سبع عشرة سنة ثم قبض الله تعالى ملك بني اسرائيل صديقة فمرج امر بني اسرائيل وتنافسوا في الملك حتى قتل بعضهم بعضا وظهر فيهم البغي والفساد ونبيهم شعياء فيهم لا يرجعون اليه ولا يقبلون قوله فلما فعلوا ذلك قال الله تعالى لشعياء عليه السلام قم فى قومك يوح على لسانك فلما قام النبي اطلق الله لسانه بالوحى فقال ياسماء اسمعي ويا ارض انصتي فان الله اراد ان يقضي شان بني اسرائيل الذين رباهم بنعمته واصطفاهم لنفسه وخصهم بكرامته وفضلهم على عباده واستقبلهم بالكرامة وهم كالغنم الضائعة التي لا راعي لها فآوى شاردها وجمع ضالها وجبر كسيرها وداوى مريضها وأسمن هزيلها وحفظ سمينها فلما فعل ذلك بطرت فتناطحت كباشها فقتل بعضهم بعضا حتى لم يبق منهم عظم صحيح يجبر اليه كسير فويل لهذه الامة الخاطئة الذين لا يدرون أين جاءهم الخير أم الشر وان البعير يذكر وطنه فينتابه وان الحمار يذكر الآري الذي يشبع عليه فيراجعه وان الثور يذكر المسرح الذي يسرح فيه فينتابه وان هؤلاء القوم لا يدرون من أين جاءهم الخير وهم أولو الالباب والعقول ليسوا ببقر ولا حمير انى ضارب لهم مثلا فليسمعوه قل لهم كيف ترون في أرض كانت خرابا مواتا فبقيت خرابا زمانا طويلا لا عمران فيها وكان لها رب حكيم قوي فاقبل عليها بالعمارة وكره أن تخرب أرضه فأحاط عليها جدارا وشيد فيها قصرا وأجري نهرا وأنبت عليها غرسا من الزيتون والرمان والنخيل والاعناب وأنواع الثمار كلها وولى ذلك واستحفظه ذارأى حفيظا قويا أمينا فانتظرها فلما أطلعت جاء طلعها خرنوبا فقال بئست الارض هذه نرى أن يهدم جدرها وقصرها ويفيض ماء نهرها ويحرق غرسها حتى تصير كما كانت خرابا أول مرة مواتا لا عمران فيها فقال الله تعالى قل لهم ان الجدار ذمتي وان القصر شريعتي وان النهر كتابي وان القيم نبيي والغراس هم وان الخرنوب الذى أطلع الغراس أعمالهم الخبيثة واني قضيت عليهم قضاءهم على أنفسهم وانه مثل ضربه الله لهم فمرهم يتقربوا الي بذبح البقر والغنم وليس ينالني اللحم ولا آكله ولكن يتقربون الي بالتقوي والكف عن ذبح النفس التي حرمتها فأيديهم مخضوبة منها وبنانهم مزملة بدمائها ويشيدون لي البيوت والمساجد ويطهرون أجوافها وينجسون قلوبهم

وحكى عن عبد الله الموصلي رضى الله تعالى عنه انه قال) كان عندنا رجل ولهان يسمى قضيب البان وكان لا يقدر احد ان يكلمه من عظم هيبته وحرمته وكان كثير البكاء فجمعتني به المقادير في خلوة فقلت له يااخى ما الذي اشغلك به عن سواه ما كان سبب تولهك وانفرادك عن الناس فنظر الى نظرة منكرة ثم بكى واصفر لونه وغشي عليه فلما افاق آنسته بالكلام ولاطفته بالخطاب وسألته عن ذلك وأقسمت عليه بالله ان يحدثني عن سبب ذلك فحدثني وهو يبكى فقال يااخى كنت اخدم شيخا وكان من الابدال فخدمته اربعين سنة فكان مجتهدا فى العبادة فلما كان قبل موته بثلاثة ايام دعاني وقال لى ياعبد الله لى عليك حق ولك على حق ومن تمام حقي عليك ان تصغى لما اقول لك وتحفظ وصيتي فقلت نعم ياسيدي حبا وكرامة فقال ياولدى قد بقى من عمرى ثلاثة ايام واموت على غير دين الاسلام فاذا انامت فضعني فى تابوت بثيابى واحمل التابوت في الليل الى ارض كذا وكذا من ظاهر البلد وامكث حتى تطلع الشمس

وأجسادهم وبدنونها فأى حاجة لي الى تشييد البيوت ولست أسكنها وأى حاجة لي الى تزويق المساجد ولست أدخلها وانما أمرت برفعها لاذكر فيها وأسبح ولتكن معلما لمن أراد ان يصلى فيها يقولون لو كان الله يقدر على أن يجمع الفتنا لجمعها ولو كان الله يقدر أن يفقه قلوبنا لفقهها فاعمد الى عودين يابسين ثم ايتهما وهم فى اجمع ما يكون فقل للعودين ان الله يأمركما ان تكونا عوداً واحداً فلما قال لهما ذلك اختلطا فصارا عوداً واحداً فقال الله تعالى قل لهم انى قدرت على ان أؤلف بين العودين اليابسين فكيف لا اقدر على الفتهم ان شئت ام كيف لا اقدر على ان افقه قلوبهم وانا الذى صورتهم يقولون صمنا فلم يرفع صيامنا وصلينا فلم تنور قلوبنا وتصدقنا فلم تزك صدقاتنا وان دعونا بمثل حنين الجمل وبكينا بمثل عواء الذئاب فى كل ذلك لا يسمع ولا يستجاب لنا قال الله تعالى فسلهم ما الذى يمنعنى ان استجيب لهم الست اسمع السامعين وانظر الناظرين واقرب المجيبين وارحم الراحمين اذات يدي قلت كيف ويداى مبسوطتان بالخير انفق كيف اشاء مفاتيح الخزائن عندى لا يفتحها غيرى ام يقولون رحمتى ضاقت فكيف ورحمتى وسعت كل شيء انما يتراحم المتراحمون بفضلى ام يقولون البخل يعتريني اولست اكرم الاكرمين وانا الفتاح بالخيرات الست اجود من اعطي واكرم من سئل ولو ان هؤلاء القوم نظروا لانفسهم بالحكمة التي نورت فى قلوبهم فتدبروها لم يشتروا بها الدنيا لابصروا وتيقنوا ان انفسهم هى اعدى العداة لهم فكيف ارفع صيامهم وهم يلبسونه بالزور ويتقوون عليه بطعمة الحرام ام كيف انور صلاتهم وقلوبهم طاغية تركن الى من يحاربنى وينتهك محارمي ام كيف تزكو عندى صدقاتهم وهم يتصدقون باموال غيرهم وانما اجزى عليها اهلها المغصوبين ام كيف استجيب لهم دعاء وانما هو قول بالسنتهم والعقل من ذلك بعيد انما استجيب قول المستضعف المسكين وان من علامه رضاى رضا المسكين ولو رحموا المساكين وقربوا الضعفاء وانصفوا المظلوم ونصروا المغصوب وعالوا الغائب وادوا الى الفقير واليتيم والارملة والمسكين حقه ولو كان ينبغي لي ان اكلم البشر اذا لكلمتهم وكففت اذاهم وكنت نور ابصارهم وسمع آذانهم ومعقول قلوبهم واعمرت اركانهم وكنت قوة ايديهم وارجلهم وكثبت السنتهم الانهم يقولون لما سمعوا كلامي وبلغتهم رسالاتى انها اقاويل منقولة واحاديث متواترة وتآليف فيما يؤلف السحرة والكهنة وزعموا ان لو يشاؤا ان يأتوا بحديث مثله لفعلوا وان يطلعوا على علم الغيب بما توحي اليهم الشياطين اذا طلعوا وكلهم يستخفي بالذي يقول ويسروهم يعلمون انى اعلم غيب السموات والارض واعلم ما يبدون وما يكتمون وانى قد قضيت يوم خلقت السموات والارض قضاء بينته على نفسي وجعلت له اجلا مؤجلا لا بد انه واقع فان صدقوا فيما ينتحلون من علم الغيب فليخبروك متى انفذه وفي اي زمان يكون وان كانوا يقدرون على ان يأتوا بما يشاؤن فليأتوا بمثل هذه القدرة التي بها اقضى فانى مظهره على الدين كله ولو كره المشركون وان كانوا يقدرون على ان يأتوا بما يشاؤن فليأتوا بمثل هذه الحكمة التى ادبر بها امر ذلك القضاء ان كانوا صادقين فانى قضيت يوم خلقت السموات والارض بان اجعل النبوة في الاحرار واجعل الملك فى الرعاء واجعل العز فى الاذلاء والقوة في الضعفاء والغنى فى الفقراء والثروة في الاقلاء والمدائن في الفلوات والآجام في المفاوز والثرى في الغيطان والعلم في الجهلة والحكم في الاميين فسلهم ممن هذا ومن القيم بهذا وعلى يد من انشئه ومن اعوان هذا الامر وانصاره فانى باعث لذلك نبيا اميا لا أعمى من العميان ولا ضالا من الضالين ليس بفظ ولا غليظ ولا بصخاب في الاسواق ولا متزيا بالفحش ولا قوالا بالخنا اسدده بكل جميل واهب له كل خلق كريم اجعل السكينة لباسه والبر شعاره

فاذا رايت جماعة قد اقبلوا ومعهم تابوت يضمونه الي جانب تابوتي فخذ التابوت الذى يأتون به وعد به الى الزاوية واخرج الرجل الذى فيه وافعل معه ما كان يجب عليك ان تفعله معى فقلت له يا سيدي كيف هذا الحال فقال يا ولدي كان ذلك فى الكتاب مسطوراً هذا ما جرى فى اللوح المحفوظ فلله الامر من قبل ومن بعد لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون قال فلما كان بعد ثلاثة ايام اضطرب الشيخ وتغير لونه واسود وجهه واندار الي الشرق وانكب على وجهه فبكيت على ذلك بكاء شديدا ولحقني عليه من الحزن ما لا يعلمه الا الله تعالى ثم انى تذكرت وصية الشيخ فوضعته في تابوت فلما جاء الليل حرجت به الى المكان الذى قال لي عليه فمكثت به حتي طلعت الشمس فاذا بجماعة قد اقبلوا ومعهم تابوت فوضعوه الى جانب تابوت الشيخ فتقدم رجل وهم ان يحمل ذلك التابوت فمنعته عنه وقلت له لا سبيل لاخذه حتى تخبرني بخبر صاحب هذا التابوت فقال الرجل نعم يا اخى انا خادم هذا البترك الذى في هذا التابوت اربعين سنة فلما كان قبل موته بثلاثة ايام

والتقوى ضميره والحكمة معقوله والصدق والوفاء طبيعته والعفو والمعروف خلقه والعدل سيرته والحق شريعته والهدي امامه والاسلام ملته واحمد اسمه اهدي به بعد الضلالة واعلم به بعد الجهالة وارفع به بعد الخملة واشهر به بعد النكرة واكثر به بعد القلة واغني به بعد الفقر واجمع به بعد الفرقة واؤلف به قلوبا مختلفة واهواء مشتتة واعمما متفرقة واجعل امته خير امة اخرجت للناس يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر بآياتي وتوحيدي يصلون قياما وقعودا وركوعا وسجودا ويقاتلون في سبيل الله صفوفا وزحوفا يخرجون من ديارهم واموالهم ابتغاء رضوان الله الهمهم التكبير والتحميد والتسبيح والتمجيد والتوحيد في مسيرهم ومجالسهم ومضاجعهم ومتقلبهم ومثواهم يكبرون ويهللون ويقدسون على رؤس الاشراف ويطهرون لى الوجوه والاطراف ويعقدون الثياب في الانصاف قربانهم دماؤهم وقرآنهم في صدورهم رهبان بالليل ليوث بالنهار ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم فلما فرغ نبيهم شعياء من مقالته عدوا عليه ليقتلوه فهرب منهم فلقيته شجرة فانفلقت له فدخلها فادركه الشيطان فاخذ بهدبة من ثوبه فاراهم اياها فوضعوا المنشار في وسطها فنشروها حتي قطعوها وقطعوه وهو في وسطها والله أعلم

﴿ قصة ارمياء عليه السلام ﴾

فاستخلف الله على بني اسرائيل بعد قتلهم شعياء رجلا منهم يقال له ناشئة بن اموص وبعث الله اليهم الخضر نبيا ليسدده ويأتيه بالخبر من الله تعالى واسم الخضر ارمياء بن خلقياء وكان من سبط هرون بن عمران وانما سمي الخضر لانه جلس على فروة بيضاء فقام عنها وهي تزهو خضراء فقال الله تعالى لارمياء حين بعثه الى بني اسرائيل يا ارمياء من قبل ان اخلقك اخترتك ومن قبل ان اصورك في بطن أمك قدستك ومن قبل ان اخرجك من بطن امك طهرتك ومن قبل ان تبلغ السعي نبأتك ولامر عظيم اجتبيتك فذكر قومك نعمي وعرفهم احداثهم وادعهم الى فقال ارمياء انى ضعيف ان لم تقوني عاجز ان لم تنصرني فقال الله تعالى أنا الهمك فقام ارمياء فيهم خطيبا ولم يدر ما يقول فالهمه الله تعالى في الوقت خطبة بليغة طويلة بين لهم فيها ثواب الطاعة وعقاب المعصية وقال لهم في اخرها ان الله قال فانى أحلف بعزتي وجلالي ان لم ينتهوا الاقيضن لهم فتنة يتحير فيها الحليم ولاسلطن عليهم جبارا قاسيا ألبسه الهيبة وانزع من قلبه الرحمة يتبعه عدد مثل سواد الليل المظلم ثم أوحى الله تعالى الى أرمياء عليه السلام انى مهلك بنى اسرائيل بيافث ويافث هم اهل بابل وهم من ولد يافث بن نوح فلما سمع ارمياء بكى وصاح وشق ثيابه وحثا الرماد على رأسه فلما سمع الله تضرع ارمياء وبكاءه ناداه يا أرميا أشق عليك ما اوحيت اليك قال نعم يارب أهلكني قبل ان أرى في بنى اسرائيل ما لا اسر به فقال الله تعالى وعزتي وجلالي لا أهلك أحدا من بنى اسرائيل حتى يكون الامر في ذلك من قبلك ففرح أرمياء بذلك وطابت نفسه وقال والذى بعث موسي بالحق لا ارضي بهلاك بنى اسرائيل ثم اتى الملك فاخبره بذلك وكان ملكا صالحا ففرح واستبشر وقال ان يعذبنا ربنا فبذنوب كثيرة وان يرحمنا فبرحمته ثم انهم لبثوا بعد الوحي ثلاث سنين لم يزدادوا فيها الا معصية وتماديا في الشر وذلك حين اقترب هلاكهم وقل الوحي ودعاهم الملك الى التوبة فلم يفعلوا فسلط الله عليهم بختنصر فخرج في ستمائة ألف راية يريد اهل بيت المقدس فلما فصل بختنصر سائرا الى الملك اتى الملك الخبر فقال الملك لارمياء انت زعمت ان الله اوحى اليك فقال ارمياء ان الله لا يخلف الميعاد وانا به واثق فلما قرب الاجل واراد الله هلاكهم بعث الله الى ارمياء ملكا قد تمثل له في صورة رجل من بنى اسرائيل فقال له يا نبي الله انى أستفتيك في اهل رحمي وصلت ارحامهم ولم أزل اليهم محسنا ولا يزيد اكرامي اياهم الا استخفافا بي فافتني فيهم فقال له أحسن فيما بينك وبين الله وصلهم وابشر بخير فانصرف الملك فما مكث الا اياما ثم

أحضرني وقال يا ولدي لي عليك حق ولك علي حق ومن تمام حقي عليك ان تحفظ وصيتي وتصغي لما اقول لك قلت نعم فقال يا ولدي بقي من عمري ثلاثة ايام واموت على دين الاسلام فاذا مت فضعني في تابوت بثيابي ليلا واخرج بي الى المكان فلانى تجد تابوتا موضوعا فضع تابوتي بجانبه وخذ التابوت الذي هناك وارجع به الى الكنيسة ومهما كان يجب عليك ان تفعله معي فافعله مع صاحب ذلك التابوت فانه كان من الابدال فلما كان بعد ثلاثة ايام تهلل وجه البترك بالفرح ونطق بالشهادتين ومات مسلما ففعلت ما امرني به واتيت الى ههنا وهذا حديثي يا اخي قال فحملت ذلك التابوت الذى جاؤا به واخذوا تابوت الشيخ ومضوا به فجئت بذلك التابوت الى الزاوية واحضرت الفقراء وفتحت لهم التابوت فاذا فيه شيخ عليه نور ساطع فاخرجته من التابوت ونزعت ثيابه وغسلته انا والفقراء وصلينا عليه ودفناه في الزاوية وكان يوما مشهودا فهذا حديثي يا اخي ثم خرجت بعد دفنه هائما على وجهي من

أقبل عليه في صورة ذلك الرجل فقعد بين يديه فقال له أرمياء اوماطهرت اخلاقهم لك بعد قال يانبي الله والذى بعثك بالحق نبيا ماعلم كرامة ياتيها احد من الناس الى اهل رحمه الا قدمتها اليهم وافضل قال أرمياء عليه السلام ارجع الى أهلك فاحسن اليهم وسل الله الذى يصلح عباده الصالحين ان يصلحهم فقام الملك فمكث أياما وقد نزل بختنصر وجنوده حول بيت المقدس باكثر من الجراد ففزع منهم بنو اسرائيل وشق عليهم فقال ملكهم لارمياء يانبي الله اين ماوعدك الله به قال انى بربى لواثق ثم اقبل الملك على ارمياء وهو قاعد على جدار بيت المقدس يضحك و يستبشر بنصر ربه الذى وعده فقعد بين يديه وقال له انا الذي اتيتك في شأن اهلى مرتين فقال له ارمياء عليه السلام ألم يأن لهم ان ينتهوا من الذى هم فيه فقال له يانبي الله كل شيء كان يصيبني منهم قبل اليوم كنت اصبر عليه واليوم رايتهم في عمل لا يرضى الله تعالى فقال ارمياء عليه السلام على اي عمل رايتهم قال على عمل عظيم من سخط الله تعالى فغضبت لذلك واتيتك لاخبرك وانى اسالك بالله الذي بعثك بالحق نبيا الا مادعوت الله تعالى عليهم ليهلكهم فقال ارمياء ياملك السموات والارض ان كانوا على حق وصواب فابقهم وان كانوا على سخطك وعمل لاترضاه فاهلكهم قال فما خرجت الكلمه من فم ارمياء تماما حتى ارسل الله صاعقة من السماء في بيت المقدس فالتهب مكان القربان وخسف بسبعة ابواب من ابوابه فلما راي ذلك ارمياء صاح وبكى وشق ثيابه وحثا الرماد على راسه وقال ياملك السموات والارض اين ميعادك الذي وعدتني فنودي انه لم يصبهم الذى اصابهم الا بفتياك ودعائك فاستيقن ارمياء عليه السلام انها فتياه وان ذلك السائل كان رسول ربه فسار ارمياء حتى خالط الوحوش ودخل بختنصر وجنوده بيت المقدس ثم امر جنوده ان يملأ كل رجل منهم ترسه ترابا ثم يقذفه في بيت المقدس فقذفوا فيه التراب حتى ملؤه ثم انصرفوا الى بابل واحتمل معه سبايا بني اسرائيل وامرهم ان يجمعوا ما كان في بيت المقدس فجمعوا كل صغير وكبير من بنى اسرائيل فاختار منهم سبعين ألف صبي فلما أراد أن يقسم الغنائم فى جنده قالت له الملوك الذين كانوا معه أيها الملك لك غنائمنا كلها واقسم بيننا هؤلاء الصبيان الذين اخترتهم من بني اسرائيل ففعل ذلك فاصاب كل واحد منهم اربعة غلمان وكان من أولئك الغلمان دانيال وحنانيا وعزاريا وميشايل وسبعة آلاف من أهل بيت داود واحد عشر ألفا من سبط يوسف بن يعقوب وأخيه بنيامين وثمانية آلاف من سبط يساخر بن يعقوب وأربعة آلاف من سبط يهوذا بن يعقوب واربعة آلاف من سبط روبيل ولاوى ابنى يعقوب ومن بقى من بني اسرائيل جعلهم بختنصر ثلاث فرق فثلثا أقره بالشام وثلثا سبي وثلثا قتل وذهب باوانى بيت المقدس حتى أقدمها بابل وذهب بالغلمان السبعين الفا وسائر السبايا حتى قدم بهم بابل وكانت هذه الوقعة الاولى التى أنزلها الله على بني اسرائيل باحداثهم وظلمهم وذلك قوله تعالى فاذا جاء وعد أولاهما بعثنا عليكم عبادا لنا أولى بأس شديد يعني بختنصر وجنوده * وكان بدء أمر بختنصر على ماروي حجاج عن ابن جريج عن يعلى بن مسلم عن سعيد بن جبير قال كان رجل من بنى اسرائيل يقرأ التوراة حتى اذا بلغ بعثنا عليكم عبادا لنا اولى بأس شديد بكى وفاضت عيناه وأطبق المصحف ثم انطلق الى المسجد وقال يارب ارنى هذا الرجل الذى جعلت هلاك بني اسرائيل على يديه فارى فى المنام انه مسكين ببابل يقال له بختنصر فانطلق بمال واعبد له وكان رجلا موسرا فقيل له اين تريد قال أريد التجارة ثم ذهب حتى نزل دارا ببابل فاستكراها ليس فيها أحد غيره فجعل يدعو المساكين و يتلطف بهم حتى لا يأتيه أحد مسكين الا أعطاه فقال هل بقى مساكين غيركم قالوا نعم مسكين بفج آل فلان مريض يقال له بختنصر فقال لغلمانه انطلقوا وانطلق معهم حتى أتاه فقال له ما اسمك قال بختنصر فقال لغلمانه احملوه فنقله اليه ومرضه حتى برىء

خوف سوء الخاتمة وهذا سبب توبتي فنسأل الله تعالى حسن الخاتمة ونعوذ به من مكره وغضبه وعقابه

ياويح من خلى سبيل الهدى
وفاته منك بلوغ المرام
فمن اتى حصنك آويته
فركنه فى عزة لا يضام
كم صالح قد صف اقدامه
في الليل يبكى بالدموع السجام
وماله حظ سوى انه
اشقاه مولاه بطول القيام
وكم قريب خاب ظنا وما
نال سوى التعذيب والانتقام
وكم بعيد نال مايرتجى
وحاز فى عقباه اعلى مقام
من لم يكن للوصل اهلا فما
يفيده القرب ولا الاعتصام
فسطوة الاقدار لا تعتدي
فانتبهوا من نومكم يانيام
ياايها المذنب قم واعتذر
وتب من الذنب وكسب الاثام
الى متى انت ترى غاديا
ورائحا في اللهو طول الدوام
انب الى الله وتب واستقم
من قبل ان تشرب كاس الحمام
فان تخف قبح ذنوب مضت
فلذ بخير الخلق بدر التمام
محمد المختار من هاشم
افضل من حج ولبي وصام

فبكاه واعطاه نفقة ثم اذن الاسرائيلي في الرحيل فبكى بختنصر فقال الاسرائيلي مايبكيك فقال أبكى لانك فعلت معي مافعلت ولا اجد شيأ أجازيك به فقال جزاني شيء يسير قال وماهو قال له ان صرت ملكا وملكت بيت المقدس أن تعطيني ما أطلبه فجعل يتبعه ويقول له أتستهزىء بي ولا يمنعه ان يعطيه ماسأله الا انه يرى انه يستهزىء به قال فبكى الاسرائيلي وقال قد علمت ما يمنعك ان تعطيني ماسألتك الا ان الله تعالى يريد ان ينفذ قضاءه فكتب له كتابا وضرب الدهر ضرباته فقال يوما صيحون وهو ملك بابل لو انا ارسلنا طليعة الى الشام قالوا ماضرك لو فعلت قال فمن ترون قالوا فلانا فبعث رجلا وأعطاه مائة الف فخرج بختنصر في مطبخه لم يخرج الا ليأكل في مطبخه فلما قدم الى الشام رأى صاحب الطليعة أكثر اهل الارض فرسانا ورجالا جلدا فكبر ذلك في عينه فلم يصل ولم يسألهم عن شيء وكان بختنصر دخل الشام ولم يزل يجالس مجالس أهل الشام ويسألهم ويقول لهم ما منعكم ان تغزوا بابل فلو غزوتموها لنلتم منها شيئا كثيرا فقالوا انا لا نحسن القتال ولا نقاتل حتى تنتقد مجالس أهل الشام وأمرف سرائرهم ثم ان الطليعة رجعوا فاخبروا ملكهم بما رأوا وكان بختنصر رجع معهم فجعل يقول لفراش الملك لو دعاني الملك لاخبرته عن الخبر الذي اخبره فلان وفلان فرفع ذلك الى الملك فدعاه فاخبره بالخبر وقال ان فلانا لما رأى أكثر اهل الارض كراعا ورجالا جلدا كبر ذلك في عينه ولم يسألهم عن شيء واني لم أدع مجلسا بالشام الا جلست فيه اسأل أهله فقلت لهم كذا وكذا وقالوا كذا وكذا قال سعيد بن جبير قال صاحب الطليعة لبختنصر فضحتني لك مائة الف دينار وترجع عما قلت فقال له لو أعطيتني بيت مال بابل مارجعت عما قلت ثم ضرب الدهر ضرباته فقال الملك لو بعثنا جريدة خيل الى الشام فان وجدوا مساغا ساغوا والا أمسكوا ماقدروا عليه فقالوا ماضرك لو فعلت ذلك قال فمن ترون قالوا فلانا قال بل الرجل الذي اخبرني بما اخبرني فدعا بختنصر فبعثه ثم انتخب معه اربعة آلاف من فرسانهم فانطلقوا فجاسوا خلال الديار فسبوا ماشاء الله تعالى ولم يخربوا ولم يقتلوا ومات صيحون الملك فقالوا استخلفوا ملكا قالوا على رسلكم حتى تأتي أصحابكم فانهم فرسانكم فامهلوا حتى جاء بختنصر بالسبي وما معه فقسمه بين الناس فقالوا ما رأينا احدا احق بالملك منه فهذه القصة الاولى فملكوه على انفسهم (وقال السدى) باسناده ان رجلا من بني اسرائيل رأى في المنام ان خراب بيت المقدس وهلاك بني اسرائيل على يد غلام يتيم ابن ارملة من اهل بابل يدعى بختنصر وكانوا يصدقون فتصدق رؤياهم فاقبل يسأل عنه حتى نزل في بيت امه وكان قد ذهب يحتطب فجاء وعلى رأسه حزمة حطب فالقاها ثم قعد في جانب البيت فكلمه ثم اعطاه ثلاثة دراهم وقال له اشتر بها طعاما وشرابا فاشترى بدرهم لحما وبدرهم خبزا وبدرهم خمرا وجاء به فاكلوا وشربوا حتى اذا كان اليوم الثاني فعل به مثل ذلك واليوم الثالث فعل كذلك ثم قال له الاسرائيلي اني احب ان تكتب لي امانا اذا انت ملكت يوما من الدهر فقال بختنصر أتسخر مني قال لا أسخر منك ولكن ما عليك أن تجعل عندي لك يدا فكلمته أمه فقالت ما عليك ان كان والا لم ينقصك شيئا فكتب له أمانا فقال أرأيت ان جئتك والناس حولك قد حالوا بيني وبينك فاجعل لي علامة تعرفني بها قال ترفع صحيفتك على قصبة فاعرفك بها فكتب له امانا واعطاه اياه ثم ان ملك بني اسرائيل كان يكرم يحيي بن زكريا عليهما السلام ويدني مجلسه ويستشيره في أمره ولا يقطع امرا دونه وان الملك هوي ان يتزوج بنت امرأة له هذا قول السدي * وقيل كانت بنت أخته لما روى سعيد بن جبير عن ابن عباس قال بعث عيسى بن مريم يحيي بن زكريا عليهم السلام في اثني عشر من الحواريين يعلمون الناس وكان فيما نهاهم عنه نكاح بنت الاخت قال وكان لملكهم ابنة أخت تعجبه ويريد ان يتزوجها وكان لها في كل يوم حاجة يقضيها لها وذكر الحديث في مقتل

صلى عليه الله ماشرقت طلائع الصبح وولى الظلام

(وحكى عن منصور بن عمار عفا الله عنه انه قال) كان لي اخ في الله تعالى يتفقدني في شدتي ورخائي وكان كثير العبادة والتهجد والبكاء فلما كان بعد ايام فقدته فسألت عنه فقيل لي انه ضعيف فسرت الى بيته وطرقت عليه الباب فخرجت الي ابنته وقالت ماتريد فقلت لها قولي لابيك فلان اخوك يريد ان يدخل اليك فدخلت وعادت لي وقالت ادخل فدخلت اليه فوجدته في وسط الدار وهو مضطجع على الارض وقد تغيرت صورته واسود وجهه وازرقت عيناه وتقلصت شفتاه فقلت له وانا خائف منه ياأخي اكثر من قول لااله الا الله ففتح عينيه ونظر الي ثم غشي عليه فلما افاق قلت له ياأخي اكثر من قول لااله الا الله ففعل كما فعل اولا فقلت ثالثا اكثر من قول لااله الا الله وان لم تقلها لا غسلتك ولا كفنتك ولا صليت عليك ولا دفنتك قال منصور ففتح عينيه ونظر الي وقال ياأخي يامنصور كلمة حيل بيني وبينها فقلت لاحول ولاقوة الا بالله العلي العظيم ثم قلت ياأخي فاين الصلاة

يحيي بن زكريا عليهما السلام (رجعنا الى حديث السدى) قال فسأل يحيى عن نكاحها فقال لست أرضاها لك فبلغ ذلك امها فحقدت على يحيي حين نهاه ان يتزوج ابنتها فعمدت حين جلس الملك على شرابه فالبست ابنتها ثيابا حمرارقاقا فاخرة وطيبتها والبستها من الحلى شيئا لاقيمة له من غايته والبستها فوق ذلك كساء اسود وارسلتها الى الملك وامرتها ان تسقيه الخمر وان تتعرض له فان راودها عن نفسها ابت عليه حتى يعطيها ماسألته ويكون الذى تسأله ان تأتى برأس يحيي بن زكريا في طشت ففعلت ذلك وجعلت تسقيه الخمروتعرض له فلما اخذ من يدها الشراب راودها عن نفسها فقالت لا أفعل حتى تعطيني ما أسألك قال وما تسأليني قالت أسألك ان تبعث الى يحيي بن زكريا فتأتيني برأسه فى طشت فقال ويحك سليني غيرهذا قالت ماأريد غيرهذا فلما أبت عليه بعث الى يحيي فأتى برأسه فجعلت الرأس تتكلم حتى وضعت بين يديه وهى تقول انها لاتحل لك فلما اصبح الملك واذادم يحيي يغلى فامر بالتراب فالقي عليه فرقى الدم فوق التراب يغلى فالقي عليه ايضا فارتفع الدم فوقه فلم يزل يلقي عليه من التراب حتى بلغ سور المدينه وهو مع ذلك يغلى فبلغ سنجاريب ملك بابل ذلك فنادى في الناس وأراد أن يبعث لهم جيشا ويؤمر عليهم رجلا فاتاه بختنصر وكلمه وقال ان الذي أرسلت تلك المرة ضعيف وانى قد دخلت المدينة وسمعت كلام اهلها فابعثنى فبعث بختنصر حتي اذا بلغوا ذلك المكان ورآهم اهله تحصنوا فى مدائنهم فلم يطقهم فلما اشتد عليهم المقام وجاع اصحابه ارادوا الرجوع فخرجت اليهم عجوز من عجائز بني اسرائيل وقالت أين أمير الجند فاتى بها اليه فقالت له بلغني انك تريد الرجوع بجندك قبل ان تفتح هذه المدينه قال نعم قد طال مقامى وجاع اصحابى فلست أستطيع المقام فوق الذى كان منى قالت أرأيتك ان دللتك على فتح المدينة تعطينى ما أسألك وتقتل من آمرك بقتله وتكف عمن آمرك بالكف عنه قال لها نعم قالت اذا أصبحت فاقسم جندك أربعة اقسام ثم اقسم على كل زاوية ربعا ثم ارفعوا أيديكم الى السماء ونادوا يارب بناد لنا على من قتل يحيي بن زكريا عليهما السلام فانهم اذا فعلوا ذلك تسقط سور المدينة ففعلوا ذلك فتساقط سور المدينة ودخلوا من جوانبها فانطلقت به الى دم يحيي ابن زكريا عليهما السلام وقالت له اقتل على هذا الدم حتى يسكن فقتل عليه سبعين ألفا حتى سكن فلما سكن الدم قالت له كف يدك فان الله تعالى اذا قتل نبي لايرضى حتي يقتل من قتله ومن رضي بقتله وأتاه صاحب الصحيفة بصحيفته فكف عنه وعن أهل بيته وخرب بيت المقدس وأمر ان تطرح فيه الجيف وقال من طرح عليه جيفة فله جزيته فى تلك السنة وأعانه على خرابه الروم من أجل ان بني اسرائيل قتلوا يحي بن زكريا فلما خربه بختنصر ذهب بوجوه بني اسرائيل وسراتهم

(قصة دانيال عليه الصلاة والسلام)

وذهب دانيال وقوم من اولاد الانبياء وذهب معه برأس جالوت فلما قدم بختنصر أرض بابل وجد سنجاريب قد مات فملك مكانه واستقام له الامر وثبت على ذلك مدة ثم ان بختنصر رأى رؤيا عجيبة فافزعته فسال عنها السحرة والكهنة فعجزوا عن تفسيرها فبلغ ذلك دانيال وكان في السجن مع اصحابه وقد أحبه صاحب السجن وأعجب به لما رأى من حسن سمته وهدايته فقال دانيال لصاحب السجن انك قد احسنت الى وان صاحبكم قد رأى رؤيا فدله على لاعبرها له فجاء السجان وأخبر بختنصر بقصة دانيال فقال على به وكان لايقف بين يديه أحد الا سجد له فاتوا به فقام بين يديه ولم يسجد له فقال له ماالذى منعك من السجود لى فقال له ان لى ربا آتانى العلم والحكمة وأمرنى أن لا أسجد الا له فخشيت ان سجدت لغيره أن ينزع مني العلم الذى آتانى ويهلكني

فاعجب

والعبادة والصيام والبكاء والدعاء فقال كل ذلك كان لغيرالله تعالى وانما كنت افعل ذلك رياء للناس وسمعة حتى يقال على واذكر به وكنت اذا خلوت بنفسى اغلقت الابواب وارخيت الستور وشربت الخمور وبارزت مولاى بالمعاصي ودمت على ذلك مدة من الزمان فاصابنى مرض اشرفت منه على الموت فقلت لابنتى هذه ناولينى المصحف فأتت به الى فقرأت فيه حتى بلغت سورة يس فرفعت المصحف وقلت اللهم بحق هذه السورة الشريفة وبحق مافي هذا المصحف من كلامك القديم أن تعافينى وتفرج عنى وانا لا أعود الى معصيتك ابدا قال ففرج الله عنى وعافانى فلما شفيت عدت لما كنت فيه من اللهو واللعب والشهوات واللذات وانسانى الشيطان ذلك العهد الذي بينى وبين مولاى فصرت على ذلك الحال مدة من الزمان فوقعت فى مرض آخر أشرفت منه على الموت فامرت اهلى ان يخرجوني الى وسط الدار ثم طلبت المصحف وقرأت فيه

فاعجب به وقال نعم ماقلت وقد أحسنت حيث وفيت بعهده وأجللت علمه ثم قال هل عندك علم بهذه الرؤيا وهل لك في تعبيرها قال نعم قال فاخبرني فاخبره برؤياه التي رآها قبل ان يخبره بها ثم عبرها له وكانت الرؤيا ما أخبرنا عبد الله بن حامد باسناده عن وهب بن منبه يقول ان بختنصر رأى في منامه صنما رأسه من ذهب وصدره من فضة وبطنه من نحاس وفخذه من حديد وساقه من فخار ثم رأى حجرا من السماء قد وقع عليه فدقه ثم ربا الحجر حتى ملأ ما بين المشرق والمغرب ورأى شجرة اصلها في الارض وفرعها في السماء ثم رأى رجلا بيده فاس وسمع مناديا ينادي اضرب جزعها ليتفرق الطير من فروعها وتتفرق الدواب والسباع من تحتها واترك أصلها قائما فعبرها له دانيال عليه السلام فقال اما الصنم الذي رايت رأسه من ذهب فانت الرأس الذهب وانت افضل الملوك واما الصدر الذي رايت من فضة فهو ابنك يملك من بعدك واما البطن الذي رايت من نحاس فملك يكون بعد ابنك واما مارايت من الفخذ الذي من حديد فتتفرق فرقتان في فارس تكونان اشد الملوك واما الفخار فاخر ملكهم يكون دون الحديد واما الحجر الذي رايت قد وقع من السماء وربا حتى ملاء مابين المشرق والمغرب فنبي يبعثه الله في آخر الزمان فيفرق ملكهم كلهم ويربو ملكه حتى يملاء مابين المشرق والمغرب واما الشجرة التي رايت والطير الذي عليها والسباع والدواب التي تحتها وما أمر بقطعها فيذهب ملكك ويردك الله طائرا نسرا عظيما فتملك الطيور ثم يردك الله ثورا فتملك الدواب ثم يردك الله اسدا فتملك السباع والوحوش وتكون منذ مسخك الله على ماذكرنا سبع سنين في ذلك كله وقلبك قلب انسان حتى تعلم ان الله له ملك السموات والارض وهو يقدر على الارض ومن عليها واما مارايت من ان اصلها قائم فان ملكك قائم فسئل بن منبه اكان مؤمنا ام لا فقال وجدت اهل الكتاب قد اختلفوا في ذلك فمنهم من قال مات مؤمنا ومنهم من قال مات كافرا لانه حرق بيت المقدس والكتب التي فيه وقتل الانبياء وغضب الله عليه غضبا شديدا فلم يقبل منه يومئذ توبته قالوا فلما عبر دانيال لبختنصر رؤياه واخبره بها اكرمه واكرم اصحابه وجعل يقبل عليه ويستشير في اموره حتى كان اكرم الناس عليه واحبهم اليه فحسده المجوس على ذلك فوشوا به وباصحابه وباصحابه الى بختنصر فقالوا له ان دانيال وأصحابه مايعبدون الهك ولا ياكلون ذبيحتك فدعاهم وسالهم فقالوا أجل ان لنا ربا نعبده ولسنا نا كل من ذبيحتكم فامر بأخدود فخد لهم وألقوا فيه وهم ستة وألقى معهم سبع ضاريا ليأكلهم ثم قال انطلقوا لنا كل ونشرب فذهبوا فاكلوا وشربوا ثم انهم رجعوا فوجدوهم جلوسا والسبع مفترش ذراعيه بينهم ولم يخدش منهم أحدا ولم ينكهم شيء ووجدوا معهم رجلا زائدا فعدوهم فوجدوهم سبعة فقالوا مابال هذا السابع وانما كانوا ستة فخرج اليهم السابع وكان ملكا من الملائكة فلطم بختنصر لطمة فصار في الوحوش والسباع ومسخه الله سبع سنين ثم رده الى صورته ورد عليه ملكه قال السدي فلما رد الله عليه ملكه كان دانيال وأصحابه أكرم الناس عليه فحسدهم المجوس أيضا ووشوا بهم ثانية وقالوا لبختنصر ان دانيال اذا شرب الخمر لم يملك نفسه أن يبول وكان ذلك فيهم عارا فجعل لهم بختنصر طعاما وشرابا فاكلوا وشربوا منه ثم قال للبواب انظر أول من يخرج عليك ليبول فاضربه بالطبرزان فان قال أنا بختنصر فقل له كذبت ان بختنصر أمرني فحبس الله عن دانيال وأصحابه البول فكان أول من قام من القوم يريد البول بختنصر فقام مدلا وكان ذلك ليلا فقام يسحب ثيابه فلما رآه البواب شد عليه فقال له أنا بختنصر فقال كذبت ان بختنصر أمرني أن أقتل كل من يخرج أولا ثم ضربه فقتله (وأما) محمد بن اسحق فانه قال في هلاك بختنصر

وقلت اللهم بحق هذا القرآن العظيم الا ماعافيتني وفرجت عني وانا لااعود الى معصية ابدا فاستجاب الله تعالى مني وفرج عني فعدت الى ما كنت فيه حتى وقعت في هذا المرض فامرت أهلي ان يخرجوني الى وسط الدار كما ترى ثم طلبت المصحف لاقرأ فيه فلم يتبين لي فيه حرف واحد فعرفت ان الله سبحانه وتعالى غضب علي غضبا شديدا فرفعت بصري الى السماء وقلت الهي بحرمة هذا المصحف الا ما فرجت عني وعافيتني وأنا لا أعود ياجبار السموات والارض فبينما انا كذلك اذ سمعت قائلا يقول ولا أري شخصه شعرا

تتوب من الذنوب اذا مرضتا * وترجع للذنوب اذا بريتا
اذا ما الضر مسك أنت باك * وأخبث ما يكون اذا قويتا
فكم من كربة نجاك منها * وكم كشف البلاء اذا بليتا
اما تخشى هجوم الموت ياذا * وانت على الخطايا قد دهيتا
وتنسى فضل رب جاد لطفا * عليك ولا خشيت

غيرما قال السدى وذلك أنه قال باسناده لما أراد الله هلاك بختنصر قال لمن كان فى يده من بنى اسرائيل أرأيتم هذا البيت الذي خربت وهؤلاء الناس الذين قتلت من هم وماهذا البيت فقالوا هذا بيت الله تعالى ومسجد من مساجده وهؤلاء أهله كانوا من ذرارى الانبياء فظلموا وتعدوا وعصوا فسلط الله عليهم عدوهم بذنوبهم قال فاخبرونى ما الذى يطلع بى الى السماء وأطلع عليها فاقتل من فيها أتخذها ملكا فانى قدفرغت من الارض ومافيها قالوا مايقدر عليها أحد من الخلق فقال لتفعلن أولاقتلنكم عن آخركم فشكوا الى الله تعالى وتضرعوا فبعث الله تعالى عليه بقدرته ليريه ضعفه وهو بعوضة دخلت في منخره ثم ساخت فيه حتي عضت بام دماغه فما كان يقر ولا يسكن حتى يضرب على أم دماغه فلما عرف الموت قال لخاصته من أهله اذا انامت فشقوا رأسي وانظروا ما الذى قتلني فلما مات شقوا رأسه فوجدوا البعوضة عاضة بام دماغه ليرى الله العباد قدرته وسلطانه ونجى الله تعالى من كان بقى فى يده من بني اسرائيل و رحمهم و ردهم الى ايلياء والشام فبنوا فيها و ربوا وكثروا حتى كانوا على أحسن ما كانوا عليه فيزعمون ان الله أحيا المؤمنين الذين قتلوا ولحقوا بهم ثم انهم لما رجعوا الى الشام وجدوا بختنصر قد أحرق التوراة وليس معهم عهد من الله فجدد الله توراتهم وردها اليهم على لسان عزير وستذكر القصة فيه ان شاء الله تعالى وكان عمر بختنصر أيام مسخه نيفا وخمسمائة عام وخمسين يوما فلما مات بختنصر استخلف ابنه فلسطاس وكانت آنية بيت المقدس التى حملها بختنصر الى بابل عنده وكان نجسها بلحوم الخنازير وشرب فيها الخمر وأقصى دانيال فلم يقبل منه فاعتزل دانيال فبينما فلسطاس قاعد ذات يوم اذ بدت له كف معلقة بغير ساعد فكتبت ثلاثة أحرف بمشهده ثم غابت فعجب من ذلك وتحير ولم يدر ماهى فدعا دانيال عليه السلام واعتذر اليه وسأله أن يقرأ له ذلك الكتاب ويخبره بتاويله فقال دانيال بسم الله الرحمن الرحيم وزن فخف ووعد فانجز وجمع ففرق فقال اما قوله وزن فخف أى وزن عملك في الميزان فخف ووعد فانجز اى وعد ملكك بالخراب فانجز اليوم وجمع ففرق اى جمع لك ولوالدك من قبلك ملكا عظيما ثم فرق اليوم فلا يجتمع الي يوم القيامة فلم يلبث الا قليلا حتى اهلكه الله تعالى وضعف ملكهم و بقى دانيال عليه السلام بارض بابل الى ان مات بالسوس والله اعلم

﴿خبر وفاة دانيال عليه السلام﴾

قال اهل الاخبار لما فتح الله السوس على يد ابى موسى الاشعري فى خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه قتل ابوموسي ملكها سابور واحتوى على المدينة فغنم مافيها واخذ اموال سابور وملكها وجعل يدور فى الخزائن فيأخذ مافيها حتي افضي الى خزانة مقفلة وقد ختم على قفلها بالرصاص فقال ابوموسى الاشعرى لاهل السوس مافى هذه الخزانة فانى اراها مختومة بالرصاص فقالوا له ايها الامير ليس فيها شي من حاجتك فقال لا بدلى ان اعلم مافيها فافتحوا بابها حتي انظر مافيها فكسروا القفل وفتحوا الباب فدخل ابوموسى الخزانة فنظر فاذا هو بحجر طويل محفور على مثال الحوض وفيه رجل ميت وقد كفن باكفان منسوجة بالذهب و رأسه مكشوفة قال فتعجب ابوموسي من طوله وكل من كان معه ثم انهم شبروا انفه فاذا هو يزيد على شبر فقال ابوموسي لاهل السوس ويحكم من هذا الرجل قالوا ان هذا الرجل كان بالعراق وكان اهل العراق اذا حبس عنهم المطر استسقوا به فيسقون فاصابنا من قحط المطر ما كان يصيب اهل العراق فارسلنا اليهم وسألناهم ان يدفعوه الينا حتى نستسقي به فابوا علينا فرهنا عليه عندهم خمسين رجلا وحملناه الى بلدنا هذا ثم استسقينا به فسقينا فرأينا من الرأى ان لانرده اليهم فلم يزل مقيما عندنا الى ان ادركه الموت فمات فهذه قصته وحاله قال فاقام ابوموسي الاشعرى بالسوس وكتب الى عمر بن الخطاب رضي الله عنه يخبره

ولاوعينا وكم عاهدت ثم نقضت عهدا وأنت لكل معروف نسيتا قال منصور ابن عمار فقمت من عنده وخرجت وعيني تسكب العبرات عليه فما وصلت الى بيتي حتى قيل لي انه قدمات فنسأل الله تعالى حسن الخاتمة فكم من نفس مكر بها عند الموت بعد أن كانت صوامة قوامة فلا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم انا لله وانا اليه راجعون اللهم انا نعوذ بك من مكرك وغضبك وعقابك يا أكرم الاكرمين يا الله (وحكى عن منصور بن عمار ايضا رضي الله تعالى عنه انه قال) رايت شابا فى بعض الايام يصلي صلاة الخائفين فقلت في نفسي هذا الشاب لعله من اولياء الله تعالى فوقفت حتى فرغ من صلاته فسلمت عليه فرد على السلام فقلت له ياشاب الم تعلم ان فى جهنم واديا يقال له لظى نزاعة للشوى تدعوا من ادبر وتولى وجمع فاوعى فشهق شهقة وخر مغشيا عليه فلما افاق قال زدني يامنصور يرحمك الله فقلت يا ايها الذين آمنوا قوا انفسكم واهليكم نارا وقودها الناس والحجارة عليها ملائكة غلاظ شداد لايعصون

بما فتح الله عليهم من مدينة السوس وماوالاها وكتب فى كتابه امر ذلك الرجل الميت فلماوصل الكتاب وقرأه عمر بن الخطاب رضي الله عنه دعا اكابر اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألهم عن ذلك فما وجد عند واحد منهم علمه فقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه ان هذا الرجل دانيال الحكيم وهو نبي غير مرسل كان فى قديم الزمان مع بختنصر ومن كان بعده من الملوك وجعل علي بن أبي طالب رضي الله عنه يحدث عمر ابن الخطاب رضي الله عنه عن قصة دانيال من اولها الى آخرها الى وقت وفاته ثم قال اكتب الى صاحبك وأمره ان يصلي عليه و يدفنه فى موضع لا يقدر ليه أهل السوس فكتب عمر الى أبي موسى بذلك فلما قرأ ابوموسي كتاب عمر امر اهل السوس ان يكفنوا ويهرهم الى موضع آخر ثم امر بدانيال فكفن با كفان غير التي كانت عليه ثم صلى عليه هو وجميع من كان معه من المسلمين ثم امر بقبر فحفر له فى وسط النهر ثم دفنه واجري عليه النهر فيقال ان دانيال عليه السلام في نهر السوس والماء يجري عليه الى يومنا هذا والله اعلم (قال الاستاذ) رضي الله تعالى عنه فهذا الذى ذكرت جميع امر بختنصر الذى جاء فى التفسير الان رواية من يروى ان بختنصر هو الذى غزا بني اسرائيل عند قتلهم يحيي غلط عند اهل السير والاخبار والعلماء بامور الماضين من اهل الكتاب والمسلمين وذلك انهم مجمعون على ان بختنصر انما غزا بني اسرائيل عند قتلهم نبيهم شعيا وفى عهد ارمياء عليه السلام وهي الواقعة الاولى التى قال الله تعالى فيها فاذا جاء وعد أولاهما بعثنا عليكم عبادا لنا أولي باس شديد فجاسوا خلال الديار الآية يعني بختنصر وجنوده قالوا ومن عهد أرمياء وتخريب بختنصر بيت المقدس الى مولد يحيي بن ذكريا أربعمائة واحدى وستون سنة وذلك انهم يعدون من لدن تخريب بختنصر بيت المقدس الى اخر عمرانه فى عهد كربن ابن حرسو بن شير بن أصهل ببابل من قبل بهمن اسفنديار بن يستاسف سبعين سنة ثم من بعد عمرانه الى ظهور الاسكندر على بيت المقدس واحصاره ملكها وضمها الى مملكته ثمانية وثمانون سنة ثم من بعد ملكه بيت المقدس الى مولد يحيي بن ذكريا ثلثمائه وثلاثون سنة وانما الصحيح فى ذلك ماذكره محمد بن اسحق بن يسار قال عمرت بنواسرائيل بيت المقدس بعدما عمرت الشام وعاد اليها ملكها بعد خراب بختنصر اياها وسبيهم منها فجعلوا يحدثون الاحداث بعد مهلك عزير عليه السلام فيبعث الله فيهم الانبياء ففريقا يكذبون وفريقا يقتلون حتى كان آخر من بعث الله اليهم من أنبيائهم زكريا و يحيي وعيسى عليه السلام وكانوا من آل داود عليه السلام فمات زكريا وقتل يحيي بسبب نهيه الملك عن نكاح تلك المرأة فلما رفع الله عيسى من بين اظهرهم وقتلوا يحيى بن زكريا عليهم السلام بعث الله عليهم ملكا من ملوك بابل يقال له كردوس فسار اليهم باهل بابل حتى دخل عليهم الشام فلما دخل عليهم امر رئيسا من رؤس جنوده يقال له بنورازادان صاحب القتل فقال له انى قد حلفت بالهى لئن أنا ظهرت وظفرت على أهل بيت المقدس لأقتلنهم حتى تسيل دماؤهم فى وسط عسكرى الا أن لا أجد أحدا أقتله فامره أن يقتلهم حتي يبلغ ذلك منهم ثم ان بنور ازادان دخل بيت المقدس فاقام فى البقعة التى كانوا يقربون فيها قربانهم فوجد فيها دما يغلي فسالهم عنه فقالوا هذا دم قربان قربناه فلم يقبل منا فلذلك هو يغلي كما تراه ولقد قربنا منذ ثمانمائة سنة القربان فقبل منا الا هذا قال ماصدقتموني الخبر فقالوا له لو كان أول دمائنا لقبل منا ولكنه قد انقطعت منا الملوك والانبياء والوحى فلذلك لم يقبل فذبح منهم بنورازادان على ذلك الدم سبعمائة وسبعين رئيسا من رؤسهم فلم يهدأ الدم فامر بسبعة آلاف من بنيهم وازواجهم فذبحهم على الدم فلم يهدأ فلما راى بنور ازدان الدم لا يهدا قال لهم و يلكم يابنى اسرائيل اصدقوني قبل ان افنيكم واصبروا على امر ربكم فلقد طالما ملكتم فى

الله مالامرهم و يفعلون مايؤمرون قال فخرالشاب ميتا رحمة الله عليه فكشفت عن ثيابه لاغسله فوجدت على صدره مكتوبا بقلم القدرة فهو في عيشة راضية في جنة عالية قطوفها دانية قال منصور فغسلته وكفنته وصليت عليه ودفنته ثم نمت فرايته فى المنام على سرير من ذهب وعلى راسه تاج من ذهب مكلل باللآلىء وهو في زينة عظيمة فقلت له مافعل الله بك فقال غفرلى وأعطانى ثوابا مثل ثواب أهل بدر وزادني على ذلك اضعافا فقلت له لم ذلك فقال لانهم قتلوا بسيف الكفار وأنا قتلت بمحبة العزيز الغفار رضي الله تعالى عنه ونفعنا والمسلمين ببركاته (وحكى عن بعضهم رضي الله تعالى عنه انه قال) كان فى قديم الزمان رجلان أحدهما عابد والآخر فاسق وكانا اخوين شقيقين وكان العابد يتمنى ان يري ابليس لعنه الله في محرابه فتمثل له يوما من الايام وقال له يافلان اسفا عليك ضيعت عمرك في اتعاب نفسك وهوار بعون سنة وقد بقي من عمرك مثل مامضى فانطلق الى شهوات نفسك ولذاتها عشرين سنة وتب بعد ذلك وعدالى

الارض تفعلون ماشئتم اصدقوني قبل ان لااترك منكم نافخ نار لاانثي ولاذكرا الاقتلته فلما راوا الجد وشدة القتل اصدقوه الخبر وقالوا ان هذا دم نبي منا كان ينهانا عن امور كثيرة من سخط الله فلو اننا اطعناه فيها لكان ارشدلنا وكان يخبرنا بامركم فلم نصدقه وقتلناه فهذا دمه يغلي فقال بنورازادان ما كان اسمه قال يحيي بن زكريا قال الآن صدقتموني بمثل هذا ينتقم منكم ربكم فلما راى بنورازادان انهم صدقوه خر ساجدا وقال لمن حوله اغلقوا ابواب المدينة واخرجوا من كان ههنا من جنس كردوس وابقى من بقي من بني اسرائيل ثم قال يا يحيي بن زكريا قد علم ربي وربك ما اصاب قومك من اجلك وماقتل منهم من اجلك فاهدا باذن الله تعالى قبل ان لاابقى احدا من قومك فهدا دم يحيي بن زكريا باذن الله تعالى ورفع بنورازادان عنهم القتل ثم قال آمنت بالذى آمنت به بنواسرائيل وصدقت به وايقنت انه لارب غيره فاوحى الله تعالى الى راس من رؤس بقية الانبياء ان بنورازادان حنون صدوق وحنون بالعبرانية حديث الايمان ثم ان بنورازادان قال لبني اسرائيل ان عدوالله كردوس امرني ان اقتل منكم حتي تسيل دماؤكم وسط عسكره وانى لست استطيع ان اعصيه فقالوا له افعل ماامرت به فامرهم فحفروا خندقا ثم امر باموالهم من الخيل والبغال والحمير والابل والبقر والغنم فذبحوها حتي سال الدم في العسكر وامر بنقل الذين كانوا قتلوا قبل ذلك فطرحوا على ماقتل من مواشيهم وكانوا فوقهم فلم يظن كردوس الاان مافي الخندق من بني اسرائيل فلما بلغ الدم الي عسكره ارسل لي بنورازادان ان ارفع عنهم القتل فقد بلغتني دماؤهم ثم انه انصرف عنهم الى بابل وقد افني بني اسرائيل اوكاد ان يفنيهم وهي الوقعة الاخيرة التي انزل الله تعالى فيها قوله تعالى وقضينا الى بني اسرائيل فى الكتاب لتفسدن في الارض مرتين الآيات فكانت الواقعة الاولى لبختنصر وجنوده ثم رد لهم الكرة وكانت لهم الديانة والرياسه وكانت الوقعة الاخيرة لكردوس وجنوده فلم تقم لهم من بعد ذلك قائمة ولاراية وانتقل عن الشام ونواحيها الى الروم واليونانية الى ان تناسل بنواسرائيل وكثروا وانتشروا بعد ذلك واحدثوا الاحداث واستحلوا المحارم وضيعوا الحدود فسلط الله عليهم باطوس بن استيانوس فخرب بلادهم وطردهم عنها ونزع الله تعالي منهم الملك والرياسة وضرب عليهم الذلة فليسوا فى امة من الامم الا وعليهم الصغار والذلة والجزية والملك فى غيرهم وبقى بيت المقدس خرابا الى ايام عمر بن الخطاب رضى الله عنه فعمره المسلمون بامره والله اعلم

﴿باب فى ذكر الذى مر على قرية وهى خاوية على عروشها﴾

قال الله تعالى اوكالذى مر على قرية وهى خاوية على عروشها الآية واختلفوا في ذلك المار من كان فقال عكرمة وقتادة والربيع بن انس والضحاك والسدى هو عزير بن شرحيا وقال وهب بن منبه وعبدالله بن حميد وعبيد بن عمير هو ارمياء بن خلقياء وكان من سبط هرون بن عمران وهو الخضر واختلفوا ايضا في القرية التى مر عليها فقال عكرمة ووهب وقتادة والربيع هى بيت المقدس وقال الضحاك هي الارض المقدسة وقال السدى هى سلماباد وقال الكلبي هى ديرسابراباذ وقيل هرقل وقيل هى قرية العنب وهى على فرسخين من بيت المقدس وكان السبب في ذلك ماروى محمد بن اسحق ابن يسار عن وهب بن منبه ان بختنصر لماوطيء الشام وخرب بيت المقدس وقتل بنى اسرائيل وسباهم طار ارمياء حتى خالط الوحوش فلما ولى بختنصر عنهم راجعا الى بابل ومعه سبايا بني اسرائيل اقبل ارمياء على حماره ومعه عصير عنب فى ركوة وسلة تين حتى غشي ايلياء فلما وقف عليها وعاين خرابها قال انى يحيي هذه الله بعد موتها ثم ربط ارمياء حماره بحبل جديد والقى الله تعالى عليه النوم فلما نام نزع منه الروح مائة عام وامات حماره وعصيره وتينه عنده واعمى الله عنه العيون فلم يره احد وذلك ضحى ومنع الله

العبادة العشرين الاخرى فان الله تعالى غفور رحيم فقال العابد انى لانزل الى أخي في أسفل الدار واوافقه على اللهو واللعب والشهوات واللذات عشرين سنة ثم اتوب بعد ذلك وأعبد الله تعالي العشرين الاخرى ولم يعرف ان ذلك مكيدة من بليس لعنه الله تعالى وقال اخوه المسرف على نفسه قد افنيت عمري فى المعاصي واخي يدخل الجنة وانا أدخل النار والله لاقومن ولاصعدن الى اخى واوافقه على الطاعة والعبادة باقى عمرى لعل الله تعالي ان يغفرلى قال فطلع العاصي على نية التوبه ونزل العابد على نية المعصية فزلقت رجل العابد فوقع على اخيه فمات الاثنان فحشر العابد على نية المعصية وحشر العاصى على نية التوبة فانظر يااخى كيف ختم للطائع وكيف ختم للعاصي كما قال عليه الصلاة والسلام الاعمال بخواتيمها وقال انما الاعمال بالنيات وانما لكل امرء مانوى فنسأل الله تعالى حسن الطاعة ونسأله الامان من زوال الايمان آمين (وحكى عن مالك بن دينار عفا الله تعالى عنه ونفعنا به انه ل): خلت جبانة البصرة

السباع والطير عن لحمه فلما مضى من موته سبعون سنة ارسل الله ملكا الى ملك من ملوك فارس عظيم يقال له يوشك فقال له ان الله يأمرك ان تنفر بقومك وتعمر بيت المقدس وايلياء وارضها حتى يعودا اعمر ما كانا فانتدب الملك الف قهرمان (١) مع كل قهرمان ثلثمائة الف عامل وجعلوا يعمرونها واهلك الله تعالى بختنصر ببعوضة دخلت في دماغه ونجى الله تعالى من بقي من بني اسرائيل ولم يمت منهم جميعا احد ببابل ورد هم الله تعالى الى بيت المقدس ونواحيها فعمروها ثلاثين سنة وكثروا حتى كانوا كاحسن ما كانوا عليه فلما مضت المائة عام على عزير أحيا الله منه عينيه وسائر جسده ميت ثم احيا جسده وهو ينظر ثم نظر الى حماره فاذا عظامه متفرقة بيض تلوح وسمع صوتا من السماء ايتها العظام البالية ان الله يامرك ان تجتمعي فاجتمع بعضها الى بعض واتصل بعضها ببعض ثم نادى ثانيا ان الله يامرك ان تكتسي لحما ودما وجلدا فكان كذلك ثم نادى ان الله يامرك ان تحيا فقام حماره ينهض باذن الله تعالى وعمر الله ارمياء فهو الذي يوجد في الفلوات (اخبرني) ابن فنجويه الحافظ باسناده عن وهب قال ليس في الجنة كلب ولا حمار الا كلب اهل الكهف وحمار ارمياء الذي اماته الله مائة عام ثم بعثه * وقال الذين قالوا ان المار كان عزيرا ان بختنصر لما خرب بيت المقدس قتل اربعين الف رجل من قراء التوراة والعلماء بها وقتل فيهم أبا عزير وجده وكان عزير يومئذ غلاما قد قرأ التوراة وتقدم في العلم فاقدمه مع سبايا بني اسرائيل الى ارض بابل وهو من ولد هرون وكان معه سبعة آلاف من اهل بيت داود فلما نجا عزير من بابل ارتحل على حمار له حتى نزل على دير هرقل على شاطئ دجلة فطاف في القرية فلم ير فيها احدا وعامة شجرها حامل فاكل من الفاكهة واعتصر من العنب فشرب منه وجعل فضل الفاكهة في سلة وفضل العصير في زق فلما رأى خراب القرية وهلاك اهلها قال انى يحيي هذه الله بعد موتها لم يشك في البعث ولكن قالها تعجبا ثم ربط حماره بحبل جديد ونام فاماته الله مائة عام ثم بعثه فاتاه جبريل عليه السلام فقال له كم لبثت قال لبثت يوما او بعض يوم وذلك ان الله تعالى اماته ضحى واحياه آخر النهار قبل غيبوبة الشمس فقال لبثت يوما وهو يرى ان الشمس قد غربت ثم التفت فرأي بقية الشمس فقال او بعض يوم فقال له جبريل عليه السلام بل لبثت مائة عام فانظر الي طعامك يعني التين وشرابك يعني عصير العنب لم يتسنه يعني لم يتغير وانظر الي حمارك قال قوم وذلك ان الله تعالى لم يمت حماره فاحيا له الله تعالى راسه وسائر جسده ميت ثم قال له انظر الى حمارك فنظر فرأي حماره قائما كهيئته يوم ربطه حيا لم يطعم ولم يشرب مائة عام ونظر الى الرسن في عنقه جديدا لم يتغير وهذا قول الضحاك وقتادة وتقدير الآية على هذا القول وانظر الى حمارك وانظر الى عظامك كيف ننشرها وقال آخرون اراد به عظام حماره كما قدمنا ذكره فذلك قوله تعالى ولنجعلك آية للناس أي عبرة ودلالة على البعث بعد الموت وقال الضحاك هو انه عاد الى قريته وأولاده وأولاد اولاده فوجدهم شيوخا وعجائز وهو اسود الرأس واللحية (اخبرنا) ابو عبد الله الحسين ابن محمد الحافظ باسناده عن ابن عباس قال لما احيا الله عزيرا بعد ما أماته مائة سنة ركب حماره حتى اتى محلته فانكر الناس وانكر منازله فانطلق على وهم منه حتى اتى منزله فاذا هو بعجوز عمياء مقعدة قد اتى عليها مائة وعشرون سنة وكانت امة له فخرج عنهم عزير وهي بنت عشرين سنة وكانت عرفته وعقلته فلما اصابها الكبر اصابتها الزمانة فقال لها عزير يا هذه هذا منزل عزير قالت نعم هذا منزل عزير ما رأيت كذا وكذا سنة احدا يذكر عزيرا وقد نسيه الناس قال فاني انا عزير قالت سبحان الله فان عزيرا قد فقدناه منذ مائة سنة ولم نسمع له بذكر قال فاني انا عزير كان الله قد اماتني مائة سنة ثم بعثني قالت فان عزيرا كان رجلا مستجاب الدعوة يدعو للمريض وصاحب البلاء بالعافية والشفاء فيعافيه الله تعالى ويشفيه فادع

(١) قوله مع كل قهرمان ثلثمائة الف الخ كذا بالاصل وهو مما لا يمكن عادة كما لا يخفى اه مصححه

فاذا سعدون المجنون جالس بها فقلت له كيف انت وكيف حالك يا سعدون فقال كيف حال من امسى واصبح يريد سفرا بعيدا بلا زاد ولا راحلة ولا همه ويقدم على ذلك الحاكم بين العباد ثم بكى فقلت له يا سعدون ما يبكيك فقال والله ما بكيت حرصا على الدنيا ولا جزعا من الموت ولكن بكيت ليوم مضى من عمري لم يحسن فيه عملي وابكاني والله قلة الزاد وبعد المسافة والعقبة الكؤد ولم ادر بعد ذلك اصير الى الجنة ام الى النار قال مالك فسمعت منه كلام حكمة فقلت له يا سعدون ان الناس يزعمون انك مجنون فقال وانت اغتررت يا مالك بما اغتر به الناس يزعمون اني مجنون وما بي من جنون ولكن حب مولاى قد خالط قلبي واحشائي وجرى بين لحمي ودمي وعظامي وانا والله من حبه هائم مشغول قال مالك فقلت له يا سعدون فلم لا تخالط الناس ولا تخاطبهم فانشد يقول

خذ عن الناس جانبا
وارض بالله صاحبا
قلب الناس كيف شئت
تجدهم عقاربا

(قيل) وكان سعدون المجنون رضى الله تعالى عنه

الله تعالى ان يرد على بصري حتى أراك فان كنت عزيرا عرفتك قال فدعا ربه ومسح بيده على وجهها وعينيها فاستجاب الله له فهو فيت ورد الله عليها بصرها ثم اخذ بيدها وقال لها قومي باذن الله تعالى فاطلق الله رجليها فقامت صحيحة كأنما نشطت من عقال فنظرت الى عزير فعرفته فقالت اشهد انك عزير ثم انها انطلقت الى محلة بني اسرائيل وهم في انديتهم ومجالسهم وابن عزير شيخ ابن مائة سنة وثمان عشرة سنة وبنوا بنيه شيوخ في المجلس فنادت هذا عزير قد جاءكم فكذبوها فقالت انا فلانة مولاتكم دعا لي ربه فرد على بصرى واطلق رجلى وزعم ان الله اماته مائة سنة ثم بعثه قال فنهض الناس واقبلوا اليه فقال ابنه كانت لابى شامة سوداء مثل الهلال بين كتفيه فكشف عن كتفه فاذا هى بحالها فعرف عند ذلك انه عزير عليه الصلاة والسلام

(باب في ذكر تمام قصة عزير عليه السلام وحاله بعد ما رجع الى قومه)

قال الله تعالى وقالت اليهود عزير ابن الله روى عطية العوفى عن ابن عباس قال قال كان عزير من اهل الكتاب وكانت التوراة عندهم فعملوا بها ما شاء الله ان يعملوا ثم اضاعوها وعملوا بغير الحق وكان التابوت فيهم فلما راى الله تعالى انهم قد اضاعوها وعملوا بالاهواء رفع الله عنهم التابوت وانساهم التوراة ونسخها من صدورهم فارسل الله عليهم مرضا فاستطلقت بطونهم حتى كان الرجل يمس كبده حتى نسوا التوراة وفيهم عزير فمكثوا ما شاء الله ان يمكثوا بعد ما نسخت التوراة من صدورهم وكان عزير قد امر علماءهم ان يدعوا الله تعالى فدعا الله هو واياهم وابتهل ان يرد اليه ما نسخ من صدره فبينما هو يصلى مبتهلا الى الله تعالى اذ نزل نور من السماء فدخل جوفه فعاد اليه الذى كان ذهب من صدره من التوراة فاذن فى قومه وقال يا قوم قد آتانى الله التوراة وردها الي فطفق يعلمهم فمكثوا ما شاء الله ان يمكثوا وهو يعلمهم التوراة ثم ان التابوت نزل بعد ذلك بعد ذهابه منهم فلما راوا التابوت عرضوا ما كان فيه على الذى كان يعلمهم عزير فوجدوه مثله فقالوا والله ما أوتى عزير هذا الا لانه ابن الله (قال السدى) وابن عباس فى رواية عمارة انما قالت اليهود هذا لان العمالقة ظهروا عليهم فقتلوهم واخذوا التوراة وهرب علماؤهم الذين بقوا ودفنوا التوراة فى الجبال وغيرها ولحق عزير بالجبال والوحوش وجعل يتعبد في رؤس الجبال ولا يخالط الناس ولا ينزل الا يوم عيد وجعل يبكى و يقول يارب تركت بني اسرائيل بغير عالم وجعل يبكى حتى سقطت اشفار عينيه فنزل مرة الى العيد فلما رجع فاذا هو بامرأة قد تمثلت له عند قبر من تلك القبور وهي تبكى وتقول يا مطعماه يا مكسياه فقال لها عزير ياهذه اتقى الله واصبري واحتسبي اما علمت ان الموت سبيل الناس ثم قال لها ويحك من كان يطعمك ويسقيك و يكسوك قبل هذا الرجل يعني زوجها الذي كانت تندبه فقالت الله تعالي قال فان الله عز وجل حى لا يموت أبدا قالت ياعزير فمن كان يعلم العلماء قبل بنى اسرائيل قال الله تعالى قالت فلم تبكى عليهم وقد علمت ان الموت حق وان الله حى لا يموت فلما علم عزير انه قد خصم ولى مدبرا فقالت له ياعزير انى لست امرأة ولكني الدنيا أما انه سينبع لك في مصلاك عين وتنبت شجرة فكل من تلك الشجرة واشرب من ماء تلك العين واغتسل وصل ركعتين فانه سيأتيك شيخ و يعطيك شيأ فما اعطاك فخذ منه فلما اصبح نبعت العين في مصلاه ونبتت شجرة ففعل ما أمر به فجاءه شيخ وقال له افتح فاك ففتح فاه فالقى فيه شيئا كهيئة القوارير ثلاث مرات ثم قال له ادخل هذه العين فامس فيها حتى تبلغ املاك قال فدخل وجعل لا يرفع قدمه الا زيد في علمه فرجع اليهم وهو من اعلم الناس بالتوراة ثم قال يا بنى اسرائيل قد جئتكم بالتوراة قالوا ياعزير ما كنت كذابا فربط على كل اصبع له قلما وكتب باصابعه كلها حتى كتب التوراة كلها عن ظهر قلبه فاحيا لهم التوراة والسنة فلما رجع العلماء استخرجوا كتبهم التى دفنوها وقابلوها بتوراة عزير فوجدوها مثلها فقالوا ما اعطى الله له هذا الا لانه ابنه وقال الكلبي ان بختنصر لما ظهر على بني اسرائيل وهدم بيت المقدس وقتل من قرأ التوراة وكان عزير

وتفقدنا به يدور فى شوارع البصرة ويقف عند كل باب و يقول

يا أيها الناس اتقوا ربكم ان زلزلة الساعة شيء عظيم

ثم يبكى و ينشد عند ذلك و يقول

فلو لم يكن فيها سوى الموت والبلى
وتمزيق اعضاء ولحم مبدد
لكنت حقيقا يا ابن آدم بالبكا
على نائبات الدهر مع كل مسعد

(قال) وكان سعدون رضي الله تعالى عنه اذا اشتد به الجوع ينشد و يقول

الهى انت قد آليت حقا
بأنك لا تضيع من خلقتا
وانك ضامن للرزق حقا
تؤدى ما ضمنت كما قسمتا
وانى واثق بك يا الاهي
ولكن القلوب كما علمتا
الهى انت رزاق كريم
ومن لى بالعطاء اذا منعتا

(قال) وكان سعدون رضى الله تعالى عنه عليه جبة من صوف مكتوب على كمها الايمن سطر وهو

عصيت مولاك ياسعيد
ما هكذا تفعل العبيد

وعلى الكم الايسر سطران وهما

تبا لمن قوته رغيف
يأتى به السيد اللطيف
يعصي الها له جلال

اذذاك غلاما صغيرا فاستصغره ولم يقتله ولم يدرانه قد قرأ التوراة فلما مات مائة سنة ورجعت بنوا اسرائيل الي بيت المقدس وليس فيهم من يقرأ التوراة بعث الله تعالى فيهم عزيرا ليجدد لهم التوراة ويكون لهم آية فاتاهم عزير وقال انا عزير فكذبوه وقالوا ان كنت عزيرا كما تزعم فأمل علينا التوراة فكتبها وقال هذه التوراة ثم ان رجلا قال ان ابي حدثني عن جدي ان التوراة جعلت في خابية دفنت في كرم فلان في موضع كذا فانطلقوا معه حتي احتفروا واخرجوا الخابية والتوراة فيها فاخذوها وقابلوها بما كتب لهم عزير فلم يجدوه غادر منها آية ولا حرفا فعجبوا وقالوا ان الله تعالى لم يقذف التوراة في قلب رجل واحد منا بعد ما ذهبت من قلوبنا الا انه ابنه فعند ذلك قالت اليهود عزير ابن الله

﴿ مجلس في ذكر غزوة بختنصر العرب وقصة يوحنا وخراب حضور ﴾

قال الله تعالى وكم قصمنا من قرية كانت ظالمة وانشأنا بعدها قوما آخرين الى قوله حصيدا خامدين * قال هشام ابن محمد الكلبي وغيره كان بدء نزول العرب ارض العراق واتخاذهم الحيرة والانبار منزلا ان الله تعالى اوحى الى يوحنا بن برخيا بن رزيابيل بن سنبسل بن سنبسل هذا هو اول من اتخذ الطفيشل كان من ولد يهوذا بن يعقوب ان ائت بختنصر وامره ان يغزوا العرب الذين لا اغلاق لبيوتهم ولا ابواب ويطأ بلادهم ويقتل مقاتلهم ويستبيح اموالهم لكفرهم بي واتخاذهم الآلهة دوني وتكذيبهم انبيائي ورسلي وذلك بعد قتل اهل حضور وهي بلدة باليمن بعث الله اليهم نبيا فاقبل يوحنا حتى قدم على بختنصر ببابل فاخبره بما اوحى الله تعالى اليه وقص عليه ما أمره به وذلك في زمن معد بن عدنان فاوحي الله تعالي الى يوحنا اني قد سلطت بختنصر على أهل قرية عربه لا تقم به منهم فعليك بمعد ابن عدنان الذي من ولده النبي محمد صلى الله عليه وسلم الذي أخرجه في آخر الزمان وأختم به النبوة وأرفع به من أطاعه فخرج تطوي له الارض حتى سبق بختنصر فلقي عدنان وقد تلقاه فنظر الى معد ولمعد يومئذ اثنتا عشرة سنة فحمله يوحنا على البراق واردفه خلفه فانتهيا الى ارض نجران من ساعتهما قالوا ووثب بختنصر على من كان في بلاده من تجار العرب وكانوا يقدمون عليه بالتجارات والامتيار فجمع من ظفر به منهم فبني لهم ديرا على نجف وحصنه ثم ضمهم فيه فقيدوا ووكل بهم حرسا وحفظة ثم نادى في الناس بالغزو فتأهبوا لذلك وانتشر الخبر فيمن يليهم من العرب فخرجت اليه الطوائف منهم مسالمين مستأمنين فاستشار بختنصر يوحنا فقال ان خروجهم اليك من بلادهم قبل نهوضك اليهم رجوع منهم عما كانوا عليه فاقبل منهم واحسن اليهم قال فانزلهم بختنصر السواد على شاطئ الفرات والتقى بختنصر مع العرب فهزمهم وأثخن فيهم بالقتل والاسر وسار حتى بلغ الحجاز والتقى عدنان في قومه من العرب وبختنصر بذات عرق فهزمهم ونادي مناد من جوف السماء يالثارات الانبياء فأخذتهم السيوف من خلفهم ومن بين أيديهم فندموا على ذنوبهم ونادوا بالويل فذلك قوله تعالى فلما أحسوا بأسنا اذا هم منها يركضون أي يسرعون هاربين فاخذتهم السيوف وقالت لهم الملائكة لا تركضوا وارجعوا الى ما اترفتم فيه ومساكنكم الآية فلما عرفوا أنه واقع بهم أقروا بالذنوب قالوا ياويلنا انا كنا ظالمين فما زالت تلك دعواهم فما زالوا يدعون بها حتى هلكوا فذلك قوله تعالى فما زالت تلك دعواهم حتي جعلناهم حصيدا خامدين ثم رجع بختنصر الى بابل بما جمع من سبايا العرب فالقاهم في الانبار فقيل أنبار العرب وانضم اليه المستأمنون من العرب وخلى بختنصر أهل الدير بعد فراغه من غزو العرب وابتنوا لانفسهم بلدين فسموا احداهما الانبار والاخرى الحيرة وخالطهم بعد ذلك النبط ومات عدنان وبقيت بلاد العرب خرابا في حياة بختنصر فلما مات بختنصر رجع معد ابن عدنان ومعه أنبياء بني اسرائيل حتى أتى مكة فاقام أعلامها وحج الانبياء معه

وهو بهم راحم رؤف
ومن خلفه سطران وهما
كل يوم يمر يأخذ بعضي
يذهب الاطيبين مني
وبعضي
نفس كفي عن المعاصي
وتوبي
ما المعاصي على الانام
بفرض
ومن بين يديه سطران وهما
ايها الشيخ الذي لا يرام
نحن من طيبه عليها السلام
انما هذه الحياة متاع
ثم موت به تساوى الانام
وعلى عكازه مكتوب
هذان السطران
اعمل وانت بذي الدنيا
على وجل
واعلم بانك بعد الموت
مبعوث
واعلم بانك ماقدمت من
عمل
يحصي عليك وما خلفت
موروث
قال مالك فقلت له انت
حكيم ولست بمجنون
فقال سعدون أنا مجنون
الجوارح ولست بمجنون
القلب ثم ولي ولم اره رضى
الله تعالى عنه (وحكى عن
بشر الحافى رضى الله عنه
انه قال) كنت في لهو
وعندي ندمان يشربون
ويطربون فمر بي رجل
من الصالحين على باب
داري وطرق الباب
فخرجت اليه جارية من

﴿ مجلس في ذكر لقمان الحكيم عليه السلام وذكر بعض مواعظه وحكمته ووصيته لابنه ﴾

قال الله تعالى ولقد آتينا لقمان الحكمة يعني العقل والعلم والعمل به والاصابة في الامور واختلفوا في نسبه فقال محمد ابن اسحاق بن يسار هو لقمان بن باعود بن ناخور بن تارخ وهو آزر أبو ابراهيم عليه السلام وقال وهب كان ابن اخت ايوب عليه السلام وقال مقاتل كان ابن خالة ايوب وقال الواقدي كان قاضيا في بني اسرائيل وقال آخرون كان عبدا وقال مجاهد كان لقمان عبدا اسود عظيم الشفتين مشقق القدمين وروى الاوزاعي عن عبد الرحمن بن حرملة قال جاء أسود الى سعيد بن المسيب يسأله فقال له سعيد بن المسيب لا تحزن من اجل انك اسود فانه قد كان من خير الناس ثلاثة من السودان بلال ومهجع مولى عمر ابن الخطاب رضي الله عنه ولقمان الحكيم كان اسود نوبيا من سودان مصر ذا مشافر (حدثنا) الامام أبو منصور الحمشاوي لفظا باسناده عن سعيد بن المسيب أن لقمان عليه السلام كان عبدا حبشيا نجارا (وأخبرني) ابن فنجويه باسناده عن سعيد ابن المسيب ان لقمان عليه السلام كان خياطا واتفق العلماء أنه كان حكيما ولم يكن نبيا الا عكرمة فانه كان يقول ان لقمان كان نبيا تفرد بهذا القول (حدثنا) أبو منصور الحمشاوي عنه باسناده انه قال كان نبيا قال بعضهم خير لقمان بين النبوة والحكمة فاختار الحكمة (وروى) نافع عن عبد الله بن عمر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول حقا أقول لم يكن لقمان نبيا ولكن كان عبدا عصمه الله تعالى كثير التفكر حسن اليقين احب الله فاحبه الله فمن عليه بالحكمة وذلك انه كان نائما نصف النهار فجاءه النداء يا لقمان هل لك ان يجعلك الله خليفة في الارض تحكم بين الناس بالحق فاجاب الصوت فقال ان خيرني ربي قبلت العافية ولم أقبل البلوى وان عزم على فسمعا وطاعة فاني اعلم انه ان فعل بي اعانني وعصمني فقالت الملائكة لم يا لقمان قال لان الحاكم باشد المنازل واكدرها يغشاه الظلم من كل مكان ان اصاب فارجو ان ينجو وان اخطأ اخطأ طريق الجنة ومن يكن في الدنيا ذليلا خير من ان يكون شريفا ومن تخير الدنيا على الآخرة تفته الدنيا ولا تبقي له الآخرة فتعجبت الملائكة من حسن منطقه فنام نومة فاعطي الحكمة فانتبه فتكلم بها ثم نودي داود بعده فقبلها ولم يشترط بها ما اشترط لقمان فهم بالخطيئة غير مرة كل ذلك ويعفوا الله عنه وكان لقمان يوازره بحكمته فقال له داود طوبى لك يا لقمان اعطيت الحكمة وصرف عنك البلاء وأعطي داود الخلافة وابتلي بالبلية والفتنة

(باب في ذكر بعض ماروى من حكم لقمان ومواعظه المذكورة في القرآن)

قال الله تعالى ولقد آتينا لقمان الحكمة واذ قال لقمان لابنه وهو يعظه يا بني لا تشرك بالله ان الشرك لظلم عظيم الآيات (اخبرنا) ابو عبد الله الحسين الدينوري عن عكرمة قال كان لقمان من اهون مملوك على سيده قال فبعثه مولاه مع رفقة له الى بستان له ليأتوه بشيء من ثمره فجاؤا وليس معهم شيء وقد اكلوا الثمرة واحالوا على لقمان فقال لمولاه ان ذا الوجهين لا يكون عند الله امينا فاسقني واياهم ماء حميما ثم ارسلنا لتقذفه ففعل فجعلوا يتقايؤن الفاكهة وجعل لقمان يتقايا ماء نقيا فعرف صدقه من كذبهم قال فاول ماروى من حكمته انه بينما هو مع مولاه اذ دخل المخرج فاطال فيه الجلوس فناداه لقمان ان طول الجلوس على الخلاء يتجع منه الكبد ويورث الباسور وتصعد الحرارة الى الرأس فاجلس هوينا وقم قال فخرج وكتب حكمته على باب الحش قال وسكر مولاه يوما فخاطر أقواما على ان يشرب ماء بحيرة فلما افاق عرف ماوقع فيه فدعا لقمان ثم قال له لمثل هذا اليوم كنت خبأتك قال اخرج كرسيك واباريقك ثم اجمعهم فلما اجتمعوا قال لهم على اي شيء خاطرتموني قالوا على ماء هذه البحيرة فقال لهم لقمان ان لها مواد فاحبسوا عنها موادها حتى يشربها قالوا وكيف يستطيع

الجواري فلما رآها الرجل قال يا جارية صاحب هذه الدار حر أم عبد فقالت له الجارية بل حر فقال لها صدقت لو كان عبدا لاستعمل آداب العبودية وترك اللهو واللعب ثم تركها ومضى قال بشر فأتت الى الجارية واخبرتني بذلك فذهبت الى الباب مسرعا حافيا فوجدت الرجل قد مضى فتبعته حتى لحقته ثم قلت له انت الذي وقفت بالباب فقال نعم فقلت له أعد علي ما قلته فاعاده علي قال بشر فمرغت خدي على التراب وقلت بل عبد ابن عبد ثم همت على وجهي حافيا حتى عرفت بالحافي فقيل لي لم لا تلبس نعلين تقيانك من الحر والبرد فقلت ما صالحني مولاي الا حافيا قال فكان كذلك حتى مات رحمة الله تعالى عليه ونفعنا به وببركاته ومدنا من مدده (وحكي عن بعضهم رضي الله تعالى عنه انه قال) كان ببغداد رجل من التجار كنت سمعته يقع في حق السادة الصوفية بكلام قبيح ثم رايته بعد ذلك بمدة يسيرة قد صحبهم وانفق ماله عليهم فقلت له كنت قبل الآن تبغضهم قال نعم كان قلبي مهنا بذلك صليت الجمعة يوما من الايام بمسجد

ان تحبس موادها فقال لقمان وكيف يستطيع شربها ولها مواد (اخبرنا) ابن فنجويه باسناده عن خالد الربعي قال كان لقمان عبدا حبشيا نجارا فقال له سيده اذبح لنا شاة فذبح له شاة فقال ائتني باطيب مضغتين ثم قال له اذبح لنا شاة فذبح شاة فقال ائتني باخبث مضغتين منها فجاءه باللسان والقلب فقال له امرتك ان تأتيني باطيبها مضغتين فاتيتني باللسان والقلب وامرتك ان تاتيني باخبثها مضغتين فأتيتني باللسان والقلب فقال له انه ليس باطيب منهما اذا طابا ولا اخبث منهما اذا خبثا (واخبرنا) عبد الله بن حامد باسناده عن محمد ابن عجلان قال قال لقمان الحكيم ليس مال كصحة ولا نعيم كطيب نفس (واخبرنا) عبدالله باسناده عن ابى هريرة قال مر رجل بلقمان والناس مجتمعون عليه فقال له الست العبد الاسود الذى كنت راعيا بموضع كذا وكذا قال بلى قال فما بلغ بك ما ارى قال صدق الحديث واداء الامانة وترك ما لا يعنيني (أخبرني) الحسين ابن محمد عن أبيه قال قال لقمان ضرب الوالد ولده كالماء للزرع وعن عبدالله بن دينار أن لقمان قدم من سفر فلقاه غلامه فى الطريق فقال له ما فعل أبى قال مات قال الحمد لله ملكت امرى قال فما فعلت امرأتى قال ماتت قال جدد فراشي قال ما فعلت اختي قال ماتت قال سترت عورتى قال ما فعل أخى قال مات قال انقطع ظهري (أخبرنا) الحسين بن محمد باسناده عن شقيق قال قيل للقمان أى الناس أشرف قال الذى لا يبالى أن يراه الناس مسيئا وقيل للقمان ما أقبح وجهك قال تعيب بهذا على النقش أو على النافش (وروى) المحاربى عن سفيان الثوري قال قال لقمان لابنه ان الدنيا بحر عميق قد غرق فيها ناس كثيرون فلتكن سفينتك فيها تقوى الله وليكن حشوها ايمانك بالله وشراعها التوكل على الله فلعلك تنجو وما أظنك ناجيا يا بني كيف لا يخاف الناس ما يوعدون وهم فى كل يوم ينقصون يا بني خذ من الدنيا بلغة ولا تدخلن فيها دخولا فتضر فيها باخرتك ولا ترفضها فتكون عيالا على الناس وصم صياما يقطع شهوتك ولا تصم صياما يمنعك عن الصلاة فان الصلاة عند الله أعظم من الصوم يا بني لا تتعلم العلم لتباهي به العلماء وتمارى به السفهاء او ترائى به فى المجالس ولا تترك العلم زهادة فيه ورغبة في الجهالة يا بني اختر المجالس على عينيك فان رايت قوما يذكرون الله فاجلس اليهم فانك ان تك عالما ينفعك علمك ويزيدوك علما وان تكن متأهلا يعلموك ولعل الله ان يطالعهم برحمته فتعمك معهم واذا رايت قوما لا يذكرون الله فلا تجلس اليهم فانك ان تكن عالما لا ينفعهم علمك وان تكن جاهلا يزيدوك جهلا ولعل الله يطالعهم بالعقوبة فتعمك معهم يا بني لا تضع برك الا عند راعيه كما ليس بين الكبش والذئب خلة كذلك ليس بين البار والفاجر خلة ومن يحب المراء يشتم ومن يدخل مداخل السوء يتهم ومن يقارن قرين السوء لا يسلم ومن لا يملك لسانه يندم يا بنى كن عبدا للاخيار ولا تكن خليلا للاشرار يا بني كن امينا تكن غنيا ولا تر الناس انك تخشى الله وقلبك فاجر يا بني جالس العلماء وزاحمهم بركبتيك لا تجادلهم فيمنعوك حديثهم والطف بهم فى السؤال اذا تركوك ولا تجزع فيملوك يا بني لا تطلب من الامر مدبرا ولا ترفض منه مقبلا فان ذلك يقل الرأى ويزرى بالعقل يا بنى ان تادبت صغيرا انتفعت كبيرا يا بنى اذا سافرت فلا تنامن على دابتك فان ذلك سريع في ادبارها وليس ذلك من فعل الحكماء الا ان تكون في محل يمكنك فيه التمدد واذا قربت من المنزل فانزل عن دابتك وسر ثم ابدأ بعلفها قبل نفسك واياك والسفر فى اول الليل وعليك بالتعريس والادلاج من نصف الليل الى آخره وسافر بسيفك وخفك وعمامتك وكسائك وسقائك وابرتك وخيوطك ومخرزك وتزود من الادوية ما تنتفع به انت ومن معك وكن لاصحابك موافقا الا في معصية الله يا بني اياك والتقنع فانه بالنهار شهرة وبالليل ريبة يا بني لا تامر الناس بالبر وتنسى نفسك فيكون مثلك مثل السراج يضىء للناس ويحرق نفسه يا بنى لا تحقرن من الامور صغارها ان الصغار غدا تصير كبارا يا بني اياك والكذب فانه يفسد دينك وينقص عند الناس مروءتك فعند ذلك يذهب حياؤك

بغداد ثم خرجت فرأيت بشرا الحافي رضى الله عنه خارجا من المسجد مسرعا فقلت فى نفسي انظر الى هذا الرجل الموصوف بالزهد والورع لم يستقر فى المسجد ساعة فتبعته حتى دخل السوق ووقف على الخباز واشترى بدرهم خبزا ثم تقدم الى الشوى فاشترى منه بدرهم ثم اشترى بدرهم حلواء فقلت فى نفسى لا ابرح عنه حتى انظر ماذا يصنع بهذا فخرج الى الصحراء فتبعته وانا اقول يريد الماء والخضرة فما زال يمشي وانا خلفه الى قريب العصر حتى دخل مسجدا خرابا فيه مريض فجلس عند راسه وصار يطعمه لقمة بعد لقمة وانا انظر اليه فقمت لانظر ذلك المسجد وما حوله فغبت ساعة ثم رجعت الى المسجد فلم اجد بشرا الحافى فسألت المريض وقلت له اين الذى كان يلقمك فقال بشر الحافى فقلت نعم واين هو فقال توجه الي بغداد فقلت كم بيني وبين بغداد قال اربعون فرسخا يعني مسيرة خمس مراحل قال فقلت لا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم ماهذا الذى فعلت بنفسي وليس معي شيء اكتري به ما اركبه ولم اقدر على المشى قال

و بهاؤك وجاهك وتهان ولا يسمع منك اذا حدثت ولا تصدق اذا قلت ولا خير فى العيش اذا كان هكذا يا بنى اياك وسوء الخلق والضجر وقلة الصبر فلا يستقيم لك على هذه الخصال صاحب ولا يزال لك من الناس عليها مجانب وألزم نفسك التودد في امورك والصبر على مرارات الاحوال وحسن مع جميع الناس خلقك فان من حسن خلقه واظهر بشره و بسطه حظي عند الابرار واحبه الاخيار وجانبه الفجار يا بني لا تعلق نفسك بالهموم ولا تشغل قلبك بالاحزان واياك والطمع وارض بالقضاء واقنع بما قسم الله لك يصف عيشك وتسر نفسك وتستلذ حياتك وان اردت ان يجمع لك غنى الدنيا فاقطع طمعك عما في ايدى الناس فان ما بلغ الانبياء والصديقون ما بلغوا الا بقطع طمعهم عما فى ايدى الناس يا بني ان الدنيا قليل وعمرك فيها قليل من قليل وقد بقى قليل من قليل القليل يا بنى اجمل معروفك فى اهله ولا تضعه فى غير اهله فتخسره في الدنيا وتحرم ثوابه فى الآخرة وكن مقتصدا ولا تكن مبذرا ولا تمسك المال تقتيرا ولا تعطيه تبذيرا يا بني الزم الحكمة تكرم بها واعزها تعز بها وسيد اخلاق الحكمة دين الله عزوجل يا بني للحساد ثلاث علامات يغتاب صاحبه ان غاب و يتملق اذا شهد و يشمت فيه بالمصيبة * تم خبر لقمان الحكيم وما وصي لابنه انعم والله اعلم

﴿ مجلس فى قصة بلوقيا ﴾

(اخبرنا) ابو بكر محمد ابن عبدالله الجزرقى باسناده عن عبد الله ابن سلام الاسرائيلى قال كان في بنى اسرائيل رجل يقال له اوشيا وكان من علمائهم وكان كثير المال وكان اماما لبنى اسرائيل وكان قد عرف نعت النبي عليه السلام وامته فى التوراة فخباه وكتم عنهم وكان له ابن يقال له بلوقيا خليفة ابيه فى بنى اسرائيل وكان ذلك بعد سليمان فلما مات والده أوشيا و بقى بلوقيا والامامة والقضاء فى يده ففتش يوما خزائن والده فوجد فيها تابوتا من حديد مقفلا بقفل من حديد فسال الخزان عن ذلك فقالوا لا ندرى فاحتال على القفل حتى فكه فاذا فيه صندوق من خشب الساج ففكه فاذا فيه اوراق فيها نعت النبي صلى الله عليه وسلم وامته مختومة بالمسك ففتحها وقرأ ما فيها على بني اسرائيل ثم انه قال الويل لك يا أبت من الله فيما كتبت وكتمت من الحق عن بنى اسرائيل فرده الى اهله فقال بنوا اسرائيل يا بلوقيا لولا انك امامنا وكبيرنا لنبشنا قبره واخرجناه منه واحرقناه بالنار فقال يا قوم لا ضير انما تبع حظ نفسه وخسر دينه ودنياه فالحقوا نعت النبي صلى الله عليه وسلم وامته بالتوراة قال وكانت ام بلوقيا من الاحياء فاستاذنها فى الخروج الى بلاد الشام وكانوا يومئذ ببلاد مصر فقالت له وما تصنع بالشام فقال اسأل عن محمد وامته فامل الله تعالى ان يرزقنى الدخول في دينه فاذنت له فبرز بلوقيا ليدخل بلاد الشام فبينما هو يسير اذا انتهى الى جزيرة من جزائر البحر فاذا هو بحيات كأمثال الابل عظما وفي الطول ماشاء الله وهن يقلن لا اله الا الله محمد رسول الله فلما رأينه قلن له ايها الخلق المخلوق من انت وما اسمك فقال اسمي بلوقيا وأنا من بنى اسرائيل فقلن وما اسرائيل قال من ولد آدم فقلن سمعنا باسم آدم ولم نسمع باسم اسرائيل قال فقال لهم بلوقيا ايتها الحياة من انتن فقلن نحن من حياة جهنم ونحن نعذب الكفار فيها يوم القيامة قال بلوقيا وما تصنعن ههنا وكيف تعرفن محمدا فقلن ان جهنم تفور وتزفر في كل سنة مرتين فتلقينا الى ههنا ثم نعود اليها فشدة الحر من حرها فى الصيف وشدة البرد من بردها في الشتاء وليس فى جهنم درك من دركاتها ولا باب من ابوابها ولا سرداق من سرادقاتها الا وقد كتب الله عليه لا اله الا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم من اجل ذلك عرفنا محمدا صلى الله عليه وسلم قال بلوقيا ايتها الحياة هل فى جهنم مثلكن او اكبر منكن فقلن ان فى جهنم حيات تدخل احدانا في انف احداهن وتخرج من فيها ولا تشعر بها لعظمها قال فسلم بلوقيا عليهن ومضى حتى اتى جزيرة اخرى فاذا هو بحيات كامثال الجذوع والسوارى وعلى متن احداهن حية صغيرة صفراء كلما مشت اجتمعت الحياة حولها فاذا انفخت صرن تحت الارض خوفا منها قال فلما رأيتها ورأتني قالت أيها الخلق المخلوق من أنت وما اسمك قلت اسمى بلوقيا وانا من بني اسرائيل من ولد ابراهيم الخليل فاخبر بني

فجلست عند المريض في المسجد الى الجمعة الاخرى حتى جاء يوم الجمعة ومعه شيء يؤكله للمريض فلما فرغ من اطعامه قال له المريض يا ابا نصر هذا الرجل صحبك من بغداد فى الجمعة الماضية وهو مقيم عندي قال فنظر الى بشر كالمغضب وقال لم صحبتني فقلت اخطأت ياسيدى واستغفرت الله العظيم مما كان مني فقال بشر الحافي قم فامش فمشيت معه الى قريب المغرب فدخل بغداد قال اين محلك من بغداد فقلت في المحل الفلانى فقال اذهب ولا تعد لمثل هذا فتبت الى الله تعالى وصحبته رضى الله تعالى عنه ونفعنا به فى الدارين آمين) وحكي عن بعضهم رضى الله تعالى عنه انه قال دخلت الخلوة فى ايام جز بني وعاهدت ربى عزوجل ان لا آكل شيأ الا بمدار بين يوما فمكثت في الخلوة عشرين يوما فاشتد على الجوع والفاقة والضرورة فخرجت من الخلوة فسرت ولم اشعر بنفسى الا وانا في السوق فبينما انا كذلك اذا بفقير يتمنى على الله رطل خبز ورطل شواء ورطل حلواء فتعجبت من ذلك وهو يمر على ولا يكلمني فقلت فى

ايتها الحية ممن انت قالت انا موكلة بالحياة واسمي تمليخا ولولا اني موكلة بهن لامتلت بني آدم كلهم في يوم واحد ولكنني اذا صفرت صفرة واحدة وسمعن صوتي دخلن تحت الارض ولكن يابلوقيا ان لقيت محمدا صلى الله عليه وسلم فاقرئه مني السلام ثم مضى بلوقيا الى بلاد الشام فاتى بيت المقدس وكان بها حبر من أحبارهم يسمى عفان الحبر فاتاه فسلم عليه فقال له يابلوقيا ليس هذا زمان محمد ولا زمان امته بينك و بينه قرون وسنون ثم قال عفان الحبر يابلوقيا ان في موضع الحية التي اسمها تمليخا فان قدرت ان اصيدها رجوت ان انال معك ملكا عظيما ونحيا حياة طيبة الى ان يبعث الله تعالى محمدا صلى الله عليه وسلم فندخل في دينه فمن حرص بلوقيا على الدخول في دين محمد صلى الله عليه وسلم قال انا اريك المكان فقام عفان واخذ تابوتا من حديد وعمل فيه قدحين من فضة في احدهما خمر وفي الآخر لبن ثم سارا جميعا حتى انتهيا الى موضع الحية ففتحا باب التابوت وتنحيا فجاءت الحية تبغي الرائحة فدخلت التابوت فشربت اللبن والخمر فسكرت ونامت فقام عفان ودب الى التابوت دبيبا خفيفا فاغلق عليها باب التابوت وحصنه وأخذها ومرا جميعا فلم يمرا بشجرة ولا نبت الا كلمهما باذن الله تعالى فمرا بشجرة يقال لها القرمل فقالت ياعفان من ياخذني و يقطعني ويدقني و يعصرماني ودهني و يطلي به قدميه فانه يخوض البحار السبعة فلا تبتل قدماه ولا يغرق فقال عفان اياك طلبت ثم انه قطع تلك الشجرة فدقها وعصر ماءها وأخرج دهنها وجعله في كوز ثم خلى عن الحية فطارت بين السماء والارض وهي تقول يابني آدم ماأجرأكم على ربكم ولن تصلوا الى ماتريدون قال فذهبت الحية وسار عفان و بلوقيا الى البحر فطليا أقدامهما ثم دخلا في اليم ومشيا في الماء كما كانا يمشيان على الارض حتى قطعا البحر الاول ثم الثاني فاذاهما بجبل في وسط البحر ليس بعال ولا ممتد ترابه كالمسك عليه غمام أبيض وفيه كهف وفي الكهف سرير من ذهب وعلى السرير شاب مستلق على قفاه ذو وفرة واضع يده اليمنى على صدره والشمال على بطنه كالنائم وليس بنائم وهو ميت وعلى رأسه تنين وخاتمه بالشمال وكان هذا سليمان بن داود عليه السلام وكان ملكه في خاتمه وكان خاتمه من ذهب وفصه من ياقوت أحمر مربع مكتوب عليه أربعة أسطر في كل سطر اسم الله الاعظم وكان عند عفان علم من الكتاب فقال بلوقيا من هذا الميت ياعفان فقال هذا سليمان بن داود نريد أن نأخذ خاتمه ونملك ملكه نرجوا الحياة الى أن يبعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم فقال بلوقيا أليس قد سأل ربه فقال رب هب لي ملكا لاينبغي لاحد من بعدي فاعطاه اياه على ماسأل ولا ينال ملك سليمان الي يوم القيامة لدعائه فقال عفان يابلوقيا اسكت ان الله معنا وممنا اسم الله الاعظم ولكن أنت يابلوقيا اقرأ التوراة فتقدم عفان لينزع الخاتم من يد سليمان من أصبعه فقال التنين ماأجرأك على ربك ان غلبتنا باسماء الله تعالى فنحن نغلبك بقدرة الله تعالى قال فكلما نفخ التنين ذكر بلوقيا اسم الله تعالى فلم تعمل نفخات التنين فيهما شيأ ودنا عفان من السرير لينزع الخاتم من أصبعه فاشتغل بلوقيا بالنظر الى نزول جبريل عليه السلام من السماء فلما نزل صاح بهما صيحة ارتجت الارض والجبال وتزلزلت منها فاختلطت مياه البحار وهاجت والتطمت حتى صار كل عذب مالحا من شدة صيحته وسقط عفان على وجهه وسقط بلوقيا على وجهه ونفخ التنين فخرج من بطنه شعلة كانها البرق الخاطف واحترق عفان وعادت نفخته في البحر فامرت النفخة بشيء الا أحرقته ولا بماء الا اسخنته وأغلته وأن بلوقيا لما رأى العذاب ذكر اسم الله الاعظم فلم ينله مكروه ثم تراءى جبريل عليه السلام في صورة رجل فقال له ياابن آدم ما أجرأك على الله فقال له بلوقيا من أنت يرحمك الله فقال له أنا جبريل أمين رب العالمين فقال بلوقيا ياجبريل انما خرجت حبا لمحمد صلى الله عليه وسلم ودينه ولم أقصد الخطا ولم أتعمده قال فبذلك نجوت ثم صعد جبريل عليه السلام الى السماء ومضى بلوقيا فطلى قدميه بذلك الدهن فضل الطريق الذي جاء منه وأخذ في طريق أخرى فسار ومضى ستة أبحر ووقع في السابع فاذاهو بجزيرة من ذهب حشيشها الورس والزعفران وأشجارها الزيتون والنخل

نفسي ان هذا الرجل الثقيل كيف يتمنى هذه الشهوات العزيزة وانا اطلب كمرة يابسة لم تحصل لي قال فلما كان بعد ساعة حصل له ماتمناه فجاءني بذلك واعطانيه وقال يافلان اتدرى من هو الثقيل الذي يخرج من الخلوة لاجل الشهوات و ينقض العهد يطلب من الطيبات والنفائس مايرد عليه القوة ثم قال ان الذي يطوى الاربعين يوما يطويها بالتدريج ثم قال لاتعد لمثلها أبدا ثم تركني ومضي فلم اره رضي الله تعالى عنه و نفعنا بهم اجمعين وجميع المسلمين آمين

(وحكي عن الشيخ المسمى بجوهر الشكور المدفون بعدن رضي الله تعالى عنه) أنه كان مملوكا فعتق فكان يبيع و يشتري في الاسواق الا انه كان يحضر مجالس الفقراء و يعتقدهم اعتقادا شديدا وكان رجلا امينا فلما حضرت وفاة الشيخ العارف بالله تعالى شيخ الطريقة بعدن المدفون بها اجتمعت عليه الفقراء وقالوا ياسيدى من يكون شيخا بعدك فقال الذى يقع على راسه الطائر الاخضر في اليوم الثالث بعد موتى عند اجتماع

والرمان فقال بلوقيا ما أشبه هذا المكان بالجنة على ما وصفت قال فدنا بلوقيا من بعض الشجر فتناول من ثمرها فقالت الشجرة يا خاطي، يا ابن الخاطي، لا تاخذ مني شيا فبقى متعجبا واذا بحذاء الشجرة قوم يتراكضون وبايديهم سيوف مسلولة وهم يتناوشون بعضهم بعضا بالضرب والطعن فلما رأوا بلوقيا أحاطوا به وأحدقوا من ورائه وهموا به سوأ فذكر بلوقيا اسم الله فتعجبوا منه وهابوه وأغمدوا سيوفهم وقالوا باجمعهم لا اله الا الله محمد رسول الله ثم قالوا له من أنت يا عبد الله فقال أنا من بني آدم فقالوا ما اسمك قال اسمي بلوقيا وأنا من بني اسرائيل فقالوا نعرف آدم ولا نعرف اسرائيل فما الذى أوقعك الينا فقال انى خرجت في طلب نبي اسمه محمد صلى الله عليه وسلم وانى قد ضللت الطريق الذي أردته ورأيت من الاهوال كذا وكذا فقالوا يا بلوقيا نحن من الجن المؤمنين ونحن مع ملائكة الله في السماء ثم نزلنا الى الارض وقاتلنا كفرة الجن ونحن ههنا مقيمون نغزوهم ونجاهدهم الى يوم القيامه ولسنا نموت الى يوم القيامه وأنت تصير معنا فقال بلوقيا لملك الجن وكان اسمه صخرا يا صخر أخبرني عن خلق الجن كيف كان قال لما خلق الله تعالي جهنم خلق لها سبعة أبواب وسبعة ألسنة وخلق منها خلقين خلقا في سمائه سماه جبليت وخلقا في أرضه سماه تمليت فأما جبليت فانه خلق في صورة أسد وتمليت في صورة ذئب وجعل الاسد ذكرا والذئب أنثى وجعل طول كل واحد منهما مسيرة خمسمائة عام وجعل ذنب الذئب بمنزلة ذنب العقرب وذنب الاسد بمنزلة ذنب الحية وأمرهما ان ينتفضا في النار انتفاضة فسقط من ذنب الذئب عقرب ومن ذنب الاسد حية فحيات جهنم وعقاربها من ذلك ثم أمرهما أن يتناكحا فحملت الذئب من الاسد فولدت سبع بنين وسبع بنات فأوحي الله اليهم أن يزوجوا البنين من البنات كما أمر آدم فستة من البنين أطاعوا وواحد لم يطع ولم يتزوج فلعنه أبوه وهو ابليس وكان اسمه الحرث وكنيته أبو مرة فهذا أول خلق الجان يا بلوقيا وان دوابنا لا تثبت مع الانس ولكنني أجلل فرسي وأرقمه حتى لا يعرف من راكبه واركب عليه على اسم الله تعالى فاذا انتهيت الى أقصى أعمال على ساحل بحر كذا وكذا فاذا أنت بشيخ وشاب ومشايخ معهما فانك ستلقاهما هناك فادفع الفرس اليهما وامش في حفظ الله راشدا فركب بلوقيا على ذلك الفرس حتي انتهى اليهم فسلم على الشيخ والشاب ونزل عن الفرس ودفعها اليهما وكان قد فصل من عند ملك الجن عند الغداة وبلغ اليهما نصف النهار فقالا له يا بلوقيا منذ كم فارقت الملك قال فارقته من غدوة قالا ما أسرع ما جئت قد أتعبت فرسنا فقال بلوقيا ما مددت اليه يدا ولا حركت عليه رجلا ولم أركضه ركضا قالا بلى ولكن فرسنا أحس بك وبمنزلتك وثقلك فطار ما بين السماء والارض لم يبح نفسه منك فكم تراه جاب بك قال خمس فراسخ او أكثر قالا بل جاب بك في هذه المدة مسيرة مائة وعشرين سنة وكان يطير بك بين السماء والارض حول الدنيا دون قاف وأنت لا تعلم قال خلوا عنه السرج واللجام والبرقع فاذا العرق يقطر ويسيل من كل شعرة منه وله جناحان انقضا وتكسرا من كثرة الطيران والدوران والاعياء والكلال قال بلوقيا هذا والله لعجيب فقالوا عجائب الله لا تنقضى ثم سلم عليهما فمضى فركب اليم فبينما هو يسير اذ رأي ملكا احدي يديه بالمشرق والاخرى بالمغرب وهو يقول لا اله الا الله محمد رسول الله فسلم عليه بلوقيا فقال له الملك من أنت أيها الخلق المخلوق قال أنا بلوقيا وأنا من بنى اسرائيل من ولد آدم ثم قال له بلوقيا أيها الملك ما اسمك قال اسمي يوحابيل وأنا ملك موكل بظلمة الليل وضوء النهار قال فما بال يديك ممدوطتين قال في يدى اليمنى ضوء النهار وفى اليد اليسرى ظلمة الليل ولو سبق النهار الليل أضاءت السموات والارض ولم يكن الليل أبدا ولو سبقت الظلمة النور لاظلمت السموات والارض ولم يكن ضوء أبدا وبين يدي لوح معلق فيه سطران سطر أبيض وسطر أسود فاذا رأيت السواد ينقص نقصت الظلمة واذا رأيت السواد يزداد زدت الظلمة واذا رأيت السطر الابيض يزداد زدت النهار واذا انتقص نقصت فلذلك الليل فى الشتاء أطول من النهار والنهار أقصر وفى الصيف النهار أطول والليل أقصر ثم سلم

بلوقيا

الناس والفقراء عند قبري فيكون هو الشيخ عليكم ثم توفي الشيخ الى رحمة الله تعالى فاجتمع الفقراء عند قبره ثلاثة ايام ينتظرون ما وعدهم الشيخ رضى الله تعالى عنه فبيناهم كذلك اذا بالطير الاخضر قد وقع قريبا منهم وارتفع فصار كل من الفقراء يتمني ان يكون هو الموعود به فبينما هم منتظرون الوعد الكريم وما يكون فيه من تقدير العزيز العليم اذا بالطير قد وقع على راس جوهر ولم يكن يخطر له ذلك ولا لاحد من الفقراء فقام الفقراء يزفونه الى الزاوية وينزلونه منزلة الشيخ فبكى جوهر وقال كيف أصلح لذلك وانا رجل سوقى ولم اكن اعرف طريقة الفقراء وعلى تبعات و بيني و بين الناس معاملات فقال له الفقراء هذا امر من الله عز وجل فالله يتولاك ويعينك ويعلمك وهو يتولى الصالحين فقال لهم جوهر فامهلوني حتى امضي الي السوق وابرأ من حقوق الناس فاجابوه لذلك فذهب الى السوق ووفي كل ذى حق حقه ورجع الي الفقراء وترك السوق ولزم الزاوية والفقراء وصار جوهرا

بلوقيا ومضي فاذاهو بملك آخر قائم يده اليمني في السماء و يده اليسرى في الارض وقدماه تحت الثري وهو يقول لا اله الا الله محمد رسول الله فسلم عليه بلوقيا فقال له الملك ممن أنت وما اسمك قال اسمي بلوقيا وأنا من بني اسرائيل واسرائيل من ولد آدم ثم قال بلوقيا أيها الملك ما اسمك قال مخاييل قال فمالي أرى يمينك في السماء وشمالك في الماء قال احبس الريح بيميني والماء بشمالي ولو رفعت شمالي عن الماء لزخرت البحار كلها في ساعة واحدة وتلاطمت باذن الله واغرقت الدنيا ومن عليها ويدى اليمني في الهواء أحبس الريح عن ولد آدم لان في السماء ريحا تسمى الهائمة ولو ارسلتها لنسفت من في السماء ومن في الارض قال فسلم بلوقيا ومضى فاذاهو باربعة من الملائكة احدهم راسه كرأس الثور والآخر رأسه كرأس النسر والثالث رأسه كرأس الاسد والرابع رأسه كرأس الانسان فاما الملك الذى رأسه كراس الثور فانه يقول اللهم ارحم البهائم ولا تعذ بها وارفع عنا برد الشتاء وحر الصيف واجعل في قلوب بني آدم لها الرأفة والرحمة كي لا يكيدوهن ولا يكلفوهن فوق طاقتهن واجعلني من اهل شفاعة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم يوم القيامة واما الذي راسه كراس النسر فيقول اللهم ارحم الطيور وارفع عنا برد الشتاء وحر الصيف واجعلني من اهل شفاعة محمد صلى الله عليه وسلم يوم القيامة واما الذي راسه كراس الاسد فيقول اللهم ارحم السباع ولا تعذ بها وادفع عنها حر الصيف وبرد الشتاء واجعلني من اهل شفاعة محمد صلى الله عليه وسلم يوم القيامة واما الذى راسه كراس الانسان فانه يقول لا اله الا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم ارحم المسلمين ولا تعذ بهم وادفع عنهم النار واجعلني من اهل شفاعة محمد صلى الله عليه وسلم يوم القيامة ومضى بلوقيا حتي انتهى الى جبل قاف فاذا هو بملك قائم على جبل قاف وان جبل قاف محيط بالدنيا من ياقوتة خضراء وذلك قوله تعالى ق والقرآن المجيد فسلم بلوقيا على الملك فقال له الملك من انت قال انا بلوقيا وانا من بني اسرائيل من ولد آدم فقال له الملك واين تريد قال خرجت في طلب نبي من العرب يقال له محمد ولست اري اثره ولا ادري باى بلاد انا فقال له الملك لا اله الا الله محمد رسول الله قد امرنا بالصلاة على محمد فقال بلوقيا ايها الملك ما اسمك قال اسمي حزقيائيل قال وما تصنع ههنا قال انا امين الله على جبل قاف وفي يده وتر مرة يعقده ومرة يحله وعروق الارض كلها مشدودة عليه والوتر في كفه قال فاذا اراد الله ان يضيق على عباده امرني ان امد الوتر واعقده واوثق عروق الارض فتضيق الدنيا على العباد واذا اراد الله ان يوسع عليهم امرني ان ارخى الوتر فافتق عروق الارض فتتسع الدنيا على العباد واذا اراد الله ان يخوف قوما امرني ان احرك عروق تلك الارض فمن اجل ذلك موضع يهتز وموضع لا يهتز وموضع يتزلزل وموضع لا يتزلزل قال بلوقيا ايها الملك ماوراء قاف قال وراء قاف اربعون دنيا غير الدنيا التي جئت منها في كل دنيا اربعمائة الف باب في كل باب اربعمائة الف ضعف مثل الدنيا التي جئت منها وليست فيها ظلمة بل كلها نور وارضها ذهب عليها حجب من نور وسكانها الملائكة لا يعرفون آدم ولا ابليس ولا جهنم وهم يقولون لا اله الا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك الهموا ولذلك خلقوا وبه امروا الى يوم القيامه قال بلوقيا فما وراءهم ايها الملك قال حجب ووراء الحجب علم الله وقدرته قال بلوقيا اخبرني ايها الملك على اي شيء هذا الجبل موضوع قال بين قرني ثور واسمه بهموت وهو ابيض راسه بالمشرق ومؤخره بالمغرب بين قرنيه مسيرة ثلاثين الف سنة وهو ساجد لربه تعالى على صخرة بيضاء قال بلوقيا أيها الملك كم الارضون وكم البحار قال الارضون سبع والبحار سبع قال فجهنم أين هي قال تحت الارض السابعة فسلم عليه بلوقيا ومضي حتى انتهى الى حجاب طرفه في السماء وأسفله في الماء عليه باب مقفل وعلى القفل خاتم من نور وعلى الباب ملكان احدهما رأسه كراس الثور والآخر راسه كراس الكبش

كاسمه وله من الكرامات والفضائل مايطول ذكره فسبحان المنان الكريم ذى العرش العظيم فصبر على العبادة حتي مات رضي الله تعالى عنه (وحكي ان الحجاج ابن يوسف الثقفى) بعث الى رجل من اهل الخير والصلاح والعبادة فلما حضر بين يديه لم يمهله دون ان قال لغلمانه اذهبوا به الى السجن وقيدوه واكتبوا على قيده مخلد فلما سمع ذلك الرجل مقاله الحجاج تبسم وقال انك تحتاج الي مسمار كبير يكون وزنه قنطارا فقال الحجاج ما اصنع به فقال له الرجل تسمر به الفلك فلعل هذا من شؤم فلك وقلة عقلك وتجارئك على مولاك وحلمه عليك قال فاغتاظ الحجاج عند ذلك وامر السجان ان يأخذه ويقيده ويسلسله ويبنى له بيتا ويضعه فيه ويسد أبوابه حتى يموت فيه فمضى به السجان واحضر له حدادا ثم وضع القيد في رجله وامسك عليه بالرصاص فقال الرجل عند ذلك حسبي الله لا اله لا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم قال ثم وضعوه في البيت مقيدا مسلسلا فلما جاء الليل

وبدنه كبدن الثور وهما يقولان لا اله الا الله محمد رسول الله فسلم عليهما بلوقيا فردا عليه السلام
وقالا لبلوقيا ايها الخلق المخلوق ممن انت وما اسمك قال اسمي بلوقيا وانا من بني اسرائيل من ولد
آدم فقال لا اله الا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه أسماء ماعرفناها قال كيف تعرفون محمدا
وما تعرفون آدم ومحمد من نسله فقالا هكذا خلقنا وبهذا أمرنا ولم نسمع باسم آدم واسرائيل فقال
بلوقيا افتحا لي الباب حتى اجوز فقالا لانحسن فتحه والله ملكا في السماء اسمه جبريل عسى ان يقدر
على فتحه فدعا بلوقيا ربه قال فامر الله تعالى جبريل فنزل اليه وفتح له ثم قال يا ابن آدم ماأجراك على
الله ثم جاز بلوقيا حتى انتهى الى بحرين بحر مالح وبحر عذب فرأى بينهما حاجزا وفي البحر المالح
جبلان من ذهب وفي البحر العذب جبلان من فضة وبينهما ملائكة على صورة النملة ومعه ملائكة على تلك
الصورة فسلم عليهم بلوقيا فردوا عليه السلام وقالوا من أنت فأخبرهم بصفته ثم قال لهم بلوقيا من أنتم
قالوا نحن أمناء الله على هذين البحرين لا يلتقيان ولا يبغيان فقال لهم بلوقيا ماهذا الجبل الاحمر قالوا
هذا كنز الله في الارض فكل ذهب يظهر في الارض من هذا الجبل الاحمر وكل ماء في الدنيا من
ماء عذب أو ملح انما هو هذين البحرين وماؤهما انما يجيء من تحت العرش من قبل أن يخلق الله
الملائكة والجبل الابيض من فضة وهو كنز الله وكل فضة في الدنيا ومعدن من فضة فمن عروق هذا
الجبل ثم سلم بلوقيا ومضى حتى انتهى الى بحر عظيم فاذا هو بحيتان كثيرة عظيمة قد اجتمعت وحوت
عظيم يقضي بين الحيتان فلما نظر الى بلوقيا قال لا اله الا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
فسلم عليه بلوقيا ثم قال له من أنت فأخبره بحاله وانه خرج يطلب النبي صلى الله عليه وسلم فرد عليه
السلام ثم قال له يا بلوقيا ان لقيت محمدا فاقرئه مني السلام فقال بلوقيا نعم ان شاء الله تعالى ثم أنه قال
أيتها الحيتان اني جائع عطشان وماء هذا البحر مالح وما اجد ما آكل وما أشرب قال فقال الحوت
الاعظم يا بلوقيا سأطعمك طعاما اذا اكلته تسير أربعين سنة لا تعيا ولا تنام ولا تجوع ولا تعطش
فأطعمه ذلك الحوت قرصا ابيض فأكله ومضى حتى بلغ العمران ومن قبل أن يبلغه رأى شابا يجري
على الماء كأنه البدر فقال له بلوقيا من أنت فقال سل الذي خلفي فسار بلوقيا يوما وليلة فاذا هو بآخر
يمر على الماء ضوؤه كضوء القمر فقال له بلوقيا من أنت قال سل الذي خلفي فسار بلوقيا يوما وليلة
فاذا هو بثالث كأنه القمر يلوح في آخر الشمس فقال له بلوقيا أنشدك الله الا ما وقفت علي فوقف
وقال لبلوقيا ماذا تستحلفني قال خشيت أن تفوتني كما صدر من اصحابك الماضين ثم قال له من
كان الاول قال اسرافيل صاحب الصور والثاني ميكائيل صاحب المطر وأرزاق العباد والثالث جبريل
أمين الله تعالى فقال له بلوقيا فماذا تصنعون في هذا اليم قال حية من حيات البحر قد آذت سكانه
فدعوا عليها فاستجاب الله دعاءهم وانا أمرنا ان نسوقها الى جهنم ليعذب الله بها الكفار يوم
القيامة قال بلوقيا كم طولها وكم عرضها قال طولها مسيرة ثلاثين سنة وعرضها مسيرة عشرين سنة
فقال بلوقيا أيكون في جهنم مثل هذه الحية أو اكبر منها قال نعم ان في جهنم من الحيات ماتدخل هذه
الحية في أنف احداهن ولا تشعر بها وتخرج من فيها ولا تشعر بها من عظم خلقها قال فسلم بلوقيا ومضى الى
جزيرة اخرى فاذا هو بغلام أبيض أمرد بين قبرين فسلم عليه بلوقيا وقال يا شاب من أنت وما اسمك
قال اسمي صالح قال فما هذان القبران قال أحدهما قبر أبي والآخر قبر أمي وكانا صالحين فماتا ههنا وانا عند
قبرهما حتى اموت فسلم عليه بلوقيا ومضى حتى انتهى الى جزيرة فاذا هو بشجرة عظيمة عليها طائر
واقف رأسه من ذهب وعيناه من ياقوت ومنقاره من لؤلؤ ويداه من زعفران وقوائمه من زمرد واذا
مائدة موضوعة تحت الشجرة وعليها طعام وحوت مشوي فسلم عليه بلوقيا فرد الطائر عليه السلام

فقال

مضى السجان الى الرجل
فسمعه قائما يصلي ويقرأ
ويدعوا الله عز وجل
فعجب السجان من ذلك
فلما طلع النهار أتى السجان
الى الرجل فلم يجده ورأى
البيت على حاله والحديد
ملقى على الارض قال
فخاف السجان على نفسه
من ذلك فتوجه الى عياله
واولاده وودعهم واخذ
كفنا ومضى به الى الحجاج
وهو مصفر اللون موقن
بالموت فلما وقف بين يدي
الحجاج قال مابالك بهذه
الحالة فقص عليه القصة
فقال الحجاج علي بالحداد
فحضر بين يديه فقال ما
صنعت بالرجل بالامس
فقال صنعت به كذا وكذا
فقال الحجاج ما كان يقول
عند ذلك فقال السجان
سمعته يقول عند وضع
القيد في رجليه حسبي الله
لا اله الا هو عليه توكلت
وهو رب العرش العظيم
فقال الحجاج نعم ان الذي
احاسب به هو الذي
خلصه انه على كل شيء
قدير (وحكى عن هرون
الرشيد رضي الله تعالى عنه)
أنه رأى رجلا من أهل
الخير فسمعه يامر بمعروف
وينهى عن منكر فشق
ذلك على هرون الرشيد
فاحضر الرجل بين يديه
فلما حضر امر ان يجعل

فقال له بلوقيا من أنت أيها الطائر قال أنا من طيور الجنة وان الله تعالى قد بعثني الى آدم بهذه المائدة لما اهبط من الجنة وانى كنت معه حين لقى حواء وأباح الله له الاكل وأنا ههنا من لدن ذلك الوقت فكل غريب وعابر سبيل من عباد الله الصالحين يمر بها يأكل منها وأنا امين الله عليها الى يوم القيامة فقال بلوقيا ولا تتغير ولا تنقص فقال طعام الجنة لا يتغير ولا ينقص قال بلوقيا أفآكل منها قال كل فأكل حاجته ثم قال له أيها الطائر وهل معك أحد فقال معى أبو العباس يأتيني أحيانا قال ومن أبو العباس قال الخضر عليه السلام فلما ذكر الخضر اذا به قد أقبل وعليه ثياب بيض فما خطا خطوة الا نبت الحشيش تحت قدميه قال فسلم على بلوقيا وسأله عن حاله فقال بلوقيا طالت غيبتي وأريد الرجوع الى أمي فقال الخضر بينك وبين أمك مسيرة خمسمائة عام وأنا أردك اليها في مسيرة خمسمائة شهر فقال الطائر ان كان بينك وبينها مسيرة خمسمائة سنة فأنا أردك اليها في مسيرة خمسمائة يوم فقال الخضر عليه السلام فأنا أردك اليها في ساعة واحدة ثم قال غمض عينيك فغمضهما ثم قال له افتح عينيك ففتحهما فاذا هو جالس عند أمه فقال لها من جاء بي اليك قالت طير ابيض بطير لك بين السماء والارض فوضعك قدامي ثم ان بلوقيا حدث بني اسرائيل بما رأى من العجائب والاخبار فأثبتوها وكتبوها الى يومنا هذا فهذا ما كان من حديث بلوقيا وما رأى من العجائب في البحر والبر سهلا وجبلا والله أعلم

﴿ مجلس في ذكر قصة ذى القرنين عليه السلام ﴾

قال الله تعالى ويسألونك عن ذى القرنين قل سأتلو عليكم منه ذكرا

﴿ باب في نسبه ولقبه ﴾

قال أكثر أهل السير هو الاسكندر بن فيليفش بن بطريوس بن هرمس بن هردوس بن منطون بن رومى بن لطين بن يونان بن يافث ويقال نسبه ينتهى الى العيص بن اسحق بن ابراهيم خليل الرحمن عليه السلام وزعم بعض القدماء أن الاسكندر هو أخو دارا ابن دارا وذلك أن دارا الاكبر بن بهمن بن اسفنديار بن بستاسف كان تزوج أم الاسكندر وكانت بنت ملك الروم وكان اسمها هلانه وأنها حملت الى زوجها دارا الاكبر فوجد منها رائحة كريهة فأمر أن يحتال في زوال ذلك منها فاجتمع رأى أهل المعرفة في مداواتها على شجرة يقال لها سندروس فطبخت لها وغسلت بمائها فاذهب ذلك كثيرا من نتنها ومن عرقها ولم يذهب ذلك كله فانتهت نفسه عنها بنية نتنها وعافها فردها على أهلها وقد علقت منه فولدت له في أهلها غلاما فسمته باسمه واسم الشجرة التي غسلت بمائها سكندروس فهذا أصل اسمه ثم خففت فقيل اسكندر وكنى بذى القرنين * واختلفوا في سبب تسميته بذلك فقال بعضهم سمى بذلك لانه ملك الروم وفارس وقيل لانه كان في مقدم رأسه شبه القرنين من لحم وقيل لانه رأى في المنام كأنه أخذ بقرني الشمس وكان تأويل رؤياه أنه طاف المشرق والمغرب وقيل لانه دعا قومه الى التوحيد فضربوه على قرنه الايمن ثم دعاهم الى التوحيد فضربوه على قرنه الايسر وقيل لانه كان له ذؤابتان حسنتان والذؤابة تسمى قرنا وقيل لانه كان كريم الطرفين من اهل بيت شرف من قبل ابيه وأمه وقيل لانه كان انقرض في وقته قرنان من الناس وهو حى وقيل لانه كان اذا حارب قاتل بيديه وركابه جميعا وقيل لانه أعطى علم الظاهر والباطن وقيل لانه دخل النور والظلمة والله أعلم

﴿ باب في قصة ذكر بدء أمره وسبب استكمال ملكه ﴾

قال الله تعالى انا مكنا له في الارض وآتيناه من كل شيء سببا فأتبع سببا وقال قوم كان فيلبش اليوناني أبو الاسكندر ملك اليونانيين فلما مات ملك بعده الاسكندر وقال آخرون ان الاسكندر أخو دارا الاصغر وكان أبو هلانة جد الاسكندر لامه ملكا من ملوك الروم فلما مات صار الملك لابن بنته الاسكندر وكانت ملوك الروم تؤدون الاتاوة جميعا الى ملوك الفرس وكانت الاتاوة التي كان أبو الاسكندر يؤديها الى ملوك

له بيت ويسد عليه بابه ومنافذه حتى يموت فيه قال ففعلوا ذلك معه فلما كان بعد خمسة ايام قال بعض جلساء هرون الرشيد يامولاى انى رايت الرجل الذي امرت بسد البيت عليه وهو يتبختر في بستان الفلاني فقال الرشيد على به فاحضروه بين يديه فلما رآه الرشيد قال له من اخرجك من البيت قال الذى ادخلني البستان قال ومن ادخلك البستان قال الذى اخرجني من البيت قال فضحك الرشيد وقال هذا عجيب قال الرجل واى امر ربك ليس بعجيب قال فبكى الرشيد وامر له بالاحسان واركبه فرسا من خواص خيله وامر مناديا ينادي بين يديه ويقول هذا عبد اعزه مولاه فأراد هرون اهانته فلم يقدر ثم زاد في احسانه واكرامه واحترامه وهذا من بعض مناقبهم نفعنا الله بهم آمين (وحكى عن الشيخ شاه ابن الشجاع الكرماني رضي الله تعالى عنه) انه كان له بنت تقرأ القرآن وتصوم النهار وتقوم الليل وكانت بديعة الحسن والجمال فسمع بها ملك كرمان فأتى اباها ليخطبها منه فاستمهله

الفرس بيضة من ذهب فلما ملك الاسكندر وكان رجلا ذا عزيمة وقوة وملك غزا ملوك الروم فقهرهم واستجمع له ملك الروم ثم غزا بعض ملوك العرب فظفر بهم فآنس بذلك من نفسه القوة فاستعصى على دارا الاصغر ملك فارس فامتنع من حمل ما كان أبوه يحمله اليه من الخراج والاتاوة عن نفسه وعن ملك الروم فكتب اليه دارا بن دارا بقصة الخراج والاتاوة عن نفسه وعن ملك الروم فاجابه الاسكندر انى قد ذبحت تلك الدجاجة التى كانت تبيض ذلك البيض وأكلت لحمها فلما وصل اليه الكتاب بذلك سخط عليه وكتب اليه يؤنبه بسوء صنيعه في امتناعه عن حمل الخراج اليه وبعث اليه بصولجان وكرة وقفيزي سمسم وأعلمه فيما كتب به اليه أنك صبي وأنه ينبغي لك أن تلعب بالصولجان والكرة التى بعثت بهما اليك ولا تتقلد الملك ولا تتلبس به ولا تستعصي والا بعثت اليك من يأتيني بك في وثاق ولو كانت جنودك بعدد حب السمسم الذي بعثت به اليك فبعث اليه الاسكندر فى جواب ذلك أنى قد فهمت ما كتبت وقد نظرت ما ذكرت فى كتابك من ارسال الصولجان والكرة وضممت الكرة الى الصولجان وشبهت الكرة بارضك وأنى محتو على ملكك وأضيفه الى ملكى وأضيف بلادك الى بلادى وانى نظرت الى السمسم الذى بعثته الى كنظرى الى الصولجان والكرة وبعث الى دارا مع كتابه صرة من خردل وأعلمه فى الجواب انما بعثت اليك بذلك لان جنودى مثل ذلك فلما وصل الى دارا بن دارا جواب الاسكندر جمع جنوده وتأهب لمحاربة الاسكندر وأن الاسكندر أيضا تأهب للقائه ونادى في عسكره بالرحيل وسار نحو بلاد دارا فالتقيا بناحية خراسان مما يلى الخزر واقتتلا أشد القتال وصارت الدائرة على جند دارا فعرض له فارسان من قرابته وأهل بيته وثقته وقيل ان أحدهما كان صنيعته فطعناه فارديناه عن مركبه وأرادا بطعنهما اياه الحظوة عند الاسكندر والوسيلة اليه وان الاسكندر نادى أن يؤخذ دارا أسيرا ولا يقتل فاخبر بشان دارا فاسرع حتى وقف عليه فرآه يجود بنفسه فنزل اليه وجلس عند رأسه وأخبره أنه لم يهم قط بقتله وان الذي أصابه لم يكن قط برأيه وانما غدر به ثقاته ثم قال سلني عما بدا لك فاسعفك به فقال له دارا ان لى اليك حاجتين احداهما أن تنتقم لى من الرجلين اللذين فتكا بى وسماهما وبلادهما والثانية أن تتزوج ابنتى روشنك فاجابه الى الحاجتين وأمر بصلب الرجلين وأن ينادى عليهما هذا جزاء من اجترأ على ملكه وغش أهل بلده وتزوج ابنته روشنك وكان ملك دارا أربع عشرة سنة فلما قتل اجتمع ملك الروم وكان قبل الاسكندر متفرقا وتفرق ملك فارس وكان قبل الاسكندر مجتمعا

﴿ باب في ذكر الحوادث التى كانت في أيام ذى القرنين بعد قتل دارا ووصف مسيره الى البلاد والآفاق ﴾

قالت العلماء باخبار القدماء لما قتل الاسكندر دارا ملك البلاد ودانت له العباد فهدم ما كان فى بلاد الفرس من بيوت النيران وما كان بارض الهند من بيوت الاوثان وقتل الموابذة وأحرق كتبهم ودعا الناس الى الاسلام والتوحيد (قال المرتضى) فى سبب احراق كتبهم ان المجوس جعلوا حروف كتبهم من الذهب المضروب بمسامير الذهب على جلود الثيران فبلغ عددها اثني عشر ألفا فاحرقوها لحصول ذلك الذهب وبني اثنتى عشرة مدينة منها ثلاث مدائن بخراسان هراه ومرو وسمرقند ومدينة بارض أصفهان بنيت على مثال الجنة ومدينة بارض اليونان يقال لها هيلاقوس ومدينة بارض بابل لزوجته روشنك بنت دارا ومدينة الاسكندرية ثم انه رأى فى منامه أنه أخذ بقرنى الشمس ورأى فى منامه أنه يسير الى آفاق الارض شرقا وغربا (واختلف) العلماء فى نبوته فروي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لا أدرى أكان ذو القرنين نبيا أم لا فلو صح الحديث لكان الخوض في هذه المسألة تكلفا ثم اختلفوا بعد فيه فقال قوم لم يكن نبيا وانما كان عبدا صالحا وملكا عادلا فاضلا وقال آخرون بل كان نبيا غير مرسل والصحيح ان شاء الله أنه كان نبيا غير مرسل لما

الشيخ ثلاثة ايام ثم اقبل والده يطوف المساجد لينظر رجلا فقيرا يزوجه بها فبينما هو كذلك اذ رأى غلاما حسن الوجه يصلى ويحسن الصلاة فلما فرغ من صلاته قال له يا غلام هل لك فى زوجة تقرأ القرآن وتصوم النهار وتقوم الليل وهى جميلة نظيفة فقال الغلام ومن يزوجني بها ياسيدى فقال انا ازوجك بها فخذ بدرهم خبزا وبدرهم أدما وبدرهم طيبا والامر مفروغ منه ثم عقد له عليها ورجع الى بيته وأخبرها بذلك فلما دخلت الى بيت الغلام رأت فيه رغيفا يابسا على رأس جرة ماء فلما رأته قالت ما هذا فقال لها الغلام هذا رغيف تركته من أمس لنفطر عليه فلما سمعت ذلك ولت راجعة فقال لها الشاب قد علمت ان بنت شاه الكرمانى لا تفرح بفقري ولا ترضي ان أكون لها بعلا فقالت ان بنت شاه ليس خروجها من منزلك لفقرك بل لضعف يقينك ولست اعجب منك وانما العجب من والدي حين قال لى قد زوجتك بشاب عفيف فكيف يوصف بالعفة من لا يعتمد على الله سبحانه وتعالى الا مع ادخاره رغيفا قال فلما سمع

روى وهب وغيره من أهل الكتب قالوا كان ذو القرنين رجلا من الروم ابن عجوز من عجائزهم ليس لها ولد غيره وكان اسمه الاسكندر ويقال كان اسمه عياشا وكان عبدا صالحا فلما استحكم ملكه واجتمع أمره أوحى الله تعالى اليه ياذا القرنين انى قد بعثتك الي جميع الخلائق مابين الخافقين وجعلتك حجتي عليهم وهذا تاويل رؤياك واني باعثك الى أمم الارض كلهم وهم سبع أمم مختلفة ألسنتهم منهم أمتان بينهما عرض الارض وأمتان بينهما طول الارض وثلاث أمم في وسط الارض وهم الانس والجن و ياجوج وماجوج فاما الامتان اللتان بينهما طول الارض فامة عند مغرب الشمس يقال لها ناسك وأمة أخرى بحيالها يقال لها منسك وهي عند مطلع الشمس وأما الامتان اللتان بينهما عرض الارض فأمة في قطر الارض الايمن يقال لها هاويل والاخرى بحيالها في قطر الارض الايسر يقال لها تاويل فلما قال الله تعالى له ذلك قال ذو القرنين الهي انك قد ندبتني الى أمر عظيم لا يقدر عليه الا أنت فاخبرني عن هذه الامم التي بعثتني اليها باى قوة أكابرهم وباى جمع وحيلة أكاثرهم وباي صبر أقاسيهم وباى لسان أناطقهم وكيف لي بان أفقه لغاتهم وباى سمع أسمع أقوالهم وباى بصر أنقدهم وباي حجة أخاصمهم وباى عقل أعقل عنهم وباى قلب وحكمة أدبر أمرهم وباى قسط أعدل بينهم وباى حلم أصابرهم وباى معرفة أفصل بينهم وباى علم أتقن أمورهم وباي يد أسطو عليهم وباى رجل أطؤهم وباى طاقة أحصيهم وباى جند أقاتلهم وباى رفق أتألفهم وليس عندي يا الهي شيء مما ذكرت يقوم لهم ويقويني عليهم وأنت الرؤف الرحيم لا تكلف نفسا الا وسعها ولا تحملها فوق طاقتها ولا تشقيها بل أنت ترحمها فقال الله تعالى ساطوقك ما حملتك وأشرح لك سمعك وصدرك فتسمع وتعى كل شيء وأشرح لك فهمك فتفقه كل شيء وأبسط لك لسانك فتنطق بكل شيء وأفتح لك بصرك فتنقد كل شيء وأحصى لك قوتك فلا يفوتك شيء وأشد لك عضدك فلا يهولك شيء وأشد لك ركنك فلا يغلبك شيء وأشد لك قلبك فلا يفزعك شيء وأشد لك يديك فتسطو على كل شيء وأشد لك وطأتك فتهلك كل شيء وألبسك الهيبة فلا يروعنك شيء وأسخر لك النور والظلمة وأجعلهما جندا من جنودك يهديك النور أمامك وتحوطك الظلمة من ورائك فلما قيل له ذلك حدثته نفسه بالمسير وألح عليه قومه بالمقام فلم يفعل وقال لابد من طاعة الله تعالى ثم أمرهم ان يبنوا له مسجدا وأن يجعلوا طول المسجد أربعمائة ذراع وعرضه مائتى ذراع وعرض أساس حائطه أربعة وعشرين ذراعا وطوله في السماء مائة ذراع وأمرهم أن ينصبوا فيه سوارى قالوا كيف نصنع قال اذا فرغتم من شأن الحيطان فاكبسوها بالتراب حتى يستوى الكبس مع حائط المسجد فاذا فرغتم فرضتم من الذهب على الموسر قدره وعلى المقتر قدره وقطعتموه مثل قلامة الظفر ثم خلطتموه بذلك الكبس وجعلتم خشبا من نحاس ووتدا من نحاس وصفائح من نحاس تذيبون ذلك وأنتم ممكنون من العمل كيف شئتم على أرض مستوية وجعلتم طول كل خشبة مائة ذراع وأربعة وعشرين ذراعا ومائتي ذراع فيما بين الحيطان لكل حائط اثنا عشر ذراعا ثم تدعون المساكين لنقل التراب فيسارعون اليه لما فيه من الذهب والفضة فمن حمل شيا فهوله ففعلوا ذلك فأخرج المساكين ذلك التراب واستقر السقف عليه واستغني المساكين فكان جندهم أربعين ألفا فجعلهم أربعة أجناد في كل جند عشرة آلاف ثم عرض جنده فوجدهم فيما قيل ألف ألف وأربعمائة ألف منهم من جنده ثمانمائة ألف ومن جند دارا ستمائة ألف ثم من المساكين اربعون ألفا ثم انطلق يؤم الامة التي عند مغرب الشمس فذلك قوله تعالى حتي اذا بلغ مغرب الشمس وجدها تغرب في عين حمئة أى ذات حمأ ومن قرأ حامية بالف من غير همز فمعناه حارة (أخبرنا) عبد الله بن حامد الاصفهاني باسناده عن ابن عباس قال أقرأنيها أبي بن كعب كما أقرأه رسول الله صلى الله عليه وسلم في عين حمئة وقال ابن عباس كنت جالسا عند معاوية اذ قرأ هذه الآية وجدها تغرب في عين حامية فقلت ما نقرؤها الا حمئة فقال معاوية لعبد الله بن عمر كيف تقرؤها قال أقرؤها كما قرأها أمير

الشاب كلامها قال انا عن ذلك معتذر والعفو عن ذلك اولى فقالت تصدق به على مستحقه فانى لا اقيم في بيت فيه معلوم فاما ان تتصدق به واما ان اخرج الآمن البيت قال فتصدق الغلام به فدخلت الى البيت (قلت) هذا التزويج صدر من الشيخ العارف بالله تعالى شاه بن الشجاع المذكور بعد مازهد في الدنيا وترك الملك ودخل في طريق القوم رضى الله عنهم وقد تقدمت حكايته في هذا المجموع رضي الله تعالى عنه ونفعنا ببركاته في الدنيا والآخرة آمين (شعر)

فلو كان النساء كمن ذكرنا
لفضلت النساء على الرجال
فما التأنيث لاسم الشمس عيب
ولا التذكير فخر للهلال

(وحكي عن سهل بن عبد الله التستري رضى الله عنه) انه قال أول مارايت من العجائب والكرامات انى خرجت يوما من الايام الى موضع خالى ظاهر البلد التي كنت قاطنا بها فطاب لى المقام فيه ووجدت قلبي قريبا من الله عز وجل فحضرت الصلاة فاردت الوضوء وكانت عادتي في صباى تجديد الوضوء لكل

المؤمنين قال ابن عباس فاطلت الجدال بمهما فارسل معاوية الى كعب فجاءه فقال له أين تجد الشمس تغرب في التوراة يا كعب قال أما العربية فانتم أعلم بها مني وأما الشمس فاني أجدها في التوراة تغرب في ماء وطين وأنشدك ما تزداد به تبصرا وهو قول تبع

قد كان ذو القرنين قبلي مسلما * ملكا تدين له الملوك وتسجد
بلغ المشارق والمغارب يبتغي * أسباب أمر من حكيم مرشد
فرأي مغيب الشمس عند غروبها * في عين ذي خلب وثاط حرمد

فقال معاوية ما الخلب يا كعب فقال الطين بكلامهم قال فما الثاط قلت الحماة قال وما الحرمد قلت الاسود فدعا رجلا فقال اكتب ما يقول * فلما بلغ مغرب الشمس وجد عندها جمعا وعددا لا يحصيه الا الله تعالى وقوة وبأسا لا يطيقه الا الله ورأي ألسنة مختلفة وأهواء متشبهة فذلك قوله تعالى وجد عندها قوما يعني ناسا فلما رأي ذلك كاثرهم بالظلمة فضرب حولهم ثلاث عساكر منها فاحاط بهم من كل مكان حتى جمعهم في مكان واحد ثم أخذ عليهم بالنور ودعاهم الي الله تعالى والى عبادته فمنهم من آمن به ومنهم من صد عنه فعمد الى الذين تولوا عنه فادخل عليهم الظلمة فدخلت في أفواههم وأنوفهم وآذانهم وأجوافهم ودخلت في بيوتهم ودورهم وغشيتهم من فوقهم ومن تحتهم ومن كل جانب فلما خوفوا صاحوا وتحيروا فلما أشفقوا أن يهلكوا فيها ضجوا بصوت واحد فكشفها عنهم وأخذهم عنوة فدخلوا في دعوته فجاء من أهل المغرب أمم عظيمة فجعلهم جندا واحدا ثم انطلق بهم يقودهم والظلمة تسوقهم من خلفهم وتحرسهم والنور أمامه يقوده ويدله وهو يسير في ناحية الارض اليمني وهو يريد الامة التي في قطر الارض اليمين التي يقال لها هاويل وسخر الله قلبه ويده ورأيه وعقله ونظره فلا يخطىء اذا عمل عملا فانطلق يقود تلك الامم وهي تتبعه حتى اذا انتهى الى بحر أو مخاضة هيأ سفنا من ألواح صغار مثل النعال فيحملها في ساعة ثم يحمل فيها جميع ما معه من تلك الامم وتلك الجنود واذا بلغ البحار والانهار فتقها ثم يدفع الى كل رجل منهم لوحا فلا يكترث بحمله فلم يزل ذلك دأبه حتى انتهى الى هاويل فعمل فيها كفعله في ناسك فلما فرغ منها مضي على وجهه في ناحية الارض اليمنى حتى انتهي الى منسك عند طلوع الشمس فوجدها تطلع على قوم فعمل فيها وجند فيها جنودا كفعله في الامتين اللتين قبلها ثم كر مقبلا حتي أتى ناحية الارض اليسري وهو يريد تاويل وهي الامة التي بحيال هاويل وهما متقابلتان بينهما عرض الارض كله فلما بلغها عمل فيها وجند جنودا كفعله فيما قبلها فذلك قوله تعالى حتي اذا بلغ مطلع الشمس وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها سترا وذلك أنهم كانوا في مكان لا يستقر عليه بناء وكانوا يكنون في أسراب لهم حتى اذا زالت الشمس خرجوا الى معايشهم وحروثهم (وقال الحسن) كانت أرضهم أرضا لا تحتمل البناء وكانوا اذا طلعت الشمس عليهم دخلوا الماء فاذا ارتفعت عنهم خرجوا فرعوا كما ترعى البهائم وقال ابن جريج جاءهم مرة جيش لتتفرج على طلوع الشمس فنهاه أهلها فقالوا ما نبرح حتى تطلع الشمس فتراها ثم أنهم قالوا ما هذه العظام فقالوا هذه جيف قوم طلعت عليهم الشمس ههنا فماتوا قال فذهبوا هاربين في الارض وقال الكلبي هم أمة يقال لها منسك حفاة عراة عماة عن الحق قال وحدثنا عمرو بن مالك بن امية قال وجدت رجلا بسمرقند يحدث الناس وهم حوله مستمعون له يجتمعون فسألت بعض من سمع حديثه فاخبرني انه حدثهم عن القوم الذين تطلع عليهم الشمس قال خرجت حتي جاوزت الصين ثم سألت عنهم فقيل لي ان بينك وبينهم يوما وليلة فاستأجرت رجلا ثم سرت بقية يومي وليلتي حتي صبحتهم فاذا احدهم يفرش اذنه ويلتحف الاخري وكان صاحبي يحسن لسانهم فسألهم فقالوا له اذا تنظر كيف تطلع الشمس قال فبينما نحن كذلك اذ سمعنا كهيئة الصلصلة فغشى على فوقعت فلما أفقت قمت وهم يمسحون على بالدهن فلما طلعت

صلاة فاغتممت لفقد الماء غما شديدا وصرت متحيرا فبينما انا كذلك اذ رأيت شيأ قائما يمشي على رجليه فتوهمت انه آدمي فلما قرب مني اذا هو دب عظيم ومعه جرة ماء قد امسكها بيده فلما دنا مني وضع الجرة بين يدي فتعجبت في نفسي عجبا شديدا وقلت من أين هذه الجرة وهذا الماء قال فنطق الدب وسلم على وقال ياسهل نحن قوم من الوحوش قد انقطعنا الى الله تعالى بعزم المحبة والتوكل على الله تعالى فبينما نحن نتكلم مع اصحابنا في مسئلة اذ نودينا الا ان سهلا يريد ماء لتجديد وضوءه فقمت من عند اصحابي ووضعت هذه الجرة بين يدى وكانت فارغة واذا بملكين قريبين مني فدنوت منهما فصبا فيها الماء من الهواء وانا اسمع خرير الماء في الجرة قال سهل رضى الله عنه فلما سمعت ذلك غشى على فلما افقت اذا بالجرة موضوعة ولم ادر اين ذهب الدب قال سهل فتوضأت وصليت فلما فرغت من الصلاة اردت ان اشرب من الماء فسمعت قائلا من الوادي يقول ياسهل لم يؤذن لك في شرب هذا

الشمس على الماء اذاهى على الماء كهيئة الزيت واذا طرف السماء كهيئة الفسطاط فلما ارتفعت ادخلونى سربالهم أنا وصاحبي فلما ارتفع النهار خرجوا الى البحر فجعلوا يصطادون السمك و يطرحونه في الشمس فينضج والله أعلم

﴿ باب فى صفة سد ذى القرنين وما يتعلق به ﴾

قال الله تعالى حتى اذا بلغ بين السدين وجد من دونهما قوما لا يكادون يفقهون قولا قالت العلماء باخبار القدماء لما فرغ ذو القرنين من امر الامم الذين هم فى اطراف الارض وطاف المشرق والمغرب عطف منها على الامم التى في وسط الارض من الجن والانس ويأجوج ومأجوج فلما كان فى بعض الطريق مما يلى منقطع الترك نحو المشرق قالت له أمة صالحة من الانس ياذا القرنين ان بين هذين الجبلين خلقا من خلق الله ليس فيهم مشابهة من الانس وهم اشباه البهائم يأكلون العشب و يفترسون الدواب والوحوش كما تفترسها السباع و يأكلون حشرات الارض كلها من الحيات والعقارب وكل ذي روح مما خلق الله فى الارض وليس لله خلق ينمون نماءهم ولا يزدادون كزيادتهم فان أنت اطلعت على من ينموا من نمائهم وزيادتهم فلا تشك أنهم سيملؤن الارض ويخرجون اهلها منها ويظهرون عليها و يفسدون فيها وليست تمر بنا سنة منذ جاورناهم الا ونحن نتوقع ان يطلع علينا اولهم من بين هذين الجبلين فهل نجعل لك خرجا اى جعلا واجرا على ان تجعل بيننا و بينهم سدا حاجزا فلا يصلون الينا فقال لهم ذو القرنين ما مكنى فيه ربى اى قوانى عليه خير من خراجكم فاعينونى بقوة اجعل بينكم و بينهم ردما حاجزا كالحائط قالوا وما تلك القوة قال فعلة وصناع يحسنون البناء والعمل والآلة قالوا وما تلك الآلة قال آتونى زبر الحديد أى قطعه واحدتها زبرة وآتونى النحاس فقالوا من اين لنا من الحديد والنحاس ما يسع هذا العمل قال سادلكم على معادنهما قالوا فباى قوة نقطع الحديد والنحاس فاستخرج لهم معدنا آخر يقال له الساهون وهو اشد ما خلق الله في الارض بياضا وهو الذى قطع به سليمان اساطين بيت المقدس وصخوره وجواهره ثم انه قاس ما بين الجبلين ثم اوقد على ما جمع من الحديد والنحاس النار وصنع منهاز برا مثل الصخور العظام ثم اذاب النحاس فجعله كالطين والملاط لتلك الصخور التي هى من الحديد ثم بنى وكيفية بنائه على ما ذكر أهل السير انه لما قاس ما بين الجبلين وجد ما بينهما مائة فرسخ فلما انشا في عمله حفر له الاساس حتى بلغ الماء ثم جعل عرضه خمسين فرسخا ثم وضع الحطب بين الجبلين ثم نسج عليه الحديد ثم نسج الحطب على الحديد فلم يزل يجعل الحطب على الحديد والحديد على الحطب حتى ساوى بين الصدفين وهما الجبلان ثم امر بالنار فارسلت فيها قال انفخوا حتى جعل يفرغ القطر فيه وهو النحاس المذاب فجعلت النار تاكل الحطب ويسير النحاس مكان الحطب حتى لزم الحديد النحاس المذاب فصار كانه برد حبرة من صفرة النحاس وحمرته وسواد الحديد وغبرته فصار سدا له تباطو يلا عظيما حصينا قال تعالى فما اسطاعوا ان يظهروه أي يعلوه وما استطاعوا

(قال قتادة) ذكر لنا ان رجلا قال يانبي الله قد ارايت سد ياجوج وماجوج قال انعته لى قال كالبرد المحبر طريقة سوداء وطريقة حمراء فقال له قد رأيته و يقال ان موضع السد وراء زخرد بقرب مشرق الارض بينه و بين الخزر مسيرة اثنين وسبعين يوما وذكر ان الواثق بالله أمير المؤمنين رأى في المنام ان السد مفتوح فوجه سلاما الترجمان فى خمسين رجلا وأعطاه خمسة آلاف دينار وأعطى كل رجل من الخمسين خمسين الف درهم وورق سنة واعطاه مائتى بغلة تحمل الزاد والماء وخرج من سر من رأى بكتاب الواثق بالله الى اسحق بن اسماعيل صاحب أرمينية وكان بتفليس وكتب له اسحق الى صاحب السرير وكتب له صاحب السرير الى ملك اللان وكتب له ملك اللان الى الاز الى طاجند

الماء فتركتها فاذا هي تطرب وانا أنظر اليها متعجبا ولم ادر أين ذهبت تلك الجرة عفا الله عنهم ونفعنا بركاتهم آمين (وحكى عنه ايضا رضى الله تعالى عنه) أنه قال توضأت فى يوم جمعة ومضيت الى الجامع وكان ذلك في أيام البداية فوجدت الجامع قد امتلا بالناس وهم الخطيب ان يرقى المنبر فاساأت الادب ولم ازل اتخطى رقاب الناس حتى وصلت الى الصف الاول ثم جلست فاذا عن يمينى شاب حسن المنظر كانه من الملوك وعليه أطمار من صوف فلما نظر الى قال كيف ترى حالك ياسهل فقلت بخير اصلحك الله فصرت متحيرا فى معرفته لى ولم اعرفه فبينما أنا كذلك اذ اخذنى حرق بول فازعجنى ذلك وصرت متحيرا فى امري فان قمت تخطيت رقاب الناس ثانيا وان جلست لم اتمكن من الصلاة قال سهل فالتفت الى الشاب وقال ياسهل اخذك حرق بول قلت نعم ياسيدى قال فنزع رداءه عن منكبه وغطانى به وقال قم اقض حاجتك واسرع لتدرك الصلاة قال فنظرت فاذا بباب مفتوح وقائل

في بلاد شاه ملك الخزر فاقام عنده حتي اخذ معه خمسين رجلا أدلاء فساراخمسة وعشرين يوما حتى انتهوا الى ارض سوداء منتنة الريح وكانوا قد حملوا معهم شيئا يشمونه من الرائحة الزكية فساروا تسعة وعشرين يوما ثم سألوا عن تلك المدن فقالوا قد ظهر فيها يأجوج ومأجوج فخربوها ثم ساروا الى حصون بالقرب من الجبل يتكلمون بالعربية والفارسية يقرؤن القرآن ولهم مكاتب ومساجد فقالوا لنا من هؤلاء القوم قلنا رسل أمير المؤمنين فقالوا ومن هو أمير المؤمنين قلنا من أولاد العباس ملك بالعراق فتعجبوا منه وقالوا شيخ أو شاب وزعموا أنهم لم يبلغهم خبره ثم فارقوهم وساروا الى جبل أملس ليس عليه خضرة واذا جبل مقطوع بواد عرضه مائة وخمسون ذراعا وعضادتاه مبنيتان مقابلتا الجبل عرض كل عضادة خمسة وعشرون ذراعا مبنية بلبن من حديد مركبة في نحاس في سمك خمسين ذراعا واذا وتد من حديد طرفاه على عضادتين طوله مائة وعشرون ذراعا قد ركب على العضادتين على كل واحدة مقدار عشرة أذرع في عرض خمسة أذرع فوق ذلك اللبن الحديد المغيب في النحاس الى رأس الجبل وارتفاعه مد البصر وفوق ذلك شرف من حديد في طرف كل شرافة قرنان مبنى بعضهما الى بعض منظومة كل واحدة في صاحبتها فاذا باب له مصراعان منصوبان من حديد عرض كل باب خمسون ذراعا في ارتفاع خمسين ذراعا قائمتان هما في دورهما على قدر الدر بندو على الباب قفل طوله سبعة أذرع في غلظ ذراع وارتفاع القفل من الارض خمسة وخمسون ذراعا وفوق القفل مقدار خمسة اذرع غلق وعلى الغلق مفتاح طوله ذراع ونصف معلق في سلسلة طولها ثمانية أذرع في استدارة أربعة أشبار والحلقة التي في السلسلة مثل حلقة المنجنيق وعرض عتبة الباب عشرة أذرع في طول مائة ذراع سوى ما في العضادتين والظاهر منها خمسة أذرع وهذا كله بذراع السواد ورئيس تلك الحصون يركب كل جمعة في عشر فوارس مع كل فارس مرزبة من حديد وزن كل واحدة خمسون منا فيضرب القفل بالمرزبات كل يوم ثلاث ضربات ليسمع من وراء الباب الصوت فيعلموا ان هناك حفظة ويعلم هؤلاء ان اولئك لم يحدثوا في الباب حدثا فاذا ضربوا أصغوا اليه بآذانهم فيسمعون من داخل دويا وبالقرب من هذا الجبل حصن كبير عظيم عشرة فراسخ في مسيرة مائة فرسخ لأنها عشرة في عشرة ومع الباب حصنان طول كل واحد منهما مائتا ذراع في مائتي ذراع وعلى باب هذين الحصنين صخرتان وبين الحصنين ماء عين عذب في احد الحصنين آلة البناء التي بنى بها السد من قدور الحديد ومغارف من حديد وهناك بعض اللبن من الحديد قد التزق بعضه ببعض من الصدا واللبنة ذراع ونصف في عرض وشبر وسألنا هل هناك أحد من أهل يأجوج ومأجوج فذكروا أنهم رأوا منهم عدة فوق الشرف فهبت ريح سوداء فألقتهم الى جانبهم وكان مقدار الرجل في رأى العين شبرا ونصفا قال فلما انصرفنا أخذ بنا الادلاء على نواحي خراسان فعدلنا اليها فوقعنا الى القرب من سمرقند على سبعة فراسخ وكان أصحاب الحصن ثم زودنا الطعام ثم سرنا الى عبدالله بن طاهر فوصلنا بمائة الف درهم ووصل كل رجل كان معي بخمسمائة درهم وأجرى على كل فارس خمسة دراهم وعلى كل راجل ثلاثة دراهم كل يوم حتى صرنا الى الري ورجعنا الى سر من رأى بعد ثمانية وعشرين شهرا والله اعلم

﴿ باب في دخول ذى القرنين الظلمات مما يلى القطب الشمالي لطلب عين الحياة ﴾

روى عن على بن ابى طالب كرم الله وجهه أنه قال كان ذوالقرنين قد ملك ما بين المشرق والمغرب وكان له خليل من الملائكة اسمه رقائيل يأتيه ويزوره فبينماهما ذات يوم يتحدثان اذ قال له ذوالقرنين يارقائيل حدثني عن عبادتكم في السماء فبكى وقال يا ذا القرنين وما عبادتكم عند عبادتنا ان في السماء من الملائكة من هو قائم لا يجلس أبدا ومن هو ساجد لا يرفع رأسه أبدا ومن هو راكع لا يستوى قائما أبدا يقولون سبحان

يقول لج الباب يرحمك الله فولجت الباب فرايت قصرا مشيد البناء شامخ الاركان واذا بنخلة قائمة واذا بجانبها مطهرة مملوأة ماء احلى من الشهد واذا بمنشفة معلقة وسواك الين من الحرير قال سهل فتعجبت من ذلك ثم حللت لباسي وارقت الماء واغتسلت وتنشفت ولبست اثوابي فسمعته يناديني ويقول ان كنت قضيت أربك فقل نعم فقلت نعم فنزع الرداء عني فاذا انا جالس مكاني ولم يشعر بى احد فصرت متفكرا في نفسي متعجبا مما رايت وصرت اكذب نفسي تارة واصدقها تارة فقامت الصلاة فصليت مع الجماعة ولم يكن لي شغل الا ذلك الفتى لاعرفه فلما فرغنا من الصلاة قام فتبعته وانا امشي خلفه حتى دخلت الى درب فالتفت الى وقال ياسهل كانك ما ايقنت بما رأيت فقلت كلا ياسيدى فقال لج الباب يرحمك الله فنظرت فاذا الباب بعينه ثم ولجت القصر فوجدت النخلة والمطهرة والسواك المنشفة مبلولة فقلت آمنت بالله العظيم فقال ياسهل من اطاع الله اطاعه كل شيء اطلبه تجده قال سهل

القدوس رب الملائكة والروح ربنا ماعبدناك حق عبادتك فبكى ذوالقرنين بكاء شديدا ثم قال انى أحب أن أعيش فابلغ من عبادة ربى حق عبادته فقال رفائيل أوتحب ذلك ياذا القرنين قال نعم قال رفائيل فان لله عينافى الارض تسمى عين الحياة فيها من الله عز وجل أن من يشرب منها شربة لايموت أبدا حتي يكون هو الذى يسأل ربه الموت فقال له ذوالقرنين هل تعلمون أنتم موضع تلك العين فقال لاغيرأنا نتحدث في السماء ان لله فى الارض ظلمة لا يطؤها انس ولاجان فنحن نظن أن تلك العين في تلك الظلمة فجمع ذوالقرنين علماء أهل الارض وأهل دراسة الكتب وآثار النبوة فقال لهم أخبرونى هل وجدتم فيما قرأتم من كتب الله تعالى وماجاءكم من الاحاديث وسالم من كان قبلكم من العلماء ان الله وضع في الارض عينا سماها عين الحياة فقالت العلماء لا فقال عالم من العلماء انى قرأت وصية آدم عليه السلام فوجدت فيها ان الله خلق فى الارض ظلمة لم يطأها انس ولاجان ووضع فيها عين الخلد فقال ذوالقرنين أين وجدتها قال وجدتها في الارض التى على قرن الشمس فبعث اليها ذوالقرنين وحشد اليها الفقهاء والاشراف من الناس والملوك ثم سار يطلب مغرب الشمس فسار اثنتي عشرة سنة الى أن بلغ طرف الظلمة فاذاهى مثل الدخان وليست كظلمة الليل فعسكر هنالك ثم جمع علماء عسكره فقال انى اريد أن أسلك هذه الظلمة فقالت العلماء أيها الملك ان من كان قبلك من الملوك والانبياء لم يطؤا هذه الارض فلا تطأها فانا نخاف ان ينفتح عليك أمر تكرهه ويكون فيه فساد الارض ومن عليها فقال لا بد من أن اسلكها فقالوا ايها الملك كف عن هذه الظلمة ولا تطلبها فانا لو نعلم انك ان طلبتها ظفرت بما تريد ولم يسخط الله علينا لاتبعناك ولكنا نخاف من الله تعالى فسادا فى الارض ومن عليها فقال ذوالقرنين لا بد من ان أسلكها فقالت العلماء شانك بها فقال ذوالقرنين أى الدواب بالليل ابصر قالوا الخيل قال وأي الخيل بالليل ابصر قالوا الاناث قال وأى الاناث ابصر قالوا البكارى قال فارسل ذوالقرنين فجمع له ستة آلاف فرس انثي أبكارا ثم انتخب من عسكره أهل الجلد والعقل ستة آلاف رجل فدفع لكل رجل منهم فرسا وعقد راية للخضر عليه السلام وجعله مقدمته فى ألفين وبقى ذوالقرنين في اربعة آلاف رجل وقال ذوالقرنين لبقية عسكره لاتبرحوا من معسكركم هذا الى اثنتي عشرة سنة فان نحن رجعنا اليكم والا فارجعوا الى بلادكم فقال الخضر أيها الملك انا نسلك الظلمة ولا ندرى كم السير فيها ولا يبصر بعضنا بعضا وكيف نصنع بالضلال اذا اصابنا فدفع ذوالقرنين الى الخضر عليه السلام خرزة حمراء وقال له حيث يصيبكم الضلال فاطرح هذه في الارض فاذا صاحت فليرجع اليها اهل الضلال اين صاحت قال فسار الخضر بين يدى ذى القرنين يرتحل الخضر ويحط ذوالقرنين فبينما الخضر عليه السلام يسير اذ عرض له واد فظن الخضر ان العين فى الوادى والقي فى قلبه ذلك فقام على شفير الوادى ومكث طويلا ثم اجابته الخرزة فطلب صوتها فانتهى اليها فاذاهى على جانب العين فنزع الخضر ثيابه ثم دخل العين فاذاماؤها أشد بياضا من اللبن وأحلى من الشهد فشرب واغتسل وتوضأ ولبس ثيابه ثم أنه رمى الخرزة نحو أصحابه فوقعت وصاحت فرجع الخضر الى صوتها والى أصحابه فركب وقال لاصحابه سيروا على اسم الله وان ذا القرنين مر فاخطا الوادى فسلكوا تلك الظلمة في أربعين يوما ثم أنهم خرجوا الى ضوء ليس كضوء شمس ولاقمر والارض حمراء رملة خشخاشية فاذاهم بقصر مبنى فى تلك الارض طوله فرسخ في فرسخ عليه باب فنزل ذو القرنين بعسكره ثم أنه خرج وحده حتى دخل القصر فاذا حديدة قد وضع طرفاها على جانب القصر من ههنا وههنا واذا طائر أسود يشبه الخطاف مزموما بانفه الى الحديدة معلقا بين السماء والارض فلما سمع الطائر خشخشة ذي القرنين قال من هذا قال أنا ذوالقرنين فقال الطائر ياذا القرنين ما كفاك ماوراءك حتى وصلت الى ثم قال ياذا القرنين حدثني فقال سل فقال هل كثر بناء الجص والآجر فى الارض قال نعم فانتفض الطائر انتفاضة ثم انتفخ فبلغ ثلث الحديدة ثم قال ياذا القرنين هل كثرت شهادة الزور فى الارض قال نعم قال فانتفض

فتغرغرت عيناي بالدموع فمسحتهما وفتحتهما فلم ار الشاب ولا القصر فصرت متحيرا على مافاتني منه رضى الله تعالى عنه ونفعنا به وبعلومه واعاد علينا من بركاته آمين (وحكى عنه أيضا عفى الله عنه) انه قيل لبعض اصحاب سهل كيف كان حال سهل فقال خدمته ثلاثين سنة فما رأيته وضع جنبه على فراشه ليلا ولانهارا وكان يصلى الصبح بوضوء العشاء وهرب من الناس الى جزيرة بين عبادان والبصرة ومافر من الناس الا من رجل حج سنة من السنين فلما رجع قال لاخ له رأيت سهل بن عبد الله في الموقف بعرفة فقال له اخوه نحن كنا عنده فى ذلك اليوم وهو جالس بيننا فحلف بالطلاق الثلاث انه رآه في ذلك اليوم بعرفة فقال له اخوه سربنا اليه حتي نسأله عن حكم ذلك اليمين وعما جري بيننا فى الاختلاف فى ذلك فقاما اليه وسلما عليه فرد عليهما السلام فسالاه عما جرى بينهما من هذا الحديث فقال سهل مالكم في هذا الحديث حاجة اشتغلوا بالله تعالى ثم التفت الي الحالف وقال له امسك

الطائر ثم انتفخ حتى ملأ الحديدة وسد ما بين جدران القصر بحيث رأى ذو القرنين ذلك ففرق فرقا شديدا فقال الطائر لا تخف حدثني قال سل قال هل ترك الناس شهادة أن لا اله الا الله بعد قال لا فانضم الطائر الى ثلثه ثم قال ياذا القرنين هل ترك الناس غسل الجنابة بعد قال لا فعاد الطائر كما كان ثم قال ياذا القرنين اسلك هذه الدرج درجة درجة الى أعلى القصر فسلكها ذو القرنين وهو خائف وجل لا يدرى على ما يهجم حتى استوى على صدر الدرج فاذا سطح ممدود عليه صورة رجل شاب قائم وعليه ثياب بيض رافعا وجهه الى السماء واضعا يده على فيه فلما سمع خشخشة ذى القرنين قال من هذا قال أنا ذو القرنين قال ياذا القرنين ان الساعة قد قربت وانى منتظر أمر ربى يأمرني أن أنفخ في الصور ثم أن صاحب الصور أخذ شيأ من بين يديه كأنه حجر فقال ياذا القرنين خذ هذا فان شبع هذا شبعت وان جاع هذا جعت فاخذ ذو القرنين الحجر ونزل حتى أتى الى أصحابه فحدثهم بأمر الطائر وما قاله وما أورده عليه وما قال له صاحب الصور ثم جمع علماء عسكره وقال اخبرونى ماهذا الحجر وما أمره فقالوا أيها الملك أخبرنا ما قال لك صاحب الصور فقال ذو القرنين انه قال ان شبع هذا شبعت وان جاع جعت فوضعت العلماء ذلك الحجر فى كفة الميزان وأخذوا حجرا مثله ووضعوه فى الكفة الاخرى ثم رفعوا الميزان فاذا الذى جاء به ذو القرنين أثقل فوضعوا معه آخر ورفعوا الميزان فاذا الذى جاء به ذو القرنين أثقل فوضعوا معه آخر ورفعوا الميزان فاذا الذى جاء به ذو القرنين أثقل فلم يزالوا يضعون حجرا بعد حجر حتى وضعوا الف حجر ثم رفعوا الميزان فمال بالالف جميعا فقالت العلماء انقطع علمنا دون هذا الامر أسحر هذا أم علم لا نعلمه فقال الخضر عليه السلام وكان واقفا أنا اعلم علمه فاخذ الخضر عليه السلام الميزان بيده ثم اخذ الحجر الذي جاء به ذو القرنين فوضعه في احدى الكفتين واخذ حجرا من تلك الحجارة فوضعه فى الكفة الاخرى ثم اخذ كفا من تراب فوضعه على الحجر الذي جاء به ذو القرنين ثم رفع الميزان فاستوى فخرت العلماء سجدا لله تعالى وقالوا سبحان الله هذا علم لم يبلغه علمنا والله لقد وضعنا معه الف حجر فما استقل به فقال الخضر عليه السلام ايها الملك ان سلطان الله عز وجل قاهر لخلقه وامره نافذ فيهم وحكمه جار عليهم وان الله ابتلى خلقه بعضهم ببعض فابتلى العالم بالعالم والجاهل بالجاهل والجاهل بالعالم والعالم بالجاهل وانه ابتلانى بك وابتلاك بى فقال ذو القرنين صدقت فاخبرنى ماهذا الحجر فقال الخضر ايها الملك هذا مثل ضربه لك صاحب الصور ان الله تعالى مكن لك فى الارض والبلاد فاعطاك منها ما لم يعط احدا من خلقه واوطاك منها ما لم يوطئ لاحد من خلقه فلم تشبع وأبت نفسك شرها حتى بلغت من سلطان الله ما لم يطأه انس ولا جان فهذا مثل ضربه لك صاحب الصور ان ابن آدم لا يشبع أبدا حتى يحثى عليه التراب ولا يملأ جوفه الا التراب فبكى ذو القرنين ثم قال صدقت ياخضر فى ضرب هذا المثل لا جرم لا طلبت أثرا فى البلاد بعد مسيرى هذا حتى أموت ثم انه انصرف راجعا حتى اذا كان في وسط الظلمة وطىء الوادى الذي فيه الزبرجد فقال من معه لما سمعوا خشخشة تحت حوافر دوابهم ماهذا الذى تحتنا ايها الملك فقال ذو القرنين خذوا منه فان من اخذ منه ندم ومن تركه ندم فمنهم من اخذ منه شيأ ومنهم من تركه فلما خرجوا من الظلمة ونظروه اذا هو زبرجد فندم الآخذ والتارك قال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم رحم الله أخى ذا القرنين لو ظفر بوادى الزبرجد فى مبدأ أمره ما ترك منه شيأ حتى كان يخرجه الى الناس لانه كان راغبا فى الدنيا ولكنه ظفر به وهو زاهد فى الدنيا لا حاجة له فيها ثم انه رجع الى العراق وملك ملوك الطوائف كلها ومات فى طريقه قبل وصوله بشهر (وقال على بن أبى طالب كرم الله وجهه) انه رجع الى دومة الجندل وكانت منزله فاقام بها حتى مات قالوا وكان عمره ستا وثلاثين سنة وكان ملكه سبع عشرة سنة وكان قبل دارا فى أول السنة الثالثة من ملكه فلما مات حمل الى أمه بالاسكندرية ودفن هناك قالوا فلما مات الاسكندر عرض الملك على ابنه

اسكندروس

عليك زوجتك ولا تخبر بذلك أحد بعد ذلك ثم مضى الى الجزيرة المذكورة هاربا من الناس عفا الله تعالى عنه ونفعنا به وببركته آمين (وحكى عن خادمة رابعة العدوية رضي الله تعالى عنها) انها قالت كانت رابعة العدوية تصلى الليل كله فاذا طلع الفجر هجعت هجعة فى مصلاها حتى يسفر الفجر فكنت اسمعها تقول اذا وثبت من مرقدها وهى فزعة يانفس كم تنامين والى كم تقومين يوشك انك تنامين نومة لا تقومين منها الا لصرخة يوم النشور فكان هذا دابها حتى ماتت رحمه الله تعالى عليها (قالت) خادمتها رضي الله تعالى عنها لما حضرت وفاة رابعة احضرتنى ثم قالت يافلانة اذا أنا مت فلا تعلمى بى أحدا وكفنيني في جبتى هذه وكانت جبتها من شعر كانت تقوم فيها اذا نامت عيون النائمين قالت فكفنتها فيها وفي خمار من صوف فلما دفنتها رأيتها فى المنام وعليها حلة خضراء من استبرق وخمار من سندس أخضر فقلت لها يارابعة ما فعل الله بالجبة التى كفنتك فيها والخمار الصوف قالت انه نزعهما عني وأبدلت هذا الذى

اسكندروس من بعده فأبى واختار النسك والعبادة فملكت اليونانية عليهم فيما قيل بطليموس بن لوسوع وكان ملكه ثمانيا وثلاثين سنة وكانت المملكة في حياة الاسكندروس بعد وفاته الى أن تحول الملك الى الروم والمضاض واليونانية ولبني اسرائيل بيت المقدس ونواحيها والديانة والرياسة على غير وجه الملك الى أن خرب بلادهم الفرس والروم وطردوهم عنها بعد قتل يحيى بن زكريا عليهم السلام والله أعلم

﴿ مجالس في قصة زكريا وابنه يحيى ومريم وعيسى عليهم السلام ﴾

وهو مجالس يشتمل على أبواب كثيرة قال محمد بن اسحق وغيره من أهل الاخبار عمرت بنو اسرائيل بعد مرجعهم من أرض بابل الى بيت المقدس وبلاد الشام وانتظام امورهم ولم يزالوا يحدثون الاحداث ويعود الله عليهم بفضله ورحمته ويبعث فيهم الرسل ففريقا يكذبون وفريقا يقتلون كما قال الله تعالى حتى كان ممن بعث فيهم من انبيائهم زكريا ويحيى وعيسى وكانوا من آل بيت داود عليه السلام

﴿ نسب زكريا عليه السلام ﴾

هو زكريا بن يوحنا بن ادن بن مسلم بن صدوق بن يحسان بن داود بن سليمان بن مسلم بن صديقة بن ناخور ابن سلوم بن سهفاساط بن أبيان رحيعم بن سليمان بن داود عليه السلام

﴿ باب في ذكر مولد مريم عليها السلام وخبر تحريرها ﴾

قال الله تعالى اذ قالت امرأة عمران رب انى نذرت لك ما في بطني محررا الآيات قال المفسرون هي حنة بنت فاقوذ جدة عيسى عليه السلام وعمران قال ابن عباس هو عمران بن ماثان وليس بعمران أبي موسى اذ بينهما ألف وثمانمائة سنة وكانت بنو ماثان رؤس بنى اسرائيل وأحبارهم وملوكهم وقال ابن اسحق هو عمران بن ساهم بن أمور بن ميشان بن حزقيا بن أحريف بن يؤام بن عزازيا بن امصيا بن ناوس بن نوثا بن بارض ابن يهوشافاط بن رادم بن أبيا بن رحيعم بن سليمان بن داود عليه السلام وكانت القصة في ذلك أن زكريا ابن يوحنا وعمران بن ماثان كانا متزوجين باختين احداهما عند زكريا بن يوحنا وهي ايشاع بنت فاقوذ أم يحيى وكانت الاخرى عند عمران وهي حنة بنت فاقوذ أم مريم وكان قد أمسك عن حنة الولد حتى أيست وعجزت وكانوا أهل بيت من الله بمكان فبينما هي في ظل شجرة اذ نظرت طائر يطعم فرخا فتحركت عند ذلك شهوتها للولد ودعت الله تعالى أن يهب لها ولدا وقالت اللهم لك على ان رزقتني ولدا أن اتصدق به على بيت المقدس فيكون من سدنته وخدمه نذرا وشكرا فحملت بمريم عليها السلام فحررت ما في بطنها ولم تعلم ما هو فقالت رب انى نذرت لك ما في بطنى محررا أى عتيقا عن الدنيا واشغالها خالصا لله تعالى وخادما لبيتك المقدس حبيسا عليه مفرغا لعبادة الله ولخدمته فتقبل مني الكائن انك أنت السميع العليم قالوا وكان المحرر اذا حرر ونذر جعل المحرر والمنذور في الكنيسة يقوم عليها ويكنسها ويخدمها ولا يبرح عنها حتى يبلغ الحلم فاذا بلغ خير بين أن يقيم وبين أن يذهب حيث شاء وأن أراد أن يخرج بعد التخيير استأذن رفقاءه من السدنة ليكون خروجه على علم منهم ولم يكن أحد من بني اسرائيل وعلمائهم الا من فى نسله محرر لبيت المقدس ولم يكن يحرر الا الغلمان وكانت الجارية لا تكلف ذلك ولا تصلح لما يصيبها من الحيض والاذى فحررت أم مريم ما في بطنها فلما فعلت ذلك قال لها زوجها عمران ويحك ماذا صنعت أرأيت ان كان ما في بطنك أنثى والانثى عورة لا تصلح لذلك فوقعا جميعا في هم من ذلك فهلك عمران وحنة حامل بمريم فلما وضعتها اذا هي جارية فقالت حنة وكانت ترجو أن يكون غلاما اعتذارا الى الله تعالى رب انى وضعتها انثى والله أعلم بما وضعت وليس الذكر كالانثى أى فى خدمة الكنيسة والعبادة فيها لعورتها وضعفها وما يعتريها من الحيض والنفاس والاذى وانى سميتها مريم وهي بلغتهم العابدة والخادمة وكانت مريم عليها السلام أجمل النساء وأمثلهن في وقتها (أخبرني) الحسن بن محمد باسناده عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

أريته وطويت اكفاني وختم عليها ورفعت فى عليين ليكون لى ثوابها يوم القيامة قالت فقلت لمثل هذا فليعمل العاملون فقالت وما هذا عند الله من اكرامه لأوليائه بشيء فقلت لها مريني بأمر أتقرب به الى الله عز وجل فقالت عليك بذكر الله تعالى فانه يوشك ان تغبطي بذلك في قبرك رضي الله تعالى عنها (وحكى عن أحمد بن أبي الحوارى عفا الله عنه) انه قال كانت لرابعة العدوية احوال شتى فكانت مرة يغلب عليها الحب ومرة يغلب عليها الانس ومرة يغلب عليها الخوف فكانت تنشد في الحب هذا الشعر

حبيبي لا يعادله حبيب
وما لسواه في قلبي نصيب
حبيب غاب عن بصري وشخصي
ولكن عن فؤادي لا يغيب

وسمعتها في حال الانس تقول هذا الكلام

ولقد جعلتك في الفؤاد محدثي
وأبحت جسمي من اراد جلوسي
فالجسم مني للجليس مؤانس
وحبيب قلبي في الفؤاد أنيسي

حسبك من نساء العالمين أربع مريم ابنة عمران وآسية امرأة فرعون وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد صلى الله عليه وسلم وانى أعيذها أى أجيرها وأمنعها بك وذريتها من الشيطان الرجيم (أخبرنا) عبد الله بن حامد باسناده وأخبرنا أبو سهيل أحمد بن محمد بن هرون باسناده عن أبي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ما من مولود الا والشيطان يمسه حين يولد فيستهل صارخا من مس الشيطان الا مريم وابنها ثم يقول ابو هريرة اقرؤا ان شئتم وانى اعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم (واخبرنا) شعيب بن محمد باسناده عن قتادة قال كل آدمى يطعن الشيطان فى جنبه حين يولد الا عيسى وأمه عليهما السلام جعل بينهما حجاب وأصابت الطعنة الحجاب ولم ينفذ اليهما منه شيء قال وذكروا لنا انهما كانا لا يصيبان من الذنوب كما يصيبه سائر بنى آدم قال الله تعالى فتقبلها ربها بقبول حسن الهاء راجعة الى النذيرة اى فتقبل الله النذيرة اي مريم من حنة وانبتها نباتا حسنا يعنى سوى خلقها من غير زيادة ولا نقصان فكانت تنبت في المدة اليسيرة كما ينبت المولود في المدة الطويلة وقال ابن جريج وانبتها ربها في غذائها ورزقها نباتا حسنا حتى تمت امرأة بالغة قالوا فلما ولدت مريم اخذتها امها حنة فلفتها فى خرقة وحملتها الى المسجد ووضعتها عند الاحبار ابناء هرون وهم يومئذ ثلاثون فى بيت المقدس كما يلى الحجبة أمر الكعبة فقالت لهم دونكم هذه النذيرة فتنافس فيها الاحبار لانها كانت بنت امامهم وصاحب قربانهم فقال لهم زكريا انا احق بها منكم لان عندى خالتها فقالت له الاحبار لا تفعل ذلك فانها لو تركت لاحق الناس واقربهم اليها لتركت لامها التى ولدتها ولكنا نقترع عليها فتكون عند من خرج سهمه فاتفقوا على ذلك ثم انطلقوا وكانوا تسعة عشر رجلا الى نهر جار قال السدي هو نهر الاردن فالقوا اقلامهم اى سهامهم وقيل أقلامهم التى كانوا يكتبون بها التوراة فى الماء فارتفع قلم زكريا فوق الماء وانحدرت اقلامهم ورست فى الماء قاله ابن اسحق وجماعة وقال السدى بل ثبت قلم زكريا فوق الماء كانه في طين وجرت اقلامهم مع جريان الماء فذهب الماء بها فسهمهم وقرعهم زكريا عليه السلام وكان رأس الاحبار ونبيهم فذلك قوله تعالى وكفلها زكريا ضمها الى نفسه وقام بأمرها وقال ابن اسحق فلما كفلها زكريا ضمها الى خالتها أم يحيي واسترضع لها حتى اذا نشأت وبلغت مبالغ النساء بنى لها محرابا أى غرفة في المسجد وجعل بابه الى وسطها لا يرقى اليها الا بسلم مثل باب الكعبة فلا يصعد اليها غيره وكان يأتيها بطعامها وشرابها ودهنها فى كل يوم وكان زكريا عليه السلام اذا خرج أغلق عليها بابها فاذا دخل عليها غرفتها وجد عندها رزقا أى فاكهة في غير حينها فاكهة الصيف في الشتاء وفاكهة الشتاء في الصيف فيقول لها أنى لك هذا فتقول هو من عند الله من قطف الجنة قال الحسن يجد عندها قوتها وكان رزقها يأتيها من الجنة فيقول لها زكريا من أين لك هذا فتقول هو من عند الله قال الحسن وكانت وهي صغيرة يأتيها رزقها وقال محمد بن اسحق ثم أصابت بنى اسرائيل أزمة وهي على ذلك من حالها ثم ضعف زكريا عن حملها فخرج الى بنى اسرائيل وقال يا بنى اسرائيل تعلمون والله أنى لقد كبرت وضعفت عن حمل ابنة عمران فأيكم يكفلها بعدي فقالوا والله لقد جهدنا وأصابنا من الجهد ما ترى فتدافعوا بينهم ثم لا يجدون من يحملها فتقارعوا عليها بالاقلام فخرج السهم على رجل صالح نجار من بني اسرائيل يقال له يوسف بن يعقوب بن ماثان وكان ابن عم مريم فحملها قال فعرفت مريم في وجهه شدة مؤنة ذلك عليه فقالت له يا يوسف أحسن الظن بالله فان الله سيرزقنا فجعل يوسف يرزق لمكانها منه فيأتيها كل يوم من كسبه بما يصلحها فاذا أدخله عليها وهي في الكنيسة أنماه الله تعالى وكثره فيدخل اليها زكريا فيرى عندها فضلا من الرزق ليس بقدر ما يأتيها به يوسف فيقول لها يا مريم أنى لك هذا قالت هو من عند الله ان الله يرزق من يشاء بغير حساب (أخبرنا) عبد الله ابن حامد باسناده عن جابر بن عبد الله أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أقام أياما لم يطعم طعاما حتى شق ذلك عليه فطاف فى منازل أزواجه فلم يصب فى بيت

وسمعتها فى حال الخوف تقول

وزادى قليل ما اراه مبلغى
للزاد ابكى أم لطول مسافتى
اتحرقنى بالنار ياغاية المنى
فاين رجائى فيك اين مخافتى

قال زوجها فقامت لها ليلة من الليالي وقد قامت من أول الليل يارابعة ما رأيت من يقوم اول الليل غيرك فقالت سبحان الله مثلك من يتكلم على ذاك انما اقوم والله اذا نوديت للقيام (قال) زوجها وجلست يوما من الايام آكل وهي جالسة بجانبي فقعدت تذكر اهوال يوم القيامه فقلت لها دعينا نتهنأ بطعامنا فقالت ليس أنا وأنت ممن يتنغص عليه الطعام بذكر الآخرة ثم قالت لى والله لست أحبك حب الازواج انما أحبك حب الاخوان فكانت اذا طبخت قدرا قالت كله ياسيدى فما طبخ الا بالتسبيح ثم قالت لي اذهب فتزوج فتزوجت بثلاثة نساء فكانت تطعمنى اللحم وتقول لي اذهب بقوتك الى اهلك وكانت تأتيها الجن بكل ما تطلب وكان لها كرامات خارقة حتى ماتت رحمها

أحد منهم شيا فاتى فاطمة رضى الله عنها فقال يا بنية هل عندك شيء آكل فانى جائع فقالت لا والله بأبى أنت وأمى فلما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من عندها بعثت اليها جارية لها برغيفين و بضعة لحم فاخذته منها ووضعته في جفنة وغطت عليه وقالت لأوثرن بها رسول الله صلى الله عليه وسلم على نفسى ومن عندى وكانوا جميعا محتاجين الى شبعة من طعام فبعثت حسنا وحسينا الى جدهما رسول الله صلى الله عليه وسلم فرجع اليها فقالت بابى أنت وأمى يارسول الله قد أتانا الله بشيء فخبأته لك قال فهلمى به فاتى به فكشف عن الجفنة فاذا هى مملوءة خبزا ولحما فلما نظرت اليه بهتت وعرفت أنها بركة من الله فحمدت الله تعالى وصلت على نبيه فقال عليه السلام من أين لك هذا يا بنية قالت هو من عند الله ان الله يرزق من يشاء بغير حساب فحمد الله رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال الحمد لله الذى جعلك شبيهة بسيدة بنى اسرائيل فانها كانت اذا رزقها الله رزقا حسنا فسئلت عنه قالت هو من عند الله ان الله يرزق من يشاء بغير حساب فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم الى على رضى الله عنه فاتى فأكل الرسول وعلى وفاطمة والحسن والحسين وجميع أزواج النبي صلى الله عليه وسلم ورضى الله عنهم جميعا حتى شبعوا و بقيت الجفنة كما هى قالت فاطمة رضي الله عنها وأوسعت منها على جميع جيرانى وجعل الله فيها بركة وخيرا كثيرا وكان أصل الجفنة رغيفين و بضعة لحم والباقى بركة من الله تعالى

﴿ باب في مولد يحيي بن زكريا عليه السلام ﴾

قال الله تعالى هنالك دعا زكريا ربه قال رب هب لى من لدنك ذرية طيبة انك سميع الدعاء قالت العلماء باخبار الانبياء لما رأى زكريا عليه السلام أن الله يرزق مريم الفاكهة فى غير حينها قال ان الذي قدر على أن يؤتى مريم بالفاكهة في غير حينها من غير سبب ولا فحل أحد لقادر على أن يصلح زوجتى ويهب لى ولدا على الكبر فطمع في الولد وكان أهل بيته قد انقرضوا وزكريا قد شاخ وأيس من الولد فهنالك اى فعند ذلك دعا زكريا ربه قال رب هب لي اي اعطنى من لدنك ذرية طيبة نسلا تقيا صالحا راضيا انك سميع الدعاء فنادته الملائكة يعني جبريل وذلك ان زكريا كان الحبر الكبير الذى يقرب القربان و يفتح باب المذبح فلا يدخل احد حتى يأذن له بالدخول فبينما هو فى محرابه عند المذبح قائم يصلى والناس ينتظرون ان يأذن لهم بالدخول اذا برجل شاب عليه ثياب بيض ففزع منه فناداه وهو جبريل عليه السلام يا زكريا ان الله يبشرك بيحيى * واختلفوا لم سمي يحيى قال ابن عباس لان الله تعالى احيا به عقر امه وقال قتادة وغيره لان الله تعالى احيا قلبه بالايمان والنبوة وقال الحسن بن الفضل لان الله تعالى أحياه بالطاعة حتى لم يعص ولم يهم بمعصية دليله فاخبرنى به الحسن بن فنجويه باسناده عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مامن أحد يلقى الله عز وجل الا قد هم بخطيئة او عملها الا يحيى بن زكريا فانه لم يهم ولم يعمل قال الاستاذ وكان شيخنا أبو القاسم الجنيد يقول سمى بذلك لانه استشهد والشهداء أحياء عند ربهم يرزقون قال النبي صلى الله عليه وسلم من هوان الدنيا على الله ان يحيى ابن زكريا قتلته امراة قال وسمعت ابا منصور الحمشاوى يقول قال عمر بن عبد الله المقدسي اوحى الله الى ابراهيم الخليل عليه السلام ان قل لسارة وكان اسمها كذلك انى مخرج منكما عبدا لايهم بمعصية اسمه حى فهبى له من اسمك حرفا فوهبت له أول حرف من حروف اسمها الياء فصار يحيى وصار اسمها سارة مصدقا بكلمة من الله يعني عيسى عليه السلام فسمى كلمة لان الله تعالى قال له من غير اب كن فكان فوقع عليه اسم الكلمة لانه بها وجد و يحيي اول من امن بعيسى وصدقه وذلك ان امه كانت حاملة به فاستقبلتها مريم وقد حملت بعيسى فقالت لها ام يحيى يا مريم احامل أنت فقالت لماذا تقولين هذا فقالت انى ارى ما في بطني يسجد لما في بطنك فذلك تصديقه له وايمانه به وكان يحيى أكبر من عيسى بستة اشهر وذلك مولد يحيى كان قبل مولد عيسى بستة أشهر ثم قتل

الله تعالى ونفعنا ببركاتها آمين (وروي) عن عمرة زوجة حبيب العجمى رضى الله تعالى عنهما انها كانت توقظ زوجها بالليل وتقول له قم يا رجل قد ذهب الليل و بين يديك طريق بعيدة والزاد قليل وقوافل الصالحين قد سارت رضى الله عنهم اجمعين (وقال بعضهم عفا الله عنه ونفعنا به) تزوجت امرأة جميلة حسنة الخلق فكانت اذا صلت العشاء لبست ثيابها وتطيبت وتبخترت ثم تاتني وتقول لى الك من حاجة يا سيدى فان قلت نعم كانت معى وان قلت لا تمضي وتنزع ثيابها وتلبس ثيابا غيرها وتصلى الى الصباح فكان هذا دأبها وطريقتها رضى الله تعالى عنها (وحكى عن بعض اصحاب احمد بن حنبل رضي الله تعالى عنه) قال لما مات أحمد بن حنبل رضي الله عنه رأيته فى المنام وهو يمشي و يتبختر فى مشيته فقال له يا اخي اى مشية هذه فقال مشية الخدام فى دار السلام فقلت ما فعل الله بك فقال غفرلى والبسنى نعلين من ذهب أحمر وقال هذا بقولك القرآن كلام الله

يحيى قبل ان يرفع عيسى الى السماء وسنذكره قال سعيد بن المسيب وسيدا السيد الفقيه العالم قال سعيد بن جبير السيد الذي يطيع ربه عز وجل وقال الضحاك السيد الحسن الخلق وقال عكرمة الذي لا يغضب وقال سفيان الذي لا يحسد وحصورا قال ابن عباس وابن مسعود وغيرهما هو الذي لا يأتي النساء ولا يقربهن فعول بمعنى فاعل يعني انه حصر نفسه عن الشهوات وقال ابن المسيب والضحاك هو العنين الذي لا ماءة له ودليل هذا التأويل ما اخبرني به ابن فنجويه باسناده عن ابي صالح عن ابي هريره قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول كل ابن آدم يلقى الله بذنب قد اذنبه يعذبه عليه ان شاء أو يرحمه الا يحيى بن زكريا فانه كان سيدا وحصورا ونبيا من الصالحين ثم أومأ النبي صلى الله عليه وسلم الى قذاة من الارض فاخذها قال وكان ذكره مثل هذه القذاه وقال المدني الحصور الذي لا يدخل في اللعب ولا الاباطيل قالوا فلما نادى جبريل زكريا بالبشارة قال رب اي ياسيدي قاله لجبريل هذا قول اكثر المفسرين وقال الحسن بن الفضل انما قال زكريا يارب لله لا لجبريل أني يكون لي غلام من أين يكون لي ولد وقد بلغني الكبر وامرأتي عاقر لا تلد عقيم قال الكلبي كان زكريا يوم بشر بالولد ابن اثنتين وتسعين سنة وقيل تسع وتسعين سنة وروى الضحاك عن ابن عباس قال كان زكريا ابن عشرين ومائة سنة وكانت امرأته بنت ثمان وتسعين سنة فاجيب كذلك الله يفعل مايشاء فان قيل لم انكر زكريا ذلك وسأل الآية بعد ما بشرته الملائكة اكان شكا في وحيه ام انكارا لقدرته وهذا لا يجوز ان يوصف به اهل الايمان فكيف الانبياء فالجواب عنه ماقاله عكرمة والسدى ان زكريا لما سمع نداء الملائكة جاءه الشيطان فقال يازكريا ان الصوت الذي سمعت ليس من الله وانما هو صوت الشيطان يسخر بك ولو كان من الله لاوحاه اليك خفية كما ناديته خفية وكما يوحي اليك في سائر الامور فقال ذلك دفعا للوسوسة وفيه جواب آخر وهو أنه لم يشك في الولد وانما شك في كيفيته والوجه الذي يكون منه الولد فقال أني يكون لي ولد اي كيف يكون لي ولد أتجعلني وامرأتي شابين ام نرزقه كذا على كبرنا ام ترزقني من امرأة غيرها من النساء فقال ذلك متخبرا لا منكرا وهذا قول الحسن قال رب اجعل لي آية قال آيتك ان لا تكلم الناس ثلاثة أيام وتقبل بكليتك على عبادتي وطاعتي لا انه حبس لسانه عن الكلام ولكنه نهي عنه يدل عليه قوله تعالي واذكر ربك كثيرا وسبح بالعشي والابكار هذا قول قوم من اهل العلم وقال آخرون عقل لسانه عن الكلام عقوبة لسؤاله الآية بعد مشافهة الملائكة اياه ولم يقدر على الكلام ثلاثة ايام الا رمزا اي اشارة وعلى هذا اكثر المفسرين وقال عطاء اراد به صوم ثلاثة ايام لانهم كانوا اذا صاموا لم يتكلموا الا رمزا فولد يحيى بن زكريا عليه السلام وفي بعض الاخبار أنه لما ولد يحيى رفع الى السماء فتغذى بانهار الجنة حتى فطم ثم أنزل الى أبيه وكان يضيء البيت لنوره وحسن وجهه وجماله

﴿ باب في صفته وحليته عليه السلام ﴾

قال كعب الاحبار كان يحيى بن زكريا نبيا حسن الوجه والصورة لين الجناح قليل الشعر قصير الاصابع طويل الانف مقرون الحاجبين رقيق الصوت كثير الغيرة قويا في طاعة الله تعالى وقد ساد الناس في عبادة الله وطاعته

﴿ فصل في نبوته وسيرته وذكر زهده وجهده ﴾ قال الله تعالي يا يحيي خذ الكتاب بقوة وآتيناه الحكم صبيا قيل ان يحيى قال له أترابه من الصبيان يا يحيي اذهب بنا نلعب فقال لهم ما للعب خلقت وقال آخرون أنه نبي صغيرا فكان يعظ الناس و يقف لهم في أعيادهم وجمعهم و يدعوهم الى الله تعالي ثم ساح ودخل الشام يدعو الناس ولما بعثه الله تعالى الى بني اسرائيل وأمره أن يأمرهم بخمس خصال وضرب لكل خصلة منها مثلا أمرهم أن يعبدوا الله ولا يشركوا به شيأ وقال مثل الشرك كمثل رجل اشترى عبيدا من خالص ماله ثم

اسكنهم

منزل غير مخلوق ثم قيل لي يا أحمد قم حيث شئت فدخلت الجنة فاذا بسفيان الثوري رضي الله عنه له جناحان يطير بهما من شجرة الى اخرى وهو يقرأ هذه الآية الحمد لله الذي صدقنا وعده واورثنا الارض نتبوأ من الجنة حيث نشاء فنعم اجر العاملين قال فقلت له مافعل الله بعبد الرزاق الواعظ قال تركته في بحر من نور في مركب من نور يراد به العزيز الغفور فقلت مافعل الله ببشر بن الحرث فقال بخ بخ ومن مثل بشر ابن الحرث تركته على مائدة بين يدي الجليل وهو مقبل عليه و يقول له كل يامن لم تأكل واشرب يامن لم تشرب وتنعم يامن لم تتنعم فقلت مافعل الله بمعروف الكرخي فقال تركته تحت العرش والحق جل جلاله يقول لملائكته من هذا فقالوا يارب أنت اعلم فقال هذا معروف الكرخي سكران بحبي فلا يفيق الا بلقائي (وقال) الربيع ابن سليمان رايت الامام الشافعي رضي الله عنه فقلت يا باعبد الله مافعل الله بك فقال اجلسني على كرسي من ذهب ونثر على

أسكنهم دارا له ودفع لهم مالا يتجرون فيه و يأكل كل واحد منه ما يكفيه ثم يؤدون اليه فضل الربح فعمد العبيد الى فضل الربح فدفعوه الي عدو سيدهم وأمرهم بالصلاة فقال ان مثل المصلى كمثل رجل استأذن على ملك فاذن له ودخل عليه فأقبل الملك عليه بوجهه ليسمع مقالته ويقضى حاجته فلما دخل عليه الرجل التفت يمينا وشمالا ولم يهتم بحاجته فاعرض الملك عنه ولم يقض حاجته وأمرهم بالصدقة وقال مثلها كمثل رجل أسره العدو فاشتري منه نفسه بثمن معلوم فجعل يعمل في بلادهم ويؤدي اليهم من كسبه القليل والكثير حتى أوفى ثمنه فاعتق وأمرهم بذكره عز وجل وقال مثل الذكر مثل قوم لهم حصن ولهم عدو فاقبل عليهم عدوهم دخلوا حصنهم فلم يقدر عليهم كذلك من ذكر الله تعالى لا يقدر عليه الشيطان وامرهم بالصيام وقال مثله كمثل الجنة لا تدع عدوه يصل اليه وتستره (واما سيرته) فروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال كان من زهد يحيي انه أتى بيت المقدس فنظر الى المجتهدين من الاحبار والرهبان وعليهم مدارع الشعر والصوف وبرانس الصوف واذاهم قد خرقوا تراقيهم وسلكوا فيها السلاسل وشدوها الى سواري المسجد فلما نظر الى ذلك أتى امه فقال يا أماه انسجى لى مدرعة من شعر وبرنسا من صوف حتي آتى الى بيت المقدس واعبد الله تعالى مع الاحبار والرهبان فقالت له امه حتي يأتى نبي الله زكريا عليه السلام فأؤامره في ذلك فلما دخل زكريا أخبرته بما قال لها يحيي فقال له زكريا يا بنى ما يدعوك الى هذا وانما انت صبى صغير فقال له يا ابت اما رأيت من هو اصغر منى ذاق الموت قال بلى فقال لامه انسجي لنا مدرعة من الشعر وبرنسا من الصوف ففعلت فتدرع بالمدرعة على بدنه ووضع البرنس على رأسه ثم أتى بيت المقدس وأقبل يعبد الله تعالى مع الاحبار والرهبان حتى أكلت مدرعة الشعر لحمه فنظر ذات يوم الى ما قد نحل من جسمه فبكى فاوحي الله تعالى اليه يا يحيي أتبكى على ما قد نحل من جسمك وعزتى وجلالى لو اطلعت على النار اطلاعة لتدرعت مدارع الحديد فضلا عن المسوح فبكى يحيي حتي أكل الدمع لحم خديه وبدت للناظرين اضراسه فبلغ ذلك أمه فدخلت عليه واقبل زكريا واجتمع الاحبار والرهبان فقال زكريا لابنه يحيى ما يدعوك لهذا يا بنى انما سألت ربى ان يهبك لى لتقر بك عينى قال أنت امرتنى بذلك يا ابت قال ومتى قال الست القائل ان بين الجنة والنار عقبة كؤدا لا يقطعها الا البكاؤن من خشية الله تعالى قال بلى قال فجد واجتهد وقام فنفض مدرعته فأخذته امه فقالت اتاذن لى يا بنى ان اتخذ لك قطعتين من لبد يواريان اضراسك وينشفان دموعك فقال لها شانك فاتخذت له قطعتى لبد يواريان اضراسه وينشفان دموعه فبكى حتى ابتلتا من دموع عينيه ثم اخذهما فعصرهما فتحدرت الدموع من بين اصابعه فنظر زكريا الى ابنه والى دموعه فرفع راسه الى السماء وقال اللهم ان هذا ابنى وهذه دموع عينيه وانت ارحم الراحمين وكان زكريا اذا اراد ان يعظ بني اسرائيل التفت يمينا وشمالا فاذا رأى يحيى لم يذكر جنة ولا نارا فجلس يوما يعظ بني اسرائيل واقبل يحيي قد لف راسه بعباءة وجلس فى غمار القوم فالتفت زكريا يمينا وشمالا فلم ير يحيى فانشأ يقول حدثنى حبيبي جبريل عن الله عز وجل ان في جهنم جبلا يقال له السكران في اصل ذلك الجبل واد يقال له الغضبان خلق لغضب الرحمن تبارك وتعالى فى ذلك الوادى جب قامته مائة عام في ذلك الجب توابيت من نار فى تلك التوابيت صناديق من نار وثياب من نار واغلال من نار فرفع يحيي راسه وقال واغفلتاه عن السكران وعن غضب الرحمن ثم خرج هائما على وجهه فقام زكريا من مجلسه ودخل على أم يحيى فقال لها يا ام يحي قومي فاطلبى يحيى فانى قد تخوفت ان لا نراه الا وقد ذاق الموت فقامت وخرجت في طلبه فمرت بفتيان من بنى اسرائيل فقالوا لها يا ام يحيي اين تريدين قالت اطلب ولدى يحيي ذكرت النار بين يديه فهام على وجهه فمضت ام يحيى والفتية معها حتى مرت براعى غنم فقالت يا راعى هل رايت شابا من صفته كذا وكذا قال لعلك تطلبين يحيى بن زكريا قالت نعم ذلك ولدى ذكرت النار بين يديه فهام على وجهه فقال تركته الساعة على عقبة كذا ناقعا قدميه فى الماء رافعا بصره الى السماء يقول وعزتك يا مولاى لا اذوق بارد الشراب

اللؤلؤ الرطب وأباح لى الجنة وهذا من بعض مناقبهم رضى الله عنهم (وحكى عن بعضهم رضى الله عنه) انه قال كنت فى مركب سنة من السنين وكان فى المركب رجل من أهل الخير وكان ضعيفا فلما مات أخذنا فى غسله وتجهيزه واردنا القاءه في البحر فبينما نحن كذلك اذا البحر قد انشق ونزلت السفينة الي ارض فخرجنا منها ونظرنا فاذا بقبر رخم وليس فيه احد فدفناه فيه فلما فرغنا من دفنه استوى الماء وارتفعت السفينة فتعجبنا من ذلك وسرنا رحمة الله عليه (وحكي عن الشيخ ابى سعيد الخدرى رضى الله عنه) أنه قال كنت بمكة سنة من السنين فمررت بباب بني شيبة فرأيت شابا حسن الشباب وهو ملقي على الارض ميتا فنظرت في وجهه فرايته يضحك فتعجبت من ذلك فقال لى يا ابا سعيد أتعجب من موتى وانت تعرف ان الاحياء احياء فهم وان ماتوا انما والله ينقلون من دار الى دار قال ابو سعيد فدهشت من ذلك ثم اخذت فى غسله وتجهيزه ودفنه وانا متحير في امرى متفكر فيما رايته

حتى انظر الي منزلي منك فاقبلت امه فلما رأته دنت منه فاخذت برأسه فوضعته بين يديها وناشدته بالله ان ينطلق معها الى المنزل فانطلق معها الى المنزل فقالت له هل لك ان تخلع مدرعتك الشعر وتلبس مدرعتك الصوف فانه الين ففعل ثم انها طبخت له عدسا فاكل واستوفي فذهب به النوم فلم يقم اصلاته فنودي في منامه يا يحيي اردت دارا خيرا من داري وجوارا خيرا من جواري فاستيقظ وقام وقال رب اقل عثرتي وعزتك لا استظل بظل سوى بيت المقدس ثم قال لامه ناوليني مدرعة الشعر فقد علمت انكما ستورداني المهالك فتقدمت اليه امه ودفعت اليه المدرعة وتعلقت به فقال لها زكريا يا ام يحيي دعيه فان ولدي قد كشف له عن قناع قلبه ولن ينتفع بالعيش فقام يحيي فلبس مدرعته ووضع البرانس على راسه ثم اتى بيت المقدس فجعل يعبد الله مع الاحبار والرهبان حتى كان من امره ما كان والله اعلم

﴿ باب في مقتله عليه السلام ﴾

اختلف العلماء في سبب قتله فقال كان يحيي عليه السلام في زمن ملك من ملوك بني اسرائيل وكان له امراة وهي ابنة ملك صيدا وكانت قتالة الانبياء والصالحين وكانت عاهرة تبرز للناس وكان يحيي يزجرها عن ذلك ويقول لها لا تبرزي كاشفة وجهك وكان كثيرا ما يقول لها مكتوب في التوراة ان الزناة يوقفون يوم القيامة وريحهم أنتن من الجيف فأمرت بيحيي فسجن وكان قد حبس رجل من أبناء الملوك وكان كثيرا ما يختلف اليها بالليل فعلم بها وبه يحيي فزجره فبلغ ذلك امرأة الملك فجملت بنت لها واستقبلت بها زوجها فقال لها لما فعلت ذلك فقالت وجب لها عليك حق فقال سلي ما شئت فقالت البنت استوهبت منك اهل الحبس اصنع بهم ما شئت فظن ابوها انها ترحمهم فتزوجهم فقال ابوها قد فعلت فأمرت امها باهل السجن فعرضوا عليها فلما مر بها يحيي امرت به فذبح واخذت رأسه في طشت ثم حملت الطشت الى ابيها بامر أمها وقالت ايها الملك اني قد ذبحت لك ذبيحة من اعظم ما وجدته ولو كان مثله الف لذبحتهم لك قال وما هو قالت يحيي بن زكريا فقال هلكت واهلكت أبويك فغير ما بهم من النعم وسلط عليهم عدوا فذبح البنت وأبويها وسلط عليهم الكلاب والسباع حتى أكلتهم (وروي) سعيد بن جبير عن ابن عباس قال كان عيسي بن مريم ويحيي بن زكريا في اثني عشر من الحواريين يعلمون الناس قال وكان مما نهوهم عنه نكاح بنت الاخ وكان للملكهم بنت اخ تعجبه يريد ان يتزوجها وكان لها في كل يوم حاجة عنده يقضيها لها فلما بلغ أمها انه ينهى عن نكاح بنت الاخ قالت لابنتها اذا دخلت على الملك فسألك عن حاجتك فقولي حاجتي أن تذبح يحيي بن زكريا فلما دخلت عليه سألها عن حاجتها فقالت حاجتي ان تذبح يحيي بن زكريا فقال سلي غير هذا فقالت ما اسألك الا هذا فلما ابت عليه دعا يحيي بن زكريا ودعا بطشت فذبحه فيه فنبذت من دمه قطرة فلم تزل تغلي حتى بعث الله عز وجل بختنصر عليهم فجاءت عجوز من بني اسرائيل فدلته على ذلك الدم فالقي الله في قلبه أن يقتل على ذلك الدم سبعين الفا منهم على سن واحد فسكن فقتلهم فسكن (وقال السدي) باسناده كان ملك بني اسرائيل يكرم يحيي بن زكريا ويدني مجلسه ويستشيره في امره ولا يقطع امرا دونه وانه هوى أن يتزوج ابنة امرأة له فسأل عن ذلك يحيي فنهاه عنه وقال لست ارضاها لك فبلغ ذلك أمها فحقدت على يحيي حين نهاه ان يتزوج ابنتها فعمدت الى ابنتها حين جلس الملك على شرابه فالبستها ثيابا رقاقا حمرا وطيبتها والبستها من الحلي والبستها فوق ذلك كساء اسود وارسلتها الى الملك وامرتها ان تسقيه وأن تتعرض له فاذا راودها عن نفسها أبت عليه حتى يعطيها ما تسأله فاذا اعطاها ذلك سألته أن يأتيها برأس يحيي بن زكريا في طشت ففعلت ذلك وجعلت تسقيه وتتعرض له فلما اخذ منه الشراب راودها عن نفسها فقالت لا افعل حتى تعطيني ما اسألك قال وما تسأليني قالت ان تبعث الى رأس يحيي بن زكريا في هذا الطشت قال ويحك سليني غير هذا قالت ما اسألك الا هذا فلما ابت عليه بعث اليه فاتى رأسه والرأس يتكلم حتى وضع بين يديه وهو

يقول

رضي الله تعالى عنه (وحكي عن ابي يعقوب السوسي نفعنا الله ببركاته) انه قال جاءني بعض المريدين بمكة وسلم علي وقال يا استاذي غدا عند الظهر اموت فخذ هذا الدينار فكفني بنصفه واحفر لي قبرا بنصفه ثم امض من عندي فلما كان الغد عند الظهر جاء فطاف سبعا ثم امتد نحو القبلة فمات رحمة الله تعالي عليه فنظرت في وجهه ففتح عينيه في وجهي وهو يضحك فقلت له يا أخي أنت ميت ام حي فقال بل حي وكل محب لله فهو حي قال فتعجبت منه ثم اخذت في غسله وتكفينه وتجهيزه ودفنه رضي الله تعالى عنه (وحكي عن الشيخ أبي علي الروزباري عفا الله عنه) انه قال ورد علي جماعة من الفقراء فمرض منهم رجل ومكث في مرضه اياما كثيرة فمل اصحابه من خدمته واشتكوا الى ذلك فخالفت نفسي وحلفت ان لا يتولى خدمته احد غيري فصرت أخدمه بنفسي أياما حتى مات رحمة الله تعالي عليه ثم غسلته وكفنته وصليت عليه ولحدته فبينما انا عند

يقول لا تحل لك فلما اصبح اراده ه يغلي فامر بتراب فلقي عليه فارتفع الدم فوقه فلم يزل يغلي و يلقي عليه التراب حتي بلغ سور المدينة وهو مع ذلك يغلي وذكر الحديث الطويل الذى فى قصة سنجاريب و بختنصر كما قدمنا ذكره في اخبار بختنصر (وقالت علماء النصاري) الذى قتل يحيى ملك من ملوك بني اسرائيل يقال له هيردوس بسبب امرأة يقال لها هردويا كانت امرأة اخ له يقال له فليقوس عشقها فوافقته على الفجور فنهاه يحيى واعلمه انها لا تحل له فسألت المرأة هيردوس ان يأتيها برأس يحيى فلما فعل ذلك سقط فى يديه وجزع جزعا شديدا (قال كعب الاحبار) كان يحيى من اجمل الناس وجها واحسنهم في زمانه فاحبته امراة الملك الذى كان فى زمانه حبا شديدا فارسلت اليه تراوده عن نفسه فارسل اليها انه لا علم له بالنساء والملك احق ان يطأ فراشه فلما انتهى اليها الرسول غضبت غضبا شديدا وقالت كيف لى ان اقتله ولا يخبر الناس انى قد راودته فلم تزل بالملك حتى وهب لها يحيى بن زكريا فارسلت اليه وهو قائم يصلي فى بيت المقدس فى محراب داود من يضرب عنقه و يأخذ رأسه فلما أخذوا رأس يحيى خسف الله بها و باهلها الارض عقوبة لها بقتلها يحيى عليه السلام

﴿ ذكر مقتل زكريا عليه السلام ﴾

(قال كعب الاحبار) فلما سمع زكريا ان ابنه يحيي قتل وخسف بالقوم انطلق هاربا حتى دخل بستانا عند بيت المقدس فيه الاشجار فنادته شجرة يا نبي الله الى ههنا فلما أتاها انفتقت له الشجرة ودخل زكريا فى وسطها فانطلق ابليس لعنه الله حتى اخذ بطرف ردائه فاخرجه من الشجرة ليصدقوه اذا اخبرهم فلذلك تصنع اليهود الخيوط فى اطراف أرديتهم لا يدرون لما امروا بذلك واخذ الملك واهله يلتمسون زكريا فاستقبلهم ابليس لعنه الله تعالى فقال لهم ما تلتمسون قالوا نلتمس زكريا فقال ابليس انه دخل فى هذه الشجرة قالوا لا نصدقك قال فانى ان اريتكم علامة تصدقوني بها قالوا فارناها فاراهم طرف ردائه فاخذوا المنشير وضربوا الشجرة فنشروها نصفين فسلط عليهم اخبث اهل الارض علجا مجوسيا فانتقم الله به من بني اسرائيل بدم يحيي وزكريا فقتل عظماء بنى اسرائيل وسبي منهم مائة وسبعين الفا (وقيل) ان السبب فى قتل زكريا ان ابليس جاء الى مجالس بني اسرائيل فقذف مريم بزكريا وقال ما حبلها احد غير زكريا وهو الذي كان يدخل عليها فطلبوا زكريا فهرب واتبعه سفهاؤهم واشرارهم فسلك واديا كثير الاشجار فتشبه له الشيطان فى صورة راع فقال يا زكريا قد ادركوك فادع الله ان يفتح لك هذه الشجرة ففعل ذلك فانفتحت له فدخل فيها واخرج ابليس هدب ردائه منها فمرت بنو اسرائيل بالشيطان فقالوا يا راعي هل رايت رجلا ههنا من صفته كذا وكذا قال نعم سحر هذه الشجرة فانفتحت له فدخل فيها وهذا هدب ردائه فقطعوا الشجرة مع زكريا وفلقوها فلقتين بالمنشار طولا فبعث الله الملائكة فغسلوا زكريا وصلوا عليه ودفنوه وفى ان الشمس بكت على يحيي اربعين صباحا وكان بكاؤها ان طلعت وغربت حمراء و يروي ان يحيى الخبر سيد الشهداء يوم القيامة وقائدهم الى الجنة والله اعلم

﴿ مجلس فى مولد عيسى عليه السلام وفى حمل مريم بعيسى عليهما السلام وما يتصل به ﴾

قال الله تعالى واذكر فى الكتاب مريم اذ انتبذت من اهلها مكانا شرقيا قالت العلماء باخبار الانبياء لما مضي من حمل عيسى عليه السلام ثلاثة ايام ومريم يومئذ بنت خمسة عشرة سنة وقيل بنت ثلاث عشرة سنة وكان مع مريم فى المسجد من المحررين ابن عم لهما يقال له يوسف النجار وكان رجلا حليما نجارا يتصدق بعمل يديه وكان يوسف ومريم يليان خدمة الكنيسة وكانت مريم اذا نفذ ماؤها وماء يوسف اخذ كل واحد منهما قلته وانطلق الى المغارة التى فيها الماء فيستقطان منه ثم يرجعان الى الكنيسة فلما كان اليوم الذى لقيها فيه جبريل عليه السلام

اضجاعه في قبره اذ نظرت الى عينيه فوجدتهما مفتوحتين ثم اقسم وقال يا لي لانصرنك بجاهى يوم القيامة كما نصرتني وخالفت نفسك وخدمتني ثم أسبل عينيه رضي الله تعالى عنه ونفعنا والمسلمين ببركاته (وحكى عن بعضهم رضى الله تعالى عنه) انه قال قصد جماعة من الفقهاء زيارة بعض المشايخ وكان رجلا عالما وليا زاهدا ورعا فلما حضروا بين يديه اقيمت الصلاة فصلوا خلفه فسمعوه يلحن في قراءته فتغير اعتقادهم فيه فكاشف عليهم الشيخ فلما ناموا سلط الله عليهم الاحتلام فاحتلموا كلهم في تلك الليلة فخرجوا الى البحر ليغتسلوا فوضعوا ثيابهم الى جانب البحر ونزلوا جميعا فى الماء وكان ذلك في زمن الشتاء فجاء الاسد فجلس على ثيابهم فلاقوا من البرد شدة عظيمة ولم يعرفوا ان الشيخ علم بحالهم فبينما هم كذلك اذا الشيخ قد اقبل وقال لهم انتم استوجبتم البلل ثم اخذ باذن الاسد وقال له اما قلت لك لا تتعرض لضيفاني فخرجوا من الماء ولبسوا ثيابهم ثم اتوا الى الشيخ يعتذرون له

وكان اطول يوم في السنة واشده حرا نفد ماؤها فقالت الا تذهب بنا يا يوسف فتستقي فقال ان عندي لفضلا من ماء اكتفي به يومي هذا الى غد قالت ولكني والله ما عندي ماء فاخذت قلتها ثم انطلقت وحدها حتى دخلت المغارة فوجدت عندها جبريل عليه السلام قد مثله الله لها بشرا سويا فقال لها يا مريم ان الله قد بعثني اليك لاهب لك غلاما زكيا قالت اني اعوذ بالرحمن منك ان كنت تقيا اى مؤمنا مطيعا قال علي بن ابي طالب كرم الله وجهه علمت ان التقي ذو رحمة وخشية وهي تحسبه رجلا من بني آدم قال عكرمة وكان جبريل عرض لها في صورة رجل شاب امرد وضيء الوجه جعد الشعر سوى الخلق قالت الحكماء انما ارسله الله تعالى في صورة البشر لتثبت مريم عليها وتقدر على استماع كلامه ولو نزل على صورته التي هو عليها لفزعت ونفرت منه ولم تقدر على استماع كلامه فلما استعاذت منه مريم قال انما انا رسول ربك لاهب لك غلاما زكيا قالت انى يكون لي غلام ولم يمسسني بشر ولم اك بغيا قال كذلك قال ربك هو علي هين الآية فلما قال لها ذلك استسلمت لقضاء الله فنفخ في جيب درعها وكانت قد وضعته عنها فلما انصرف عنها لبست مريم درعها وحملت بعيسى عليه السلام ثم ملأت قلتها وانصرفت الى المسجد *

وقال السدي وعكرمة ان مريم عليها السلام كانت تكون في المسجد ما دامت طاهرة فاذا حاضت تحولت الى بيت خالتها حتى اذا طهرت عادت الى المسجد فبينما هي تغتسل من الحيض وقد اتخذت مكانا شرقيا أي مشرقا لانه كان في الشتاء في أقصر يوم في السنة (قال الحسن) انما اتخذت النصارى المشرق قبلة لان مريم انتبذت مكانا شرقيا فضربت من دونهم حجابا أي سترا وقال مقاتل جعلت الجبل بينها وبين قومها فبينما هي كذلك في تلك الحالة اذ عرض لها جبريل وبشرها بعيسى ونفخ في جيب درعها قال وهب فلما اشتملت على عيسى كان معها ذو قرابة لها يقال له يوسف النجار وكانا منطلقين الى المسجد الذي عند جبل صهيون وكان ذلك المسجد يومئذ من أعظم مساجدهم وكانت مريم ويوسف النجار يخدمان ذلك المسجد وكان لخدمته فضل عظيم وكانا يليان معالجته بانفسهما وتجميره وتطهيره وكان لا يعلم في زمانهما أشد اجتهادا وعبادة منهما وكان أول من أنكر حملها ابن عمها وصاحبها يوسف النجار فلما رأى الذي بها استعظمه واستفظعه ولم يدر ماذا يصنع من أمرها وكلما أراد أن يتهمها ذكر صلاحها وعبادتها وبراءتها وأنها لم تغب عنه ساعة واحدة واذا أراد أن يبرئها رأى الذي ظهر بها من الحمل فلما اشتد ذلك عليه كلمها فكان أول كلامه اياها أن قال لها انه قد وقع في نفسي من أمرك شيء وقد حرصت على أن أكتمه فغلبني ذلك ورأيت أن الكلام فيه أشفى لصدري فقالت له قل قولا جميلا قال لها اخبريني يا مريم هل نبت زرع بغير بذر قالت نعم قال فهل نبتت شجرة بغير غيث قالت نعم قال فهل يكون ولد من غير ذكر قالت ألم تعلم أن الله عز وجل انبت الزرع يوم خلقه من غير بذر والبذر انما يكون من الزرع الذي انبته من غير بذر ألم تعلم أن الله تعالى أنبت الشجر من غير غيث وبالقدرة جعل الغيث حياة الشجر بعد ما خلق الله كل واحد منهما على حدة أو تقول ان الله لا يقدر أن ينبت الشجر حتى استعان بالماء ولولا ذلك لم يقدر على انباته قال يوسف لها لا أقول هذا ولكني أقول ان الله تعالى يقدر على ما يشاء يقول للشيء كن فيكون فقالت له مريم ألم تعلم ان الله خلق آدم وامرأته من غير ذكر ولا أنثى قال بلى فلما قالت له ذلك وقع في نفسه ان الذي بها شيء من امر الله وانه لا يسعه ان يسألها عنه وذلك لما رأى من كتمانها لذلك ثم تولى يوسف خدمة المسجد وكفاها كل عمل كانت تعمل فيه لما رأى من رقة جسمها واصفرار لونها وكلف وجهها ونتو بطنها وضعف قوتها وكان جبل صهيون على باب بيت المقدس وسمعت من الثقات ان قبر داود عليه السلام فيه وثم كنيسة مشرفة على عين السلوان وسألت بعض الرهبان فقال هذا صهيون والكنيسة التي خدمت فيها مريم ويوسف هذه وقد افصح فيها عيسى ودعا الخلق الى الله تعالى ثم نقل من هذه الى القمامة وهي كنيسة عظيمة داخل بيت المقدس يدعون ان عيسى عليه

السلام

و يقبـلون يديه ويستغفرون الله تعالى فقال لهم الشيخ انتم اشتغلتم باصلاح الظاهر فخفتم الاسد ونحن اشتغلنا باصلاح الباطن فخافنا الاسد رضي الله تعالى عنه ورضي عنا وعن جميع المسلمين ببركاته (وحكي عن بعضهم رضي الله تعالى عنه) اشارة لطيفة قال لما ذهب ابراهيم خليل الرحمن عليه الصلاة والسلام الى النمروذ لعنه الله يدعوه الى عبادة الله عز وجل عظم عليه ذلك وجمع اهل مملكته وخواص رعيته وقال لهم ماتشيرون علي به في امر هذا الرجل الذي تجارأ علينا وكسر الاصنام وعطل ديننا بين الانام فقولوا ما بدا لكم فاني راجع الى اقوال القائلين فقالوا حرقوه وانصروا آلهتكم ان كنتم فاعلين قال فعمدوا الى فلاة من الارض وحفروا فيها حفيرا متسعا ثم نادي النمروذ في اقطار مملكته الا من اطاع النمروذ فليحتطب حزمة من الحطب الهشيم لاحراق ابراهيم قال فبادرت اليه العباد من اقطار البلاد فاقاموا حولا كاملا يجمعون الاحطاب الى ان

السلام لما قتل دفن فيها او بعد ثلاثة ايام عرج به الى السماء فلا ينقطع ابد الدهر منها وانه ينزل فيها والله اعلم

﴿ باب في ذكر ميلاده عليه السلام ﴾

قالوا لما اثقلت مريم ودنا نفاسها اوحي الله تعالى اليها ان اخرجي من مسجد بيت المقدس بيت من بيوت الله تعالى الذي طهر ورفع ان يذكر فيه اسمه فابرزي الى موضع تاوين فيه فتحولت مريم الى بيت خالتها اخت امها ام يحيي فلما دخلت عليها قامت ام يحيي واستقبلتها فالتزمتها فقالت امراة زكريا يا مريم اشعرت اني حبلى قالت مريم وأنت أيضا شعرت اني حبلى قالت امراة زكريا فاني اجد ما في بطني يسجد لما في بطنك فذلك قوله تعالى مصدقا بكلمة من الله فلما وافت بيت خالتها اوحى الله اليها انك ان ولدت بين اظهر قومك عيروك وقذفوك وقتلوك وولدك فاظعني من عندهم اى فاخرجي * وقال الكلبي قيل لابن عمها يوسف ان مريم حملت من الزنا الآن يقتلها الملك وكانت قد سميت له فهرب بها يوسف فاحتملها على حمار له ليس بينها وبين الاكاف شيء فانطلق بها يوسف حتى اذا كان قريبا من ارض مصر في منقطع بلاد قومها ادرك مريم النفاس فالجاها الى اصل نخلة يابسة وذلك في زمان الشتاء (قال الكلبي) لما كان يوسف ببعض الطريق اراد قتلها فاتاه جبريل عليه السلام فقال له انه من روح القدس فلا تقتلها واختلف العلماء في مدة حمل مريم عليها السلام ووقت وضعها عيسي عليه السلام فقال بعضهم كان مقدار حملها تسعة اشهر كحمل سائر النساء وقيل ثمانية اشهر وكان ذلك آية اخرى لانه لم يعش مولود لثمانية اشهر غير عيسي وقيل ستة اشهر وقيل ثلاث ساعات وقيل ساعة واحدة (وقال ابن عباس) ما هو الا ان حملت ووضعت ولم يكن بين الحمل والوضع والانتباذ الا ساعة واحدة لان الله تعالى لم يذكر بينهما فصلا قال الله عز وجل فحملته فانتبذت به مكانا قصيا اى بعيدا من قومها وقال مقاتل حملته امه في ساعة وصور في ساعة ووضع في ساعة حين زالت الشمس من يومها وهى بنت عشرين سنة وقد كانت حاضت حيضتين قبل ان تحمل بعيسي قالوا فلما اشتد بها المخاض التجات الى النخلة وكانت نخلة يابسة ليس لها سعف ولا كرانيف ولا عروق فاحتوشتها الملائكة وكانوا صفوفا محدقين بها اى محيطين بها وكانت تلك النخلة في موضع يقال له بيت لحم فقالت حين اشتد الامر يا ليتني مت قبل هذا وكنت نسيا منسيا اى جيفة ملقاة فنوديت ان لا تحزني قد جعل ربك تحتك سريا وهزى اليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا فذلك قوله تعالى فناداها من تحتها ان لا تحزني من قرأ بكسر الميم والتاء فهو جبريل عليه السلام ناداها من سفح الجبل ومن قرأ بفتح الميم والتاء فهو عيسي عليه السلام لما خرج من بطن امه ناداها وكلمها باذن الله تعالى قالوا فلما ولدت عيسى أجرى الله لها نهرا من ماء عذب بارد اذا شربت منه وفاتر اذا استعملته فذلك قوله تعالى قد جعل ربك تحتك سريا وهو النهر الصغير قال ابن عباس ضرب عيسى وقيل جبريل عليه السلام برجله الارض فظهر الماء وحييت تلك النخلة بعد يبسها فتدلت غصونها واورقت واثمرت وارطبت وقيل لها هزى اليك بجذع النخلة اى حركيه تساقط عليك رطبا جنيا غضا طريا قال الربيع ابن خثيم ما للنفساء عندي خير من الرطب ولا المريض خير من العسل وقال عمرو بن ميمون ما ادرى للمرأة اذا عسرت عليها ولادتها خيرا من الرطب وقرأ هذه الآية قالت عائشة رضي الله عنها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يمضغ التمر ويحنك به اولاد الصحابة حين يولدون وقال بعض البلغاء في وصف التمر علة الصغير ونهلة الكبير قالوا ثم ان يوسف النجار عمد الى حطب فجعله كالحظيرة حواليها بالقرب منها اذ قد اضر بها البرد ثم اشعل لها نارا لتصطلي بها ثم كسر لها سبع جوزات كانت في خرجه فاطعمها اياها فمن اجل ذلك توقد النصارى النار ليلة الميلاد وتلعب بالجوز (قال وهب) فلما ولد عليه السلام اصبحت الاصنام كلها بكل ارض منكوسة على رؤسها ففزعت الشياطين ولم يدروا لم ذلك فساروا مسرعين حتى جاؤا الى ابليس لعنه الله وغضب عليه وهو على عرش له في لجة خضراء يتمثل

ما ؤا ذلك الحفير بالاخشاب فقال قوم نكبله وندعه في النار ونضرمها عليه واختلفوا في ذلك فاتاهم ابليس لعنه الله وقال لهم اضرموا النيران فاذا راى لهيبها وعاينها يرجع عن دينه الى دينكم ثم وضع لهم المنجنيق وقال لهم اذا أبى فضعوه في كفته وارموه في ذلك فانه يصعد به المنجنيق في الهواء ويوقعه في النار وأنتم تنظرون كيف يحترق قال فاتخذ النمروذ مكانا متسعا من الارض مبنيا بالجص وجلس ينظر كيف يحترق ابراهيم خليل الرحمن عليه الصلاة والسلام قال فلما اوقدوا النيران كاد أن يضيء لها المشرق والمغرب وصعد لهيبها الى ان اطبق ما بين الخافقين حتى ان الطير كان اذا طار في الجو حرقه لهب النيران ثم اتى بابراهيم عليه الصلاة والسلام فلما نظر الى ذلك التفت يمينا وشمالا الى الكافرين وقال اني وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض حنيفا وما انا من المشركين قال فوضعوه في المنجنيق ورموه في الجو فضجت ملائكة السماء وقالوا الهنا وسيدنا ومولانا هذا عدوك فعل بخليلك ما ترى

بالعرش يوم كان على الماء فاتوه وقد خلت ست ساعات من النهار فلما راى ابليس اجتماعهم فزع من ذلك ولم يرهم جميعا منذ فرقهم قبل تلك الساعة وانما كان يراهم اشتاتا فسالهم فاخبروه انه حدث في الارض حدث فاصبحت الاصنام كلها منكوسة على رؤسها ولم يكن شيء اعون على هلاك بني آدم منها لانهم كانوا يدخلون في اجوافها فتكلمهم وتدبر أمرهم فيظنون انها هي التي تكلمهم فلما اصابها هذا الحدث صغرها في أعين الناس وأذلها وقد خشينا أن لا يعبدوها بعد هذا (واعلم) انا لم نكن نأتيك حتى أحصينا الارض وقلبنا البحار وكل شيء فلم نزدد عما أردنا الا جهلا فقال لهم ابليس فما يكون الأمر عظيم فكونوا مكانكم فطار ابليس عند ذلك ولبث عنهم ثلاث ساعات فمر فيهن بالمكان الذي ولد فيه عيسى فلما رأي الملائكة محدقين بذلك المكان علم ان ذلك الحدث فيه فاراد ابليس لعنه الله أن يأتيه من فوقه قال فاذا رؤس الملائكة ومناكبهم الى السماء ثم أراد ان يأتيه من تحت الارض فاذا أقدام الملائكة راسية فاراد ان يدخل من بينهم فمنعوه عن ذلك يدل عليه حديث النبي صلى الله عليه وسلم كل ابن آدم يطعن الشيطان في جنبيه باصبعه حين يولد الا عيسى بن مريم عليه السلام حجبه الله تعالى عنه فذهب يطعن فطعن في الحجاب * قال وهب فذهب ابليس لعنه الله الى أصحابه فقال لهم ما جئتكم حتى احصيت الارض كلها مشرقها ومغربها وبحرها والخافقين والجو الاعلى وكل هذا بلغته في ثلاث ساعات ثم أخبرهم بمولد عيسى وقال ما اشتملت قبله رحم انثى على ولد الا بعلمي ولا وضعته الا وانا حاضرها واني لارجو ان يضل به أكثر ممن يهتدي به وما كان نبي أشد علي وعليكم من هذا المولود ثم انه خرج في تلك الليلة يؤمونه من اجل نجم طلع كانوا من قبل يتحدثون ان مطلع ذلك النجم من علامات مولود في كتاب دانيال فخرجوا يريدونه ومعهم الذهب والمر واللبان فمروا بملك من ملوك الشام فسالهم أين تريدون فاخبروه بذلك قال فما بال المر والذهب واللبان اهديتموه بهذه الاشياء قالوا تلك أمثاله لان الذهب سيد المتاع كله وكذلك هذا النبي صلى الله عليه وسلم سيد اهل زمانه ولان المر يجبر به الكسر والجرح وكذلك هذا النبي صلى الله عليه وسلم يشفي الله به كل سقم ومريض ولان اللبان دخانه يدخل السماء ولا يدخلها دخان غيره وكذلك هذا النبي صلى الله عليه وسلم يرفعه الله الى السماء ولا يرفع في زمانه أحد غيره فلما قالوا ذلك لذلك الملك حدث نفسه بقتله فقال لهم اذهبوا فاذا علمتم بمكانه فاعلموني بذلك فاني راغب في مثل ما رغبتم فيه من امره فانطلقوا حتى قدموا على مريم ودفعوا ما كان معهم من الهدية اليها عليها السلام وارادوا ان يرجعوا الى ذلك الملك ليعلموه بمكانه فلقيهم ملك وقال لهم لا ترجعوا اليه ولا تعلموه بمكانه فانه انما اراد قتله فانصرفوا في طريق آخر وقال مجاهد قالت مريم عليها السلام كنت اذا خلوت مع عيسى عليه السلام حدثني وحدثته فاذا شغلني عنه انسان سبح في بطني وانا اسمع والله اعلم

(باب في رجوع مريم بابنها عيسى بعد ولادتها اياه الى جماعة قومها من بيت لحم)

قال ثم ان جماعة من قومها لما هيا الله تعالى لامته مريم عليها السلام أمرها ويسر الله لها أسباب ولادتها قال كلي يا مريم من الرطب واشربي من الماء العذب وقري عينا وطيبي نفسا فاما ترين من البشر أحدا فسألك عن ولدك أو لامك عليه فقولي اني نذرت للرحمن صوما أي صمتا وكذلك هو في قراءة ابن مسعود وأنس وذلك انهم كانوا اذا صاموا أمسكوا عن الطعام والشراب والكلام فلن اكلم اليوم انسيا فأتت به قومها تحمله قال الكلبي احتمل يوسف النجار مريم وعيسى الى غار فادخلهما فيه اربعين يوما حتى تعالت من نفاسها ثم جاء بها فاتت مريم تحمله بعد اربعين يوما فكلمها عيسى في الطريق فقال يا اماه ابشري فاني عبد الله ومسيحه فلما دخلت على اهلها ومعها الصبي بكوا وحزنوا وكانوا أهل

فائذن لنا أن نخسف به الارض وننجي خليلك ابراهيم فقال الجليل جل جلاله يا ملائكتي كل ذلك بعين قدرتي وانا اللطيف الخبير ثم قال الله تعالى ياجبريل ادرك خليلي ابراهيم وسله ما يريد فانا اقرب اليه من حبل الوريد قال فهبط اليه جبريل مسرعا وهو صاعد في الهواء قبل هبوطه الى النار فقال السلام عليك يا ابراهيم فقال وعليك السلام يا جبريل فقال ألك من حاجة فقال له ابراهيم أما اليك فلا فقال جبريل سل من اليه حوائجك فقال ابراهيم علمه بحالي يغني عن سؤالي فقال الله تبارك وتعالى يا نار كوني بردا وسلاما على ابراهيم فصارت تلك النار جنة نعيم وجرت فيها عين من تسنيم وفرش فيها مهاد التنعيم ونودي بلسان التفهيم سلام قولا من رب رحيم وكان من أمره ما كان (فلما) آن ظهور اشراق بهجة المصطفى سيد الامم طه المكرم صلى الله عليه وسلم وأينعت اغصان الاسلام وأثمرت وبزغت في ليل الشرك شمس الايمان وظهرت وولد سيد البشر وشاع

بيت صالحين فقالوا يامريم لقد جئت شيئا فريا فظيعا عظيما يااخت هرون قال قتادة كان هرون رجلا صالحا من انقياء بني اسرائيل وليس بهرون أخي موسى وذكروا انه تبع جنازته يوم مات أربعون ألفا من بني اسرائيل كلهم يسمى هرون * وقال وهب كان هرون من أفسق بني اسرائيل واظهرهم فسادا فشبهوها به ما كان أبوك عمران امرأسوء وما كانت امك بغيا أي زانية فمن أين لك هذا الولد فاشارت لهم مريم الى عيسى أن كلموه فغضبوا وقالوا كيف نكلم من كان في المهد صبيا قال وهب فاتاها زكريا عليه السلام عند مناظرتها اليهود وقال لعيسى انطق بحجتك ان كنت أمرت بها فقال عند ذلك عيسي عليه السلام وهوابن أربعين يوما اني عبد الله آتاني الكتاب الاية فاقر على نفسه بالعبودية أول ماتكلم تكذيبا للنصاري والزاما للحجة عليهم * قال عمرو بن ميمون ان مريم لما أتت قومها بعيسى أخذوا الحجارة وارادوا أن يرجموه فلما تكلم عيسي تركوه قالوا ثم لم يتكلم بشيء بعدها حتى كان بمنزلة غيره من الصبيان والله أعلم

(باب في ذكر خروج مريم وعيسى عليهما السلام الى مصر)

قال الله تعالى وجعلنا ابن مريم وامه آية وآويناهما الى ربوة ذات قرار ومعين قالوا كان مولد عيسي بعد مضي اثنتين واربعين سنة من ملك اغسطوس واحدى وخمسين سنة مضت من ملك الاشكانيين ملوك الطوائف وكانت المملكة في ذلك الوقت لملوك الطوائف وكانت الرياسة في الشام ونواحيها لقيصر ملك الروم وكان الملك عليها من قبل قيصر هردوس فلما عرف هردوس ملك بني اسرائيل خبر المسيح قصد قتله وذلك أنهم نظروا الى نجم قد طلع فعرفوا ذلك بحساب عندهم في كتاب لهم فبعث الله ملكا الى يوسف النجار واخبره بما اراد هردوس وأمره ان يهرب بالغلام وأمه الى مصر واوحى الله الي مريم ان الحق بمصر فان هردوس ان ظفر بابنك قتله فاذا مات هردوس فارجعي الى بلادك فاحتمل يوسف مريم وابنها على حمار له حتى ورد أرض مصر وهي الربوة التي قال الله تعالى وآويناهما الى ربوة ذات قرار ومعين (ذكر ابو اسحق الثعلبي) في التفسير ذات قرار ومعين قال عبد الله بن سلام هي دمشق وقال أبو هريرة هي الرملة وقال قتادة وكعب هي بيت المقدس وقال كعب هي اقرب الارض الى السماء وقال ابو زيد هي مصر وقال الضحاك هي غوطة دمشق وقال ابو العالية هي ايلياء وقال الفراء الارض المستوية والمعين الماء الطاهر فاقامت مريم بمصر اثنتى عشرة سنه تغزل الكتان وتلتقط السنبل في اثر الحصادين وكانت تلتقط السنبل والمهد في منكبها والوعاء الذى فيه السنبل في منكبها الآخر حتى تم لعيسى اثنتا عشرة سنة (وروى) عن محمد ابن على الباقر رضي الله عنه انه قال لما ولد عيسى كان ابن يوم كانه ابن شهر فلما كان تسعة اشهر اخذت والدته بيده وجاءت به الى الكتاب واقعدته بين يدي المؤدب فقال له المؤدب قل بسم الله الرحمن الرحيم فقالها عيسي فقال المؤدب قل ابجد فرفع عيسى عليه السلام راسه فقال له هل تدرى ما ابجد فعلاه بالقضيب ليضربه فقال يامؤدب لاتضربني ان كنت تدرى والا فاسألني حتى افسر لك فقال له المؤدب فسره لي فقال عيسى الالف لااله الا الله والباء بهجة الله والجيم جلال الله والدال دين الله هوز الهاء هي جهنم وهي الهاوية والواو ويل لاهل النار والزاي زفير أهل جهنم حطى حطت الخطايا عن المستغفرين كلمن كلام الله غير مخلوق ولا مبدل لكلماته سعفص صاع بصاع والجزاء بالجزاء قرشت تقرشهم حين تحشرهم أي تجمعهم فقال المؤدب لامه أيها المرأة خذي ابنك فقد علم ولاحاجة الى المؤدب (أخبرنا) الحسين بن محمد بن الحسين المعسر باسناده عن ابي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان عيسى أرسلته امه ليتعلم فقال له المعلم قل بسم الله فقال عيسى وما بسم الله قال المعلم ما ادري

ذكره وانتشر وبلغ اشده واستوى اتاه المطوق بالنور الامين جبريل عليه السلام من الملك وقال له يامحمد اجب الملك الجليل قد اتيتك بالبراق لتعلوا السبع الطباق فقد دعاك لحضرته الملك الخلاق وها انا في ركابك فوضع النبي صلى الله عليه وسلم قدما بالمسجد الحرام وقدما بالمسجد الاقصي واثاث بعنان السماء فتقدم وصلى بالانبياء والمرسلين صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين ثم اخترق سماء بعد سماء حتى انتهى الى عرش الاستواء واخترق الحجب والاستار الى ان سمع صريف القلم على صفحات اللوح المحفوظ فعند ذلك وقف جبريل عليه السلام فقال له النبى صلى الله عليه وسلم مابالك تركتني فقال له جبريل يااكرم الخلق على الله تقدم على ربك وذرني فهذا مكاني متى تقدمت قدر ذرة احرقتني انوار الهيبة وشعاع العظمة وما منا الا له مقام معلوم فلما امر المصطفى صلى الله عليه وسلم بان يتقدم وينزل جبريل عليه السلام قال له ياامين الوحي الك من حاجة الى الله تعالى في هذا المقام كما تقدم منك لابي ابراهيم

قال عيسى الباء بهاء الله والسين سناء الله والميم مملكته جل وعلا والله أعلم

(باب فى صفة عيسى وحليته عليه السلام)

قال كعب الاحبار كان عيسى بن مريم رجلا أحمر مائلا الى البياض ماهو سبط الرأس ولم يدهن رأسه قط وكان عيسى يمشى حافيا ولم يتخذ بيتا ولا حلية ولا متاعا ولا ثيابا ولا رزقا الا قوت يومه وكان حيثما غابت الشمس صف قدميه وصلى حتى يصبح وكان يبرىء الاكمه والابرص ويحيي الموتى باذن الله وكان يخبر قومه بما يأكلون فى بيوتهم وما يدخرون لغد وكان يمشي على وجه الماء فى البحر وكان اشعث الرأس صغير الوجه زاهدا فى الدنيا راغبا فى الاخرة حريصا على عبادة الله وكان سياحا في الارض حتى طلبته اليهود وأرادوا قتله فرفعه الله الى السماء والله اعلم

(باب فى ذكر الايات والمعجزات التى ظهرت لعيسى عليه السلام في صباه الى ان نبيء)

قال وهب كان أول آية رآها الناس من عيسى ان امه كانت نازلة في دار دهقان من ارض مصر انزلها بها يوسف النجار حين ذهب بها الى مصر وكانت دار ذلك لدهقان تأوى اليها المساكين فسرق للدهقان مال من خزانته فلم يتهم المساكين فحزنت مريم لمصيبة ذلك الدهقان فلما رأى عيسى حزن امه لمصيبة صاحب ضيافتها قال لها يا أماه اتحبين ان ادله على ماله قالت نعم يا بني قال لها قولي له يجمع المساكين في داره فقالت مريم للدهقان ذلك فجمع له المساكين فلما اجتمعوا عمد والى رجلين منهم احدهما اعمى والاخر مقعد فحمل المقعد على عاتق الاعمي وقال له قم به فقال الاعمى انا اضعف عن ذلك فقال له عيسى كيف قويت على ذلك البارحة فلما سمعوه يقول ذلك ضربوا الاعمى حتى قام فلما استقل قائما هوي المقعد الى كوة الخزانة فقال عيسى للدهقان هكذا احتال على مالك البارحة لان الاعمي استعان بقوة المقعد بعينيه فقال الاعمى والمقعد صدق والله فردا على الدهقان ماله كله فأخذه الدهقان ووضعه فى خزانته وقال يامريم خذي نصفه فقالت اني لم اخلق لذلك قال الدهقان فاعطيه لابنك قالت هو اعظم مني شأنا ثم لم يلبث الدهقان ان اعرس لابن له فصنع له عيدا فجمع عليه اهل مصر كلهم فكان يطعمهم شهرين فلما انقضى ذلك زاره قوم من اهل الشام ولم يعلم الدهقان بهم حتى نزلوا به وليس عنده يومئذ شراب فلما راي عيسي اهتمامه بذلك دخل بيتا من بيوت الدهقان فيه صفان من جرار فامر عيسى يده على افواهها وهو يمشى فكلما امر يده على جرة امتلأت شرابا حتي اتى عيسى على آخرها وهو يومئذ ابن اثنى عشرة سنة (آية اخرى) قال السدى كان عيسى عليه السلام اذا كان في الكتاب يحدث الصبيان بما يصنع آباؤهم ويقول للغلام انطلق فقد اكل اهلك كذا وكذا ورفعوا لك كذا وكذا وهم يأكلون كذا وكذا فينطلق الصبي الى اهله فيبكى عليهم حتى يعطوه ذلك الشيء فيقولون له من اخبرك بهذا فيقول عيسى فحبسوا عنه صبيانهم وقالوا لا تلعبوا مع هذا الساحر فجمعوهم في بيت فجاء عيسي يطلبهم فقالوا له ليس ههنا فقال لهم فما فى هذا البيت قالوا خنازير قال كذلك يكونون ففتح عنهم فاذا هم خنازير ففشا ذلك في الناس فهمت به بنو اسرائيل فلما خافت عليه امه حملته على حمار لها وخرجت هاربة الى مصر (آية اخرى) قال السدي لما خرج عيسى وامه عليهما السلام يسيحان فى الارض اذ ترك بني اسرائيل ونزلا فى قرية على رجل فاضافهما واحسن اليهما وكان ملك ذلك الوقت جبارا عنيدا فجاء ذلك الرجل يوما مغتما حزينا فدخل منزله ومريم عند امرأته فقالت لها مريم ماشأن زوجك اراه حزينا فقالت لها لا تسأليني فقالت اخبريني لعل الله يفرج كربه على يدي فقالت ان لنا ملكا يجعل على كل رجل منا نوبة يطعمه ويسقيه الخمر هو وجنوده فان لم يفعل عاقبه واليوم يومنا وليس عندنا سعة قالت فقولي له لا يهتم بشيء فاني آمر ابني ان يدعو له فيكفى ذلك ثم قالت مريم لعيسي فقال ان فعلت ذلك يقع شر قالت فلا نبالي لانه احسن الينا واكرمنا قال عيسي

فقولي

فقال نعم ياسيد البشر فقال وماهى فقال تسأل الله لى عزوجل الامن من مكره وسخطه وعفا به قال فتقدم صلى الله عليه وسلم الى مكان لم يصل اليه نبي مرسل ولا ملك مقرب فابتدأه بالتحية والسلام ذا الجلال والاكرام ثم دنا فتدلى فكان قاب قوسين اوأدنى فاوحى الي عبده ماأوحى فقال صلى الله عليه وسلم يارب اتى فقال الله عز وجل يامحمد انى قد مننت على امتك بثمانية اشياء لم امن بها على احد من الامم السابقة (الاول) انى لم اخلق خلقا فى السماء ولا فى الارض اكرم على من امتك (الثانى) ان مائة الف واربعة وعشرين الفا من الانبياء مشتاقون اليك والى امتك (الثالث) انى لم اعط امتك الكثير من الاموال مثل ماسبق من الامم لئلا يطول عليهم الحساب يوم القيامة رحمة لهم وشفقة عليهم (الرابع) انى لم اعط امتك القوة بالاموال والاولاد مثل الامم السابقة حتى كفروا وجحدوا ونسوني (الخامس) انى لم اطول اعمارهم فتجتمع عليهم الذنوب كما تقدم من غيرهم

فقولى له اذا اقترب ذلك فاملأ قدورك وخوابيك ماء ثم اعلمني ففعل ذلك فدعا عيسى فتحول ماء القدور لحما ومرقا وماء الخوابي خمرا لم ير الناس مثله قط فلما جاء الملك أكل فلما شرب سئل من اين هذا الخمر قال له من ارض كذا وكذا قال الملك فان خمرى قد أتى بها من تلك الارض وليست مثل هذه فقال له من ارض اخرى فلما خلط على الملك وشبه عليه قال اخبرنى على الحق قال فانا أخبرك عندى غلام ماسأل الله شيئا الا اعطاه اياه وانه دعا الله تعالى فجعل الماء خمرا وكان للملك ابن يريد ان يستخلفه فمات قبل ذلك بأيام وكان أحب الخلق اليه فقال الملك ان رجلا دعا الله حتى جعل الماء خمرا ليستجاب له حتى يحيى ابنى فدعا عيسى وكلمه في ذلك فقال له عيسى لاتفعل لانه ان عاش وقع شر فقال الملك لاابالى بعد ان اراه قال عيسى ان أحييته تتركونى انا وامى نذهب حيث نشاء قال نعم فدعا الله فعاش الغلام فلما رآه أهل مملكته قد عاش تبادروا بالسلاح وقالوا أكلنا هذا حتى اذا دنى موته يريد أن يستخلف علينا ابنه فيأكلنا كما أكلنا أبوه فاقتتلوا وذهب عيسى وامه (آية اخرى) قال وهب بينما عيسى يلعب مع الصبيان اذ وثب غلام على صبى فوكزه برجله فقتله فالقاه بين يدى عيسى وهو ملطخ بالدم فاطلع الناس عليه فاتهموه به فاخذوه وانطلقوا به الى قاضى مصر فقالوا له هذا قتل هذا فسأله القاضي فقال عيسى لاادرى من قتله وما أنا بصاحبه فارادوا أن يبطشوا بعيسى عليه السلام فقال لهم ائتونى بالغلام فقالوا له ماتريد منه قال اريد أن اسأله من قتله قالوا وكيف يكلمك وهو ميت فاخذوه واتوا به الى مقتل الغلام فاقبل عيسى على الدعاء فاحياه الله تعالى فقال له عيسى من قتلك قال قتلنى فلان على الذى قتله فقال بنوا اسرائيل من هذا قال هذا عيسى ابن مريم قالوا فمن هذا الذى معه قال قاضى بنى اسرائيل ثم مات الغلام من ساعته فرجع عيسى الى امه وتبعه خلق كثير من الناس فقالت له امه يابنى الم انهك عن هذا فقال لها ان الله حافظنا وهو أرحم الراحمين (آية اخرى) قال عطاء سلمت مريم عيسى بعد ما اخرجته من الكتاب الى اعمال شتى فكان اخر مادفعته الى الصباغين فدفعته الى رئيسه ليتعلم منه فاجتمع عنده ثياب مختلفات فعرض للرجل سفر فقال لعيسى انك قد تعلمت هذه الحرفة وانا خارج في سفر لاارجع الى عشرة ايام وهذه ثياب مختلفات الالوان وقد علمت كل واحد منها على اللون الذي يصنع به فاحب ان تكون فارغا منها وقت قدومى ثم خرج فطبخ عيسى عليه السلام جبا واحدا على لون واحد وادخل فيه جميع الثياب وقال لها كونى باذن الله تعالى على ما اريد منك فقدم الصباغ والثياب كلها في جب واحد فقال ياعيسى مافعلت قال فرغت منها قال اين هى قال فى الجب فقال كلها قال نعم قال كيف تكون كلها في جب واحد لقد افسدت تلك الثياب قال قم فانظر فقام فاخرج عيسى ثوبا أصفر وثوبا اخضر وثوبا احمر الى ان اخرجها على الالوان التي ارادها فجعل الصباغ يتعجب وعلم ان ذلك من الله عز وجل فقال الصباغ للناس تعالوا انظروا الى مافعل عيسى عليه السلام فامن به هو واصحابه وهم الحواريون والله عز وجل اعلم

(باب فى ذكر رجوع مريم وعيسى عليهما السلام الى بلادهما بعد موت هردوس)

قال وهب لما مات هردوس الملك بعد اثنتي عشرة سنة من مولد عيسى عليه السلام اوحى الله تعالى الى مريم يخبرها بموت هردوس ويامرها بالرجوع مع ابن عمها يوسف النجار الى الشام فرجع عيسى وامه عليهما السلام وسكنا فى جبل الخيل فى قرية يقال لها ناصرة وبها سميت النصارى وكان عيسى يتعلم في الساعة علم يوم وفي اليوم علم شهر وفي الشهر علم سنة فلما تم له ثلاثون سنة اوحى الله تعالى اليه ان يبرز للناس ويدعوهم الى الله ويضرب لهم الامثال ويداوي المرضى والزمني والعميان والمجانين ويقمع

(السادس) انى لم اعاقب امتك عند كل ذنب كما عاقبت الامم السابقة (السابع) انى اخرتهم الى آخر الزمان وجعلتهم آخر الامم حتى لايطول مكثهم فى التراب (الثامن) انى لم افش سرهم كما أفشيت سر الامم واخبارهم اليك والى امتك وانه ليس بعدك نبي ولا قرآن وهذا كله ببركتك يامحمد فقال النبي صلى الله عليه وسلم يارب ان عبدك جبريل سألني ان اسألك ان تؤمنه مكرك فلم يسمع جوابا قال فراجع ربه ثانيا فى امره حتى سمع الخطاب من الملك الوهاب يامحمد قد امنته مكرى فعاد النبي صلى الله عليه وسلم الى جبريل وهو فرح مسرور واخبره بذلك ففرح جبريل بذلك وقال الحمد لله على كثرة انعامه ثم قال يامحمد كل ذلك ببركتك وعلو قدرك عند ربك صلى الله عليه وعلى آله واصحابه وسلم تسليما كثيرا آمين

(وروي عن ابي بكر الصديق رضي الله عنه) انه اتى يوما من الايام الى المسجد للصلاة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجده قد صلى فقعد

الشياطين ويزجرهم ويذلهم وكانوا يموتون من خوفه فعمل ما أمره به فاحبه الناس ومالوا اليه واستأنسوا به وكثرت اتباعه وعلا ذكره وربما اجتمع عليه من المرضى والزمنى في الساعة الواحدة خمسون الفا فمن أطاق منهم أن يمشي اليه مشى اليه ومن لم يطق وصل اليه عيسى عليه السلام وانما كان يداويهم بالدعاء بشرط الايمان * ودعاؤه الذى كان يشفى به المرضى ويحيي به الموتى اللهم أنت اله من في السماء واله من في الارض لا اله فيهما غيرك وأنت جبار من في السموات وجبار من في الارض لا جبار فيهما غيرك وأنت ملك من في السموات وملك من في الارض لا ملك فيهما غيرك وأنت حكم من في السموات وحكم من في الارض لا حكم فيهما غيرك قدرتك في الارض كقدرتك في السماء وسلطانك في الارض كسلطانك في السماء أسألك باسمائك الكرام انك على كل شيء قدير

﴿ باب في قصة الحواريين عليهم السلام ﴾

قال الله تعالى فلما أحس عيسى منهم الكفر قال من أنصاري الى الله قال الحواريون نحن أنصار الله آمنا بالله واشهد بانا مسلمون وقال الله عز وجل واذ أوحيت الى الحواريين أي الهمتهم ووفقتهم أن آمنوا بي وبرسولي قالوا آمنا واشهد باننا مسلمون اعوان الحواريين كانوا أصفياء عيسى بن مريم وأولياءه وأرضياءه وأنصاره ووزراءه وكانوا اثني عشر رجلا وأسماؤهم شمعون الصفار المسمى بطرس واندراوس أخوه ويعقوب بن زبدى ويحيي أخوه وفيلبس وبرتولوماوس وتوماومتى العشار ويعقوب بن حلفا وليا الذى يدعى تداوس وشمعون القناني ويهوذا الاسخريوطى عليهم السلام (واختلف) العلماء فيهم لم سموا بذلك قال ابن عباس كانوا صيادين يصطادون السمك فمر بهم عيسى فقال لهم ما تصنعون فقالوا نصطاد السمك فقال لهم ألا تمشون معى حتى نصطاد الناس قالوا وكيف ذلك قال ندعوا الى الله قالوا ومن أنت قال أنا عيسى بن مريم عبد الله ورسوله قالوا فهل يكون أحد من الانبياء فوقك قال نعم النبي العربي فاتبعه أولئك وآمنوا به وانطلقوا معه وقال السدي كانوا ملاحين وقال ابن ارطاة كانوا قصارين سموا بذلك لانهم كانوا يحورون الثياب أي يبيضونها (أخبرنا) ابن فنجويه باسناده عن مصعب قال الحواريون اثنا عشر رجلا اتبعوا عيسى فكانوا اذا جاعوا قالوا يا روح الله جعنا فيضرب بيده الى الارض سهلا كان أو جبلا فيخرج لكل انسان رغيفين فيأكلهما واذا عطشوا قالوا يا روح الله عطشنا فيضرب الارض سهلا كان أو جبلا فيخرج الماء فيشربون فقالوا يا روح الله من أفضل منا اذا شئنا اطعمتنا واذا شئنا أسقيتنا وآمنا بك واتبعناك قال أفضل منكم من يعمل بيده ويأكل من كسبه قال فصاروا يعملون الثياب بالكراء قال ابن عون صنع ملك من الملوك طعاما فدعا الناس اليه وكان عيسى على قصعة فكانت القصعة لا تنقص فقال له الملك من أنت قال أنا عيسى بن مريم قال الملك اني أترك ملكي وأتبعك فانطلق بمن اتبعه منهم وهم الحواريون وقيل هو الصباغ وأصحابه وقد مضت القصة * قال الضحاك سموا حواريين لصفاء قلوبهم وقال عبد الله بن المبارك سموا حواريين لانهم كانوا نورانيين عليهم أثر العبادة ونورها وبياضها وبهاؤها وأصل الحور عند العرب شدة البياض ومنه الاحور والحور وقال الحسن الحواريون الانصار وقال قتادة هم الذين تصلح لهم الخلافة وقال النضر بن شميل الحواري خاصة الرجل ومن يستعين به فيما ينوبه ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم لكل نبي حواري وحواري الزبير فهؤلاء حواريو عيسى ابن مريم عليه السلام فاما حواريو هذه الامة فاخبرنا الحسين بن محمد الدينوري باسناده عن سفيان بن معمر أن قتادة قال ان الحواريين كلهم من قريش وهم ابو بكر وعمر وعثمان وعلي وحمزة وجعفر وأبو عبيدة ابن الجراح وعثمان بن مظعون وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن ابي وقاص وطلحة بن عبيد الله والزبير بن العوام رضي الله عنهم أجمعين

حدثنا في اخر المسجد لما فاتته الصلاة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فهبط جبريل عليه السلام على النبي صلى الله عليه وسلم وقال يا محمد السلام يقرئك السلام ويخصك بالتحية والاكرام ويقول لك ان الله سبحانه وتعالى خلقني قبل ان يخلق السموات والارض بالفي عام فكنت اسبحه واقدسه فبينما انا على تلك الحالة اذا قبة من نور بيضاء تضيء فجعلت تمر مر السحاب واذا بصوت منها يقول احد احد فرد صمد فقلت يارب من هذا الخلق خلقته قبلي ام خلق تخلقه بعدي فقال الله عز وجل هذا خلق اخلقه في اخر الزمان وهو نبي مكرم اسمه محمد وامته خير الانام فقلت يارب اسالك بحقه عليك ان تجعلني سفيرا بينك وبينه فكان كذلك فبينما انا كذلك اذا بقبة اخرى تليها وهي تمر مر السحاب واذا بصوت منها يقول صدق صدق فقلت ومن هذا يارب فقال رجل من امة هذا النبي يكون اول من يصدقه يسمى الصديق فلما بعثك الله يا محمد اقام ابو بكر

﴿ذكر خصائص عيسى عليه السلام والمعجزات التي ظهرت على يديه بعد مبعثه الى أن رفع صلوات الله وسلامه عليه﴾

منها تأييد الله اياه بروح القدس قال عز من قائل وأيدناه بروح القدس ونظيرها في سورة المائدة واذ قال الله ياعيسى بن مريم اذكر نعمتي عليك وعلى والدتك اذ أيدتك بروح القدس * واختلفوا فيه فقال الربيع بن أنس هو الروح الذي نفخ فيه الروح اضافه سبحانه الى نفسه تكريما وتخصيصا نحو بيت الله وناقة الله والقدس هو الله تعالى يدل عليه قوله تعالى وروح منه فنفخنا فيه من روحنا وقال آخرون أراد بالقدس الطهارة أي الروح الطاهرة وسمى عيسى عليه السلام روحا لانه لم تتضمنه أصلاب الفحول ولم تشتمل عليه أرحام الطوامث انما كان أمرا من الله تعالى قال السدي وكعب روح القدس جبريل وتأييد عيسى بجبريل عليهما السلام هو أنه كان قرينه ورفيقه يعينه ويسير معه حيثما سار الى أن صعد به الى السماء وقال سعيد بن جبير وعبيدة ابن عمير هو اسم الله الاعظم وبه كان يحيي الموتى ويرى الناس تلك العجائب (ومنها) تعليم الله اياه الانجيل والتوراة وكان يقرؤهما من حفظه كما قال الله تعالى واذ علمتك الكتاب أي الخط قيل الخط عشرة أجزاء قسمة منها لعيسى والحكمة والتوراة والانجيل (ومنها) خلقه الطير من الطين كما قال الله تعالى مخبرا عنه أني قد جئتكم بآية من ربكم أني أخلق لكم من الطين كهيئة الطير فانفخ فيه فيكون طيرا باذن الله وقال تعالى واذ تخلق من الطين كهيئة الطير باذني فكان يصور من الطين كهيئة الطير ثم ينفخ فيه فيكون طيرا باذن الله ولم يخلق غير الخفاش وانما خص بالخفاش لانه أكمل الطير خلقا فيكون أبلغ في القدرة لان له ثديا واسنانا ويلد ويحيض ويطير (قال وهب) كان يطير مادام الناس ينظرون اليه فاذا غاب عنهم سقط ميتا ليتميز فعل الخلق عن فعل الله تعالى وليعلم أن الكمال لله عز وجل (ومنها) ابراء الاكمه والابرص كما قال تعالى وتبرئ الاكمه والابرص باذني والابرص الذي به وضح والاكمه الذي ولد أعمى ولم يبرأ قط ولم يكن في الاسلام أكمه غير قتادة وانما خص هذين لانهما أعيا الاطباء وكان الغالب على زمان عيسى الطب فأراهم المعجزة من جنس ذلك (ويروى) أن عيسى عليه السلام مر بدير فيه عميان فقال ماهؤلاء فقيل هؤلاء قوم طلبوا القضاء فطمسوا أعينهم بأيديهم فقال لهم مادعاكم الى هذا قالوا خفنا عاقبة القضاء فصنعنا بانفسنا ماترى فقال أنتم العلماء والحكماء والاحبار والافاضل امسحوا أعينكم بأيديكم وقولوا بسم الله ففعلوا ذلك فاذاهم جميعا قيام ينظرون (ومنها) احياؤه الموتى باذن الله قال تعالى واذ تخرج الموتى باذني وأحيا منهم أمواتا منهم العاذر وكان صديقا له فأرسلت أخته الى عيسى أن أخاك العاذر يموت فأته وكان بينه وبينه مسيرة ثلاثة أيام فأتاه هو وأصحابه فوجدوه قد مات منذ ثلاثة أيام فقالوا لاخته انطلقي بنا الى قبره فانطلقت معهم الى قبره وهو في صخرة مطبقة فقال عيسى اللهم رب السموات السبع والارضين السبع انك أرسلتني الى بني اسرائيل أدعوهم الى دينك وأخبرهم أني أحيي الموتى باذنك فأحي العاذر فقام العاذر وخرج من قبره وبقي وولد له (ومنها) ابن العجوز وكانت القصة فيه ان عيسى مر في سياحته ومعه الحواريون بمدينة فقال ان في هذه المدينة كنزا فمن يذهب يستخرجه لنا فقالوا ياروح الله لايدخل هذه القرية أحد غريب الاقتلوه فقال لهم عيسى مكانكم حتى أعود اليكم فمضى حتى دخل المدينة فوقف على باب فقال السلام عليكم ياأهل الدار غريب أطعموه فقالت له امرأة عجوز أما ترضى أن أدعك لا أذهب بك الى الوالي حتى تقول أطعموني فبينما عيسى بالباب اذ أقبل الفتى ابن العجوز فقال له عيسى أضفني ليلتك هذه فقال له الفتى مثل مقالة العجوز فقال له عيسى أما أنك لو فعلت ذلك زوجتك بنت الملك فقال له الفتى اما ان تكون مجنونا واما ان تكون عيسى بن مريم قال انا عيسى فاضافه وبات عنده فلما أصبح قال له اغدوادخل على الملك وقل له جئت أخطب ابنتك فانه سيأمر بضربك واخراجك فمضى

ينتظرك قبل امتك باربعين عاما فلما بعثت بادر اليك وصدقك فيستحق منك ان تصير له ساعة حتى يصلي معك وينال من بركتك ثم مضي جبريل عليه السلام فقام النبي صلى الله عليه وسلم واخذ بيد ابى بكر وعاهده انه لم يكن ليصلي فرضا الا ان يكون خلفه رضي الله تعالى عنه وعن كل الصحابة اجمعين (وحكى عنه ايضا رضي الله تعالى عنه) انه قال بينما نحن جلوس بالمسجد واذا برجل اعمى قد دخل علينا وسلم فرددنا عليه السلام واجلسناه بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم فقال من يقضيني حاجة في حب النبي صلى الله عليه وسلم فقال ابو بكر رضى الله تعالى عنه ماحاجتك ياشيخ فقال ان لي اهلا ولم يكن عندي مانفقات به واريد من يدفع لنا شيأ نتقات به في حب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فنهض ابو بكر الصديق رضي الله تعالى عنه وقال نعم انا اعطيك مايقوم بك في حب رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال هل من

الفتى حتى دخل على الملك فقال له جئت اليك أخطب ابنتك فأمر بضربه فضرب وأخرج فرجع الفتى الى عيسى فاخبره الخبر فقال اذا كان غدا فاذهب اليه واخطب ابنته فانه ينالك بدون ذلك ففعل الفتى ما أمره عيسى فضربه دون ذلك الضرب الاول فرجع الى عيسى فاخبره فقال ارجع اليه فانه سوف يقول لك أنا ازوجك اياها على حكمي وحكمي قصر من ذهب وفضة وما فيه من ذهب وفضة وزبرجد فقل له أفعل ذلك فاذا بعث معك احدا فاخرج به فانك سوف تجده فلا تحدث فيه شيأ ثم انه دخل على الملك فخطب فقال تصدقها بحكمي قال وما حكمك فحكم بالذي سماه عيسى فقال نعم رضيت ابعث من يقبض ذلك فبعث معه رجالا فسلم اليهم ما سأله الملك فتعجب الناس من ذلك فسلم اليه الملك ابنته فتعجب الفتى من ذلك وقال يا روح الله تقدر على مثل هذا وأنت على مثل هذه الحالة فقال له عيسى انى آثرت ما يبقى على ما يفنى فقال الفتى انا أيضا ادعه وأصحبك فتخلى عن الدنيا واتبع عيسى فاخذ عيسى بيده وأتى به أصحابه وقال لهم هذا الكنز الذى قلت لكم فكان معه ابن العجوز الى ان مات ومر به وهو ميت على سرير فدعا الله عيسى فجلس على سريره ونزل من على أعناق الرجال ولبس الثياب وحمل السرير على عنقه ورجع الى اهله فبقي وولد له (ومنها) ابنة العاشر رجل كان يأخذ العشر قيل له أتحييها وقد ماتت بالامس فدعا الله عز وجل فعاشت وبقيت وولد لها (ومنها) سام بن نوح قال له الحواريون وهو يصف لهم سفينة نوح لو بعثت لنا من شهد السفينة فينعت لنا ذلك فقام وأتى تلا فضرب بيده وأخذ قبضة من تراب وقال هذا قبر سام بن نوح ان شئتم أحييته لكم قالوا نعم فدعا الله باسمه الاعظم وضرب التل بعصاه وقال احى باذن الله فخرج سام بن نوح من قبره وقد شاب نصف راسه فقال اقد قامت القيامة قال لا ولكني دعوتك باسم الله الاعظم قال ولم يكونوا يشيبون فى ذلك الزمان وكان سام قد عاش خمسمائة سنة وهو شاب ثم أخبرهم بخبر السفينة فقال له عيسى مت فقال بشرط ان يعيذني الله من سكرات الموت فدعا الله عيسى عليه السلام ففعل ذلك وقد ذكر هذا الخبر فى قصة نوح عليه السلام (ومنها) عزير عليه السلام قالوا لعيسى عليه السلام احيه والا احرقناك بالنار وجمعوا له حطبا كثيرا من حطب الكرم وكانوا فى ذلك الوقت يدفنون موتاهم فى صناديق من حجارة مطبقة فوجدوا قبر عزير مكتوبا على ظهره اسمه فعالجوه ليفتحوه فلم يقدروا ان يخرجوه من قبره فرجعوا الى عيسى فاخبروه فناولهم اناء فيه ماء وقال لهم انضحوا قبره بهذا الماء ففعلوا فانفتح الطبق فأتوا به عيسى وهو فى اكفانه والارض لا تأكل اجساد الانبياء ثم أنه نزع ثيابه عنه ثم جعل ينضح على جسده الماء ولحمه وشعره ينبت ثم قال احى يا عزير باذن الله تعالى فاذا هو جالس وكل ذلك تراه اعينهم فقالوا يا عزير ما تشهد لهذا الرجل يعنون عيسى فقال أشهد انه عبد الله ورسوله فقالوا يا عيسى ادع لنا ربك يبقه لنا ليكون بين أظهرنا حيا فقال عيسى ردوه الى قبره فردوه الى قبره فعاد ميتا فآمن بعيسى بن مريم من آمن وعاند من عاند قال الكلبي كان عيسى يحيي الموتى بيا حي يا قيوم (ومنها) اخباره عليه السلام عن الغيوب قال الله عز وجل اخبارا عنه وأنبئكم بما تأكلون وما تدخرون في بيوتكم قال الكلبي لما أبرأ عيسى الاكمه والابرص واحيا الموتى قالوا هذا ساحر ولكن اخبرنا بما نأكل وما ندخر فكان يخبر الرجل بما يأكل فى غدائه وبما يأكل فى عشائه (ومنها) مشيه عليه السلام على الماء يروي انه خرج فى بعض سياحته ومعه رجل من أصحابه قصير وكان كثير اللزوم لعيسى فلما انتهى عيسى الى البحر قال بسم الله بصحة ويقين فمشى على وجه الماء فقال الرجل القصير بسم الله بصحة ويقين فمشى على وجه الماء فداخله العجب فقال هذا عيسى روح الله يمشي على الماء وأنا أمشي على الماء قال فانغمس فى الماء فاستغاث بعيسى فتناوله عيسى من الماء وأخرجه وقال له ما قلت يا قصير فاخبره بما خامر خاطره فقال له عيسى لقد وضعت نفسك في غير الموضع الذي وضعك الله فيه فمقتك الله على ما قلت فتب الى الله مما قلت فتاب الرجل وعاد الى مرتبته التى وضعه الله فيها فاتقوا الله ولا يحسد بعضكم بعضا وحدثنا الامام أبو منصور الحمشاوى باسناده عن معاذ

ابن

حاجة اخرى فقال نعم ان لى ابنة اريد من يتزوج بها في حياتى حبا في محمد صلى الله عليه وسلم فقال ابو بكر رضى الله تعالى عنه انا أتزوج بها في حياتك حبا في رسول الله صلى الله عليه وسلم هل من حاجة اخرى فقال نعم اريد ان اضع يدى فى شيبة ابى بكر الصديق رضي الله عنه حبا في محمد صلى الله عليه وسلم قال فنهض أبو بكر رضى الله عنه ووضع لحيته في يد الاعمى وقال امسك لحيتي في حب محمد صلى الله عليه وسلم قال فقبض الاعمى بلحية ابى بكر الصديق رضي الله تعالى عنه وقال يارب اسألك بحرمة شيبة ابى بكر الا ما رددت على بصري قال فرد الله عليه بصره لوقته فنزل جبريل عليه السلام على النبي صلى الله عليه وسلم وقال يا محمد السلام يقرئك السلام ويخصك بالتحية والاكرام ويقول لك وعزته وجلاله لو اقسم على كل اعمى بحرمة شيبة أبى بكر الصديق لرددت عليه بصره وما تركت على وجه الارض اعمى وهذا كله ببركتك وعلو قدرك وشأنك عند ربك اللهم شفعه فينا والمسلمين

ابن جبل أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لو عرفتم الله حق معرفته لعلمتم العلم الذي ليس بعده جهل وما بلغ ذلك أحد قط قالوا ولا انت يارسول الله قال ولا انا قالوا يارسول الله قد بلغنا ان عيسى بن مريم مشى على الماء قال نعم ولو ازداد خوفا ويقينا لمشى على الهواء قالوا يارسول الله ما كنا نرى ان الرسل تقصر فقال ان الله تعالى أبلغ شانا من ان يبلغ أحد شانه

﴿ ذكر حديث جامع في هذا الباب ﴾

قال وهب خرج عيسى عليه السلام يسيح في الارض فصحبه يهودي وكان مع ذلك اليهودي رغيفان ومع عيسى رغيف فقال له عيسى تشاركني في طعامك قال اليهودي نعم فلما رأى انه ليس مع عيسى الا رغيف واحد ندم فقام عيسى الى الصلاة فذهب صاحبه وأكل رغيفا فلما قضى عيسى صلاته قدما طعامهما فقال لصاحبه اين الرغيف الآخر فقال ما كان الا رغيف واحد فاكل عيسى رغيفا وصاحبه رغيفا ثم انطلقا فجاء الى شجرة فقال عيسى لصاحبه لو انا بتنا تحت هذه الشجرة حتى نصبح فقال افعل فباتا ثم اصبحا منطلقين فلقيا أعمى فقال له أرايت ان انا عالجتك حتى يرد الله عليك بصرك فهل تشكره قال نعم فمس عيسى بصره ودعا الله له فاذا هو صحيح فقال عيسى لليهودي بالذي اراك الاعمى بصيرا كم كان معك من رغيف فقال والله ما كان الا رغيف واحد فسكت عيسى عنه ومر فاذا هما بمقعد فقال له عيسى أرايت ان عالجتك فعافاك الله فهل تشكره قال نعم قال فدعا الله تعالى عيسى فاذا هو صحيح قائم على رجليه فقال صاحب عيسى ما رأيت مثل هذا قط فقال له عيسى بالذي أراك الاعمى بصيرا والمقعد صحيحا من صاحب الرغيف الثالث فحلف له ما كان معه الا رغيف واحد فسكت عنه عيسى فانطلقا حتى انتهيا الى نهر عجاج فقال عيسى لا ارى جسرا ولا سفينة فخذ بحجزتي من ورائي وضع قدمك موضع قدمي ففعل فمشيا على الماء فقال له عيسى بالذي أراك أمر الاعمى والمقعد وسخر لك الماء من صاحب الرغيف الثالث فقال والله ما كان الا رغيف واحد فسكت عيسى ثم انطلقا فاذا هما بظباء ترعى فدعا عيسى بظبي فذبحه وشوى منه بعضا واكلاه ثم ضرب عيسى بقية الظبي بعصاه وقال قم باذن الله عزوجل فاذا الظبي يعدوا فقال الرجل سبحان الله فقال عيسى بالذي اراك هذه الآية من صاحب الرغيف الآخر فقال ما كان الا رغيف واحد فمرا بصاحب بقر فنادى عيسى ياصاحب البقر اجزرلنا من بقرك هذه عجلا فقال ابعث صاحبك اليهودي يأخذه فانطلق اليهودي فجاء به وذبحه وشواه وصاحب البقر ينظر اليه فقال عيسى كل ولا تكسر عظما فلما فرغوا قذف بعظامه في جلده ثم ضربه بعصاه وقال له قم باذن الله فقام العجل وله خوار فقال له عيسى ياصاحب البقر خذ عجلك قال ويحك من انت قال أنا عيسى بن مريم قال عيسى السحار ثم فر منه فقال عيسى لصاحبه بالذي احيا العجل كم كان معك من رغيف فقال ما كان معي الا رغيف واحد فسكت ومضيا حتى دخلا قرية فنزل عيسى في اسفلها واليهودي في اعلاها فاخذ اليهودي عصا عيسى وقال انا الآن ابرئ المرضى واحيي الموتى قال وكان ملك تلك القرية مريضا مدنفا فانطلق اليهودي ونادى من يبتغي طبيبا حتى اتى باب الملك فاخبر بوجعه فقال ادخلوني عليه فانا ابرئه وان رايتموه قدمات فانا احييه فقيل له ان وجع الملك قد اعيا الاطباء قبلك وليس من طبيب يداويه ولا يشفيه الا صلبه فقال ادخلوني عليه فادخل عليه فضرب الملك بعصاه فمات فجعل يضرب الملك بالعصاة وهو ميت ويقول قم باذن الله فلم يقم فاخذ ليصلب فبلغ ذلك عيسى فاقبل عليه وقد رفع على الخشبة فقال لهم عيسى أرأيتم لو أحييت لكم الملك هل تتركون لي صاحبي قالوا نعم فدعا الله عزوجل فاحياه وقام فانزل اليهودي من الخشبة فقال ياعيسى انت اعظم الناس علي منة والله لا افارقك ابدا فقال له عيسى أنشدك الله الذي احيا الظبي والعجل بعدما كلناهما واحيا هذا بعدما مات وانزلك من على الجذع بعدما صلبت كم كان معك من رغيف قال فحلف بهذا كله وقال والله ما كان معي الا رغيف واحد فقال عيسى لا بأس

(ومما نقل من حكايات الخلفاء الراشدين رحمهم الله تعالى) حدث ابو موسى الفضل عن ابيه قال سمعت زينب بنت سليمان ابن علي بن عبد الله بن عباس تقول كنت عند الخيزران جارية المهدي وكان عادتها اذا كنت عندها انها تجلس في عتبة باب بيت من بيوت القصر واجلس بازائها في الصدر في مجلس كان المهدي يجلس فيه اذا قصدنا وكان يقصدنا في كل وقت يجلس عندنا ساعة ثم ينهض فبينما نحن جلوس اذ دخلت علينا جارية من جواري الخيزران اللاتي يحجبنها فقالت اعز الله السيدة ان بالباب امرأة ذات جمال وخلق حسن وهي على غاية من سوء الحال تستاذن في الدخول عليك وقد سالتها عن اسمها فامتنعت من ان تخبرني قالت زينب فاشارت الخيزران الي وقالت ماتريد فقلت ما يضرنا دخولها فلابد من فائدة او ثواب فدخلت المرأة فاذا هي أجمل مايكون من النساء وكلهن فوقفت الى جانب الباب وسلمت وقالت انا مزنة بنت مروان بن عبد الملك

فانطلقا حتى أتيا قرية عظيمة خربة فيها كنز ثلاث لبنات من ذهب قد حفرتها السباع والدواب فقال الرجل لعيسى هذا المال لك فقال عيسى أجل واحدة لي وواحدة لك وواحدة للذي اكل الرغيف الثالث فقال اليهودي لعيسى انا صاحب الرغيف الثالث اكلته وانت تصلي فقال عيسى هي لك كلها فانطلق عيسى وتركه ينظر وهو لا يستطيع أن يحمل منهن واحدة لثقلها عليه فقال له عيسى دعه فان له أهلا يهلكون عليه فجعلت نفس اليهودي تتطلع الى المال ويكره أن يعصى عيسى ويعجزه حمل المال فانطلق مع عيسى فبينما هو كذلك اذ مر بالمال ثلاثة نفر فتواعليه فقال اثنان منهما لصاحبهما الثالث انطلق الى بعض هذه القرى فائتنا بطعام وشراب ودواب تحمل عليها هذا المال فلما ذهب صاحبهما قال احدهما للآخر هل لك ان تقتله اذا رجع وتقتسم المال بيننا قال نعم وقال الذي ذهب في نفسه أنا اجعل في الطعام سما فاذا اكلاه ماتا ويصير المال كله لي ففعل ذلك فلما رجع اليهما ووصل قتلاه ثم اكلا الطعام الذي جاء به اليهما فماتا وان عيسى عليه السلام مر به وهم حوله مقتولون فقال لا اله لا الله هكذا تصنع الدنيا باهلها ثم ان عيسى أحياهم باذن الله فاعتبروا ومروا ولم يأخذوا من المال شيأ فتطلعت نفس اليهودي صاحب عيسى الى المال فقال اعطني المال فقال عيسى خذه لك فهو حظك في الدنيا والآخرة فلما ذهب ليحمله خسف به الارض فانطلق عيسى عليه السلام ﴿ ومنها نزول المائدة ﴾ قال الله تعالى اذ قال الحواريون يا عيسى بن مريم هل يستطيع ربك أن ينزل علينا مائدة من السماء قال اتقوا الله ان كنتم مؤمنين الآية واختلف العلماء في صفة نزول المائدة وكيفيتها وما كان عليها فروى قتادة عن جابر عن عمار بن ياسر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال نزلت المائدة عليها خبز ولحم وذلك انهم سألوا عيسى طعاما يأكلون منه ولا ينفد قال فقال لهم اني فاعل ذلك وانها مقيمة لكم ما لم تخبؤا او تخونوا فان فعلتم ذلك عذبتم قال فما مضى يومهم حتى خانوا وخبؤا وفي بعض الروايات أن بعضهم سرق منها وقال لعلها لا تنزل ابدا فرفعت ومسخوا قردة وخنازير وقال ابن عباس قال عيسى لبني اسرائيل صوموا ثلاثين يوما ثم سلوا الله ما شئتم يعطيكموه فصاموا ثلاثين يوما فلما فرغوا قالوا يا عيسى انا ان عملنا لاحد فقضينا عمله اطعمنا طعاما وانا صمنا وجعنا فادع الله ان ينزل علينا مائدة من السماء فلبس عيسى المسوح وافترش الرماد ثم دعا الله تعالى فقال اللهم ربنا أنزل علينا مائدة من السماء الآية فاقبلت الملائكة بمائدة يحملونها عليها سبعة ارغفة وسبعة أحوات ووضعتها بين ايديهم فاكل منها آخر الناس كما اكل اولهم وروى عطاء بن السائب وغيره انه كانت المائدة اذا وضعت لبني اسرائيل اختلفت عليها الايدي فيها كل الطعام الا اللحم وقال عطية العوفي نزلت سمكة من السماء فيها طعم كل شيء وقال قتادة كانت مائدة تنزل من السماء وعليها ثمر من ثمار الجنة وكانت تنزل عليهم بكرة وعشية حيث كانوا كالمن والسلوى لبني اسرائيل وقال وهب انزل الله اقرصة من شعير وحيتانا فقيل لوهب ما كان ذلك يغني عنهم من شيء قال بلى ولكن الله ضاعف لهم البركة فكان قوم يأكلون ثم يخرجون ويجيء آخرون فيأكلون حتى اكلوا باجمعهم وفضل وقال كعب الاحبار نزلت مائدة من السماء منكوسة تطير بها الملائكة بين السماء والارض عليها كل طعام الا اللحم وقال مقاتل والكلبي استجاب الله لعيسى عليه السلام فقال اني منزلها عليكم كما سألتم فمن اكل من ذلك الطعام ثم لم يؤمن جعلته مثلا ولعنة وعبرة لمن بعدهم قالوا قد رضينا فدعا شمعون الصفار وكان افضل الحواريين فقال هل معك طعام فقال معي سمكتان صغيرتان وستة ارغفة فقال علي بها فقطعها عيسى قطعا صغارا وقال اقعدوا في روضة وترافقوا رفاقا كل رفقة عشرة ثم قام عيسى ودعا الله تعالى فاستجاب له وانزل فيها البركة فصار خبزا صحاحا وسمكا صحاحا ثم قام عيسى يمشي فجعل يلقي في كل رفقة ما حملت أصابعه ثم قال كلوا بسم الله فجعل الطعام يكثر حتى بلغ ركبهم فاكلوا ما شاء الله وفضل والناس خمسة آلاف ونيف وقال الناس جميعا نشهد انك عبد الله ورسوله ثم سألوه مرة أخرى فانزل الله خمسة ارغفة وسمكتين فصنع بها ما صنع في المرة الاولى

فلما

ابن محمد الاموي قالت زينب فكنت متكئة فاستويت جالسة وقلت مزنة قاتلك الله ولا حياك ولا رعاك ولا سلمك ولا سلم عليك والحمد لله الذي ازال النعمة عنك وهتك سترك واهانك بين الناس اتذكرين يا عدوة الله حين اتاك نساء بني العباس يسألنك بالله ان تكلمي اباك في دفن ابراهيم بن محمد فوثبت عليهن واسمعتهن اخشن الكلام واغلظ القول وخرجن على الحالة التي علمت بها قالت زينب فلما سمعت كلامي ضحكت فوالله ما انسى حسن ثغرها وعلو صوتها بالقهقهة ثم قالت اي بنية عمي اي شيء اعجبك مما صنع الله بي حتى اردت ان تسبيني والله لقد صنعت بنساء اهلك ما قد ذكرت ولكن حق على الله تعالى ان تكلميني ذليلة جائعة عريانة افكان هذا شكرك لله على ما اولاك ثم قالت زينب فالتفت ونظرت فاذا هي تبكي فنادت الخيزران يا مزنة دخلت باذني فلا تخرجي الا باذني وصاحت بحجابها ردوها فرجعت وقالت ما مساقني الا الضر والجهد وسوء الحال فقال فنهضت الخيزران وباست

فلما رجعوا الى قراهم ونشروا هذا الحديث ضحك منهم من لم يشهد وقال ويحكم انما سحر اعينكم فمن اراد الله به الخير ثبته على بصيرة ومن أراد فتنته رجع الى كفره فمسخوا قردة وخنازير ليس منهم صبي ولا امرأة فمكثوا كذلك ثلاثة ايام ثم هلكوا ولم يتوالدوا ولم يأكلوا ولم يشربوا وكذلك كل ممسوخ ويروى عن عطاء بن أبي رباح عن سلمان الفارسي أنه قال والله ما تبع عيسى من المساوى ولا انتهر يتيما ولا قهقه ضحكا ولا ذب ذبابا عن وجهه ولا أخذ على انفه مرتين شيأ قط ولا عبث قط ولما ساله الحواريون ان ينزل عليهم الموائد صنوفا قال اللهم انزل علينا مائدة من السماء الآية وارزقنا عليها طعاما نأكل وانت خير الرازقين فنزلت سفرة حمراء بين غمامتين غمامة من فوقها وغمامة من تحتها وهم ينظرون اليها وهي تهوي منقضة حتى سقطت بين ايديهم فبكى عيسى وقال اللهم اجعلني من الشاكرين اللهم اجعلها رحمة ولا تجعلها مثلة وعقوبة وهم ينظرون اليها فنظروا الى شيء لم يروا مثله قط ولم يجدوا ريحا أطيب من رائحة ذلك فقال عيسى ليقم أحسنكم عملا يكشف عنها ويذكر اسم الله ويأكل منها فقال شمعون الصفار رأس الحواريين أنت أولى بذلك منا فقام عيسى وتوضأ وصلى صلاة طويلة وبكى كثيرا ثم كشف المنديل عنها وقال بسم الله خير الرازقين فاذا هو بسمكة مشوية ليس عليها فلوس ولا شوك فيها تسيل سيلانا من الدسم وعند رأسها ملح وعند ذنبها خل وحولها من انواع البقول ما خلا الكراث واذا خمسة ارغفة على واحد منها زيتون وعلى الثاني عسل وعلى الثالث سمن وعلى الرابع جبن وعلى الخامس قديد فقال شمعون ياروح الله أمن طعام الدنيا هذا أم طعام الآخرة فقال عيسى عليه السلام ليس ما ترون من طعام الدنيا ولا من طعام الآخرة ولكن افتعله الله بالقدرة الغالبة كلوا مما سألتم يمددكم ويزدكم من فضله قالوا ياروح الله لو اريتنا من هذه الآية آية أخرى فقال عيسى ياسمكة احيي باذن الله فاضطربت السمكة وعاد عليها فلوسها وشوكها ففزعوا منها فقال عيسى ما لكم تسألون اشياء اذا أعطيتموها كرهتموها ثم قال لها أخوفني عليكم ان تعذبوا ياسمكة عودي كما كنت باذن الله فعادت السمكة مشوية كما كانت قالوا ياروح الله كن اول من يأكل منها ثم نأكل نحن فقال عيسى معاذ الله ان آكل منها ولكن يأكل منها من سألها فخافوا ان يأكلوا منها فدعا لها عيسى اهل الفاقة والمرضى وأهل البرص والجذام والمبتلين وقال كلوا من رزق الله ولكم الهناء ولغيركم البلاء فاكلوا منها فصدر عنها الف وثلاثمائة رجل وامرأة من فقير زمن ومريض ومبتلى كلهم شبعان يتجشأ ثم نظر عيسى الى السمكة فاذا هي كهيئتها حين نزلت من السماء ثم طارت المائدة صعدا وهم ينظرون اليها حتى توارت عنهم فلم يأكل منها يومئذ مريض الا برئ ولا زمن الا صح ولا مبتلى الا عوفي ولا فقير الا استغنى ولم يزل غنيا حتى مات وندم الحواريون ومن لم يأكل وكانت اذا نزلت اجتمعت الاغنياء والفقراء والصغار والكبار والرجال والنساء يزدحمون عليها فلبثت أربعين صباحا تنزل ضحى فلا تزال منصوبة يؤكل منها حتى اذا فاء الفيء طارت صعدا وهم ينظرون حتى تغيب عنهم وكانت تنزل غبا تنزل يوما ولا تنزل يوما كناقة ثمود فاوحى الله الى عيسى ان اجعل مائدتي ورزقي للفقراء دون الاغنياء فعظم ذلك على الاغنياء حتى شكوا وشككوا الناس فيها فقالوا اترون المائدة تنزل من السماء حقا فقال لهم عيسى هلكتم فشمروا للعذاب فاوحى الله تعالى الى عيسى أني شرطت على المكذبين شرطين أن من كفر بعد نزولها عذبته عذابا لا اعذبه احدا من العالمين فقال عيسى عليه السلام ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك انت العزيز الحكيم فمسخ منهم ثلثمائة وثلاثون رجلا باتوا من ليلتهم على الفرش مع نسائهم في ديارهم فاصبحوا خنازير يسعون في الطرقات والكناسات ويأكلون القاذورات في الحشوش فلما راى الناس ذلك فزعوا الى عيسى بن مريم فبكوا وبكى على الممسوخين اهلوهم فلما ابصرت الخنازير عيسى بكت وجعلت تطوف به فجعل عيسى يدعوهم

فعانقتها فقالت مالك في اوضع شيء من الحال الذى نا فيه فقالت الخيزران لجوار بها عليكن بالحمام لي مرعة قد خلوا بها لحمام وامرت بعض لجوارى بخدمتها ثم وافتها بالخلع المذهبة والطيب ثم قامت اليها الخيزران واعتنقتها واجلستها في المجلس الذى يجلس فيه امير المؤمنين المهدي وقدمت اليها الموائد فجعلت تاكل وهى تلقمها الى ان اكتفت غسلت يديها ثم قالت لها الخيزران فهل عندك احد ينتظرك فقالت مالى احد فقالت الخيزران فقومي فاختاري لك مقصورة من مقاصيري فاسكني فيها عندى ولا نفترق حتى يفرق بيننا الموت فقامت وطافت فاختارت اوسعها وانزهها فحول اليها جميع ما تحتاج اليه من الفرش والملابس الحرير والرقيق ثم قالت الخيزران ان هذه امرأة مسها الضر واورثها الفقر ما لا نقدر عليه ولا يغسل ما في قلبها الا المال احملوا اليها خمسمائة الف درهم فحمل اليها ذلك ثم دخل المهدي في آخر الامر فقال ما بالكم فنهضت اليه زينب واعلمته بجميع

بأسمائهم واحدا بعد واحد فيبكون ويشيرون برؤسهم ولا يقدرون على الكلام فعاشوا ثلاثة ايام ثم هلكوا (ومنها) ماروي ان عيسي عليه السلام مر على رجل جالس عند قبر وكان يكثر المرور به فيجده جالسا فقال يا عبدالله اراك تكثر الجلوس عند هذا القبر فقال ياروح الله هذه امرأة كان لى من جمالها وموافقتها كيت وكيت ولى عندها وديعة قال افتحب ان أدعو الله فيحييها لك قال نعم فتوضا عيسى وصلى ركعتين ودعا الله عز وجل فاذا اسود قد خرج من القبر كانه جزع محترق فقال له من أنت فقال يارسول الله انا رجل فى عذاب منذ اربعين سنة فلما كنت فى هذه الساعة قيل لى اجب فاجبت ثم قال يارسول الله قد مر على من اليم العذاب ما ان ردنى الله الى الدنيا أعطيته عهدا ان لا أعصيه ابدا فادع الله لى فرق له عيسى عليه السلام ودعا الله عز وجل ثم قال له امض فمضى فقال صاحب القبر يارسول الله لقد غلطت بالقبر انما قبرها هذا فدعا الله عيسى عليه السلام فخرجت من ذلك القبر امرأة شابة جميلة فقال له عيسى أتعرفها قال نعم هذه امرأتى فدعا الله عيسى حتي ردها عليه فاخذ الرجل بيدها حتى انتهيا الى شجرة فنام تحتها ووضع رأسه فى حجرها فمر بها ابن الملك فنظرها ونظرت اليه وأعجب كل واحد منهما بصاحبه فاشار اليها فوضعت راس زوجها عن حجرها واتبعت الفتى فاستيقظ زوجها فتفقدها فلم يجدها فطلبها فدل عليها فتعلق بها وقال امرأتى فقال الفتى هى جاريتي فبينما هم كذلك اذ طلع عيسي عليه السلام فقال الرجل هذا عيسى ثم قص عليه القصة فقال لها عيسي ماتقولين قالت انا جارية هذا ولا اعرف هذا فقال لها عيسى ردي علينا ما اعطيناك قالت قد فعلت فسقطت مكانها ميتة فقال عيسى هل رأيتم أعجب من هذا رجل اماته الله كافرا ثم بعثه فامن وهل رايتم امرأة اماتها الله مؤمنة ثم أحياها فكفرت (ومنها) رفعه الي السماء اذ قال الله ياعيسى انى متوفيك ورافعك الى ومطهرك من الذين كفروا الآية وقولهم انا قتلنا المسيح عيسى بن مريم رسول الله وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم الى قوله تعالي بل رفعه الله اليه وكان الله عزيزا حكيما (وروى) الكلبي عن أبى صالح عن ابن عباس أن عيسى عليه السلام استقبل رهطا من اليهود فلما رأوه قالوا قد جاء الساحر ابن الساحرة الفاعل ابن الفاعلة فقذفوه وامه فلما رأى ذلك عيسى دعا عليهم فقال اللهم انت ربى وانا من روحك خرجت وبكلمتك خلقت ولم آتهم من تلقاء نفسي اللهم العن من سبنى وسب امى فاستجاب الله دعاءه ومسخ الذين سبوه وامه خنازير فلما رأى ذلك رأس اليهود واميرهم فزع لذلك وخاف دعوته فاجتمعت كلمة اليهود على قتل عيسى فاجتمعوا عليه ذات يوم وجعلوا يسألونه فقال يامعاشر اليهود ان الله يبغضكم فغضبوا من مقالته غضبا شديدا وثاروا عليه ليقتلوه فبعث الله تعالى اليه جبريل عليه السلام فادخله خوخة ووراءه فى سقفها ورفعه الله تعالى من روزنته فامر رأس اليهود رجلا من اصحابه يقال له فلطيانوس ان يدخل الخوخة فيقتله فلما دخل فلطيانوس لم ير عيسي فابطأ عليهم فظنوا انه يقاتله فيها فالقي الله عليه شبه عيسى فلما خرج ظنوا انه عيسى فقتلوه وصلبوه وقال وهب ان عيسى لما أعلمه الله تعالى انه خارج من الدنيا جزع من الموت وشق عليه فدعا الحواريين وصنع لهم طعاما وقال احضرونى الليلة فلى اليكم حاجة فلما اجتمعوا اليه من الليل عشاهم وقام يخدمهم فلما فرغوا من الطعام أخذ يغسل أيديهم ويوضيهم ويمسح ايديهم بثيابه فتعاظموا ذلك وتكارهوه فقال الا من رد على ما أصنع فليس مني ولا انا منه فاقروه حتى اذا فرغ من ذلك قال لهم أما ما صنعت بكم الليلة مما خدمتكم على الطعام وغسلت ايديكم بيدى الا ليكون لكم بى أسوة وانكم ترون أنى خيركم فلا يتعاظم بعضكم على بعض وليبذلن بعضكم نفسه لبعض كما بذلت نفسي لكم واما الحاجة التى استعنتكم عليها فتدعون الله لى وتجتهدون في الدعاء ان يؤخر أجلى فلما نصبوا أنفسهم للدعاء وارادوا

ماجرى وما قالت حين دخلت عليها فغضب غضبا شديدا وقال هذا سجودك لله تعالى شكرا على ما أنعم عليك فوالله لولا ان لك حرمة لاحلفن ان لا أكلمك ابدا فقالت ياامير المؤمنين قد طاب قلبها واعتذرت اليها ونملت منها الخيزران كذا وكذا فسره ذلك وقال احملوا اليها من عندي مائة الف درهم وقال لخادم من على رأسه بلغها مني السلام وقل لها انى ما سررت بشىء منذ دهري كسروري اليوم بمقامك عندنا ولولا احتشامك لصرت اليك مسلما عليك قاضيا لحقك قال فلما مضي الخادم بالرسالة جاءت الى المهدى وسلمت عليه وقالت ما على امير المؤمنين مني احتشام فانى صرت من جواريه فقال امير المؤمنين لا والله بل اعز من ولدى قال فلم تزل المرأة عند الخيزران حتى ماتت رحمة الله تعالي عليها وعلى الخيزران وعلى امير المؤمنين المهدي وجزاهم الله تعالى عن معروفهم ومكارم اخلاقهم خيرا (ولما حج امير المؤمنين المنصور رحمة الله تعالى عليه) عرض عليه جوهر نفيس له قيمة

ان يجتهدوا ارسل الله عليهم النوم حتى لم يستطيعوا دعاء فجعل يوقظهم و يقول سبحان الله ما تصبرون في ليلة واحدة وتعينوني فيها فقالوا والله ما ندري ما لنا لقد كنا نسهر فنكثر السهر وما نطيق الليلة سهرا وما نريد دعاء الا حيل بيننا و بينه فقال يذهب الراعي وتتفرق الغنم وجعل يأتي بكلام مثل هذا يعني نفسه ثم قال ليكفرن بي احدكم قبل ان يصيح الديك ثلاث مرات وليبيعني احدكم بدراهم يسيرة وليأكلن ثمني فخرجوا وتفرقوا وكانت اليهود تطلبه فاخذوا شمعون احد الحواريين فقالوا هذا من اصحابه فجحد وقال ما انا من اصحابه فتركوه ثم آخر فجحده كذلك ثم سمع صوت ديك فبكى واحزنه ذلك فلما أصبح أتى احد الحواريين أولئك اليهود فقال لهم ما تجعلون لي ان دللتكم عليه فجعلوا ثلاثين درهما فاخذها ودلهم عليه وكان شبه عليهم قبل ذلك فاخذوه واستوثقوا منه وربطوه بالحبل وجعلوا يقودونه و يقولون انت كنت تحيي الموتى وتبرىء الاكمه والابرص افلا تفك نفسك من هذا الحبل و يبصقون عليه و يلقون عليه الشوك ثم أنهم نصبوا له خشبة ليصلبوه عليها فلما أتوا به الي الخشبة ليصلبوه اظلمت الارض وارسل الله الملائكة فحالوا بينهم و بين عيسى والقى شبه عيسى على الذي دلهم عليه واسمه يهوذا فصلبوه مكانه وهم يظنون انه عيسي وتوفي الله عيسى ثلاث ساعات ثم رفعه الى السماء فذلك قوله تعالى اني متوفيك ورافعك الي ومطهرك من الذين كفروا فلما صلب الذي هو شبه عيسى جاءت مريم ام عيسى وامرأة كان عيسى دعا لها وابراها من الجنون يبكيان عند المصلوب فاتاهما عيسى وقال على من تبكيان فقالتا عليك فقال ان الله رفعني فلم يصبني الا خيرا وان هذا شخص شبه لهم (وقال مقاتل) ان اليهود وكلوا بعيسى رجلا يكون عليه رقيبا يدور معه حيثما دار فصعد عيسى الجبل فجاءه الملك فرفعه الى السماء والقى الله تعالى شبه عيسى على الرقيب فظن اليهود انه عيسى فاخذوه وكان يقول لهم اني لست عيسى اني فلان بن فلان فلم يصدقوه وقتلوه وصلبوه قال قتادة ذكر لنا ان نبي الله عيسى قال لاصحابه ايكم يقذف عليه شبهي فانه مقتول فقال رجل من القوم انا يا نبي الله فقتل ذلك الرجل ومنع الله عيسى ورفعه اليه وقيل ان الذي شبه بعيسى وصلب مكانه رجل اسرائيلي يسمى اشيوع بن قنديرا والله اعلم

(ذكر نزول عيسى من السماء بعد رفعه بسبعة ايام)

(قال وهب) وغيره من اهل الكتب لما رفع الله عيسى عليه السلام لبث في السماء سبعة ايام ثم قال الله له ان أعداءك اليهود اعجلوك عن العهد الى اصحابك فانزل عليهم واوصهم واهبط على مريم المجدلانية فانه لم يبك عليك احد بكاءها ولم يحزن عليك احد حزنها فانزل عليها واخبرها انها اول من تلحق بك وأمرها أن تجمع لك الحواريين فتبثهم في الارض دعاة الى الله تعالى * وكانت قصة مريم المجدلانية أنها كانت من بني اسرائيل في قرية من قرى انطاكية يقال لها مجدلان وكانت امرأة صالحة وكانت تستحاض فلا تطهر فخطبها أشراف بني اسرائيل فامتنعت فظنوا أنها ترفعت بنفسها عنهم ولم يكن ذلك ترفعا وانما أرادت اخفاء علتها عنهم فلما سمعت بمجيء عيسى عليه السلام وبما كان يشفي الله على يديه من المرضي والزمني أقبلت اليه رجاء الشفاء فلما رات عيسي وما ألبسه الله من الهيبة استحيت وانصرفت الى ورائه ووضعت يدها على ظهره فقال عيسى لقد مسني ذو عاهة بنية حسنة ولقد اعطاه الله ما رجاه وطهره بطهارتي فأذهب الله عنها ما بها وبرئت وطهرت فلما أمر الله عيسى بالنزول عليها بعد سبعة أيام من رفعه هبط عليها فاشتعل الجبل حين هبط نورا فجمعت له الحواريين فبثهم في الارض دعاة الى الله ثم رفعه الله وكساه الريش وألبسه النور وقطع منه شهوة المطعم والمشرب فهو يطير مع الملائكة حول العرش فكان انسيا ملكيا أرضيا سماويا وتفرق الحواريون حيث أمرهم فتلك الليلة التي اهبط فيها هي الليلة التي تزخرفها النصارى قالوا

عظيمة الثمن فعرفه وقال هذا كان لهشام بن عبد الملك بن مروان ثم انتقل الى ابنه محمد بن هشام وما بقي من الامويين غيره ولا بد لي منه ثم التفت الي حاجبه الربيع وقال اذا كان الغد وصليت بالناس في المسجد الحرام وجمع الناس كلهم فاغلق الابواب ووكل بها جماعة من الثقات وافتح بابا واحدا وقف عليه ولا يخرج احد حتى تعرفه فاذا ظفرت بمحمد بن هشام فائتني به فلما كان الغد اغلق الربيع الابواب وفعل ما امر به المنصور وكان محمد ابن هشام في المسجد فعرف انه المطلوب وايقن انه مأخوذ مقتول فتحير وارتاب واضطرب فبينما هو على تلك الحالة اذ اقبل محمد ابن زيد بن علي بن الحسين ابن علي بن ابي طالب رضى الله عنهم فلما رآه متحيرا وكان لا يعرفه تقدم اليه وقال يا هذا ما بالك فقال لا شيء فقال قل ولك امان الله على نفسك فقال أنا محمد بن هشام بن عبد الملك فمن انت قال محمد بن زيد بن علي بن الحسين فزاد خوفه وطار عقله وايقن بالموت فقال لا تجزع فانك لست قاتل ابي ولا جدي وليس

فوجه بطرس الى رومية واندراوس ومتى الى الارض التي يأكل أهلها الناس وتوماليا الى ارض المشرق وفيلبس ويهوذا الى القيروان وأفريقية ويحيي الى افسوس قرية أصحاب الكهف واليعقوبين الى أورشليم وهي ايلياء أرض بيت المقدس وبرتولماوس الى الاعرابية وهي أرض الحجاز وشمعون الى ارض بربر فاصبح كل واحد من الحواريين الذين بعثهم يحدث بلغة من أرسله عيسى اليهم (قال ابن اسحق) ثم عمد اليهود الى بقية الحواريين أصحاب عيسى يشتمونهم ويعذبونهم ويطوفون بهم فسمع ذلك ملك الروم وكان صاحب وثن فقيل له ان رجلا كان في هؤلاء الناس الذين تحت يدك من بني اسرائيل عدوا عليه فقتلوه وكان يخبرهم أنه رسول الله وقد أحيا لهم الموتى وأبرأ لهم الاسقام وخلق لهم من الطين كهيئة الطير ونفخ فيه فكان طيرا باذن الله وأخبرهم بالغيب وأراهم العجائب فقال ملك الروم فما منعكم أن تذكروا لي من امره فوالله لو علمت لخليت بينه وبينهم ثم انه بعث الى الحواريين فانتزعهم من ايديهم فلما أتوه سألهم عن دين عيسى فاخبروه خبره فبايعهم على دينه واستنزل شبه عيسى والخشبة التي صلب عليها فاكرمها وصانها ثم سار منه وغزا بني اسرائيل فقتل منهم خلقا كثيرا فمن هناك كانت اصل النصرانية في الروم (وقال أهل التوراة) حملت مريم بعيسى ولها ثلاث عشرة سنة وولدت عيسى ببيت لحم من ارض اورشليم لمضي خمس وستين سنة من غلبة الاسكندر على بابل ولاحدى وخمسين سنة مضت من ملك الاسكانيين واوحي الله اليه على رأس ثلاثين سنة ورفعه من بيت المقدس اليه ليلة القدر من شهر رمضان وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة فكانت نبوته ثلاث سنين وعاشت أمه مريم بعد رفعه ست سنين والله أعلم

﴿ ذكر وفاة مريم ابنة عمران عليهما السلام ﴾

(قال) وهب أراد الله تعالى ان يرفع عيسى عليه السلام آخى بين الحواريين فامر رجلين منهم يقال لاحدهما شمعون الصفار والآخر يحيي أن يلزما امه ولا يفارقاها فانطلقا ومعهما مريم الى ماروت ملك الروم يدعونه الى الله تعالى وقد بعث الله تعالى اليه قبل ذلك يونس عليه السلام فلما أتوه امر بشمعون واندراوس فقتلا وصلبا منكسين وهربت مريم ويحيى حتى اذا كانا في بعض الطريق لحقهما الطلب فخافا فانشقت لهما الارض فغابا فيها واقبل ماروت ملك الروم واصحابه فحفروا ذلك الموضع فلم يجدوا شيأ فردوا التراب على حاله وعلموا انه امر من الله تعالى فسأل ملك الروم عن حال عيسى فاخبروه به فاسلم كما ذكرنا والله اعلم

﴿ ذكر نزول عيسى عليه السلام من السماء في المرة الثانية في آخر الزمان ﴾

قال الله تعالى وانه لعلم للساعة فلا تمترن بها الآية وقيل للحسين بن الفضل هل تجد نزول عيسى عليه السلام في القرآن قال نعم قوله وكهلا وهو لم يكن يكهل في الدنيا وانما معناه وكهلا بعد نزوله من السماء (أخبرنا) أبو صالح شعيب بن محمد البيهقي باسناده عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الانبياء اخوة لعلات أمهاتهم شتى ودينهم واحد واني أولى الناس بعيسى بن مريم عليهما السلام لانه لم يكن بيني وبينه نبي ويوشك ان ينزل فيكم ابن مريم حكما عدلا وانه نازل على أمتي وخليفتي عليهم فاذا رأيتموه فاعرفوه فانه رجل مربوع الخلق الى الحمرة والبياض سبط الشعر كأن رأسه تقطر ولم يصبه بلل بين ممصرتين فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويفيض المال ويهل من الروحاء حاجا أو معتمرا أو ملبيا بهما جميعا ويقاتل الناس على الاسلام حتى يهلك في زمانه الملل كلها غير الاسلام وتكون السجدة واحدة لله رب العالمين ويهلك الله في زمانه مسيح الضلالة الكذاب الدجال وتقع الامنة في الارض حتى ترتع الاسود مع الابل والنمور مع البقر والذئاب مع الغنم وتلعب الصبيان بالحيات فلا يضر بعضهم بعضا ثم يلبث في الارض أربعين سنة ويتزوج ويولد له ثم يتوفى ويصلي عليه المسلمون ويدفنونه في المدينة بجنب عمر اقرؤا ان شئتم وان من أهل الكتاب الا ليؤمنن به قبل موته ويوم القيامة يكون عليهم شهيدا أي قبل

موت

لي عليك ثأر وانا اجتهد في خلاصك ان شاء الله تعالى ولكن اعذرني فيما انا صانع بك من مكروه وقبيح فطرح رداءه على وجهه وغطى رأسه وجذبه الى قريب من الربيع فقال يا ابا الفضل ان هذا الخبيث جمال من اهل الكوفة اكراني جماله فلما دفعت اليه الاجرة هرب مني واكرى جماله لبعض اهل خراسان ولي عليه شهود واريد منك ان توصله معي الى القاضي وتمسك جماله عن الذهاب مع الخراسانيين فوكل به الربيع رجلين وقال لا تفارقاه الى القاضي ومحمد قابض على الرداء وقد استتر به وجهه وخرجوا جميعا من المسجد فلما بعدوا من الربيع قال له محمد ويلك وما ينفعك الفجور فقال يا ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم قد رجعت الى الحق واعترفت لك فقال محمد للرسولين انصرفا عنه فقد اعترف بالحق فتركاه وانصرفا عنه فلما بعدا عنه قال محمد اذهب الى سبيلك فقبل محمد بن هشام يده ورأسه وقال الله اعلم حيث يجعل رسالته ثم اخرج جوهرا قيمته كثيرة وقال لله تعالى يا ابن بنت

موت عيسى بعيدها أبو هريرة ثلاث مرات (وأخبرنا) محمد بن القاسم الفارسي باسناده عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اهبط الله المسيح عيسى يعيش في هذه الامة ما يعيش ثم يموت في مدينتي هذه و يدفن الى جانب قبر عمر فطوبى لابي بكر وعمر يحشران بين نبيين (وأخبرني أبي) قال حدثني الحسين بن أحمد بن محمد بن علي باسناده عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف يهلك الله أمة أنا في أولها وعيسى في آخرها والمهدي من أهل بيتي في وسطها

﴿ باب في قصة الرسل الثلاثة الذين بعثهم عيسى عليهم السلام الى انطاكية وذلك في أيام ملوك الطوائف ﴾

قال الله تعالى واضرب لهم مثلا أصحاب القرية اذ جاءها المرسلون يعني رسل عيسى عليه السلام اذ ارسلنا اليهم اثنين واختلفوا في اسميهما فقال ابن اسحق فاروض وزوماض وقال وهب يحى و يونس وقال مقاتل يومان ومالوس وقال كعب صادق وصدوق فكذبوهما فعززنا بثالث أي فقوينا برسول ثالث وهو شمعون الصفار رأس الحواريين في قول اكثر المفسرين وقال كعب اسمه شلوم وقال مقاتل سمعان (قالت) العلماء باخبار الانبياء بعث عيسى عليه السلام رسولين من الحواريين الى مدينة انطاكية فلما قربا من المدينة أتيا شيخا يرعى غنيمات له وهو حبيب النجار صاحب يس فسلما عليه فقال من أنتما قالا رسولا عيسى عليه السلام يدعوكم من عبادة الاوثان الى عبادة الرحمن قال أمعكما آية قالا نعم نحن نبرىء المريض ونشفي الاكمه والابرص باذن الله فقال الشيخ ان لي ابنا مريضا صاحب فراش منذ سنين قالا فانطلق بنا الى منزلك فنطلع على حاله فاتى بهما الى منزله فلما نظرا الى ولد الشيخ وهو في تلك الحالة قربا اليه ودعوا له ومسحاه بيديهما فقام في الوقت باذن الله صحيحا ففشا الخبر في المدينة و شفي الله على يديهما كثيرا من المرضى وكان في مدينة انطاكية فرعون من الفراعنة يعبد الاصنام يقال له سلاحين (وقال وهب) اسمه ابطيحيس وكان من ملوك الروم قالوا فانتهى الخبر الى الملك فدعاهما اليه وقال لهما من أنتما قالا رسولا عيسى قال وما آيتكما قالا نبرىء الاكمه والابرص ونشفي المرضى باذن الله تعالى قال وفيم جئتما قالا جئناك ندعوك من عبادة ما لا يسمع ولا يبصر الى عبادة من يسمع و يبصر قال الملك أولنا اله سوى آلهتنا قالا نعم قال من قالا من أوجدك بعد عدمك وآلهتك قال قوما حتى أنظر في أمركما فتبعهما الناس فاخذوهما وضربوهما في السوق (وقال وهب) بعث عيسى بهذين الرسولين الى أنطاكية فاتياها فلم يصلا الى ملكها وطالت مدة مقامهما فخرج الملك ذات يوم فكبرا وذكرا الله تعالى فغضب الملك فامر بهما فحبسا وجلد كل واحد منهما مائة جلدة قالوا فلما كذب الرسولان وضربا بعث عيسى رأس الحواريين شمعون الصفار على أثرهما لينصرهما فدخل شمعون البلد متنكرا فجعل يعاشر حاشية الملك حتى أنسوا به فرفعوا خبره الى الملك فدعاه ورضي عشرته وأنس به وأكرمه ثم قال له ذات يوم أيها الملك انه بلغني انك حبست رجلين في السجن وضربتهما حين دعواك الى غير دينك فهل كلمتهما وسمعت قولهما فقال حال الغضب بيني و بين ذلك قال فان رأى الملك دعاهما حتى نطلع على ما عندهما فدعاهما الملك فلما حضرا بين يديه قال لشمعون استخبرهما فقال شمعون لهما من أرسلكما الى ههنا قالا الذي خلق كل شيء فقال لهما شمعون فصفاه وأوجزا فقالا انه يفعل ما يشاء و يحكم ما يريد قال شمعون وما آيتكما قالا ما تتمناه نبرىء الاكمه والابرص ونشفي المرضى والزمنى باذن الله قال فامر الملك فجيء بغلام مطموس العينين موضع عينيه كالجبهة فما زالا يدعوان الله تعالى حتى انشق موضع البصر فاخذا بندقتين من الطين فوضعاهما في حدقتيه فصارتا مقلتين يبصر بهما فعجب الملك فقال شمعون للملك ان أنت سألت الهك حتى يصنع لك صنيعا مثل هذا فيكون لك الشرف ولالهك فقال الملك ليس لي عنك سر اعلم أن

رسول الله صلى الله عليه وسلم سرني بقبول هذا فقال له اذهب بمتاعك فنحن اهل بيت لا نقبل على اصطناع المعروف مكافأة رضى الله تعالى عنهم (وقيل للاحنف ابن قيس) ممن تعلمت الحلم قال من قيس بن عاصم رأيته يوما من الايام قاعدا بفناء داره متقلدا بحمائل سيفه يحدث قومه فبينما هو كذلك اذ اتى برجلين احدهما مقتول والآخر مكتوف فقيل له هذا ابن اخيك قد قتل ابنك قال فوالله ما قطع كلامه ولا اغتاظ ثم التفت الى ابن اخيه وقال يا ابن اخي اثمت بربك ورميت نفسك بسهمك وقتلت ابن عمك ثم قال لابنه الآخر يا بني قم فادفن اخاك وحل كتاف ابن عمك وسق الى امك مائة ناقة دية ولدها فانها غريبة منا (وروي عنه ايضا) (انه جلس في داره يوما على المائدة ومعه ولد صغير فجاءت جارية بسفود عليه شواء حار فسقط السفود منها فوقع على الولد فمات من وقته فدهشت الجارية وتغير لونها فقال لا باس عليك انت حرة لوجه الله تعالى وهذا من

الهنا الذى نعبده لا يسمع ولا يبصر ولا يضر ولا ينفع وكان شمعون اذا دخل الملك على الصنم يدخل لدخوله ويصلى كثيرا ويتضرع حتى ظنوا أنه على ملتهم فقال الملك للرسولين ان الهكما الذى تعبدانه يقدر على احياء الميت قالا الهنا يقدر على كل شيء فقال الملك ان ههنا ميتا قد مات منذ سبعة أيام وهو ابن الدهقان وأنا أخرته فلم أدفنه حتى يرجع أبوه وكان أبوه غائبا فجاؤا بالميت وقد تغير وأروح فجعلا يدعوان ربهما علانية وجعل شمعون يدعو سرا فقام الميت وقال لهم انى قد مت منذ سبعة أيام مشركا فأدخلت في سبعة أودية من النار وأنا وأنا أحذركم ما أنتم فيه فآمنوا بالله ثم قال ان أبواب السماء فتحت لى فرأيت شابا حسن الوجه يتشفع لهؤلاء الثلاثة فقال الملك ومن الثلاثة فقال شمعون وهذان وأشار الى صاحبيه فتعجب الملك فلما علم شمعون أن قوله قد أثر فى الملك أخبره بالحال ودعاه فآمن قوم وكان الملك ممن آمن وكفر آخرون (وقال) كعب ووهب بل كفر الملك وأجمع هو وقومه على قتل الرسل فبلغ ذلك حبيب بن مرى صاحب يس (وقال) ابن عباس ومقاتل اسمه حبيب بن اسرائيل النجار قال وهب وكان سقيما قد أسرع فيه الجذام وكان منزله عند أقصى باب من أبواب مدينة انطاكية وكان مؤمنا ذا صدقة يجمع كسبه اذا أمسى فيقسمه نصفين يطعم عياله نصفا ويتصدق بالنصف الآخر فلما بلغه ان قومه قد قصدوا قتل الرسل جاءهم وكان قبل ذلك يكتم ايمانه ويعبد ربه فى غار فلما أتاه خبر الرسل أظهر دينه وذكر قومه ودعاهم الى طاعة المرسلين كما أخبر الله تعالى فى كتابه وذلك قوله تعالى وجاء من أقصى المدينة رجل يسعى الى قوله مهتدون فقال له قومه أوأنت مخالف لديننا ومتابع دين هؤلاء الرسل ومؤمن بالههم فقال وما لى لا أعبد الذي فطرنى واليه ترجعون الى قوله انى آمنت بربكم فاسمعون فلما قال لهم ذلك وثبوا اليه وثبة رجل واحد فقتلوه ولم يكن أحد يدفع عنه وقال عبد الله بن مسعود وطؤه بأرجلهم حتى خرج قصبه من دبره وقال السدى كانوا يرمونه بالحجارة وهو يقول اللهم اهد قومى حتى قطعوه وقتلوه (وقال) الحسن خرقوا خرقا فى حلقه وعلقوه فى سور المدينة ودفنوه فى سوق انطاكية فأوجب الله له الجنة فذلك قوله تعالى قيل ادخل الجنة فلما أفضى الى جنة الله وكرامته قال ياليت قومى يعلمون بما غفر لى ربى وجعلنى من المكرمين قالوا فلما قتل حبيب غضب الله عليهم وعجل لهم النقمة وأمر جبريل فصاح بهم صيحة فماتوا عن آخرهم فذلك قوله تعالى وما أنزلنا على قومه من بعده من جند من السماء وما كنا منزلين على غيرهم من كفار الامم ان كانت الا صيحة واحدة فاذاهم خامدون أي ميتون (أخبرنا) أبو بكر الحمشاوى باسناده عن ابن أبى ليلى عن أبيه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سباق الامم ثلاثة لم يكفروا بالله طرفة عين حزقيل مؤمن آل فرعون وحبيب النجار مؤمن آل يس وعلى بن أبى طالب كرم الله وجهه وهو أفضلهم

﴿ قصة يونس بن متى عليه السلام ﴾

قيل متى أمه ولم ينسب أحد من الانبياء الى أمه الا عيسى بن مريم ويونس بن متى عليهما السلام وهو الذى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه لا ينبغى لاحد أن يقول أنا خير من يونس بن متى قال الله تعالى وذا النون اذ ذهب مغاضبا الآيات قالت العلماء بأخبار القدماء كان يونس رجلا صالحا يتعبد فى جبل وكان فى قرية من قرى الموصل يقال لها نينوى وكان قومه يعبدون الاصنام فبعث الله اليهم يونس ابن متى عليه السلام بالنهى عن الكفر والامر بالتوحيد وكان يونس عليه السلام رجلا صالحا لا يصبر على الناس فلحق بالجبل يعبد الله تعالى فيه وكان حسن القراءة يستمع الى قراءته الوحش كما كان لداود فى زمانه وكان يعتريه حدة ولذلك نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يكون مثله لخفة وعجلة ظهرت منه قال الله تعالى فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل وقال تعالى ولا تكن كصاحب الحوت لانه كان قليل الصبر على قومه والمداراة لهم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يونس بن متى فيه عجلة وخفة فلما حمل أعباء النبوة تفسخ تحتها تفسخ

مكارم الاخلاق رضي الله تعالى عنه (ولما حج معاوية ابن ابى سفيان رضي الله تعالى عنه) لم يترك شيأ الا قدم به الى مكة والمدينة من دراهم ودنانير وثياب وطيب ودواب وغير ذلك فلما قدم المدينة قسم على اهلها اكثر من اهل مكة وبعث الى رجل من الانصار بالف درهم وعشرة اثواب وكان الرجل الانصارى من اهل بدر فاتاه الرسول بذلك العطاء فغضب وقال اما وجد معاوية من يرسل اليه بمثل هذا العطاء غيري ارددده عليه فقال الرسول لا اقدر على ذلك فدعا الانصارى ابنا له وقال يابني اسألك بحقي عليك الا رددت هذا العطاء على معاوية وضربت بهذه الثياب وجهه فاخذها ابن الانصارى واتى الى معاوية فعرف معاوية الشر في وجهه فقال ماتريد فقال ان ابى يقرئك السلام ويقول امثلي ترسل اليه بمثل هذا العطاء فقال معاوية من الرسول الى ابيك فقال فلان فقال قاتله الله انما هذا العطاء لغير ابيك وعطاء ابيك دفعه الى رجل غيره ثم قال ياغلام على بعشرة آلاف درهم وثلاثين ثوبا ووصيفة

الربع تحت الحمل الثقيل ولذلك السبب ذهب مغاضبا (واختلف العلماء) في صفة مغاضبته وسبب ذلك
ووقته فقال قوم ذهب مغاضبا لقومه وهي رواية الضحاك والعوفي عن ابن عباس قال كان يونس بن متى
وقومه يسكنون فلسطين فغزاهم ملك فسبى منهم تسعة أسباط ونصفا وبقي سبطان ونصف وكانوا اثنى
عشر سبطا فيهم النبوة والملك فأوحى الله تعالى الى شعياء النبي أن سر الى حزقيا الملك وقل له يوجه نبيا قويا أمينا
فاني ألقي الخوف في قلوب أولئك الاسباط حتى يرسلوا معه بني اسرائيل فقال له الملك فمن ترى وكان في
مملكته خمسة من الانبياء فقال يونس فانه قوي أمين فدعا الملك يونس وامره ان يخرج فقال له يونس هل
أمرك الله باخراجي قال لا قال هل سماني لك قال لا فقال فههنا غيري أنبياء أقوياء أمناء فالحوا عليه فخرج
مغاضبا للنبي والملك ولقومه فأتى بحر الروم فكان من أمره ما كان * وقال الحسن البصري انما غاضب ربه من
أجل أنه أمره بالمسير الى قومه لينذرهم بأسه ويدعوهم اليه فسأل ربه أن ينظره ليتأهب للشخوص اليهم فقال له
الامر أسرع من ذلك ولم ينظره حتى سأل أن ينظر الى أن يأخذ نعله ليلبسها فقيل له نحو والقول الاول وكان
رجلا في خلقه ضيق فقال أعجلني ربي ان آخذ نعلي فذهب مغاضبا وروى شهر بن حوشب عن ابن
عباس قال اتى جبريل يونس عليه السلام فقال له انطلق الى اهل نينوى فانذرهم ان العذاب قد
حضرهم ان لم يتوبوا فقال له التمس دابة قال الامر أعجل من ذلك فغضب وانطلق الى البحر فركب سفينة
فكان من امره ما كان فعلى هذه الاقوال كانت رسالة يونس قبل نجاته من بطن الحوت قال ابن عباس
انما كانت رسالة يونس بعد ان نبذه الحوت ودليل هذا القول ان الله تعالى ذكر قصة يونس في سورة
الصافات ثم عقبها بقوله وارسلناه الى مائة الف او يزيدون وقال آخرون بل كانت قصة الحوت بعد
دعائه قومه وتبليغه الرسالة وانما ذهب عن قومه مغاضبا لربه اذ كشف عنهم العذاب بعدما اوعدهم به
وذلك أنه كره أن يكون بين قوم قد جربوا عليه الكذب والخلف فيما اوعدهم ولم يعلم السبب الذي رفع به
عنهم العذاب والهلاك فخرج مغاضبا قال والله لا ارجع اليهم كذابا أبدا أوعدتهم العذاب في يوم ولم
يأتهم وفي بعض الاخبار ان قومه كان من عادتهم ان يقتلوا من جربوا عليه الكذب فلما لم يأتهم العذاب
للميعاد الذي أوعدهم خشي أن يقتلوه فغضب وقال كيف ارجع الى قومي وقد أخلفتهم الوعد ولم يعلم سبب
صرف العذاب عنهم لانه كان قد خرج من بين اظهرهم قبل نزول العذاب قال علي بن ابي طالب كرم الله وجهه بعث
الله يونس بن متى الى قومه وهو ابن ثلاثين سنة فأقام فيهم يدعوهم الى الله تعالى ثلاثا وثلاثين سنة فلم يؤمن به
الا رجلان احدهما روبيل وكان عالما حكيما والآخر تنوخا وكان عابدا زاهدا (قال ابن عباس) وابن مسعود
وغيرهما لما أيس من ايمان قومه دعا عليهم فقيل له ما أسرع ما دعوت على قومك ارجع اليهم فادعهم اربعين ليلة
اخرى فان اجابوك والا فاني مرسل عليهم العذاب فرجع ودعاهم سبعا وثلاثين ليلة فلم يجيبوه فقام خطيبا
فيهم وقال اني محذركم العذاب الى ثلاثة ايام ان لم تؤمنوا ثم قال لهم ان آية ذلك ان تتغير الوانكم فلما اصبحوا
تغيرت الوانهم فقالوا لبعضهم قد نزل بكم ما قال يونس وانا لم نجرب عليه كذبا فانظروا فان بات فيكم الليلة
فأمنوا من العذاب وان لم يبت فيكم فاعلموا ان العذاب مصبحكم فلما كان ليلة الاربعين ورأى يونس
تغير الوانهم علم ان العذاب نازل بهم فخرج من بين اظهرهم فلما اصبحوا تغشاهم العذاب (قال سعيد بن
جبير) كما يغشى الثراب القبر اذا دخل فيه صاحبه وقال مقاتل كان العذاب فوق رؤسهم قدر ميل وقال ابن
عباس قدر ثلثي ميل وقال وهب اغيمت السماء غيما اسود هائلا تدخن دخانا شديدا فهبط حتى غشي مدينتهم
واسودت اسطحتهم فلما رأوا ذلك ايقنوا بالهلاك والعذاب فطلبوا نبيهم يونس فلم يجدوه فقذف الله في
قلوبهم التوبة والهمهم الرجوع اليه فخرجوا الى الصعيد بانفسهم ونسائهم وصبيانهم ودوابهم ولبسوا
المسوح واظهروا الايمان والتوبة لله واخلصوا النية وفرقوا بين كل والدة وولدها من الناس والدواب

ووصيفة مسرعا فحضر
الجميع وقال يا ابن اخي خذ
الجميع وعد الى ابيك
واعتذر لي من ابيك وعرفه
خطأ الرسول فقال يا امير
المؤمنين ان للوالد حقا وله
امر مطاع وقد امرني ان
افعل شيئا قال معاوية ما
هو يا ابن اخي قال انه دفع
لي الثياب وقال بحقي
عليك الا ضربت بها
وجهه فقال معاوية يا ابن
اخي اطع والدك وارفق
بعمك فتقدم الغلام
ورمى بها وجهه برفق
وتوجه الغلام الى ابيه
واخبره بذلك وهو
من حسن اخلاقهم (وقيل
نزل بعض اللصوص الى
دار خلف بن ايوب وهو
قائم يصلي بالليل فجمع
اللص جميع ما في البيت
من قماش وغيره وشده
وحمله على راسه وخلف
ينظر اليه ولا يكلمه
ثم خرج اللص من
البيت الى الحائط يريد
النهوض فلم يقدر على ذلك
فقال له خلف يا ابن اخي
خذ المفتاح وافتح الباب
واخرج فلعلك محتاج الى
ذلك فقال ار مثلك والله لن
يؤذي ثم ترك ما كان اخذه
وتاب الى الله تعالى (وحكى
بعضهم) قال كان لعبد الله
بن الزبير ارض مجاورة
لارض معاوية بن ابي

والانعام فحن بعضها الى بعض وعلت أصواتهم واختلط حنينهم وعجوا وتضرعوا الى الله وقالوا آمنا بما جاء به يونس فرحمهم ربهم واستجاب دعوتهم وقبل توبتهم وكشف عنهم العذاب بعد ما اظلهم وذلك يوم عاشوراء وقيل كان يوم الاربعاء للنصف من شوال قال ابن مسعود وبلغ من توبة اهل نينوى ان ترادوا المظالم بينهم حتى ان الرجل ليأتي الى الحجر وقد وضع عليه اساس بنائه فيقتلعه ويرده (وروى) صالح المرى عن عمران الجونى عن ابى خالد قال لما غشى قوم يونس العذاب مشوا الى شيخ من بقية علمائهم فقالوا له قد نزل بنا العذاب فماترى قال قولوا يا حي حين لا حي يا حي حين تحيي الموتى لا اله الا انت فقالوها فكشف الله عنهم العذاب ومتعوا الى حين كما قال تعالى فلولا كانت قرية آمنت اى فلم تكن قرية آمنت وضع التحضيض موضع النفي لان فيه ضربا من الجحد فنفعها ايمانها في وقت اليأس عند معاينة العذاب الا قوم يونس لما آمنوا نفعهم ايمانهم في ذلك الوقت لما علم الله من صدقهم كشفنا عنهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا ومتعناهم الى حين قالوا وكان يونس قد خرج من بين اظهرهم وقام ينتظر العذاب والهلاك لقومه فلم ير شيأ وكان من كذب ولم يكن له بينة قتل قال يونس كيف ارجع الى قومي وقد كذبتهم فانطلق مغاضبا لربه مغاضبا قومه فاتى البحر كما قال تعالى وذا النون اذ ذهب مغاضبا فظن ان لن نقدر عليه اي ان لن نقضى عليه العقوبة تقول العرب قدر الله الشيء يقدره تقديرا وقدره يقدره قدرا وقد قرئ بهما جميعا في قوله تعالى نحن قدرنا بينكم الموت وقوله تعالى الذى قدر فهدى هذا قول اكثر المفسرين وقال عطاء معناه فظن ان لن نضيق عليه الحبس من قول الله تعالى الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر اى ويضيق وقوله تعالى ومن قدر عليه رزقه (قال ابن زيد) هو استفهام معناه افظن ان لن نقدر عليه وقال الحسن معناه فظن ان يعجز به فلا يقدر عليه قال وبلغنى ان يونس لما اصاب الذنب انطلق مغاضبا لربه فاستزله الشيطان حتى ظن ان لن نقدر عليه وكان له سلف وعبادة فابى الله ان يدعه للشيطان فلما اتى يونس البحر اذا قوم يركبون سفينة فحملوه بغير اجرة فلما دخلها احتبست السفينة ووقفت والسفن تسير يمينا وشمالا فقال الملاحون ان فيها عبدا آبقا من سيده وهذا رسم السفينة اذا كان فيها آبق لم تجر فاقترعوا فوقعت القرعة على يونس فقال انا الآبق فقالوا تلقى في الماء فاقترعوا ثانيا وثالثا فخرجت القرعة على يونس فزج نفسه في الماء فذلك قوله تعالى فساهم فكان من المدحضين فلما وقع في الماء وكل الله به حوتا فابتلعه واوحى الله تعالى الى الحوت انى لم اجعله لك رزقا بل جعلناك له حرزا ومسكنا فخذه ولا تكسر له عظما ولا تخدش له لحما وابتلع الحوت حوت آخر فاهوى به الى مسكنه في البحر فالتقمه حوت اخر وانطلق به من ذلك المكان حتى مر به على الابلة ثم مر به على دجلة ثم انطلق به الى نينوي ويقال ان الله تعالي رقق له جلد الحوت حتى كان يري جميع ما في البحر فلما انتهى به الى اسفل البحر سمع يونس حسا فقال في نفسه ما هذا فاوحى الله تعالى اليه وهو في بطن الحوت ان هذا تسبيح دواب البحر فسبح وهو في بطن الحوت فسمعت الملائكة تسبيحه فقالوا ربنا انا نسمع صوتا ضعيفا معروفا بارض مجهولة قال ذلك عبدي يونس عصانى فحبسته في بطن الحوت في البحر فقالوا العبد الصالح الذي كان يصعد لك منه في كل يوم وليلة عمل صالح قال نعم قال فشفعوا له عند ذلك وهو قوله فنادى في الظلمات ان لا اله الا انت قال ابن عباس ظلمة الليل وظلمة البحر وظلمة بطن الحوت سبحانك انى كنت من الظالمين (وروى) سعيد بن المسيب عن سعد بن مالك قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اسم الله الذي اذا دعى به اجاب واذا سئل به اعطي دعوة يونس بن متى فقلت يارسول الله هي ليونس ابن متى خاصة ام لجماعة المسلمين فقال هي ليونس خاصة ولجماعة المسلمين عامة اذا دعوا بها الم تسمع قوله تعالى فنادى في الظلمات الى قوله وكذلك ننجى المؤمنين فلما دعا يونس وشفعت له الملائكة أمر الله الحوت فقذفه الى ساحل نينوى كما قال الله تعالى فنبذناه بالعراء اى بوجه الارض وهو سقيم اي عليل ضعيف

كالفراخ

سفيان وكان له في كل ارض عبيد لعمارتها فدخل عبيد معاوية في ارض عبد الله ابن الزبير وغصبوا منها قطعة فكتب عبد الله بن الزبير الى معاوية اما بعد يامعاوية فان عبيدك قد غصبوا ارضي فامرهم بان ينكفوا عنها والا كان لى ولكم شان فلما وقف معاوية على كتابه دفعه الى ولده يزيد فلما قرأه قال ماترى يايزيد قال ارى ان تبعث له جيشا اوله عنده واخره عندنا يأتيك برأسه فير يحك منه فقال معاوية عندى خير من ذلك يا ابني قال ماهو ياابت فدعا على بدواة وقرطاس فكتب فيه قد وقفت على كتاب ابن حوارى رسول الله صلى الله عليه وسلم فساءنى والله ما ساءه والدنيا وما فيها هينة في حبك ورضاك وقد كتبت على نفسي مسطورا اشهدت فيه الله وجماعة من المسلمين على ان الارض والعبيد الذي فيها ملكك فضمها الى ارضك والعبيد الى عبيدك والسلام قال فلما قرأه عبد الله ابن الزبير كتب اليه يقول قد وقفت على كتاب امير المؤمنين

كالفرخ الممعط (واختلفوا) في مدة مكث يونس في بطن الحوت فقال مقاتل ثلاثة ايام وقال عطاء سبعة ايام وقال الضحاك عشرين يوما وقال السدى والكلبي اربعين يوما فلما اخرجه الله من بطن الحوت انبت له شجرة من يقطين وهو القرع فجعل يستظل بها ووكل الله به وعلة تختلف اليه فيشرب منها لبنا فذلك قوله تعالى وانبتنا عليه اى عنده شجرة من يقطين قالوا فيبست الشجرة فبكى عليها فاوحى الله اليه اتبكي على شجرة يبست ولا تبكي على مائة الف او يزيدون اردت ان اهلكهم ثم ذهب يونس فاذا هو بغلام يرعى غنما فقال من اين انت يا غلام قال انا من قوم يونس فقال له اذا رجعت اليهم فقل لهم انك لقيت يونس فقال الغلام ان كنت يونس فانت تعلم انه ان لم يكن لى بينة قتلت فمن يشهد لى فقال يونس تشهد لك هذه البقعة وهذه الشجرة وهذه الشاة وأشار الى شاة من غنمه فقال له الغلام فمرهم قال لهم يونس اذا جاءكم هذا الغلام فاشهدوا له قالوا نعم فرجع الغلام الى قومه ثم قال للملك انى قد لقيت يونس وانه يقرأ عليكم السلام فامر الملك بقتله وقال كذبت فقال ان لى بينة فارسلوا معى احد يشهد فارسلوا معه رجالا فاتى البقعة والشجرة والشاة وقال انشدكم بالله هل اشهدكم يونس قالوا نعم فرجع القوم مذعورين وقالوا للملك شهدت له الشجرة والارض والشاة فاخذ الملك بيد الغلام واجلسه في مجلسه وقال انت احق بهذا المكان مني قال فاقام لهم امرهم ذلك الغلام اربعين سنة ثم انهم خرجوا يلتمسون يونس فوجدوه ففرحوا به وامنوا به فاقام لهم امرهم (يروي) ان يونس عليه السلام مضي من عندهم فنزل قرية ليلا فاضافه رجل وكان ذلك الرجل قد عمل كثيرا من الفخار فاوحى الله اليه يا يونس مر صاحب هذا الفخار ان يكسر تلك الفخارات فقال له يونس ذلك فلما سمع ذلك منه شتمه وقال شيء عملته بيدى أعيش فيه وأنتفع بثمنه أنا وعيالى تامرني بكسره فبكى يونس فاوحي الله اليه هذا عمل فخارا من طين لم تطب نفسه بكسره وانت طبت نفسا ووطنتها على هلاك مائة الف او يزيدون من عبادى فمضي يونس وهبط واديا (قال) فلما شهدت الشجرة والارض والشاة للغلام وكانت الشاة التى كانت مع الغلام قالت لهم ان اردتم يونس فاهبطوا الوادى فهبطوا فاذا هم بيونس فانكبوا على رجليه يقبلونهما وسالوه ان يدخل معهم المدينة فقال لا حاجة لى فى مدينتكم فبكوا والحوا عليه فاجابهم للدخول فاتى بعجلة من فضة واجلس عليها فتمثل له جبريل عليه السلام عاضا على سبابته وهو ينادى هذا مجلس الجبارين فوثب يونس عن العجلة وجعل يمشى حتى دخل معهم المدينة فمكث مع اهله وولده اربعين ليلة ثم خرج سائحا وخرج الملك معه وصير الغلام الراعي ملكا لتلك المدينة كما ذكرنا فلم يزالا سائحين يعبدان الله تعالى حتى ماتا عليهما السلام وكانت نبوة يونس في زمان ملوك الطوائف والله اعلم

(باب في قصة أصحاب الكهف)

قال الله تعالى أم حسبت ان أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا اختلف العلماء في الرقيم قال النعمان بن بشير الانصاري سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر الرقيم قال ان ثلاثة نفر خرجوا يرتادون لاهليهم فبينما هم يمشون اذ اصابتهم السماء فاووا الى الكهف فانحطت صخرة من الجبل عليهم فانطبقت على باب الكهف فاوصدته عليهم فقال قائل منهم كل منكم يذكر أحسن عمل عمله فلعل الله يرحمنا فقال رجل منهم قد عملت مرة حسنة كان لى اجراء يعملون عملا لى فاستأجرت كل رجل منهم باجرة معلومة فجاء رجل منهم ذات يوم وسط النهار فاستأجرته بشطر اصحابه فعمل في بقية نهاره كما عمل رجل منهم نهاره كله فرايت على من الاكرام ان لا انقصه شيأ مما استاجرت به اصحابه فلما اجتهد في عمله فقال رجل منهم اتعطي هذا مثل ما اعطيتني ولم يعمل الا نصف النهار فقلت له يا عبد الله لم أبخسك شيئا من شرطك انما هو مالى أحكم فيه بما شئت قال فغضب وذهب وترك اجرته فوضعت حقه في جانب من

الا اعدمنى الله بقاءه ولا اعدمه هذا الراي الذى احله هذا المحل والسلام فلما وقف معاوية على الكتاب ناوله الى ولده يزيد فلما قرأه تهلل وجهه فرحا فقال له معاوية يا بنى اذا بليت بشيء من هذا هذا الداء فداوه بمثل هذا الدواء وانا انوم لم نر في الحلم الا خيرا رضى الله عنه (وحكى ان المهلب ابن ابى صفرة) مر بحى من اهل همدان فرآه شاب من اهل الحى فقال هذا المهلب قالوا نعم فقال والله ما يساوي خمسمائة درهم وكان المهلب رجلا اعور فسمعه المهلب فلما كان الليل اخذ المهلب في كمه خمسمائة درهم واتى الى الحى فارتعب الشاب حين رآه فاتى اليه وقال له افتح حجرك ففتح الشاب حجره فصب فيه الخمسمائة درهم وقال خذ قيمة عمك المهلب والله يا ابن اخى لو قاومتنى بخمسة آلاف دينار لاتيتك بها فسمع شيخ من اهل الحى فقا والله ما اخطا فيك من جعلك سيدا (وقال احمد ابن ابى داود) ما رايت رجلا عرض على الموت ورأى النطع مفروشا

البيت ماشاء الله ثم مر بى بعد ذلك بقر فاشتريت به فنميته فبلغت ماشاء الله فمر بى بعد ذلك شيخ ضعيف لااعرفه فقال لى انلى عندك حقا فقلت له اذكره لى حتى اعرفه قال فذكره فقلت له اياك ابغى وهذا حقك وعرضتها عليه فقال ياعبد الله لاتسخر بى ان لم تتصدق على فاعطنى حقى فقلت والله ماأسخر ان هذا لحقك ومالى فيه شيء فدفعتها اليه اللهم ان كنت فعلت هذا لوجهك الكريم فافرج عنا فانصدع الجبل حتى ابصروا الضوء وقال الآخر قد عملت حسنة مرة كان لى فضل مال وأصاب الناس شدة فجاءتنى امرأة تطلب مني معروفا فقلت والله ماهو دون نفسك فابت على وذهبت ثم انها رجعت فذكرتنى بالله فابيت عليها وقلت والله ماهو دون نفسك فابت على وذهبت وذكرت ذلك لزوجها فقال لها زوجها أعطيه نفسك واغيثى عيالك فرجعت الى تنشدنى بالله فابيت عليها وقلت والله ماهو دون نفسك فلما رأت ذلك أسلمت الى نفسها فلما كشفتها وهممت بها ارتعدت من تحتى فقلت لها ماشانك فقالت انى اخاف الله رب العالمين فقلت لها خفتيه في الشدة ولم اخفه فى الرخاء فتركتها واعطيتها ماتحب بما كشفتها اللهم ان كنت فعلت هذا لوجهك الكريم فافرج عنا فانصدع الجبل حتى تعارفنا وقال الآخر قد عملت حسنة مرة كان لى ابوان كبيران وكان لى غنم فكنت اطعم ابوي واسقيهما ثم ارجع الى غنمي قال فاصابني يوما غيث فحبسني حتى امسيت فاتيت اهلى واخذت محلبي فحلبت غنمى وتركتها قائمة مكانها ومضيت الى ابوى فوجدتهما قد ناما فشق على ان اوقظهما وشق على ان أترك غنمي فما برحت جالسا ومحلبي في يدى حتي أيقظهما الصبح فسقيتهما اللهم ان كنت فعلت ذلك لوجهك الكريم فافرج عنا مانحن فيه قال النعمان لكانى أسمع من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كان الجبل طبق ففرج الله عنهم فخرجوا (وقال ابن عباس) الرقيم واد بين غطفان وأيلة دون فلسطين وهو الوادى الذي فيه اصحاب الكهف قال كعب هى قريتهم وقال سعيد بن جبير وغيره من أئمة الاخبار الرقيم لوح من حجارة وقيل من رصاص كتبوا فيه اسماء اهل الكهف وقصتهم ثم جعلوه في صندوق ووضعوه على باب الكهف ثم ذكر الله خبر اصحاب الكهف فقال اذ أوى الفتية الى الكهف فقالوا ربنا آتنا من لدنك رحمة قال اهل التفسير وأصحاب التواريخ كان أمر اصحاب الكهف فى ايام ملوك الطوائف بين عيسي ومحمد عليهما الصلاة والسلام (واما قصتهم) فيقال لما ولي امير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه الخلافة اتاه قوم من احبار اليهود فقالوا له ياعمر أنت ولى الامر بعد محمد صلى الله عليه وسلم وصاحبه وانا نريد أن نسألك عن خصال ان اخبرتنا بها علمنا ان الاسلام حق وان محمدا كان نبيا وان لم تخبرنا بها علمنا ان الاسلام باطل وان محمدا لم يكن نبيا فقال عمر سلوا عما بدا لكم قالوا أخبرنا عن اقفال السموات ماهي واخبرنا عن مفاتيح السموات ماهي وأخبرنا عن قبر سار بصاحبه ماهو واخبرنا عمن انذر قومه لاهو من الجن ولا هو من الانس واخبرنا عن خمسة اشياء مشوا على وجه الارض ولم يخلقوا في الارحام وأخبرنا مايقول الدراج فى صياحه ومايقول الديك فى صراخه ومايقول الفرس فى صهيله ومايقول الضفدع في نقيقه ومايقول القنبر فى صفيره قال فنكس عمر راسه فى الارض ثم قال لاعيب بعمر اذا سئل عما لايعلم أن يقول لا أعلم وان يسال عما لا يعلم فوثبت اليهود وقالوا نشهد ان محمدا لم يكن نبيا وان الاسلام باطل فوثب سلمان الفارسي وقال لليهود قفوا قليلا ثم توجه نحو على ابن ابى طالب كرم الله وجهه حتى دخل عليه فقال ياابا الحسن اغث الاسلام فقال وماذاك فاخبره الخبر فاقبل يرفل في بردة رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما نظر اليه عمر وثب قائما فاعتنقه وقال ياابا الحسن أنت لكل معضلة وشدة تدعي فدعا على كرم الله وجهه اليهود فقال سلوا عما بدا لكم فان النبي صلى الله عليه وسلم علمنى الف باب من العلم فتشعب لى من كل باب الف باب فسألوه عنها فقال على كرم الله وجهه ان لى عليكم شريطة اذا اخبرتكم كما في توراتكم دخلتم في ديننا وآمنتم فقالوا نعم فقال سلوا عن خصلة خصلة قالوا أخبرنا عن اقفال

والسيف مسلولا ولم يكترث لذلك ولا عدل عما اراد الانعم ابن جميل وقدكان خرج على المعتصم ولقد رايته وقد جيء به أسيرا مكتوفا وقد اجتمع الناس من الآفاق والنواحى ينظرون كيف يقتله المعتصم وكان المعتصم قد جلس له مجلسا منكرا وامر الناس بالدخول ودخل تميم وحضر السياف وفرش النطع وكان تميم جميل الوجه تام الخلقة عذب المنطق فرآه المعتصم غير دهش ولا مكترث لما نزل به فاحب المعتصم ان يستنطقه ليعلم أين عقله في ذلك الوقت فقال له المعتصم ان كان لك عذر ياتميم فائت به فقال اما انت ياامير المؤمنين فالحمد لله الذى جبر بك الدين ولم بك شعث المسلمين وانار بك مستار الحق واخمد بك شهاب الباطل وان الذنوب ياامير المؤمنين لتخرس الالسن الفصيحة وتصدع الافئدة الصحيحة ووالله لقد كبر الذنب وعظمت الجريمة وانقطعت الحجة وساء الظن ولم يبق الاعفوك او انتقامك وانت الى العفو اقرب وهو بك اشبه واليق وانشد يقول
ارى الموت بين السيف والنطع كامنا

السموات ماهي قال اقفال السموات الشرك بالله لان العبد والامة اذا كانا مشركين لم ير تفع لهما عمل قالوا فاخبرنا عن مفاتيح السموات ماهي قال شهادة ان لا اله الا الله وان محمدا عبده ورسوله قال فجعل بعضهم ينظر الى بعض يقولون صدق الفتى قالوا فاخبرنا عن قبر سار بصاحبه فقال ذلك الحوت الذي التقم يونس بن متى فسار به في البحار السبعة فقالوا أخبرنا عمن انذر قومه لاهو من الجن ولا من الانس قال هي نملة سليمان بن داود قالت يا ايها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون قالوا فاخبرنا عن خمسة مشوا على الارض ولم يخلقوا في الارحام قال ذلكم آدم وحواء وناقة صالح وكبش ابراهيم وعصا موسى قالوا فاخبرنا مايقول الدراج في صياحه قال يقول الرحمن على العرش استوي قالوا فاخبرنا مايقول الديك في صراخه قال يقول اذكروا الله يا غافلون قالوا أخبرنا مايقول الفرس في صهيله قال يقول اذا مشي المؤمنين الي الكافرين للجهاد اللهم انصر عبادك المؤمنين على الكافرين قالوا فاخبرنا مايقول الحمار في نهيقه قال يقول لعن الله العشار وينهق في اعين الشيطان قالوا فاخبرنا مايقول الضفدع في نقيقه قال يقول سبحان ربي المعبود المسبح في لجج البحار قالوا فاخبرنا مايقول القنبر في صفيره قال يقول اللهم العن مبغضي محمد وآل محمد وكان اليهود ثلاثة نفر قال اثنان منهم نشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله ووثب الحبر الثالث فقال يا علي لقد وقع في قلوب أصحابي ماوقع من الايمان والتصديق وقد بقي خلة واحدة اسألك عنها فقال سل عما بدالك فقال أخبرني عن قوم في اول الزمان ماتوا ثلثمائة وتسع سنين ثم احياهم الله فما كان من قصتهم قال علي رضي الله عنه يايهودي هؤلاء اصحاب الكهف وقد انزل الله على نبينا قرآنا فيه قصتهم وان شئت قرأت عليك قصتهم فقال اليهودي ما اكثر ما قد سمعنا قراءتكم ان كنت عالما فاخبرني باسمائهم واسماء آبائهم واسماء مدينتهم واسم ملكهم واسم كلبهم واسم جبلهم واسم كهفهم وقصتهم من أولها الى آخرها فاحتبي علي كرم الله وجهه ببردة رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال يا أخا العرب حدثني حبيبي محمد صلى الله عليه وسلم انه كان بارض رومية مدينة يقال لها افسوس ويقال هي طرسوس وكان اسمها في الجاهلية أفسوس فلما جاء الاسلام سموها طرسوس قال وكان لهم ملك صالح فمات ملكهم وانتشر أمرهم فسمع بهم ملك من ملوك فارس يقال له دقيانوس وكان جبارا كافرا فاقبل في عساكره حتي دخل افسوس فاتخذها دار مملكته وبني فيها قصرا فوثب اليهودي وقال ان كنت عالما فصف لي ذلك القصر ومجالسه فقال يا أخا اليهود ابتنى فيها قصرا من الرخام طوله فرسخ في عرض فرسخ واتخذ فيه اربعة آلاف اسطوانة من الذهب والف قنديل من الذهب لها سلاسل من اللجين تسرج في كل ليلة بالادهان الطيبة واتخذ لشرق المجلس مائة وثمانين كوة ولغربيه كذلك وكانت الشمس من حين تطلع الى حين تغيب تدور في المجلس كيفما دارت واتخذ فيه سريرا من الذهب طوله ثمانون ذراعا في عرض أربعين ذراعا مرصعا بالجوهر ونصب على يمين السرير ثمانين كرسيا من الذهب فاجلس عليها بطارقته واتخذ أيضا ثمانين كرسيا من الذهب عن يساره فاجلس عليها هراقلته ثم جلس هو على السرير ووضع التاج على رأسه فوثب اليهودي وقال يا علي ان كنت عالما فاخبرني مم كان تاجه فقال يا أخا اليهود كان تاجه من الذهب السبيك له تسعة اركان على كل ركن لؤلؤة تضيء كما يضيء المصباح في الليلة الظلماء واتخذ خمسين غلاما من ابناء البطارقة فمنطقهم بمناطق من الديباج الاحمر وسرولهم بسراويل القز الاخضر وتوجهم ودملجهم وخلخلهم واعطاهم عمد الذهب واقامهم على رأسه واصطنع ستة غلمة من اولاد العلماء وجعلهم وزراءه فما يقطع امرا دونهم وأقام منهم ثلاثة عن يمينه وثلاثة عن يساره فوثب اليهودي وقال يا علي ان كنت صادقا فاخبرني ما كانت اسماء الستة فقال علي كرم الله وجهه حدثني حبيبي محمد صلى الله عليه وسلم ان الذين كانوا عن يمينه أسماؤهم تمليخا ومكسلمينا ومحسلمينا وأما الذين كانوا عن يساره فمرطليوس وكشطوس وسادنيوس وكان يستشيرهم في جميع اموره وكان اذا جلس كل يوم في صحن داره واجتمع الناس عنده دخل من باب الدار ثلاثة غلمة في يد أحدهم جام من الذهب مملوء من المسك

يلاحظني من حيث لا
التفت
واكثر ظني انك اليوم
قاتلي
واي امرىء مما قضي الله
يفلت
ومن ذا الذي يأتي بعذر
وحجة
وسيف المنايا بين عينيه
يصلت
وما جزعي من ان اتى
الموت انني
لاعلم ان الموت شيء مؤقت
ولكن خلفي صبية قد
تركتهم
واكبادهم من حسرة
تتفتت
كاني اراهم حين انعى اليهم
وقد خمشوا تلك الوجوه
وصوتوا
فان عشت عاشوا سالمين
بغبطة
اذود الردي عنهم وان مت
موتوا
(قال) فبكى المعتصم حتى
ابتلت لحيته وقال ان من
البيان لسحرا ثم قال والله
ياتميم لقد غلب السيف العفو
وقد وهبتك لله ولصبيتك
وعفوت عن ذلك ثم امر
بقناة ففصدله على موضعه
الذي كان خرج عنه
ووصله بشيء كثير
(وحكي عن بعضهم)
قال قدم الى معن
ابن زائدة اسارى فعرضهم
على السيف فقام اليه رجل

وفي يد الثاني جام من فضة مملوء من ماء الورد وعلى يد الثالث طائر فيصيح به فيطير الطائر حتى يقع في جام ماء الورد فيتمرغ فيه فينشف مافيه بريشه وجناحيه ثم يصيح به الثاني فيطير فيقع في جام المسك فيتمرغ فيه فينشف مافيه بريشه وجناحيه ثم يصيح به الثالث فيطير فيقع على تاج الملك فينفض ريشه وجناحيه على رأس الملك بما فيه من المسك وماء الورد فمكث الملك في ملكه ثلاثين سنة من غير أن يصيبه صداع ولا وجع ولا حمي ولا لعاب ولا بصاق ولا مخاط فلما رأي ذلك من نفسه عتا وطغى وتجبر واستعصى وادعى الربوبية من دون الله تعالى ودعا اليه وجوه قومه فكل من اجابه أعطاه وحباه وكساه وخلع عليه ومن لم يجبه ويتابعه قتله فأجابوه باجمعهم فأقاموا في ملكه زمانا يعبدونه من دون الله تعالى فبينما هو ذات يوم جالس في عيد له على سريره والتاج على رأسه اذاتى بعض بطارقته فاخبره أن عساكر الفرس قد غشيته يريدون قتاله فاغتم لذلك غما شديدا حتى سقط التاج عن رأسه وسقط هو عن سريره فنظر أحد فتيته الثلاثة الذين كانوا عن يمينه الى ذلك وكان عاقلا يقال له تمليخا فتفكر وتذكر في نفسه وقال لو كان دقيانوس هذا الها كما يزعم لما حزن ولما كان ينام ولما كان يبول ويتغوط وليست هذه الافعال من صفات الاله وكانت الفتية الستة يكونون كل يوم عند واحد منهم وكان ذلك اليوم نوبة تمليخا فاجتمعوا عنده فأكلوا وشربوا ولم يأكل تمليخا ولم يشرب فقالوا يا تمليخا مالك لا تأكل ولا تشرب فقال يا اخوتى وقع في قلبي شيء منعني عن الطعام والشراب والمنام فقالوا وما هو يا تمليخا فقال اطلت فكري في هذه السماء فقلت من رفعها سقفا محفوظا بلا علاقة من فوقها ولا دعامة من تحتها ومن أجرى فيها شمسها وقمرها ومن زينها بالنجوم ثم اطلت فكري في هذه الارض من سطحها على ظهر اليم الزاخر ومن حبسها وربطها بالجبال الرواسي لئلا تميد بهم ثم اطلت فكري في نفسي فقلت من اخرجني جنينا من بطن أمي ومن غذاني ورباني ان لهذا صانعا ومدبرا سوى دقيانوس الملك فانكبت الفتية على رجليه يقبلونهما وقالوا يا تمليخا لقد وقع في قلوبنا ماوقع في قلبك فاشر علينا فقال يا اخوتى ما اجد لي ولكم حيلة الا الهرب من هذا الجبار الى ملك السموات والارض فقالوا الرأي ما رأيت فوثب تمليخا فابتاع تمرا بثلاثة دراهم وصرها في ردائه وركبوا خيولهم وخرجوا فلما ساروا قدر ثلاثة اميال من المدينة قال لهم تمليخا يا اخوتاه قد ذهب عنا ملك الدنيا وزال عنا أمره فانزلوا عن خيولكم وامشوا على ارجلكم لعل الله يجعل لكم من امركم فرجا ومخرجا فنزلوا عن خيولهم ومشوا على ارجلهم سبع فراسخ حتى صارت ارجلهم تقطر دما لانهم لم يعتادوا المشي على اقدامهم فاستقبلهم رجل راع فقالوا ايها الراعي أعندك شربة ماء اولبن فقال عندى ما تحبون ولكنى أرى وجوهكم وجوه الملوك وما اظنكم الا هرابا فاخبروني بقصتكم فقالوا يا هذا انا دخلنا في دين لا يحل لنا الكذب أفينجينا الصدق قال نعم فاخبروه بقصتهم فانكب الراعى على ارجلهم يقبلها ويقول قد وقع في قلبي ما وقع في قلوبكم فقفوا لى ههنا حتى أرد الاغنام الى اربابها وأعود اليكم فوقفوا له فردها واقبل يسعي فتبعه كلب له فوثب اليهودى قائما وقال يا على ان كنت عالما فاخبرني ما كان لون الكلب واسمه فقال يا اخا اليهود حدثني حبيبي محمد صلى الله عليه وسلم أن الكلب كان ابلق بسواد وكان اسمه قطمير (قال الاستاذ) اختلف العلماء في لون كلب أصحاب أهل الكهف فقال ابن عباس كان أنمر وقال مقاتل كان أصفر وقال محمد بن كعب كان من شدة حمرته وصفرته يضرب الى الحمرة وقال الكلبي لونه كالثلج وقيل لون الهرة وقيل لون السماء واختلفوا في اسمه أيضا فروى عن على كرم الله وجهه أن اسمه ريان وقال ابن عباس كان اسمه قطمير وهي احدى الروايات عن على وقال شعيب الجبائى كان اسمه حمران وقال الاوزاعى نتوى وقال مجاهد قطور بار وقال عبد الله بن سلام بسيط وقال كعب كان أصهب واسمه تفني (وأخبرني ابن فنجويه) باسناده عن ابي حنيفة رضي الله تعالى عنه أن كلبهم كان قطمور وقيل قطفيرا أخبرني أبو على الزهري باسناده عن ابن عباس في قوله تعالى ما يعلمهم الا قليل قال أنا من أولئك القليل هم مكسلمينا وتمليخا ومرطليوس وبينوس وساونوس ودانوس

وكشطوس

منهم وقال ايها الامير نحن اسراك ونحن والله جياع من أثر الطريق فان رايت ان تطعمنا ففي كل كبد حراء اجر فامر باطعامهم فاحضرت الموائد وعليها الطعام واجتمعوا أكلوا ومن ينظر اليهم فلما فرغوا قام رجل اخر وقال ايها الامير كنا اسراك وقد صرنا اضيافك فانظر ماذا يصنع مثلك باضيافه فخلى سبيلهم وانعم عليهم عفا الله تعالى عنه وعن جميع المسلمين (وعرض) على الحجاج اسرى فامر بقتلهم فقتل منهم جماعة ثم قال رجل منهم وقد عرض على القتل لاجزاك الله عن السنة خيرا يا حجاج فانا وان كنا قد أسأنا في الذنب فوالله ما احسنت في العفو فان الله تعالى يقول في كتابه العزيز فاذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب حتى اذا أثخنتموهم فشدوا الوثاق فاما منا بعد واما فداء فهذا قوله في الكفار فكيف في المسلمين وقال الشاعر

وما نقتل الاسرى ولكن نفكهم
اذا اثقل الاعناق حمل القلائد

فقال الحجاج تبا لهؤلاء الجيف والله لوقالوا مثل

وكشطوس وهو الراعى والكلب اسمه قطمير كلب أغرفوق القيطى ودون الكركى وقال محمد ابن اسحق القاطى الكلب الصغير وقال ما بقى بنيسابور محدث الا كتب عنى هذا الحديث وكتبه ابو عمر والجبري عنى (رجعنا الى الحديث) قال فلما نظر الفتية الى الكلب قال بعضهم لبعض انا نخاف ان يفضحنا هذا الكلب بنبيحه فألحوا عليه طردا بالحجارة فلما نظر اليهم الكلب وقد ألحوا عليه بالحجارة والطرد أقعى على رجليه وتمطى وقال بلسان طلق ذلق ياقوم لم تطردوننى وأنا أشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له دعونى أحرسكم من عدوكم وأتقرب بذلك الى الله سبحانه وتعالى فتركوه ومضوا فصعد بهم الراعى جبلا وانحط بهم على كهف فوثب اليهودى وقال ياعلى ما اسم ذلك الجبل وما اسم الكهف قال أمير المؤمنين ياأخا اليهود اسم الجبل ناجلوس واسم الكهف الوصيد وقيل خيرم ﴿ رجعنا الى الحديث ﴾ قال واذا بفناء الكهف أشجار مثمرة وعين غزيرة فاكلوا من الثمار وشربوا من الماء وجنهم الليل فاووا الى الكهف وربض الكلب على باب الكهف ومد يديه عليه وأمر الله ملك الموت بقبض أرواحهم ووكل الله تعالى بكل رجل منهم ملكين يقلبانه من ذات اليمين الى ذات الشمال ومن ذات الشمال الى ذات اليمين (قال ابن عباس) كانوا يقلبون فى السنة مرة لئلا تاكل الارض لحومهم ويقال ان يوم عاشوراء كان يوم تقلبهم قال أبو هريرة كان لهم في كل سنة تقليبتان ﴿رجعنا الى الحديث﴾ قال وأوحى الله تعالى الى الشمس فكانت تزاور عن كهفهم ذات اليمين اذا طلعت واذا غربت تقرضهم ذات الشمال * فلما رجع الملك دقيانوس من عيده سأل عن الفتية فقيل له انهم اتخذوا الها غيرك وخرجوا هاربين منك فركب في ثمانين الف فارس وجعل يقفوا آثارهم حتى صعد الجبل وشارف الكهف فنظر اليهم مضطجعين فظن أنهم نيام فقال لاصحابه لو أردت أن أعاقبهم بشىء ما عاقبتهم باكثر مما عوقبوا به أنفسهم فائتونى بالبنائين فاتى بهم فرموا عليهم باب الكهف بالجبس والحجارة ثم قال لاصحابه قولوا لهم يقولوا لالههم الذى فى السماء ان كانوا صادقين يخرجهم من هذا الموضع فمكثوا ثلثمائة وتسع سنين فنفخ الله فيهم الروح وهبوا من رقدتهم لما بزغت الشمس فقال بعضهم لبعض لقد غفلنا هذه الليلة عن عبادة الله تعالى قوموا بنا الى العين فاذا بالعين قد غارت والاشجار قد جفت فقال بعضهم لبعض انا من أمرنا هذا لفي عجب مثل هذه العين قد غارت فى ليلة واحدة ومثل هذه الاشجار قد جفت فى ليلة واحدة فالقى الله عليهم الجوع فقالوا أيكم يذهب بورقكم هذه الى المدينة فليأتنا بطعام منها ولينظر أن لا يكون من الطعام الذى يعجن بشحم الخنازير وذلك قوله تعالى فابعثوا أحدكم بورقكم هذه الى المدينة فلينظر أيها أزكى طعاما أي أحلى وأجود وأطيب فقال لهم تمليخا يا أخوتى لا ياتيكم أحد بالطعام غيرى ولكن أيها الراعى ادفع الى ثيابك وخذ ثيابى فلبس ثياب الراعى ومر وكان يمر بمواضع لا يعرفها وطريق ينكرها حتي أتى باب المدينة فاذا عليه علم أخضر مكتوب عليه لا اله الا الله عيسى روح الله صلى الله على نبينا وعليه وسلم فطفق الفتى ينظر اليه ويمسح عينيه ويقول ارانى نائما فلما طال عليه ذلك دخل المدينة فمر باقوام يقرؤن الانجيل واستقبله اقوام لا يعرفهم حتى انتهى الى السوق فاذا هو بخباز فقال له يا خباز ما اسم مدينتكم هذه قال أفسوس قال وما اسم ملككم قال عبد الرحمن قال تمليخا ان كنت صادقا فان امرى عجيب ادفع الى بهذه الدراهم طعاما وكانت دراهم ذلك الزمان الاول ثقالا كبارا فعجب الخباز من تلك الدراهم فوثب اليهودى وقال ياعلى ان كنت عالما فاخبرنى كم كان وزن الدرهم منها فقال ياأخا اليهود اخبرنى حبيبى محمد صلى الله عليه وسلم ان وزن كل درهم منها عشرة دراهم وثلثا درهم فقال له الخباز ياهذا انك قد اصبت كنزا فاعطني بعضه والا ذهبت بك الى الملك فقال تمليخا ما اصبت كنزا وانما هذا من ثمن تمر بعته بثلاثة دراهم منذ ثلاثة ايام وقد خرجت من هذه المدينة وهم يعبدون دقيانوس الملك فغضب الخباز وقال الا ترضى ان اصبت كنزا ان تعطيني بعضه حتى تذكر رجلا جبارا كان يدعي

ما قال هذا الرجل ما قتلت منهم احدا ولكن اطلقوا سبيلهم (ولما) ولى الحجاج العراق قال على بالمرأة الحرورية فلما حضرت قال لها انت بالامس في وقعة ابن الزبير كنت تحرضين الناس على قتل رجالى ونهب اموالى فقالت المرأة نعم قد كان ذلك فالتفت الحجاج الي وزرائه وقال ما ترون فيها قالوا عجل بقتلها فضحكت المرأة فاغتاظ الحجاج وقال لها على من تضحكين قالت من وزرائك فان وزراء فرعون كانوا خيرا منهم فنظر الحجاج الى وزرائه فرآهم خجلوا فقال لها كيف ذلك فقالت لانهم قالوا ارجئه واخاه حين استشارهم فى قتل موسى وهؤلاء يستعجلونك في قتلى قال فضحك الحجاج وامر لها بعطاء واطلقها ولم يشوش عليها (وحضر الهرمزان الفارسي) بين يدى عمر بن الخطاب رضي الله عنه ماسورا فدعاه عمر الي الاسلام فابى فامر بقتله فقال ياأمير المؤمنين قبل ان تقتلنى اسقنى شربة ماء ولا تقتلني ظمآن فامر بقدح من ماء فلما صار القدح بيده

الريوبية قدمات منذ ثلثمائة سنة وتسخر بي ثم امسكه واجتمع الناس ثم انهم اتوا به الى الملك وكان عاقلا عادلا فقال لهم ما قصة هذا الفتى قالوا اصاب كنزا فقال له الملك لا تخف فان نبينا عيسى عليه السلام امرنا ان لا ناخذ من الكنوز الا خمسها فادفع الي خمس هذا الكنز وامض سالما فقال ايها الملك تثبت في امري ما اصبت كنزا وانما انا من اهل هذه المدينة فقال له انت من اهلها قال نعم قال افتعرف فيها احدا قال نعم قال سم لنا فسمى له نحوا من الف رجل فلم يعرفوا منهم رجلا واحدا قالوا يا هذا ما تعرف هذه الاسماء وليست هي من أسماء أهل زماننا ولكن هل لك في هذه المدينة دار فقال نعم أيها الملك فابعث معي أحدا فبعث معه الملك جماعة حتى أتى بهم دارا أرفع دار في المدينة وقال هذه داري ثم قرع الباب فخرج لهم شيخ كبير قد استرخى حاجباه من الكبر على عينيه وهو فزع مرعوب مذعور فقال أيها الناس ما بالكم فقال له رسول الملك ان هذا الغلام يزعم ان هذه الدار داره فغضب الشيخ والتفت الى تمليخا وتبينه وقال له ما اسمك قال تمليخا بن فلسطين فقال الشيخ اعد علي فاعاد عليه فانكب الشيخ على يديه ورجليه يقبلهما وقال هذا جدي ورب الكعبة وهو أحد الفتية الذين هربوا من دقيانوس الملك الجبار الى جبار السموات والارض ولقد كان عيسى عليه السلام أخبرنا بقصتهم وأنهم سيحيون فانهى ذلك الى الملك فركب الملك وأتى اليهم وحضرهم فلما رأى الملك تمليخا نزل عن فرسه وحمل تمليخا على عاتقه فجعل الناس يقبلون يديه ورجليه ويقولون له يا تمليخا ما فعل باصحابك فاخبرهم أنهم في الكهف وكانت المدينة قد وليها رجلان ملك مسلم وملك نصراني فركبا في أصحابهما وأخذا تمليخا فلما صاروا قريبا من الكهف قال لهم تمليخا يا قوم اني أخاف أن اخوتي يحسون بوقع حوافر الخيل والدواب وصلصلة اللجم والسلاح فيظنون ان دقيانوس قد غشيهم فيموتون جميعا فقفوا قليلا حتى أدخل اليهم فاخبرهم فوقف الناس ودخل عليهم تمليخا فوثب اليه الفتية واعتنقوه وقالوا الحمد لله الذي نجاك من دقيانوس فقال دعوني منكم ومن دقيانوس كم لبثتم قالوا لبثنا يوما او بعض يوم قال بل لبثتم ثلثمائة وتسع سنين وقد مات دقيانوس وانقرض قرن بعد قرن وآمن اهل المدينة بالله العظيم وقد جاؤكم فقالوا له يا تمليخا تريد ان تصيرنا فتنة للعالمين قال فماذا تريدون قالوا ارفع يديك ونرفع ايدينا فرفعوا أيديهم وقالوا اللهم بحق ما أريتنا من العجائب في أنفسنا الا قبضت ارواحنا ولم يطلع علينا أحد فامر الله ملك الموت فقبض ارواحهم وطمس الله باب الكهف واقبل الملكان يطوفان حول الكهف سبعة ايام فلا يجدان له بابا ولا منفذا ولا مسلكا فايقنا حينئذ بلطيف صنع الله الكريم وان احوالهم كانت عبرة اراهم الله اياها فقال المسلم على ديني ماتوا وانا ابني على باب الكهف مسجدا وقال النصراني بل ماتوا على ديني فانا ابني على باب الكهف ديرا فاقتتل الملكان فغلب المسلم النصراني فبنى على باب الكهف مسجدا فذلك قوله تعالى قال الذين غلبوا على امرهم لنتخذن عليهم مسجدا وذلك يا يهودي ما كان من قصتهم * ثم قال علي كرم الله وجهه لليهودي سألتك بالله يا يهودي اوافق هذا ما في توراتكم فقال اليهودي ما زدت حرفا ولا نقصت حرفا يا ابا الحسن لا تسمني يهوديا فاني أشهد ان لا اله الا الله وان محمدا عبده ورسوله وأنك اعلم هذه الامة (وقال عبيد بن عمير) كان اصحاب الكهف فتيانا مطوقين مسورين ذوي ذوائب وكان معهم كلب صيدهم فخرجوا في عيد لهم في زي عظيم وموكب واخرجوا معهم آلهتهم التي كانوا يعبدونها من دون الله فقذف الله في قلوبهم الايمان وكان احدهم وزير الملك فآمنوا واخفى كل واحد منهم الايمان عن صاحبه فقالوا في انفسهم من غير ان يظهر بعضهم لبعض نخرج من بين اظهر هؤلاء القوم لئلا يصيبنا عقاب بجرمهم فخرج شاب منهم حتى انتهى الى ظل شجرة فجلس فيه ثم خرج آخر فرآه جالسا وحده فرجا ان يكون على مثل امره من غير ان يظهر ذلك فجلس اليه ثم خرج الآخرون فجاؤا فجلسوا اليهم واجتمعوا فقال بعضهم لبعض ما جمعكم وكل واحد يكتم عن صاحبه ايمانه مخافة على نفسه ثم قالوا

بين يدي الهرمزان قال انا امن حتى أشرب هذا القدح يا امير المؤمنين قال نعم لك الامان حتى تشرب هذا الماء فالقى الاناء من يده فأراقه على الارض ثم قال الوفاء الوفاء يا أمير المؤمنين فقال عمر دعوه حتى ننظر في امره فلما وضع السيف عنه قال اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا رسول الله فقال له عمر لقد اسلمت خير الاسلام فما اخرك قال خشيت ان يقال عني اني اسلمت خوفا من السيف فقال عمر لقد استحق بهاما كان فيه من الملك ثم ان عمر بعد ذلك كان يشاوره في اخراج الجيوش ويعمل برأيه رضي الله تعالى عنهم اجمعين (وقيل) سرق شاب سرقة فاتى به الى المأمون فامر بقطع يده فربطت لتقطع فانشد يقول

يدي يا امير المؤمنين اعيذها
بعفوك من عار عليها يشينها
فلا خير في الدنيا ولا في نعيمها
اذا ما شمال فارقتها يمينها

قال وكانت ام الشاب واقفة على رأسه فانكبت عليه وبكت وقالت يا امير المؤمنين ولدي وواحدي

لبعضهم ليخرج كل فتيين منكم فيخلوا ثم ليفش كل واحد منكم امره الى صاحبه فخرج فتيان منهم فتوافقا ثم تكلما فذكر كل واحد منهما امره لصاحبه فقبلا وهما مستبشران الى اصحابهما فقالا قد اتفقنا على امر واحد واذاهم جميعا على الايمان واذا كهف في الجبل قريب منهم فقال بعضهم لبعض فأووا الى الكهف ينشر لكم ربكم من رحمته ويهيئ لكم من امركم مرفقا فدخلوا الكهف ومعهم كلب صيدهم فناموا ثلثمائة سنة وتسع سنين قال وفقدهم قومهم فطلبوهم فعمى الله عليهم آثارهم وكهفهم فلما لم يقدروا عليهم كتبوا أسماءهم وأنسابهم وكتبوا في لوح فلان وفلان أبناء ملوكنا فقدناهم في يوم كذا في شهر كذا من سنة كذا في مملكة فلان بن فلان ووضعوا اللوح في خزانة الملك وقالوا ليكونن لهذا شأن ومات ذلك الملك وجاء قرن بعد قرن (وأخبرنا) الحسن بن الحسين الثقفي باسناده عن أبي جعفر الباقر قال كان اصحاب الكهف صيارفة وقال وهب بن منبه جاء حوارى من اصحاب عيسى عليه السلام الى مدينة اصحاب الكهف فاراد ان يدخلها فقيل له ان على بابها صنما لا يدخلها احد الا سجد له فكره ان يدخلها فاتى الى حمام قريب من تلك المدينة وأجر نفسه من الحمامي وكان يعمل فيه فرأى صاحب الحمام في حمامه البركة ودرّ عليه الرزق فجعل يقوم عليه وتعلق به فتية من أهل المدينة فجعل يخبرهم خبر السماء والارض وخبر الآخرة حتى آمنوا به وصدقوه وكانوا على مثل حاله في حسن الهيئة وكان يشرط على صاحب الحمام ان الليل لا يحول بيني وبينه أحد فيصلي فكان على ذلك الحال حتى اتى ابن الملك الحمام بامرأة فدخل بها الحمام فعيره بها الحوارى وقال له أنت ابن الملك وتدخل مع هذه فاستحيا ابن الملك وذهب ثم رجع مرة أخرى فقال له مثل ذلك فسبه وانتهره ولم يلتفت اليه ثم انهما دخلا معا فماتا جميعا في الحمام فاتى الملك وقيل له قتل صاحب الحمام ابنك فالتمس فلم يقدر عليه فقال من كان يصحبه فسموا الفتية فالتمسوا فخرجوا من المدينة فمروا بصاحب لهم في زرع وهو على مثل ايمانهم فذكروا أنهم التمسوا فانطلق معهم ومعه كلبه حتى آواهم الليل الى الكهف فدخلوا وقالوا نبيت ههنا الليلة ثم نصبح ان شاء الله تعالى فترون رأيكم فضرب الله على آذانهم فخرج الملك في اصحابه يطلبونهم حتى وجدوهم قد دخلوا الكهف فكان كلما أراد الرجل منهم أن يدخل الكهف أرعب فلم يطق أحد ان يدخله فقال قائل أليس لو كنت قدرت عليهم قتلتهم قال بلى قال فابن عليهم باب الكهف واتركهم فيه يموتوا عطشا وجوعا ففعل ذلك قال وهب فتركهم بعد ما سدوا عليهم باب الكهف ومضى زمان بعد زمان ثم أن راعيا ادركه المطر عند باب الكهف فقال لو فتحت باب هذا الكهف فادخلت فيه غنمي من المطر ولم يزل يعالجه حتى فتح الباب ورد الله اليهم أرواحهم من الغد حين اصبحوا (وقال) محمد بن اسحق مرج اهل الانجيل وعظمت فيهم الخطايا وطغت فيهم الملوك حتى عبدوا الاصنام وذبحوا للطواغيت وفيهم بقايا على دين المسيح متمسكون بعبادة الله تعالى وتوحيده فكان ممن فعل ذلك من ملوكهم ملك من الروم يقال له دقيانوس كان عبد الاصنام وذبح للطواغيت وقتل من خالفه في ذلك ممن اقام على دين المسيح وكان ينزل قرى الروم فلا يترك في قرية نزلها أحدا بدين المسيح الا قتله حتى نزل مدينة اصحاب الكهف وهي افسوس فلما نزلها كبر ذلك على اهل الايمان فاستخفوا منه وهربوا في كل ناحية وكان دقيانوس قد أمر حين دخلها أن يتبع اهل الايمان فيجمعوا اليه واتخذ شرطا من كفار أهلها وجعلوا يتتبعون أهل الايمان في اماكنهم فيخرجونهم الى دقيانوس فيقدمهم الى الجامع الذي يذبح فيه للطواغيت فيخيرهم بين القتل وبين عبادة الاوثان والذبح للطواغيت فمن القوم من يرغب في الحياة ومنهم من يأبى أن يعبد غير الله سبحانه وتعالى فيقتل فلما رأى ذلك أهل الشدة في الايمان بالله جعلوا يسلمون أنفسهم للعذاب والقتل فيقتلون ثم يقطعون ويربط ما قطع من اجسامهم على سور المدينة من نواحيها كلها وعلى كل باب من ابوابها حتى عظمت الفتنة على أهل الايمان فمنهم من اقر فترك ومنهم من صلب على دينه وقتل فلما رأى ذلك الفتنة حزنوا حزنا شديدا فقعدوا وصلوا واشتغلوا بالتسبيح والتقديس

ناشدتك الله الا رحمت قلبي وارات روعتي بالعفو عمن استحق العقوبة فقال المأمون هذا حد من حدود الله تعالى فقالت يا امير المؤمنين اجعل عفوك عن ولدي ذنبا من الذنوب التي تستغفر الله منها قال فرق المأمون لها وعفا عن ولدها واطلق سبيله عفا الله عنه (وعن عبد الملك بن مروان) انه اتي برجل من بني مخزوم وكان من اصحاب ابن الزبير فلما حضر بين يدي عبد الملك قال أليس قد ردك الله الى بئس المرد ورجع بك الى سوء المرجع فقال له الرجل يا أمير المؤمنين ان الله ردني الى بئس مرد ورجع بي الى سوء مرجع فانت اخبر بنفسك فقال عبد الملك اطلقوه وامر له بجائزة وانعم عليه رضي الله عنه (وقيل) كان يزيد بن المهلب واليا على خراسان وكان حسن الوجه جميل الصورة فمكث مدة وانصرف عنها وتولى مكانه قتيبة بن مسلم فقال فيه بعض الشعراء

كانت خراسان ارضا اذ يزيد بها
وكل باب من الخيرات مفتوح
فبدلت بعده قردا يطوف بها

والدعاء وكانوا من اشراف الروم وكانوا ثمانية نفر فبكوا وتضرعوا وجعلوا يقولون ربنا رب السموات والارض ان ندعو من دونه الها لقد قلنا اذا شططا ربنا اكشف عن عبادك المؤمنين الفتنة وارفع عنهم هذا البلاء وأنعم على عبادك الذين آمنوا بك فبينا هم على ذلك اذ ادركهم الشرط وكانوا قد دخلوا فى مصلى لهم فوجدوهم سجودا على وجوههم يبكون و يتضرعون الى الله تعالى ويسألونه أن ينجيهم من دقيانوس وفتنته فلما رآهم أولئك الكفرة قالوا لهم ما خلفكم عن أمر الملك انطلقوا اليه ثم خرجوا من عندهم ورفعوا أمرهم الى دقيانوس فقالوا تجمع الجميع وهؤلاء الفتية من أهل بيتك يسخرون منك و يعصونك فلما سمع ذلك أتى بهم تفيض اعينهم من الدمع معفرة وجوههم فى التراب فقال ما منعكم أن تشهدوا الذبح للآلهة التى نعبدها فى الارض وأن تجعلوا أنفسكم كغيركم ثم انهم خيروا اما أن يذبحوا لآلهتهم كما ذبح غيرهم من الناس وأما أن يقتلهم الملك فقال مكسلمينا وكان اكبرهم ان لنا الها ملأ السموات والارض عظمة لن ندعو من دونه الها أبدا ولن نقر بهذا الذي تدعونا اليه أبدا ولكنا نعبد ربنا الذى له التحميد والتكبير والتسبيح والتقديس من انفسنا خالصا أبدا اياه نعبد واياه نسأل النجاة والخير وأما الطواغيت فلن نعبدها أبدا فاصنع بنا ما بدا لك ثم قال اصحاب مكسلمينا لدقيانوس مثل ما قال له قالوا فلما قالوا له ذلك امر بهم فنزع ملبوسا كان عليهم من ملبوس عظمائهم ثم قال لهم انكم اذا فعلتم ما فعلتم فانى سأؤخركم وانفرغ لكم فانجز لكم ما أوعدتكم من العقوبة وما ينبغى ان اعجل لكم ذلك لانى اراكم شبابا حديثة اسنانكم فلا احب أن اهلككم حتى اجعل لكم أجلا فتراجعوا فيه عقولكم ثم أمر بحلية كانت معهم من ذهب وفضة فنزعت عنهم ثم امر بهم فاخرجوا من عنده وانطلق دقيانوس الى مدينة سوى مدينتهم التى هم بها قريبة منهم لبعض أموره فلما رأى الفتية أن دقيانوس قد خرج من مدينتهم بادروا قدومه وخافوا اذا قدم مدينتهم أن يذكرهم فائتمروا وأن يأخذ كل رجل منهم نفقة من بيت أبيه فيتصدقوا منها ويتزودوا بما بقي ثم ينطلقوا الى كهف قريب من المدينة في جبل يقال له ناجلوس فيسكنون فيه و يعبدون الله تعالى حتى اذا قدم دقيانوس أتوه فقاموا بين يديه فيصنع بهم ما يشاء فلما قال ذلك بعضهم لبعض عمد كل فتى منهم الي بيت أبيه وأخذ نفقة فتصدقوا منها وانطلقوا بما بقي معهم من نفقتهم واتبعهم كلب كان لاحدهم حتى أتوا ذلك الكهف فلبثوا فيه ❊ وقال ابن عباس هربوا ليلا من دقيانوس وكانوا سبعة فمروا براع معه كلب على دينهم وقال كعب مروا بكلب فتبعهم فطردوه فنبح عليهم ففعلوا ذلك مرارا فقال لهم الكلب ما تريدون مني لا تخشوا جانبي فانى أحب أحباب الله فناموا حتى احرسكم (رجعنا الي حديث ابن اسحق) فلبثوا فى ذلك الكهف ليس لهم عمل الا الصلاة والصيام والتسبيح وجعلوا نفقتهم الى فتى منهم يقال له تمليخا فكان يبتاع لهم من المدينة طعامهم سرا وكان من أجلدهم واجملهم فكان تمليخا يصنع ذلك فاذا دخل المدينة يضع ثيابا كانت عليه حسانا و يأخذ ثيابا كثياب المساكين الذين يستطعمون فيها ثم يأخذ درهما فينطلق الى المدينة فيشترى طعاما وشرابا و يتسمع و يتجسس لهم الخبر هل يذكرونهم بشيء ثم يرجع الى اصحابه فلبثوا كذلك ما لبثوا ثم قدم دقيانوس المدينة فامر العظماء فذبحوا للطواغيت ففزع من ذلك اهل الايمان وكان تمليخا بالمدينة يشتري طعاما فرجع الى اصحابه وهو يبكى ومعه طعام فاخبرهم أن دقيانوس دخل المدينة وانهم قد ذكروا والتمسوا مع عظماء المدينة ليذبحوا للطواغيت فلما اخبرهم بذلك فزعوا ووقعوا سجدا يدعون الله تعالى و يتضرعون اليه و يتعوذون به من الفتنة ثم ان تمليخا قال لهم يا اخوتاه ارفعوا رؤسكم فاطعموا منه وتوكلوا على ربكم فرفعوا رؤسهم وأعينهم تفيض من الدمع حزنا على انفسهم فطعموا منه وذلك عند غروب الشمس ثم جلسوا يتحدثون و يذكر بعضهم بعضا فبينما هم كذلك اذ ضرب الله على آذانهم فى الكهف وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد بباب الكهف فاصابه ما أصابهم فلما كان من الغد تفقدهم دقيانوس والتمسهم فلم يجدهم فقال لبعض

كأنما وجهه بالخل منضوح
فبلغ ذلك قتيبة فطلبه فهرب الشاعر منه ومضى الى أم قتيبة فأخذ منها كتابا بالوصية به وقدم الى قتيبة فلما دخل عليه قال يا ولدى باى وجه تلقانى قال بالوجه الذى القى به ربي فان احسانه لى اكثر من احسانك لي ومخالفتي له اكثر من مخالفتى لك قال فضحك قتيبة وترك سبيله وعفا عنه (واشرف المامون يوما من قصره) فرأى رجلا قائما ومعه فحمة يكتب بها على حائط القصر فقال لاحد غلمانه انزل الى ذلك الرجل وامسك يده واقرأ ما كتبه فقرأه فاذا هو هذا الشعر

يا قصر جمع فيك اللؤم والشؤم
متى يعشش في اركانك البوم
يوم يعشش فيك البوم من فرحى
اكون اول من ينعاك مرغوم

فقال له اجب امير المؤمنين فقال له الرجل سألتك بالله يا غلام لا تذهب بى اليه فقال له الغلام انه رآك من القصر فاخذه واوقفه بين يدى امير المؤمنين وقال وجدته يكتب كذا وكذا فقال المامون ويلك

قومه لقد ساءني شأن هؤلاء الفتية الذين ذهبوا لقد كانوا يحسبون انى غضبان عليهم بجهلهم ماجهلوا من أمرى فانى لاغضب عليهم ان تابوا وعبدوا آلهتي فقال عظماء المدينة ما انت بحقيق ان ترحم قوما مردة عصاة مقيمين على ظلمهم ومعصيتهم قد كنت اجلت لهم اجلا ولو شاؤا لرجعوا في ذلك الاجل ولكنهم لم يتوبوا فلما قالوا له ذلك غضب غضبا شديدا ثم ارسل الى آبائهم فسألهم عنهم وقال اخبروني عن ابنائكم المردة الذين عصوني فقالوا له اما نحن فلم نعصك ولم تقتلنا بقوم مردة وانهم خالعونا وانطلقوا الى جبل يسمي ناجلوس فلما قالوا له ذلك خلى سبيلهم وجعل لا يدرى ما يصنع بالفتية فالقي الله في نفسه ان يأمر بالكهف فيسد عليهم واراد الله تعالى ان يكرمهم ويجعلهم آية لامة تستخلف بعدهم وان يبين لهم ان الساعة آتية لاريب فيها وان الله يبعث من في القبور فامر دقيانوس بالكهف أن يسد عليهم وقال دعوهم كما هم في الكهف يموتوا جوعا وعطشا وليكون كهفهم الذى اختاروه قبرا لهم وهو يظن انهم ايقاظ يعلمون ما يصنع بهم وقد توفي الله أرواحهم وفاة النوم وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد بباب الكهف وقد غشيه ما غشيهم يتقلبون ذات اليمين وذات الشمال قال ثم ان رجلين مؤمنين كانا في بيت الملك دقيانوس يكتمان ايمانهما اسم احدهما تندروس والآخر روباس ائتمرا ان يكتبا شأن الفتية وأنسابهم واسماءهم وخبرهم في لوح من رصاص ويجعلاه في تابوت من نحاس ويجعلا التابوت في البنيان وقالا لعل الله ان يطلع على هؤلاء الفتية قوما مؤمنين قبل يوم القيامة فيعلم من فتح عليهم خبرهم حين يقرا هذا اللوح ففعلا ذلك وبنيا عليه فبقي دقيانوس ما بقى ومات قومه ومات قرون بعده كثيرة وخلفت الملوك بعد الملوك ثم ملك أهل تلك البلاد رجل صالح يقال له تندوسيس فلما ملك بقي في ملكه ثمانية وثمانين سنة فتحزب الناس في ملكه احزابا منهم من يؤمن بالله العظيم ويعلم ان الساعة حق ومنهم من يكذب بها فكبر ذلك على الملك الصالح فشكا الى الله وتضرع اليه وحزن حزنا شديدا لما رأي اهل الباطل يزيدون ويظهرون على اهل الحق وانهم يقولون لا حياة الا الحياة الدنيا وانما تبعث الارواح ولا تبعث الاجساد واما الجسد فيأكله التراب ونسوا ما في الكتاب فجعل الملك تندوسيس برسل الي من كان يظن فيه خيرا وانهم كانوا ائمة في الحق فجعلوا يكذبون بالساعة حتى كادوا ان يحولوا الناس عن الحق وملة الحواريين فلما رأي الملك الصالح ذلك دخل بيته فأغلقه عليه ولبس مسحا وجعل تحته رمادا فدأب ليله ونهاره يتضرع الى الله تعالى ويبكى مما يرى فيه الناس ويقول اى رب قد ترى اختلاف هؤلاء فابعث لهم آية ثم ان الرحمن الرحيم جل وعز الذى يكره اختلاف العباد اراد ان يظهر لهم الفتية أصحاب الكهف ويبين للناس شانهم فيجعلهم آية وحجة عليهم ليعلموا ان الساعة آتية لاريب فيها وأنه يستجيب لعبده الصالح تندوسيس وانه يتم نعمته عليه ولا ينزع منه ملكه ولا الايمان الذى اعطاه وان لا يعبد الا الله ولا يشرك به شيا وان يجمع من كان تبدد من المؤمنين فالقي الله في نفس رجل من اهل ذلك البلد الذى به الكهف وكان اسم ذلك الرجل اولياس ان يهدم ذلك البنيان الذي على فم الكهف فيبنى به حظيرة لغنمه فاستاجر عاملين فجعلا ينزعان تلك الحجارة ويبنيان بها تلك الحظيرة حتى نزعا ما على فم الكهف وفتحا عليهم باب الكهف وحجبهم الله عن الناس فيزعمون ان اشجع من يريد ان ينظر اليهم يدخل من باب الكهف ثم يتقدم حتي يرى كلبهم نائما فلما نزعت الحجارة وفتح باب الكهف أذن الله تعالى ذو القدرة والعظمة والسلطان محيي الموتى للفتية ان يجلسوا بين ظهراني الكهف فجلسوا فرحين مسفرة وجوههم طيبة أنفسهم فسلم بعضهم على بعض حتى كانما استيقظوا من ساعتهم التى كانوا يستيقظون منها اذا اصبحوا من ليلتهم التى يبيتون بها ثم انهم قاموا الى الصلاة فصلوا كالذي كانوا يفعلون لا يرون في وجوههم ولا أبشارهم ولا الوانهم شيأ ينكرونه انما هم كهيئتهم حين رقدوا يرون ان ملكهم دقيانوس في طلبهم فلما قضوا صلاتهم قالوا لتمليخا صاحب نفقاتهم بين لنا ما الذى قال الناس في شاننا عشية أمس عنده هذا

ماحملك على هذا فقال يا امير المؤمنين انه لم يخف عنك ما حواه قصرك من خزائن الاموال والحلى والحلل والطعام والشراب والامتعة والفرش والجوارى والخدم فمررت عليه وانا في غاية من الجوع والفاقة فوقفت مفكرا في امرى وقلت في نفسي هذا القصر عامر عال وانا جائع ولا فائدة لى فيه فلو كان خرابا ومررت به لم اعدم منه رخامة أو خشبة او مسمارا ابيعه واتقوت بثمنه او ما علم امير المؤمنين ما قال الشاعر

اذا لم يكن للمرء في دولة امرىء
نصيب ولا حظ تمنى زوالها
وما ذاك من بغض لها غير انه
يرجى سواها فهو يهوى انتقالها

فقال المأمون يا غلام اعطه الف دينار ثم قال هي لك في كل سنة ما دام قصرنا عامرا (وانشد في المعنى)

اذا كنت في امر فكن فيه محسنا
فعما قليل انت ماض وتاركه
فكم دحت الايام ارباب دولة
وقد ملكوا اضعاف ما انت مالكه

(وروي عن موسى بن

الجبار وهم يظنون انهم رقدوا كبعض ما كانوا يرقدون وقد خيل لهم انهم قد ناموا كاطول ما كانوا ينامون في الليلة التى أصبحوا بها حتى تساءلوا بينهم فقال بعضهم لبعض كم لبثتم قالوا لبثنا يوما او بعض يوم قالوا ربكم أعلم بما لبثتم وكل ذلك في أنفسهم يسير فقال لهم تمليخا التمستم في المدينة لتذبحوا للطواغيت أو تقتلوا قالوا انما شاء الله بعد ذلك فعل فقال مكسلمينا يا اخوتاه اعلموا انكم ملاقوا الله فلا تكفروا بعد ايمانكم اذا دعاكم غدا ثم قالوا يا تمليخا انطلق الى المدينة فتسمع ما يقال عنا بها اليوم وتلطف ولا تشعرن بك احدا وابتغ لنا طعاما واتنا به وزدنا على الطعام الذى جئتنا به أمس فانه كان قليلا وقد أصبحنا جياعا ففعل تمليخا كما كان يفعل ووضع ثيابه وأخذ الثياب التى كان يتنكر فيها ثم أخذ ورق من نفقتهم التي كانت معهم التي ضربت بطابع دقيانوس وكانت كخفاف الربع فانطلق تمليخا خارجا فلما مر بباب الكهف رأى حجارة منزوعة عن باب الكهف فتعجب منها ثم مر حتى أتى باب المدينة مستخفيا بعيدا عن الطريق تخوفا ان يراه احد من اهلها فيعرف فيذهب به الى دقيانوس الجبار ولا يشعر العبد الصالح ان دقيانوس واهله قد هلكوا قبل ذلك بثلثمائة سنة فلما رأي تمليخا باب المدينة رفع بصره فرأي فوق ظهر الباب علامة لاهل الايمان فلما رآها عجب وجعل ينظر اليها مستخفيا فنظر يمينا وشمالا ثم انه ترك ذلك الباب وتحول الى باب آخر من ابوابها فنظر فرأى مثل ذلك فجعل يتخيل له ان المدينة ليست بالتي كان يعرفها ورأي ناسا كثيرين محدثين لم يكونوا قبل ذلك فجعل يمشي ويتعجب ويخيل اليه انه حيران ثم انه رجع الى الباب الذى أتى منه فجعل يتعجب بينه وبين نفسه ويقول ليت شعري اما هذه عشية أمس كان المسلمون يخفون هذه العلامة ويستخفون بها وأما اليوم فانها ظاهرة لعلى حالم ثم يري انه لم ينم فاخذ كساءه وجعله على رأسه ثم دخل المدينة فجعل يمشي بين ظهر اهل سوقها وهو يسمع ناسا يحلفون باسم عيسى بن مريم فزاده فرقا ورأي انه حيران فقام مسندا ظهره الى جدران المدينة وهو يقول فى نفسه والله ما ادري ما هذا اما عشية امس فليس على الارض احد يذكر عيسى الا قتل واما الغداة فاسمع كل انسان يذكر عيسى ولا يخشى ثم قال فى نفسه لعل هذه ليست بالمدينة أعرفها فانى أسمع كلام اهلها ولا اعرف واحدا منهم والله ما اعلم مدينة بقرب مدينتنا فقام كالحيران لا يتوجه وجها ثم انه لقى فتي من اهل المدينة فقال له ما اسم هذه المدينة يا فتى فقال افسوس فقال في نفسه لعل بي مسا او امرا اذهب عقلي والله يحق لى ان ابادر الخروج منها قبل ان يصيبني شر فاهلك هذا ما يحدث به تمليخا اصحابه حتى يبين لهم ما هم فيه * ثم افاق وقال لو عجلت الخروج من المدينة قبل ان يفطن بى لكان اكيس لى فدنا من الذين يبيعون الطعام ثم اخرج الورق التى كانت معه فاعطاها رجلا منهم وقال يا عبد الله بعني بهذه طعاما فاخذها الرجل ونظر الى ضرب الورق ونقشها فتعجب منها ثم طرحها الى رجل من اصحابه فنظر اليها ثم جعلوا يتطارحونها بينهم من رجل الى رجل فيتعجبون منها ثم جعلوا يتشاورون ويقول بعضهم لبعض ان هذا الرجل قد أصاب كنزا في الارض منذ زمان طويل فلما رآهم يتشاورون من أجله فرق فرقا شديدا فجعل يرتعد ويظن انهم قد فطنوا به وعرفوه وانهم انما يريدون ان يذهبوا به الى ملكهم دقيانوس قال وجعل أناس آخرون يأتونه ويتعرفونه فقال لهم وهو شديد الفرق انفصلوا قد اخذتم ورقى فامسكتموها فلا حاجة لى في طعامكم فقالوا يا فتى من أنت وما شأنك والله لقد وجدت كنزا من كنوز الاولين فانت تريد أن تخفيه منا انطلق معنا وأرنا مكانه وشاركنا فيه نخفف عليك ما وجدت فانك ان لم تفعل نأت السلطان ونسلمك اليه فلما سمع قولهم عجب فى نفسه ثم قال قد وقعت في كل شيء كنت أحذر منه ثم قالوا والله يا فتى انك لا تستطيع ان تكتم ما وجدت ولا تظن في نفسك أن سيخفى عليك فتحير في نفسه وليس يدري ما يقول لهم وما يرجع اليهم وفرق حتى ما يخبرهم بشيء فلما رأوه لا يتكلم أخذوا كساءه وطوقوه في عنقه ثم جعلوا يقودونه فى سكك المدينة مكبلا حتى سمع به من فيها وقيل أخذ رجل عنده كنز فاجتمع عليه

اهل

همران صلوات الله عليه) انه خرج يوما نحو الطور واذا هو برجل واقف على الطريق فقال الى اين يا نبي الله قال الى المناجاة فقال لى اليك حاجة قال فما هي قال قل له يكرمني بقدر حبة من محبته فلما وقف موسي عليه السلام للمناجاة نسى الرسالة من حلاوة المناجاة فناداه ربه يا موسى نسيت حاجة عبدى قال يا رب انت اعلم بما قال عبدك قال نعم ولكن الرسالة حقها ان تؤدي ومن لم يؤد الرسالة فقد خان وانا لا أحب الخائنين يا موسى قد وهبت له جميع ما اراد فرجع موسي فلم يجده في مكانه فقال الهى وسيدي اين ذهب الرجل صاحب الحاجة فقال يا موسى هرب منك قال لم قال من احبنا لا يلتفت الى غيرنا قال اردت ان تراه يا موسي فادخل هذه الغيضة قال فدخل ونظر فاذا اسد يأكله فقال الهي ما هذا فقال هذا صنعي باحبابي في دار الفناء انظر يا موسي الى دار البقاء فنظر فاذا بقبة من ياقوتة حمراء مثل الدنيا ثلاث مرات فقال يا موسى هذه له واناله (وقيل فى هذا المعنى شعر)

طال اشتياقي فهل لى

أهل المدينة كبيرهم وصغيرهم وجعلوا ينظرون اليه و يقولون والله ماهذا الفتى من أهل هذه المدينة وما رأيناه فيها قط وما نعرفه فجعل تمليخا مايدري مايقول لهم مع مايسمع منهم فلما اجتمع عليه أهل المدينة فرق ولم يتكلم ولو قال انه من أهل المدينة لم يصدق وكان مستيقنا ان اباه واخوته في المدينة وان حسبه في اهل المدينة من عظماء أهلها وأنهم سيأتونه اذا سمعوا وقد استيقن انه في عشية أمس كان يعرف كثيرا من أهلها وانه لا يعرف اليوم من أهلها أحدا فبينما هو قائم كالحيران ينتظر متى يأتيه بعض اهله فيخلصه من أيديهم فبينما هو كذلك اذ قد اختطفوه وانطلقوا به الى رئيسي المدينة ومدبريها وهما رجلان صالحان اسم احدهما ارموس واسم الآخر اسطيوس فلما انطلقوا به ظن تمليخا انهم انطلقوا به الى دقيانوس الملك فجعل يلتفت يمينا وشمالا وجعل الناس يسخرون منه كما يسخرون من المجنون والحيران فجعل تمليخا يبكي ثم رفع رأسه الى السماء وقال اللهم اله السموات والارض افرغ على اليوم صبرا واولج معى روحا منك تؤيدني به عند هذا الجبار وجعل يبكي و يقول في نفسه فرق بيني و بين اخوتي ياليتهم يعلمون ما لقيت فيأتوني فنقوم جميعا بين يدي هذا الجبار فانا كنا قد توافقنا لنكونن معا لا نكفر بالله ولا نفترق في موت ولا حياة ابدا ياليت شعري ماهو فاعل بي هل هو قاتلي ام لا * هذا ما حدث به تمليخا اصحابه عن نفسه حين رجع اليهم فانتهى به الى الرجلين الصالحين ارموس واسطيوس فلما علم تمليخا انه لم يذهب به الى دقيانوس افاق وسكن مابه فاخذ ارموس واسطيوس الورق ونظرا اليها وعجبا منها ثم قال احدهما اين الكنز الذي وجدت يا فتى فقال ماوجدت كنزا وانما هذه الورق ورق آبائي ونقش هذه المدينة وضربها ولكن والله ما ادري ماشأني وما ادرى ما اقول لكم فقال احدهما من أنت فقال له تمليخا قال فمن ابوك ومن يعرفك بها فانبأهم باسم أبيه فلم يجدوا أحدا يعرفه فقال له أحدهما انت رجل كذاب لا تنبئنا بالحق فلم يدر تمليخا ما يقول غير انه نكس بصره الى الارض فقال بعض من حضر هذا رجل مجنون وقال بعضهم ليس بمجنون ولكنه يحمق نفسه عمدا لكي ينفلت منكم فقام احدهما ونظر اليه نظرا شديدا وقال له اتظن انا نرسلك و نصدقك بان هذا مال أبيك ولضرب هذه الورق ونقشها أكثر من ثلثمائة سنة وأنت غلام شاب تظن أن تأفكنا وتسخر بنا ونحن شمط كما ترى وحولك سراة هذه المدينة وولاة أمرها وخزائن هذه البلدة بايدينا وليس عندنا من هذا الضرب درهم ولا دينار لاعذبنك عذابا شديدا ثم أوثقك حتى تعرفني هذا الكنز الذي وجدت فلما قال له ذلك قال له تمليخا انبئوني عن شيء اسألكم عنه فان فعلتم صدقتكم عما عندي فقالوا سل لا نكتمك شيأ قال ما فعل بالملك دقيانوس قالوا ليس نعرف اليوم على وجه الارض ملكا يسمى دقيانوس ولم يكن الا ملك قد هلك منذ دهر طويل وهلك بعده قرون كثيرة فقال له تمليخا فوالله ما أجد من الناس أحدا يصدقني على ما أقول لقد كنا فتية وان الملك دقيانوس أكرهنا على عبادة الاصنام والذبح للطواغيت فهربنا منه عشية أمس فبتنا فلما انتهينا خرجت لاشتري لاصحابي طعاما وأتجسس الاخبار فاذا أنا كما ترون فانطلقوا معي الى الكهف الذي في جبل ناجلوس أريكم أصحابي فلما سمع أرموس مايقول تمليخا قال قوم لعل هذه آية من آيات الله جعلها الله لكم عبرة على يد هذا الفتى فانطلقوا بنا معه يرينا أصحابه فانطلق معه ارموس واسطيوس وانطلق معهم أهل المدينة كبيرهم وصغيرهم نحو أصحاب الكهف لينظروا اليهم وكان الفتية أصحاب الكهف ظنوا أن تمليخا قد احتبس عنهم لانه لم يأتهم بطعامهم وشرابهم في القدر الذي كان يأتي فيه فظنوا أنه قد أخذ وذهب به الى دقيانوس فبينما هم يظنون ذلك و يتخوفون اذ سمعوا الاصوات وجلبة الخيل مصعدة عندهم فظنوا أنهم رسل الجبار وانه بعث اليهم ليؤتى بهم فقاموا حين سمعوا ذلك الى الصلاة وسلم بعضهم على بعض ثم قالوا انطلقوا بنا نأت أخانا تمليخا فانه الآن بين يدي دقيانوس ينتظر متى نأتيه فبينما هم يقولون ذلك وهم جلوس بين ظهراني الكهف لم يشعروا الا وارموس وأصحابه وقوف على

فيكو طمع
كيف اصطباري والاحشاء تقتطع
كيف الفرار الى من لا فرار له
موله القلب للاحباب منقطع
يبكي الديار بدمع هامل هطل
له من الجزع احباب وما رجعوا

(وقال ابراهيم بن ادهم نفعنا الله به) نزلت مسجدا بالشام وكانت ليلة شاتية فقال لي القيم قم واخرج حتى اغلق الباب فقلت اني غريب ابيت ههنا فقال الغرباء يسرقون القناديل والحصر وقد حلفت ان لا يبيت فيه احد ولو كان ابراهيم بن ادهم فقلت انا ابراهيم ابن ادهم فقال كفى ما انت فيه حتى تكذب ثم قال اخرج وجعل يجرني من رجلي على وجهي حتى رماني خارج المسجد بازاء حمام فرأيت شابا حسن الوجه يوقد النار في تنور ذلك الحمام فسلمت عليه فلم يرد على السلام حتى فرغ وقال يا هذا اني أجير وخفت ان اشتغلت بالسلام عليك ان اكون خائنا في عملي قلت بكم تعمل كل يوم قال بدرهم

باب الكهف وقد سبقهم تمليخا فدخل عليهم وهو يبكي فلما رأوه يبكي بكوا معه ثم أنهم سالوه عن شانه فاخبرهم بخبره وقص عليهم الحديث كله فعرفوا عند ذلك انهم كانوا نياما بامر الله ذلك الزمان كله وانما أوقظوا ليكونوا آية للناس وتصديقا للبعث وليعلموا ان الساعة آتية لا ريب فيها ثم دخل على أثر تمليخا أرموس فرأى تابوتا من نحاس مختوما بخاتم من فضة فقام بباب الكهف ثم دعا رجالا من عظماء أهل المدينة ففتحوا التابوت فوجدوا فيه لوحين من رصاص مكتوبا فيهما ان مكسلمينا وتمليخا ومرطونس وكشطونش وداسيوس وتكر يوس و بطيرنس كانوا فتية هربوا من ملكهم دقيانوس الجبار مخافة ان يفتنهم فدخلوا هذا الكهف فلما علم مكانهم ملكهم أمر بالكهف فسد عليهم بالحجارة وإنا كتبنا شانهم وخبرهم ليعلم من بعدهم ان عثر عليهم فلما قرؤه عجبوا وحمدوا الله تعالى الذى أراهم آية البعث فيهم ثم رفعوا أصواتهم بحمد الله وتسبيحه ثم دخلوا على الفتية الكهف فوجدوهم جلوسا مشرقة وجوههم لم تبل ثيابهم فخر أرموس وأصحابه سجودا وحمدوا الله الذى أراهم آية من آياته ثم كلم بعضهم بعضا وأنبأهم الفتية عن الذي لقوا من ملكهم دقيانوس ثم ان ارموس وأصحابه بعثوا الى ملكهم الصالح تندوسيس اعجل لعلك تنظر آية من آيات الله تعالى قد أظهرها الله في ملكك فاعجل الي فتية بعثهم الله وقد كان توفاهم منذ أكثر من ثلثمائة سنة فلما أتى الخبر قام من السدة التى كان عليها وقال أحمدك اللهم رب السموات والارض تطولت على ورحمتني برحمتك فلم تطفىء النور الذى جعلته لآبائي وللعبد الصالح قسطيطوس الملك فلما نبا به أهل المدينة ركبوا اليه وسار وامعه حتى اتوا الكهف فلما راي الفتية تندوسيس الملك ومن معه فرحوا به وخروا سجدا لله على وجوههم وقام تندوسيس قدامهم ثم اعتنقهم و بكى وهم جلوس بين يديه على الارض يسبحون الله و يحمدونه ثم ان الفتية قالت لتندوسيس نستودعك الله ونقرأ عليك السلام وحفظك الله وحفظ ملكك وأعاذك من شر الجن والانس فبينما الملك قائم اذ رجعوا الى مضاجعهم فناموا وتوفي الله أرواحهم وقام الملك اليهم فجعل ثيابه عليهم وأمر أن يجعل لكل رجل منهم تابوت من ذهب فلما أمسوا أتوه في المنام فقالوا انا لم نخلق من ذهب ولا من فضة ولكنا خلقنا من تراب والى التراب نصير فاتركنا كما كنا في الكهف على التراب حتى يبعثنا الله منه فامر الملك حينئذ بتوابيت من ساج فجعلوا فيها وحجبهم الله حين خرجوا من عندهم بالرعب فلم يقدر أحد ان يدخل عليهم وامر الملك فجعل على باب الكهف مسجدا يصلى فيه وجعل لهم عيدا عظيما وأمر ان يؤتى كل سنة وقيل انهم لما اتوا باب الكهف قال تمليخا دعونى ادخل على أصحابي فابشرهم فدخل وقبض الله روحه وارواحهم وعمى عليهم مكانهم فلم يهتدوا اليه كما ذكر على بن ابى طالب كرم الله وجهه فهذا خبر اصحاب الكهف ويروى ان النبي صلى الله عليه وسلم سال ربه ان يراهم فقال انك لن تراهم في دار الدنيا ولكن ابعث اليهم أربعة من خيار أصحابك ليبلغوهم رسالتك ويدعوهم الى الايمان بك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لجبريل كيف أبعثهم قال ابسط كساءك واجلس على طرف من اطرافه أبا بكر وعلى الثانى عمر وعلى الثالث على بن ابى طالب كرم الله وجهه وعلى الرابع أبا ذر ثم ادع الريح الرخاء المسخرة لسليمان بن داود فان الله أمرها ان تطيعك ففعل النبي عليه الصلاة والسلام ما امره به (١) فحملتهم الريح حتى انطلقت بهم الى باب الكهف فلما دنوا من باب الكهف قلعوا منه حجرا فقام الكلب حين ابصر الضوء وهر وحمل عليهم فلما رآهم حرك رأسه وبصبص بذنبه واوما برأسه أن ادخلوا الكهف فدخلوا وقالوا السلام عليكم ورحمة الله وبركاته فرد الله عليهم أرواحهم فقاموا باجمعهم وقالوا وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته فقالوا ان نبي الله محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم يقرأ عليكم السلام فقالوا وعلى محمد رسول الله السلام ما دامت السموات والارض وعليكم بما بلغتم ثم انهم جلسوا باجمعهم يتحدثون فآمنوا بمحمد

(١) قوله فحملتهم الريح الخ هذا معارض لقوله تعالى (رب هب لي ملكا لا ينبغي لاحد من بعدى) فليتنبه

صلى

ودانق انقوت بالدانق
ا- أنفق الدرهم على اولاد
خ لى في الله مات وتركهم
قلت له هل سألت الله في
حاجة قط قال نعم منذ
عشرين سنة وما قضيت
قلت له وما هي قال بلغني
ان فتى تميز على الزاهدين
وفاق على العابدين يقال
له ابراهيم بن ادهم فتمنيت
على الله رؤيته واموت
فقلت له ابشر يا اخى فقد
قضيت حاجتك وما رضى
لى بان آتيك الاسحبا على
وجهى فوثب من مكانه
وعانقني وسمعته يقول
قضيت حاجتى فاقبضنى
فوقع ميتا (شعر)
أبدى شواهده في قلب
شاهده
واني اشاهده فيما يحاكيه
الحمد لله لا بين ولا صلة
هذا بيان لمن من معانيه
(وقال عطاء السلمى رضي
الله عنه) بعثنا عمر بن
الخطاب رضى الله عنه فى
غزاة وكنا اربعة الاف
فحاصرنا قلعة على جبل
لا تصل اسلحتنا اليه وفيها
مجوس واميرهم امرأة
حسناء قال فطلعت على
السور فنظرت الى عسكر
الصحابة رضي الله تعالى
عنهم فرأت شابا مليحا
من العرب وكان جميلا
فارسا شجاعا يضرب
بالسيف ويطعن بالرمح
قالت باه باه فقالت

صلى الله عليه وسلم وقبلوا دين الاسلام وقالوا اقرؤا محمدا صلى الله عليه وسلم منا السلام ثم انهم أخذوا مضاجعهم وصاروا الى رقدتهم الى آخر الزمان عند خروج المهدي فيقال ان المهدي يسلم فيحييهم الله تعالى له انهم يرجعون الى رقدتهم فلا يقومون الى يوم القيامة ثم جلس كل واحد منهم على مكانه وحملتهم الريح الرخاء فهبط جبريل عليه السلام فاخبر النبي صلى الله عليه وسلم بما كان منهم فلما اتوا النبي صلى الله عليه وسلم قال كيف وجدتموهم وما الذى اجابوكم فقالوا يارسول الله دخلنا عليهم وسلمنا عليهم فقاموا فردوا السلام اجمعهم وبلغناهم رسالتك فاجابوا وانابوا وشهدوا انك رسول الله حقا وحمدوا الله على ما اكرمهم بخروجك وتوجيه رسلك اليهم وهم يقرؤن عليك السلام فقال عليه الصلاة والسلام اللهم لا تفرق بيني وبين اصهاري واحبائي واغفر لمن احبني واحب أهل بيتي واحب امتي واحب اصحابي

﴿ مجلس فى ذكر جرجيس عليه السلام ﴾

أخبرنا ابو عبد الله محمد بن عبد الله الضبي باسناده عن وهب بن منبه اليماني قال كان فى الموصل ملك يقال له زادانه وكان قد ملك الشام كلها ودان له اهلها وكان جبارا عاتيا وكان يعبد صنما يقال له افلون وكان جرجيس عبدا صالحا من اهل فلسطين قد ادرك بقايا من حوارى عيسى بن مريم عليه السلام وكان تاجرا كثير المال عظيم الصدقة وكان لا يامن ولاية المشركين عليه مخافة أن يفتنوه عن دينه فخرج يوما يريد ملك الموصل معه مال يريد ان يهديه اليه لئلا يجعل لاحد من تلك الملوك سلطانا عليه دونه فجاءه وقد برز في مجلس له وامر بصنمه افلون فنصب والناس يعرضون عليه وهو يعذب من خالفه بانواع العذاب وقد اوقد نارا عظيمة فمن لم يسجد لافلون ألقي فى تلك النار فلما رأى جرجيس عليه السلام ما يصنع فزع منه وهاله وأعظمه وحدث نفسه بجهاده وألقى الله فى نفسه بغضه ومجاهدته له فعمد الى المال الذى اراد ان يهديه له فقسمه في اهل ملته حتى لم يبق منه شيء وكره ان يجاهده بالمال واحب ان يلى ذلك بنفسه فاقبل عليه وقال اعلم انك عبد مملوك لا تملك لنفسك شيئا ولا لغيرك وان لك ربا هو الذي يملكك وغيرك وهو الذى خلقك ورزقك ويحييك ويميتك يضرك وينفعك واذا قال لشيء كن يكون وانك انما عمدت الي خلق من خلقه أصم لا يسمع ولا يبصر ولا ينطق ولا يغني عنك شيئا من الله فزينته بالذهب والفضة وجعلته فتنة للناس ثم عبدته من دون الله فكان من جواب الملك له ان سأله عن حاله وامره من هو ومن اين هو فقال جرجيس انا عبد الله وابن عبده وابن امته اذل عباده وافقرهم اليه من التراب خلقت واليه اصير فقال له الملك لو كان ربك الذى تزعم كما تقول لرؤي أثره عليك كما رؤي أثرى على من حولي ومن هو في طاعتي فاجابه جرجيس بتحميد الله وتعظيم امره ثم قال له اتعدل افلون الاصم الابكم الذى لا يغني عنك شيئا برب العالمين الذى قامت السموات والارض بامره أم تعدل طوفليا وما نال بولايتك فانه عظيم قومك بما نال الياس من ولاية الله تعالى فان الياس كان في بدء أمره آدميا يأكل الطعام ويمشي فى الاسواق فاكرمه الله تعالى حتى انبت له الريش وكساه النور فصار انسيا ملكيا سماويا أرضيا يطير مع الملائكة أم تعدل مخلطيس وما نال بولايتك فانه عظيم قومك بالمسيح بن مريم وما نال بولاية الله تعالى فان الله تعالى فضله على رجال العالمين وجعله وامه آية للمعتبرين أم تعدل هذه الروح الطيبة التى اختارها الله بكلمته وفضلها على امائه وما نالت بولاية الله باربيل وما نالت بولايتك فانها كانت من شيعتك وعلى ملتك فاسلمها الله مع عظيم ملكها حتى اقتحمت عليها الكلاب فى بيتها فانتهشت لحمها وولغت فى دمها وقطعت الضباع اوصالها فقال له الملك انك لتحدثنا بشيء ليس لنا به علم فأتنا بالرجلين اللذين ذكرتهما حتى انظر اليهما فانى انكر أن يكون هذا من أمر البشر فقال له جرجيس انما جاءك الانكار من قبل الغرة بالله تعالى واما الرجلان فلن تراهما ولم يرياك الا ان تعمل بعملهما فتنزل منازلهما فقال له الملك أما نحن فقد اعذرنا اليك وتبين لنا كذبك لانك فخرت بامور عجزت عنها ولم تات بتصديقها ثم ان الملك خير جرجيس بين العذاب وبين

لها جاريتها ما بالك قالت ان حصننا قد فتح فقالت الجارية وكيف ذلك فقالت سترين بعد ساعة ثم ارسلت الى الشاب هل أجد اليك سبيلا قال نعم بشرط ان تسلمي الحصن الظاهر الينا والباطن لله فقالت اما الظاهر فاعرفه واما الباطن فما هو قال قلبك تسلمينه لله وتقرين بوحدانيته فارسلت اليه تعال بعسكرك فلما دخل الحصن وعرض عليها الاسلام قالت انى امرأة كثيرة الهيبة هل في عسكرك من هو اكبر منك حتى اسلم على يديه قال نعم فارتحلت مع العسكر ومعها اموال كثيرة حتى دخلت على عمر بن الخطاب رضى الله عنه فقالت هل ههنا اكبر منك حتى اسلم على يديه قال نعم محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا قبره قالت لا اسلم الا على يديه فجلست عند قبره وقالت اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله ثم قالت خرجت من دار الكفر غير انى اخشى ان اقع بعد الاسلام في المعصية فاسأل ربك الذى ارسلك ان لا اعصيه قال ثم وضعت خدها على حائط القبر

السجود لافلون فقال له جرجيس ان كان افلون هو الذى رفع السماء ووضع الارض فقد أصبت ونصحت
لى والا فاخسأ ايها النجس الملعون فلما سمعها الملك غضب وشتمه وسب الهه وأمر بخشبة فنصبت له وجعل
عليها امشاط الحديد فخدش بها جسده حتى تقطع لحمه وجلده وعروقه ونضح عليه في خلال ذلك بالخل
والخردل فحفظه الله من ذلك الالم والهلاك فلما راى الملك ان ذلك لم يقتله امر بستة مسامير من حديد
فاحميت حتي جعلت نارا فسمر بها رأسه حتى سال دماغه فحفظ من الالم والهلاك فلما راي ذلك انه لم
يقتله امر بحوض من نحاس فاوقد عليه حتي اذا جعله نارا أمر به فادخل في جوفه واطبق عليه فلم يزل فيه
حتى برد حره فلما رأى ذلك لم يقتله دعا به فقال له ياجرجيس اما تجد الم هذا العذاب الذى تعذب به فقال
ان ربى الذي اخبرتك به حمل العذاب عني وصبرني لاحتج عليك فلما قال له ذلك أيقن بالشر وخافه على نفسه
وملكه وأجمع رأيه على أن يخلده في السجن فقال له الملأ من قومه انك ان تركته طليقا فى السجن يكلم الناس
أوشك ان يميل بهم عليك ولكن مرله بعذاب فى السجن فيشغله عن كلام الناس فامر به فبطح على وجهه ثم
اوتده في يديه ورجليه اربعة اوتاد من حديد فى كل ركن منها وتد وأمر باسطوانة من رخام فوضعت على
ظهره ثم انه حمل على تلك الاسطوانة ثمانية عشر رجلا فظل يومه ذلك موتدا تحت الحجر فلما ادركه الليل
أرسل الله تعالى اليه ملكا وذلك أول ما ايده الله تعالى بالملائكة وأول ماجاء به الوحي فقطع عنه الحجر
ونزع الاوتاد من يديه ورجليه واطعمه وسقاه وبشره بالنصر فلما أصبح أخرجه من السجن ثم قال له الحق
بعدوك فجاهده في الله حق جهاده فان الله يقول لك اصبر وابشر فانى قد ابتليتك بعدوي هذا سبع سنين
يعذبك ويقتلك فيهن اربع مرات وفي كل ذلك أرد اليك روحك فاذا كان فى القتلة الرابعة نقلت روحك
واوفيتك اجرك فلم يشعروا الا وقد وقف جرجيس على رؤسهم يدعوهم الى الله تعالى فقال له الملك ياجرجيس
من اخرجك من السجن فقال اخرجني الذي سلطانه فوق سلطانك فلما قال له ذلك ملىء غيظا ودعا باصناف
العذاب حتى لم يخل منها شيئا فلما راها جرجيس أوجس فى نفسه خيفة وجزعا ثم اقبل على نفسه يعاتبها باعلى
صوته وهم يسمعون فلما فرغ من عتابه قال لهم الملك مدوه بين خشبتين فمدوه ثم انهم وضعوا سيفا على مفرق راسه
فنشروه حتي سقط من بين رجليه وصار جزأين ثم عمدوا الى أجزائه فقطعوها قطعا ودعوا له سبعة اسود
ضارية كانت لهم فى جب وكانت صنفا من صنف عذابهم فرموا بجسده اليها فلما هوى نحوها امرها الله عز
وجل فخضعت برؤسها واعناقها وقامت على براثنها تقيه الالم فظل يومه ميتا وكانت اول موتة ماتها فلما ادركه
الليل جمع الله له جسده الذى قطعوه وضم بعضه الى بعض حتي سواه ثم رد الله اليه روحه وارسل الله له ملكا
فاخرجه من قعر الجب فاطعمه وسقاه وبشره بالنصر فلما اصبحوا قال له الملك ياجرجيس قال لبيك قال له اعلم
ان القدرة التى خلق الله بها آدم هي التي أخرجتك من قعر الجب اخرج فالحق بعدوك وجاهده فى الله حق
جهاده ومت موت الصابرين فلم يشعر الملك واصحابه الآخرون الا وقد اقبل جرجيس وهم عكوف على
عيد لهم قد صنعوه فرحا بموت جرجيس فلما مضوا نظروا الى جرجيس مقبلا قال الملك ما اشبه هذا الرجل
بجرجيس فقالوا كانه هو فقال الملك ليس هو حقا الا ترون الى سكون ريحه وقلة هيبته فقال جرجيس بل هو
أنا فبئس القوم أنتم قتلتم ومثلتم فاحياني الله تعالى بقدرته فهلموا الى الرب العظيم الذي أراكم ما اراكم فلما قال
لهم ذلك أقبل بعضهم الى بعض وقالوا ساحر سحر اعينكم فجمعوا له من كان ببلاد الملك من السحرة فلما جاء
السحرة قال الملك لكبيرهم اعرض على من كبير سحرك ما يسرعنى فقال ادع لى بثور من البقر فلما أتى به نفث
في احدى أذنيه فانشقت باثنتين ثم نفخ فى الاذن الاخرى فاذا هو ثوران ثم دعا ببذر فحرث وبذر ونبت
الزرع وحصد ثم داس وذرى وطحن وعجن وخبز كل ذلك فى ساعة واحدة وهم يرون فقال لهم الملك هل
تقدر ان تمسخ لى جرجيس دابة فقال الساحر اى دابة تطلب أمسخه لك كلبا فقال اساحر ادع لى بقدح من

ومائت من ساعتها قال
عمر رضي الله عنه طوبى لمن
مات وجوارحه مستريحة
من المعاصي رضي الله
عنهم ورضي عنا بهم (وقال
ذو النون المصري رضي الله
عنه) رايت في البادية
ظلا يلوح مرة و يغيب
اخرى والشخص مستور
عني فقلت بالله عليك
ياصاحب الظل الا ما
اظهرت نفسك لكي
اراك قال فظهر فاذا هي
امرأة فقالت ياذا النون
ما اكثر فضولك ما تصنع
بي فقلت اني احب
الصالحين فقالت لقد
احببت سواه فقلت اني
احبكم تقربا الى الله تعالى
فقالت واي فرق بينك
و بين عبدة الاصنام اذ
قالوا ما نعبدهم الا ليقربونا
الى الله زلفى قال فتعجبت
من كلامها فبينما نحن في
الحديث اذ قالوا جاءت
الخيل لنهب القافلة فبكى
الناس وهي تضحك فقلت
لها الناس يبكون وانت
تضحكين فقالت ما
ضحكي الا من
مخافتهم من مخلوق
فقلت قد وجب عليك ان
تسالي الله لنا فقالت نعم ثم
رفعت طرفها الى السماء
وقالت يارافع السماء بلا
عماد يامن هو على فكرة
العباد بحق ما تعلم من

ماء فلما أتى بالقدح نفث فيه الساحر ثم قال للملك اعزم عليه ان يشرب فشربه جرجيس حتى اتى على آخره فلما فرغ منه قال له الساحر ماذا تجد قال ما اجد الا خيرا كنت قد عطشت فلطف الله لي بهذا الشراب وقواني به عليكم فلما قال ذلك اقبل الساحر على الملك وقال له اعلم ايها الملك انك لو كنت تقايس رجلا مثلك اذا لكنت غلبته ولكنك تقايس جبار السموات والارض وهو الملك الذي لا يرام وقد كانت امرأة مسكينة من الشام قد سمعت بجرجيس وما يصنع من الاعاجيب فاتته وهو في اشد مافيه من البلاء فقالت له يا جرجيس انا امرأة مسكينة ولم يكن لي مال الا ثوران كنت احرث عليهما فماتا فجئتك لترحمني وتدعو الله ان يحيي لي ثوري فلما سمع كلامها ذرفت عيناه ثم دعا الله ان يحيي لها ثوريها ثم اعطاها عصا وقال لها اذهبي الى ثوريك فاقرعيهما بهذه العصا وقولي لهما احييا باذن الله تعالى فقالت له يا جرجيس ان ثوري قد ماتا منذ سبعة أيام ومزقتهما السباع وبيني وبينهما ايام فقال لها لو لم تجدي منهما الا شيأ يسيرا فاقرعيه بالعصا فانهما يقومان باذن الله تعالى فانطلقت المرأة حتى أتت مصرعهما وكان اول شيء بدا لها من ثوريها قرن احدهما وشعر اذني الآخر فجمعت احدهما الى الآخر وقرعتهما بالعصا وقالت كما أمرها فقام الثوران باذن الله تعالى وعملت عليهما حتى جاءهم الخبر بذلك فلما قال الساحر للملك ما قال قال رجل من أصحاب الملك وكان اعظمهم عند الملك انكم قد وضعتم امر هذا الرجل على السحر وانكم قد عذبتموه فلم يصل اليه عذابكم وقتلتموه فلم يمت فهل رأيتم ساحرا يدرأ عن نفسه الموت او احيا ميتا قط فقالوا له ان كلامك لكلام رجل قد صبا اليه فلعله استهواك اليه فقال آمنت بالله وأشهد اني بريء مما تعتقدون فقام اليه الملك واصحابه بالخناجر فقتلوه فلما رأى القوم ذلك اتبع جرجيس اربعة آلاف آمنوا فعمد الملك اليهم فلم يزل يعذبهم بالوان العذاب حتى أفناهم فلما فرغ منهم قال لجرجيس هلا دعوت ربك فاحيا لك اصحابك هؤلاء الذين قتلوا بجريرتك فقال جرجيس ما خلي بيني وبينهم حتى حانت آجالهم فقال له رجل من عظمائهم يقال له مخليطس انك زعمت يا جرجيس ان الهك هو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده واني سائلك امرا ان فعلته آمنت بك وصدقتك وكفيتك نحن قوم حولنا اربعة عشر كرسيا وهذه مائدة بيننا عليها أقداح وصحاف من اشجار شتى فادع ربك ينشيء هذه الكراسي والاواني كما بدأها أول مرة تعود خضراء فيعرف كل عود منها بلونه وورقه وزهره فقال له جرجيس لقد سالت امرا عزيزا علي وعليك وانه على الله لهين فدعا الله عز وجل فما برحوا من مكانهم حتى اخضرت تلك الكراسي والاواني كلها وساخت عروقها وتلبست باللحم وتشعبت واورقت وأزهرت واثمرت فلما نظروا الى ذلك انتدب لهم مخليطس الذي تمنى عليه ما تمنى فقال انا اعذب لكم هذا الساحر عذابا يبطل به كيده ثم أنه عمد الى نحاس فصنع منه صورة ثور له جوف واسع ثم حشاها نفطا ورصاصا وكبريتا وزرنيخا ثم أدخل جرجيس مع الحشو في جوفها ثم أوقد على الصورة حتى التهبت وذاب كل شيء فيها واختلط جرجيس في جوفها فلما مات جرجيس أرسل الله ريحا عاصفا فملأت السماء سحابا اسود فيه رعد وبرق وصواعق وارسل الله أعصارا ملأت بلادهم عجاجا وقتاما حتى اسود ما بين السماء والارض فمكثوا أياما متحيرين في تلك الظلمة لا يفصلون بين الليل والنهار وارسل الله ميكائيل فاحتمل الصورة التي فيها جرجيس حتى اذا أقلها ضرب بها الارض ففزع من روعها أهل الشام فخرجوا لوجوههم صاعقين وانكسرت الصورة فخرج منها جرجيس حيا فلما وقف يكلمهم انكشفت الغمة واسفر ما بين السماء والارض ورجعت اليهم أنفسهم فقال له رجل يقال له طوفليا لا ندري يا جرجيس ان كنت أنت تصنع هذه الاعاجيب ام ربك فان كان ربك هو الذي يصنع فادعه يحيي لنا موتانا التي في هذه القبور فان فيها اموانا منهم من تعرفه ومنهم من لا نعرفه فقال له جرجيس لقد علمت ان ما يصفح الله عنكم هذا الصفح ويريكم هذه الاعاجيب الا لتكون عليكم حجة فتستوجبوا بها غضبه ثم انه أمر بالقبور فنبشت وهي عظام رفات وأقبل جرجيس على

ودادى الا كفيتهم مؤنة الاعادى قال فما تم كلامها حتى اذهب الله الاعداء وجاء الامان وذهب الردي ثم غابت عني فلم ارها رضي الله تعالى عنها (وقيل) انه كان في بني اسرائيل شاب مسرف على نفسه بالمعاصى فاخرجوه من بينهم فحضرته الوفاة وهو في خربة على باب البلد فاوحى الله تعالى الى موسى عليه وعلى نبينا افضل الصلاة والسلام ياموسى ان وليا من اوليائى قد حضره الموت في مكان كذا فاحضره وغسله وكفنه وصل عليه وقل لمن كان معك ان يصلى عليه فنادى موسى في بني اسرائيل فحضروه فلما نظروا اليه عرفوه وقالوا يا نبي الله هذا فلان الفاسق الذى اخرجناه فتعجب موسى من ذلك فاوحى الله تعالى اليه انهم صدقوا لكنه لما حضرته الوفاة في هذه الخربة نظر يمينا وشمالا فلم ير احدا ورأى نفسه غريبة وحيدة ذليلة منكسرة فرفع بصره الى وقال الهى وسيدى ومولاي عبد من عبيدك غريب في بلادك فلو علمت ان عذابى يزيد في ملكك

الدعاء فما برحوا من مكانهم حتي نظروا الى سبعة عشر انسانا تسعة رجال وخمس نسوة وثلاثة صبية واذا فيهم شيخ كبير فقال له جرجيس ياشيخ ما اسمك فقال ياجرجيس اسمي توبيل قال متى مت قال في زمان كذا وكذا فحسبوا فاذا هو قد مات منذ أربعمائة عام فلما نظر الملك وأصحابه الي ما فعل قالوا ما بقي من أصناف العذاب شيء الا وقد عذبتموه به الا الجوع والعطش فعذبوه بهما فعمدوا الي بيت عجوز تبيع فقيرة كان لها ابن اعمى أصم أبكم مقعد فحصروه فى بيتها وكانوا لا يوصلون له من عند أحد طعاما ولا شرابا فلما بلغ به الجوع قال للعجوز هل عندك من طعام او شراب فقالت لا والذى يحلف به ما عهدنا الطعام منذ كذا وكذا وسأخرج ألتمس لك شيأ فقال لها جرجيس هل تعرفين الله تعالى قالت نعم قال اياه تعبدين قالت لا فدعاها الى الله فصدقته ثم أنها انطلقت تطلب له شيأ وكان فى بيتها دعامة من خشب يابسة تحمل خشب البيت فاقبل على الدعاء فاخضرت تلك الدعامة وأنبتت له كل فاكهة تؤكل او تعرف حتي كان مما أنبتت اللوبية واللياز وهو مثل البردى يكون بالشام وظهر للدعامة فرع من فوق البيت أظله من فوقه فاقبلت العجوز وهو فيما شاء يأكل رغدا فلما رأت الذى حدث فى بيتها من بعدها قالت آمنت بالذى أطعمك في بيت الجوع فادع هذا الرب العظيم ان يشفى ابنى فقال لها ادنيه منى فادنته فبصق فى عينيه فابصر ونفث في أذنيه فسمع فقالت له اطلق لسانه ورجليه رحمك الله فقال لها أخريه فان له يوما عظيما فكان الملك قد خرج يوما يسير فى مدينته اذ وقع بصره على الشجرة فقال انى أرى شجرة بمكان ما كنت أعرفها به فقالوا له ان تلك الشجرة نبتت بذلك الساحر الذى أردت ان تعذبه بالجوع فهو فيما شاء يأكل وقد شبع منها وأشبع العجوز الكبيرة الفقيرة وشفى لها ابنها فامر الملك بالبيت فهدم وبالشجرة ان تقطع فلما هموا بقطعها أيبس الله الشجرة وردها كما كانت أول مرة فتركوها وامر بجرجيس فبطح على وجهه وأوتد له أربعة أوتاد وأمر بعجل فاوقر اسطوانا وجعل فى أسفل العجل خناجر وشفارا ثم أمر بأربعين ثورا فنهضت بالعجل نهضة واحدة وجرجيس تحتها فانقطع ثلاث قطع فامر بقطعه أن تحرق فلبثت فى النار حتي عادت رمادا فبعث بذلك الرماد وبعث معه رجالا فذروه فى البحر فما برحوا عن مكانهم حتي سمعوا صوتا من السماء يابحر ان الله يامرك أن تحفظ ما فيك من هذا الجسد الطيب فانى أريد أعيده كما كان ثم أرسل الله الرياح فاخرجته من البحر ثم جمعته حتي صار الرماد صبرة واحدة كهيئته قبل ان يذري فخرج منه جرجيس مغبرا ينفض رأسه فرجعوا ورجع جرجيس وأخبروا الملك خبر الصوت الذي سمعوه والريح الذى جمعته فقال له الملك ياجرجيس هل لك فيما هو خير لى ولك مما نحن فيه ولولا أن يقول الناس انك غلبتنى وقهرتنى لاتبعتك وآمنت بك ولكن أسجد لافلون سجدة واحدة واذبح له شاة واحدة ثم انى أفعل ما يسرك فقال له نعم مهما شئت فعلت فادخلنى على صنمك ففرح الملك بقوله وقام اليه وقبل يديه ورجليه ورأسه وقال له اعزم عليك ان تظل هذا اليوم ولا تبيت هذه الليلة الا فى بيتى وعلى فراشي وفي كرامتي حتى تستريح ويذهب عنك وصب العذاب ويرى الناس كرامتك على فاخلى له بيته فظل فيه جرجيس حتى اذا ادركه الليل قام يصلى ويقرأ الزبور وكان أحسن الناس صوتا فلما سمعته امرأة الملك استجابت له فلم يشعر الا وهي خلفه تبكى فدعاها جرجيس الى الايمان فآمنت به وأمرها فكتمت ايمانها فلما ان اصبح الصبح غدا به الى بيت الاصنام ليسجد لها فلما سمعت العجوز بذلك خرجت تحمل ابنها على عاتقها توبخ جرجيس والناس مشتغلون عنها فلما دخل جرجيس بيت الاصنام ودخل الناس معه نظروا واذا بالعجوز وابنها على عاتقها أقرب الناس اليه مقاما فلما رآها جرجيس دعا ابن العجوز باسمه فنطق وأجابه ولم يكن يتكلم قبل ذلك قط ثم اقتحم عن عاتق أمه يمشي على رجليه ولم يكن يطأ الارض قبل ذلك بقدميه قط فلما وقف بين يدى جرجيس قال له اذهب فادع لى هذه الاصنام وهي يومئذ سبعون صنما على منابر من ذهب وهم يعبدونها ويعبدون معها الشمس والقمر فقال له الغلام كيف أدعو الاصنام فقال له قل لها

لم اسالك المغفرة وليس لى رجاء الا انت وقد سمعت فيما انزلت تقول انى انا الغفور الرحيم ا كان يحسن ان ارده ياموسى وقد توسل بى وتضرع الى وعزتى وجلالى لو سالني فى المذنبين من اهل الارض لوهبتهم له وانا الغفور الرحيم (وروي) انه كان في بني اسرائيل ملك جبار وكان يكره الفقراء والصدقة ونادي فى المدينة كل من تصدق بشيء قطعت يده وكان فى المدينه امرأة صالحة مات زوجها ومعها ولدان فكانت تغزل وتشترى كل يوم دقيقا وتعمل منه ثلاثة اقراص لها وللولدين فبينما هى على تلك الحالة اذ سائل ببابها فاعطته قرصها صدقة وقالت له لا تاكل عند احد خوفا عليه من الملك فاخذه ومضي فلما كان في بعض الطريق اخرج القرص ليأكله فلقيه بعض اعوان الملك وقال له من اين اتاك هذا الرغيف فقال اعطتنيه امرأة فقبض عليه ورجع به الى الملك واخبره بقصته فقال امضوا به الى موضعها وائتونى بها والفقير يحسب

ان جرجيس يسألك و يعزم عليك بالذي خلقك الا ما اجبتيه فلما قال لها الغلام ذلك اقبلت تتدحرج الى جرجيس فلما انتهت اليه ركض الارض برجله فخسف بها و بعنا برها وخرج ابليس لعنه الله من جوف صنم منها هاربا فرقا من الخسف فلما مر بجرجيس أخذ بناصيته فخضع له وكلمه جرجيس فقال له جرجيس اخبرني ايها الروح النجسة والخلق الملعون ما الذى يحملك على ان تهلك نفسك وتهلك الناس معك وأنت تعلم انك وجندك تصيرون الى جهنم فقال له ابليس لعنه الله لو خيرت بين ما اشرقت عليه الشمس و بين ما اظلم عليه الليل و بين هلكة واحد من بنى آدم وضلالته لاخترت هلكته على ذلك كله وانه ليقع لى من الشهوة واللذة فى ذلك مثل جميع ما يتلذذ به جميع الخلق ألم تعلم يا جرجيس ان الله تعالى أسجد لابيك آدم جميع الملائكة فسجدوا له كلهم وامتنعت من السجود وقلت أنا خير منه فلما قال هذا خلى سبيله جرجيس فما دخل ابليس من يومئذ جوف صنم ولا يدخله بعدها فيما يذكرون أبدا فقال الملك يا جرجيس غررتنى وخدعتنى وأهلكت آلهتى فقال جرجيس انما فعلت ذلك لتعتبر ولتعلم انها لو كانت آلهة لامتنعت منى فكيف ثقتك ويلك بآلهة لم تمنع نفسها منى وانما انا مخلوق ضعيف لا أملك الا ما ملكنى ربى فلما قال هذا جرجيس أقبلت امرأة الملك وكلمتهم وكشفت لهم عن ايمانها وعددت لهم أفعال جرجيس والعبر التى أراهم الله تعالى اياها وقالت لهم ما تنتظرون من هذا الرجل الا دعوة فيخسف بكم الارض كما خسف باصنامكم الله الله أيها القوم فى أنفسكم فقال لها الملك ويحك يا اسكندرة ما أسرع ما أضلك هذا الساحر فى ليلة واحدة وأنا اقاسيه منذ سبع سنين فلم يظفر منى بشىء فقالت له اما رأيت الله كيف يظفره بك و يسلطه عليك فيكون له الفلاح والحجة عليك فى كل موطن فلما سمع كلامها أمر بها الملك عند ذلك فحملت على خشبة جرجيس التى كان علق عليها وجعلت عليها الامشاط التى جعلت على جرجيس فلما آلمها قالت ادع ربك يا جرجيس فيخفف عنى فانى قد آلمنى العذاب فقال لها انظرى فوقك فلما نظرت ضحكت فقال لها الملك ما الذى يضحكك قالت أرى ملكين فوقى معهما تاج من حلى الجنة ينتظرون به خروج روحى فلما خرجت وجهازينا بذلك التاج ثم صعد بها الى الجنة فلما قبض الله روحها أقبل جرجيس على الدعاء وقال اللهم أنت أكرمتني بهذا البلاء لتعطينى منازل الشهداء فهذا آخر أيامى الذى كنت وعدتنى فيه الراحة من بلاء الدنيا اللهم انى أسألك أن لا تقبض روحى ولا أزول من مكانى هذا حتى تنزل بهؤلاء المتكبرين من سطواتك ونقمتك ما لا قبل لهم حتى تشفى به صدري وتقر به عينى فانهم ظلمونى وعذبونى فيك اللهم وأسألك أن لا يدعوا بعدى داع فى بلاء وكرب فيذكرنى و يتشفع باسمى الا فرجت عنه ورحمته وأجبته وشفعتنى فيه فلما فرغ من هذا الدعاء أمطر الله عليهم نارا فلما رأوا ذلك عمدوا اليه فضربوه بالسيوف غيظا من شدة الحريق ليعطيه الله بالقتلة الرابعة ما وعده ثم احترقت المدينة بجميع ما فيها وصارت رمادا فحملها الله من وجه الارض وجعل عاليها سافلها فمكثت زمانا من الدهر يخرج من تحتها نار ودخان منتن لا يشمه أحد الا سقم سقما شديدا وكان جميع من آمن بجرجيس وقتل معه أربعة وثلاثين الفا وامرأة الملك قال الاستاذ وكانت قصة جرجيس فى أيام ملوك الطوائف والله أعلم

﴿ باب فى قصة شمسون النبي عليه السلام ﴾

قال الله تعالى انا أنزلناه فى ليلة القدر الى قوله تعالى خير من الف شهر (أخبرنا) أبو عمرو العراقى باسناده عن ابن أبى نجيح أن النبي صلى الله عليه وسلم ذكر رجلا من بنى اسرائيل لبس السلاح فى سبيل الله الف شهر فتعجب المسلمون من ذلك فانزل الله تعالى انا أنزلناه فى ليلة القدر وما أدراك ما ليلة القدر ليلة القدر خير من الف شهر التى لبس الرجل فيها السلاح فى سبيل الله تعالى (أخبرنا) عبد الله الضبي باسناده عن وهب بن منبه أن رجلا من أهل قرية من قرى الروم يقال له شمسون بن مسوح كان فيهم مسلما من أهل الانجيل وكانت أمه

انه يريد ان يعطيها شيأ عوض صدقتها فاحضروها عند الملك فقال لها اما سمعت النداء ثم امر بقطع يدها فقطعت وعلقت فى عنقها فجاءت الى منزلها واقامت تعبد الله وكانت صائمة قائمة الى ان افطرت ونامت وهى شاكرة لله تعالى فلما اصبح الصبح مر فقير وقال يا من يتصدق بصدقة تنفعه فاعطته قرصا من اقراص اولادها فذهب وهو يقول جزى الله عنى هذه المرأة خيرا كما انها تصدقت على فسمعه احد خدام الملك فقبض عليه واتى به الى الملك فامر باحضارها فحضرت بين يديه فامر بقطع يدها الاخرى فقطعت وباتت بمنزلها واذا بسائل يقول من يتصدق على الجائع المسكين الذى طاف هذه المدينة فلم يعطه احد من اهلها لقمة واحدة قال فلما سمعته اخرجت اليه قرصا فاخذه ومضى فاذا برجل من اعوان الملك فقبض عليه واتى به الى الملك فاخبره بالمرأة فقال هى لم تنته وامر بقطع رجلها واقامت تلك الليلة واذا

قد جعلته نذيراً وكان قومه أهل أوثان يعبدونها من دون الله وكان منزله منها على خمسة أميال وكان يغزوهم وحده ويجاهدهم في الله فيقتل منهم ويسبي ويصيب الاموال وكان اذا قاتلهم لقيهم بالجحفة لا يلقاهم بغيرها وكان اذا قاتلهم وقاتلوه فتعب وعطش انفجر له من الحجر ماء عذب فيشرب منه حتى يروي وكان قد أعطى قوة في البطش وكان لا يوثقه حديد ولا غيره فجاهدهم في الله ألف شهر يصيب منهم حاجته ولا يقدرون منه على شيء فاحتالوا عليه وقالوا لا نأتيه الا من قبل امرأته فجعلوا لها جعلاً على ذلك فاجابتهم وقالت أنا أوثقه لكم فاعطوها حبلاً وثيقاً وقالوا لها اذا نام فاوثقي يديه الى عنقه حتى نأتيه فنأخذه فلما نام اوثقت يديه الى عنقه بذلك الحبل فلما انتبه من نومه جذبه بيده فوقع من عنقه فقال لها لم فعلت ذلك فقالت له أجرب به قوتك ما رأيت مثلك قط فارسلت اليهم وقالت لهم اني قد ربطته بالحبل فلم يغن عنه شيئاً فارسلوا اليها بجامعة من حديد وقالوا لها اذا نام فاجعليها في عنقه فلما نام جعلتها في عنقه فلما هب جذبها فوقعت من عنقه ويده فقال لها لم فعلت هذا قالت أجرب به قوتك ما رأيت مثلك قط فهل في الارض شيء يغلبك قال لا الا شيء واحد قالت وما هو قال ما أنا بمخبرك به فلم تزل تسأله عن ذلك وكان ذا شعر طويل كثير فقال لها ويحك ان أمي كانت اخبرتني ان لا يغلبني شيء ابداً ولا يغيظني الا شعري فلما نام اوثقت يده الى عنقه بشعر رأسه فاوثقه ذلك فبعثت الى القوم فجاؤا واخذوه فجدعوا انفه واذنيه وفقؤا عينيه واوقفوه للناس بين ظهراني المدينة وكانت مدينة ذات أساطين وكان ملكهم قد أشرف عليها هو والناس لينظروا الى شمسون ومايصنع به فدعا الله شمسون حين مثلوا به وأوقفوه على الناس أن يسلطه عليهم فامر أن ياخذ بعمودين من عمد المدينة التي عليها الملك والناس معه فيجذبهما جميعاً فجذبهما فانهارت المدينة بمن فيها فهلكوا فيها هدماً وهلكت أيضاً امرأته معهم ورد الله تعالى عليه بصره وما أصابوا من جسده تاماً وعاد كما كان وكانت قصة شمسون في أيام ملوك الطوائف والله أعلم

﴿ باب في قصة أصحاب الاخدود ﴾

قال الله تعالى قتل أصحاب الاخدود النار ذات الوقود الآيات روى عطاء عن ابن عباس أنه كان بنجران ملك من ملوك حمير يقال له يوسف ذو نواس بن شرحبيل في الفترة قبل مولد النبي صلى الله عليه وسلم بسبعين سنة وكان له ساحر حاذق فلما كبر قال للملك اني قد كبرت فابعث لي غلاماً أعلمه السحر فبعث اليه غلاماً يقال له عبد الله بن الثامر يعلمه السحر فكره الغلام ذلك ولم يجد بداً من طاعة الملك وطاعة أبيه فجعل يتخلف عن الساحر وكان في طريقه راهب حسن القراءة حسن الصوت فقعد الغلام عنده وسمع كلامه فاعجبه وكان يبطىء عند الراهب ويأتي المعلم فيضربه ويقول له ما الذي حبسك واذا انقلب الى أبيه يجلس عند الراهب فيضربه أبوه ويقول له ما بطاك فشكا الغلام ذلك الى الراهب فقال له الراهب اذا أتيت المعلم فقل له حبسني أبي واذا أتيت أباك فقل حبسني المعلم وكان في تلك البلاد حية عظيمة قد قطعت الطريق على الناس فمر بها الغلام ورماها بحجر وقال اللهم ان كان أمر الراهب أحب اليك من أمر الساحر فاقتلها فلما رماها قتلها فاتى الراهب واخبره فقال له الراهب أنت قتلتها قال نعم قال ان لك لشأناً وقد بلغ من امرك ما ارى وانك ستبتلى فاذا ابتليت فلا تدل علي فكان الغلام يبرئ الاكمه والابرص ويشفي المرضى وكان للملك ابن عم مكفوف البصر فسمع بالغلام وقتله الحية فجاءه مع قائد وقال له أنت قتلت الحية قال لا قال فمن قتلها قال الله تعالى قال فمن الله قال رب السموات والارض وما بينهما ورب الشمس والقمر والليل والنهار والدنيا والآخرة قال ان كنت صادقاً فادع الله ان يرد علي بصري فقال له الغلام ارأيت ان رد الله عليك بصرك تؤمن بالله قال نعم قال اللهم ان كان صادقاً فاردد عليه بصره فرجع الى منزله بلا قائد ثم دخل على الملك فلما رآه تعجب منه وقال له من فعل هذا بك فقال الله قال ومن الله قال رب السموات والارض فقال له الملك اخبرني من علمك هذا فابى فلم يزل يعذبه

بسائل يقول يا من يتصدق على الفقير المسكين الذي له مدة وهو مسافر وليس له قوت الانبات الارض فزحفت واعطته قرصاً فرآه نديم الملك فاخبره بما كان من المرأة فامر بقطع رجلها الاخرى فاقامت الى ان افطرت فلما جاء الفجر زحفت الى البحر لتتوضأ وكان قريباً من بابها فاستيقظ اولادها فلم يروها فصاروا يحبون حتى خرجوا من الدار واذا بذئب واقف على الباب فخطف احدهما في فمه فلما رأته امه زحفت خلف الذئب فلم تلحقه فرجعت وهي صابرة حامدة شاكرة فرأت الولد الاخر صار يحبو الى البحر حتى انقلب فيه ولم تدركه امه فقالت اللهم اني استودعتكهما يا من لا تخيب عنده الودائع يا ارحم الراحمين قال فما اتمت دعاءها حتى فتحت ابواب السماء وضجت الملائكة بالتسبيح والتقديس لله رب العالمين فامر الجليل جبريل فنزل اليها وقال لها يا امة الله امرني رب العالمين ان ارد يديك ورجليك وولديك ببركة

حتى دله على الغلام فجيء بالغلام فقال له الملك يا بني قد بلغ من سحرك هذا فقال له الغلام اني لا اشفى أحدا وانما يشفي الله فلم يزل يعذبه حتى دله على الراهب فجيء بالراهب فقيل له ارجع عن دينك فابى فدعا بالمنشار ووضعه في مفرق راسه فشقه به حتى وقع شقتين ثم جيء بابن عم الملك فقيل له ارجع عن دينك فابى فوضع المنشار فشقه مثل ذلك ثم التفت الى الغلام وقال له ارجع عن دينك فابى فدفعه الى نفر من أصحابه وقال اذهبوا به الى جبل كذا وكذا واصعدوا به الى ذروة الجبل فان رجع عن دينه والا فاطرحوه فذهبوا به الى الجبل فقال اللهم اكفنيهم بما شئت فرجف بهم الجبل فسقطوا وهلكوا ثم جاء الغلام يمشي الي الملك فقال له الملك ما فعل أصحابك فقال كفانيهم الله فغاظ الملك ذلك فدفعه الى نفر من اصحابه وقال لهم اذهبوا به في قرقور وهى السفينة واطرحوه في البحر ولججوا به فيه فان رجع عن دينه والا فاقذفوه في البحر وغرقوه فذهبوا به الى البحر فقال الغلام اللهم اكفنيهم بما شئت فانكفأت بهم السفينة فغرقوا وجاء يمشي الى الملك فقال له الملك ما فعل اصحابك قال كفانيهم الله فقال الملك اقتلوه بالسيف فنبا السيف عنه وفشا خبره في الارض وعرفه الناس وعظموه وعلموا أنه هو واصحابه على الحق ثم ان الغلام قال للملك انك لا تقدر على قتلي الا ان تفعل ما آمرك به فقال وماهو قال تجمع أهل مملكتك وانت على سريرك فتصلبني على جزع وترميني بسهم وتقول باسم الله رب الغلام ففعل الملك ذلك ثم رماه وقال بسم الله فاصابه في صدغه فوضع يده عليه ومات فقال الناس لا اله الا الله آمنا بدين عبد الله بن الثامر ولا دين الا دينه فلما آمن الناس برب العالمين رب الغلام قيل للملك قد والله نزل بك ما كنت تحذر فغضب الملك واغلق ابواب المدينة واخذ افواه السكك وخد اخدودا وملاه نارا ثم عرض الناس عليه رجلا رجلا فمن رجع عن الاسلام تركه ومن يرجع القاه في الاخدود فاحترق وكانت امرأة قد اسلمت فيمن اسلم ولها اولاد ثلاثة احدهم رضيع فقال لها الملك أترجعين عن دينك والا القيتك انت واولادك في النار فابت فاخذ ابنها الاكبر فالقى في النار ثم اخذ الاوسط. وقال ارجعي عن دينك فابت فالقي ايضا في النار ثم اخذ الرضيع وقال لها ارجعي فابت فامر بالقائه في النار فهمت المرأة بالرجوع فقال لها الصبي الصغير يا اماه لا ترجعي عن الاسلام فانك على الحق ولا باس عليك فالقى الصبي في النار وامه على اثره وقد روى هذا بنحو ما ذكرنا مرفوعا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم (أخبرنا) ابو القاسم الحسن بن محمد بن الحسين بن جعفر المذكور باسناده عن صهيب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بمثل معناه وقد تكلم ستة في المهد شاهد يوسف الصديق عليه السلام وابن ماشطة بنت فرعون ويحي بن زكريا وعيسى ابن مريم وصاحب جريج الراهب وصاحب الاخدود (وقال سعيد بن المسيب) كنا عند عمر بن الخطاب رضى الله عنه اذ ورد عليه كتاب انهم وجدوا ذلك الغلام بنجران وهو واضع يده على صدغه فكلما مدت يده عادت الى الصدغ فكتب اليهم عمر واروه حيث وجدتموه وقال مقاتل كان أصحاب الاخاديد ثلاثة واحد بنجران اليمن وآخر بالشام وآخر بفارس حرقوا بالنار أما الذي بالشام فانطياخوس الرومى احرق قوما من المؤمنين واما الذي بفارس فهو بختنصر (وكانت قصته) ما اخبرنا عبد الله بن حامد باسناده عن ابن روي قال لما هزم المسلمون اهل الاسفندهار وانصرفوا جاءهم نبي عمر فاجتمعوا وقالوا أى شيء نجري على المجوس من الاحكام فانهم ليسوا باهل كتاب وليسوا من مشركي العرب فقال علي كرم الله وجهه بل هم أهل كتاب وكانوا متمسكين بكتابهم وكانت الخمرة أحلت لهم فتناولها ملك من ملوكهم فغلبت على عقله فتناول اخته فوقع عليها فلما ذهب عنه السكر ندم وقال لها ويحك ماهذا الذى اتيت وما المخرج منه فقالت المخرج منه انك تخطب الناس فتقول ايها الناس ان الله قد احل لكم نكاح الاخوات اذا ذهب هذا في الناس تناسوا حرمته عليهم فقام فيهم خطيبا فقال ايها الناس ان الله أحل لكم نكاح الاخوات فقال الناس باجمعهم معاذ الله ان نؤمن بهذا ما جاءنا بهذا نبي ولا انزل

الصدقة ثم اخذ يديها ورجليها والصقها بقدرة من يقول للشيء كن فيكون فقامت باذن الله تعالى ورد الله تعالى عليها ولديها من الذئب والبحر فبلغ ذلك الملك فاحضر المرأة بين يديه وتعجب في صنع الله تعالي فقالت له ان الذي تصدقت من اجله رد على يدى ورجلي واولادي فقام على قدميه وقال امنت بالذي خلقك وسواك وصار يعبد الله تعالي حتي توفاه الله هو والمراة في يوم واحد ووضعا في قبة من الجنة وارتفعت بهم الى السماء حتي خفيت عن الابصار نفعنا الله بهما وببركاتهما في الدنيا والاخرة امين (وقيل) كان ببغداد رجل يعرف بابن الرومى وكان له زوجة واولاد فنزل بالناس مجاعة عظيمة فاقام الفتي وعياله ثلاثة ايام لم يعرفوا الطعام واشتد بهم الامر فلما كان في اليوم الرابع قالت زوجته وكانت

علينا فى كتاب فرجع الى اخته وقال ويحك ان الناس قد ابوا على فقالت ابسط فيهم السوط فابوا ان يقروا فقال لها ان الناس قد ابو قالت فجرد فيهم السيف فابوا ان يقروا قالت فخد لهم الاخدود ثم اعرضهم عليه فمن تابعك خل عنه ومن ابى فاقذفه فى النار فخد الاخدود واوقد فيه النيران وعرض اهل مملكته على ذلك فمن ابى قذفه في النار ومن اجاب خلى سبيله فانزل الله تعالى فيهم قتل اصحاب الاخدود الى قوله تعالى عذاب الحريق واما الذى فى اليمن فهو يوسف ذو نواس ابن شرحبيل بن تبع بن يشرخ الحميرى وقد ذكرنا قصته وذكر محمد بن اسحاق بن بشار عن وهب بن منبه ان رجلا كان بقى على دين عيسى فوقع الى نجران فدعاهم فاجابوه فخيرهم ذو نواس بين النار واليهودية فابوا عليه فاحرق منهم اثنا عشر الفا وقال مقاتل انما قذف فى النار يومئذ سبعة وسبعين انسانا وقال الكلبي كان اصحاب الاخدود سبعين الفا فلما قذفوا المؤمنين في النار خرجت النار الى اعلى شفير الاخدود فاحرقتهم وارتفعت النار فوقهم اثني عشر زراعا ونجا ذو نواس فسلط الله عليهم ارياطا الحبشى حتى غلب على اليمن فخرج هاربا فاقتحم البحر فاغرقه الله فيه وفيه يقول عمرو ابن معديكرب

أتوعدني كانك نورعيني ❊ بانعم عيشة اوذو نواس

وقدما كان قبلك في نعيم ❊ وملك ثابت في الناس راسي

فقدم عهده من عهد عاد ❊ عظيم قاهر الجبروت قاسي

فامسي اهله بادوا وامسي ❊ ينقل في اناس من اناس

﴿ باب قصة أصحاب الفيل وبيان مافيها من الفضل والشرف لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم ﴾

قال الله تعالى ألم تر كيف فعل ربك باصحاب الفيل الى آخر السورة قال محمد بن اسحاق بن بشار كان من حديث اصحاب الفيل ماذكر بعض أهل العلم عن سعيد بن جبير وعكرمة عن ابن عباس وعمن بقى من علماء اليمن وغيرهم ان ملكا من ملوك حمير يقال له زرعة ذو نواس كان قد تهود واجتمعت معه حمير على ذلك الاماكن من أهل نجران فانهم كانوا على دين النصرانية على حكم الانجيل ولهم رأس يقال له عبد الله بن السامر فدعاهم الى اليهودية فابوا فخيرهم فاختاروا القتل فخد لهم الاخدود وصنف لهم اصناف القتل فمنهم من قتل صبرا ومنهم من القى في النار الا رجلا من اهل سبأ يقال له دوس بن ثعلبان فذهب على فرس له يركض حتى اعجزهم فى الرمل فاتى قيصر فذكر له مابلغ منهم واستنصره فقال له بعدت بلادك عنا ولكنى اكتب ذلك الى ملك الحبشة فانه على ديننا فينصرك فكتب له الى النجاشى يامره بنصره فلما قدم على النجاشي بعث معه رجلا من الحبشة يقال له ارياط فلما بعثه قال له ان دخلت اليمن فاقتل ثلث رجالها واخرب ثلث بلادها وابعث الى بثلث سباياها فلما دخلها ناوشهم القتال فتفرقوا عن ذي نواس واقتحم به فرسه فاستعرض به البحر فهلكا جميعا فكان آخر العهد به ودخلها ارياط فعمل بما امره النجاشى فقال ذو جدن الحميرى فيما اصاب اهل اليمن

دعيني لاابالك لم تطيقى ❊ لحاك الله قد انزفت ريقى

بذا عزف القيان اذا انتشينا ❊ اذا نسقى من الخمر الرحيق

وشرب الخمر ليس على عارا ❊ اذا لم يشكني فيها رفيقى

وان الموت لاينهاه ناه ❊ ولوشرب الشفاء من النشوق

ولا مترهب فى أسطوان ❊ يناطح جلده بيض الانوق

وغمدان الذي نبئت عنه ❊ بنوه ممسكا فى رأس نيق

لمتهمه وأسفله حروث ❊ وجر الموجل اللثق الزليق

مصابيح الصليط يلحن فيه ❊ اذا يمسى كرمضان البروق

بنت عمه ياابن عمى انا وانت نصبر على الجوع فكيف الحيلة فى هؤلاء الاطفال فقال لها تعرفين شغلا افعله قالت نعم احمد الى سوق البنائين فلو عملت بنصف درهم كان فيه قوت الاطفال فقال حبا وكرامة قال فاخذ فاسا وزنبيلا وخرج يطلب سوق البنائين فوجد فى طريقه مسجدا مهجورا فدخله وقال وعزتك وجلالك لاعملت اليوم الا لك وكان بوضوء صلاة الفجر قال فاستقبل القبلة ولم يزل راكعا وساجدا يومه كله فقرا فى ذلك اليوم فى صلاته سورة الاخلاص احد عشر الف مرة ثم صلى المغرب وهم بالخروج فقال فى نفسه كيف امضي الى اهلى وماذا اقول لهم ان قالوا ماذا عملت وعزتك وجلالك لابرحت حتى اصلى العشاء الاخيرة ولم يزل راكعا وساجدا حتى صلى العشاء الاخيرة ومضى الى منزله

فاصبح

فاصبح بعد جدته رمادا * وغير حسنه لهب الحريق

ونخلته التي غرست اليه * يكاد البسر يهصر بالعذوق

واسلم ذو نواس مستبينا * وحذر قومه ضنك المضيق

قال فقام ارياط باليمن وكتب اليه النجاشي ان اثبت بجندك ومن معك فاقام حينا ثم ان ابرهة بن الصباح ساخطه في امر الحبشة حتى انصدعوا صدعين فكانت معه طائفة ومع ابرهة طائفة ثم تزاحفا فلما دنا بعضهم من بعض أرسل أبرهة الي ارياط انك لا تصنع شيئاً فلا تلق الحبشة بعضها على بعض ولكن اخرج الي فاينا قتل صاحبه انضم اليه الجند فارسل اليه انك قد انصفت ثم انهما خرجا وكان ارياط جسيما عظيما وسيما في يده حربة وكان أبرهة رجلا قصيرا حذرا حليما وكان ذا دين في النصرانية وكان خلف ابرهة وزير له يقال له عتودة فلما دنوا رفع ارياط الحربة فضرب بها رأس أبرهة فوقعت على جبينه فشرمت عينه وجبينه وانفه وشفته فلذلك سمي ابرهة الاشرم فلما رأي عتودة ذلك حمل على ارياط فقتله فاجتمع الجيش على ابرهة فبلغ النجاشي ماصنع أبرهة فغضب عليه وحلف لا يدع ابرهة حتى يجز ناصيته ويطا بلاده ثم انه كتب الى ابرهة انك عدوت على اميري فقتلته بغير امري وكان ابرهة رجلا ماردا فلما بلغه قول النجاشي حلق رأسه وملأ جرابا من تراب ارضه وكتب الى النجاشي ايها الملك انما كان ارياط عبدك وانا عبدك اختلفنا في امرك وكنت أعلم بامر الحبشة وأسوس لها وكنت أردته ان يعتزل فابى فقتلته وقد بلغني الذى حلف عليه الملك وقد حلقت راسي وبعثت به اليك وملات جرابا من تراب ارضي وبعثته اليك ليطأه الملك فيبرقسمه فلما انتهى اليه ذلك رضي عنه واقره على عمله وكتب اليه بان اثبت بمن معك من الجند ثم ان ابرهة بنى كنيسة بصنعاء يقال لها القليس ثم انه كتب الى النجاشي انى قد بنيت لك بصنعاء كنيسة لم يبن الملك مثلها قط ولست منتهيا حتى اصرف اليها حج العرب فسمع بذلك رجل من بنى مالك بن كنانة فخرج الي القليس فدخلها ليلا فقعد فيها ثم اوثا بها وتغضب للكعبة فبلغ ذلك ابرهة ويقال انه أتاها ناظرا اليها فدخلها فوجد العذرة فيها فقال من اجترأ على هذا فقيل فعل هذا رجل من العرب من اهل ذلك البيت الذي يحجونه سمع بالذى قلت فصنع هذا فحلف ابرهة عند ذلك ليسيرن الى الكعبة حتى يهدمها فخرج سائرا من الحبشة الى مكة واخرج معه الفيل فبلغ ذلك العرب فاعظموه وفظعوا به ورأوا جهاده حقا عليهم فخرج ملك من ملوك حمير يقال له ذو نفر عن اطاعه من قومه فقاتله فهزمه واخذ ذو نفر فاتى به ابرهة فقال ايها الملك لا تقتلني فان استبقاءك لي خير لك من قتلي فاستحياه واوثقه وكان ابرهة رجلا حليما ثم خرج سائرا حتى اذا دنا من ديار خثعم خرج اليه نفيل بن حبيب الخثعمي في قبيلتي خثعم وهما شهران وناهس ومن اجتمع من قبائل اليمن فقاتلوه فهزمهم واخذ نفيلا اسيرا فقال له ايها الملك انى دليلك بارض العرب فلا تقتلني وها انا اناد على قومي بالسمع والطاعة لك فاستبقاه وخرج معه يدله حتى اذا مر بالطائف فخرج اليه مسعود بن مغيث الثقفي في رجال من ثقيف وقال له ايها الملك انما نحن عبيدك فليس لك عندنا خلاف وليس بيننا هذا الذى تريد يعني به اللات انما تريد البيت الذى بمكة ونحن نبعث معك من يدلك عليه فبعثوا ابارغال مولاهم فخرجوا حتى اذا كانوا بالمغمس مات ابورغال فهو الذى ترجم قبره العرب وبعث ابرهة من المغمس رجلا من الحبشة يقال له الاسود ابن مقصود على مقدمة خيله فجمع اليه اموالا واصاب لعبد المطلب جد رسول الله صلى الله عليه وسلم مائتى بعير ثم ان ابرهة بعث حناطة الحميري الى اهل مكة سفيرا فقال سل عن شريفها ثم ابلغه انى لم آت لقتال انما جئت لاهدم هذا البيت فانطلق حناطة حتى دخل مكة فلقى عبد المطلب بن هاشم فقال له ان الملك ارسلني اليك لاخبرك أنه لم يأت القتال الا ان يقاتلوه انما اتى لهدم هذا البيت ثم الانصراف عنكم فقال عبد المطلب ما له عندنا قتال سنخلي بينه وبين ما جاء له فان هذا بيت الله الحرام وبيت

فسمع ضحكا عظيما فظن في نفسه شرا وقال انا لله وانا اليه راجعون غبت عن المرأة ومعها الاطفال وهم في شدة عظيمة من الجوع فليت شعري ماجرى عليهم ثم بكى بكاء شديدا وقرع الباب فخرجت اليه زوجته مسرعة وقالت له اهلا وسهلا وهي فرحة مسرورة ثم قالت ما كان يومك الا مباركا اشبع الله بطنك كما اشبعت بطوننا فدخل المنزل فرأى فيه نورا عظيما فالتفت فاذا بمائدتين عظيمتين على كل مائدة منديل حسن فقال ماهاتان المائدتان قالت يا ابن عمي انا جالسة في وقت الغروب وقد اجهدني الجوع والاطفال يتجرعون الموت واذا بطارق يطرق الباب فنهضت الي الباب ففتحته فاذا بغلام شاب وعليه حلتان خضراوتان ومعه اثنان معهما مائدتان فقال يا ايتها الشابة هذا

خليله ابراهيم عليه السلام فان يمنعه فهو بيته وحرمه وان يخل بينه وبين ذلك فهو كذلك فوالله ما لنا به قوة قال فانطلق معي الى الملك فزعم بعض العلماء انه اردفه على بغلة له كان راكبا عليها وركب معه بعض بنيه حتى قدم المعسكر وكان ذو نفر صديقا لعبد المطلب فاتاه فقال له يا ذا نفر هل عندك من غناء فيما نزل بنا فقال ما غناء رجل اسير لا يأمن من ان يقتل بكرة او عشية ولكني سابعث لك الى انيس سائس الفيل فانه صديق لي فاسأله ان يصنع لك عند الملك ما استطاع اليه من الخير ويعظم منزلتك وحظك عنده قال فارسل الى انيس فاتاه فقال له ان هذا سيد قريش صاحب عير مكة يعطي ويطعم الناس من السهل والجبل والوحش والطير في رؤس الجبال وقد أصاب له الملك مائتي بعير فان استطعت ان تنفعه عنده فانفعه فانه صديق لي واني أحب ما يصل اليه من الخير ثم ان أنيسا دخل على ابرهة هو وعبد المطلب فقال له ايها الملك هذا سيد قريش وصاحب عير مكة الذى يطعم الناس في السهل والجبل والطير والوحش في رؤس الجبال وقد جاءنا غير ناصب لك حربا ولا مخالف عليك يستاذن عليك وأنا أحب أن تاذن له فيكلمك فاذن له وكان عبد المطلب رجلا جسيما وسيما فلما دخل عليه جلس بين يديه فأقامه وأجلسه معه على السرير ثم قال لترجمانه قل له ما حاجتك فقال له الترجمان ذلك فقال له عبد المطلب حاجتي أن يرد على مائتي بعير أصابها لي فقال ابرهة لترجمانه قل له لقد كنت أعجبتني حين رأيتك ولقد زهدت فيك الآن فقال له لم قال حيث جئت الى بيت هو دينك ودين آبائك لاهدمه لم تكلمني فيه وتكلمني في مائتي بعير أصبتها فقال له عبد المطلب قل له انا رب هذه الابل ولهذا البيت رب سيمنعه منك قال ما كان ليمنعه مني فقال له انت وذاك ثم أمر له بابله فردت عليه قال محمد بن اسحق وكان فيما زعم بعض أهل العلم أن عبد المطلب قد ذهب الى ابرهة بعمرو ابن معدى كرب بن الديل بن بكر بن عبد مناف بن كنانة وهو يومئذ سيد بني كنانة وخويلد بن واثلة الهذلي وهو يومئذ سيد هذيل فعرضوا على ابرهة ثلث اموال تهامة على أن يرجع عنهم ولا يهدم البيت فابى ان يرجع قال فلما ردت الابل على عبد المطلب رجع فاخبر قريشا الخبر وأمرهم أن يتفرقوا في الشعاب ويتحرزوا في رؤس الجبال تخوفا عليهم من معرة الجيش اذا دخل ففعلوا ذلك ثم أتى عبد المطلب الى الكعبة فاخذ حلقة الباب وجعل يقول

يارب لا ارجو لهم سواكا * يارب فامنع منهم حماكا
ان عدو البيت من عاداكا * فامنعهم ان يخربوا قراكا

﴿ وقال أيضا ﴾

لاهم ان المرء يمـ * ـنع رحله فامنع رحالك
وانصر على آل الصليـ * ـب وعابديه اليوم آلك
لا يغلبن صليبهم * ومحالهم ابدا محالك
جروا جموع بلادهم * والفيل كي يسبوا عيالك
عمدوا حماك بكيدهم * جهلا وما رقبوا جلالك
ان كنت تاركهم وكعـ * ـبتنا فامر ما بدا لك

ثم ان عبد المطلب ترك الحلقة وتوجه في بعض الوجوه مع قومه واصبح ابرهة بالمغمس وقد تهيأ لدخول مكة وعبى جيشه وهيأ فيله وكان اسم الفيل محمودا وكان من قبل النجاشي بعثه الى ابرهة وكان فيلا لم ير مثله في الارض عظما وقوة وجسما وقال الكلبي لم يكن عندهم الا ذلك الفيل الواحد ولذلك قال الله تعالى ألم تر كيف فعل ربك باصحاب الفيل وقال الضحاك كانت الفيلة كثيرة ويقال كان معه اثنا عشر فيلا (١) وانما وحد على هذا التأويل لوفاق رؤس الآى ويقال نسبهم الى الفيل الاعظم قال فاقبل نفيل الى الفيل الاعظم فاخذ باذنه وقال ابرك محمود أو ارجع راشدا من حيث جئت فانك في بلد الله الحرام فبرك الفيل فبعثوه فابى ان يقوم فضربوه بالمعول في رأسه فابى فادخلوا محاجنهم تحت مراقه ومرافقه ورفعوه ليقوم فابى فوجهوه

١ (قوله وانما وحد الخ) المراد ان الافراد في الآية على هذا القول لوفاق رؤس الآى

منزل ابن الرومي قلت نعم قال هذه صرة فيها الف دينار ادفعيها اليه وقولي له مولاك يقرئك السلام ويقول لك زد في العمل ازدك في الاجرة وهذا عطاؤه قالت فاخذت ذلك منه وانصرف ثم دخلت وكشفت المائدتين فوجدت عليهما طعاما طيبا وخبزا كثيرا ونعمة عظيمة ما رايت مثلها قط فبالله يا ابن عمي عند من عملت اليوم قلت لها عند ملك كريم ما رايت قط اسخى منه ولا اكرم عملت عنده شيأ يسيرا فاعطاني هذا الخير الكثير فقالت يا ابن عمي اكلت انا والاولاد فكل انت ونم فقال ان علي صلاة فاذا اديت صلاتي نمت ثم اقبل الى المحراب ولم يزل راكعا ساجدا حتى مضى من الليل اكثره فغلبه النوم فنام فرأى في النوم كانه واقف بين يدي الله تعالى وهو يقول يا ابن الرومي كيف رايت معاملتنا قلت خير

راجعا الى اليمن فقام يهرول ثم وجهوه الى الشام ففعل مثل ذلك ثم وجهوه الى المشرق ففعل مثل ذلك فصرفوه الي الحرم فبرك وأبى ان يقوم ثم ان نفيلا خرج من عندهم وصعد في الجبل وارسل الله تعالى طيرا من البحر كامثال الخطاطيف مع كل طير منهم ثلاثة احجار حجران في رجليه وحجر في منقاره أمثال الحمص والعدس فلما غشيت القوم ارسلنها عليهم فلم تصب تلك الحجارة أحدا الا هلك وليس كل القوم أصابت فذلك قوله تعالى طيرا ابابيل أي متفرقة من ههنا وههنا قال ابن عباس كان لها خراطيم كخراطيم الطيور واكف كاكف الكلاب وقال عكرمة كان لها رؤس كرؤس السباع ولم تر قبل ذلك ولا بعده وقال ربيع لها انياب كأنياب السباع وقال سعيد بن جبير طير خضر لها منا قير صفر وقال أبو الجوزاء أنشأها الله في الهواء في ذلك الوقت ترميهم بحجارة من سجيل أي سنك كل (٢) قال ابن مسعود صاحت الطير ورمتهم بالحجارة وبعث الله ريحا فضربت الحجارة فزادتها قوة فما وقع منها حجر على جنب رجل الا خرج من الجانب الآخر واذا وقع على رأس رجل خرج من دبره فجعلهم كعصف مأكول أي كزرع قد أكل حبه وبقي تبنه فلما رأت الحبشة ذلك خرجوا هاربين يبتدرون الطريق الذى جاؤا منه ويسألون عن نفيل بن حبيب ليدلهم على الطريق فقال نفيل بن حبيب حين رأى ما أنزل الله بهم من نقمة

أين المفر والاله الطالب ✻ والاشرم المغلوب غير الغالب

﴿ وقال أيضا في ذلك ﴾

ألا حييت عنا يا ردينا ✻ نعمنا كم مع الاصباح عينا
ردينة لو رأيت ولم تريه ✻ لدى جنب المحصب ما رأينا
اذا لعذرتني وحمدت امرى ✻ ولم تأس على مافات بينا
حمدت الله اذ عاينت طيرا ✻ وخفت حجارة ترمى علينا
وكل القوم يسال عن نفيل ✻ كان على للحبشان دينا

وذكر زياد عن عبد الله بن عمر أن طير الابابيل كانوا اقبلوا من قبل البحر لرجال الهند ترميهم بحجارة أصغرها مثل رؤس الرجال واكبرها كالابل البزل مارمت أصابت وما أصابت قتلت ونفيل ينظر اليهم من بعض تلك الجبال وقد خرج القوم وصاح بعضهم على بعض فخرجوا يتساقطون بكل طريق ويهلكون على كل منهل وبعث الله تعالى على ابرهة داء في جسده فجعل تتساقط انامله كلما سقطت انملة أتبعتها انملة وقيح ودم فانتهى الى صنعاء وهو مثل فرخ الطائر فيما بقي من اصحابه فما مات حتى انصدع صدره عن قلبه ثم هلك وزعم مقاتل بن سليمان ان السبب الذى جر حديث اصحاب الفيل هو ان فئة من قريش خرجوا تجارا الى أرض النجاشي فساروا حتى دنوا من ساحل البحر وفي سندها حقف من أحقافها بيعة للنصارى تسميها قريش الهيكل ويسميها النجاشي وأهل أرضه الماسرخسان فنزل القوم في سندها فجمعوا احطابا وأججوا نارا واشتووا لحما فلما ارتحلوا تركوا النار كما هي في يوم صائف فهجت الرياح فاضطرم الهيكل نارا وانطلق الصريخ الى النجاشي فاخبروه فاسف عند ذلك غضبا للبيعة فبعث أبرهة لهدم الكعبة وكان بمكة يومئذ أبو مسعود الثقفي وكان مكفوف البصر يصيف بالطائف ويشتو بمكة وكان رجلا نبيها نبيلا عاقلا وكان لعبد المطلب خليلا فقال عبد المطلب يا أبا مسعود هذا يوم لا نستغني فيه عن رأيك فما رأيك فقال أبو مسعود لعبد المطلب اعمد الي مائة من الابل فاجعلها هديا لله تعالى وقلدها نعلا واثبتها في الحرم لعل بعض هؤلاء السودان يعقر منها فيغضب رب هذا البيت فيأخذهم ففعل ذلك عبد المطلب فعمد القوم الى تلك الابل فحملوا عليها وعقروا بعضها وجعل عبد المطلب يدعو فقال أبو مسعود ان لهذا البيت ربا سيمنعه فقد نزل تبع ملك

(٢) (قوله أى سنك كل) لفظ فارسي معربه سجيل

المعاملة فقال يا ابن الرومى قد رفعت لك عشرة الاف درجة وكتبت لك عشرة الاف حسنة ومحوت عنك مائة الف سيئة فهل انت عني راض قلت نعم يارب فقال يا ابن الرومى اسالي اعطك قلت يارب اسألك ان تقبلني على ما انا فيه وعليه من قبل ان تقبضني اليك فقال الله تعالى انى مقدر الاجال لا ازيد فيها ولا انقص وقد بقي من عمرك تسعة ايام قلت الهي احفظني حتى تتوفاني مسلما فقال حفظتك قلت وعزتك لازيدن في العمل فقال الله وعزتي وجلالي لاعطينك براءة من النار ولاسكننك جواري في دار القرار قال فانتبهت من نومي فحدثت زوجتي بما رايت فحزنت حزنا شديدا ثم اني اشتريت لها ولاولادها منزلا ياوون فيه وخادما يخدمهم وودع اخوانه واهله يوم التاسع ومضي الى محرابه وصلى

اليمن بصحراء هذا البيت وأراد هدمه فمنعه الله وابتلاه واظلم عليه ثلاثة ايام فلما رأى ذلك تبع كساه القباطي البيض وعظمه ونحرله جزرا ثم قال أبو مسعود لعبد المطلب انظر الى بحر اليمن هل ترى شيا فقال أرى طيرا بيضا نشات من جانب البحر وحلقت على رؤسنا له فقال له هل تعرفها فقال عبد المطلب والله ما أعرفها ماهي بنجدية ولا تهامية ولا عربية ولا شامية وانها تطير بارضنا غير مؤلفة قال ماقدرها قال امثال اليعاسيب فى مناقيرها حصى كانها حصى الخذف قد اقبلت كالليل المظلم يتبع بعضها بعضا امام كل فرقة طير يقودها احمر المنقار اسود الرأس طويل العنق فجاءت حتي اذا حاذت عسكر القوم ركدت فوق رؤسهم فلما توافت الرجال كلها بحيالهم أهالت الطير مافي مناقيرها على من تحتها مكتوب على كل حجر اسم صاحبه ثم انها رجعت من حيث جاءت فلما اصبح عبد المطلب وأبو مسعود انحطا من ذروة الجبل فمشيا ربوة فلم يؤنسا أحدا ثم انهما مشيا فلم يسمعا حسا فقالا لبعضهما بات القوم سامدين فاصبحوا نياما فلما دنوا من معسكر الفيل فاذاهم خامدون وكان الحجر ينزل على بيضة أحدهم فيفجرها ويقطع فى دماغه ويخرق الفيل والدابة ويغيب الحجر فى الارض من شدة وقعه ثم ان عبد المطلب أخذ فاسا وحفر حتي اعمق فى الارض فملأ من الذهب الاحمر والجوهر الجيد ثم حفر لصاحبه حفرة فملأها ثم قال لابى مسعود هات خاتمك واخيرك فاختر فان شئت اخذت حفرتى وان شئت أخذت حفرتك وان شئت فهما لك معا فقال له أبو مسعود اختر لى على نفسك فقال عبد المطلب انى جعلت أجود المتاع في حفرتى فهو لك ثم جلس كل واحد منهما على حفرته ونادي عبد المطلب في الناس فرجعوا وأصابوا من فضلهما حتى ضاقوا بذلك ذرعا وساد عبد المطلب بذلك على قريش وأعطته الرياسة فلم يزل أبو مسعود وعبد المطلب غنيين من ذلك المال الى ان ماتا (وقال الواقدى) باسانيده غزا النجاشي ارياط في أربعة آلاف الى اليمن فغلب عليها فاكرم الملوك واستذل الفقراء فقام رجل من الحبشة يقال له ابرهة الاشرم أبو يكسوم فدعا الى طاعته فاجابوه فقتل ارياط وغلب على اليمن فرأي الناس يتجهزون أيام الموسم للحج فسال أين تذهب الناس فقيل يحجون بيت الله بمكة قال فما هو قالوا من حجر قال فما كسوته قالوا ماياتى من هنا من الوصائل فقال والمسيح لابنين خيرا منه فبني لهم بيتا بالرخام الابيض والاسود والاحمر والاصفر وحلاه بالذهب والفضة وحفه بالجواهر وجعل له ابوابا عليها صفائح الذهب ومسامير الذهب ورصعها بالجواهر وجعل فيها ياقوتة حمراء وجعل لها حجابا وكان يوقد بالمندل ويلطخ جدرانه بالمسك حتى تغيب الجواهر وامر الناس بحجه فحجه كثير من قبائل العرب سنين ومكث فيه رجال يتعبدون ويتنسكون فامهل نفيل الخثعمي حتى كان ليلة من الليالى لم ير أحدا يتحرك فجاء بعذرة فلطخ بها قبلته وألقى فيه الجيف فاخبر ابرهة بذلك فغضب أبرهة غضبا شديدا وقال انما فعلت العرب ذلك غيظا لاجل بيتهم ثم انه قال لانقضنه حجرا حجرا ثم انه كتب الى النجاشي يخبره بذلك ويساله أن يبعث اليه بفيله محمود وكان فيلا لم ير مثله فى الارض عظما وجسما وقوة فبعثه اليه فغزا البيت كما ذكرنا الى أن قال اقبلت الطير من البحر أبابيل مع كل طير ثلاثة احجار حجران فى رجليه وحجر فى منقاره فقذفت الحجارة عليهم لاتصيب شيأ الاهشمته وبعث الله سيلا اتى اليهم فذهب بهم الى البحر فالقاهم فيه وولى أبرهة ومن معه هاربا فجعل ابرهة يسقط عضوا عضوا حتى مات واما محمود فيل النجاشى فربض ولم يشجع على الحرم فنجا واما الفيلة الاخر فشجعت فحصبت وهلكت وهو اول وقت رؤي عليه الجدرى والحصبة وقال أمية ابن أبي الصلت في ذلك

ان آيات ربنا بينات * مايمارى بهن الا الكفور
حبس الفيل بالمغمس حتى * ظل يحبو كأنه معقور
حوله من رجال كندة فتيان * مصاليب في الحروب صقور

فيه ماشاء الله ثم جعل وجهه الى الكعبة وقضى نحبه ولحق بربه رحمة الله تعالى عليه (وروى عن بعض الصالحين رضي الله تعالي عنه) ان اسدا دخل فى قرية فى بني اسرائيل فاخذ منها صبيا فالقاه على ظهره واتى به الى مكانه ليأكله فعلمت امه بذلك فتبعته صائحة مستغيثة فبينما هي كذلك اذ ظهر فارس وعليه ثوب ابيض وعمامة بيضاء وبيده رمح فقال للاسد ياابا الحرث ضع الولد وامض بسلام فلما سمع الاسد ذلك منه القي الولد عن ظهره ودخل مكانه ولم يتعرض له بسوء فقالت امه للفارس من انت الذي احييت ولدي فقال الملك الموكل بالرحمة ارسلني الله عز وجل الى هذا الاسد لاخلص ولدك منه كما رحمت يوم كذا وكذا مسكينا وتصدقت عليه بقرص من الخبز فلقمة بلقمة ففرحت المرأة بذلك

غادروه وقد تولوا سراعا * كلهم عظم ساقه مكسور

وقال الكلبي لما اهلكهم الله بالحجارة لم يفلت منهم الا ابرهة الاشرم بن يكسوم فسار وطائر يطير فوقه ولم يشعر به حتى دخل على النجاشي فاخبره بما اصابهم فلما استتم كلامه حتى رماه الطائر فسقط ميتا فارى الله النجاشي كيف كان هلاك أصحابه (وقال الواقدى) كان أبرهة جد النجاشي الذي كان في زمن النبي صلى الله عليه وسلم وآمن به (واختلفوا في تاريخ عام الفيل) فقال مقاتل كان أمر الفيل قبل مولد النبي صلى الله عليه وسلم باربعين سنة وقال عبيد بن عمير والكلبي كان قبل مولده بثلاث وعشرين سنة وقال آخرون كانت قصة الفيل فى العام الذي ولد فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى هذا أكثر العلماء وهو الصحيح يدل عليه ما أخبرنا أبو بكر الجوزقي قال حدثنا عبد العزيز بن ثابت حدثنا الزبير بن موسي عن أبي الجوزاء قال سمعت عبد الملك بن مروان يقول لغياث بن أسيم الكناني ياغياث أنت أكبر ام رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أكبر مني وأنا اسن منه ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الفيل ووقفت بي امي على روث الفيل ويدل عليه ايضا ماروى ان عائشة رضي الله عنها قالت رأيت قائد الفيل وسائسه بمكة اعميين مقعدين يستطعمان فلما كفى الله امر اصحاب الفيل عظمت العرب قريشا وقالوا هم أهل الله وان الله قاتل عنهم وكفاهم مؤنة عدوهم والله عز وجل اعلم واحكم وحسبنا الله ونعم الوكيل آمين

الحمد لله الذي قص علينا فى كتابه الحكيم من اخبار الانبياء والمرسلين مابه عبرة لكل ذي قلب سليم ليستيقظ الغافلون و يعلم الجاهلون والصلاة والسلام على من اطلعه على ما كان وما يكون وآله ذوي العلوم اللدنية واصحابه المستضيئين بأنوار معارفه الالهية

(وبعد) فقد تم بحمده تعالى طبع كتاب قصص الانبياء الموسوم بالعرائس الحاوى من الاخبار نفائس النفائس للعلامه الفاضل واللوذعي الكامل أبى اسحاق احمد بن محمد الثعلبي رحمه الله وأثابه رضاه

وقد تحلت طرره ووشيت غرره بكتاب روض الرياحين فى مناقب الصالحين للامام اليافعى رضى الله عنه وارضاه وجعل الجنة متقلبه ومثواه وذلك بمطبعة العلوم الادبيه فى سنة ١٣٤٤ من هجرة بدر التمام عليه وعلى آله واصحابه افضل صلاة وازكى سلام آمين

واخذت ولدها وانصرفت (وروي) ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الصدقة لاتدفع البلاء المبرم النازل من السماء (وروت عائشة رضي الله عنها) عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال السخاء شجرة اصلها فى الجنة واغصانها متدلية فى الدنيا فمن تعلق بغصن منها جره الى الجنة وان البخل شجرة اصلها فى النار واغصانها متدلية في الدنيا فمن تعلق بغصن منها جره الى النار (وقال) صلى الله عليه وسلم البخيل بعيد من الله بعيد من الجنة قريب من النار والسخي قريب من الله قريب من الجنة بعيد من النار اجارنا الله منها ومن عذابها ومن كل عمل يقربنا اليها آمين